

روح البيان في تفسير القرآن

تأليف

الإمام الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى
الحنفي الخلوتي البروسوي
المتوفى ١١٢٧ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته
عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

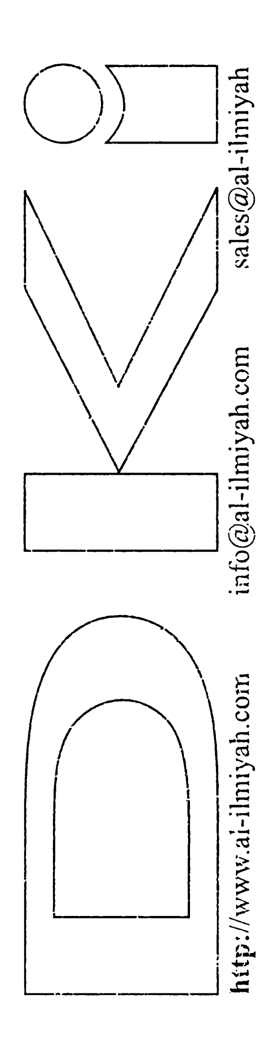
الجزء التاسع

المحتوى:

من أول سورة الفتح - الى آخر سورة المنافقون



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



الكتاب : روح البيان في تفسير القرآن **Title :** RŪḤ AL-BAYĀN FĪ TAFSĪR AL-QUR'ĀN	
التصنيف : تفسير قرآن **Classification:** Exegesis of the Qur'an	
المؤلف : الشيخ إسماعيل البروسوي (ت ١١٢٧ هـ) **Author :** Al-Shaykh ISmail Al-Burusawi (D. 1127 H.)	
المحقق : عبداللطيف حسن عبدالرحمن **Editor :** Abdullatif Hassan Abdulrahman	
الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت **Publisher:** Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut	

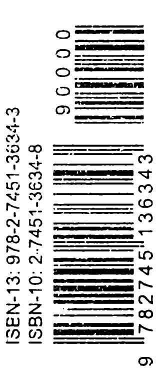
Pages	(10Vols./10Parts) 5344 (١٠أجزاء/١٠ مجلدات)	عدد الصفحات
Size	17x24 cm	قياس الصفحات
Year	2018 A.D. - 1439 H.	سنة الطباعة
Printed in	Lebanon لبنان	بلد الطباعة
Edition	4th (2 Colors) الرابعة (لونان)	الطبعة

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



ISBN-13: 978-2-7451-3634-3
ISBN-10: 2-7451-3634-8

٤٨ ـ سورة الفتح

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الفتح سبع وعشرون آية مدنية بلا خلاف نزلت في رجع رسول الله عن مكة عام الحديبية وقال الزهري نزلت سورة الفتح من أولها إلى آخرها بين مكة والمدينة في شأن الحديبية قال البقاعي نزلت بضجنان بفتح الضاد المعجمة والجيم والنونين. في «القاموس»: ضجنان كسكران جبل قرب مكة وفي «إنسان العيون» نزلت بكراع الغميم وهو موضع على ثلاثة أميال من عسفان وهو كعثمان موضع على مرحلتين من مكة فإن قلت: إذا لم تنزل بالمدينة كيف تكون مدنية قلت المدني في الاصطلاح ما نزل بعد الهجرة نزل بالمدينة أو غيرها كما أن المكي ما نزل قبلها كما في «حواشي» سعدي المفتي.

﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾.

﴿**إنا فتحنا لك**﴾ فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة أو صلحاً بحرب أو بدونه فإنه ما لم يظفر منغلق مأخوذ من فتح باب الدار قال في «عين المعاني» الفتح هو الفرج المزيل للهم لأن المطلوب كالمنغلق فإذا نيل انفتح وفي «المفردات»: الفتح إزالة الإغلاق والإشكال وذلك ضربان أحدهما يدرك بالبصر نحو فتح الباب والغلق والغفل والمتاع نحو قوله ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ﴾ [يوسف: ٦٥] والثاني: ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم وهو إزالة الغم وذلك ضربان أحدهما في الأمور الدنيوية كغم يفرج وفقر يزال بإعطاء المال ونحوه والثاني فتح المستغلق من العلوم نحو قولك فلان فتح من العلم باباً مغلقاً انتهى وإسناده إلى نون العظمة لاستناد أفعال العباد إليه تعالى خلقاً وإيجاداً والمراد فتح مكة وهو المروي عن أنس رضي الله عنه بشر به رسول الله ﷺ عند انصرافه من الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الأخبار الربانية للإيذان بتحققه لا محالة تأكيداً للتبشير كما أن تصدير الكلام بحرف التحقيق كذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وحذف المفعول للقصد إلى نفس الفعل والإيذان بأن مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح قال الإمام الراغب ﴿**إنا فتحنا لك**﴾ يقال عنى فتح مكة ويقال بل عنى ما فتح على النبي عليه السلام من العلوم والهدايات التي هي ذريعة إلى الثواب والمقام المحمود التي صارت سبباً لغفران ذنوبه انتهى وسيجيء غير هذا ﴿**فتحاً مبيناً**﴾ أي: بيناً ظاهر الأمر مكشوف الحال أو فارقاً بين الحق والباطل وقال بعضهم المراد بالفتح المبين هو الصلح مع قريش في غزوة الحديبية وهي كدوهية وقد تشدد بئر قرب مكة حرسها الله تعالى أو شجرة حدباء كانت

هنالك كما في «القاموس» سمي المكان باسمها وسببها أنه ﷺ رأى في المنام أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين أي: بعضهم محلق وبعضهم مقصر وأنه دخل البيت وأخذ مفتاحه وطاف هو وأصحابه واعتمر وأخبر بذلك أصحابه ففرحوا ثم أخبر أصحابه أنه يريد الخروج للعمرة فتجهزوا للسفر وخرج عليه السلام بعد أن اغتسل ببيته ولبس ثوبين وركب راحلته القصوى من عند بابه ومعه ألف وأربعمائة من المسلمين على الصحيح وأبطأ عليه كثير من أهل البوادي خشية قريش وساق عليه السلام معه الهدي سبعين بدنة وكان خروجه يوم الاثنين غرة ذي القعدة من السنة السادسة من الهجرة فلما وصل إلى ذي الحليفة وهو ميقات المدنيين صلى بالمسجد ركعتين وأحرم بالعمرة وأحرم معه غالب أصحابه ومنهم من لم يحرم إلا من الجحفة وهو ميقات أهل الشام وإنما خرج معتمراً ليأمن أهل مكة ومن حولها من حربه وليعلموا أنه عليه السلام إنما خرج زائراً للبيت فلما كان الأصحاب في بعض المحال أقبلوا نحوه عليه السلام وكان بين يديه ركوة يتوضأ منها فقال: ما لكم؟ فقالوا: يا رسول الله ليس عندنا ماء نشرب ولا ماء نتوضأ منه إلا في ركوتك فوضع رسول الله يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه الشريفة أمثال العيون فشربوا وتوضؤوا حتى قال جابر رضي الله عنه: لو كنا مائة ألف لكفانا وهو أعجب من نبع الماء لموسى عليه السلام من الحجر فإن نبعه من الحجر متعارف معهود وأما من بين اللحم والدم فلم يعهد وإنما لم يخرجه عليه السلام بغير ملامسة ماء تأدباً مع الله لأنه المنفرد بإبداع المعدومات من غير أصل وأرسل عليه السلام بشر بن سفيان إلى مكة عيناً له فلما كانوا بعسفان جاء وقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بخروجك فلبسوا جلود النمر أي: أظهروا العداوة والحقد واستنفروا من أطاعهم من الأحابيش وهي قبيلة عظيمة من العرب ومعهم زادهم ونساؤهم وأولادهم ليكون أدعى لعدم الفرار وقد نزلوا بذي طوى وهو موضع بمكة مثلث الطاء ويصرف كما في «القاموس» يعاهدون الله أن لا ندخلها عليهم عنوة أبداً فقال عليه السلام: «أشيروا علي أيها الناس أتريدون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟» وقال المقداد: يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فقال عليه السلام فامضوا على اسم الله فساروا ثم قال: هل من رجل يخرجنا عن طريق إلى غير طريقهم التي هم بها؟ فقال رجل من أسلم وهو ناجية بن جندب: أنا يا رسول الله فسلك بهم طريقاً وعراً ثم أفضوا إلى أرض سهلة ثم أمر رسول الله أن يسلكوا طريقاً يخرجهم على مهبط الحديبية من أسفل مكة فسلكوا ذلك الطريق فلما نزلوا بالحديبية نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة ماء فاشتكى الناس إلى رسول الله العطش وكان الحر شديداً فأخرج عليه السلام سهماً من كنانته ودفعه إلى البراء بن عازب وأمره أن يغرزه في جوف البئر أو تمضمض رسول الله ثم مجه في البئر فجاش الماء ثم امتلأت البئر فشربوا جميعاً ورويت إبلهم وفي التفاسير ولم ينفد ماؤها بعد وفي «إنسان العيون»: فلما ارتحلوا من الحديبية أخذ البراء السهم فجف الماء كأن لم يكن هناك شيء فلما اطمأن رسول الله بالحديبية أتاه بديل بن ورقاء وكان سيد قومه فسأله ما الذي جاء به فأخبره أنه لم يأت يريد حرباً إنما جاء زائراً للبيت فلما رجع إلى قريش لم يستمعوا وأرسلوا الحليس بن علقمة وكان سيد الأحابيش فلم يعتمدوا عليه أيضاً وأرسلوا عروة بن مسعود الثقفي عظيم الطائف ومتمول العرب ولما قام عروة بالخبر

من عنده عليه السلام وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يغسل يديه إلا ابتدروا وضوءه أي: كادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه أي: يدلك به من وقع في يده وجهه وجلده ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون النظر إليه تعظيماً له فقال: يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه أخاف أن لا تنصروا عليه فقالت له قريش: لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور ولكن نرده عامنا هذا ويرجع من قابل فقال: ما أراكم إلا ستصيبكم قارعة ثم انصرف هو ومن معه إلى الطائف وأسلم بعد ذلك ودعا عليه السلام خراش بن أمية الخزاعي فبعثه إلى قريش وحمله عليه السلام على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقر وأجمل رسول الله وأرادوا قتل خراش فمنعه الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله وأخبره بما لقي ثم دعا رسول الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وما بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان رضي الله عنه فإن بني عمه يمنعونه فدعا عليه السلام عثمان فبعثه إلى أشراف قريش يخبرهم بالخبر وأمر عليه السلام عثمان أن يأتي رجالاً مسلمين بمكة ونساء مسلمات ويدخل عليهم ويخبرهم أن الله قرب أن يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفي فيها بالإيمان فخرج عثمان رضي الله عنه إلى مكة ومعه عشرة رجال من الصحابة بإذن رسول الله ليزوروا أهاليهم هناك فلقي عثمان قبل أن يدخل مكة أبان بن سعيد فأجازه حتى يبلغ رسالة رسول الله وجعله بين يديه فأتى عظماء قريش فبلغهم الرسالة وهم يرددون عليه أن محمداً لا يدخل علينا أبداً فلما فرغ عثمان من تبليغ الرسالة قالوا له: إن شئت فطف بالبيت فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله وكانت قريش قد احتبست عثمان عندها ثلاثة أيام فبلغ رسول الله أن عثمان قد قتل وكذا من معه من العشرة فقال عليه السلام لا نبرح حتى نناجز القوم أي: نقاتلهم فأمره الله بالبيعة فنادى مناديه أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله فثاروا إلى رسول الله وهو تحت شجرة من أشجار السمر بضم الميم شجر معروف فبايعوه على عدم الفرار وأنه إما الفتح وإما الشهادة وبايع عليه السلام عن عثمان أي: على تقدير عدم صحة القول بقتله فوضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال: اللهم إن هذه عن عثمان فإنه في حاجتك وحاجة رسولك وسيجيء معنى المبايعة وقيل لها بيعة الرضوان لأن الله تعالى رضي عنهم وقال عليه السلام: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة وقال أيضاً: لا يدخل النار من شهد بدراً والحديبية» وأول من بايع سنان بن أبي سنان الأسدي فقال للنبي عليه السلام: أبايعك على ما في نفسك؟ قال: وما في نفسي؟ قال: اضرب بسيفي بين يديك حتى يظهرك الله أو أقتل وصار الناس يقولون: نبايعك على ما بايعك عليه سنان.

ـ روي ـ أن عثمان رضي الله عنه رجع بعد ثلاثة أيام فبايع هو أيضاً وكان محمد بن مسلمة على حرس رسول الله فبعث قريش أربعين رجلاً عليهم مكرز بن حفص ليطوفوا بعسكر رسول الله ليلاً رجاء أن يصيبوا منهم أحداً ويجدوا منهم غرة أي: غفلة فأخذهم محمد بن مسلمة إلا مكرزاً فإنه أفلت وأتى بهم إلى رسول الله فحبسوا وبلغ قريشاً حبس أصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وقتل من المسلمين ابن رسم رمي بسهم فأسر

المسلمون منهم اثني عشر رجلاً وعند ذلك بعثت قريش إلى رسول الله جمعاً فيهم سهيل بن عمرو فلما رآه عليه السلام قال لأصحابه: سهل أمركم وكان يحب الفأل بمثل هذا فقال سهيل: يا محمد إن ما كان من حبس أصحابك أي: عثمان والعشرة وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأي ذوي رأينا بل كنا كارهين له حين بلغنا ولم نعلم وكان من سفهائنا فابعث إلينا من أصحابنا الذين أسروا أولاً وثانياً فقال عليه السلام: «إني غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي» فقالوا: نفعل فبعث سهيل ومن معه إلى قريش بذلك فبعثوا من كان عندهم وهو عثمان والعشرة فأرسل رسول الله أصحابهم ولما علمت قريش بهذه البيعة كبرت عليهم وخافوا أن يحاربوا وأشار أهل الرأي بالصلح على أن يرجع ويعود من قابل فيقيم ثلاثاً فبعثوا سهيل بن عمرو ثانياً ومعه مكرز بن حفص وحويط بن عبد العزى إلى رسول الله ليصالحه على أن يرجع من عامه هذا لئلا يتحدث العرب بأنه دخل عنوة ويعود من قابل فلما رآه عليه السلام مقبلاً قال: أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل أي: ثانياً فالتأم الأمر بينهم على الصلح وإن كان بعض الأصحاب لم يرضوا به في أول الأمر حتى قالوا علام نعطي الدنية بفتح الدال وكسر النون وتشديد الياء النقيصة والخصلة المذمومة في ديننا وهم مشركون ونحن مسلمون فأشار عليه السلام بالرضى ومتابعة الرسول ثم دعا عليه السلام علياً فقال: اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم فقال سهيل: لا أعرف هذا أي: الرحمٰن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم فكتبها لأن قريشاً كانت تقولها ثم قال رسول الله: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو» فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أصدك عن البيت ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «امح رسول الله» فقال: والله ما أمحوك أبداً فقال: «أرنيه» فأراه إياه فمحاه رسول الله بيده الشريفة وقال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو وقال أنا والله رسول الله وإن كذبتموني وأنا محمد بن عبد الله وكان الصلح على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض ومن أتى محمداً من قريش ممن هو على دين محمد بغير إذن وليه رده إليه ذكراً كان أو أنثى ومن أتى قريشاً ممن كان مع محمد أي: مرتداً ذكراً كان أو أنثى لم ترده إليه» وسبب الأول أن في رد المسلم إلى مكة عمارة للبيت وزيادة خير له في الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت فكان هذا من تعظيم حرمات الله وسبب الثاني أنه ليس من المسلمين فلا حاجة إلى رده وشرطوا أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وأن بيننا وبينكم عيبة مكفوفة أي: صدوراً منطوية على ما فيها لا تبدي عداوة بل منطوية على الوفاء بالصلح وأنه لا إسلال ولا إغلال أي: لا سرقة ولا خيانة قال سهيل: وأنك ترجع عامك هذا فلا تدخل مكة وأنه إذا كان عام قابل خرج منها قريش فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثة أيام معك سلاح الراكب السيوف في القرب والقوس لا تدخلها بغيرهما وكان المسلمون لا يشكون في دخولهم مكة وطوافهم بالبيت ذلك العام للرؤيا التي رآها رسول الله فلما رأوا الصلح وما تحمله رسول الله في نفسه دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون خصوصاً من اشتراط أن يرد إلى المشركين من جاء مسلماً منهم وكانت بيعة الرضوان قبل الصلح وأنها السبب الباعث لقريش عليه ولما فرغ رسول الله من الصلح وأشهد عليه رجالاً من المسلمين قام إلى هديه فنحره وفرق لحم الهدي على الفقراء الذين حضروا

الحديبية وفي رواية بعث إلى مكة عشرين بدنة مع ناجية رضي الله عنه حتى نحرت بالمروة وقسم لحمها على فقراء مكة ثم جلس رسول الله في قبة من أديم أحمر فحلق رأسه خداش الذي بعث إلى قريش كما تقدم ورمى شعره على شجرة فأخذه الناس تبركاً وأخذت أم عمارة رضي الله عنها طاقات منه فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبرأ بإذن الله تعالى فلما رأوا رسول الله قد نحر رافعاً صوته باسم الله والله أكبر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون وقصر بعضهم كعثمان وأبي قتادة رضي الله عنهما وقال عليه السلام: «اللهم ارحم المحلقين دون المقصرين» قال: لأنهم لم يرجوا أن يطوفوا بالبيت بخلاف المقصرين أي: لأن الظاهر من حالهم أنهم أخروا بقية شعورهم رجاء أن يحلقوا بعد طوافهم وأرسل الله ريحاً عاصفة احتملت شعورهم فألقتها في قرب الحرم وإن كان أكثر الحديبية في الحرم فاستبشروا بقبول عمرتهم وأقام عليه السلام بالحديبية تسعة عشر أو عشرين يوماً ثم انصرف قافلاً إلى المدينة فلما كان بين الحرمين وأتى بكراع الغميم على ما في «إنسان العيون» وغيره أنزلت عليه سورة الفتح وحصل للناس مجاعة هموا أن ينحروا ظهورهم فقال عليه السلام: «ابسطوا أنطاعكم وعباءكم ففعلوا ثم قال: من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينشره» ودعا لهم ثم قال: «قربوا أوعيتكم» فأخذوا ما شاء الله وحشوا أوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا وبقي مثله وقال عليه السلام لرجل من أصحابه: «هل من وضوء» بفتح الواو وهو ما يتوضأ به فجاء بأداوة وهي الركوة فيها ماء قليل فأفرغها في قدح ووضع راحته الشريفة في ذلك الماء قال الراوي: فتوضأنا كلنا أي: الألف والأربعمائة نصبه صباً شديداً ولما أنزلت سورة الفتح قال عليه السلام لأصحابه: «أنزلت علي سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» وفي رواية لقد أنزلت علي سورة ما يسرني بها حمر النعم والحمر بسكون الميم جمع أحمر والنعم بفتحتين تطلق على جماعة الإبل لا واحد لها من لفظها والمراد بحمر النعم الإبل الحمر وهي من أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منها ثم قرأ السورة عليهم وهنأهم وهنؤوه يعني [إيشانرا تهنيه كفت وأصحاب نيزويرا مبارك بادكفتند] وتكلم بعض الصحابة وقال: هذا ما هو بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فقال عليه السلام لما بلغه بئس الكلام بل هو أعظم الفتح لقد رضي المشركون أن يدفعوكم بالبراح عن بلادهم وسألوكم القضية أي: الصلح والتجؤوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا وظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين فهو أعظم الفتوح أنسيتم يوم أحد وأنا أدعوكم في أخراكم؟ أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا؟ فقال المسلمون: صدق الله ورسوله هو أعظم الفتوح والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولأنت أعلم بالله وبأمره منا وقال له عمر رضي الله عنه: ألم تقل إنك تدخل مكة آمناً قال: بلى أفقلت لكم من عامي هذا؟ قالوا: لا قال: فهو كما قال جبريل فإنكم تأتونه وتطوفون به أي: لأنه جاءه الوحي بمثل ما رأى وذكر بعضهم أنه عليه السلام لما دخل مكة في العام القابل وحلق رأسه قال هذا الذي وعدتكم فلما كان يوم الفتح وأخذ المفتاح قال هذا الذي قلت لكم.

يقول الفقير: لا شك أن الأصحاب رضي الله عنهم لم يشكوا في أمر النبي عليه السلام ولم يكن كلامهم معه من قبيل الاعتراض عليه وإنما سألوه استعلاماً لما داخلهم شيء مما لا يخلو عنه البشر فإن الأمر عميق وإلا فأدنى مراتب الإرادة في باب الولاية ترك الاعتراض فكيف

في باب النبوة ولله تعالى حكم ومصالح في إيراد إنا فتحنا بصيغة الماضي فإنه بظاهره ناطق بفتح الصلح وبحقيقته مشير إلى فتح مكة في الزمان الآتي وكل منهما فتح أي: فتح وحاصل ما قال العلماء أنه سمي الصلح فتحاً مع أنه ليس بفتح لا عرفاً لأنه ليس بظفر على البلد ولا لغة لأنه ليس بظفر للمنغلق كيف وقد أحصروا ومنعوا من البيت فنحروا وحلقوا بالحديبية وأي ظفر في ذلك فالجواب أن الصلح مع المشركين فتح بالمعنى اللغوي لأنه كان منغلقاً ومتعذراً وقت نزولهم بالحديبية إلا أنه لما آل الأمر إلى بيعة الرضوان وظهر عند المشركين اتفاق كلمة المؤمنين وصدق عزيمتهم على الجهاد والقتال ضعفوا وخافوا حتى اضطروا إلى طلب الصلح وتحقق بذلك غلبة المسلمين عليهم مع أن ذلك الصلح قد كان سبباً لأمور أخر كانت منغلقة قبل ذلك منها: أن المشركين اختلطوا بالمسلمين بسببه فسمعوا كلامهم وتمكن الإسلام في قلوبهم وأسلم في مدة قليلة خلق كثير كثر بهم سواد أهل الإسلام حتى قالوا دخل في تلك السنة في الإسلام مثل من دخل فيه قبل ذلك وأكثر وفرغ عليه السلام بهذا الصلح لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع خصوصاً خيبر واغتنم المسلمون واتفقت في تلك السنة ملحمة عظيمة بين الروم وفارس غلبت فيها الروم على فارس وكانت غلبتهم عليهم من دلائل النبوة حيث كان عليه السلام وعد بوقوع تلك الغلبة في بضع سنين وهو ما بين الثلاث إلى التسع فكانت كما وعد بها فظهر بها صدقه عليه السلام فكانت من جملة الفتح وسر به عليه السلام والمؤمنون لظهور أهل الكتاب على المجوس إلى غير ذلك من فتوحات الله الجليلة ونعمه العظيمة ﴿ليغفر لك الله﴾ غاية للفتح من حيث إنه مترتب على سعيه عليه السلام في إعلاء كلمة الله بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب قال بعضهم لما لم يظهر وجه تعليل الفتح بالمغفرة جعل الفتح مجازاً مرسلاً عن أسباب الفتح ليغفر لك فالفتح معلول مترتب على الأفعال المؤدية إلى المغفرة وأن المغفرة علة حاملة على تلك الأفعال فصح جعلها علة لما ترتب على تلك الأفعال وهو الفتح وجعل الزمخشري فتح مكة علة للمغفرة وهو أوفق للمذهب الحق لأن أفعال الله تعالى لا تعلل بالأغراض على مذهبهم فليست اللام على حقيقتها بل هي إما للصيرورة والعاقبة أو لتشبيه مدخولها بالعلة الغائية في ترتبها على متعلقها وأيضاً أن العلة الغائية لها جهتا علية ومعلولية على ما تقرر فلا لوم على من نظر إلى جهة المعلولية كالزمخشري لظهور صحته كما في «حواشي» سعدي المفتي والالتفات إلى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للإشعار بأن كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من أفعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى قال ابن الشيخ في إظهار فاعل قوله: ﴿ليغفر لك﴾ ﴿وينصرك﴾ إشعار بأن كل واحد من المغفرة والنصرة متفرع على الألوهية وكونه معبوداً بالحق والمغفرة ستر الذنوب ومحوها.

قال بعض الكبار: المغفرة أشد عند العارفين من العقوبة لأن العقوبة جزاء فتكون الراحة عقيب الاستيفاء فهو بمنزلة من استوفى حقه والغفران ليس كذلك فإنك تعرف أن الحق عليك متوجه وأنه أنعم عليك بترك المطالبة فلا تزال خجلاً ذا حياء ولهذا إذا غفر الله تعالى للعبد ذنبه أحال بينه وبين تذكره وأنساه إياه وأنه لو تذكره لاستحيا ولا عذاب على النفوس أعظم من الحياء حتى يود صاحب الحياء أنه لم يكن شيئاً كما قالت مريم الكاملة: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٣] هذا حياء من المخلوقين فكيف بالحياء من الله تعالى فيما

فعل العبد من المخالفات؟ ومن هذا الباب ما حكي أن الفضيل قدس سره وقف في بعض حجاته ولم ينطق بشيء فلما غربت الشمس قال: واسوأتاه وإن عفوت، قال الصائب:

هركز نداد شرم مرا رخصت نكاه در هجر ووصل روى بديوار داشتم

﴿ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ أي: جميع ما فرط منك من ترك الأولى وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين على ما قاله أبو سعيد الخراز قدس سره: وفي «المثنوي»:

آنكه عين لطف باشد برعوام قهر شد برعشق كيشان كرام

قال بعضهم: أي: جميع ما صدر منك قبل النبوة وبعدها مما يطلق عليه الذنب قال في «شرح المواقف»: حمله على ما تقدم على النبوة وما تأخر عنها لا دلالة للفظ عليه إذ يجوز أن يصدر عنه قبل النبوة صغيرتان إحداهما متقدمة على الأخرى انتهى. وفيه أنه يصح أن يطلق على كل من الصغيرتين أنهما قبل النبوة فإن التقدم والتأخر إضافي وهو اللائح قال أهل الكلام: إن الأنبياء معصومون من الكفر قبل الوحي وبعده بإجماع العلماء ومن سائر الكبائر عمداً بعد الوحي وأما سهواً فجوزه الأكثرون وأما الصغائر فتجوز عمداً عند الجمهور وسهواً بالاتفاق وأما قبل الوحي فلا دليل بحسب السمع أو العقل على امتناع صدور الكبيرة وقال عطاء الخراساني: ﴿ما تقدم من ذنبك﴾ أي: ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك روي أن آدم لما اعترف بالخطيئة قال: يا رب بحق محمد أن تغفر لي فقال الله: «يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه قال: لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا اسم أحب الخلق إليك فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي فغفرت لك ولولا محمد لما خلقتك» رواه البيهقي في «دلائله» وما تأخر من ذنوب أمتك بدعوتك وشفاعتك: (سلمى قدس سره فرمودكه ذنب آدم رابوى اضافت كردچه در وقت زلت در صلب وى بوده وكناه امت را بوى اسناد فرمودچه أو پيش رودكار ساز ايشانست).

وقال ابن عطاء قدس سره لما بلغ عليه السلام سدرة المنتهى ليلة المعراج قدم هو وأخر جبريل فقال لجبريل تتركني في هذا الموضع وحدي فعاتبه الله حين سكن إلى جبريل فقال: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ فيكون كل من الذنبين بعد النبوة وقال سفيان الثوري رحمه الله ما تقدم ما عملت في الجاهلية وما تأخر ما لم تعمله قال في «كشف الأسرار»: ويذكر مثل ذلك على طريق التأكيد كما يقال أعطى من رآه ومن لم يره وضرب من لقيه ومن لم يلقه انتهى لكن فيه أنه خارج من أدب العبارة فالواجب أن يقال ما تقدم أي: ما عملت قبل الوحي وقيل ما تقدم من ذنب يوم بدر وما تأخر من ذنب يوم حنين حيث قال يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض أبداً» وكرره مراراً فأوحى الله إليه من أين تعلم أني لو أهلكتها لا أعبد أبداً؟ فكان هذا الذنب المتقدم وقال يوم حنين بعد أن هزم الناس ورجعوا إليه «لو لم أرمهم» أي: الكفار بكف الحصى «لم يهزموا فأنزل الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]» وهو الذنب المتأخر لكن فيه أن المتأخر متأخر عن الوقعة فيكون وعداً بغفران ما سيقع منه قال في «بحر العلوم»: وأبعد من هذا قول أبي علي الروذبادي رحمه الله: لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك انتهى.

يقول الفقير: أبو علي قدس سره من كبار العارفين فكيف يصدر عنه ما هو أبعد عند العقول بل كلامه من قبيل قوله: «من عرف الله عرف كل شيء» يعني لو تصورت معرفة الله لأحد وهي لا تتصور حقيقة وكذا لو تصور منه عليه السلام ذنب لغفر له لكنه لا يتصور لأنه في جميع أحواله إما مشتمل بواجب أو بمندوب لا غير فهو كالملائكة في أنه لا يصدر منه المخالفة ولي معنى آخر في هذا المقام وهو أن المراد بالمغفرة الحفظ والعصمة أزلاً وأبداً فيكون المعنى ليحفظك الله ويعصمك من الذنب المتقدم والمتأخر فهو تعالى إنما جاء بما تقدم إشارة إلى أنه عليه السلام محفوظ معصوم في اللاحق كما في السابق فاعرفه.

وفي «الفتوحات المكية»: استغفار الأنبياء لا يكون عن ذنب حقيقة كذنوبنا وإنما هو عن أمر يدق عن عقولنا لأنه لا ذوق لنا في مقامهم فلا يجوز حمل ذنوبهم على ما نتعقله نحن من الذنب انتهى. ومؤاخذة الله عباده في الدنيا والآخرة تطهير لهم ورحمة وفي حق الأنبياء من جهة العصمة والحفظ والعقاب لا يكون إلا في مذنب والعقوبة تقتضي التأخر عن المتقدم لأنها تأتي عقبه فقد تجد العقوبة الذنب في المحل وقد لا تجده إما بأن يقلع عنه وإما أن يكون الاسم العفو والغفور استوليا عليه بالاسم الرحيم فزال فترجع العقوبة حاسرة ويزول عن المذنب اسم الذنب لأنه لا يسمى مذنباً إلا في حال قيام الذنب به كما في كتاب «الجواهر والدرر» للشعراني وقال الشعراني في «الكبريت الأحمر» قلت: ويجوز حمل نحو قوله: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ على نسبة الذنب إليه من حيث إن شريعته هي التي حكمت بأنه ذنب فلولا أوحي به إليه ما كان ذنباً فجميع ذنوب أمته يضاف إليه وإلى شريعته بهذا التقدير وكذلك ذنب كل نبي ذكره الله وقد قالوا لم يعص آدم وإنما عصى بنوه الذين كانوا في ظهره فما كان قوله ليغفر لك إلخ إلا تطميناً له عليه السلام أن الله قد غفر جميع ذنوب أمته التي جاءت بها شريعته ولو بعد عقوبة بإقامة الحدود عليهم في دار الدنيا كما وقع لماعز ومن الواجب على كل مؤمن انتحال الأجوبة للأكابر جهده وذلك مما يحبه الله ويحبه من أحبنا عنه فافهم هذا اعتقادنا الذي نلقى الله عليه إن شاء الله تعالى انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً يشير إلى فتح باب قلبه عليه السلام إلى حضرة ربوبيته بتجلي صفات جماله وجلاله وفتح ما انغلق على جميع القلوب ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك أي: ليستر لك بأنوار جلاله ما تقدم من ذنب وجودك من بدء خلق روحك وهو أول شيء تعلقت به القدرة كما قال أول ما خلق الله روحي وفي رواية نوري وما تأخر أي: من ذنب وجودك إلى الأبد وذنب الوجود هو الشركة في الوجود وغفره ستره بنور الوحدة لمحو آثار الاثنينية انتهى. وقال بعض الأكابر:

اعلم أن فتوح رسول الله ﷺ ثلاثة: أولها: الفتح القريب وهو فتح باب القلب بالترقي عن مقام النفس وذلك بالمكاشفات الغيبية والأنوار اليقينية وقد شاركه في ذلك أكثر المؤمنين، وثانيها: الفتح المبين بظهور أنوار الروح وترقي القلب إلى مقامه وحينئذٍ تترقى النفس إلى مقام القلب فتستتر صفاتها المظلمة بالأنوار القلبية وتنتفي بالكلية وذلك معنى قوله تعالى: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ فالسابقة الهيئات المظلمة على فتح باب القلب والمتأخرة الهيئات النورانية المكتسبة بالأنوار القلبية التي تظهر في التلوينات فيخفى حالها ولا تنتفي هذه بالفتح القريب وإن انتفت الأولى لأن مقام القلب لا يكمل إلا بعد الترقي إلى مقام الروح

واستيلاء أنواره على القلب فيظهر تلوين القلب وينتفي تلوين النفس بالكلية ويحصل في هذا الفتح مغانم المشاهدات الروحية والمسامرات السرية، وثالثها: الفتح المطلق المشار إليه بقوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١] وهو فتح باب الوحدة بالفناء المطلق والاستغراق في عين الجمع بالشهود الذاتي. وظهور النور الأحدي فمن صحت له متابعة النبي عليه السلام أثابه الله مغانم كثيرة وفتوحات فإن حسن المتابعة سبب لفيضان الأنوار الإلهية بواسطة روحانية النبي عليه السلام.

قال الشيخ سعدي قدس سره:

خلاف پيمبر كسى ره كزيد　　كه هركز بمنزل نخواهد رسيد
مپندار سعدى كه راه صفا　　توان رفت جزبرپى مصطفى

وذلك أن الفلاسفة والبراهمة والرهابنة ادعوا معرفة الله والوصول إليه بطريق العقل والرياضة والمجاهدة من غير متابعة الأنبياء وإرشاد الله تعالى فانقطعوا دون الوصول إليه **﴿ويتم نعمته عليك﴾** بإعلاء الدين وضم الملك إلى النبوة وغيرهما مما أفاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية **﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾** في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الرياسة وأصل الاستقامة وإن كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلاً قبل **﴿وينصرك الله﴾** إظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولإظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى: **﴿نصراً عزيزاً﴾** أي: نصراً فيه عزة ومنعة فعزيزاً للنسبة أي: ذا عز.

قال في «فتح الرحمٰن»: النصر العزيز هو الذي معه غلبة العدو والظهور عليه والنصر غير العزيز هو الذي معه الحماية ودفع العدو فقط انتهى أو نصراً قوياً منيعاً على وصف المصدر بوصف صاحبه أي: المنصور مجازاً للمبالغة ولم يجعل وصفاً بوصف الناصر لقلة الفائدة فيه لأن القصد بيان حال المخاطب لا المتكلم أو نصراً عزيزاً صاحبه ثم الظاهر أن المراد من ذلك النصر هو ما ترتب على فتح مكة من النصر على الأعداء كهوازن وغيرهم ونصر أمته على الأكاسرة والقياصرة وكانت الحكمة في قتال بعض الرسل لمن خالفهم إنما هي لمخالفة ما فطروا عليه من التوحيد الموجبة تلك المخالفة لفساد ذلك الفطر الذي هم فيه بأعمالهم وأحوالهم الفاسدة التي لا يحصل منها إلا حل نظام الأسباب وتبديد ما ذلك الشخص مأمور بحفظه عن ذلك كله فالنبي رحمة للخلق ولو بعث بالسيف وقس عليه سائر من تصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عطاء قدس سره: جمع الله لنبيه في هذه السورة نعماً مختلفة من الفتح المبين وهو من أعلام الإجابة والمغفرة وهي من أعلام المحبة وإتمام النعمة وهي من أعلام الاختصاص والهداية وهي من أعلام التحقق بالحق والنصر وهو من أعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب وإتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة والهداية هي الدعوة إلى المشاهدة والنصرة هي رؤية الكل من الحق من غير أن يرجع إلى ما سواه نسأل الله أن ينصرنا ببذل الوجود المجازي في وجوده الحقيقي.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾﴾

﴿هو الذي أنزل السكينة﴾ بيان لما أفاض عليهم من مبادي الفتح من الثبات والطمأنينة

يعني أنزلها ﴿في قلوب المؤمنين﴾ بسبب الصلح والأمن بعد الخوف لأنهم كانوا قليلي العدة بسبب أنهم معتمرون وكان العدو مستعدين لقتالهم مع ما لهم من القوة والشوكة وشدة البأس فثبتوا وبايعوا على الموت بفضل الله تعالى.

وقال الكاشفي ونحوه:

[چون در صلح حديبيه صحابه خالى ازدغدغه وترددى نبودند حق سبحانه وتعالى فرمود هو الذي إلخ]. فالمراد ثبتوا واطمأنوا بعد أن ماجوا وزلزلوا حتى عمر الفاروق رضي الله عنه على ما عرف في القصة وذلك القلق والاضطراب إنما هو لما دهمهم من صد الكفار ورجوعهم دون بلوغ مقصودهم وكانوا يتوقعون دخول مكة في ذلك العام آمنين للرؤيا التي رآها عليه السلام على ما سبق ﴿ليزدادوا﴾ تازيادت كند ﴿إيماناً﴾ مفعول يزدادوا كما في قوله تعالى: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ [الكهف: ٢٥] ﴿مع إيمانهم﴾ أي: يقيناً منضماً إلى يقينهم الذي هم عليه برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها ومن ثمة قال عليه السلام: لو وزن إيمان أبي بكر مع الثقلين لرجح وكلمة مع في إيمانهم ليست على حقيقتها لأن الواقع في الحقيقة ليس انضمام يقين إلى يقين لامتناع اجتماع المثلين بل حصول نوع يقين أقوى من الأول فإن له مراتب لا تحصى من أجلى البديهيات إلى أخفى النظريات ثم لا ينفي الأول ما قلنا وذلك كما في مراتب البياض ما حقق في مقامه ففيها استعارة أو المعنى أنزل فيها السكون إلى ما جاء به النبي عليه السلام من الشرائع ليزدادوا إيماناً بها مقروناً مع إيمانهم بالوحدانية واليوم الآخر فكلمة القرآن حينئذٍ على حقيقتها والقرآن في الحقيقة لتعلق الإيمان بزيادة متعلقه فلا يلزم اجتماع المثلين وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن أول ما أتاهم به النبي عليه السلام التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد حتى أكمل لهم دينهم كما قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣] فازدادوا إيماناً مع إيمانهم فكان الإيمان يزيد في ذلك الزمان بزيادة الشرائع والأحكام وأما الآن فلا يزيد ولا ينقص بل يزيد نوره ويقوى بكثرة الأعمال وقوة الأحوال فهو كالجوهر الفرد فكما لا يتصور الزيادة والنقصان في الجوهر الفرد من حيث هو فكذا في الإيمان وأما قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فالكفر بالطاغوت هو عين الإيمان بالله في الحقيقة فلا يلزم أن يكون الإيمان جزءاً.

قال بعض الكبار: الإيمان الحقيقي هو إيمان الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لها ويتحقق بالخاتمة وما بينهما يزيد الإيمان فيه وينقص والحكم للخاتمة لأنها عين السابقة فيحمل قول من قال: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص على إيمان الفطرة الذي حقيقته ما مات عليه ويحمل قول من قال: إن الإيمان يزيد وينقص على الحالة التي بين السابقة والخاتمة من حين يتعقل التكاليف فتأمل ذلك فإنه نفيس انتهى وقال حضرة الهدائي قدس سره في «مجالسة المنيفة»: ليزدادوا إيماناً وجدانياً ذوقياً عينياً مع إيمانهم العلمي الغيبي فإن السكينة نور في القلب يسكن به إلى ما شاهده ويطمئن وهو من مبادي عين اليقين بعد علم اليقين كأنه وجدان يقيني معه لذة وسرور وفي «المفردات» قيل إن السكينة ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه كما ورد أن السكينة لتنطق على لسان عمر وقال بعض الكبار: السكينة تطلق على ثلاثة أشياء بالاشتراك اللفظي أو لها ما أعطى بنو إسرائيل في التابوت كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٤٨] قال المفسرون: هي ريح ساكنة

طبيعة تخلع قلب العدو بصوتها رعباً إذا التقى الصفان وهي معجزة لأنبيائهم وكرامة لملوكهم والثاني: شيء من لطائف صنع الحق يلقي على لسان المحدث الحكمة كما يلقي الملك الوحي على قلوب الأنبياء مع ترويح الأسرار وكشف السر والثالث هي التي أنزلت على قلب النبي عليه السلام وقلوب المؤمنين وهي شيء يجمع نوراً وقوة وروحاً يسكن إليه الخائف ويتسلى به الحزين كما قال تعالى ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦] انتهى.

وقال بعض الكبار: إن الأنبياء والأولياء مشتركون في تنزل الملائكة عليهم ومختلفون فيما نزلت به فإن ملك الإلهام لا ينزل على الأولياء بشرع مستقل أبداً وإنما ينزل عليهم بالاتباع وبإفهام ما جاء به نبيهم مما لم يتحقق الأولياء بالعلم به فكل فيض ونور وسكينة إنما ينزل من الله تعالى بواسطة الملك أو بلا واسطته وإن كان فرق عظيم بين حال النبي والولي فإنه كما أن النبي أفضل وأولى فكذا وارده أقوى وأولى نسأل الله فضله وسكينته.

هرآنكه يافت زفضل خدا سكينت دل　　نماند در حرم سينه اش تردد وغل

﴿**ولله جنود السمٰوات والأرض**﴾ الجنود جمع جند بالضم وهو جمع معد للحرب أي: مختص به تعالى جنود العالم يدبر أمرها كيفما يشاء يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينها السلم أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح.

وقال الكاشفي: ومرخدا يراست لشكرهاى آسمانها از ملائكة وجنود زمين ازمؤمنان مجاهد پس اى أهل إيمان جهاد كنيد ربنصرت الهي واثق باشيدكه هركه لشكر آسمان وزمين در حكم وى بود بلكه ذرات كون سپاه وى بوده باشند اولياى خودرا در وقت غزابا عداى خود فرونكذارد.

نصرت از وطلب كه بميدان قدرتش　　هرذره بهلواني وهرپشه صفدريست

قال بعضهم: كل ما في السماوات والأرض بمنزلة الجند له لو شاء لانتصر به كما ينتصر بالجند وتأويل الآية لم يكن صد المشركين رسول الله عن قلة جنود الله ولا عن وهن نصره لكن عن علم الله واختياره انتهى وفي «فتح الرحمٰن» ﴿**ولله جنود السماوات والأرض**﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل وقال بعضهم: همم سمٰوات أرواح العارفين وقصور أرض قلوب المحبين وأنفاسهم جنوده ينتقم بنفس منهم من جميع أعدائه فيقهرهم دعا نوح عليه السلام على قومه فقال: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] فهلك به أهل الأرض جميعاً إلا من آمن ودعا موسى عليه السلام على القبط فقال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨] فصارت حجارة ولم يؤمنوا حتى رأوا العذاب الأليم وقال سيد البريات عليه أفضل التحيات حين رمى الحصى على وجوه الأعداء شاهت الوجوه فانهزموا بإذن الله تعالى وكذا حال كل ولي وارث قاهر من أهل الأنفاس بل كل ذرة من العرش إلى الثرى جند من جنوده تعالى حتى لو سلط نملة على حية عظيمة لهلكت وقد قيل الدبة إذا ولدت ولدها رفعته في الهواء يومين خوفاً من النمل لأنها تضعه لحمة كبيرة غير متميزة الجوارح ثم تميز أولاً فأولاً وإذا جمع بين العقرب والفأرة في إناء زجاج قرضت الفأرة إبرة العقرب فتسلم منها ويكفي قصة البعوض مع نمرود.

وفي «المثنوي»:

جمله ذرات زمين وآسمان　　لشكر حقندكاه امتحان

بادرا ديديكه باعادان چه كرد | آب را ديديكه باطوفان چه كرد
آنچه برفرعون زدآن بحركين | وآنچه باقارون نموداست اين زمين
آنچه باآن پيلبانان پيل كرد | وآنچه پشه كله نمرود خورد
وآنكه سنك انداخت داودى بدست | كشت ششصد پاره ولشكر شكست
سنك مى باريد بااعداى لوط | تاكه درآب سيه خوردند غوط
دست بركافر كواهى مى دهد | لشكر حق مى شود سرمى نهد
كربكويد چشم راكور افشاره | دردچشم از توبرآرد صددمار
كربدندان كويد اوبنما وبال | پس به بينى توزندان كوشمال

فلا بد من التوكل على الله فإنه عون كل ضعيف وحسب كل عاجز قال بعضهم ما سلط الله عليك فهو من جنوده إن سلط عليك نفسك أهلك نفسك بنفسك وإن سلط عليك جوارحك أهلك جوارحك بجوارحك وإن سلط نفسك على قلبك قادتك في متابعة الهوى وطاعة الشيطان وإن سلط قلبك على نفسك وجوارحك زمها بالأدب فألزمها العبادة وزينها بالإخلاص في العبودية ﴿**وكان الله**﴾ أزلاً وأبداً ﴿**عليماً**﴾ مبالغاً في العلم بجميع الأمور ﴿**حكيماً**﴾ في تقديره وتدبيره فكان بمعنى كان ويكون أي: دالة على الاستمرار والوجود بهذه الصفة لا معينة وقتاً ماضياً وقال بعض الكبار ولله جنود السماوات من الأنوار القدسية والإمدادات الروحانية وجنود الأرض من الصفات النفسانية والقوى الطبيعية فيغلب بعضها على بعض فإذا غلب الأولى على الأخرى حصلت السكينة وكمال اليقين وإذا عكس وقع الشك والريب وكان الله عليماً بسرائرهم ومقتضيات استعداداتهم وصفاء فطرة الفريق الأول وكدورة نفوس الفريق الثاني حكيماً فيما فعله.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**ولله جنود السماوات والأرض**﴾ أي: كلها دالة على وحدانيته تعالى وهي جنود الله بالنصرة لعباده في الظفر بمعرفته وكان الله عليماً بمن هو أهل النصرة للمعرفة حكيماً فيما حكم في الأزل لهم.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾.

﴿**ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**﴾ متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السماوات والأرض له تعالى من معنى التصرف والتدبير أي: دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله في ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ﴿**ويكفر عنهم سيئاتهم**﴾ هذا بإزاء قوله: ﴿**ليغفر لك الله**﴾ أي: يغطيها ولا يظهرها قبل أن يدخلهم الجنة ليدخلوها مطهرين من الآثام وتقديم الإدخال على التكفير مع أن الترتيب في الوجود على العكس من حيث إن التخلية قبل التحلية للمسارعة إلى بيان ما هو المطلب الأعلى ﴿**وكان ذلك**﴾ أي: ما ذكر من الإدخال والتكفير ﴿**عند الله فوزاً عظيماً**﴾ لا يقادر قدره لأنه منتهى ما يمتد إليه أعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر والفوز الظفر مع حصول السلامة وعند الله حال من فوزاً لأنه صفته في الأصل فلما قدم عليه صار حالاً أي: كائناً عند الله تعالى أي: في علمه

وقضائه ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات﴾ من أهل المدينة ﴿والمشركين والمشركات﴾ من أهل مكة عطف على يدخل والتعذيب هو ما حصل لهم من الغيظ بنصر المؤمنين وفي تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على أنهم أحق منهم بالعذاب وقد تثاقل كثير منهم فلم يخرجوا معه عليه السلام ثم اعتذروا فقالوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ولو صدقوا عند الناس فما صدقوا عند الله وقد قال تعالى: ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] أي: صدقهم عند الله لا عند الخلق ولذلك قال عليه السلام: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» إشارة إلى مقام التحقيق والتصديق فإن الدعوى بغير برهان كذب.

برهان ببايد صدق را ورنه زدعواها چه سود

﴿الظانين بالله ظن السوء﴾ صفة لطائفتي أهل النفاق وأهل الشرك وظن السوء منصوب على المصدر والإضافة فيه كالإضافة في سيف شجاع من حيث إن المضاف إليه في الحقيقة هو موصوف هذا المجرور والتقدير سيف رجل شجاع فكذا التقدير هنا ظن الأمر السوء وهو أن الله لا ينصر رسوله ولا يرجعهم إلى مكة فاتحين وإلى المدينة سالمين كما قال ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسل والمؤمنون إلى أهليهم أبداً﴾ وبالفارسية: كمان بردند بخدا كمان بد. وقال في «كشف الكشاف» إن ظن السوء مثل رجل صدق أي: الظن السيىء الفاسد المذموم انتهى وعند البصريين لا يجوز إضافة الموصوف إلى صفته ولا عكسها لأن الصفة والموصوف عبارتان عن شيء واحد فإضافة أحدهما إلى الآخر إضافة الشيء إلى نفسه.

وفي «التأويلات النجمية»: الظانين بالله ظن السوء في ذاته وصفاته بالأهواء والبدع وفي أفعاله وأحكامه بالظلم والعبث قال بعض العارفين مثال من أحسن في الله ظنه مثال من سلط الله عليه الشيطان ليفتنه ويمتحنه فلما جاءه الشيطان أخبره بأنه رسول من عند الله وأنه رسول رحمة وقال: جئتك لأشد عضدك في الخير وألهمك رشدك لتكون عند ربك في درجة العرش فحسن بربه ظنه وخر ساجداً فصير الله له الشيطان ملكاً كما ظن كما روي أن الجن صنعت لسليمان عليه السلام أرضاً وصفحتها بالزمرد الأخضر وخصبتها باللؤلؤ والجواهر لتفتنه بها وهو لا يعلم فرأى أن ذلك من مواهب ربه له في دار الدنيا فخر ساجداً لله فأثبتها الله له أرضاً مقدسة كما ظن إلى أن مات على حسن ظنه بربه ومثال من أساء بربه ظنه مثال من أرسل الله إليه ملك رحمة ليرشده للخير فقال: إنما أنت شيطان حيث تغويني فصير الله له الملك شيطاناً كما ظن وفي الحديث: «أنا عند ظن عبدي بي» وقال عليه السلام قبل موته بثلاثة أيام: «لا يموتن أحد إلا وهو يحسن الظن بالله وهو من أمارات اليقين». در روايت آمده است از بعض صحابه رسول عليه السلام كه رسول اورا خبر داده بودكه تو والى شوى در مصر حكم كنى وقتى قلعه را حصار كرده بودند وآن صحابي نيز در ميان بو دسائر اصحابرا كفت مردار كفه منجنيق نهيدو بسوى كفار در قلعه اندازيد چون من آنجا رسم قتال كنم ودر حصار بكشايم چون از سبب اين جرأت پرسيدند كفت رسول ﷺ مراخبرداده است كه من والى مصر شوم وهنوز نشدم يقين ميدانم كه نميرم تا والى نشوم فهم كن كه قوت ايمان اينست والا ازروى عرف معلوم است كه چون كسى را در كفه منجنيق نهند وبيندازند حال اوچه باشد. ظاهر وباطن ما آينه يكديكرند. سينه صاف ترازاب روانم دادند ﴿عليهم دائرة السوء﴾ أي: ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم لا يتجاوزهم إلى غيرهم فقد أكذب الله ظنهم وقلب ما يظنونه بالمؤمنين

عليهم بحيث لا يتخطاهم ولا يظفرون بالنصرة أبداً وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة: ٩٨] وبالفارسية: وبرين كمان برند كانست كردش بديعنى ايشان منكوب ومغلوب خواهندشد. قال المولى أبو السعود في التوبة قوله عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما أرادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤] بعد قول اليهود ما قالوا انتهى فإن قلت: كيف يحمل على الدعاء وهو للعاجز عرفاً والله منزه عن العجز؟ قلت: هذا تعليم من الله لعباده أنه يجوز الدعاء عليهم كقوله: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٠] ونحوه قال ابن الشيخ: السوء بالفتح صفة مشبهة من ساء يسوء بضم العين فيها سوءاً فهو سوء ويقابله من حيث المعنى قولك حسن يحسن حسناً فهو حسن وهو فعل لازم بمعنى قبح وصار فاسداً رديئاً بخلاف ساءه يسوؤه سوءاً ومساءة أي: أحزنه نقيض سره فإنه متعد ووزنه في الماضي فعل بفتح العين ووزن ما كان لازماً فعل بضم العين وفعل يأتي فاعله على فعل كصعب صعوبة فهو صعب والسوء بضم السين مصدر لهذا اللازم والسوء بالفتح مشترك بين اسم الفاعل من اللازم وبين مصدر المتعدي وقيل السوء بالفتح والضم لغتان من ساء بمعنى كالكره والكره والضعف والضعف خلا أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما المضموم فجار مجرى الشر المناقض للخير ومن ثمة أضيف الظن إلى المفتوح لكونه مذموماً وكانت الدائرة محمودة فكان حقها أن لا تضاف إليه إلا على التأويل المذكور وأما دائرة السوء بالضم فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة يصح أن يقع عليه اسم السوء كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧] كما في بعض التفاسير والدائرة عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت في الحادثة والمصيبة المحيطة لمن وقعت هي عليه فمعنى الآية يحيط بهم السوء إحاطة الدائرة بالشيء أو بمن فيها بحيث لا سبيل إلى الانفكاك عنها بوجه إلا أن أكثر استعمالها أي: الدائرة في المكروه كما أن أكثر استعمال الدولة في المحبوب الذي يتداول ويكون مرة لهذا ومرة لذاك والإضافة في دائرة السوء من إضافة العام إلى الخاص للبيان كما في خاتم فضة أي: دائرة من شر لا من خير وقال أبو السعود في التوبة السوء مصدر ثم أطلق على كل ضرر وشر وأضيفت إليه الدائرة ذماً كما يقال رجل سوء لأن من دارت عليه يذمها وهي من إضافة الموصوف إلى صفته فوصفت في الأرض بالمصدر مبالغة ثم أضيفت إلى صفتها كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم: ٢٨] وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى السوء لأن دائرة الدهر لا تستعمل إلا في المكروه فإنما هو إضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه. ﴿**وغضب الله عليهم**﴾ عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا قال بعضهم غضبه تعالى إرادة العقوبة لهم في الآخرة وكونهم على الشرك والنفاق في الدنيا وحقيقته أن للغضب صورة ونتيجة أما صورة فتغير في الغضبان يتأذى به ويتألم وأما نتيجة فإهلاك المغضوب عليه وإيلامه فعبر عن نتيجة الغضب بالغضب على الكناية بالسبب على المسبب ﴿**ولعنهم**﴾ طردهم من رحمته ﴿**وأعد لهم جهنم**﴾ وآماده كرديم براى ايشان دوزخ را. والواو في الفعلين الأخيرين مع أن حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها إذ اللعن سبب الإعداد والغضب سبب اللعن للإيذان باستقلال كل منهما في الوعيد وأصالته من غير استتباع بعضهما لبعض ﴿**وساءت مصيراً**﴾ أي: جهنم والمصير المرجع وبالفارسية وبدباز كشتيست دوزخ.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨﴾

﴿ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً﴾ أي: بليغ العزة والقدرة على كل شيء ﴿حكيماً﴾ بليغ الحكمة فيه فلا يفعل ما يفعل إلا على مقتضى الحكمة والصواب وهذه الآية إعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على أن لله تعالى جنوداً للرحمة ينزلهم ليدخل بهم المؤمنين الجنة معظماً مكرماً وأن له تعالى جنوداً للعذاب يسلطهم على الكفار يعذبهم بهم في جهنم والمراد هٰهنا جنود العذاب كما ينبىء عنه التعرض لوصف العزة فإن عادته تعالى أن يصف نفسه بالعزة في مقام ذكر العذاب والانتقام.

قال في «برهان القرآن» الأول متصل بإنزال السكينة وازدياد إيمان المؤمنين فكان الموضع موضع علم وحكمة وقد تقدم ما اقتضاه الفتح عند قوله: ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ وأما الثاني والثالث الذي بعده فمتصلان بالعذاب والغضب وسلب الأموال والغنائم فكان الموضع موضع عز وغلبة وحكمة وفي «كشف الأسرار» يدفع كيد من عادى نبيه والمؤمنين بما شاء من الجنود هو الذي جند البعوض على نمرود والهدهد على بلقيس وروي أن رئيس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول قال: هب أن محمداً هزم اليهود وغلب عليهم فكيف استطاعته بفارس والروم فقال الله تعالى: ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ أكثر عدداً من فارس والروم.

وقال الكاشفي: ومرخد ايراست لشكرهاى آسمان وزمين يعني هركه در آسمانها وزمينهاست همه مملوك ومسخر ويند چنانچه لشكريان مرسردار خودرا تكرار اين سخن جهت وعده مؤمنانست تابنصرت الهي مستظهر باشند وبراى وعيد مشركان ومنافقان تا از تكذيب رباني خائف كردند وفي الآية إشارة إلى ما أعد الله من عظائم فضله وعجائب صنعه في سموات القلوب وأرض النفوس يمد بها أولياءه وينصرهم بها على أنفسهم ليفوزوا بكمال قربه ويخذل بها أعداءه ويهلكهم في أودية الأهوية ليصيروا إلي كما بعده وكان الله عزيزاً أذل أعداءه حكيماً فيما يعز أولياءه كما في «التأويلات النجمية».

واعلم أن الله تعالى قد جعل في النار مائة دركة في مقابلة درج الجنة ولكل دركة قوم مخصوصون لهم من الغضب الإلهي الحال بهم آلام مخصوصة تصل إليهم من أيدي الملائكة الموكلين بهم نعوذ بالله من سخطه وعذابه ونسأله الأولى من نعيمه وثوابه وللغضب درجات منها وقطع الإمداد العلمي المستلزم لتسليط الجهل والهوى والنفس والشيطان والأحوال الذميمة لأنه موقت إلى النفس الذي قبل آخر الأنفاس في حق من يختم له بالسعادة ومنها ما يتصل إلى حين دخولهم جهنم وفتح باب الشفاعة ومنها ما يقتضي الخلود في النار.

قال الحافظ:

دارم از لطف ازل جنت فردوس طمع كرچه دربانىء ميخانه فراوان كردم

والله غفور رحيم لمن تاب ورجع إلى الصراط المستقيم.

﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ أي: على أمتك لقوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني على تصديق من صدقه وتكذيب من كذبه أي: مقبولاً قوله في حقهم يوم القيامة عند الله تعالى سواء شهد لهم أو عليهم كلما يقبل قول الشاهد العدل عند الحاكم وهو

حال مقدرة فإنه عليه السلام إنما يكون شاهداً وقت التحمل والأداء وذلك متأخر عن زمان الإرسال بخلاف غيره مما عطف عليه فإنه ليس من الأحوال المقدرة ﴿ومبشراً﴾ على الطاعة بالجنة والثواب وعلى أهل الطلب بالوصول ﴿ونذيراً﴾ على المعصية بالنار والعذاب وعلى أهل الإعراض بالقطية وفي التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح لها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً سرخيل انبيا وسپهدار اتقيا. سلطان باركاه دنى قائدامم.

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ الخطاب للنبي عليه السلام ولأمته فيكون تعميماً للخطاب بعد التخصيص لأن خطاب أرسلناك للنبي خاصة ومثله قوله تعالى: ﴿يَٰأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١] خصه عليه السلام بالنداء ثم عمم الخطاب على طريق تغليب المخاطب على الغائبين وهم المؤمنون فدلت الآية على أنه عليه السلام يجب أن يؤمن برسالة نفسه كما ورد في الحديث أنه عليه السلام قال: «أشهد أني عبد الله ورسوله» قال السهيلي في «الأمالي» إنما عرف نبوة نفسه بعد معرفته بجبريل وإيمانه به أي: بالعلم الضروري فإذا عرف نبوة نفسه وآمن بها وجب عليه أن يؤمن بما أنزل إليه من ربه كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ويجوز أن يكون الخطاب للأمة فقط فإن قلت: كيف يجوز تخصيصهم الخطاب الثاني بالأمة في مقام توجيه الخطاب الأول إليه عليه السلام بخصوصه؟ قلت: إن خطاب رئيس القوم بمنزلة خطاب من معه من أتباعه فجاز أن يخاطب الأتباع في مقام تخصيص الرسل بالخطاب لأن المقصود سماعهم ﴿وتعزروه﴾ وتقووه تعالى بتقوية دينه ورسوله قال في «المفردات» التعزير النصرة من التعظيم قال تعالى ﴿وتعزروه﴾ والتعزير دون الحد وذلك يرجع الأول فإن ذلك تأديب والتأديب نصرة بقهر عدوه فإن أفعال الشر عدو الإنسان فمتى قمعته عنها فقد نصرته وعلى هذا الوجه قال النبي عليه السلام: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال: انصره مظلوماً فكيف انصره ظالماً قال: تكفه عن الظلم» انتهى.

وفي «القاموس» التعزير ضرب دون الحد أو هو أشد الضرب والتفخيم والتعظيم ضد والإعانة كالعزر والتقوية والنصر انتهى وقال بعضهم: أصله المنع ومنه التعزير فإنه منع من معاودة القبيح يعني وتمنعوه تعالى أي: دينه ورسوله حتى لا يقوى عليه عدو. ﴿وتوقروه﴾ وتعظموه باعتقاد أنه متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع وجوه النقصان قال في «القاموس»: التوقير التبجيل والوقار كسحاب الرزانة انتهى يعني السكون والحلم فأصله من الوقر الذي هو الثقل في الأذن ﴿وتسبحوه﴾ وتنزهوه تعالى عما لا يليق به ولا يجوز إطلاقه عليه من الشريك والولد وسائر صفات المخلوقين أو تصلوا له من السبحة وهي الدعاء وصلاة التطوع قال في «القاموس»: التسبيح الصلاة ومنه ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصافات: ١٤٣] أي: من المصلين. ﴿بكرة وأصيلاً﴾ أي: غدوة وعشياً فالبكرة أول النهار والأصيل آخره

أو دائماً فإنه يراد بهما الدوام وعن ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وفي «عين المعاني»: البكرة صلاة الفجر والأصيل الصلوات الأربع فتكون الآية مشتملة على جميع الصلوات المفروضة وجوز بعض أهل التفسير أن يكون ضمير وتعزروه وتوقروه للرسول عليه السلام ولا وجه له لأنه تفكيك إذ ضمير رسوله وتسبحوه لله تعالى قطعاً وعلى تقدير أن يكون له وجه فمعنى تعظيم رسول الله وتوقيره حقيقة اتباع سنته في الظاهر والباطن والعلم بأنه زبدة الموجودات وخلاصتها وهو المحبوب الأزلي وما سواه تبع له ولذا أرسله تعالى شاهداً فإنه لما كان أول مخلوق خلقه الله كان شاهداً بوحدانية الحق وربوبيته وشاهداً بما أخرج من العدم إلى الوجود من الأرواح والنفوس والأجرام والأركان والأجسام والأجساد والمعادن والنبات والحيوان والملك والجن والشيطان والإنسان وغير ذلك لئلا يشذ عنه ما يمكن للمخلوق دركه من أسرار أفعاله وعجائب صنعه وغرائب قدرته بحيث لا يشاركه فيه غيره ولهذا قال عليه السلام: «علمت ما كان وما سيكون» لأنه شاهد الكل وما غاب لحظة وشاهد خلق آدم عليه السلام ولأجله قال: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» أي: كنت مخلوقاً وعالماً بأني نبي وحكم لي بالنبوة وآدم بين أن يخلق له جسد وروح ولم يخلق بعد واحد منهما فشاهد خلقه وما جرى عليه من الإكرام والإخراج من الجنة بسبب المخالفة وما تاب الله عليه إلى آخر ما جرى عليه وشاهد خلق إبليس وما جرى عليه من امتناع السجود لآدم والطرد واللعن بعد طول عبادته ووفور علمه بمخالفة أمر واحد فحصل له بكل حادث جرى على الأنبياء والرسل والأمم فهوم وعلوم ثم أنزل روحه في قالبه ليزداد له نور على نور فوجود كل موجود من وجوده وعلوم كل نبي وولي من علومه حتى صحف آدم وإبراهيم وموسى وغيرهم من أهل الكتب الإلهية».

وقال بعض الكبار: إن مع كل سعيد رقيبة من روح النبيّ ﷺ هي الرقيب العتيد عليه فإعراضه عنها بعدم إقباله عليها سبب لانتهاكه ولما قبض الروح المحمدي عن آدم الذي كان به دائماً لا يضل ولا ينسى جرى عليه ما جرى من النسيان وما يتبعه وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم» وإليه ينظر قوله عليه السلام «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» أي: ينزع منه الإيمان ثم يزني.

واعلم أن كل نبي له الولاية والنبوة فإن كان رسولاً فله الولاية والنبوة والرسالة فعالم رسالته هو كونه واسطة بين الله وخلقه وكذلك إن كان رسولاً إلى نفسه أو أهله أو قومه أو إلى الكافة فليس مع الرسول من عالم الرسالة إلا قدر ما يحتاج إليه المرسل إليهم وما عدا ذلك فهو عالم ولايته فيما بينه وبين الله ولما تفاضلت الأمم تفاضلت الرسل ويأتي النبي يوم القيامة ومعه أمته وآخر معه قومه وآخر معه رهطه وهو ما دون العشرة وآخر معه ابنه وآخر معه رجل وآخر استتبع فلم يتبع ودعا فلم يجب لإتيانه في الوقت الشديد الظلمة ولما جاء نبينا عليه السلام نوراً من الله نور العالم ظواهرها وبواطنها فكانت أمته أسعد الأمم وأكثرها ولذا تجيء في ثمانين صفاً وباقي الأمم من لدن آدم عليه السلام في أربعين صفاً وقد قال تعالى في حقه مبشراً فإنه لما أرسله إلى الأحمر والأسود بشرهم بأن لهم في متابعته الرتبة المحبوبية التي هي مخصوصة به من بين سائر الأنبياء والمرسلين فقد قال تعالى ﴿**ونذيراً**﴾ لئلا ينقطعوا عنه تعالى بشيء من الدارين كما انقطع أكثر الأمم ولم يكونوا على شيء.

قال الكمال الخجندي:

مرد تاروى نيارد زدو عالم بخداى مصطفى واركزين همه عالم نشود

نسأل الله أن يجعلنا على حظ وافر من الإقبال إليه والوقوف لديه.

﴿**إن الذين يبايعونك**﴾ المبايعة [باكسى بيع ويا بيعت وعهد كردن] أي يعاهدونك على قتال قريش تحت الشجرة وبالفارسية: [بدرستى كه آنانكه بيعت ميكنند باتودر حديبية] سميت المعاهدة مبايعة تشبيهاً بالمعاوضة المالية أي: مبادلة المال بالمال في اشتمال كل واحد منهما على معنى المبادلة فهم التزموا طاعة النبي عليه السلام والثبات على محاربة المشركين والنبي عليه السلام وعد لهم بالثواب ورضى الله تعالى قال بعض الأنصار عند بيعة العقبة: تكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت فقال عليه السلام: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم ونساءكم فقال ابن رواحة رضي الله عنه: فإذا فعلنا فما لنا فقال: لكم الجنة قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل» ﴿**إنما يبايعون الله**﴾ يعني أن من بايعك بمنزلة من بايع الله كأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] وذلك لأن المقصود ببيعة رسوله هو وجه الله وتوثيق العهد بمراعاة أوامره ونواهيه قال ابن الشيخ: لما كان الثواب إنما يصل إليهم من قبله تعالى كان المقصود بالمبايعة منه عليه السلام المبايعة مع الله وأنه عليه السلام إنما هو سفير ومعبر عنه تعالى وبهذا الاعتبار صاروا كأنهم يبايعون الله وبالفارسية جزين نيست كه بيعت ميكنند باخداى چه مقصود بيعت اوست وبراى طلب رضاى اوست.

قال سعدي المفتي: الظاهر والله أعلم أن المعنى على التشبيه أي: كأنهم يبايعون الله وكذا الحال في قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] أي: كأن يد الله حين المبايعة فوق أيديهم حذف أداة التشبيه للمبالغة في التأكيد وذكر اليد لأخذهم بيد رسول الله حين البيعة على ما هو عادة العرب عند المعاهدة والمعاقدة وفيه تشريف عظيم ليد رسول الله التي تعلو أيدي المؤمنين المبايعين حيث عبر عنها بيد الله كما أن وضعه عليه السلام يده اليمنى على يده اليسرى لبيعة عثمان رضي الله عنه تفخيم لشأن عثمان حيث وضعت يد رسول الله موضع يده ولم ينل تلك الدولة العظمى أحد من الأصحاب فكانت غيبته رضي الله عنه في تلك الوقعة خيراً له من الحضور وقال بعضهم: فيه استعارة تخييلية لتنزهه تعالى عن الجارحة وعن سائر صفات الأجسام فلفظ الله في يد الله استعارة بالكناية عن مبايع من الذين يبايعون بالأيدي ولفظ اليد استعارة تخييلية أريد به الصورة المنتزعة الشبيهة باليد مع أن ذكر اليد في حقه تعالى لاجتماعه مع ذكر الأيدي في حق الناس مشاكلة ازداد بها حسن التخييلية ثم إن قوله يد الله فوق أيديهم على كل من القولين تأكيد لما قبله والمقصود تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما وحقيقته أن الله تعالى لو كان من شأنه التمثيل فتمثل للناس لفعل معه عين ما فعل مع نبيه من غير فرق فكان العقد مع النبي صورة العقد مع الله بل حقيقته كما ستجيء الإشارة إليه وقال الراغب في «المفردات»: يقال: فلان يد فلان أي: وليه وناصره ويقال لأولياء الله هم أيدي الله وعلى هذا الوجه قال الله تعالى: ﴿**إن الذين يبايعونك**﴾ الآية ويؤيد ذلك ما روي «لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي

يسمع به ويده التي يبطش بها» انتهى فيكون المعنى قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم كأنه قيل ثق يا محمد بنصرة الله لك لا بنصرة أصحابك ومبايعتهم على النصرة والثبات وقال بعضهم: اليد في الموضعين بمعنى الإحسان والصنيعة فالمعنى نعمة الله عليهم في الهداية إلى الإيمان وإلى بيعة الرضوان فوق ما صنعوا من البيعة كقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧] وقال السدي: يأخذون بيد رسول الله ويبايعونه ويد الله أي: حفظ تلك المبايعة عن الانتقاض والبطلان فوق أيديهم كما أن أحد المتبايعين إذا مد يده إلى الآخر لعقد البيع يتوسط بينهما ثالث فيضع يده على يديهما ويحفظ يديهما إلى أن يتم العقد لا يترك واحداً منهما أن يقبض يده إلى نفسه ويتفرق عن صاحبه قبل انعقاد البيع فيكون وضع الثالث يده على يديهما سبباً لحفظ البيعة فلذلك قال تعالى: ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾ يحفظهم ويمنعهم عن ترك البيعة كما يحفظ المتوسط أيدي المتبايعين وقال أهل الحقيقة: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] فالنبي عليه السلام قد فني عن وجوده بالكلية وتحقق بالله في ذاته وصفاته وأفعاله فكل ما صدر عنه صدر عن الله فمبايعته مبايعة الله كما أن إطاعته إطاعة الله [سلمى قدس سره فرموده كه اين سخن در مقام جمعست وحق سبحانه مرتبه جمع را براى هيچ كس تصريح نكرده الا براى آنكه اخص واشرف موجوداتست] ولهذا السر يقول عليه السلام يوم القيامة: «أمتي أمتي» دون نفسي نفسي لأنه لم يبق فيه بقية الوجود أصلاً وفيه أسوة حسنة للكمل من أفراد أمته فاعرف جداً فمعنى ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾ أي: قدرته الظاهرة في صورة قدرة النبي عليه السلام فوق قدرتهم الظاهرة في صور أيديهم لأنه مظهر الاسم الأعظم المحيط الجامع وكل الأسماء تحت حيطة هذا الاسم الجليل فيد النبي عليه السلام مع غيره كيد السلطان مع ما سواه وهو أي: قوله ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾ زيادة التصريح في مقام عين الجمع لحصول هذا المعنى الإطلاقي مما قبله والحاصل أن الله تعالى جعل نبيه ﷺ مظهراً لكمالاته ومرآة لتجلياته ولذا قال عليه السلام: «من رآني فقد رأى الحق» ولما فني عليه السلام عن ذاته وصفاته وأفعاله كان نائباً عن الحق في ذاته وصفاته وأفعاله كما قيل (ع) نائبست ودست اودست خداى. وفي هذا المقام قال الحلاج: أنا الحق وأبو يزيد سبحاني سبحاني ما أعظم شاني وأبو سعيد الخراز ليس في الجبة غير الله قال الواسطي: أخبر الله بهذه الآية أن البشرية في نبيه عارية وإضافة لا حقيقة يعني فظاهره مخلوق وباطنه حق ولذا يجوز السجدة لباطنه دون ظاهره إذ ظاهره من عالم التقييد وباطنه من عالم الإطلاق وإذا كانت الصلاة جائزة على الموتى فما ظنك بالأحياء فاعرف جداً فإنه إنما جازت الصلاة على الموتى لاشتمالهم على حصة من الحقيقة المحمدية الجامعة الكلية.

﴿**فمن نكث**﴾ النكث نقض نحو الحبل والغزل استعير لنقض العهد أي: فمن نقض عهده وبيعته وأزال إبرامه وإحكامه ﴿**فإنما ينكث على نفسه**﴾ فإنما يعود ضرر نكثه على نفسه لأن الناكث هو لا غير ﴿**ومن أوفى بما عاهد عليه الله**﴾ بضم الهاء فإنه أبقى بعد حذف الواو إذ أصله هو توسلاً بذلك إلى تفخيم لام الجلالة أي: ومن أوفى بعهده وثبت عليه وأتمه ﴿**فسيؤتيه أجراً عظيماً**﴾ هي الجنة وما فيها من رضوان الله العظيم والنظر إلى جماله الكريم ويحتمل أن يراد بنكث العهد ما يتناول عدم مباشرته ابتداء ونقضه بعد انعقاده لما روي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: بايعنا رسول الله بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا

نفر فما نكث أحد منا البيعة إلا جد بن قيس وكان منافقاً اختبأ تحت إبط بعيره ولم يسر مع القوم أي: إلى المبايعة حين دعوا إليها. در موضح آورده كه سه چيز راجع باهل آن ميشوديكى مكركه ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣] دوم ستم كه ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣] سيوم نقض عهدكه ﴿فمن نكث على نفسه﴾ [الفتح: ١٠] ودر عهد وپيمان كفته اند. پيمان مشكن كه هركه پيمان بشكست. ازپاى درافتاد وبرون رفت زدست. آنرا كه بدردست بوديميان الست. نشكسته بهيچ حال هرعهدكه بست.

كما قال الحافظ:

ازدم صبح ازل تا آخر شام ابد دوستى ومهر بريك عهد ويك ميثاق بود

وقال:

پيمان شكن هر آينه كردد شكسته حال ان العهود لدى اهل النهى ذمم

قال بعض الكبار: هذه البيعة نتيجة العهد السابق المأخوذ على العباد في بدء الفطرة فيضرهم النكث وينفعهم الوفاء قال الشيخ إسماعيل بن سودكين في «شرح التجليات الأكبرية» قدس الله سرهما: المبايعون ثلاثة: الرسل والشيوخ والورثة والسلاطين والمبايع في هؤلاء الثلاثة على الحقيقة واحد وهو الله تعالى وهؤلاء الثلاثة شهود الله تعالى على بيعة هؤلاء الأتباع وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يجمعها القيام بأمر الله وعلى الأتباع الذين بايعوهم شروط يجمعها المتابعة فيما أمروا به فأما الرسل والشيوخ فلا يأمرون بمعصية أصلاً فإن الرسل معصومون من هذا والشيوخ محفوظون وأما السلاطين فمن لحق منهم بالشيوخ كان محفوظاً وإلا كان مخذولاً وأما هذا فلا يطاع في معصية والبيعة لازمة حتى يلقوا الله تعالى ومن نكث الاتباع من هؤلاء فحسبه جهنم خالداً فيها لا يكلمه الله ولا ينظر إليه وله عذاب أليم هذا كما قال أبو سليمان الداراني قدس سره. هذا حظه في الآخرة وأما في الدنيا فقد قال أبو يزيد البسطامي قدس سره في حق تلميذه لما خالفه: دعوا من سقط من عين الله فرؤي بعد ذلك مع المخنثين وسرق فقطعت يده هذا لما نكث أين هو ممن وفى ببيعته مثل تلميذ الداراني قيل له: ألق نفسك في التنور فألقى نفسه فيه فعاد عليه برداً وسلاماً هذه نتيجة الوفاء انتهى. يقول الفقير: ثبت بهذه الآية سنة المبايعة وأخذ التلقين من المشايخ الكبار وهم الذين جعلهم الله قطب إرشاد بأن أوصلهم إلى التجلي العيني بعد التجلي العلمي إذ لا فائدة في مبايعة الناقصين المحجبين لعدم اقتدارهم على الإرشاد والتسليك وعن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما قالا: كنا عند رسول الله عليه السلام فقال: «فيكم غريب» يعني: أهل كتاب قلنا: لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب فقال: «ارفعوا أيديكم فقولوا لا إله إلا الله» فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع رسول الله يده ثم قال: «الحمد لله اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة إنك لا تخلف الميعاد» ثم قال: «أبشروا فإن الله قد غفر لكم» كما في «ترويح القلوب» لعبد الرحمٰن البسطامي قدس سره وعن عبد الرحمٰن بن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله وكنا حديثي عهد ببيعته فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله قال: ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا وقلنا: على مم نبايعك؟ قال: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس ولقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فلا يسأل أحداً يناوله

إياه» رواه مسلم والترمذي والنسائي كما في «الترغيب والترهيب» للإمام المنذري رحمه الله وعن عبادة بن الصامت قال: أخبرني أبي عن أبيه قال: «بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا ولا نخاف في الله لومة لائم» كما في «عوارف المعارف» للسهروردي قدس سره وقوله: وأن لا ننازع الأمر أهله أي: إذا فوض أمر من الأمور إلى من هو أهل لذلك الأمر لا ننازع فيه ونسلم ذلك الأمر له وقوله: حيث كنا أي: عند الصديق والعدو والأقارب والأباعد كما في «حواشي» زين الدين الحافي رحمه الله وأخذ من التقرير المذكور أخذ اليد في المبايعة وذلك بالنسبة إلى الرجال دون النساء لما روي أن النساء اجتمعن عند النبي عليه السلام وطلبن أن يعاهدهن باليد فقال: لا تمس يدي يد المرأة ولكن قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة فبايعهن بالكلام ثم طلبن منه البركة فوضع يده الشريفة في الماء ودفعه إليهن فوضعن أيديهن فيه كذا ذكره الشيخ عبد العزيز الديريني في «الروضة الأنيفة» وكذا في «ترجمة الفتوحات» حيث قال ورسول الله عليه السلام وفات كرد ودست او بهيچ زن نا محرم نرسيد وبازنان مبايعه بسخن مى كرد وقول اوبايك زن چنان بودكه باهمه انتهى.

وقال في «إنسان العيون»: بايعه عليه السلام ليلة العقبة الثانية السبعون رجلاً وبايعه المرأتان من غير مصافحة لأنه ﷺ كان لا يصافح النساء إنما كان يأخذ عليهن فإذا أحرزن قال: اذهبن فقد بايعتكن انتهى وفي «الإحياء» ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلاة ولمجالس الذكر إذا خيفت الفتنة إذ منعتهن عائشة رضي الله عنها فقيل لها: «إن رسول الله ما منعهن من الجماعات فقالت: لو علم رسول الله ما أحدثن بعده لمنعهن» انتهى فحضورهن مجالس الوعظ والذكر من غير حائل يمنع من النظر إذا كان محظوراً منكراً فكيف مس أيديهن كما في مشيخة هذا الزمان ومبتدعته وربما يمسون المسك لأجل النساء اللاتي يحضرن مجالسهم ويبايعنهم كما سمعنا من الثقات والعياذ بالله تعالى ولنعد إلى تحرير المقام.

قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيري عن شيخه أبي علي الدقاق قدس سرهما أنه قال: الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تتورق ولا تثمر وهو كما قال ويجوز أنها تثمر كالأشجار التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين والغرس إذا نقل من موضع إلى موضع آخر يكون أحسن وأكثر ثمرة لدخول التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود التعليم في الكلب المعلم وأحل ما يقتله بخلاف غير المعلم وسمعت كثيراً من المشايخ يقولون: من لم ير مفلحاً لا يفلح ولنا في رسول الله أسوة حسنة فأصحاب رسول الله تلقوا العلوم والآداب من رسول الله كما روي عن بعض الصحابة علمنا رسول الله كل شيء حتى الخراءة بكسر الخاء المعجمة يعني قضاء الحاجة فلا بد لطالب الحق من أديب كامل وأستاذ حاذق يبصره بآفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو فإذا وجد مثل هذا فليلازمه وليصحبه وليتأدب بآدابه ليسري من باطنه إلى باطنه حال قوى كسراج يقتبس من سراج ولينسلخ من إرادة نفسه بالكلية فإن التسليم له تسليم لله ولرسوله لأن سلسلة التسليم تنتهي إلى رسول الله وإلى الله في «المثنوي»»:

كفت طوبى من رآني مصطفى والذي يبصر لمن وجهي رأى
چون چراغى نور شمعى را كشيد هركه ديدانرا يقين آن شمع ديد

همچنين تاصد چراغ ارنقل شد ديدن آخر لقاى اصل شد
خواه نوراز واپسين بستان بجان هيچ فرقى نيست خواه ازشمعدان

وفي الحديث: «الحجر الأسود يمين الله في أرضه فمن لم يدرك بيعة رسول الله فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله» وفي رواية: «الركن يمين الله في الأرض يصافح بها عباده كما يصافح أحدكم أخاه» قال السخاوي: معنى الحديث أن كل ملك إذا قدم عليه قبلت يمينه ولما كان الحاج والمعتمر يتعين لهما تقبيله نزل منزلة يمين الملك ويده ولله المثل الأعلى وكذلك من صافحه كان له عند الله عهد كما أن الملك يعطي الهدية والعهد بالمصافحة انتهى.

يقول الفقير: لا شك أن الكعبة عند أهل الحقيقة إشارة إلى مرتبة الذات الأحدية والذات الأحدية قد تجلت لرسول الله ﷺ بجميع أسمائها وصفاتها فكانت الكعبة صورة رسول الله والحجر الأسود صورة يده الكريمة وأما حقيقة سر الكعبة والحجر فذاته الشريفة ويمينه المباركة ومن هنا نعرف أن الإنسان الكامل أفضل من الكعبة وكذا يده أولى من الحجر ولما انتقل النبي عليه السلام خلفه ورثته بعده فهم مظاهر هذين السرين فلا بد من تقبيل الحجر في الشريعة ومن تقبيل يد الإنسان الكامل في الحقيقة فإنه المبايعة الحقيقة فإنها عين المبايعة مع الله ورسوله ثم إذا وقعت المبايعة للمبايع في ذلك أوان ارتضاع وزمان انفطام فلا يفارق من بايعه إلا بعد حصول المقصود بأن ينفتح له باب الفهم من الله ومتى فارق قبل أوان انفطام يناله من الإعلال في الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال المفطوم لغير أوانه في الولادة الطبيعية وكذا الحال في العلم الظاهر فإنه لا بد فيه من التكميل ثم الإذن من الأستاذ للتدريس قال في «الأشباه»: لما جلس أبو يوسف للتدريس من غير إعلام أبي حنيفة أرسل إليه أبو حنيفة رجلاً فسأله عن مسائل خمس:

الأولى: قصار جحد الثوب ثم جاء به مقصوراً هل يستحق الأجر أو لا؟ فأجاب أبو يوسف: يستحق الأجر فقال له الرجل: أخطأت فقال: لا يستحق فقال: أخطأت ثم قال له الرجل: إن كانت القصارة قبل الجحود استحق وإلا لا.

الثانية: هل الدخول في الصلاة بالفرض أو بالسنة؟ فقال: بالفرض فقال: أخطأت فقال: بالسنة فقال: أخطأت فتحير أبو يوسف فقال الرجل: بهما لأن التكبير فرض ورفع اليدين سنة.

الثالثة: طير سقط في قدر على النار فيه لحم ومرق هل يؤكلان أو لا؟ فقال: يؤكلان فخطأه فقال: لا يؤكلان فخطأه ثم قال: إن كان اللحم مطبوخاً قبل سقوط الطير يغسل ثلاثاً ويؤكل وترمى المرقة وإلا يرمى الكل.

الرابعة: مسلم له زوجة ذمية ماتت وهي حامل منه تدفن في أي المقابر؟ فقال أبو يوسف: في مقابر المسلمين فخطأه فقال: في مقابر أهل الذمة فخطأه فتحير فقال: تدفن في مقابر اليهود ولكن يحول وجهها عن القبلة حتى يكون وجه الولد إلى القبلة لأن الولد في البطن يكون وجهه إلى ظهر أمه.

الخامسة: أم ولد لرجل تزوجت بغير إذن مولاها فمات المولى هل تجب العدة من المولى؟ فقال: تجب فخطأه فقال: لا تجب فخطأه ثم قال الرجل: إن كان الزوج دخل بها لا تجب وإلا وجبت فعلم أبو يوسف تقصيره فعاد إلى أبي حنيفة فقال: تزببت قبل أن تحصرم.

قال الشيخ سعدي: [يكى درصنعت كشتى كيرى بسر آمده بود وسيصد وشصت بند فاخر

درين علم بدانستى وهر روز بنوعى كشتى كرفتى مكر كوشه خاطرش باجمال يكى از شاكردان ميل داشت سيصدو پنجاه ونه بند اورا آموخت مكريك بندكه در تعليم آن دفع انداختى وتهاون كردى في الجملة پسر درقوت وصنعت بسر آمد وكسى را با او مجال مقاومت نماند تا بحدى كه پيش ملك كفت استادرا فضيلتي كه برمنست ازروى بزركيست وحق تر بيت وكرنه بقوت ازوكمتر نيستم وبصنعت بااوبرابر ملك را اين سخن پسنديده نيامد بفرمود تا مصارعه كنند مقامى متسع ترتيب كردند واركان دولت واعيان حضرت وزور آوران آن اقليم حاضر شدند پسر چون پيل مست در آمد بصدمتى كه اكركوه آهنين بودى ازجاى بركندى استاد دانست كه جوان ازو بقوت برترست بدان بند غريب كه ازونهان داشته بود بر اودر آويخت وبدودست بر كرفت از زمين بر بالاى سر بردو بر زمين زدغريو از خلق برخاست ملك فرمود تا استادرا خلعت ونعمت بى قياس دادندو پسررا زجرو ملامت كردكه باپرورنده خويش دعوى مقاومت كردى وبسر نبردى كفت اى خداوند مرا بزور دست ظفر نيافت بلكه ازعلم كشتى دقيقه مانده بودكه زمن دريغ همى داشت امر وزبدان دقيقه برمن دست يافت استاد كفت ازبهر چنين روزنهان داشتم] فعلم أن التلميذ لا يبلغ درجة استاذه في زمانه فللأستاذ العلو من كل وجه. مريدان بقوت زطفلان كمند. مشايخ چو ديوار مستحكمند.

قال في «كشف النور عن أصحاب القبور»: وأما هذا الزي المخصوص الذي اتخذه كل فريق من الصوفية كلبس المرقعات ومآزر الصوف والميلويات فهر أمر قصدوا به التبرك بمشايخهم الماضية فلا ينهون عنه ولا يؤمرون به فإن غالب ملابس هذا الزمان من هذا القبيل كالعمائم التي اتخذها الفقهاء والمحدثون والعمائم التي اتخذها العساكر والجنود والملابس التي يتخذها عوام الناس وخواصهم فإنها جميعها مباحة وليس فيها شيء يوافق السنة إلا القليل ولا نقول إنها بدعة أيضاً لأن البدعة هي الفعلة المخترعة في الدين على خلاف ما كان عليه النبي عليه السلام وكانت عليه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم وهذه الهيئات والملابس والعمائم ليست مبتدعة في الدين بل هي مبتدعة في العادة ولا هي مخالفة للسنة ايضاً على حسب ما عرف الفقهاء السنة بأنها كل فعلة فعلها النبي عليه السلام على وجه العبادة لا العادة ولم يكن النبي عليه السلام يلبس العمامة على سبيل العبادة ولا يلبس الثياب المخصوصة على طريق العادة وإنما القصد بذلك ستر العورة ودفع أذية الحر والبرد ولهذا ورد عنه لبس الصوف والقطن وغير ذلك من الثياب العالية والسافلة فليس مخالفته في ذلك لمخالفة سنة وإن كان الاتباع في جميع ذلك أفضل لأنه مستحب انتهى.

قال في «العوارف»: لبس الخرقة أي: من يد الشيخ علامة التفويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ دخوله في حكم الله تعالى وحكم رسوله عليه السلام وإحياء سنة المبايعة مع رسول الله قالت أم خالد: أتى النبي عليه السلام بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة وهي كساء أسود مربع له علمان فإن لم يكن معلماً فليس بخميصة فقال عليه السلام: من ترون أكسو هذه؟ فسكت القوم فقال عليه السلام: «ائتوني بأم خالد» قالت: فأتي بي فألبسنيها بيده فقال: ابلي واخلقي يقولها مرتين وجعل ينظر إلى علم في الخميصة أصفر وأحمر ويقول: يا أم خالد هذا سناء» والسناء هو الحسن بلسان الحبشة ولا خفاء بأن لبس الخرقة على الهيئة التي يعمدها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من

استحسان الشيوخ وقد كان طبقة من السلف الصالحين لا يعرفون الخرقة ولا يلبسونها المريدين فمن يلبسها فله مقصد صحيح وأصل من السنة وشاهد من الشرع ومن لا يلبسها فله رأي وله في ذلك مقصد صحيح وكل تصاريف المشايخ محمولة على السداد والصواب ولا تخلو عن نية خالصة فيها انتهى كلام «**العوارف**» باختصار وقال الشيخ زين الدين الحافي في «حواشيه»: قد صح واشتهر بنقل الأولياء كابراً عن كابر على ما هو مسطور في إجازات المشايخ أن رسول الله ألبس علياً الخرقة الشريفة وهو ألبس الحسن البصري وكميل بن زياد رضي الله عنهما وفي «المقاصد الحسنة»: أن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعاً فضلاً عن أن يلبسه الخرقة.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: الضروري من اللباس الظاهر ما يستر السوءات والرياش ما يزيد على ذلك مما تقع به الزينة والضروري من اللباس الباطن وهو تقوى المحارم مطلقاً ما يواري سوءة الباطن والريش لباس مكارم الأخلاق مثل نوافل العبادات كالصفح والإصلاح فأراد أهل الله أن يجمعوا بين اللبستين ويتزينوا بالزينتين ليجمعوا بين الحسنيين فيثابوا من الطرفين فلبسوا الخرقة وألبسوها ليكون تنبيهاً على ما يريدونه من لباس بواطنهم وجعلوا ذلك أصلاً وأصل هذا اللباس عندي ما ألقي في سري أن الحق لبس قلب عبده فإنه قال: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي» فإن الثوب وسع لابسه وظهر هذا الجمع بين اللبستين في زمان الشبلي وابن حفيف إلى هلم جرا فجرينا على مذهبهم في ذلك فلبسناها من أيدي مشايخ جمة سادات بعد أن صحبناهم وتأدبنا بآدابهم ليصح اللباس ظاهراً وباطناً انتهى باختصار نسأل الله سبحانه أن يجعل لباس التقوى لباساً خيراً لنا وأن يصح نياتنا وعقائدنا وأعمالنا وأحوالنا إنه هو المعين لأهل الدين إلى أن يأتي اليقين.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾

﴿**سيقول لك المخلفون من الأعراب**﴾ السين للاستقبال يقال خلفتة بالتشديد تركته خلفي وخلفوا أثقالهم تخليفاً خلوها وراء ظهورهم والتخليف بالفارسية: واپس كذشتن ودر اينجا مراد از مخلفون بازپس كردكان خداى يعني ايشان كه باز پس كرده انداز صحبث رسول عليه السلام ازباديه نشينان. خلفهم الله عن رسول الله كما قال ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦] قال في «المفردات»: العرب أولاد اسماعيل عليه السلام والأعراب جمعه في الأصل وصار ذلك اسماً لسكان البادية وقيل في جميع الأعراب أعاريب والأعرابي صار اسماً في التعارف للمنسوبين إلى سكان البادية انتهى وفي «القاموس»: العرب بالضم وبالتحريك خلاف العجم مؤنث وهم سكان الأمصار والأعراب منهم سكان البادية ويجمع على أعاريب انتهى وفي «مختار الصحاح» العرب جيل من الناس والنسبة إليهم عربي وهم أهل الأمصار والأعراب منهم سكان البادية خاصة والنسبة إليهم أعرابي وليس الأعراب جمعاً لعرب بل هو اسم جنس انتهى وقال ابن الشيخ في سورة التوبة: العرب هو الصنف الخاص من بني آدم سواء سكن البوادي أم القرى وأما الأعراب فإنه لا يطلق إلا على من يسكن البوادي

فالأعراب جمع أعرابي كما أن العرب جمع عربي والمجوس جمع مجوسي واليهود جمع يهودي بحذف ياء النسبة في الجمع ويدل على الفرق بين العرب والأعراب قوله عليه السلام: «حب العرب من الإيمان» وقوله تعالى: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا﴾ [التوبة: ٩٧] حيث مدح العرب وذم الأعراب الذين هم سكان البادية فعلى هذا يكون العرب أعم من الأعراب وقيل العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى والأعراب أهل البدو فعلى هذا القول يكونان متباينين انتهى والمراد هنا هم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والدئل بالكسر تخلفوا عن رسول الله عليه السلام حين استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه عند إرادته المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً حذراً من قريش أن يتعرضوا له بحرب ويصدوه عن البيت وأحرم عليه السلام وساق معه الهدي ليعلم أنه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا: أنذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم فأوحى الله إليه عليه السلام بأنهم سيعتلون أي: عند وصولك إلى المدينة ويقولون: ﴿شغلتنا﴾ مشغول كرد مارا. والشغل العارض الذي يذهل الإنسان وقد شغل فهو مشغول ﴿أموالنا وأهلونا﴾ ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع والأموال جمع مال وهو كل ما يتملكه الناس من دراهم أو دنانير أو ذهب أو فضة أو حنطة أو خبز أو حيوان أو ثياب أو سلاح أو غير ذلك والمال العين هو المضروب وسمي المال مالاً لكونه بالذات تميل القلوب إليه وفي «التلويح»: المال ما يميل إليه الطبع ويدخر لوقت الحاجة أو ما خلق لمصالح الآدمي ويجري فيه الشح والضنة انتهى. والأهلون جمع أهل وأهل الرجل عشيرته وذوو قرباه وقد يجمع الأهل على أهال وآهال وأهلات ويحرك كأرضات على تقدير تاء التأنيث أي: على أن أصله أهلة كما في أرض فحكمه حكم تمرة حيث يجوز في تمرات تحريك الميم ﴿فاستغفر لنا﴾ الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ تكذيب لهم في الاعتذار وسؤال الاستغفار يعني أنه تكذيب لهم فيما يتضمنه من الحكم من أنا مؤمنون حقاً معترفون بذنوبنا فالشك والنفاق هو الذي خلفهم لا غير وفي الآية إشارة إلى أن القلوب الغافلة عن الله يقولون أي: أهلها بألسنتهم ما ليس له حقيقة ولا شعور لقلوبهم على حقيقة ما يقولون فإنهم يقولون ويريدون به معنى آخر كقولهم ﴿شغلتنا أموالنا وأهلونا﴾ مجازاً يريدون به اعتذاراً لتخلفهم ولقولهم شغلتنا حقيقة وذلك أن أموالهم وأهليهم شغلتهم عن ذكر الله والائتمار بأوامره وعن متابعة النبي عليه السلام وهم مأمورون بها.

قال المولى الجامي:

مكن تعلق خاطر بنقش صفحه دهر　　جريده وارهمى زى وساده وش مى باش

﴿قل﴾ رداً لهم عند اعتذارهم إليك بأباطيلهم ﴿فمن يملك لكم من الله شيئاً﴾ أي: فمن يقدر لأجلكم من مشيئة الله وقضائه على شيء من النفع ﴿إن أراد بكم ضراً﴾ أي: ما يضركم من هلاك الأهل والمال وضياعهم حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما ﴿أو أراد بكم نفعاً﴾ أي: ومن يقدر على شيء من الضرر إن أراد بكم ما ينفعكم من حفظ أموالكم وأهليكم فأي حاجة إلى التخلف لأجل القيام بحفظهما ﴿بل كان الله بما تعملون خبيرا﴾ أي: ليس الأمر كما تقولون بل كان الله خبيراً بجميع ما تعملون من الأعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه فمن ترك أمر الله ومتابعة رسوله وقعد طلباً للسلامة دخل في الآية ثم

لم يجد خلاصاً من الضرر والبلاء فإن الله تعالى قادر على إيصال المكروه ولو بغير صورة القتال فلا بد من الصدق والعمل بالإخلاص والتوكل على الله تعالى فإن فيه الخلاص [نقلست كه يكروز كسان حجاج ظالم حسن بصري را رضي الله عنه طلب كردند حسن در صومعه حبيب عجمي قدس سره پنهان شد حبيب را كفتند امروز حسن را ديدى كفت ديدم كفتند كجاست كفث درين صومعه شد در صومعه رفتند چندانكه طلب كردند حسن رانيا فتند چنانكه حسن كفت هفت باردست برمن نهادند ومرانديدند وبيرون آمدند وكفتند اي حبيب آنچه حجاج باشما كند سزاي شماست تاچرا دروغ ميكوييد حبيب كفت او درپيش من درين جاشدا كر شمانمي دانيد ونمى بينيد مراچه جرم عوانان ديكر باره طلب كردند نيا فتند حسن از صومعه بيرون آمد كفت اي حبيب حق استاذي نكاه داشتى ومرابعوانان غمز ميكردى كفت اي استاذ بروكه براست كفتن خلاص يا فتى كه اكر دروغ ميكفتمى هردو كرفتار خواستيم شدن.

قال الحافظ:

بصدق كوش كه خورشيد زايد ازنفست كه از دروغ سيه روى كشث صبح نخست

حسن كفت چه كردى كه مرانديدند كفت نه بار آية الكرسي ونه بار آمن الرسول ونه بار قل هو الله أحد بخواندم وباز كفتم كه خدايا حسن را بتو سپردم كه نكاهش دارى] وهكذا يحفظ الله أولياءه الصادقين وينصرهم ويترك أعداءه الكافرين ويخذلهم.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾.

﴿**بل ظننتم**﴾ إلخ بدل من كان الله إلخ مفسر لما فيه من الإبهام أي: بل ظننتم أيها المخلفون ﴿**أن لن ينقلب**﴾ لن يرجع وبالفارسية: بلكه كمان ميبرديد آنكه باز نكردد ﴿**الرسول**﴾ ﷺ ﴿**والمؤمنون**﴾ الذين معه وهم ألف وأربعمائة ﴿**إلى أهليهم**﴾ بسوى أهالى خود بمدينه ﴿**أبداً**﴾ هركزأي بأن يستأصلهم المشركون بالكلية فخشيتم إن كنتم معهم أن يصيبكم ما أصابهم فلأجل ذلك تخلفكم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة ﴿**وزين ذلك في قلوبكم**﴾ واراسته شد اين كمان دردلهاى شما يعني شيطان بياراست. وقبلتموه واشتغلتم بشأن أنفسكم غير مبالين بهم ﴿**وظننتم ظن السوء**﴾ وكمان بر ديد كمان بد. المراد به إما الظن الأول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء وإلا فهو من عطف الشيء على نفسه أو ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم الصحة رسالته عليه السلام فإن الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستئصال فبهذا التعميم لا يلزم التكرار ﴿**وكنتم قوماً بوراً**﴾ أي: هالكين عند الله مستوجبين سخطه وعقابه على أنه جمع بائر من بار بمعنى هلك كعائذ وعوذ وهي من الإبل والخيل الحديثة النتاج أو فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم فإن البور الفاسد في بعض اللغات وقيل البور مصدر من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذا وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث فيقال رجل بور وقوم بور وفي «المفردات» البوار فرط الكساد ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد كما قيل كسد حتى فسد عبر بالبوار عن الهلاك وكانوا قوماً بوراً أي: هلكى انتهى وفيه إشارة إلى أن كل من ظن أنه يصيبه في الغزو قتل أو جراحة أو ما يكره من المصائب ثم يتخلف عن الغزو فإنه من الهالكين

وقد استولى الشيطان على قلبه فزين في قلبه الحياة الدنيا ليؤثرها على الحياة الأخروية التي أعدت للشهداء والدرجات العلى في الجنة والقربات في جوار الحق تعالى. مكن زغصه شكايت كه در طريق طلب. براحتى نرسيد آنكه زحمتى نكشيد.

﴿**ومن لم يؤمن بالله ورسوله**﴾ كلام مبتدأ من جهته تعالى ومن شرطية أو موصولة أي: ومن لم يؤمن بهما كدأب هؤلاء المخلفين ﴿**فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً**﴾ أي: لهم وإنما وضع موضع الضمير العائد إلى من الكافرون إيذاناً بأن من لم يجمع بين الإيمان بالله ورسوله وهو كافر فإنه مستوجب السعير أي: النار الملتهبة وتنكيره للتهويل للدلالة على أنه سعير لا يكتنه كنهها أو لأنها نار مخصوصة كما قال ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤] فالتنكير للتنويع.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾

﴿**ولله ملك السموات والأرض**﴾ وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء وبالفارسية: مرخدا يراست پادشاهى آسمانها وزمينها زمام أمور ممالك علوى وسفلى در قبضه قدرت اوست ﴿**يغفر لمن يشاء**﴾ أن يغفر له وهو فضل منه ﴿**ويعذب من يشاء**﴾ أن يعذبه وهو عدل منه غير دخل لأحد في شيء منهما وجوداً وعدماً وفيه حسم لأطماعهم الفارغة في استغفاره عليه السلام لهم ﴿**وكان الله غفوراً رحيماً**﴾ مبالغاً في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء إلا لمن تقتضي الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله وأما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعاً فالآية نظير قوله تعالى في الأحزاب ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: ٢٤] أي: يعذب المنافقين إن شاء تعذيبهم أي: إن لم يتوبوا فإن الشرك لا يغفر البتة أو يتوب عليهم أي: يقبل توبتهم إن تابوا فالله تعالى يمحو بتوبة واحدة ذنوب العمر كله ويعطي بدل كل واحدة منها حسنة وثواباً قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أفرح بتوبة عبده المؤمن من الضال الواجد ومن الظمآن الوارد ومن العقيم الوالد ومن تاب إلى الله توبة نصوحاً أنسى الله حافظيه وبقاع أرضه خطاياه وذنوبه».

كرآيينه ازآه كردد تباه ... شود روشن آيينة دل بآه
توپيش از عقوبت در عفو كوب ... كه سودى ندارد فغان زير چوب

وفي هذا المعنى قال الكمال الخجندي:

تراچه سود بروز جزا وقايه وحرز ... كه از وقاية عفوش حمايتي نرسيد

وفي الآية إشارة إلى أن من أطفأ سعير نفسه وشعلة صفاتها بماء الذكر وترك الشهوات يؤمن قلبه وينجو من سعير النفس وهو حال من آمن بالله ورسوله وإلا فيكون سعير نفسه وشعلة صفاتها مستولية على القلب فتحرقه وما تبقى من آثاره شيئاً وهو حال من لم يؤمن بالله ورسوله ولله ملك سماوات القلوب وأرض النفوس يغفر لنفس من يشاء ويزكيها عن الصفات الذميمة ويجعلها مطمئنة قابلة لجذبة ارجعي ويعذب قلب من يشاء باستيلاء صفات النفس عليه ويقلبه كما لم يؤمن به وكان الله غفوراً لقلب من يشاء رحيماً لنفس من يشاء يؤتي ملك نفس من يشاء لقلبه وينزع ملك قلب من يشاء ويؤتيه لنفسه.

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ

ٱللَّهِۖ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًاۖ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾.

﴿سيقول المخلفون﴾ المذكورون ﴿إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها﴾ ظرف لما قبله لا شرط لما بعده وانطلقتم أي: ذهبتم يقال انطلق فلان إذا مر متخلفاً وأصل الطلاق التخلية من وثاق كما يقال حبس طلقاً ويضم أي: بلا قيد ولا وثاق والمغانم جمع مغنم بمعنى الغنيمة أي الفيء أي سيقولون عند انطلاقكم إلى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم إياها وخصكم بها عوضاً عما فاتكم من غنائم مكة إذا انصرفوا منها على صلح ولم يصيبوا منها شيئاً فالسين يدل على القرب وخيبر أقرب مغانم انطلقوا إليها فهي هي فإن قيل كيف يصح هذا الكلام وقد ثبت أنه عليه السلام أعطى من قدم مع جعفر رضي الله عنه من مهاجري الحبشة وكذا الدوسيين والأشعريين ولم يكونوا ممن حضر الحديبية قلنا كان ذلك باستنزال أهل الحديبية عن شيء من حقهم ولولا أن بعض خيبر كانت صلحاً لما قال موسى بن عقبة ومن تبعه ما قالوا وكان ما أعطاهم من ذلك كما في «حواشي سعدي المفتي» ﴿ذرونا﴾ بكذاريد مارا. أمر من يذر الشيء أي: يتركه ويقذفه لقلة اعتداده به ولم يستعمل ماضيه ﴿نتبعكم﴾ إلى خيبر ونشهد معكم قتال أهلها ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ بأن يشاركوا في المغانم التي خصها بأهل الحديبية فإنه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالاً كثيرة فخصها بهم حسبما أمره الله تعالى فالمراد بكلام الله ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لأهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معي أبداً فإن ذلك في غزوة تبوك.

﴿قل﴾ إقناطاً لهم ﴿لن تتبعونا﴾ أي: لا تتبعونا فإنه نفي في معنى النهي للمبالغة وقال سعدي المفتي: لن ليس للتأكيد سيما إذا أريد النهي والمراد لن تتبعونا في خيبر أو ديمومتهم على مرض القلوب وقال أبو الليث: لن تتبعونا في المسير إلى خيبر إلا متطوعين من غير أن يكون لكم شركة في الغنيمة ﴿كذلكم قال الله﴾ همچنين كفته است خداي تعالى ﴿من قبل﴾ أي: عند الانصراف من الحديبية ﴿فسيقولون﴾ للمؤمنين عند سماع هذا النهي ﴿بل تحسدوننا﴾ أي: ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا أن نشارككم في الغنائم الحسد تمني زوال النعمة عمن يستحق لها وربما يكون من ذلك سعي في إزالتها وروي المؤمن يغبط والمنافق يحسد.

وقال بعض الكبار: لا يكون الحسد على المرتبة إلا بين الجنس الواحد لا بين الجنسين ولذلك كان أول ابتلاء ابتلى الله به عباده بعثة الرسول إليهم منهم لا من غيرهم لتقوم الحجة على من جحد قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩] يعني لو كان الرسول إلى البشر ملكاً لنزل في صورة رجل حتى لا يعرفوا أنه ملك لأنهم لو رأوه ملكاً لم يقم بهم حسد ﴿بل كانوا لا يفقهون﴾ أي: لا يفهمون قال الراغب الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم والفقه العلم بأحكام الشريعة وفقه أي: فهم فقهاً ﴿إلا قليلاً﴾ أي: إلا فهماً قليلاً وهم فطنتهم لأمور الدنيا وهو وصف لهم بالجهل المفرط وسوء الفهم في أمور الدين وعن علي رضي الله عنه أقل الناس قيمة أقلهم علماً.

واعلم أن العلم إنما يزداد بصحبة أهله ولما تخلف المنافقون عن صحبة رسول الله ﷺ وصفهم الله بعدم الفقه فلا بد من مجالسة العلماء العاملين حتى تكون الدنيا وراء الظهر ويجعل الرغبة في الآخرة وقد قال عليه السلام: «اطلبوا العلم ولو بالصين» فكلما بعد المنزلة كثر الخطى وعن بعضهم قال: رأيت في الطواف كهلاً قد أجهدته العبادة وبيده عصا وهو يطوف معتمداً عليها فسألته عن بلده فقال خراسان ثم قال لي: في كم تقطعون هذا الطريق: قلت في شهرين أو ثلاثة فقال: أفلا تحجون كل عام؟ فقلت له: وكم بينكم وبين هذا البيت؟ قال: مسيرة خمس سنين قلت: هذا والله هو الفضل المبين والمحبة الصادقة فضحك وأنشأ يقول:

زر من هويت وان شطت بك الدار وحال من دونه حجب وأستار
لا يمنعك بعد عن زيارته إن المحب لمن يهواه زوار

وفي الآية إشارة إلى أن الدنيا من مظان الحسد وهو من رذائل النفس وفي الحديث «ولا تحاسدوا» أي: على نعم الله تعالى مالاً أو علماً أو غير ذلك إلا أن يقع الغبطة على المال المبذول في سبيل الله والعلم المعمول به المنشور «ولا تناجشوا» النجش هو أن تزيد في ثمن سلعة ولا رغبة لك في شرائها وقيل هو تحريض الغير على شر «ولا تباغضوا» إلا أن يكون البغض في الله قال الشيخ الكلاباذي: معنى لا تباغضوا لا تختلفوا في الأهواء والمذاهب لأن البدعة في الدين والضلال عن الطريق يوجب البغض عليه «ولا تدابروا» أي: لا تقاطعوا فإن التدابر التقاطع وأن يولي الرجل صاحبه دبره فيعرض عنه كما في «الفائق» أو لا تغتابوا وصفة الأخوة التقابل كما قال تعالى: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] وكما قال عليه السلام: «وكونوا عباد الله إخوانا» قال الحافظ:

هيج رحمى نه برادر ببرادر دارد هيج شوقى نه پدر رابه پسرمى بينم
دختر انراهمه جنكست وجدل بامادر پسرا نراهمه بدخواه پدر مى بينم

نسأل الله السلامة والعافية.

﴿**قل للمخلفين من الأعراب**﴾ كرر ذكرهم بهذا العنوان لذمهم مرة بعد أخرى فإن التخلف عن صحبة الرسول عليه السلام شناعة أي شناعة ﴿**ستدعون إلى قوم**﴾ بحرب كروهى ﴿**أولي بأس شديد**﴾ أي: أولي قوة في الحرب وبالفارسية: كروهى بازور سخت. وهم بنو حنيفة كسفينة أبو حي كما في «القاموس» والمراد أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب أو هم غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله والمشركون لقوله تعالى: ﴿**تقاتلونهم أو يسلمون**﴾ استئناف كأنه قيل: لماذا فأجيب ليكون أحد الأمرين إما المقاتلة أبداً أو الإسلام لا غير وأما من عدا المرتدين والمشركين من العرب فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالإسلام يعني أن المراد بقوم أولي بأس شديد هم المرتدون والمشركون مطلقاً سواء كانوا مشركي العرب أو العجم بناء على أن من عدا الطائفتين المذكورتين وهم أهل الكتاب والمجوس ليس الحكم فيهم أن يقتلوا إلى أن يسلموا بل تقبل منهم الجزية بخلاف المرتدين ومشركي العرب والعجم فإنه لا تقبل منهم الجزية بل يقاتلون حتى يسلموا وهذا عند الشافعي وأما عند أبي حنيفة رحمه الله فمشركو العجم تقبل منهم الجزية كما تقبل من أهل الكتاب والمجوس والذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف إنما هم مشركو العرب والمرتدون فقط عنده وفي الآية دليل على إمامة أبي بكر رضي الله عنه إذ لم يتفق دعوة المخلفين إلى قتال أولي البأس الشديد لغيره من الخلفاء وقد

وعدهم الثواب على طاعته وأوعدهم على مخالفته بقوله فإن تطيعوا إلخ ومن أوجب الله طاعته يكون إماماً حقاً فيكون أبو بكر إماماً حقاً إلا إذا ثبت أن المراد بأولي البأس أهل حنين وهم ثقيف وهوازن فلا دلالة للآية حينئذ على إمامة أبي بكر لأن الدعوة إلى قتالهم كانت في حياته عليه السلام لأنه غزاهم عقيب فتح مكة فيكون المخلفون ممنوعين من خيبر مدعوين إلى قتال أهل حنين أي: فيخص دوام نفي الاتباع بما فيه غزوة خيبر كما قال محيي السنة وقيل: هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فإن الروم نصارى وفارس مجوس تقبل منهم الجزية فتكون الآية دليلاً على إمامة عمر رضي الله عنه لأنه هو الذي قاتلهم ودعا الناس إلى قتالهم **﴿فإن تطيعوا﴾** پس اكر فرمان بريد كسى راكه خواننده شماست بقتال آن كروه **﴿يؤتكم الله﴾** بدهد شمارا خداى **﴿أجراً حسناً﴾** هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة **﴿وإن تتولوا﴾** أي: تعرضوا عن الدعوة وبالفارسية واكر روى بكردانيد وپشت بر داعى كنيد **﴿كما توليتم من قبل﴾** في الحديبية **﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾** لتضاعف جرمكم وبيان المقام أنه عليه السلام لما قال لهم لن تتبعونا دعت الحاجة إلى بيان قبول توبة من رجع منهم عن النفاق فجعل تعالى لهذا القبول علامة وهو أنهم يدعون بعد وفاته عليه السلام إلى محاربة قوم أولي قوة في الحرب فمن أجاب منهم دعوة إمام ذلك الزمان وحاربهم فإنه يقبل توبته ويعطى الأجر الحسن فلولا هذا الامتحان لاستمر حالهم على النفاق كما استمرت حالة ثعلبة عليه فإنه قد امتنع من أداء الزكاة ثم أتى بها ولم يقبل منه النبي عليه السلام واستمر عليه الحال ولم يقبل منه أحد من الصحابة فلعله تعالى علم من ثعلبة أن حاله لا تتغير فلم يبين لتوبته علامة وعلم من أحوال الأعراب أنها تتغير فبين لتغيرها علامة.

وقال بعضهم: إن عثمان رضي الله عنه قد قبل من ثعلبة وهو مجتهد معذور في ذلك ولعله وقف على إخلاصه والعلم عند الله تعالى ولما حكم داود وسليمان عليهما السلام في الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم والنفش الرعي بالليل فحكم داود بشيء وحكم سليمان بأمر آخر وقال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩] فأخذنا من هنا وأمثاله أن كل مجتهد مصيب وإن لم يكن نصاً في الباب قال بعضهم: لا تنكروا على أحد حاله ولا لباسه ولا طعامه ولا غير ذلك إلا بإجازة الشرع وسلموا لكل أحد حاله وما هو فيه ففيهم سائحون وتائبون وعابدون وحامدون وساجدون ومسبحون ومستغفرون ومحققون فقد يكون الإنكار سبب الإيحاش والوحشة سبب انقطاعهم عن باب الخالق ويرحم البعض بالبعض.

قال الحافظ:

عيب رندان مكن اى زاهد پاكيزه سرشت ... كه كناه دكران بر تونخوا هند نوشت
من اكرنيكم وكربد توبرو خودرا باش ... هركسى آن درود عاقبت كاركه كشت
نااميدم مكن از سابقه لطف ازل ... توچه دانى كه پس پرده كه خوبست كه زشت
بر عمل تكيه مكن زانكه دران روز ازل ... توچه دانى قلم صنع بنامت چه نوشت

وفي الآية إشارة إلى أن النفوس المتخلفة عن الطاعات والعبادات من الفرائض والنوافل لو دعيت إلى الجهاد في سبيل الله أو الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس والشيطان والدنيا تقاتلونهم بنهي النفس عن الهوى وترك الدنيا وزينتها فإن أجابوا وأطاعوا فقد استوجبوا الأجر الحسن وإن أعرضوا عن الطاعات والعبادات يعذبهم الله بعذاب أليم يتألمون به في الدنيا والآخرة.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

﴿**ليس على الأعمى**﴾ لما وعد على التخلف نفى الحرج عن الضعفاء والمعذورين فقال: ليس على الأعمى وهو فاقد البصر ﴿**حرج**﴾ إثم في التخلف عن الغزو لأنه كالطائر المقصوص الجناح لا يمتنع على من قصده والتكليف يدور على الاستطاعة وأصل الحرج والحراج مجتمع الشيء كالشجر وتصور منه ضيق ما بينهما فقيل للضيق حرج وللإثم حرج ﴿**ولا على الأعرج حرج**﴾ لما به من العلة اللازمة إحدى الرجلين أو كلتيهما وقد سقط عمن ليس له رجلان غسلهما في الوضوء فكيف بالجهاد والأعرج بالفارسية لنك. من العروج لأن الأعرج ذاهب في صعود بعد هبوط وعرج كفرح إذا صار ذلك خلقة له وقيل للضبع عرجاء لكونها في خلقتها ذات عرج وعرج كدخل ارتقى وأصابه شيء في رجليه فمشى مشي العارج أي: الذاهب في صعود وليس ذلك بخلقة أو يثلث في غير الخلقة كما في «القاموس» ﴿**ولا على المريض حرج**﴾ لأنه لا قوة به وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بأمرهم وتوسيع لدائرة الرخصة ﴿**ومن**﴾ وهركه ﴿**يطع الله ورسوله**﴾ أي: فيما ذكر من الأوامر والنواهي في السر والعلانية ﴿**يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ قال بعض الكبار: إنما سميت الجنة جنة لأنها ستر بينك وبين الحق تعالى وحجاب فإنها محل شهوات الأنفس وإذا أراد أن يريك ذاتك حجبك عن شهوتك ورفع عن عينيك سترها فغبت عن جنتك وأنت فيها ورأيت ربك والحجاب عليك منك فأنت الغمامة على شمسك فاعرف حقيقة نفسك ﴿**ومن يتول**﴾ عن الطاعة وبالفارسية: وهركه اعراض كند از فرمان خدا ورسول ﴿**يعذبه عذاباً أليماً**﴾ لا يقادر قدره وبالفارسية عذابي دردناك كه دردان منقطع نكر ددوالم آن منقضى نشود وآن عذاب حرمانست چه بمخالفت امر خدا از دولت لقامهجور وبنافرمانى رسول از سعادت شفاعت محروم خواهدماند. مسوز آتش محروميم كه هيچ عذاب. زروى سوزو الم چون عذاب، حرمان نيست. وفي الآية إشارة إلى أصحاب الأعذار من أرباب الطلب فمن عرض له مانع يعجزه عن السير بلا عزيمة منه وهمته في الطلب ورغبته في السير وتوجهه إلى الحق باق فلا حرج عليه فيما يعتريه فيكون أجره على الله وذلك قوله تعالى: ﴿**ومن يطع الله ورسوله**﴾ يعني بقدر الاستطاعة يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعني يعرض عن الله وينقض عهد الطلب يعذبه عذاباً أليماً كما قال أوحد المشايخ في وقته أبو عبد الله الشيرازي قدس سره: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: من عرفه طريقاً إلى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم يعذب به أحداً من العالمين وقد قالوا مرتد الطريقة أعظم ذنباً من مرتد الشريعة وقال الجنيد: لو أقبل صديق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فإن ما فاته أكثر مما ناله.

وقال بعضهم في الآية إشارة إلى الأعمى الحقيقي وهو من لا يرى غير الله لا الآخرة التي أشير إليها بالعين اليمنى ولا الدنيا التي أشير إليها بالعين اليسرى وهو معذور باستعمال الرخص والدخول في الرفاهية كما قال بعض الكبار: إن المحقق لا يجوع نفسه إلا اضطراراً سيما إذا كان في مقام الهيبة وكسر الصفات فإنه يكثر أكله لشدة سطوات نيران الحقائق في قلبه بالعظمة وشهودها وهي حالة المقربين ولكن قد يقلل عمداً على قصد المحاق بأهله الأنس بالله فهو

بذلك يجتمع بالسالك انتهى وإلى الأعرج الحقيقي وهو من وصل إلى منزل المشاهدة فضرب بسيوف الوحدة والإطلاق على رجل الاثنينية والتقيد فتعطل آلاته بالفناء فتقاعد هناك وهم الأفراد المشاهدون فلا حرج لهم أن لا ينزلوا إلى مقام المجاهدين أيضاً ومن هنا يعرف سر قولهم الصوفي من لا مذهب له فإن من لا مذهب له لا سير له ومن لا سير له لا يلزم له آلة وإلى المريض الحقيقي وهو الذي أسقمه العشق والمحبة وهو معذور إذا باشر الروحانيات مثل السماع واستعمال الطيب والنظر إلى المستحسنات فإن مداواته أيضاً تكون من قبيل العشق والمحبة لأن العشق أمرضه فيداوى بالعشق أيضاً كما قيل:

تداويت من ليلى بليلى من الهوا كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وقال بعضهم: من كان له عذر في المجاهدة فإن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه فاعرف ذلك.

﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين**﴾ رضى العبد عنْ الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه ورضى الله عن العبد هو أن يراه مؤتمراً لأمره منتهياً عن نهيه وهم الذين ذكر شأن مبايعتهم وكانوا ألفاً وأربعمائة على الصحيح وقيل ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين وبهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقال بعض الكبار: سميت بيعة الرضوان لأن الرضى فناء الإرادة في إرادته تعالى وهو كمال فناء الصفات وذلك أن الذات العلية محتجبة بالصفات والصفات بالأفعال والأفعال بالأكوان والآثار فمن تجلت عليه الأفعال بارتفاع حجب الأكوان توكل ومن تجلت عليه الصفات بارتفاع حجب الأفعال رضي وسلم ومن تجلت عليه الذات بانكشاف حجب الصفات فني في الوحدة فصار موحداً مطلقاً فاعلاً ما فعل وقارئاً ما قرأ ما دام هذا شهوده فتوحيد الأفعال مقدم على توحيد الصفات وتوحيد الصفات مقدم على توحيد الذات وإلى هذه المراتب الثلاث أشار ﷺ بقوله في سجوده: «وأعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك» فاعلم ذلك فإنه من لباب المعرفة ﴿**إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾ منصوب برضي وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به والشجر من النبت ما له ساق والمراد بالشجرة هنا سمرة أي: أم غيلان وهي كثيرة في بوادي الحجاز وقيل سدرة وكان مبايعتهم على أن يقاتلوا قريشاً ولا يفروا وروى علي الموت دونه قال أبو عيسى معنى الحديثين صحيح فبايعه جماعة على الموت أي: لا نزال نقاتلهم بين يديك ما لم نقتل وبايعه آخرون وقالوا: لا نفر. يقول الفقير: عدم الفرار لا يستلزم الموت فلا تعارض [وآن أصحاب را أصحاب الشجرة كويند وكان علامة أصحاب رسول الله معه في الغزاة أن يقول: يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة وآن ساعت كه دست عهد بيعت كرفتند يا رسول فرمان آمد از حق تعالى تادر هاى آسمان بكشادند وفرشتكان از ذروه فلك نظاه كردند واز حق فرمان آمد بطريق مباهات كه أي: مقربان افلاك نظر كنيد بآن كروه كه از بهر اعزاز دين اسلام واعلاى كلمه حق ميكوشند جان بذل كرده وتن سبيل ودل فدا ودر وقت قتال روى نشانه نيزه كرده وسينه سپر ساخته:

شراب ازخون وجام ازكاسه سر بجاى بانك رود آوازاسبان

بجاى دسته كل دشنه وتيغ بجاى قرطه برتن درع وخفتان

[كواه باشيد اى مقربان كه من از ايشان خشنودم ودر قيامت هريكى را ازايشان در امت محمد چندان شفاعت دهم كه ازمن خشنود كردند وازين عهدتا آخر دور هر مؤمنى كه آن بيعت بشنود وبدل بامر ايشان درقبول آن بيعت موافق بود من آن مؤمن راهمان خلعت دهم كه اين مؤمنا نرا دادم].

وعند تلك المبايعة قال لهم رسول الله ﷺ: «أنتم اليوم خير أهل الأرض» واستدل بهذا الحديث على عدم حياة الخضر عليه السلام حينئذ لأنه يلزم أن يكون غير النبي أفضل منه وقد قامت الأدلة الواضحة على ثبوت نبوته كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله.

يقول الفقير: نبوة الخضر منقضية كنبوة عيسى عليهما السلام فعلى تقدير حياته يكون من اتباعه عليه السلام وأمته كما قال عليه السلام: «لو كان أخي موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي» وثبت أن عيسى من أصحابه عليه السلام وعند نزوله في آخر الزمان يكون من أمته فإن قلت بحضور الخضر بين الأصحاب في تلك المبايعة وإن لم يعرفه أحد فالأمر ظاهر وإن قلت بعدم الحضور فلا يلزم رجحان الأصحاب عليه من كل وجه إذ بعض من هو فاضل مفضول من وجه قال في «إنسان العيون»: صارت تلك الشجرة التي وقعت عندها البيعة يقال لها شجرة الرضوان وبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمان خلافته أن ناساً يصلون عندها فتوعدهم وأمر بها فقطعت خوف ظهور البدعة انتهى وروى الإمام النسفي رحمه الله في «التيسير» أنها عميت عليهم من قابل فلم يدروا أين ذهبت.

يقول الفقير: يمكن التوفيق بين الروايتين بأنهم لما عميت عليهم ذهبوا يصلون تحت شجرة على ظن أنها هي شجرة البيعة فأمر عمر رضي الله عنه بقطعها وفي «كشف النور» لابن النابلسي: أما قول بعض المغرورين بأننا نخاف على العوام إذا اعتقدوا ولياً من الأولياء وعظموا قبره والتمسوا البركة والمعونة منه أن يدركهم اعتقاد أن الأولياء تؤثر في الوجود مع الله فيكفرون ويشركون بالله تعالى فننهاهم عن ذلك ونهدم قبور الأولياء ونرفع البنايات الموضوعة عليها ونزيل الستور عنها ونجعل الإهانة للأولياء ظاهراً حتى تعلم العوام الجاهلون أن هؤلاء الأولياء لو كانوا مؤثرين في الوجود مع الله تعالى لدفعوا عن أنفسهم هذه الإهانة التي نفعلها معهم فاعلم أن هذا الصنيع كفر صراح مأخوذ من قول فرعون على ماحكاه الله تعالى لنا في كتابه القديم وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد وكيف يجوز هذا الصنيع من أجل الأمر الموهوم وهو خوف الضلال على العامة انتهى.

يقول الفقير: والتوفيق بين هذا وبين ما فعله عمر رضي الله عنه أن الذي يصح هو اتباع الظن لا الوهم **﴿فعلم ما في قلوبهم﴾** عطف على يبايعونك لما عرفت من أنه بمعنى بايعوك لا على رضى فإن رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما في قلوبهم من الصدق والإخلاص عند مبايعتهم له عليه السلام قال بعضهم: إن من الفرق بين علم الحق وعلم عبيده أن علمهم لم يكن لهم إلا بعد ظهورهم وحصول صورتهم وأما علم الحق تعالى فكان قبل وجود الخلق وبعدهم فليس علمه تعالى بعناية من غيره بخلاف العبد **﴿فأنزل السكينة عليهم﴾** عطف على رضى أي: فأنزل عليه الطمأنينة وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح

قال البقلي في «عرائسه»: رضى الله عنهم في الأزل وسابق علم القدم ويبقى رضاه إلى الأبد لأن رضاه صفته الأزلية الباقية الأبدية لا تتغير بتغير الحدثان ولا بالوقت والزمان ولا بالطاعة والعصيان فإذا هم في اصطفائيته باقون إلى الأبد لا يسقطون من درجاتهم بالزلات ولا بالشرية والشهوات لأن أهل الرضى محروسون برعايته لا يجري عليهم نعوت أهل البعد وصاروا متصفين بوصف رضاه فرضوا عنه كما رضي عنهم وهذا بعد قذف أنوار الأنس في قلوبهم بقوله: ﴿**فأنزل السكينة عليهم**﴾ قال ابن عطاء رضي الله عنهم فأرضاهم وأوصلهم إلى مقام الرضى واليقين والاطمئنان فأنزل سكينته عليهم لتسكن قلوبهم إليه ﴿**وأثابهم**﴾ وپاداش داد ايشانرا فإن الاثابة بالفارسية پاداش دادن. والثواب ما يرجع إلى الإنسان من جزاء عمل يستعمل في الخير والشر لكن الأكثر المتعارف في الخير والإثابة تستعمل في المحبوب وقد قيل ذلك في المكروه نحو فأثابكم غماً بغم على الاستعارة ﴿**فتحاً قريباً**﴾ وهو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية ﴿**ومغانم كثيرة يأخذونها**﴾ أي: وأثابهم مغانم خيبر وكانت ذات عقار وأشجار أخذوها من اليهود مع فتح بلدتهم فقسمت عليهم ﴿**وكان الله عزيزاً**﴾ غالباً ﴿**حكيماً**﴾ مراعياً لمقتضى الحكمة في أحكامه وقضاياه وقال ابن الشيخ حكيماً في أمره حكم لهم بالظفر والغنيمة ولأهل خيبر بالسبي والهزيمة.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿**وعدكم الله مغانم كثيرة**﴾ هي ما يفيئه على المؤمنين إلى يوم القيامة والإفاءة مال كسى غنيمت كردن ﴿**تأخذونها**﴾ في أوقاتها المقدرة لكل واحد منها ﴿**فعجل لكم هذه**﴾ أي: غنائم خيبر ﴿**وكف أيدي الناس عنكم**﴾ أي: أيدي أهل خيبر وهم سبعون ألفاً وحلفاؤهم من بني أسد وغطفان حيث جاؤوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا والحلفاء بالحاء المهملة جمع حليف وهو المعاهد للنصر فإن الحلف العهد بين القوم وقيل أيدي أهل مكة بالصلح وبالفارسية ودست مردمانرا از شما كوتاه كرد. وقال في «المفردات»: الكف كف الناس وهي ما بها يقبض ويبسط وكففته دفعته بالكف وتعورف الكف بالدفع على أي وجه كان بالكف وبغيرها حتى قيل رجل مكفوف لمن قبض بصره قال سعدي المفتي: إن كان نزولها بعد فتح خيبر كما هو الظاهر لا تكون السورة بتمامها نازلة في مرجعه عليه السلام من الحديبية وإن كان قبله على أنها من الإخبار عن الغيب فالإشارة بهذه تنزيل المغانم منزلة الحاضرة المشاهدة والتعبير بالمضي للتحقق. ﴿**ولتكون آية للمؤمنين**﴾ عطف على علة أخرى محذوفة من أحد الفعلين أي: فعجل لكم هذه أو كف أيدي الناس عنكم لتغتنموها ولتكون آية للمؤمنين يعرفون بها صدق الرسول في وعده إياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من الغنائم وفتح مكة وهو دخول المسجد الحرام ويجوز أن تكون الواو اعتراضية على أن تكون اللام متعلقة بمحذوف مؤخر أي: ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف ﴿**ويهديكم**﴾ بتلك الآية ﴿**صراطاً مستقيماً**﴾ هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تأتون وما تذرون وفي الآية إشارة إلى ما وعد الله عباده من المغانم الكثيرة بقوله: ﴿**ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠] فكل واحد

يأخذها بحسب مطمح نظره وعلو همته فمن كانت همته الدنيا فهي له معجلة وما له في الآخرة من خلاق ومن كانت همته الآخرة فله نصيب من حظ الدارين وربما يكف الله أيدي دواعي شهوات النفس عن المؤمنين ليكونوا من أهل الجنة كما قال تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] ولو وكلهم إلى أنفسهم لاتبعوا الشهوات وهي دركات الجحيم إذ حفت النار بالشهوات وفي ترك الدنيا وشهوات النفس آية للمؤمنين حيث يهتدي بعضهم بهدي بعض ويصلون على هذا الصراط المستقيم إلى حضرة ربوبية.

قال الشيخ سعدي:

پي نيك مردان ببايدشتافت هران كين سعادت طلب كردیافت
وليكن تودنبال ديوخسى ندانم كه در صالحان كى رسى
پيمبر كسى راشفاعت كرست كه برجاده شرع پيغمبرست

ثم إن خيبر حصن معروف قرب المدينة على ما في «القاموس» وقال في «إنسان العيون» هو على وزن جعفر سميت باسم رجل من العماليق نزلها يقال له خيبر وهو أخو يثرب الذي سميت باسمه المدينة وفي كلام بعض خيبر بلسان اليهود الحصن ومن ثم قيل لها خيابر لاشتمالها على الحصون وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير بينها وبين المدينة الشريفة ثمانية برد والبريد أربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال.

يقول الفقير: وكل ميلين ساعة واحدة بالساعات النجومية لأنه عد من المدينة إلى قبا ميلان وهي ساعة واحدة فتكون الثمانية البرد ثماني وأربعين ساعة بتلك الساعات وفي «القاموس»: البريد فرسخان واثنا عشر ميلاً انتهى ولما رجع عليه السلام من الحديبية أقام شهراً أي: بقية ذي الحجة وبعض المحرم من سنة سبع ثم خرج إلى خيبر وقد استنفر من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاءه المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال عليه السلام: «لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد أما الغنيمة فلا»، أي: لا تعطون منها شيئاً ثم أمر منادياً ينادي بذلك فنادى به وأمر أيضاً أنه لا يخرج الضعيف ولا من له مركب صعب حتى أن بعضهم خالف هذا الأمر فنفر مركوبه فصرعه فاندقت فخذه فمات فأمر عليه السلام بلالاً رضي الله عنه أن ينادي في الناس «الجنة لا تحل لعاصٍ ثلاثاً» وخرج معه عليه السلام من نسائه أم سلمة رضي الله عنها ولما أشرف على خيبر وكانَ وقت الصبح رأى عمالها وقد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم وهي القفف الكبيرة قالوا: محمد والخميس أي: الجيش العظيم معه قيل له: الخميس لأنه خمسة أقسام: المقدمة والساقة والميمنة والميسرة وهما الجناحان والقلب وأدبروا أي: العمال هرباً إلى حصونهم وكانوا لا يظنون أن رسول الله يغزوهم وكان بها عشرة آلاف مقاتل فقال عليه السلام: «الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧]» وإنما قاله بالوحي كما نطق به قوله تعالى: **﴿فعجل لكم هذه﴾** وابتدأ من حصونهم بحصون النطاة وأمر بقطع نخلها فقطعوا أربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع ومكث عليه السلام سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة فلم يرجع من أعطى له الراية بفتح ثم قال: «لأعطين الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبانه يفتح الله على يديه فتطاولها أبو بكر وعمر وبعض الصحابة من قريش فدعا عليه السلام علياً رضي الله عنه وبه رمد فتفل في عينيه ثم أعطاه الراية وكانت بيضاء مكتوب فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله بالسواد

فقال علي: علام أقاتلهم يا رسول الله؟ قال: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالهم وألبسه عليه السلام درعه الحديد وشد سيفه ذا الفقار في وسطه ووجهه إلى الحصن وقال: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» أي: من الإبل النفيسة التي تصدق بها في سبيل الله فخرج علي رضي الله عنه بالراية يهرول حتى ركزها تحت الحصن فخرج إليه الحارث أخو مرجب وكان معروفاً بالشجاعة فتضاربا فقتله علي وانهزم اليهود إلى الحصن.

صعوه كريا عقاب سازجنك   دهد ازخون خودپرش رارنك

ثم خرج إليه مرحب سيد اليهود وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب   شاكي السلاح البطل المجرب

أي تام السلاح معروف بالشجاعة وقهر الفرسان وارتجز علي رضي الله عنه وقال:

أنا الذي سمتني أمي حيدره   ضرغام آجام وليث قسوره

وضرب علياً فطرح ترسه من يده فتناول علي باباً كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده يقاتل حتى قتل مرحباً وفتح الله عليه الحصن وهو حصن ناعم من حصون النطاة وألقى الباب من يده وراء ظهره ثمانين شبراً وذلك بالقوة القدسية وفيه بيان شجاعة علي حيث قتل شجيعاً بعد شجيع ونعم ما قيل:

كرچله شاطر بود خروس بجنك   چه زند پيش بازروبين چنك

كربه شيرست در كرفتن موش   ليك موشست درمصاف پلنك

ثم انتقل عليه السلام من حصن ناعم إلى حصن العصب من حصون النطاة فأقاموا على محاصرته يومين حتى فتح الله وما بخيبر حصن أكثر طعاماً منه كالشعير السمن والتمر والزيت والشحم والماشية والمتاع ثم انتقلوا إلى حصن قلة وهو حصن بقلة وهو آخر حصون النطاة فقطعوا عنهم ماءهم ففتحه الله ثم سار المسلمون إلى حصار الشق بفتح الشين المعجمة وهو أعرف عند أهل اللغة من الكسر ففتحوا الحصن الأول من حصونه ثم حاصروا حصن البرآء وهو الحصن الثاني من حصني الشق فقاتلوا قتالاً شديداً حتى فتحه الله ثم حاصروا حصون الكثيبة وهي ثلاثة حصون: القموص كصبور والوطيح وسلالم بضم السين المهملة وكان أعظم حصون خيبر القموص وكان منيعاً حاصره المسلمون عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد علي رضي الله عنه ومنه سبيت صفية رضي الله عنها وانتهت المسلمون إلى حصار الوطيح بالحاء المهملة سمي باسم الوطيح بن مارن رجل من اليهود وسلالم آخر حصون خيبر ومكثوا على حصارهما أربعة عشر يوماً وهذان الحصنان فتحا صلحاً لأن أهلهما لما أيقنوا بالهلاك سألوا رسول الله عليه السلام الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم وأن لا يصحب أحد منهم إلا ثوباً واحداً على ظهره فصالحهم عليه ووجدوا في الحصنين المذكورين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها وأشياء أخر غالية القيمة وهي ما في خزانة أبي الحقيق مصغراً وأرسل عليه السلام إلى أهل فدك وهي محركة قرية بخيبر يدعوهم إلى الإسلام ويخوفهم فتصالحوا معه عليه السلام على أن يحقن دماءهم ويخليهم ويخلون بينه وبين الأموال ففعل ذلك رسول الله وقيل تصالحوا معه على أن يكون لهم النصف في الأرض ولرسول الله النصف الآخر وكان فدك الأول

لرسول الله ﷺ وعلى الثاني كان له نصفها لأنه لم تؤخذ بمقاتلة وكان عليه السلام ينفق منها ويعود منها على صغير بني هاشم ويزوج منها أيمهم ولما مات عليه السلام وولي أبو بكر رضي الله عنه الخلافة سألته فاطمة رضي الله عنها أن يجعل فدك أو نصفها لها فأبى وروي لها أنه عليه السلام قال: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث» أي: لا نكون مورثين «ما تركناه صدقة» أي: على المسلمين ثم إن النبي عليه السلام أمر بالغنائم التي غنمت قبل الصلح فجمعت وأصاب رسول الله ﷺ سبايا منها صفية بنت ملكهم حي بن أخطب من سبط هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام فهداها الله فأسلمت ثم أعتقها رسول الله وتزوجها وكانت رأت أن القمر وقع في حجرها فكان ذلك رسول الله وجعل وليمتها حيساً في نطع الحيس تمر وأقط وسمن ودخل بها رسول الله في منزل الصهباء في العود والصهباء موضع قرب خيبر كما في «القاموس» وبات تلك الليلة أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه متوشحاً سيفه يحرسه ويطوف حول قبته حتى أصبح رسول الله فرأى مكان أبي أيوب فقال مالك: يا أبا أيوب قال: يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة قتلت أباها وزوجها وقومها وهي حديثة عهد بجاهلية فبت أحفظك فقال عليه السلام: «اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني» قال السهيلي رحمه الله: فحرس الله تعالى أبا أيوب بهذه الدعوة حتى أن الروم لتحرس قبره ويستسقون به فيسقون فإنه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمسين فلما بلغوا القسطنطينية مات أبو أيوب هناك فأوصى يزيد أن يدفنه في أقرب موضع من مدينة الروم فركب المسلمون ومشوا به حتى إذا لم يجدوا مساغاً دفنوه فسألتهم الروم عن شأنهم فأخبروهم أنه كبير من أكابر المسلمين الصحابة فقالت ليزيد: ما أحمقك وأحمق من أرسلك آمنت أن ننبشه بعدك فنخرق عظامه فحلف لهم يزيد لئن فعلوا ذلك ليهدمن كل كنيسة بأرض العرب وينبش قبورهم فحينئذ حلفوا له بنبيهم ليكرمن قبره وليحرسنه ما استطاعوا.

وقال صاحب «روضة الأخبار»: مات أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه بالقسطنطينية سنة إحدى وخمسين مرابطاً مع يزيد بن معاوية مرض فلما ثقل مرضه قال لأصحابه: إذا أنا مت فاحملوني فإذا صافقتم العدو فادفنوني تحت أقدامكم ففعلوا وقبره قريب من سورها معروف معظم وكان الروم يتعاهدون قبره ويستشفون به انتهى.

يقول الفقير: ثبت أن قبر أبي أيوب إنما تعين بإشارة الشيخ الشهير بآق شمس الدين قدس سره وقد كان مع الفاتح السلطان محمد العثماني في زمان الفتح وهذا يقتضي أن يكون محل قبره المنيف مندرساً بمرور الأيام ولنعد إلى تمام القصة ونهى النبي عليه السلام عن إتيان الحبالى حتى تضع وعن غير الحبالى حتى تستبرأ بحيضة ونهى عن إتيان المسجد لمن أكل الثوم والبصل وعن بعضهم ما أكل نبي قط ثوماً ولا بصلاً.

يقول الفقير: يدخل فيه الدخان الشائع شربه في هذا الزمان بل رائحته أكره من رائحة الثوم والبصل فإذا كان دخول المسجد ممنوعاً مع رائحتهما دفعاً لأذى الناس والملائكة فمع رائحة الدخان أولى وظاهر أن الثوم والبصل من جنس الأغذية ولا كذلك الدخان ومحافظة المزاج بشربه إنما عرفت بعد الإدمان المولد للأمراض الهائلة فليس لشاربه دليل في ذلك أصلاً فكما أن شرب الخمر ممنوع أولاً وآخراً حتى لو تاب منها ومرض لا يجوز أن يشربها ولو مات من ذلك المرض يؤجر ولا يأثم فكذا شرب الدخان وليس استطابته إلا من خباثة الطبع فإن

الطباع السليمة تستقذره لا محالة فتب إلى الله وعد حتى لا يراك حيث نهاك ووقت عليه السلام قص الشارب وتقليم الأظفار واستعمال النورة بأن لا يترك ذلك أربعين يوماً وقدم عليه ﷺ بعد فتح خيبر ابن عمه جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة وقد كان هاجر إليها معه الأشعريون فقام عليه السلام إلى جعفر وقبله بين عينيه واعتنقه وقال: «والله ما أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر» وليس حديث القيام معارضاً لحديث: «من سره أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار» لأن هذا الوعيد إنما توجه للمتكبرين ولمن يغضب أن لا يقام له وكأن من جملة من قدم معهم من الحبشة أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي عليه السلام وذلك أن أم حبيبة كانت ممن هاجر إلى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش فارتد عن الإسلام هناك وتنصر ومات على ذلك وبقيت هي على إسلامها ورأت في المنام كأن قائلاً يقول لها: «يا أم المؤمنين فعلمت بأن رسول الله يتزوجها فأرسل عليه السلام في المحرم افتتاح سنة سبع إلى النجاشي بالتخفيف ملك الحبشة وكان مؤمناً ليزوجها منه عليه السلام فزوجها وأصدقها أربعمائة دينار ولما قدم رسول الله خيبر كان الثمر أخضر فأكثر الصحابة من أكله فأصابتهم الحمى فشكوا ذلك إلى رسول الله فقال: «بردوا لها الماء في الشنان» أي: في القرب «ثم صبوا منه عليكم بين أذاني الفجر واذكروا اسم الله عليه ففعلوا فذهبت عنهم» وفي هذه الغزوة أراد عليه السلام أن يتبرز فأمر إلى شجرتين متباعدتين حتى اجتمعتا فاستتر بهما ثم قام فانطلقت كل واحدة إلى مكانها وفي خيبر كان أكله من الشاة المسمومة وذلك أن زينب ابنة الحارث أخت مرحب سمتها وأكثرت في الذراعين والكتف لما عرفت أنه عليه السلام كان يحب الذراع والكتف لكونهما أبعد من الأذى وأهدتها له عليه السلام وكان قد صلى المغرب بالناس فلما انتهش من الذراع وازدرد لقمة ازدرد بشر ما في فيه ومات من أكل معه وهو بشر بن البراء واحتجم رسول الله بين الكتفين في ثلاثة مواضع وقال: «الحجامة في الرأس هي المعينة أمرني بها جبرائيل حين أكلت طعام اليهودية» وقد احتجم في غير هذه الواقعة مراراً واحتجم وسط رأسه وكان يسميها منقذاً وذلك أنه لما سحره اليهودي ووصل المرض إلى الذات المقدسة أمر بالحجامة على قبة رأسه المباركة واستعمال الحجامة في كل متضرر بالسحر غاية الحكمة ونهاية حسن المعالجة وفي الحديث: «الحجامة في الرأس شفاء من سبع من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها في عينيه» والحجامة في البلاد الحارة أنفع من الفصد والأولى أن تكون في الربع الثالث من الشهر لأنه وقت هيجان الدم وعن أبي هريرة مرفوعاً «من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين كانت شفاء من كل داء» والحجامة على الريق دواء وعلى الشبع داء ويكره في الأربعاء والسبت ثم أرسل رسول الله إلى تلك اليهودية فقال: أسممت هذه الشاة فقالت: من أخبرك؟ قال: أخبرتني هذه التي في يدي أي: الذراع قالت: نعم قال: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: قتلت أبي وعمي وزوجي ونلت من قومي ما نلت فقلت: إن كان ملكاً استرحنا منه وإن كان نبياً فسيخبر فعفا عنها».

زخوان معجزا وكرنوا له طلبي حديث بره برياشنوكه ما حضرست

فلما مات بشر أمر بها فقتلت وصلبت وفي الإحياء أطعم عليه السلام السم فمات الذي أكل معه وعاش هو عليه السلام بعده أربع سنين انتهى.

قال الشيخ الشهير بأفتاده قدس سره: إنما لم يؤثر السم في عمر حين جاء من قيصر لأنه

رضي الله عنه إنما شرب بحقيقته لا ببشريته وإنما أثر في النبي عليه السلام بعد تنزله إلى حالة بشريته وذلك إرشاده عليه السلام وإن كان في عالم التنزل غير أن تنزله كان في مرتبة الروح وهي أعدل المراتب فلم يؤثر فيه حتى مضى عليه اثنتا عشرة سنة فلما احتضر عليه السلام تنزل إلى أدنى المراتب لأن الموت إنما يجري على البشرية فلما تنزل إلى تلك المرتبة أثر فيه انتهى فانتقل عليه السلام من الدنيا بالشهادة فأحرز جميع المراتب من النبوة والرسالة والصديقية والشهادة.

يقول الفقير: قوله اثنتا عشرة سنة وهكذا قال صاحب «**المحمدية**» وهو مخالف لما سبق عن «**الإحياء**»، والحق ما في «**الإحياء**» لأن قصة السم كانت في خيبر وقصة خيبر في السنة السابعة من الهجرة فغير هذا وجهه غير ظاهر كما لا يخفى ولما كان زمان خلافة عمر رضي الله عنه ظهر خيانة أهل خيبر فأجلى يهود فدك ونصارى نجران لأنه عليه السلام قال: «لا يبقى دينان في جزيرة العرب» وجزيرة العرب ما أحاط به بحر الهند وبحر الشام ثم دجلة والفرات أو ما بين عدن أبين إلى أطراف الشام طولاً ومن جدة إلى ريف العراق عرضاً كما في «القاموس».

﴿وأخرى﴾ عطف على هذه أي: فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى **﴿لم تقدروا عليها﴾** وهي مغانم هوازن في غزوة حنين فإنهم لم يقدروا عليها إلى عام الحديبية وإنما قدروا عليها عقيب فتح مكة ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة أي: من تكرار الهزيمة والرجوع إلى القتال قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها يقال جال القوم جولة انكشفوا ثم كروا **﴿قد أحاط الله بها﴾** صفة أخرى لأخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة إلى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة مثالها بالنظر إلى قدرتهم أي: قد قدر الله عليها واستولى وأظهركم عليها وقيل: حفظها عليكم لفتحكم ومنعها من غيركم يعني جميع فتوح المسلمين قال ابن عباس رضي الله عنهما ومنه فتح قسطنطينية وورومية وعمورية ومدائن فارس والروم والشام أما قسطنطينية فمشهورة وهي الآن دار السلطنة للسلاطين العثمانية وأما رومية ويقال لها رومية الكبرى فمدينة عظيمة من مدن الروم مثل قسطنطينية وأما عمورية بفتح العين المهملة وضم الميم المشددة وبالراء فقد قال الإمام اليافعي في «**المرآة**» هي التي يسميها أهل الروم انكورية وهي مدينة كبيرة كانت مقر ملوكهم فتحها المعتصم بالله قال الراغب: الإحاطة على وجهين أحدهما في الأجسام نحو أحطت بمكان كذا وتستعمل في الحفظ نحو كان الله بكل شيء محيطاً أي: حافظاً له في جميع جهاته وتستعمل في المنع نحو إلا أن يحاط بكم أي: إلا أن تمنعوا والثاني في العلم نحو أحاط بكل شيء علماً فالإحاطة بالشيء علماً هو أن يعلم وجوده وجنسه وقدره وكيفيته وغرضه المقصود به وبإيجاده وما يكون به ومنه وذلك ليس يكون إلا لله وقال: بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فنفى عنهم ذلك **﴿وكان الله على كل شيء قديراً﴾** لأن قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون شيء أي: منتهية عنده غير متجاوزة عنه لأن علتها لا تنتهي فتأمل.

اعلم أن المغازي غزوة حنين وهو اسم موضع قريب من الطائف ويقال لها لغزوة حنين غزوة هوازن ويقال لها غزوة أوطاس باسم الموضع الذي كانت به الواقعة في آخر الأمر وسببها أنه لما فتح الله على رسوله مكة أطاعت له قبائل العرب إلا هوازن وثقيفاً فإن أهلهما كانوا طغاة

مردة فاجتمعوا إلى حنين فلما وصل خبرهم إلى رسول الله عليه السلام تبسم وقال: «تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله تعالى» فأجمع على السير إلى هوازن وخرج في اثني عشر ألفاً فلما قربوا من محل العدو صفهم وأعطى لواء المهاجرين علياً رضي الله عنه ولواء الخزرج الحباب بن المنذر رضي الله عنه ولواء الأوس أسيد بن حضير رضي الله عنه وركب عليه السلام بغلته الشهباء التي يقال لها فضة قد أهداها له صاحب البلقاء وقيل هي دلدل التي أهداها له المقوقس ولبس درعين والمغفر والدرعان هما ذات الفضول والسغدية بالسين المهملة والغين المعجمة وهي درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت فلما كان بحنين وذلك عند غبش الصبح أي: ظلمته وانحدروا في الوادي خرج عليهم القوم وكانوا كمنوا لهم في شعاب الوادي ومضايقه فحملوا عليهم حملة رجل واحد ورموهم بالنبل وكانوا رماة لا يسقط لهم سهم فأخذ المسلمون راجعين منهزمين لا يلوي أحد على أحد وانحاز رسول الله ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس وابنه الفضل فقال عليه السلام: «يا عباس اصرخ يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة» يعني: الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان وكان صيحاً يسمع صوته من ثمانية أميال فأجابوا لبيك لبيك حتى انتهى إليه جمع فاقتتلوا ثم «قبض عليه السلام قبضة من تراب واستقبل بها وجوههم فقال: شاهت الوجوه حم لا ينصرون انهزموا ورب محمد» ورماهم بالتراب فملئت أعينهم من التراب فولوا مدبرين فتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ولما انهزم القوم عسكر بعضهم بأوطاس فبعث النبي عليه السلام في آثارهم أبا عامر الأشعري رضي الله عنه ورجع رسول الله إلى معسكره يمشي في المسلمين ويقول: «من يدلني على رجل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد أسند إلى مؤخرة رحله لأنه أثقل بالجراحة فتفل عليه السلام في جرحه فبرىء» وأمر عليه السلام بالسبي والغنائم أن تجمع فجمع ذلك كله وأخذوه إلى الجعرانة بالكسر والعين المهملة موضع بين مكة والطائف سمي بريطة بنت سعد وكانت تلقب بالجعرانة وهي المرادة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا﴾ [النحل: ٩٢] وكان بها إلى أن انصرف رسول الله من غزوة الطائف ثم لما أتاها قسم تلك الغنائم وكان السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرين ألفاً والغنم أكثر من أربعين ألفاً والفضة أربعة آلاف أوقية وأحرم من الجعرانة بعمرة بعد أن أقام بها ثلاث عشرة ليلة وقال: «اعتمر منها سبعون نبياً» وقد اعتمر عليه السلام بعد الهجرة أربع عمر أولاها: عمرة الحديبية والثانية: عمرة القضاء من العام المقبل والثالثة: عمرة الجعرانة والرابعة: عمرته عليه السلام مع حجة الوداع وباقي البيان في غزوة حنين وما يتصل بها قد سبق في أوائل التوبة عند قوله: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٢٥] إلخ.

﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ أي: أهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر من بني أسد وغطفان **﴿لولوا الأدبار﴾** أي: لانهزموا ولم يكن قتال وبالفارسية هر آينه بر كردانيدندى پشتهارا بكريز يعني هزيمت كردندى. فإن تولية الأدبار كناية عن الانهزام وكذا في الفارسية كما قال. آن نه من باشم كه روز جنك بيني پشت من. ودبر الشيء خلاف القبل كالظهر والخلف **﴿ثم لا يجدون ولياً﴾** يحرسهم **﴿ولا نصيراً﴾** ينصرهم.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

﴿سنة الله التي قد خلت من قبل﴾ أي: سن الله غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن خلا ومضى من الأمم وهو قوله ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١] فسنة الله مصدر مؤكد لفعله المحذوف **﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾** أي: تغييراً بنقل الغلبة من الأنبياء إلى غيرهم:

محالست چون دوست داردترا ... كه دردست دشمن كذا ردترا

هرچه در ازل مقر رشده لا محاله كائن خواهد شد ودست تصرف هيچكس رقم تغيير وتبديل بر صفحات آن نخواهد كشيد:

تغيير بحكم ازلي راه نيابد ... تبديل بفرمان قضا كار ندارد

در دائرة أمركم وبيش نكنجد ... باسر قدر جون وچرا كارندارد

وفي الآية إشارة إلى مقاتلة النفوس المتمردة فالله تعالى ناصر السالكين على قتال النفوس وقد قدر النصرة في الأزل فلا تبديل لها إلى الأبد فالمنصور من نصره الله والمقهور من قهره الله ونصرة الله على أنواع فمنها نصرة في الظالم فعن بعضهم كنا في المدينة نتكلم في بعض الأوقات في آيات الله تعالى المنعم بها على أوليائه وكان رجل ضرير بالقرب منا يسمع ما نقول فتقدم إلينا وقال: أنست بكلامكم اعلموا أنه كان لي عيال وأطفال فخرجت إلى البقيع احتطب فرأيت شاباً عليه قميص كتان ونعله في أصبعه فتوهمت أنه تائه فقصدت أن أسلبه ثوبه فقلت له: انزع ما عليك فقال لي: مر في حفظ فقلت له الثانية والثالثة فقال ولا بد قلت: ولا بد فأشار بأصبعيه إلى عيني فسقطتا فقلت: بالله عليك من أنت فقال: أنا ابراهيم الخواص وإنما دعا إبراهيم الخواص على اللص بالعمى ودعا ابراهيم بن أدهم للذي ضربه بالجنة لأن الخواص شهد من اللص أنه لا يتوب إلا بعد العقوبة فرأى العقوبة أصلح له وابن أدهم لم يشهد توبة الضارب في عقوبته فتفضل عليه بالدعاء له فتوة منه وكرماً فحصلت البركة والخير بدعائه للضارب فجاءه مستغفراً معتذراً فقال له إبراهيم: الرأس الذي يحتاج إلى الاعتذار تركته ببلخ يعني أن نخوة الشرف وكبر الرياسة الواقعة في رأسي حين كنت ببلخ قد استبدلت بها تواضع المسكنة والانكسار ومنها نصرة في الباطن فعن أحمد بن أبي الحواري رحمه الله قال: كنت مع أبي سليمان الداراني قدس سره في طريق مكة فسقطت مني السطيحة أي: المزادة فأخبرت أبا سليمان بذلك فقال: يا راد الضالة فلم ألبث حتى أتى رجل يقول: من سقطت منه سطيحته فإذا هي سطيحتي فأخذتها فقال أبو سليمان: حسبت أن يتركنا بلا ماء يا أحمد فمشينا قليلاً وكان برد شديد وعلينا الفراء فرأينا رجلاً عليه طمران رثان وهو يترشح فقال له أبو سليمان: نواسيك ببعض ما علينا فقال الحر والبرد خلقان من خلق الله تعالى إن أمرهما غشياني وإن أمرهما تركاني وأنا أسير في هذه البادية منذ ثلاثين سنة ما ارتعدت ولا انتفضت يلبسني فيحاً من محبته في الشتاء ويلبسني في الصيف مذاق برد محبته:

جمعى كه پشت كرم بعشق نيند ... ناز سمور ومنت سنجاب مى كشند

يا داراني تشير إلى ثوب وتدع الزهد تجد البرد ياداراني تبكي وتصيح وتستريح إلى الترويح فمضى أبو سليمان وقال: لم يعرفني غيره قيل في هذه الحكاية ما معناه أنه لما حقق

الله يقين أبي سليمان في رد السطيحة صانه من العجب بما رآه من حال هذا الرجل حتى صغر في عينيه حال نفسه وتلك سنة الله في أوليائه يصونهم من ملاحظة الأعمال ويصغر في أعينهم ما يصفو لهم من الأحوال وينصرهم في تذكية نفوسهم عن سفساف الأخلاق رضي الله عنهم ونفعنا بهم وسلك بنا مسالك طريقتهم إنه هو الكريم المحسان.

﴿وهو الذي كف أيديهم﴾ أي: أيدي كفار مكة **﴿عنكم﴾** أي: بأن حملهم على الفرار منكم مع كثرة عددهم وكونهم في بلادهم بصدد الذب عن أهليهم وأولادهم **﴿وأيديكم عنهم﴾** بأن حملكم على الرجوع عنهم وتركهم **﴿ببطن مكة﴾** أي: في داخلها **﴿من بعد أن أظفركم﴾** أي: جعلكم ظافرين غالبين **﴿عليهم﴾** وبالفارسية: پس ازانكه ظفر داد شمار او غالب ساخت.

مع أن العادة المستمرة فيمن ظفر بعدوه أن لا يتركه بل يستأصله، والظفر الفوز وأصله من ظفر، أي: نشب ظفره وذلك أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة إلى الحديبية فبعث رسول الله عليه السلام خالد بن الوليد على جند وسماه يومئذ سيف الله فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد ذكره الطبراني وابن أبي حاتم في «**تفسيريهما**» قال سعدي المفتي: لم يصح هذا والمذكور في كتب السير وغيرها من الصحاح أن خالد بن الوليد كان يوم الحديبية طليعة للمشركين أرسلوه في مائتي فارس فدنا في خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله فأمر رسول الله عباد بن بشر رضي الله عنه فتقدم في خيله فقام بإزائه وصف أصحابه وحانت العصر فصلى رسول الله بأصحابه صلاة الخوف فكيف يصح ما ذكره وقد صح أن إسلام خالد بن الوليد كان بعد الحديبية في السنة الثامنة أو قبلها انتهى وكذا قال في «إنسان العيون» خالد بن الوليد أسلم بعد وقعة الحديبية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى أظهر المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت يعني أن جماعة من أهل مكة خرجوا يوم الحديبية يرمون المسلمين فرماهم المسلمون بالحجارة حتى أدخلوهم بيوت مكة فلما كان الكف عن الوجه المذكور في غاية البعد قال تعالى وهو الذي إلخ على طريق الحصر استشهاداً به على ما تقدم من قوله ولو قاتلكم إلخ أو هم ثمانون رجلاً طلعوا على رسول الله من قبل التنعيم عند صلاة الصبح ليأخذوه بغتة ويقتلوا الأصحاب فأخذهم رسول الله فخلى سبيلهم فيكون المراد ببطن مكة وادي الحديبية لأن بعضها من الحرم وفي «المفردات»: أصل البطن الجارحة ويقال للجهة السفلى بطن وللجهة العليا ظهر وبه شبه بطن الأمر وبطن الوادي والبطن من العرب اعتباراً بأنهم شخص واحد فإن كل قبيلة منهم كعضو بطن وفخد وكاهل انتهى.

يقول الفقير: لا شك أن وادي الحديبية واقع في الجهة السفلى من مكة لأنه في جانب جدة المحروسة فيكون المراد بالبطن تلك الجهة لا داخل مكة والمعنى والله تعالى أعلم أن الله هو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم من الحديبية التي هي الجهة السفلى من مكة من بعد أن أقدركم عليهم بحيث لو قاتلتموهم غلبتهم عليهم بإذنه تعالى على ما كان في علمه كما قال ولو قاتلكم إلخ وسيأتي سر الكف في الآية التي تلي هذه **﴿وكان الله بما تعملون﴾** من مقاتلتكم وهزمكم إياهم أولاً طاعة لرسوله وكفكم عنهم ثانياً لتعظيم بيته الحرام وصيانة أهل الإسلام **﴿بصيراً﴾** عالماً لا يخفى عليه شيء فيجازيكم بذلك وقال بعض العلماء **﴿من بعد أن أظفركم عليهم﴾** يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن مكة فتحت عنوة لا صلحاً وأما أن

السورة نزلت قبله فلا يخالف لأنه من الإخبار عن الغيب كقوله: إنا فتحنا لك نعم يرد عليه منع دلالته على العنوة فقد يكون الظفر على البلد بالصلح وكذلك قال الزمخشري في أول السورة الفتح الظفر بالبلد عنوة أو صلحاً بحرب أو بغير حرب كما في «**حواشي سعدي المفتي**» وقال في «بحر العلوم»: ويدل على أنها فتحت عنوة قوله تعالى: ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾ لأن لفظ الفتح إذا ورد مطلقاً لا يقع إلا على ما فتح عنوة انتهى.

يقول الفقير: هذا ليس من قبيل الفتح المطلق ولو سلم فالفتح المطلق لا يدل عليه ولذا قارنه تعالى بالنصرة في سورة النصر فإن النصر يقتضي القهارية لا الفتح وقال في «عين المعاني»: وقد فتحت صلحاً عند الشافعي قلنا بل عنوة لقوله عليه السلام لأصحابه: «احصدوهم بالسيف حصداً» إلا أنه لم يضع الجزية على أهلها ولا الخراج على أراضيها كما هو مذهبنا فيما يفتح عنوة لأن مشركي العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف عندنا وأما سواد الكوفة أرض العجم انتهى وقصة فتح مكة على الإجمال أن الفتح كان في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة وكان السبب في ذلك نقض عهد وقع من جانب قريش وذلك أن شخصاً من بني بكر هجا رسول الله ﷺ وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة وكانوا مسلمين فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين وأمد قريش لبني بكر على خزاعة فبيتوا خزاعة أي: أتوهم ليلاً على غفلة فقتلوا منهم عشرين ولم يكن ذلك برأي أبي سفيان رئيس قريش وعند ما بلغه الخبر قال حدثتني زوجتي هند أنها رأت رؤيا كرهتها رأت دماً أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة بالخاء المعجمة جبل بمكة والحجون بالحاء المهملة جبل بمعلاة مكة وقال: والله ليغزونا محمد فكره القوم ذلك وخرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم المدينة وقص على رسول الله القصة فقال عليه السلام: «نصرت يا عمرو بن سالم» ودمعت عينا رسول الله وكان يقول: «خزاعة مني وأنا منهم» قالت عائشة رضي الله عنها: أترى قريشاً تجترىء على نقض العهد الذي بينك وبينهم فقال عليه السلام: «ينقضون العهد لأمر يريده الله» فقلت: «خير» قال: خير ولما ندمت قريش على نقض العهد أرسلوا أبا سفيان ليشدّ العقد ويزيد في المدة فقال عليه السلام: «نحن على مدتنا وصلحنا» ولم يقبل ذلك من أبي سفيان ولا أحد من أصحابه فرجع إلى مكة وأخبر القصة وقال: والله قد أبى علي وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له ثم إن رسول الله تشاور مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في السير في مكة وأخفى الأمر عن غيرهما فقال أبو بكر هم قومك يا رسول الله فأشار إلى عدم السير وحضه عمر حيث قال: هم رأس الكفرة زعموا أنك ساحر وأنك كذاب وذكر له كل سوء كانوا يقولونه وأيم الله لا تذل العرب حتى تذل أهل مكة فعند ذلك ذكر عليه السلام أن أبا بكر كإبراهيم وكان في الله ألين من اللبن وأن عمر كنوح وكان في الله أشد من الحجر» وأن الأمر أمر عمر وأشار عليه السلام بطي السر وأمر أصحابه بالجهاز وأرسل إلى أهل البادية ومن حوله من المسلمين في كل ناحية يقول لهم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة ولما قدموا قال عليه السلام: «اللهم خذ العيون والأخبار من قريش حتى نبغتها في بلادها» ثم مضى لسفره لعشر خلون من رمضان أو غير ذلك وكان العسكر عشرة آلاف فيهم المهاجرون والأنصار جميعاً وأفطر عليه السلام في هذا السفر بالكديد وهو كأمير محل بين عسفان وقديد كزبير مصغراً وأمر بالإفطار وعد مخالفته في ذلك عصياناً لحرارة الهواء ولما فيه من القوة على

مقاتلة العدو وفي قديد عقد عليه السلام الألوية والرايات ودفعها للقبائل ثم سار حتى مر بمر الظهران وهو موضع على مرحلة من مكة وقد أعمى الله الأخبار عن قريش إجابة لدعائه فلم يعلموا بوصوله وكان ذلك منه عليه السلام شفقة على قريش حتى لا يضنوا بالمقاتلة وأمر عليه السلام أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان العباس عم النبي عليه السلام قد خرج قبل ذلك بعياله مسلماً أي: مظهراً للإسلام مهاجراً فلقي رسول الله بالجحفة وهو بتقديم الجيم ميقات أهل الشأم فرجع معه إلى مكة وأرسل أهله وثقله إلى المدينة وقال له عليه السلام: «هجرتك يا عم آخر هجرة كما أن نبوتي آخر نبوة» وبعث قريش أبا سفيان يتجسس الأخبار وقالوا: إن لقيت محمداً فخذ لنا منه أماناً فلما وصل إلى مر الظهران ليلاً قال: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً هذا كنيران عرفة وكان بينه وبين العباس مصادقة فلما لقيه أخذ بيده وذهب به إلى رسول الله ليأخذ منه أماناً له فلما أتاه قال عليه السلام: اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فائتني به فلما أتى به عرض النبي عليه السلام عليه الإسلام فتوقف فقال العباس له: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك فهداه الله فشهد شهادة الحق فأسلم ثم قال: يا رسول الله أرأيت إن اعتزلت قريش فكفت أيديها آمنون هم قال عليه السلام: نعم من كف يده وأغلق داره فهو آمن فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئاً قال: «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام وهو من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام فهو آمن» وعقد عليه السلام لأبي رويحة الذي آخى بينه وبين بلال رضي الله عنه لواء وأمره أن ينادي: «من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن» وذلك توسعة للأمان لضيق المسجد ودار أبي سفيان واستثنى عليه السلام جماعة من النساء والرجال أمر بقتلهم وإن وجدوا متعلقين بأستار الكعبة منهم ابن خطل ونجوه لأن الكعبة لا تعيذ عاصياً ولا تمنع من إقامة حد واجب وكانوا طغاة مردة مؤذين لرسول الله عليه السلام أشد الأذى فعفا عمن آمن وقتل من أصر وقال عليه السلام للعباس: احبس أبا سفيان في مضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها فأول من مر خالد بن الوليد في بني سليم مصغراً ثم قبيلة بعد قبيلة براياتهم حتى مر رسول الله ومعه المهاجرون والأنصار وعمر رضي الله عنه يقول: رويداً حتى يلحق أولكم آخركم قال أبو سفيان: سبحان الله يا عباس من هؤلاء فقال: هذا رسول الله في الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية ثم نزعت منه وأعطيت لابنه قيس وكان من دهاة العرب وأهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والنبالة وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلاثمائة فرس وكانت الأنصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس فقال أبو سفيان ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة وقال: يا عباس لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً فقال العباس: إنها النبوة وأمر عليه السلام خالد بن الوليد أن يدخل مع جملة من قبائل العرب من أسفل مكة وقال: لا تقاتلوا إلا من قاتلكم وجمع قريش ناساً بالخندمة ليقاتلوا ولما لقيهم خالد منعوه الدخول ورموه بالنبل فصاح خالد في أصحابه فقتل من قتل وانهزم من لم يقتل حتى وصل خالد إلى باب المسجد وقال عليه السلام في ذلك اليوم: «احصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفا» ودخل عليه السلام مكة وهو راكب على ناقته القصواء مردفاً أسامة بن زيد بكرة يوم الجمعة وعن بعضهم يوم الاثنين معتماً بعمامة سوداء وقيل غير ذلك والأول أنسب بمقام المعرفة والفناء واضعاً رأسه الشريف على رحله

تواضعاً لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله مكة وكثرة المسلمين ثم قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها: دخل رسول الله يوم الفتح من كداء وهو كسماء جبل بأعلى مكة واغتسل لدخول مكة وسار وهو يقرأ سورة الفتح حتى جاء البيت وطاف به سبعاً على راحلته ومحمد بن مسلمة آخذ بزمامها واستلم الحجر بمحجن في يده وهو العصا المعوجة ولم يطف ماشياً لتعليم الناس كيفية الطواف وصلى عليه السلام بالمقام ركعتين وهو يومئذ لاصق بالكعبة في جانب الباب ثم أخره إلى المحل المعروف الآن بمقام إبراهيم والظاهر أن مقام إبراهيم وهو الحجر الذي انغمس فيه قدم إبراهيم عليه السلام عندما بنى البيت قد محي أثره بكثرة مسح الأيدي ثم فقد ومقام إبراهيم الآن محل ذلك الحجر وأما الحجر الموضوع هناك فموضوع وكان في داخل الكعبة وخارجها وفوقها يومئذ ثلاثمائة وستون صنماً لكل حي من أحياء العرب صنم وكان هبل أعظم الأصنام وكان من عقيق إلى جنب البيت من جهة بابه وهو الآن مطروح تحت باب السلام القديم يطأه الناس إلى يوم القيامة لقول أبي سفيان يوم أحد مفتخراً بذلك اعل هبل اعل هبل وذلك لأن من أعزه الناس أذله الله فجاء عليه السلام ومعه قضيب فجعل يهوي به إلى كل صنم منهم فيخر لوجهه وكان يقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً وأمر علياً رضي الله عنه فصعد الكعبة وكسر ما فوقها ودخل عليه السلام الكعبة بعد أن أرسل بلالاً إلى عثمان بن أبي طلحة يأتي بمفتاح الكعبة فدخلها عليه السلام وصلى ركعتين ودعا في نواحيها كلها وكان في الكعبة صور كثيرة حتى صورة إبراهيم وإسماعيل ومريم وصور الملائكة فأمر عليه السلام عمر رضي الله عنه فمحاها كلها وكانت الكعبة بيت الأصنام ألف سنة ثم صارت مسجد أهل الإسلام ألف سنة أخرى وكانت تشكو إلى الله تعالى مما فعله الناس من الشرك حتى أنجز الله وعده لها وفيه إشارة إلى كعبة القلب فإنها كانت بيت الأصنام قبل الفتح والإمداد الملكوتي وأعظم الأصنام الوجود. قال الشيخ المغربي:

بود وجود مغربي لات ومنات او بود نيست بتي چوپود او درهمه سومنات تو

وقال الخجندي:

بشكن بت غرور كه دردين عاشقان يك بت كو كنندبه از صد عبادتست

وقال:

مدعى نيست محرم دريار خادم كعبه بولهب نبود

وجلس رسول الله يوم الفتح على الصفا يبايع الناس فجاء الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الإسلام أي: على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وعلى سائر الأحكام ودخل الناس في دين الله أفواجاً وعفا عليه السلام عمن كان مؤذياً له منذ عشرين سنة ودعا له بالمغفرة وقال عليه السلام: «يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ويوم خلق الشمس والقمر ووضع هذين الجبلين فهي حرام إلى يوم القيامة فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ولا يعضد فيها شجرة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد يكون بعدي ولا تحل لي إلا هذه الساعة أي: من صبيحة يوم الفتح إلى العصر غضباً على أهلها ألا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب وأقام بمكة بعد فتحها تسعة عشر أو ثمانية عشر يوماً يقصر الصلاة في مدة إقامة» ثم خرج إلى هوازن وثقيف كما مر وولى أمر مكة عتاب بن أسيد رضي الله عنه وعمره إحدى وعشرون سنة وأمره

أن يصلي بالناس وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة وترك معاذ بن جبل رضي الله عنه معه معلماً للناس السنن والفقه وبه ثبت الاستخلاف وعليه العمل إلى يومنا هذا فإن النبي إنما يبعث لرفع الجهل وقس عليه الولي جعلنا الله وإياكم من الوارثين.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿هم﴾ أي: قريش **﴿الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾** أي: منعوكم عن أن تطوفوا به **﴿والهدي﴾** أي: وصدوا الهدي وهو بالنصب عطف على الضمير المنصوب في صدوكم والهدي بسكون الدال جمع هدية كتمر وتمرة وجدي وجدية وهو مختص بما يهدى إلى البيت تقرباً إلى الله تعالى من النعم أيسره شاة وأوسطه بقرة وأعلاه بدنة يقال أهديت له وأهديت إليه ويجوز تشديد الياء فيكون جمع هدية **﴿معكوفاً﴾** حال من الهدي أي: محبوساً يقال عكفته عن كذا إذا حبسته ومنه العاكف في المسجد لأنه حبس نفسه **﴿أن يبلغ محله﴾** بدل اشتمال من الهدي أو منصوب بنزع الخافض أي: محبوساً من أن يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره أي: يجب فالمحل اسم للمكان الذي ينحر فيه الهدي فهو من الحلول لا من الحل الذي هو ضد الحرمة.

قال في «المفردات»: حل الدين حلولاً وجب أداؤه وحللت نزلت من حل الإحمال عند النزول ثم جرد استعماله للنزول والمحلة مكان النزول انتهى وبه استدل أبو حنيفة على أن المحصر محل هديه الحرم فإن بعض الحديبية كان من الحرم قال في «بحر العلوم»: الحديبية طرف الحرم على تسعة أميال من مكة وروي أن خيامه عليه السلام كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه عليه السلام وهي سبعون بدنة والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى للحاج وعند الصفا للمعتمر وعند الشافعي لا يختص دم الاحصار بالحرم فيجوز أن يذبح في الموضع الذي أحصر فيه. بين تعالى استحقاق كفار مكة للعقوبة بثلاثة أشياء: كفرهم في أنفسهم وصد المؤمنين عن إتمام عمرتهم وصد هديهم عن بلوغ المحل فهم مع هذه الأفعال القبيحة كانوا يستحقون أن يقاتلوا أو يقتلوا إلا أنه تعالى كف أيدي كل فريق عن صاحبه محافظة على ما في مكة من المؤمنين المستضعفين ليخرجوا منها أو يدخلوها على وجه لا يكون فيه إيذاء من فيها من المؤمنين والمؤمنات كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ [الفتح: ٢٥] لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم وهو صفة الرجال والنساء جميعاً وكانوا بمكة وهم اثنان وسبعون نفساً يكتمون إيمانهم **﴿أن تطأوهم﴾** بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم أي: توقعوا بهم وتهلكوهم فإن الوطء عبارة عن الإيقاع والإهلاك والإبادة على طريق ذكر الملزوم وإرادة اللازم لأن الوطء تحت الأقدام مستلزم للإهلاك ومنه قوله عليه السلام: «اللهم اشدد وطأتك على مضر» أي: خذهم أخذاً شديداً وفي «المفردات»: أي: ذللهم ووطىء امرأته كناية عن المجامعة صار كالتصريح للعرف **﴿فتصيبكم منهم﴾** أي: من جهتهم معطوف على قوله أن تطأوهم **﴿معرة﴾** مفعلة من عره إذا عراه ودهاه بما يكرهه ويشق عليه وفي «المفردات»: العر الجرب الذي يعر البدن أي: يعترضه ومنه قيل

للمضرة معرة تشبيهاً بالعر الذي هو الجرب والمعنى مشقة ومكروه كوجوب الدية أو الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء حالتهم والإثم بالتقصير في البحث عنهم قال سعدي المفتي: قلت في المذهب الحنفي: لا يلزم بقتل مثله شيء من الدية والكفارة وما ذكره الزمخشري لا يوافق مذهبه انتهى وقال بعضهم: أوجب الله على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يعلم إيمانه الكفارة فقال تعالى: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] ﴿بغير علم﴾ متعلق بأن تطؤوهم أي: غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف أيديكم عنهم وفي هذا الحذف دليل على شدة غضب الله تعالى على كفار مكة كأنه قيل: لولا حق المؤمنين موجود لفعل بهم ما لا يدخل تحت الوصف والقياس بناء على أن الحذف للتعميم والمبالغة ﴿ليدخل الله في رحمته﴾ متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدي إلى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها ﴿من يشاء﴾ وهم المؤمنون فإنهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من جملتها الأمن مستضعفين تحت أيدي الكفرة وأما الرحمة الأخروية فهم وإن كانوا غير محرومين منها بالكلية لكنهم كانوا قاصرين في إقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لإقامتها على الوجه الأتم إدخال لهم في الرحمة الأخروية ﴿لو تزيلوا﴾ الضمير للفريقين أي: لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله فرقه وزيلته فتزيل أي: فرقته فتفرق ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً﴾ بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها وفي الآية إشارتان إحداهما: أن من خاصية النفس أن تصد وجه الطالب عن الله تعالى وتشوب الخيرات والصدقات التي يتقرب بها إلى الله بالرياء والسمعة والعجب لئلا تبلغ محل الصدق والإخلاص والقبول والثانية أن استبقاء النفوس لاستخلاص الأرواح وقواها مع أن بعض صفات النفس قابلة للفيض الإلهي فيلزم الحذر من إفساد استعدادها لقبول الفيض وعند التزكية فصفة لا يصلح إلا قلعها كالكبر والشره والحسد والحقد وصفة تصلح للتبديل كالبخل بالسخاوة والحرص بالقناعة والغضب بالحلم والجبانة بالشجاعة والشهوة بالمحبة.

قال البقلي: انظر كيف شفقة الله على المؤمنين الذين يراقبون الله في السراء والضراء ويرضون ببلائه كيف حرسهم من الخطرات وكيف أخفاهم بسره عن صدمات قهره وكيف جعلهم في كنفه حتى لا يطلع عليهم أحد وكيف يدفع ببركتهم البلاء عن غيرهم فعلى المؤمن مراعاتهم في جميع الزمان والتوسل بهم إلى الله المنان فإنهم وسائل الله الخفية:

بخود سرفرو برده همچون صدف نه مانند دريا بر آورده كف

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾.

﴿إذ جعل الذين كفروا﴾ منصوب باذكر على المفعولية أي: اذكر وقت جعل الكافرين يعني أهل مكة ﴿في قلوبهم الحمية﴾ أي: الأنفة والتكبر فعيلة من حمى من كذا حمية إذا أنفق منه وفي «المفردات» عبر عن القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت بالحمية يقال حميت على فلان أي: غضبت عليه انتهى وذلك لأن في الغضب ثوران دم القلب وحرارته وغليانه والجار والمجرور إما متعلق بالجعل على أنه بمعنى الإلقاء أو بمحذوف أو مفعول ثان على أنه بمعنى

التصيير أي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم ﴿حمية الجاهلية﴾ بدل من الحمية أي: حمية الملة الجاهلية وهي ما كانت قبل البعثة أو الحمية الناشئة من الجاهلية التي تمنع إذعان الحق قال الزهري: حميتهم أنفتهم من الإقرار للنبي بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمٰن الرحيم أو منعهم من دخول مكة وقال مقاتل: قال أهل مكة قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا واللات والعزى لا يدخلون علينا فهذه حمية الجاهلية التي دخلت في قلوبهم.

﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة أي: فأنزل الله عليهم الثبات والوقار فلم يلحق بهم ما لحق الكفار فصالحوهم ورضوا أن يكتب الكتاب على ما أرادوا يروى أنه لما أبى سهيل ومن معه أن يكتب في عنوان كتاب الصلح البسملة وهذا ما صالح عليه رسول أهل مكة بل قالوا: اكتب باسمك اللهم وهذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «اكتب ما يريدون» فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا مع أن أصل الصلح لم يكن عندهم بمحل من القبول في أول الأمر على ما سبق في أول السورة مفصلاً ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ أي: كلمة الشهادة حتى قالوها وهذا إلزام الكرم واللطف لا إلزام الإكراه والعنف وأضيفت إلى التقوى لأنها سببها إذ بها يتوقى من الشرك ومن النار فإن أصل التقوى الاتقاء عنها وقد وصف الله هذه الأمة بالمتقين في مواضع من القرآن العظيم باعتبار هذه الكلمة وبسم الله الرحمٰن الرحيم ومحمد رسول الله من شعار هذه الأمة وخواصها اختارها لهم وصار المشركون محرومين منها حيث لم يرضوا بأن يكتب في كتاب الصلح ذلك وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد فإن المؤمنين وفوا حيث نقضوا العهد وعاونوا من حارب حليف المؤمنين والمعنى على هذا وألزمهم كلمة أهل التقوى وهي العهد الواقع في ضمن الصلح ومعنى إلزامها إياهم تثبيتهم عليها وعلى الوفاء بها قال أهل العربية الكلمة قد تستعمل في اللفظة الواحدة ويراد بها الكلام الكثير الذي ارتبط بعضه ببعض فصار ككلمة واحدة كتسميتهم القصيدة بأسرها كلمة ومنه يقال كلمة الشهادة قال الرضي وقد تطلق الكلمة مجازاً على القصيدة والجملة يقال كلمة شاعر وقال تعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١١٥] والكلمة عند أهل العربية مشتقة من الكلم بمعنى الجرح وذلك لتأثيرها في النفوس وعند المحققين عبارة عن الأرواح والذوات المجردة عن المواد والزمان والمكان لكون وجودها بكلمة كن في عالم الأمر إطلاقاً لاسم السبب على المسبب والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١] والمراد بكلمة التقوى هٰهنا: حقيقة التقوى وماهيتها فإن الحقيقة من حيث هي مجردة عن اللواحق المادية والتشخصات فالله تعالى ألزم المؤمنين حقيقة التقوى لينالوا بها قوة اليقين والتجرد التام وصفاء الفطرة الأصلية ﴿وكانوا أحق بها﴾ متصفين بمزيد استحقاق لها في سابق حكمه وقدم علمه على أن صيغة التفضيل للزيادة مطلقاً وقيل: أحق بها من الكفار ﴿وأهلها﴾ عطف تفسير أي: المستأهل لها عند الله والمختص بها من أهل الرجل وهو الذي يختص به وينسب إليه قيل: إن الذين كانوا قبلنا لا يمكن لأحد منهم أن يقول لا إله إلا الله في اليوم والليلة إلا مرة واحدة لا يستطيع أن يقولها أكثر من ذلك وكان قائلها يمد بها

صوته حتى ينقطع النفس التماس بركتها وفضلها وجعل الله لهذه الأمة أن يقولوها متى شاؤوا وهو قوله: ﴿**وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها**﴾ من الأمم السالفة وقال مجاهد ثلاث لا يحجبن عن الرب: لا إله إلا الله من قلب مؤمن، ودعوة الوالدين، ودعوة المظلوم كما في «كشف الأسرار».

وفي «المثنوي»:

بحرو حدانست جفت وزوج نيست   كوهر وما هيس غير موج نيست
أي محال وأي محال اشراك أو   دورازان دريا وموج پاك أو

﴿**وكان الله بكل شيء عليماً**﴾ بليغ العلم بكل شيء من شأنه أن يتعلق به العلم فيعلم حق كل شيء فيسوقه إلى مستحقه ومن معلوماته أنهم أحق بها أي: من جميع الأمم لأن النبي عليه السلام كان خلاصة الموجودات وأصلها وهو الحبيب الذي خلقت الموجودات بتبعيته والكلمة هي صورة الجذبة التي توصل الحبيب بالحبيب والمحب بالمحبوب فهي بالنبوة أحق لأنه هو الحبيب لتوصله إلى حبيبه وأمته أحق بها من الأمم لأنهم المحبون لتوصل المحب بالمحبوب وهم أهلها لأن أهل هذه الكلمة من يفنى بذاته وصفاته ويبقى بإثباتها معها بلا أنانيته وما بلغ هذا المبلغ بالكمال إلا النبيّ ﷺ فيقول: «أما أنا فلا أقول أنا» وأمته لقوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وكان الله بكل شيء عليماً في الأزل فبنى وجود كل إنسان على ما هو أهله فمنهم أهل الدنيا ومنهم أهل الآخرة ومنهم أهل الله وخاصته.

كذا في «التأويلات النجمية»: قال أبو عثمان كلمة التقوى كلمة المتقين وهي شهادة أن لا إله إلا الله ألزمها الله السعداء من أولياء المؤمنين وكانوا أحق بها وأهلها في علم الله إذ خلقهم لها وخلق الجنة لأهلها وقال الواسطي: كلمة التقوى صيانة النفس عن المطامع ظاهراً وباطناً وقال الجنيد: من أدركته عناية السبق في الأزل جرى عليه عيون المواصلة وهو أحق بها لما سبق إليه من كرامة الأزل.

وقال بعض العارفين: اعلم أن الله تعالى أسند الفعل في جانب الكفار إليهم فقال: إذ جعل الذين كفروا وفي جنات المؤمنين أسنده إلى نفسه فقال: ﴿**فأنزل الله سكينته**﴾ إشارة إلى أن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولىً لهم فليس لهم من يدبر أمرهم وأما المؤمنون فالله تعالى وليهم ومدبر أمرهم وأيضاً فالحمية الجاهلية ليست إلا من النفس لأن النفس مقر الأخلاق الذميمة وأما السكينة والوقار والثبات والطمأنينة فمن الله ثم إن الله تعالى قال: فأنزل الله بالفاء لا بالواو إشارة إلى أن أنزل السكينة بمقابلة جعل الحمية كما تقول أكرمني فأكرمته إشارة إلى أن إكرامك بمقابلة إكرامه ومجازاته وفي ذلك تنبيه على أن قوماً إذا طغوا وظلموا فالله تعالى يحسن إلى المظلومين وينصرهم فيعطيهم السكينة والوقار وكمال اليقين وذلك عين النعيم في مقابلة انزعاج الظالمين وحقدهم واضطرابهم وذلك هو العذاب الأليم فهم اختاروا ذلك العذاب لأنفسهم فالله تعالى اختار للمؤمنين النعيم الدائم والمراد بكلمة التقوى كل كلمة تقي النفس عما يضرها من الأذكار كالتوحيد والأسماء الإلهية ولذلك ورد في الحديث من أحصاها دخل الجنة وأفضلها لا إله إلا الله كما قال عليه السلام: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي شهادة أن لا إله إلا الله» ثم إن قوله تعالى: ﴿**وكانوا أحق بها وأهلها**﴾ إشارة إلى أن الأسماء الإلهية ينبغي أن لا تعلم ولا تلقن إلا أهلها ممن استعد لها واستحقها بالأمانة والديانة

والصلاح روي أن الحجاج أحضر أنساً رضي الله عنه فقال: أنت الذي تسبني؟ قال: نعم لأنك ظالم وقد خالفت سنة رسول الله عليه السلام فقال: كيف لو قتلتك أسوء قتلة قال: لو علمت أن ذلك بيدك لعبدتك ولكنك لا تقدر فإن رسول الله علمني دعاء من قرأه كان في حفظ الله وقد قرأته فقال الحجاج: ألا تعلمني إياه فقال: لا أعلمك ولا أعلمه أحداً في حياتك حتى لا يصل إليك ثم خرج فقالوا: لم لم تقتله فقال: رأيت وراءه أسدين عظيمين فخفت منهما وروي أن عالماً طلب من بعض المشايخ أن يعلمه الاسم الأعظم فأعطاه شيئاً مغطى وقال أوصله إلى مريدي فلان فأخذه ثم إنه فتحه في الطريق لينظر ما فيه فخرج منه فأرة فرجع بكمال الغيظ فلما رآه الشيخ تبسم وقال: يا خائن الآن لم تكن أميناً لفأرة فكيف تكون أميناً للاسم الأعظم فالكبار يحفظون الأسماء والأدعية من غير أهلها لئلا يجعلوها ذريعة إلى الأغراض الفاسدة النفسانية.

قال سعدي:

كسى رابا خواجه تست جنك بدستش جرامى دهى چوب وسنك

سنك آخر كه باشد كه خواش نهند بفرماى تا استخوانش نهند

وفي «المثنوي»:

چند دزدى حرف مردان خدا تا فروشى وستانى مرحبا

چون رخت رانيست در خوبى اميد خواه كلكونه نه وخواهى مديد

﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا﴾ صدق يتعدى إلى مفعولين إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بحرف الجر يقال صدقك في كذا أي: ما كذبك فيه وقد يحذف الجار ويوصل الفعل كما في هذه الآية أي: صدقه عليه السلام في رؤياه وتحقيقه أراه الرؤيا الصادقة وهي ما سبق في أول السورة من أنه عليه السلام رأى قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤوسهم وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم هذا فلما تأخر ذلك قال بعض المنافقين: والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت وهو دليل قاطع على أن الرؤيا حق وليس بباطل كما زعم جمهور المتكلمين والمعتزلة فتباً لهم كما في «بحر العلوم» قالوا: إن خلت الرؤيا عن حديث النفس وكان هيئة الدماغ صحيحة والمزاج مستقيماً كانت رؤيا من الله مثل رؤيا الأنبياء والأولياء والصلحاء وفي الحديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة **﴿بالحق﴾** أي: صدقاً ملتبساً بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين الراسخ في الإيمان والمتزلزل فيه أو حال كون تلك الرؤيا ملتبسة بالحق ليست من قبيل أضغاث الأحلام لأن ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدور له وهو العام القابل وقد جوز أن يكون قسماً بالحق الذي هو من أسماء الله أو بنقيض الباطل وقوله: **﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾** جواب وهو على الأولين جواب قسم محذوف أي: والله لتدخلنه في العام الثاني **﴿إن شاء الله﴾** تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد لكي يقولوا في عداتهم مثل ذلك لا لكونه تعالى شاكاً في وقوع الموعود فإنه منزه عن ذلك وهذا معنى ما قال ثعلب استثنى الله فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون وفيه

أيضاً تعريض بأن دخولهم مبني على مشيئته تعالى ذلك لا على جلادتهم وقوتهم كما قال في «الكواشي»: استثنى أعلاماً أنه لا فعال إلا الله انتهى. أو للإشعار بأن بعضهم لا يدخلونه لموت أو غيبة أو غير ذلك فكلمة إن للتشكيك لا للشك وقال الحدادي الاستثناء قد يذكر للتحقيق تبركاً كقولهم قد غفر الله لك إن شاء الله ولا تعلق لمن يصحح الأيمان بالاستثناء لأنه خبر عن الحال فالاستثناء فيه محال كما في «عين المعاني» وروي أن النبي عليه السلام كان إذا دخل المقابر يقول: «السلام عليكم أهل القبور وإنا إنشاء الله بكم لاحقون» فيستثنى على وجه التبرك وإن كان اللحوق مقطوعاً به وقيل معناه لاحقون بكم في الوفاة على الإيمان فإن شرطية ويمكن أن يقال تعليق اللحوق بالمشيئة بناء على ان اللحوق بخصوص المخاطبين ويتحصل من هذا أن الاستثناء من الأمن لا من الدخول لأن الدخول مقطوع لا الأمن حال الدخول وقال بعضهم إن هنا بمعنى إذ كما في قوله ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣] وقال ابن عطية: وهذا أحسن في معناه لكن كون إن بمعنى إذ غير موجود في لسان العرب وفيه وجه آخر وهو أنه حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله فقوله لتدخلن الآية تفسير للرؤيا كأنه قيل هو قول الملك له عليه السلام في منامه لتدخلن وإذا كان التعليق من كلام الملك لتبرك فلا إشكال أو حكاية لما قاله عليه السلام لأصحابه كأنه قيل قال النبي بناء على تلك الرؤيا التي هي وحي لتدخلن إلخ يعني لما قص رؤياه على أصحابه استأنف بأن قال لتدخلن إلخ ﴿**آمنين**﴾ من الأعادي حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله: ﴿**محلقين رؤوسكم**﴾ أي: جميع شعورها والتحليق والتحلاق بسيار ستردن سر كما في «تاج المصادر» والحلق العضو المخصوص وحلقه قطع حلقه ثم جعل الحلق لقطع الشعر وجزه فقيل حلق شعره وحلق رأسه أي: أزال شعره ﴿**ومقصرين**﴾ بعض شعورها والقصر خلاف الطول وقص شعره حز بعضه أي: محلقاً بعضكم ومقصراً آخرون وإلا فلا يجتمع الحلق والتقصير في كل واحد منهم فالنظم من نسبة حال البعض إلى الكل يعني أن الواو ليست لاجتماع الأمرين في كل واحد منهم بل لاجتماعهما في مجموع القوم ثم إن قوله محلقين ومقصرين من الأحوال المقدرة فلا يرد أن حال الدخول هو حال الإحرام وهو لا يجامع الحلق والتقصير وقدم الحلق على التقصير وهو قطع أطراف الشعر لأن الحلق أفضل من التقصير وقد حلق رسول الله ﷺ رأسه بمنىً وأعطى شق شعر رأسه أبا طلحة الأنصاري وهو زوج أم سليم وهي والدة أنس بن مالك فكان آل أنس يتهادون به بينهم» وروي أنه عليه السلام «حلق رأسه أربع مرات» والعادة في هذا الزمان في أكثر البلاد حلق الرأس للرجل عملاً بقوله عليه السلام «تحت كل شعرة نجاسة فخللوا الشعر وأنقوا البشرة» وإنما قلنا للرجل لأن حلق شعر المرأة مثلة وهي حرام كما أن حلق لحية الرجل كذلك ﴿**لا تخافون**﴾ حال مؤكدة من فاعل لتدخلن أو استئناف جواباً عن سؤال أنه كيف يكون الحال بعد الدخول أي: لا تخافون بعد ذلك من أحد ﴿**فعلم ما لم تعلموا**﴾ عطف على صدق والفاء للترتيب الذكري فالتعرض لحكم الشيء إنما يكون بعد جري ذكره والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلي المتعلق بأمر حادث بعد المعطوف عليه أي: فعل عقيب ما أراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية إلى تقديم ما يشهد بالصدق علماً فعلياً ﴿**فجعل**﴾ لأجله ﴿**من دون ذلك**﴾ أي: من دون تحقق مصداق ما أراه من دخول المسجد الحرام إلخ وبالفارسية پس ساخت براى شما يعني مقرر كرد پيش ازين يعني قبل از دخول در مسجد حرام بجهت عمره قضا ﴿**فتحاً قريباً**﴾ هو فتح خيبر

مضى عليه السلام بعد خمس عشرة ليلة كما في «عين المعاني» والمراد بجعله وعده وإنجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ﴿**ولتكون آية للمؤمنين**﴾ وأما جعل ما في قوله ﴿**ما لم تعلموا**﴾ عبارة عن الحكمة في تأخير فتح مكة إلى العام القابل كما جنح إليه الجمهور فتأباه الفاء فإن علمه تعالى بذلك متقدم على إراءة الرؤيا قطعاً كما في «الإرشاد»: وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى امتحن المؤمن والمنافق بهذه الرؤيا إذ لم يتعين وقت دخولهم فيه فأخر الدخول تلك السنة فهلك المنافقون بتكذيب النبي عليه السلام فيما وعدهم بدخول المسجد الحرام وازداد كفرهم ونفاقهم وازداد إيمان المؤمنين بتصديق النبي عليه السلام مع إيمانهم وانتظروا صدق رؤياه فصدق الله رسوله الرؤيا بالحق فهلك من هلك عن بينة وحي من حي عن بينة ولذلك قال تعالى ﴿**فعلم ما لم تعلموا**﴾ يعني من تربية نفاق أهل النفاق وتقوية إيمان أهل الإيمان فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً من فتوح الظاهر والباطن فلا بد من الصبر فإن الأمور مرهونة بأوقاتها:

صد هزاران كيميا حق آفريد كيميايى همچو صبر آدم نديد

نيست هر مطلوب از طالب دريغ جفت تابش شمس وجفت آب ميغ

وقد صبر عليه السلام على أذى قومه وهكذا حال كل وارث قال معروف الكرخي قدس سره: رأيت في المنام كأني دخلت الجنة ورأيت قصراً فرشت مجالسه وأرخيت ستوره وقام ولدانه فقلت لمن هذا؟ فقيل: لأبي يوسف فقلت: بم استحق هذا؟ فقالوا: بتعليمه الناس العلم وصبره على أذاهم ثم إن الصدق صفة الله تعالى وصفة خواص عباده وأنه من أسباب الهداية.

- حكي - عن إبراهيم الخواص قدس سره أنه كان إذا أراد سفراً لم يعلم أحداً ولم يذكره وإنما يأخذ ركوته ويمشي قال حامد الأسود: فبينما نحن معه في مسجد تناول ركوته ومشى فاتبعته فلما وافينا القادسية قال لي: يا حامد إلى أين؟ قلت: يا سيدي خرجت لخروجك قال: أنا أريد مكة إن شاء الله قلت: وأنا أريد إن شاء الله مكة فلما كان بعد أيام إذا بشاب قد انضم إلينا فمشى معنا يوماً وليلة لا يسجد لله سجدة فعرفت إبراهيم وقلت: إن هذا الغلام لا يصلي فجلس وقال: يا غلام ما لك لا تصلي والصلاة أوجب عليك من الحج؟ فقال: يا شيخ ما علي صلاة قلت: ألست بمسلم؟ قال: لا قلت فأي شيء أنت؟ قال: نصراني ولكن إشارتي في النصرانية إلى التوكل وادعت نفسي أنها قد أحكمت حال التوكل فلم أصدقها فيما ادعت حتى أخرجتها إلى هذه الفلاة التي ليس فيها موجود غير المعبود أثير ساكني وامتحن خاطري فقام إبراهيم ومشى وقال: دعه معك فلم يزل يسايرنا حتى وافينا بطن مرو فقام إبراهيم ونزع خلقانه فطهرها بالماء ثم جلس وقال له: ما اسمك؟ قال: عبد المسيح فقال: يا عبد المسيح هذا دهليز مكة يعني الحرم وقد حرم الله على أمثالك الدخول فيه قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨] والذي أردت أن تستكشفه من نفسك قد بان لك فاحذر أن تدخل مكة فإن رأيناك بمكة أنكرنا عليك قال حامد: فتركناه ودخلنا مكة وخرجنا إلى الموقف فبينما نحن جلوس بعرفات إذ به قد أقبل عليه ثوبان وهو محرم يتصفح الوجوه حتى وقف علينا فأكب على إبراهيم يقبل رأسه فقال له: ما وراءك يا عبد المسيح فقال له: هيهات أنا اليوم عبد من المسيح عبده فقال له إبراهيم: حدثني حديثك قال: جلست مكاني حتى أقبلت قافلة الحاج وتنكرت في زي المسلمين كأني محرم فساعة وقعت عيني على الكعبة

اضمحل عندي كل دين سوى دين الإسلام فأسلمت واغتسلت وأحرمت وها أنا أطلبك يومي فالتفت إلي إبراهيم وقال: يا حامد انظر إلى بركة الصدق في النصرانية كيف هداه إلى الإسلام ثم صحبنا حتى مات بين الفقراء ومن الله الهداية والتوفيق.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿هو﴾ أي: الله تعالى وحده **﴿الذي أرسل رسوله﴾** يعني أن الله تعالى بجلال ذاته وعلو شأنه اختص بإرسال رسوله الذي لا رسول أحق منه بإضافته إليه **﴿بالهدى﴾** أي: كونه ملتبساً بالتوحيد وهو شهادة أن لا إله إلا الله فيكون الجار متعلقاً بمحذوف أو بسببه ولأجله فيكون متعلقاً بأرسل **﴿ودين الحق﴾** أي: وبدين الإسلام وهو من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته مثل عذاب الحريق والأصل الدين الحق والعذاب المحرق ومعنى الحق الثابت الذي هو ناسخ الأديان ومبطلها **﴿ليظهره على الدين كله﴾** اللام في الدين للجنس أي: ليعلي الدين الحق ويغلبه على جنس الدين بجميع أفراده التي هي الأديان المختلفة بنسخ ما كان حقاً من بعض الأحكام المتبدلة بتبدل الأعصار وإظهار بطلان ما كان باطلاً أو بتسليط المسلمين على أهل سائر الأديان ولقد أنجز الله وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام ولا يبقى إلا مسلم أو ذمة للمسلمين وكم ترى من فتوح أكثر البلاد وقهر الملوك الشداد ما تعرف به قدرة الله تعالى وفي الآية فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أنه سيفتح لهم من البلاد ويعطيهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه فتح مكة وقد أنجز كما أشير إليه آنفاً.

واعلم أن قوله **﴿ليظهره﴾** إثبات السبب الموجب للإرسال فهذه اللام لام الحكمة والسبب شرعاً ولام العلة عقلاً لأن أفعال الله تعالى ليست بمعللة بالأغراض عند الأشاعرة لكنها مستتبعة لغايات جليلة فنزل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له **﴿وكفى بالله﴾** أي: الذين له الإحاطة بجميع صفات الكمال **﴿شهيداً﴾** على أن ما وعده كائن لا محالة أو على نبوته عليه السلام بإظهار المعجزات وإن لم يشهد الكفار وعن ابن عباس رضي الله عنهما شهد له بالرسالة وهو قوله:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

﴿محمد رسول الله﴾ فمحمد مبتدأ ورسول الله خبره وهو وقف تام والجملة مبينة للمشهود به وقيل محمد خبر مبتدأ محذوف وقوله رسول الله بدل أو بيان أو نعت أي: ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله قال في «تلقيح الأذهان»: أعلم الله سبحانه محمداً عليه السلام أنه خلق الموجودات كلها من أجله أي: من أجل ظهوره أي: من أجل تجليه به حتى قال: ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله غير عاصي الإنس والجن وقال الشيخ الشهير بأفتاده قدس سره: لما تجلى الله وجد جميع الأرواح فوجد

أولاً روح نبينا ﷺ ثم سائر الأرواح فلقن التوحيد فقال: لا إله إلا الله فكرمه الله بقوله: محمد رسول الله فأعطى الرسالة في ذلك الوقت ولذا قال عليه السلام: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين انتهى ومعنى الحديث أنه كان نبياً بالفعل عالماً بنبوته وغيره من الأنبياء ما كان نبياً بالفعل ولا عالماً بنبوته إلا حين بعث بعد وجوده ببدنه العنصري واستكمال شرائط النبوة فكل من بدا بعد وجود المصطفى عليه السلام فهم نوابه وخلفاؤه مقدمين كالأنبياء والرسل أو مؤخرين كأولياء الله الكمل قال عليه السلام: «أنا من نور الله والمؤمنون من فيض نوري» فهو الجنس العالي والمقدم وما عداه التالي والمؤخر كما قال: «كنت أولهم خلقاً وآخرهم بعثاً» فرسول الله هو الذي لا يساويه رسول لأنه رسول إلى جميع الخلق من أدرك زمانه بالفعل في الدنيا ومن تقدمه بالقوة فيها وبالفعل بالآخرة يوم يكون الكل تحت لوائه وقد أخذ على الأنبياء كلهم الميثاق بأن يؤمنوا به إن أدركوه وأخذه الأنبياء على أممهم وفي الحديث أنا محمد وأحمد ومعنى محمد كثير الحمد فإن أهل السماء والأرض حمدوه ومعنى أحمد أعظم حمداً من غيره لأنه حمد الله بمحامد لم يحمد بها غيره كما في «شرح المشارق» لابن الملك.

قال الجامي:

محمدت چون بلا نهايه زحق ... يافت شد نام آواز ان مشتق

واسمه في العرش أبو القاسم وفي السماوات أحمد وفي الأرض محمد قال علي رضي الله عنه: ما اجتمع قوم في مشورة فلم يدخلوا فيها من اسمه محمد إلا لم يبارك لهم فيها وأشار ألف أحمد إلى كونه فاتحاً ومقدماً لأن مخرجه مبدأ المخارج وأشار ميم محمد إلى كونه خاتماً ومؤخراً لأن مخرجها ختام المخارج كما قال: «نحن الآخرون السابقون» وأشار الميم أيضاً إلى بعثته عند الأربعين قال بعضهم: أكرم الله من الصبيان أربعة بأربعة أشياء: يوسف عليه السلام بالوحي في الجب ويحيى عليه السلام بالحكمة في الصبا وعيسى عليه السلام بالنطق في المهد وسليمان عليه السلام بالفهم وأما نبينا عليه السلام فله الفضيلة العظمى والآية الكبرى حيث إن الله أكرمه بالسجدة عند الولادة والشهادة بأنه رسول الله وكل قول يقبل الاختلاف بين المسلمين إلا قول لا إله إلا الله محمد رسول الله فإنه غير قابل للاختلاف فمعناه متحقق وإن لم يتكلم به أحد وكذا أكرمه بشرح الصدر وختم النبوة وخدمة الملائكة والحور عند ولادته وأكرمه بالنبوة في عالم الأرواح قبل الولادة وكفاه بذلك اختصاصاً وتفصيلاً فلا بد للمؤمن من تعظيم شرعه وإحياء سنته والتقرب إليه بالصلوات وسائر القربات لينال عند الله الدرجات وكانت رابعة العدوية رحمها الله تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول: ما أريد بها ثواباً ولكن ليسر بها رسول الله عليه السلام ويقول للأنبياء: انظروا إلى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة ومن تعظيمه عمل المولد إذا لم يكن فيه منكر قال الإمام السيوطي قدس سره يستحب لنا إظهار الشكر لمولده عليه السلام انتهى. وقد اجتمع عند الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله جمع كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصري رحمه الله في مدحه عليه السلام:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب ... على ورق من خط أحسن من كتب

وأن تنهض الأشراف عند سماعه ... قياماً صفوفاً أو جثياً على الركب

فعند ذلك قام الإمام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل أنس عظيم بذلك المجلس ويكفي ذلك في الاقتداء وقد قال ابن حجر الهيثمي: إن البدعة الحسنة متفق على ندبها وعمل

المولد واجتماع الناس له كذلك أي: بدعة حسنة قال السخاوي لم يفعله أحد من القرون الثلاثة وإنما حدث بعد ثم لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر من بركاته عليهم كل فضل عظيم قال ابن الجوزي: من خواصه أنه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام وأول من أحدثه من الملوك صاحب إربل وصنف له ابن دحية رحمه الله كتاباً في المولد سماه «التنوير بمولد البشير النذير» فأجازه بألف دينار وقد استخرج له الحافظ ابن حجر أصلاً من السنة وكذا الحافظ السيوطي وردا على الفاكهاني المالكي في قوله: إن عمل المولد بدعة مذمومة كما في «إنسان العيون» ﴿**والذين معه**﴾ أي: مع رسول الله عليه السلام وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿**أشداء**﴾ غلاظ وهو جمع شديد ﴿**على الكفار**﴾ كالأسد على فريسته ﴿**رحماء**﴾ أي: متعاطفون وهو جمع رحيم ﴿**بينهم**﴾ كالوالد مع ولده يعني أنهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرأفة كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] فلو اكتفى بقوله: أشداء على الكفار لربما أوهم الفظاظة والغلظة فكمل بقوله رحماء بينهم فيكون من أسلوب التكميل وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه وعانقه وذكر في التوراة في صفة عمر رضي الله عنه قرن من حديد أمين شديد وكذا أبو بكر رضي الله عنه فإنه خرج لقتال أهل الردة شاهراً سيفه راكباً راحلته فهو من شدته وصلابته على الكفار.

قال الشيخ سعدي:

نه چندان درشتى كن كه از توسير كردند ونه چندان نرمى كن كه برتود ليرشوند
درشتى ونرمى بهم دربهست چور كزن كه جراج ومرهم نهست

وقال بعضهم:

هست نرمى آفت جان سمور وزدرشتى ميبردجان خار پشت

وفي الحديث: «المؤمنون هينون لينون» مدح النبي بالسهولة واللين لأنهما من الأخلاق الحسنة فإن قلت: من أمثال العرب لا تكن رطباً فتعصر ولا يابساً فتكسر وعلى وفق ذلك ورد قوله عليه السلام: «لا تكن مراً فتعقى ولا حلواً فتسترط» يقال: أعقيت الشيء إذا أزلته من فيك لمرارته وأسترطه أي: أبتلعه وفي هذا نهي عن اللين فما وجه كونه جهة مدح قلت لا شبهة في أن خير الأمور أوسطها وكل طرفي الأمور ذميم أي: المذموم هو الإفراط والتفريط لا الاعتدال والاقتصاد نسأل الله العمل بذلك ﴿**تراهم ركعاً سجداً**﴾ جمع راكع وساجد أي: تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات فهما حالان لأن الرؤية بصرية وأريد بالفعل الاستمرار والجملة خبر آخر أو استئناف ﴿**يبتغون فضلاً من الله ورضواناً**﴾ إما خبر آخر أو استئناف مبني على سؤال نشأ عن بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل: يبتغون فضلاً من الله ورضواناً أي: ثواباً ورضى وقال بعض الكبار قصدهم في الطاعة والعبادة الوصول والوصال وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال الراغب: الرضوان الرضى الكثير ﴿**سيماهم**﴾ فعلى من سامه إذا أعلمه أي: جعله ذا علامة والمعنى علامتهم وسمتهم وقرىء سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيماء بالمد وهو مبتدأ

خبر قوله: ﴿في وجوههم﴾ أي: ثابتة في وجوههم ﴿من أثر السجود﴾ حال من المستكن في الجار وأثر الشيء حصول ما يدل على وجوده كما في «المفردات» أي: من التأثير الذي تؤثره كثرة السجود وما روي عن النبي عليه السلام من قوله: لا تعلموا صوركم أي: لا تسموها إنما هو فيما إذا اعتمد بجبهته على الأرض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث في جبهة السجاد الذين لا يسجدون إلا خالصاً لوجه الله وكان الإمام زين العابدين رضي الله عنه وهو علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم وكذا علي بن عبد الله بن العباس يقال لهما: ذو الثفنات لما أحدثت كثرة سجودهما في مواضعة منهما أشباه ثفنات البعير والثفنة بكسر الفاء من البعير الركبة وما مس الأرض من أعضائه عند الإناخة وثفنت يده ثفناً إذا غلظت عن العمل وكانت له خمسمائة أصل زيتون يصلي عند كل أصل ركعتين كل يوم قال قائلهم:

ديـار عـلـي والـحـسـيـن وجـعـفـر وحـمـزة والـسـجـاد ذي الـثـفـنـات

قال عطاء: دخل في الآية من حافظ على الصلوات الخمس وقال بعض الكبار سيما المحبين من أثر السجود فإنهم لا يسجدون لشيء من الدنيا والعقبى إلا لله مخلصين له الدين وقيل صفرة الوجوه من خشية الله وقيل ندى الطهور وتراب الأرض فإنهم كانوا يسجدون على التراب لا على الأثواب وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه السلام: من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ألا ترى أن من سهر بالليل وهو مشغول بالشراب واللعب لا يكون وجهه في النهار كوجه من سهر وهو مشغول بالطاعة وجاء في باب الإمامة أنه يقدم الأعلم ثم الأقرأ ثم الأورع ثم الأسن ثم الأصبح وجهاً أي: أكثرهم صلاة بالليل لما روي من الحديث قيل لبعضهم: ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهاً قال: لأنهم خلوا بالرحمن فأصابهم من نوره كما يصيب القمر نور الشمس فينور به. در نفحات مذكوراست كه چون ارواح ببركت قرب الهي صافي شد انوار موافقت بر اشباخ ظاهر كردد:

درويش را كواه چه حاجت كه شقست رنك رخش زدوربه بين وبدان كه هست

وقال سهل: المؤمن من توجه لله مقبلاً عليه غير معرض عنه وذلك سيما المؤمنون وقال عامر بن عبد القيس كاد وجه المؤمن يخبر عن مكنون عمله وكذلك وجه الكافر وذلك قوله سيماهم في وجوههم وقال بعضهم: ترى على وجوههم هيبة لقرب عهدهم بمناجاة سيدهم وقال ابن عطاء: ترى عليهم خلع الأنوار لائحة وقال عبد العزيز المكي: ليست هي النحولة والصفرة لكنها نور يظهر على وجوه العابدين يبدو من باطنهم على ظاهرهم يتبين ذلك للمؤمنين ولو كان ذلك في زنجي أو حبشي انتهى ولا شك أن هذه الأمة يقومون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء وبعضهم يكون وجوههم من أثر السجود كالقمر ليلة البدر وكل ذلك من تأثير نور القلب وانعكاسه ولذا قال:

آن سياهى كزپى ناموس حق ناقوس زد در عرب بو الليل بوداندر قيامت بوالنهار

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما ذكر من نعوتهم الجليلة ﴿مثلهم﴾ أي: وصفهم العجيب الشأن الجاري في الغرابة مجرى الأمثال ﴿في التوراة﴾ حال من مثلهم والعامل معنى الإشارة والتوراة اسم كتاب موسى عليه السلام قال من جوز أن تكون التوراة عربية: إنها تشتق من ورى الزند فوعلة منه على أن التاء مبدلة من الواو سمي التوراة لأنه يظهر منه النور والضياء لبني إسرائيل

وفي «القاموس» وورية النار وريتها ما تورى به من خرقة أو حطبة والتوراة تفعلة منه انتهى وقال بعضهم: فوعلة منه لا تفعلة لقلة وجود ذلك ﴿**ومثلهم في الإنجيل**﴾ عطف على مثلهم الأول كأنه قيل ذلك مثلهم في التوراة والإنجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها والإنجيل كتاب عيسى عليه السلام يعني بهمين نعمت در كتاب موسى وعيسى مسطور ندتاكه معلوم امم كردند وبايشان مژده ورشوند. والإنجيل من نجل الشيء أظهره سمي الإنجيل إنجيلاً لأنه أظهر الدين بعدما درس أي: عفا رسمه ﴿**كزرع أخرج شطأه**﴾ يقال زرع كمنع طرح البذر وزرع الله أنبت والزرع الولد والمزروع والجمع زروع وموضعه المزرعة مثلثة الراء وهو إلخ تمثيل مستأنف أي: هم كزرع أخرج أفراخه أي: فروعه وأغصانه وذلك أن أول ما نبت من الزرع بمنزلة الأم وما تفرع وتشعب منه بمنزلة أولاده وأفراخه وفي «المفردات» شطأه فروع الزرع وهو ما خرج منه وتفرع في شاطئيه أي: جانبيه وجمعه أشطاء وقوله: أخرج شطأه أي: أفراخه انتهى وقيل هو أي: الزرع إلخ تفسير لقوله ذلك على أنه إشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى: ﴿**ومثلهم في الإنجيل**﴾ على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التوراة ﴿**فآزره**﴾ المنوي في آزره ضمير الزرع أي: فقوى الزرع ذلك الشطأ وبالفارسية: پس قوى كرد كشت آن يك شاخ را. إلا أن الإمام النسفي رحمه الله جعل المنوي في آزر ضمير الشطأ قال فآزره أي: فقوى الشطأ أصل الزرع بالتفافه عليه وتكاثفه وهو صريح في أن الضمير المرفوع للشطأ والمنصوب للزرع وهو من الموازرة بمعنى المعاونة فيكون وزن آزر فاعل من الأزر وهو القوة أو من الإيزار وهي الإعانة فيكون وزنه أفعل وهو الظاهر لأنه لم يسمع في مضارعه يوازر بل يوزر ﴿**فاستغلظ**﴾ فصار غليظاً بعدما كان دقيقاً فهو من باب استحجر الطين يعني أن السين للتحول ﴿**فاستوى على سوقه**﴾ فاستقام على قصبته جمع ساق وهو أصوله ﴿**يعجب الزراع**﴾ حال أي: حال كونه يعجب زراعه الذين زرعوه أي: يسرهم بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وطول قامته وبالفارسية بشكفت آردمزارعانرا وهناتم المثل وهو مثل ضربه الله لأصحاب رسول الله قلوا في بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم يوماً فيوماً بحيث أعجب الناس وقيل مكتوب في التوراة سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وفي «الأسئلة المقحمة»: كيف ضرب الله المثل لأصحاب النبي عليه السلام بالزرع الذي أخرج شطأه ولماذا لم يشبههم بالخيل والأشجار الكبار المثمرة والجواب لأن أصحاب النبي كانوا في بدء الأمر قليلين ثم صاروا يزدادون ويكثرون كالزرع الذي يبدو ضعيفاً ثم ينمو ويخرج شطأه ويكثر لأن الزرع يحصد ويزرع كذلك المسلمون منهم من يموت ثم يقوم مقامه غيره بخلاف الأشجار الكبار فإنها تبقى بحالها سنين ولأنه تنبت من الحبة الواحدة سنابل وليس ذلك في غير الزرع انتهى فكما أن أعمالهم نامية فكذا أجسادهم ألا ترى أنه قتل مع الإمام الحسين رضي الله عنه عامة أهل بيته لم ينج إلا ابنه زين العابدين علي رضي الله عنه لصغره فأخرج الله من صلبه الكثير الطيب وقيل يزيد بن المهلب وإخوتهم وذراريهم ثم مكث من بقي منهم نيفاً وعشرين سنة لا يولد فيهم أنثى ولا يموت منهم غلام وعن عكرمة أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي رضي الله عنهم ﴿**ليغيظ بهم الكفار**﴾ الغيظ أشد غضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه غاظه يغيظه فاغتاظ وغيظه فتغيظ وأغاظه وغايظه كما في «القاموس» وهو علة لما يعرب عنه الكلام من

تشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه أي: جعلهم الله كالزرع في النماء والقوة ليغيظ بهم مشركي مكة وكفار العرب والعجم وبالفارسية: تاالله رسول خويش وياران اوكافر انرا بدرد آرد.

ومن غيظ الكفار قول عمر رضي الله عنه لأهل مكة بعدما أسلم: لا نعبد الله سراً بعد اليوم وفي الحديث: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأقواهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم علي وأقرؤهم أبي بن كعب وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وقيل قوله: ﴿**ليغيظ بهم الكفار**﴾ علة لما بعده من قوله تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً**﴾ فإن الكفار إذا سمعوا بما أعد للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك أشد غيظ.

يقول الفقير: نظر الكفار مقصور على ما في الدنيا مما يتنافس به ويتحاسد وكيف لا يغيظهم ما أعد للمؤمنين في الآخرة وليسوا بمؤمنين باليوم الآخر ومنهم للبيان كما في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠] يعني همه ايشانرا وعد فرمود آمر زش كناه ومزدى بزرك. وهو الجنة ودرجاتها فلا حجة فيه للطاعنين في الأصحاب فإن كلهم مؤمنون ولما كانوا يبتغون من الله فضلاً ورضواناً وعدهم الله بالنجاة من المكروه والفوز بالمحبوب وعن الحسن محمد رسول الله والذين معه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأنه كان معه في الغار ومن أنكر صحبته كفر أشداء على الكفارِ عمر بن الخطاب لأنه كان شديداً غليظاً على أهل مكة رحماء بينهم عثمان بن عفان رضي الله عنه لأنه كان رؤوفاً رحيماً ذا حياء عظيم تراهم ركعاً سجداً علي بن أبي طالب رضي الله عنه تاحدى كه هرشب آوازهزار تكبير احرام ازخلوت وى باسماع خادمان عتبه عليه اش ميرسيد يبتغون فضلاً من الله ورضواناً بقية العشرة المبشرة بالجنة وفي الحديث: «يا علي أنت في الجنة وشيعتك في الجنة وسيجيء بعدي قوم يدعون ولايتك لهم لقب يقال لهم الرافضة فإذا أدركتهم فاقتلهم فإنهم مشركون قال: يا رسول الله ما علامتهم قال: يا علي إنه ليست لهم جمعة ولا جماعة يسبون أبا بكر وعمر» قال مالك بن أنس رضي الله عنه: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية قال أبو العالية: العمل الصالح في هذه الآية حب الصحابة وفي الحديث: «يا علي إن الله أمرني أن أتخذ أبا بكر والداً وعمر مشيراً وعثمان سنداً وأنت يا علي ظهراً فأنتم أربعة قد أخذ ميثاقكم في الكتاب لا يحبكم إلا مؤمن ولا يبغضكم إلا فاجر أنتم خلائف نبوتي وعقدة ذمتي لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تغامزوا» كما في «كشف الأسرار» وفي الحديث: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» المد ربع الصاع والنصيف نصف الشيء والضمير في نصيفه راجع إلى أحدهم إلا إلى المد والمعنى أن أحدكم لا يدرك بإنفاق مثل أحد ذهباً من الفضيلة ما أدرك أحدهم بإنفاق مد من الطعام أو نصيف له وفي حديث آخر: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه» أي: يأخذه الله للتعذيب والعقاب وفي «الصواعق» لابن حجر وكان للنبي عليه السلام مائة ألف وأربعة عشر ألف صحابي عند موته انتهى وفي حديث الأخوة قال أصحابه: «نحن إخوانك

يا رسول الله قال: لا أنتم أصحابي وإخواني الذين يأتون بعدي آمنوا بي ولم يروني» وقال: «للعامل منهم أجر خمسين منكم قالوا: بل منهم يا رسول الله قال: بل منكم رددوها ثلاثاً ثم قال: لأنكم تجدون على الخير أعواناً» كما في «تلقيح الأذهان».

يقول الفقير: يلزم من هذا الخبر أن يكون الإخوان أفضل من الأصحاب وهو خلاف ما عليه الجمهور قلت: الذي في الخبر من زيادة الأجر للعامل من الإخوان عند فقدان الأعوان لا مطلقاً فلا يلزم من ذلك أن يكونوا أفضل من كل وجه في كل زمان قال في «فتح الرحمٰن»: وقد اجتمع حروف المعجم التسعة والعشرون في هذه الآية وهي محمد رسول الله إلى آخر السورة أول حرف المعجم فيها ميم من محمد وآخرها صاد من الصالحات وتقدم نظير ذلك في سورة آل عمران في قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية وليس في القرآن آيتان في كل آية حروف المعجم غيرهما من دعا الله بهما استجيب له وعن النبيّ ﷺ: «من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد رسول الله فتح مكة» وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «بلغني أنه من قرأ سورة الفتح في أول ليلة من رمضان في صلاة التطوع حفظه الله تعالى ذلك العام» ومن الله العون.

تمت سورة الفتح المبين بعون رب العالمين في منتصف صفر الخير
من شهور سنة ألف ومائة وأربع عشرة

٤٩ ـ سورة الحجرات

ثماني عشرة آية مدنية بإجماع من أهل التأويل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على أن ما في حيزه أمر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالإيمان لتنشيطهم والإيذان بأنه داع إلى المحافظة ورادع عن الإخلال به **﴿لا تقدموا﴾** أمراً من الأمور **﴿بين يدي الله ورسوله﴾** ولا تقطعوه إلا بعد أن يحكما به ويأذنا فيه فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل وإما مقتدين بالنبي المرسل ولفظ اليدين بمعنى الجهتين الكائنتين في سمت يدي الإنسان وبين اليدين بمعنى بين الجهتين والجهة التي بينهما هي جهة الأمام والقدام فقولك جلست بين يديه بمعنى جلست أمامه وبمكان يحاذي يديه قريباً منه وإذا قيل بين يدي الله امتنع أن يراد الجهة والمكان فيكون استعارة تمثيلية شبه ما وقع من بعض الصحابة من القطع في أمر من الأمور الدينية قبل أن يحكم به الله ورسوله بحال من يتقدم في المشي في الطريق مثلاً لوقاحته على من يجب أن يتأخر عنه ويقفو أثره تعظيماً له فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن المشبه بها **﴿واتقوا الله﴾** في كل ما تأتون وما تذرون من الأقوال والأفعال **﴿إن الله سميع﴾** لأقوالكم **﴿عليم﴾** بأفعالكم فمن حقه أن يتقي ويراقب ويجوز أن يكون معنى لا تقدموا لا تفعلوا التقديم بالكلية على أن الفعل لم يقصد تعلقه بمفعوله وإن كان متعدياً قال المولى أبو السعود وهو أوفى بحق المقام لإفادة النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز أن يكون التقديم لازماً بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منهم ومنه وجه بمعنى توجه وبين بمعنى تبين نهى عن التقدم لأن التقدم بين يدي المرء خروج عن صفة المتابعة واستقلال في الامر فيكون التقدم بين يدي الله ورسوله منافياً للإيمان وقال مجاهد والحسن: نزلت الآية في النهي عن الذبح يوم الأضحى قبل الصلاة كأنه قيل: لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي عليه السلام وذلك أن ناساً ذبحوا قبل صلاة النبي عليه السلام فأمرهم أن يعيدوا الذبح وهو مذهبنا إلا أن تزول الشمس وعند الشافعي يجوز إذا مضى من الوقت ما يسع الصلاة وعن البراء رضي الله عنه خطبنا النبي عليه السلام يوم النحر فقال: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل أن نصلي فإنما هو لحم عجله لأهله ليس من النسك في شيء» وعن عائشة رضي الله عنها أنها نزلت في النهي عن صوم يوم الشك أي: لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم

قال مسروق كنا عند عائشة يوم الشك، فأتى بلبن فنادتني وفي «بحر العلوم» قالت للجارية: اسقيه عسلاً فقلت: إني صائم فقالت: قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وتلت هذه الآية وقالت: هذه في الصوم وغيره وقال قتادة إن ناساً كانوا يقولون: لو أنزل في كذا أو صنع في كذا ولو نزل كذا وكذا في معنى كذا ولو فعل الله كذا وينبغي أن يكون كذا فكره الله ذلك فنزلت وعن الحسن لما استقر رسول الله بالمدينة أتته الوفود من الآفاق فأكثروا عليه بالمسائل فنهوا أن يبتدئوا بالمسألة حتى يكون المبتدىء والظاهر أن الآية عامة في كل قول وفعل ولذا حذف مفعول لا تقدموا ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يمكن تقديمه من قول أو فعل مثلاً إذا جرت مسألة في مجلسه عليه السلام لا تسبقوه بالجواب وإذا حضر الطعام لا تبدؤوا بالأكل قبله وإذا ذهبتم إلى موضع لا تمشوا أمامه إلا لمصلحة دعت إليه ونحو ذلك مما يمكن فيه التقدم قيل: لا يجوز تقدم الأصاغر على الأكابر إلا في ثلاثة مواضع إذا ساروا ليلاً أو رأوا خيلاً أي: جيشاً أو دخلوا سيلاً أي: ماء سائلاً وكان في الزمان الأول إذا مشى الشاب أمام الشيخ يخسف الله به الأرض ويدخل في النهي المشي بين يدي العلماء فإنهم ورثة الأنبياء دليله ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: رآني رسول الله عليه السلام أمشي أمام أبي بكر رضي الله عنه فقال: «تمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين خيراً وأفضل من أبي بكر رضي الله عنه» كما في **«كشف الأسرار»** وأكثر هذه الروايات يشعر بأن المراد بين يدي رسول الله وذكر الله لتعظيمه والإيذان بجلالة محله عنده حيث ذكر اسمه تعالى توطئة وتمهيداً لذكر اسمه عليه السلام ليدل على قوة اختصاصه عليه السلام برب العزة وقرب منزلته من حضرته تعالى فإن إيقاع ذكره تعالى موقع ذكره عليه السلام بطريق العطف تفسير للمراد يدل عليها لا محالة كما يقال: أعجبني زيد وكرمه في موضع أن يقال أعجبني كرم زيد للدلالة على قوة اختصاص الكرم به وقال ابن عباس رضي الله عنهما معنى الآية لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

يقول الفقير: لعله من باب الاكتفاء والمقصود ولا تفعلوا خلافهما أيضاً فإن كلاً منهما من قبيل التقدم لحدود الله وحدود رسوله وبهذا المعنى في هذه الآية ألهمت بين النوم واليقظة والله أعلم وفي الآية بيان رأفة الله على عباده حيث سماهم المؤمنين مع معصيتهم فقال: يا أيها الذين آمنوا ولم يقل يا أيها الذين عصوا وهذا نداء مدح كما في «تفسير أبي الليث» وأيضاً فيها وعيد لمن حكم بخاطره بغير علم بالفرق بين الإلهام والوسواس ويقول: إنه الحق فالزموه ومقصوده الرياء والسمعة ومن شرط المؤمن أن لا يرى رأيه وعقله واختياره فوق رأي النبي والشيخ ويكون مستسلماً لما يرى فيه مصلحة ويحفظ الأدب في خدمته وصحبته ومن أدب المريد أن لا يتكلم بين يدي الشيخ فإنه سبب سقوطه من أعين الأكابر قال سهل: لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال فاقبلوا منه منصتين له مستمعين إليه واتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته إن الله سميع لما تقولون عليم بما تعملون وقال بعضهم: لا تطلبوا وراء منزلته منزلة فإنه لا يوازيه أحد بل لا يدانيه. چشم اواز حيا كوش اواز حكمت زبان اواز ثنا وتسبيح ودل اواز رحمت دست اواز سخاوى اواز مشك بويا.

قيمت عطار ومشك اندر جهان كاسد شود   چون برافشاند صبا زلفين عنبر ساى تو

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي عليه السلام بعد النهي عن التجاوز في نفس القول والفعل والصوت هو الهواء المنضغط عن قرع جسمين فإن الهواء الخارج من داخل الإنسان إن خرج بدفع الطبع يسمى نفساً بفتح الفاء وإن خرج بالإرادة وعرض له تموج بتصادم جسمين يسمى صوتاً والصوت الاختياري الذي يكون للإنسان ضربان ضرب باليد كصوت العود وما يجري مجراه وضرب بالفم فالذي بالفم ضربان نطق وغيره فغير النطق كصوت الناي والنطق إما مفرد من الكلام وإما مركب كأحد الأنواع من الكلام والمعنى لا تبلغوا بأصواتكم وراء حد يبلغه عليه السلام بصوته والباء للتعدية وقال في «المفردات»: تخصيص الصوت بالنهي لكونه أعم من النطق والكلام ويجوز أنه خصه لأن المكروه رفع الصوت لا رفع الكلام وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أن الأقرع بن حابس من بني تميم قدم على النبيّ عليه السلام فقال أبو بكر رضي الله عنه: استعمله على قومه أي: بتقديمه عليهم بالرياسة فقال عمر رضي الله عنه: لا تستعمله يارسول الله بل القعقاع بن معبد فتكلما عند النبي عليه السلام حتى ارتفعت أصواتهما فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي فقال: ما أردت خلافك فنزلت هذه الآية فكان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبي لم يسمع كلامه حتى يستفهمه وقال أبو بكر: آليت على نفسي أن لا أكلم النبي أبداً إلا كأخي السرار يعني سوكند ياد كردم كه بعد ازين هركز بارسول خدا سخن بلند نكويم مكر چنانكه باهمرازي پنهان سخن كويند **﴿ولا تجهروا له بالقول﴾** إذا كلمتموه وتكلم هو أيضاً والجهر يقال لظهور الشيء بإفراط لحاسة البصر نحو رأيته جهاراً أو حاسة السمع نحو: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الحجرات: ٢] **﴿كجهر بعضكم لبعض﴾** أي: جهراً كائناً كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم أخفض من صوته وتعهدوا في مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة جلالة النبوة فنهوا عن جهر مخصوص مقيد وهو الجهر المماثل لجهر اعتادوه فيما بينهم لا عن الجهر مطلقاً حتى لا يسوغ لهم إلا أن يتكلموا بالهمس والمخافتة فالنهي الثاني أيضاً مقيد بما إذا نطق ونطقوا والفرق المدلول النهي الأول حرمة رفع الصوت فوق صوته عليه السلام ومدلول الثاني حرمة أن يكون كلامهم معه عليه السلام في صفة الجهر كالكلام الجاري بينهم ووجوب كون أصواتهم أخفض من صوته عليه السلام بعد كونها ليست بأرفع من صوته وهذا المعنى لا يستفاد من النهي الأول فلا تكرار والمفهوم من «الكشاف» في الفرق بينهما أن معنى النهي الأول أنه عليه السلام إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم فوق الحد الذي يبلغ إليه صوته عليه السلام وأن تغضوا من أصواتكم بحيث يكون صوته عالياً على أصواتكم ومعنى الثاني أنكم إذا كلمتموه وهو عليه السلام ساكت فلا تبلغوا بالجهر في القول الجهر الدائر بينكم بل لينوا القول ليناً يقارب الهمس الذي يضاد الجهر **﴿أن تحبط أعمالكم﴾** تا

باطل نشود عملهاى شما بسبب اين جرأت. وهو علة إما للنهي على طريق التنازع فإن كل واحد من قوله لا ترفعوا ولا تجهروا يطلبه من حيث المعنى فيكون علة للثاني عند البصريين وللأول عند الكوفيين كأنه قيل انتهوا عما نهيتم عنه لخشية حبوط أعمالكم أو كراهته كما في قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦] فحذف المضاف ولام التعليل وأما علة للفعل المنهي كأنه قيل انتهوا عن الفعل الذي تفعلونه لأجل حبوط أعمالكم فاللام فيه لام العاقبة فإنهم لم يقصدوا بما فعلوه من رفع الصوت والجهر حبوط أعمالهم إلا أنه لما كان بحيث قد يؤدي إلى الكفر المحبط جعل كأنه فعل لأجله فأدخل عليه لام العلة تشبيهاً لمؤدى الفعل بالعلة الغائية وليس المراد بما نهى عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فإن ذلك كفر بل ما يتوهم أن يؤدي إليه مما يجري بينهم في أثناء المحاورة من الرفع والجهر خلا أن رفع الصوت فوق صوته عليه السلام لما كان منكراً محضاً لم يقيد بشيء يعني أن الاستخفاف به عليه السلام كفر لا الاستخفاف بأمر الرفع والجهر بل هو المؤدي إلى المنكر لأنهم إذا اعتادوا الرفع والجهر مستخفين بأمرهما ربما انضم إلى هذا الاستخفاف قصد الإهانة به عليه السلام وعدم المبالاة وكذا ليس المراد ما يقع الرفع والجهر في حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب عدو أو نحو ذلك فإنه مما لا بأس به إذ لا يتأذى به النبي عليه السلام فلا يتناوله النهي ففي الحديث أنه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين «اصرخ بالناس» وكان العباس أجهر الناس صوتاً.

ـ يروى ـ أن غارة أتتهم يوماً أي: في المدينة فصاح العباس: يا صباحاه فأسقط الحوامل لشدة صوته وكان يسمع صوته من ثمانية أميال كما مر في الفتح وعن ابن العباس رضي الله عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنه وقر وكان جهوري الصوت أي: جهيره ورفيعه وربما كان يكلم رسول الله فيتأذى بصوته وعن أنس لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عليه السلام فأخبر بشأنه فدعاه عليه السلام فسأله فقال: يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية وأنا رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال عليه السلام: «لست هناك إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة» وصدق رسول الله فإن ثابتاً مات بخير حيث قتل شهيداً يوم مسيلمة الكذاب وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام فقال له: اعلم أن فلاناً لرجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهو في ناحية من العسكر وعنده فرس مشدود يرعى وقد وضع على درعي برمة فائت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعي وائت أبا بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله وقل له إن علي ديناً لفلان حتى يقضي ديني وفلان من عبيدي حر فأخبر الرجل خالداً فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس رضي الله عنه: لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه الوصية **﴿وأنتم لا تشعرون﴾**» حال من فاعل تحبط أي: والحال أنكم لا تشعرون بحبوطها والشعور العلم والفطنة والعشر العلم الدقيق. ودانستن از طريق حس. وفيه مزيد تحذير لما نهوا عنه استدل الزمخشري بالآية على أن الكبيرة تحبط الأعمال الصالحة إذ لا قائل بالفصل والجواب أنه من باب التغليظ والمراد أنهم لا يشعرون أن ذلك بمنزلة الكفر المحبط وليس كسائر المعاصي وأيضاً أنه من باب ولا تكونن ظهيراً للكافرين يعني أن المراد وهو الجهر والرفع المقرونان بالاستهانة والقصد إلى التعريض بالمنافقين قال الراغب:

حبط العمل على أضرب أحدها أن تكون الأعمال دنيوية فلا تغني في القيامة غناء كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣] والثاني أن تكون أعمالاً أخروية لكن لم يقصد صاحبها بها وجه الله كما روي يؤتى برجل يوم القيامة فيقال له: بم كان اشتغالك قال: بقراءة القرآن فيقال له: كنت تقرأ ليقال فلان قارىء وقد قيل ذلك فيؤمر به إلى النار والثالث أن تكون أعمالاً صالحة لكن بإزائها سيئات توفي عليها وذلك هو المشار إليه بخفة الميزان انتهى وحبط عمله كسمع وضرب حبطاً وحبوطاً بطل وأحبطه الله أبطله كما في «القاموس» وقال الراغب: أصل الحبط من الحبط وهو أن تكثر الدابة من الكلأ حتى تنتفخ بطنها فلا يخرج منها شيء قال البقلي في «العرائس»: أعلمنا الله بهذا التأديب أن خاطر حبيبه من كمال لطافته ومراقبة جمال ملكوته كان يتغير من الأصوات الجهرية وذلك من غاية شغله بالله وجمع همومه بين يدي الله فكان إذا جهر أحد عنده يتأذى قلبه ويضيق صدره من ذلك كأنه يتقاعد سره لحظة عن السير في ميادين الأزل فخوفهم الله من ذلك فإن تشويش خاطره عليه السلام سبب بطلان الأعمال ومن العرش إلى الثرى لا يزن عند خاطره ذرة واجتماع خاطر الأنبياء والأولياء في المحبة أحب إلى الله من أعمال الثقلين وفيه حفظ الحرمة لرسول الله وتأديب المريدين بين يدي أولياء الله.

يقول الفقير: ولكمال لطافته عليه السلام كان الموت عليه أشد إذ اللطيف يتأثر مما لا يتأثر الكثيف كما قال بعضهم قد شاهدنا أقواماً من عرب البوادي يسلخ الحكام جميع جلد أحدهم ولا يظهر ضجراً ولو سلخ أكبر الأولياء لصاح إلا أن يؤخذ عقله بمشاهدة تمنع إحساسه انتهى ومن هنا عرف أن لكل من الجهر والخفاء محلاً فشديد النفس له الجهر ولينه له الإخفاء كما في حال النكر وليس كل أحد صاحب مشاهد.

وقال سهل: لا تخاطبوه إلا مستفهمين ثم إن الأصحاب رضي الله عنهم كانوا بعد هذه الآية لا يكلمونه عليه السلام إلا جهراً يقرب من السر والهمس وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام لأنه حي في قبره وكذا القرب منه عليه السلام في المواجهة عند السلام بحيث كان بينه وبينه عليه السلام أقل من أربعة أذرع وكره بعضهم رفع الصوت في مجالس الفقهاء تشريفاً لهم إذ هم ورثة الأنبياء قال سليمان بن حرب ضحك إنسان عند حماد بن زيد وهو يحدث بحديث عن رسول الله فغضب حماد وقال: إني أرى رفع الصوت عند حديث رسول الله وهو ميت كرفع الصوت عنده وهو حي وقام وامتنع من الحديث ذلك اليوم وحاصله أن فيه كراهة الرفع عند الحديث وعند المحدث مع أن الضحك لا يخلو من السخرية والهزل ومجلس الجد لا يحتمل مثل ذلك ولو دخل السلف مجالس هذا الزمان من مجلس الوعظ والدرس واجتماع المولد ونحو ذلك خرجوا من ساعتهم لما رأوا من كثرة المنكرات وسوء الأدب. بزركان كفته اند من ترك الاداب رد عن الباب نهصد هزار ساله طاعت ابليس بيك بي ادبى ضايع شد:

نكاه دار ادب در طريق عشق ونياز   كه كفته اند طريقت تمام آدابست

نسأل الله الكريم أن يجعلنا متحلين بحلية الأدب العظيم.

﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾ إلخ ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب من الإخلال به والغض النقصان من الطرف والصوت وما في الإناء يقال غض طرفه

خفضه وغض السقاء نقص مما فيه والمعنى إن الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله مراعاة للأدب وخشية من مخالفة النهي ﴿أولئك﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿**الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى**﴾ أخلصها للتقوى من امتحن الذهب إذا أذابه وميز إبريزه من خبثه فهو من إطلاق المقيد وهو إخلاص الذهب وإرادة المطلق:

دربوته امتحان كرم بكدازى   منت دارم كه بي غشم ميسازى

وقال في «الأساس»: محن الأديم مدده حتى وسعه وبه فسر قوله تعالى: ﴿**امتحن الله قلوبهم**﴾ أي: شرحها ووسعها وعن عمر رضي الله عنه: أذهب عنها الشهوات أي: نزع عنها محبة الشهوات وصفاها عن دنس سوء الأخلاق وحلاها بمكارمها حتى انسلخوا عن عادات البشرية ﴿**لهم**﴾ في الآخرة ﴿**مغفرة**﴾ عظيمة لذنوبهم ﴿**وأجر عظيم**﴾ التنكير للتعظيم أي: ثابت لهم غفران وأجر عظيم لا يقادر قدره لغضهم وسائر طاعاتهم فهو استئناف لبيان جزاء الغاضين مدحاً لحالهم وتعريضاً بسوء حال من ليس مثلهم وفي الآية إشارة إلى غض الصوت عند الشيخ المرشد أيضاً لأنه الوارث وله الخلافة ولا يقع الغض إلا من أهل السكينة والوقار.

وقال الحسين قدس سره: من امتحن الله قلبه بالتقوى كان شعاره القرآن ودثاره الإيمان وسراجه التفكر وطيبه التقوى وطهارته التوبة ونظافته الحلال وزينته الورع وعلمه الآخرة وشغله بالله ومقامه مع الله وصومه إلى الممات وإفطاره من الجنة وجمعه الحسنات وكنزه الإخلاص وصمته المراقبات ونظره المشاهدات قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر التقوى كل عمل يقيك من النار وإذا وقاك من النار وقاك من الحجاب وإذا وقاك من الحجاب شاهدت العزيز الوهاب روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يزال قلب ابن آدم ممتلئاً حرصاً إلا الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى» قال الراوي فلقد رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله لا يركب إلى زراعة له وأنها منه على فراسخ وقد أتى عليه سبعون سنة وروي أنه عليه السلام قال: «لا يزال قلب ابن آدم جديداً في حب الشيء وإن التفت ترقوتاه من الكبر إلا الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وهم قليل». يعني هميشه دل آدم نومى باشد درجب چيزى واكرچه نكرسته باشد هردو چنبر كردنش ازپيرى وبزركى مكر آنانكه امتحان كرداست خدا قلوب ايشان ازبراى تقوى واند كند ايشان:

وجود تو شهريست پرنيك وبد   تو سلطان ودستور دانا خرد
همانا كه دونان كردن فراز   درين شهر كبرست وسودا وآز
چو سلطان عنايت كند بابدان   كجا ماند آسايش بخردان

﴿**إن الذين ينادونك**﴾ المناداة والنداء خواندن ﴿**من وراء الحجرات**﴾ أي: من خارجها من خلفها أو قدامها لأن وراء الحجرة عبارة عن الجهة التي يواريها شخص الحجرة بجهتها أي: من أي ناحية كانت من نواحيها ولا بد أن تكون تلك الجهة خارج الحجرة لأن ما في داخلها لا يتوارى عمن فيها بجثة الحجرة واشتراك الوراء في تينك الجهتين معنوي لا لفظي لكن جعله الجوهري وغيره من الأضداد فيكون اشتراكه لفظياً ومن ابتدائية دالة على أن المناداة نشأت من جهة الوراء وأن المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة وإذا جرد الكلام عن حرف الابتداء جاز أن يكون المنادى أيضاً في الخارج لانتفاء مقتضى اختلافهما بالجهة والمراد حجرات أمهات المؤمنين وكانت لكل واحدة منهما حجرة

فتكون تسعاً عددهن جمع حجرة بمعنى محجورة كقبضة بمعنى مقبوضة وهي الموضع الذي يحجره الإنسان لنفسه بحائط ونحوه ويمنع غيره من أن يشاركه فيه من الحجر وهو المنع وقيل للعقل حجر لكون الإنسان في منع منه مما تدعو إليه نفسه ومناداتهم من ورائها إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه عليه السلام من ورائها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه السلام لأنهم لم يتحققوا إمكانه فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فأسند فعل الإبعاض إلى الكل وقيل الذي ناداه عيينة بن حصين الفزاري وهو الأحمق المطاع وكان من الجرارين يجر عشرة آلاف قناة أي: تتبعه والأقرع بن حابس وهو شاعر بني تميم وفدا على رسول الله في سبعين رجلاً من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا: يا محمد اخرج إلينا فنحن الذين مدحنا زين وذمنا شين فاستيقظ فخرج وقال لهم: «ويحكم ذلكم» أي: الله الذي مدحه زين وذمه شين وإنما أسند النداء إلى الكل لأنهم رضوا بذلك أو أمروا به أو لأنه وجد فيما بينهم وقال سعدي المفتي: إنما يحتاج إلى التأويل إذا أريد باستغراق الجمع الاستغراق الإفرادي وأما لو أريد الاستغراق المجموعي فلا ولذلك قالوا مقابلة الجمع بالجمع تفيد انقسام الآحاد بالآحاد وسئل رسول الله ﷺ عنهم فقال: «هم جفاة بني تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالاً للأعور الدجال لدعوت الله أن يهلكهم» فنزلت الآية ذماً لهم وبقي هذا الذم إلى الأبد وصدق رسول الله في قوله ﴿ذلكم الله﴾ ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ قال في «بحر العلوم» في قوله أكثر دلالة على أنه كان فيهم من قصد بالمحاشاة وهو بالفارسية استثنا كردن. وعلى قلة العقلاء فيهم قصداً إلى نفي أن يكون فيهم من يعقل إذا القلة تجري مجرى النفي في كلامهم ويؤيده الحديث السابق فيكون المعنى كلهم لا يعقلون إذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الأدب بل تأدبوا معه بأن يجلسوا على بابه حتى يخرج إليهم كما قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾.

﴿ولو أنهم صبروا﴾ الصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها ﴿حتى تخرج إليهم﴾ لو مختص بالفعل على ما ذهب إليه المبرد والزجاج والكوفيون فما بعد لو مرفوع على فاعلية لا على الابتداء على ما قاله سيبويه والمعنى ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج إليهم وحتى تفيد أن الصبر ينبغي أن يكون مغياً بخروجه عليه السلام فإنها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول: أكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها وثلثها بخلاف إلى فإنها عامة وفي إليهم إشعار بأنه لو خرج لا لأجلهم ينبغي أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه إليهم ﴿لكان﴾ أي: الصبر المذكور ﴿خيراً لهم﴾ من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثواب والثناء والإسعاف بالمسؤول إذ روي أنهم وفدوا شافعين في أسارى بني العنبر قال في «القاموس»: العنبر أبو حي من تميم قال ابن عباس رضي الله عنهما: بعث رسول الله عليه السلام سرية إلى حي بني العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصين فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله قائلاً في أهله فلما رأتهم الذراري أجهشوا إلى آبائهم يبكون والإجهاش كريستن راساختن. يقال: أجهش إليه إذا فزع إليه وهو يريد البكاء كالصبي يفزع إلى أمه وكان لكل امرأة من نساء رسول الله بيت وحجرة فجعلوا ينادون يا محمد اخرج إلينا حتى أيقظوه من نومه فخرج إليهم فقالوا: يا محمد فادنا عيالنا فنزل

جبرائيل فقال: إن الله يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلاً فقال عليه السلام لهم: «أترضون أن يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا: نعم قال سبرة: أنا لا أحكم بينهم وعمي شاهد وهو أعور بن بشامة بن ضرار فرضوا به» فقال الأعور: فأنا أرى أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال عليه السلام: «قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم» وقال مقاتل: لكان خيراً لهم لأنك كنت تعتقهم جميعاً وتطلقهم بلا فداء ﴿والله غفور رحيم﴾ بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن تضيق ساحتهما عن هؤلاء المسيئين للأدب إن تابوا وأصلحوا قال الكاشفي: والله غفور وخداى تعالى آمرزنده است كسى راكه توبه كند ازبى ادبى رحيم مهربانست باهل ادب كه تعظيم سيد اولوا الألباب ميكنند چه ادب جاذب رحمتست وحرمت جالب نعمت:

سرمايه ادب بكف آوركه اين متاع آنراكه هست سوء ادب نايدش بكف

وفي هذا المقام أمور:

الأول: أن في هذه الآية تنبيهاً على قدره عليه السلام والتأدب معه بكل حال فهم إنما نادوه لعدم عقل يعرفون به قدره ولو عرفوا قدره لكانوا كما في الخبر يقرعون بابه بالأظافير وفي المناداة إشارة إلى أنهم رأوه من وراء الحجاب ولو كانوا من أهل الحضور والشهود لما نادوه كما قال بعضهم:

كارنادان كوته انديش است يا دكردن كسى كه درپيش است

قال أبو عثمان المغربي قدس سره: الأدب عند الأكابر وفي مجلس السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى والخير في الأولى والعقبى فكما لا بد من التأدب معه عليه السلام فكذا مع من استن بسنته كالعلماء العالمين وكان جماعة من العلماء يجلسون على باب غيرهم ولا يدقون عليه بابه حتى يخرج لقضاء حاجته احتراماً.

قال أبو عبيدة القاسم بن سلام: ما دققت الباب على عالم قط كنت أصبر حتى يخرج إلي لقوله تعالى: ﴿ولو أنهم﴾ إلخ وفي الحديث: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» أي أدبني أحسن تأديب فالفاء تفسير لما قبله قال بعض الكبار من الحكمة توقير الكبير ورحمة الصغير ومخاطبة الناس باللين وقال إن كان خليلك فوقك فاصحبه بالحرمة وإن كان كفؤك ونظيرك فاصحبه بالوفاء وإن كان دونك فاصحبه بالمرحمة وإن كان عالماً فاصحبه بالخدمة والتعظيم وإن كان جاهلاً فاصحبه بالسياسة وإن كان غنياً فاصحبه بالزهد وإن كان فقيراً فاصحبه بالجود وإن صحبت صوفياً فاصحبه بالتسليم قال بعض الحكماء عاشروا الناس معاشرة إن متم بكوا عليكم وإن غبتم حنوا إليكم.

والثاني: ذم الجهل ومدح العقل والعلم فإن شرف العقل مدرك بضرورة العقل والعلم والحسن حتى أن أكبر الحيوانات شخصاً وأقواها أبداناً إذا رأى الإنسان احتشمه وخاف منه لإحساسه بأنه مستول عليه بحيلته وأقرب الناس إلى درجة البهائم أجلاف العرب والترك تراهم بالطبع يبالغون في توقير شيوخهم لأن التجربة ميزتهم عنهم بمزيد علم ولذلك روي في الأثر الشيخ في قوله كالنبي في أمته نظراً إلى قوة علمه وعقله لا بقوة شخصه وجماله وشوكته وثروته.

وفي «المثنوي»:

كشتى بى لنكر آمد مردشر كه زباد كژنيابد او حذر
لنكر عقلست عاقل را امان لنكرى دريوزه كن از عاقلان

قال بعض الكبار العاقل كلامه وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم به أمره على قلبه فينظر فيه فإن كان له أي: لنفعه أمضاه وإن كان عليه أي: لضره أمسكه والأحمق كلامه على طرف لسانه وعقله في حجره إذا قام سقط قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لسان العاقل في قلبه وقلب الأحمق في فمه والأدب صورة العقل ولا شرف مع سوء الأدب ولاداء أعيا من الجهل وإذا تم العقل نقص الكلام:

هركرا اندكست مايه عقل بيهده كفتنش بودبسيار
مردرا عقل چون بيفزايد درمجامع بكاهدش كفتار

وفي الحديث: «كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهي عن منكر» وفي حديث آخر: «وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم».

والثالث ما قال بعض الكبار تدبر سر قوله تعالى ﴿ولو أنهم صبروا﴾ الآية ولا تنظر إلى سبب النزول وانتظر خروجه مرة ثانية لقيام الساعة وفتح باب الشفاعة في هذه الدار نوماً أو يقظة في الآخرة وهو الشافع فيهما وفي الحافرة وقد ثبت أن الناس يلتجئون يوم القيامة إلى الأنبياء ثم وثم إلى أن يصلوا إليه فلا يصلون إلى المراد إلا عنده وفي الحديث «أنا أول ولد آدم خروجاً إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وخطيبهم إذا أنصتوا وأنا مبشرهم إذا أبلسوا وأنا شفيعهم إذا حشروا ولواء الكرم بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون».

سرخيل انبياء وسپهدار اتقيا سلطان باركاه دنى قائد الأمم

وإنما كان خدامه ألفاً لتحققه بألف اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق﴾ أي فاسق كان ﴿بنبأ﴾ أي نبأ كان والنبأ الخبر. يعني خبري بياردكه موحش بود وموجب تألم خاطر. فالتنكير للتعميم وفيه إيذان بالاحتراز عن كل فاسق وإنما قال إن جاءكم بحرف الشك دون إذا ليدل على أن المؤمنين ينبغي أن يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مكالمتهم بكذب ما وقال ابن الشيخ: إخراج الكلام بلفظ الشرط المحتمل الوقوع لندرة مثله فيما بين أصحابه عليه السلام ﴿فتبينوا﴾ أي: إن جاءكم فاسق بخبر يعظم وقعه في القلوب فتعرفوا وتفحصوا حتى يتبين لكم ما جاء به أصدق هو أم كذب ولا تعتمدوا على قوله المجرد لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه روي أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخا عثمان لأمه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً ثم قال: هل أزيدكم فعزله عثمان عنهم بعثه عليه السلام مصدقاً إلى بني المصطلق أي: آخذاً وقابضاً لصدقاتهم

وزكاتهم وكان بينه وبينهم إحنة أي: حقد وبغض كامن في الجاهلية بسبب دم فلما سمعوا بقدومه استقبلوه ركباناً فحسب أنهم مقاتلوه فرجع هارباً وقال لرسول الله عليه السلام: قد ارتدوا ومنعوا الزكاة وهموا بقتلي فهم عليه السلام بقتالهم فنزلت وقيل: بعث إليهم خالد بن الوليد بعد رجوع الوليد بن عقبة عنهم في عسكر وقال له: أخف عنهم قدومك إليهم بالعسكر وادخل عليهم ليلاً متجسساً هل ترى شعائر الإسلام وآدابه فإن رأيت منهم ذلك فخذ منهم زكاة أموالهم وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يفعل بالكفار ففعل ذلك خالد وجاءهم وقت المغرب فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء ووجدهم مجتهدين باذلين وسعهم ومجهودهم في امتثال أمر الله فأخذ منهم صدقاتهم وانصرف إلى رسول الله وأخبره الخبر فنزلت **﴿أن تصيبوا﴾** حذار أن تصيبوا **﴿قوماً بجهالة﴾** حال من ضمير تصيبوا أي: ملتبسين بجهالة بحلهم وكنه قصتهم **﴿فتصبحوا﴾** أي: فتصيروا بعد ظهور براءتهم مما أسند إليهم **﴿على ما فعلتم﴾** في حقهم **﴿نادمين﴾** مغتمين غماً لازماً متمنين أنه لم يقع فإن تركيب هذه الأحرف الثلاثة يدور مع الدوام مثل أدمن الأمر إذا أدامه ومدن المكان إذا أقام به ومنه المدينة يعني أن الندم غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام على ما وقع مع تمني أنه لم يقع ولزومه قد يكون لقوته من أول الأمر وقد يكون لعدم غيبة موجبه وسببه عن الخاطر وقد يكون لكثرة تذكره ولغير ذلك من الأسباب وفي الآية دلالة على أن الجاهل لا بد أن يصير نادماً على ما فعله بعد زمان وفي ترتيب الأمر بالتبين على فسق المخبر إشارة إلى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد ورد عليه السلام شهادة رجل في كذبة واحدة وقال: إن شاهد الزور مع العشار في النار وقال عليه السلام: من شهد شهادة زور فعليه لعنة الله ومن حكم بين اثنين فلم يعدل بينهما فعليه لعنة الله وما شهد رجل على رجل بالكفر إلا باء به أحدهما إن كافراً فهو كما قال وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه» كما في «كشف الأسرار» وفي الآية أيضاً إشارة إلى ترك الاستماع إلى كلام الساعي والنمام والمغتاب للناس:

كسى پيش من درجهان عاقلست	كه مشغول خود وز جهان غافلست
كسى راكه نام آمد اندرميان	به نيكوترين نام ونعتش بخوان
ازان همنشين تاتوانى كربز	كه مرفتنه خفته را كفت خيز
ميان دوكس جنك چون آتش است	سخن چين بدبخت هيزم كش است
ميان دوتن آتش آفروختن	نه عقلست خود درميان سوختن

فلا بد من التبيّن والتفحص ليظهر حقيقة الحال ويسلم المرء من الوبال ويفتضح الكذاب الدجال وفي الحديث: «التبين من الله والعجلة من الشيطان» وفيها أيضاً إشارة إلى تسويلات النفس الفاسقة الأمارة بالسوء ومجيئها كل ساعة بنبأ شهوة من شهوات الدنيا فتبينوا ربحها وخسرانها من قبل أن تصيبوا قوماً من القلوب وصفاتها بجهالة ما فيها من شفاء النفوس وحياتها ومرض القلوب ومماتها فتصبحوا صباح القيامة وأنتم على ما فعلتم نادمون

﴿واعلموا أن فيكم رسول الله﴾ وبدانيدكه درميان شماست رسول الله.

وفائدة الأمر الدلالة على أنهم نزلوا منزلة الجاهلين لمكانه لتفريطهم فيما يجب من تعظيم شأنه فيكون قوله تعالى: **﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم﴾** استئنافاً وقال بعضهم: إن بما في حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى **﴿لو يطيعكم﴾** إلخ فإنه حال

من أحد الضميرين في فيكم الأول المرفوع المستتر فيه العائد إلى رسول الله المنتقل إليه من عامله المحذوف لأن التقدير كائن فيكم أو مستقر والثاني المجرور البارز والمعنى أي: على الحال أن فيكم رسول الله كائناً على حالة يجب عليكم تغييرها أو كائنين على حالة إلخ وهي أنكم تريدون أن يتبع عليه السلام رأيكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك فعلى هذا يكون قوله: **﴿لو يطيعكم﴾** إلخ دليل وجوب تغيير تلك الحال أقيم مقام الحال وفيه إيذان بأن بعضهم زينوا لرسول الله الإيقاع ببني المصطلق تصديقاً لقول الوليد وأنه عليه السلام لم يطع رأيهم والعنت محركة الفساد والإثم والهلاك ودخول المشقة على الإنسان كما في «القاموس»: يقال عنت فلان إذا وقع في أمر يخاف منه التلف كما في **«المفردات»** فهو من الباب الرابع مثل طرب يطرب طرباً وقال الزمخشري: هو الكسر بعد الجبر كما في «تاج المصادر» العنت بزه مند شدن ودركارى افتيدن كه ازان بيرون نتواند آمد وشكسته شدن استخوان پس ازچبر وقوله: ﴿لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْۚ﴾ [النساء: ٢٥] يعني الفجور والزنى ومنه الأسير من المسلمين في دارالحرب إذا خشي العنت على نفسه والفجور لا بأس بأن يتزوج امرأة منهم والتركيب يدل على مشقة وصيغة المضارع في لو يطيعكم للدلالة على أن امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه السلام لأن عنتهم إنما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الأمور إذ فيه اختلال أمر الإيالة وانقلاب الرئيس مرؤوساً لا من إطاعته في بعض ما يرونه نادراً بل فيها استمالتهم بلا معرة قال في علم البلاغة: لو للشرط في الماضي أي: لتعليق حصول مضمون الجزاء بحصول مضمون الشرط فرضاً مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء فيلزم عدم الثبوت والمضي في جملتها إذا الثبوت ينافي التعليق والاستقبال ينافي الماضي فلا يعدل في جملتيها عن الفعلية الماضوية إلا لنكتة فدخولها على المضارع نحو لو يطيعكم إلخ لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتاً فوقتاً والفعل هو الإطاعة يعني أن امتناع عنتكم بسبب امتناع استمراره على إطاعتكم فإن المضارع يفيد الاستمرار ودخول لو عليه امتناع الاستمرار **﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان﴾** إلخ تجريد للخطاب وتوجيه له إلى بعضهم بطريق الاستدراك بياناً لبراءتهم من أوصاف الأولين وإحماداً لأفعالهم وهم الكاملون الذين لا يعتمدون على كل ما سمعوه من الأخبار والتحبيب دوست كردانيدن. أي ولكنه تعالى جعل الإيمان محبوباً لديكم **﴿وزينه﴾** وحسنه **﴿في قلوبكم﴾** حتى رسخ حبه فيها ولذلك أتيتم بما يليق به من الأقوال والأفعال وفي «عين المعاني»: في قلوبكم دون ألسنتكم مجردة رداً على الكرامية وقيل دون جوارحكم رداً على الشفعوية **﴿وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾** ولذلك اجتنبتم ما لا يليق بها مما لا خير فيه من آثارها وأحكامها والتكريه هنا بمعنى التبغيض والبغض ضد الحب فالبغض نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه والحب انجذاب النفس إلى شيء الذي ترغب فيه ولما كان في التحبيب والتكريه معنى إنهاء المحبة والكراهة وإيصالهما إليهم استعملا بكلمة إلى قال في «فتح الرحمٰن»: معنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والإمداد بالتوفيق والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد أي: العدل بظلم نفسه والعصيان الامتناع من الانقياد وهو شامل لجميع الذنوب والفسوق مختص بالكبائر **﴿أولئك﴾** المستثنون بقوله ولكن الله إلخ **﴿هم الراشدون﴾** أي: السالكون إلى الطريق السوي الموصل إلى الحق وفي الآية عدول وتلوين حيث ذكر أولها على وجه المخاطبة وآخرها على المغايبة حيث قيل: **﴿أولئك**

هم الراشدون﴾ ليعلم أن جميع من كان حاله هكذا فقد دخل في هذا المدح كما قال أبو الليث ﴿فضلاً من الله ونعمة﴾ أي: وإنعاماً تعليل لحبب وكره وما بينهما اعتراض لا للراشدين فإن الفضل فعل الله والرشد وإن كان مسبباً عن فعله وهو التحبيب والتكريه مسند إلى ضميرهم يعني أن المراد بالفاعل من قام به الفعل وأسند هو إليه لا من أوجده ومن المعلوم أن الرشد قائم بالقوم والفضل والإنعام قائمان به تعالى فلا اتحاد ﴿والله عليم﴾ مبالغ في العلم فيعلم أحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل والتمايز ﴿حكيم﴾ يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة.

وقال الكاشفي: والله عليم وخداى تعالى داناست بصدق وكذب حكيم محكم كارست درامور بند كان وازحكمتهاى اوست كه بتحقيق اخبار ميفر ما يدكه از خبرهاى ناراست انواع فتنهامى زايد:

هـركـز سـخـنـان فـتـنـة انـكـيـزمـكـو وآن راست كه هست فتنه ان نيزمكو
خـامـش كـن وكـرچـاره نـدارى زسـخـن شـوخـى مـكـن وتـنـد مـشـو تـيـزمـكـو

وفي الآية دليل على أن من كان مؤمناً لا يحب الفسق والمعصية وإذا ابتلي بالمعصية فإن شهوته وغفلته تحمله على ذلك لا لحبه للمعصية بل ربما يعصي حال الحضور لأن فيه نفاذ قضائه تعالى. شيخ أكبر قدس سره الأطهرمى فرمايدكه بعضى ازصالحان مراخبر دادكه بفلان عالم در آمدم واو عظيم برنفس خود مسرف بود شيخ فرمودكه من آن عالم مسرف رانيزمى دانم وباوى اجتماع اتفاق افتاده بودآن عزيز صالح ميكويدكه چون بدر خانه اورسيدم ابا كردازان سبب كه برصورتى نا مشروع نشسته بود كفتم چاره نيست ازديدن او كفت بكوييدكه من برچه حالم كفتم لا بداست دستورى داد در آمدم وآن خمرايشان تمام شده بود بعضى ازحاضران كفت بفلاني رقعه بنويس كه قدرى بفرستدآن عالم كفت نكنم ونمى خواهم برمعصيت حق تعالى مصر باشم والله كه هيچ كاسه نمى خورم الاكه درعقب آن توبه ميكنم ومنتظر كاس ديكر نباشم وبانفس خوددر ان باب سخن نمى كويم چوق بارديكر دورمى رسد وساقى مى آيد در نفس خودنكاه ميكنم اكرراى من بران قرار ميكيردكه بكيرم مى ستانم وچوق فارغ شدم باز بحق رجوع ميكنم وتوبه مى آدم در مرور اوقات درخاطر من نيست كه عصيان كنم آن عزيز مى كويدكه باوجود عصيان واسراف او تعجب نمودم كه چكونه ازمثل اين حضور غافل نشد پس حذر كنى ازاصرار كردن بركناه بلكه درهر حالت توبه كنى وبحق تعالى بازكرد وبراثر هرعصيانى عذرى بخواه:

طـريـقـى بـدسـت آروصـلـحـى بـجـوى شـفـيـعـى بـرانـكـيـز وعـذرى بـكـوى
كـه يـكـلـحـظـه صـورت نـبـنـدد امـان چـوپـيـمـانـه پـرشـد بـدور زمـان

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ أي: تقاتلوا والجمع حيث لم يقل اقتتلتا على التثنية والتأنيث باعتبار المعنى فإن كل طائفة جمع والطائفة من الناس جماعة منهم لكنها دون الفرقة كما دل عليه قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢] وطائفتان فاعل فعل

محذوف وجوباً لا مبتدأ لأن حرف الشرط لا يدخل إلا على الفعل لفظاً أو تقديراً والتقدير وإن اقتتل طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فحذف الأول لئلا يلزم اجتماع المفسر والمفسر وأصل القتل إزالة الروح عن الجسد **﴿فأصلحوا بينهما﴾** ثنى الضمير باعتبار اللفظ والصلاح الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والإصلاح جعل الشيء على تلك الحالة وبالفارسية بإصلاح آوردن. أي: فأصلحوا بين تينك الطائفتين بالنصح والدعاء إلى حكم الله قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: من وصل أخاه بنصيحة في دينه ونظر له في صلاح دنياه فقد أحسن صلته وقال مطرف: وجدنا أنصح العباد لله الملائكة ووجدنا أغش العباد لله الشياطين يقال: من كتم السلطان نصحه والأطباء مرضه والإخوان بثه فقد خان نفسه والإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا من أعظم الطاعات وأتم القربات وكذا نصرة المظلوم وفي الحديث: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال: «إصلاح ذات البين» وقال لقمان يا بني كذب من يقول إن الشر يطفي الشر فإن كان صادقاً فليوقد نارين ثم لينظر هل تطفىء إحداهما الأخرى وإنما يطفىء الماء النار وفي الحديث: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح إلا بإذنه ولا يؤذيه بقتار قدره إلا أن يغرف له منها ولا يشتري لبنيه الفاكهة فيخرجون بها إلى صبيان جاره ولا يطعمونهم منها» وقال بعض العارفين: سعي الإنسان في مصالح غيره من أعظم القربات إلى الله تعالى وتأمل في موسى عليه السلام لما خرج يمشي في الظلمة في حق أهله ليطلب لهم ناراً يصطلون بها ويقضون بها الأمر الذي لا يقضى إلا بها في العادة كيف أنتج له ذلك الطلب سماع كلام ربه من غير واسطة ملك فكلمه الله في عين حاجته وهي النار ولم يكن يخطر له هذا المقام بخاطر فلم يحصل له إلا في وقت السعي في مصالح العيال وذلك ليعلمه الله بما في قضاء حوائج العائلة من الفضل فيزيد حرصاً في سعيه في حقهم لأنهم عبيده على كل حال وكذلك لما وقع لموسى الفرار من الأعداء الذين طلبوا قتله أنتج له ذلك الفرار الحكم والرسالة كما قال ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الشعراء: ٢١] وذلك لأن فراره كان سعياً في حق الغير الذي هو النفس الناطقة المالكة تدبير هذا البدن فإن فرار الأكابر دائماً إنما يكون في حق الغير لا في حق أنفسهم فكان الفار من موسى النفس الحيوانية وكذلك لما خرج الخضر عليه السلام يرتاد الماء للجيش الذي كان معه حين فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منها عاش إلى زمننا هذا والحال أنه كان لا يعرف ما خص الله به شارب ذلك الماء من الحياة فلما عاد وأخبر أصحابه بالماء سارعوا إلى ذلك الموضع ليستقوا منه فأخذ الله بأبصارهم عنه فلم يهتدوا إلى موضعه كما قال الحافظ:

سكندر رانمى بخشند آبى بزور وزر ميسر نيست اين كار

فانظر ما أنتج له سعيه في حق الغير واعمل عليه والآية نزلت في قتال أحدث بين الأوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف وهي أغصان النخل إذا يبست والنعال فقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن النبي عليه السلام مر يوماً على ملأ من الأنصار فيهم عبد الله بن أبي المنافق ورسول الله عليه السلام على حماره فوقف عليهم يعظهم فبال حماره أو راث فأمسك عبد الله بن أبي أنفه وقال: نح عنا نتن حمارك فقد آذيتنا بنتنه فمن جاءك منا فعظه فسمع ذلك عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فقال: ألحمار رسول الله تقول هذا؟ والله إن بول حمار

رسول الله أطيب رائحة منك فمر عليه السلام وطال الكلام بين عبد الله بن أبي المنافق الخزرجي وعبد الله بن رواحة الأوسي حتى استبا وتجالدا وجاء قوم كل واحد منهما من الأوس والخزرج وتجالدوا بالعصي أو بالنعال والأيدي أو بالسيف أيضاً فنزلت الآية فرجّع إليهم رسول الله فقرأها عليهم وأصلح بينهم فإن قيل عبد الله بن أبي كان منافقاً والآية في طائفتين من المؤمنين قلنا إحدى الطائفتين هي عبد الله بن أبي وعشيرته ولم يكن كلهم منافقين فالآية تتناول المؤمنين منهم أو المراد بالمؤمنين من أظهر الإيمان سواء كان مؤمناً حقيقة أو ادعاء وقيل في سبب النزول غير هذا ويحتمل أن تكون الروايات كلها صحيحة ويكون نزول الآية عقيب جميعها وقال ابن بحر: القتال لا يكون بالنعال والأيدي وإنما هذا في المنتظر من الزمان انتهى. يقول الفقير: فسروا القتل بفعل يحصل به زهوق الروح كالضرب بآلة الحرب والمحدد ولو من خشب ونحو ذلك مما يفرق الأجزاء ولا شك أن السعف من قبل الخشب المحدد وأما النعال فإن بعضها يعمل عمل الخشب المحدد كما شاهدنا في نعال بعض الأعراب على أن القتال قد يستعمل مجازاً في المحاربة والمضاربة فقد وقع القتال مطلقاً في زمن النبي عليه السلام وأما حرف الشرط فإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يصدر القتال من المؤمنين إلا فرضاً مع أن خصوص السبب لا ينافي عموم الحكم فالآية عامة في جميع المسلمين إلى يوم القيامة على تقدير القتال فاعرف ﴿**فإن بغت**﴾ أي: تعدت يقال بغى عليه بغياً علا وظلم وعدل عن الحق واستطال كما في «القاموس»: وأصل البغي طلب ما ليس بمستحق فإن البغي الطلب ﴿**إحداهما**﴾ وكانت مبطلة ﴿**على الأخرى**﴾ وكانت محقة ولم تتأثر أي: الباغية بالنصيحة ﴿**فقاتلوا التي تبغي**﴾ أي: قاتلوا الطائفة الباغية ﴿**حتى تفيء**﴾ أي: ترجع فإن الفيء الرجوع إلى حالة محمودة ﴿**إلى أمر الله**﴾ أي: إلى حكمه الذي حكم به في كتابه العزيز وهو المصالحة ورفع العداوة أو إلى ما أمر به وهو الإطاعة المدلول عليها بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] فأمر الله على الأول واحد الأمور وعلى الثاني واحد الأوامر وإنما أطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس أي: إزالتها إياه فإن الشمس كلما ازدادت ارتفاعاً ازداد الظل انتساخاً وزوالاً وذلك إلى أن توازي الشمس خط نصف النهار فإذا زالت عنه وأخذت في الانحطاط أخذ الظل في الرجوع والظهور فلما كان الزوال سبباً لرجوع ما انتسخ من الظل أضيف الظل إلى الزوال فقيل فيء الزوال وأطلق أيضاً على الغنيمة لرجوعها من الكفار إلى المسلمين وتلك الأموال وإن لم تكن أولاً للمسلمين لكنها لما كانت حقهم ليتوسلوا بها إلى طاعته تعالى كانت كأنها لهم أولاً ثم رجعت.

ومر الأصمعي بحي من أحياء العرب فوجد صبياً يلعب مع الصبيان في الصحراء ويتكلم الفصاحة فقال الأصمعي: أين أباك يا صبي فنظر إليه الصبي ولم يجب ثم قال: أين أبيك فنظر إليه ولم يجب كالأول ثم قال أين أبوك فقال: فاء إلى الفيفاء لطلب الفيء فإذا فاء الفيء فاء أي: رجع ﴿**فإن فاءت**﴾ إليه وأقلعت عن القتال حذاراً من قتالكم ﴿**فأصلحوا بينهما بالعدل**﴾ والإنصاف بفصل ما بينهما على حكم الله ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى أن يكون بينهما قتال في وقت آخر. قال الحافظ:

جويبار ملك راآب سر شمشيرتست   خوش درخت عدل نشان بيخ بدخواهان بكن

قال كيخسرو: أعظم الخطايا محاربة من يطلب الصلح وتقييد الإصلاح بالعدل هٰهنا دون

الأول لأنه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وهي تورث الإحن في الغالب وقد أكد ذلك حيث قيل: **﴿وأقسطوا﴾** أي: واعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون من أقسط إذا أزال القسط بالفتح أي: الجور يقال إذا جاء القسط بالكسر أي: العدل زال القسط بالفتح أي: الجور وقال بعضهم: الإقساط أن يعطي قسط غيره أي: نصيبه وذلك إنصاف**﴿إن الله يحب المقسطين﴾** أي: العادلين الذين يؤدون لكل ذي حق حقه فيجازيهم بأحسن الجزاء.

قال الكاشفي:

عدل راشكر هست جان افزاى عدل مشاطه ايست ملك اراى
عدل كن زانكه در ولايت دل در پيغمبرى زند عادل

وقال الحافظ:

شاه رابه بود از طاعت صد ساله وزهد قدر يكساعته عمرى كه درو داد كند

قال بعض الكبار: كل من كان فيه صفة العدل فهو ملك وإن كان الحق ما ستخلفه بالخطاب الإلهي فإن من الخلفاء من أخذ المرتبة بنفسه من غير عهد إلهي إليه بها وقام بالعدل في الرعايا استناداً إلى الحق كما قال عليه السلام: ولدت في زمان الملك العادل يعني كسرى فسماه ملكاً ووصفه بالعدل ومعلوم أن كسرى في ذلك العدل على غير شرع منزل لكنه نائب للحق من وراء الحجاب وخرج بقولنا وقام بالعدل في الرعايا من لم يقم بالعدل كفرعون وأمثاله من المنازعين لحدود الله والمغالبين لجنابه بمغالبة رسله فإن هؤلاء ليسوا بخلفاء الله تعالى كالرسل ولا نواباً له كالملوك العادلة بل هم إخوان الشياطين قال بعضهم:

شه كسرى از ظلم ازان ساده است كه در عهد او مصطفى زاده است

أي: كان عدله من انعكاس نورانيته ﷺ فاعرف جداً وفي الآية دلالة على أن الباغي لا يخرج بالبغي عن الإيمان لأن إحدى الطائفتين فاسقة لا محالة إذ اقتتلتا وقد سماهما مؤمنين وبه يظهر بطلان ما ذهب إليه المعتزلة والخوارج من خروج مرتكب الكبيرة عن الإيمان ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه أنه سئل وهو القدوة في قتال أهل البغي أعلمنا أهل الجمل وصفين أمشركون هم؟ فقال: لا من الشرك فروا فقيل: أمنافقون هم؟ فقال: لا إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا وأيضاً فيها دلالة على أن الباغي إذا أمسك عن الحرب ترك لأنه فاء إلى أمر الله وأنه يجب معاونة من بغى عليهم بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة بدلالة قوله: **﴿فأصلحوا بينهما﴾** فإن النصح والدعاء إلى حكم الله إذا وجب عند وجود البغي من الطائفتين فلأن يجب عند وجوده من إحداهما أولى لأن ظهور أثره فيها أرجى.

واعلم أن الباغي في الشرع هو الخارج على الإمام العادل وبيانه في الفقه في باب البغاة قال سهل رحمه الله في هذه الآية: الطائفتان هما الروح والقلب والعقل والطبع والهوى والشهوة فإن بغى الطبع والهوى والشهوة على العقل والقلب والروح فيقاتل العبد بسيوف المراقبة وسهام المطالعة وأنوار الموافقة ليكون الروح والعقل غالباً والهوى والشهوة مغلوباً وقال بعضهم: النفس إذا ظلمت على القلب باستيلاء شهواتها واستعلائها في فسادها يجب أن تقاتل حتى تثخن بالجراحة بسيوف المجاهدة فإن استجابت بالطاعة فيعفى عنها لأنها هي المطية إلى باب الله ولا بد من العدل بين القلب والنفس لئلا يظلم القلب على النفس كما لا يظلم النفس

على القلب لأن لنفسك عليك حقاً نسأل الله إصلاح البال واعتدال الحال ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ جمع الأخ وأصله المشارك الآخر في الولادة من الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة أو في غير ذلك من المناسبات والفرق بين الخلة والأخوة أن الصداقة إذا قويت صارت أخوة فإن ازدادت صارت خلة كما في «إحياء العلوم» وسئل الجنيد قدس سره عن الأخ فقال: هو أنت في الحقيقة إلا أنه غيرك في الشخص قال بعض أهل اللغة: الإخوة جمع الأخ من النسب والإخوان جمع الأخ من الصداقة ويقع أحدهما موقع الآخر وفي الحديث وكونوا عباد الله إخواناً والمعنى إنما المؤمنون منتسبون إلى أصل واحد هو الإيمان الموجب للحياة الأبدية كما أن الإخوة من النسب منتسبون إلى أصل واحد هو الأب الموجب للحياة الفانية فالآية من قبيل التشبيه البليغ المبتنى على تشبيه الإيمان بالأب في كونه سبب الحياة كالأب ﴿**فأصلحوا بين أخويكم**﴾ الفاء للإيذان بأن الأخوة الدينية موجبة للإصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافاً إلى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الإصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك بطريق الأولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه ﴿**واتقوا الله**﴾ في كل ما تأتون وما تذرون من الأمور التي من جملتها ما أمرتم به من الإصلاح وفي «التأويلات النجمية»: واتقوا الله في إخوتكم في الدين بحفظ عهودهم ورعاية حقوقهم في المشهد والمغيب والحياة والممات ﴿**لعلكم ترحمون**﴾ راجين أن ترحموا على تقواكم كما ترحمون.

واعلم أن أخوة الإسلام أقوى من أخوة النسب بحيث لا تعتبر أخوة النسب إذا خلت عن أخوة الإسلام ألا ترى أنه إذا مات المسلم وله أخ كافر يكون ماله للمسلمين لا لأخيه الكافر وكذا إذا مات أخ الكافر وذلك لأن الجامع الفاسد لا يفيد الأخوة وأن المعتبر الأصلي الشرعي ألا يرى أن ولدي الزنى من الرجل واحد لا يتوارثان وهذا المعنى يستفاد من الآية أيضاً لأن إنما للحصر فكأنه قيل: لا أخوة إلا بين المؤمنين فلا أخوة بين المؤمن والكافر وكسب المرتد حال إسلامه لوارثه المسلم لاستناده إلى ما قبل الردة فيكون توريث المسلم من المسلم وأما كسبه حال ردته فهو فيء يوضع في بيت المال لأنه وجد بعد الردة فلا يتصور إسناده إلى ما قبلها وفي الحديث كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي. مراد باين نسب دين وتقواست نه نسب آب وكل والا ابو لهب رادر ان نصيب بودى.

كما في «كشف الأسرار» قال بعض الكبار: القرابة من رسول الله ﷺ على ثلاثة أقسام لأنها إما قرابة في الصورة فقط أو في المعنى فقط أو في الصورة والمعنى فأما القرابة في الصورة فلا يخلو إما أن تكون بحسب طينته كالسادات الشرفاء أو بحسب دينه وعلمه كالعلماء والصالحين والعباد وسائر المؤمنين وكل منهما نسبة صورية وأما قرابته عليه السلام في المعنى فهم الأولياء لأن الولي هو ولده الروحي القائم بما تهيأ لقبوله من معناه ولذلك قال ﷺ: «سلمان منا أهل البيت» إشارة إلى القرابة المعنوية وأما القرابة في الصورة والمعنى معاً فهم الخلفاء والأئمة القائمون مقامه سواء كان قبله كأكابر الأنبياء الماضين أو بعده كالأولياء الكاملين وهذه أعلى مراتب القرابة وتليها القرابة الروحية ثم القرابة الصورية الدينية ثم قرابة الطينية فإن جمعت ما قبلها فهي الغاية وقال بعضهم: إن الله خلق الأرواح من عالم الملكوت والأشباح من

عالم الملك ونفخ فيها تلك الأرواح وجعل بينها النفوس الأمارة التي ليست من قبيل الأرواح ولا من قبيل الأشباح وجعلها مخالفة للأرواح ومساكنها أي: الأشباح فأرسل عليها جند العقول ليدفع بها شرها وهي العقول المجردة والأخروية وإلا فالعقول الغريزية والدنيوية لا تقدر على الدفع بل هي معينة للنفس فإذا امتحن الله عباده المؤمنين هيج نفوسهم الأمارة ليظهر حقائق درجاتهم من الإيمان والأخوة وأمرهم أن يعينوا العقل والروح والقلب على النفس حتى تنهزم لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً فهم كنفس واحدة لأن مصادرهم مصدر واحد وهو آدم عليه السلام ومصدر روح آدم نور الملكوت ومصدر جسمه تربة الجنة في بعض الأقوال ولذلك يصعد الروح إلى الملكوت والجسم إلى الجنة ما قال عليه السلام: «كل شيء يرجع إلى أصله».

وفي «التأويلات النجمية»: اعلم أن أخوة النسب إنما تثبت إذا كان منشأ النطف صلباً واحداً فكذلك أخوة الدين منشأ نطفها صلب النبوة وحقيقة نطفها نور الله فإصلاح ذات بينهم برفع حجب أستار البشرية عن وجوه القلب ليتصل النور بالنور من روزنة القلب ليصيروا كنفس واحدة كما قال عليه السلام: «المؤمنون كنفس واحدة إن اشتكى عضو واحد تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر».

بني آدم أعضاى يكديكرند ... كه در آفرينش زيك جوهرند
چو عضوى بدر دآورد روزكار ... دكر عضوها رانماند قرار

ومن حق الأخوة في الدين أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ويسرك ما سره ويسوؤك ما ساءه وأن لا تحوجه إلى الاستعانة بك وإن استعان تعنه وتنصره ظالماً أو مظلوماً فمنعك إياه عن الظلم فذلك نصرك إياه وفي الحديث: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» ومن حقه أن لا تقصر في تفقد أحواله بحيث يشكل عليك موضع حاجته فيحتاج إلى مسألتك وأن لا تلجئه إلى الاعتذار بل تبسط عذره فإن أشكل عليك وجهه عدت باللائمة على نفسك في خفاء عذره وتتوب عنه إذا أذنب وتعوده إذا مرض وإذا أشار إليك بشيء فلا تطالبه بالدليل وإيراد الحجة كما قالوا:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهمو ... لأية حرب أم بأي مكان

والاستنجاد يارى خواستن.

قيل لفيلسوف: ما الصديق؟ فقال: اسم بلا مسمى وقال فضيل لسفيان: دلني على من أركن إليه فقال: ضالة لا توجد وقال أبو إسحاق الشيرازي:

سألت الناس عن خل وفيّ ... فقالوا ما إلى هذا سبيل
تمسك إن ظفرت بود حر ... فإن الحر في الدنيا قليل

قيل: أبعد الناس سفراً من كان سفره في طلب أخ صالح قال أعرابي: اللهم احفظني من الصديق فقيل له في ذلك قال الحذر منه أكثر من الحذر من العدو قال علي رضي الله عنه: إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب وقد أحسن من قال: الأخ الصالح خير لك من نفسك لأن النفس أمارة بالسوء والأخ لا يأمرك إلا بخير وقيل: الدنيا بأسرها لا تسع متباغضين وشبر بشبر

يسع المتحابين كما قال الحكماء: ده درويش در كليمى بخسبند ودو پادشاه در اقليمي نكنجند.

واعلم أن المواخاة أمر مسنون من لدن النبي عليه السلام فإنه آخى بين المهاجرين والأنصار.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر﴾ السخرية أن يحقر الإنسان أخاه ويستخفه ويسقطه عن درجته ويعده ممن لا يلتفت إليه أي: لا يستهزىء **﴿قوم﴾** أي: منكم وهو اسم جمع لرجل **﴿من قوم﴾** آخرين أيضاً منكم والتنكير إما للتعميم أو للتبعيض والقصد إلى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما أنها مما يجري بين بعض وبعض فإن قلت: المنهي عنه هو أن يسخر جماعة من جماعة فيلزم أن لا يحرم سخرية واحد من واحد قلت: اختيار الجمع ليس للاحتراز عن سخرية الواحد من الواحد بل هو لبيان الواقع لأن السخرية وإن كانت بين اثنين إلا أن الغالب أن تقع بمحضر جماعة يرضون بها ويضحكون بسببها بدل ما وجب عليهم من النهي شركاء الساخر في تحمل الوزر والإنكار ويكونون بمنزلة الساخرين حكماً فنهوا عن ذلك يعني أنه من نسبة فعل البعض إلى الجميع لرضاهم به في الأغلب أو لوجوده فيما بينهم والقوم مختص بالرجال لأنهم قوامون على النساء ولهذا عبر عن الإناث بما هو مشتق من النسوة تفتح النون وهو ترك العمل ويؤيده قول زهير:

وما أدري ولست أخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء

﴿عسى﴾ شايد **﴿أن يكونوا﴾** باشند **﴿خيراً منهم﴾** تعليل للنهي أي: عسى أن يكون المسخور منهم خيراً عند الله من الساخرين ولا خبر لعسى لإغناء الاسم عنه **﴿ولا نساء﴾** أي: ولا تسخر نساء من المؤمنات وهو اسم جمع لامرأة **﴿من نساء﴾** منهن وإنما لم يقل امرأة من رجل ولا بالعكس للإشعار بأن مجالسة الرجل المرأة مستقبح شرعاً حتى منعوها عن حضور الجماعة ومجلس الذكر لأن الإنسان إنما يسخر ممن يلابسه غالباً **﴿عسى أن يكن﴾** أي: المسخور منهن **﴿خيراً منهن﴾** أي: من الساخرات فإن مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والأشكال ولا الأوضاع والأطوار التي عليها يدور أمر السخرية غالباً بل إنما هو الأمور الكامنة في القلوب فلا يجترىء أحد على استحقار أحد فعله أجمع منه لما نيط به من الخيرية عند الله فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله واستهانة من عظمه الله.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه لا عبرة بظاهر الخلق فلا تنظر إلى أحد بنظر الإزراء والاستهانة والاستخفاف والاستحقار لأن في استحقار أخيك عجب نفسك مودع كما نظر إبليس بنظر الحقارة إلى آدم عليه السلام فأعجبه نفسه فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] فلعن إلى الأبد لهذا المعنى فمن حقر أخاه المسلم وظن أنه خير منه يكون إبليس وقته وأخوه آدم وقته ولهذا قال تعالى: **﴿عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾** فبالقوم يشير إلى أهل المحبة وأرباب السلوك فإنهم مخصوصون بهذا الاسم كما قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] يعني: لا ينظر المنتهي من أرباب الطلب

بنظر الحقارة إلى المبتدىء والمتوسط عسى أن يكونوا خيراً منهم فإن الأمور بخواتيمها ولهذا قال: أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقال عليه السلام: «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره» قال معروف الكرخي يوماً لتلميذه السري السقطي قدس الله سرهما: إذا كانت لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي ومن هنا أخذوا قولهم على ظهر المكاتيب بحرمة معروف الكرخي والله أعلم. يقول البغداديون: قبر معروف ترياق مجرب وبالنساء يشير إلى عوام المسلمين لأنه تعالى عبر عن الخواص بالرجال في قوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾ [النور: ٣٧] وقوله: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] يعني لا ينبغي لمسلم ما أن ينظر إلى مسلم ما بنظر الحقارة عسى أن يكن خيراً منهن إلى هذا المعنى يشير. ثم نقول إن للملائكة شركة مع إبليس في قولهم لآدم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] كان في نظرهم إليه بالحقارة إعجاب أنفسهم مودعاً ولكن الملائكة لم يصروا على ذلك الإعجاب وتابوا إلى الله ورجعوا مما قالوا فعالجهم الله تعالى بإسجادهم لآدم لأن في السجود غاية الهوان والذلة للساجد وغاية العظمة والعزة للمسجود فلما كان في تحقير آدم هوانه وذلته وعزة الملائكة وعظمتهم أمرهم بالسجود لأن علاج العلل بأضدادها فزال عنهم علة العجب وقد أصر إبليس على قوله وفعله ولم يتب فأهلكه الله بالطرد واللعن فكذلك حال من ينظر إلى أخيه المسلم بنظر الحقارة. قال الحافظ:

مكن بچشم حقارت نكاه بر من مست   كه نيست معصيت وزهدبى مشيت او

قال ابن عباس رضي الله عنه: نزلت الآية في ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه: كان في إذنه وقر فكان إذا أتى مجلس رسول الله عليه السلام وقد سبقوه بالمجلس وسعوا له حتى يجلس إلى جنبه عليه السلام يسمع ما يقول فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي عليه السلام من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لأحد فكان الرجل إذا جاء لا يجد مجلساً فيقوم على رجليه فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله يتخطى رقاب الناس وهو يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون حتى انتهى إلى رسول الله بينه وبينه رجل فقال له: تفسح فلم يفعل فقال: من هذا؟ فقال له الرجل: أنا فلان فقال: بل أنت ابن فلانة يريد أمّاً له كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل ونكس رأسه فأنزل الله هذه الآية.

ـ وروي ـ أن قوله تعالى ﴿ولا نساء من نساء﴾ نزل في نساء النبي عليه السلام عيرن أم سلمة بالقصر أو أن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أم سلمة جميلة لولا أنها قصيرة وقيل: إن الآية نزلت في عكرمة بن أبي جهل حين قدم المدينة مسلماً بعد فتح مكة فكان المسلمون إذا رأوه قالوا: هذا ابن فرعون هذه الأمة فشكا ذلك للنبي عليه السلام فقال عليه السلام: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات» ونزلت الآية:

هميشه در صدد عيب جويى خويشم   نبوده ايم پى عيب ديكران هركز

قال أبو الليث: ثم صارت الآية عامة في الرجال والنساء فلا يجوز لأحد أن يسخر من صاحبه أو من أحد من خلق الله وعن ابن مسعود «البلاء موكل بالقول»، وإني لأخشى لو سخرت من كلب أن أحول كلباً وذلك لأن المؤمن ينبغي أن ينظر إلى الخالق فإنه صنعه لا إلى المخلوق فإنه ليس بيده شيء في الحسن والقبح ونحوهما قيل للقمان: ما أقبح وجهك فقال:

تعيب بهذا على النقش أو على النقاش نسأل الله الوقوف عند أمره ونعوذ به من قهره. قال الحافظ:

نظر كردن بدرويشان منافى بزركى نيست سليمان باچنان حشمت نظرها كرد بامورش

يشير إلى التواضع والنظر إلى الأداني بنظر الحكمة ﴿**ولا تلمزوا أنفسكم**﴾ اللمز الطعن باللسان وفي «تاج المصادر»: عيب كردن. والإشارة بالعين ونحوه والغابر يفعل ويفعل ولم يخص السخرية بما يكون باللسان فالنهي الثاني من عطف الخاص على العام بجعل الخاص كأنه جنس آخر للمبالغة ولهذا قيل:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

والمعنى أو لا يعب بعضكم بعضاً فإن المؤمنين كنفس واحدة والأفراد المنتشرة بمنزلة أعضاء تلك النفس فيكون ما يصيب واحداً منهم كأنه يصيب الجميع إذا اشتكى عضو واحد من شخص تداعى سائر الأعضاء إلى الحمى والسهر فمتى عاد مؤمناً فكأنما عاب نفسه كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] (ع) عيب هركس كه كنى هم بتومى كردد باز.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما قال أنفسكم لأن المؤمنين كنفس واحدة إن عملوا شراً إلى أحد فقد عملوا إلى أنفسهم وإن عملوا خيراً إلى أحد فقد عملوا إلى أنفسهم كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]. قال الحافظ:

عيب رندان مكن اى زاهد پاكيزه سرشت كه كناه دكران برتو نخوا هند نوشت

ويجوز أن يكون معنى الآية ولا تفعلوا ما تلمزون به فإن من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه أي: تسبب للمز نفسه وإلا فلا طعن باللسان لنفسه منه فهو من إطلاق المسبب وإرادة السبب وقال سعدي المفتي: ولا يبعد أن يكون المعنى لا تلمزوا غيركم فإن ذلك يكون سبباً لأن يبحث الملموز عن عيوبكم فيلمزكم فتكونوا لامزين أنفسكم فالنظم حينئذ نظير ما ثبت في الصحيحين من قوله عليه السلام: «من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه» انتهى.

يقول الفقير: هو مسبوق في هذا المعنى فإن الإمام الراغب قال في «المفردات»: اللمز الاغتياب وتتبع المعايب أي: لا تلمزوا الناس فيلمزوكم فتكونوا في حكم من لمز نفسه انتهى ولا يدخل في الآية ذكر الفاسق لقوله عليه السلام: «اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس». .

يقول الفقير: أشار التعليل في الحديث إلى أن ذكر الفاجر بما فيه من العيوب إنما يصح بهذا الغرض الصحيح وهو أن يحذر الناس منه ومن عمله وإلا فالإمساك مع أن في ذكره تلويث اللسان الطاهر ولذا نقل عن بعض المشايخ أنه لم يلعن الشيطان إذ ليس فيه فائدة سوى اشتغال اللسان بما لا ينبغي فإن العداوة له إنما هي بمخالفته لا بلعنته فقط وفي الحديث: «طوبى لمن يشغله عيبه عن عيوب الناس» وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان لا يخلو عن العيب قيل لسقراط: هل من إنسان لا عيب فيه قال: لو كان إنسان لا عيب فيه لكان لا يموت ولذا قال الشاعر:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

أي لا مهذب في الرجال يخلو من التفرق والعيوب فمن أراد أخاً مهذباً وطلب صديقاً منقحاً لا يجده فلا بد من الستر. قال الصائب:

زديدن كرده ام معزول چشم عيب بينى را اكر برخارمى پيچم كل بيخارمى بينم

وقال:

بعيب خويش اكرراه بردمى صائب بعيب جويى مردم چه كارداشتمى

﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ النبز بسكون الباء مصدر نبزه بمعنى لقبه وبالفارسية لقب نهادن. وتنابزوا بالألقاب لقب بعضهم بعضاً فإن التنابز بالفارسية يكد يكررا بقلب خواندن. وبفتحها اللقب مطلقاً أي: حسناً كان أو قبيحاً ومنه قيل في الحديث: «قوم نبزهم الرافضة» أي: لقبهم ثم خص في العرف باللقب القبيح وهو ما يكره المدعو أن يدعى به واللقب ما سمي به الإنسان بعد اسمه العلم من لفظ يدل على المدح أو الذم لمعنى فيه والمعنى ولا يدع بعضكم بعضاً بلقب السوء قالوا: وليس من هذا قول المحدثين لسليمان الأعمش وواصل الأحدب ونحوه مما تدعو الضرورة إليه وليس فيه قصد استخفاف ولا أذى وفيه إشارة إلى أن اللقب الحسن لا ينهى عنه مثل محيي الدين وشمس الدين وبهاء الدين وفي الحديث من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب أسمائه إليه ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ الاسم هنا ليس ما يقابل اللقب والكنية ولا يقابل الفعل والحرف بل بمعنى الذكر المرتفع لأنه من السمو يقال: طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم أي: ذكره والفسوق هو المخصوص بالذم وفي الكلام مضاف مقدر وهو اسم الفسوق أي: ذكره والمعنى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الإيمان واشتهارهم به.

وفي «التأويلات النجمية»: بئس الاسم اسم يخرجهم من الإيمان والمراد به إما تهجين نسبة الكفر والفسوق إلى المؤمنين خصوصاً إذ روي أن الآية نزلت في صفية بنت حيي رضي الله عنها أتت رسول الله باكية فقالت: إن النساء يقلن لي وفي «عين المعاني» قالت لي عائشة رضي الله عنها: يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه السلام: هلا قلت: «إن أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد عليه السلام» أو الدلالة على أن التنابز مطلقاً لا بالكفر والفسوق خصوصاً فسق الجمع بينه وبين الإيمان قبيح فدخل فيه زيد اليهودي وعمرو النصراني وبكر الكافر وخالد الفاسق ونحو ذلك والعجب من العرب يقولون للمؤمنين من أهل الروم نصارى فهم داخلون في الذم ولا ينفعهم الافتخار بالأنساب فإن التفاضل بالتقوى كما سيجيء ونعم ما قيل:

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهله

وما قيل:

چه غم زمنقصت صورت اهل معنى را چو جان زروم بود كوتن ازحبش مى باش

وفي الحديث: «من عير مؤمناً بذنب تاب منه كان حقاً على الله أن يبتليه به ويفضحه فيه في الدنيا والآخرة» وفي الفقه: لو قال رجل لصالح: يا فاسق ويا ابن الفاسق ويا فاجر ويا خبيث ويا مخنث ويا مجرم ويا مباحي ويا جيفة ويا بليد ويا ابن الخبيثة ويا ابن الفاجرة ويا سارق ويا لص ويا كافر ويا زنديق ويا ابن القحبة ويا ابن قرطبان ويا لوطي ويا ملاعب الصبيان ويا آكل الربا ويا شارب الخمر وهو بريء منه ويا ديوث ويابي نماز ويا منافق ويا خائن ويا مأوى الزواني ويا مأوى اللصوص ويا حرام زاده يعزر في هذا كله، في «الفتاوى الزينية» سئل عن رجل قال لآخر يا فاسق وأراد أن يثبت فسقه بالبينة ليدفع التعزير عن نفسه هل تسمع بينته

بذلك انتهى وهو ينافي ظاهر ما قالوا من أن المقول له لو لم يكن رجلاً صالحاً وكان فيه ما قيل فيه من الأوصاف لا يلزم التعزير ﴿**ومن لم يتب**﴾ عما نهى عنه ﴿**فأولئك هم الظالمون**﴾ بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب والظالم أعم من الفاسق والفاسق أعم من الكافر.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن لم يتب يعني من مقالة إبليس وفعاله بأن ينظر إلى نفسه بالعجب وإلى غيره بالحقارة ﴿**فأولئك هم الظالمون**﴾ فيكونون منخرطين في سلك اللعنة والطرد مع إبليس كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] انتهى وفيه دلالة بينة على أن الرجل بترك التوبة يدخل مدخل الظلمة فلا بد من توبة نصوح من جميع القبائح والمعاصي لا سيما ما ذكر في هذا المقام. قال الصائب:

سرمايه نجات بودتوبه درست ... باكشتى شكسته بدرياچه ميروى

ومن أصر أخذ سريعاً لأن أقرب الأشياء صرعة الظلوم وأنفذ السهام دعوة المظلوم وتختلف التوبة على حسب اختلاف الذنب فبعض الذنوب يحتاج إلى الاستغفار وهو ما دون الكفر وبعضها يحتاج معه إلى تجديد الإسلام والنكاح إن كانت له امرأة وكان بعض الزهاد يجدد عند كل ذنب إيماناً بالله وتبرئاً من الكفر احتياطاً كما في «زهرة الرياض».

يقول الفقير يشير إليه القول المروي عن رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم» ولا شك أن الأنبياء معصومون من الكفر قبل الوحي وبعده بإجماع العلماء ومن سائر الكبائر عمداً بعد الوحي فاستغفارهم لا يكون إلا عما لا يليق بشأنهم من ترك الأولى ونحوه على ما فصل في أول سورة الفتح فدل قوله: «وأستغفرك لما لا أعلم» على أنه قد يصدر من الإنسان الذنب وهو لا يشعر وذلك بالنسبة إلى الأمة قد يكون كفراً وقد يكون غيره فكما لا بد من الاستغفار بالنسبة إلى عامة الذنوب فكذا لا بد من تجديد الإسلام بالنسبة إلى الكفر وإن كان ذلك احتياطاً إذ باب الاحتياط مفتوح في كل شأن إلا نادراً وقد صح أن إتيان كلمة الشهادة على وجه العادة لا يرفع الكفر فلا بد من الرجوع قصداً عن قول وفعل ليس فيهما رضى الله وهو باستحضار الذنب إن علم صدوره منه أو بالاستغفار مطلقاً إن صدر عنه ولو كان ذلك كفراً على أنا نقول إن إمكان صدور الكفر عام للعوام والخواص ما داموا لم يصلوا إلى غاية الغايات وهي مرتبة الذات الأحدية وإليه يشير قول سهل التستري قدس سره ولوصلوا ما رجعوا ألا ترى أن إبليس كفر بالله مع تمكن يده في الطاعات خصوصاً في العرفان فإنه أفحم كثيراً من أهل المعرفة لكنه كان من شأنه الكفر والرجوع إلى المعصية لأنه لم يدخل عالم الذات ولو دخل لم يتصور ذلك منه إذ لا كفر بعد الإيمان العياني ولهذا قال عليه السلام: «اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً ليس بعده كفر» فاعرف.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

﴿**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن**﴾ أي: كونوا على جانب منه وابعدوا عنه فإن الاجتناب بالفارسية بايك سوشدن. والظن اسم لما يحصل من أمارة ومتى قويت أدت إلى العلم ومتى ضعفت جداً لم تتجاوز حد التوهم وإبهام الكثير لإيجاب الاحتياط والتأمل في كل

ظن ظن حتى يعلم أنه من أي قبيل وتوضيح المقام أن كثيراً لما بين بقوله من الظن كان عبارة عن الظن فكان المأمور باجتنابه بعض الظن إلا أنه علق الاجتناب بقوله كثيراً لبيان أنه كثير في نفسه ولا بد لنا من الفرق بين تعريف الظن الكثير وتنكيره فلو عُرِّف وقيل اجتنبوا الظن الكثير يكون التعريف للإشارة إلى ما يعرفه المخاطب بأنه ظن كثير غير قليل، ولو نُكِر يكون تنكيره للإفراد والبعضية ويكون المأمور باجتنابه بعض أفراد الظن الموصوف بالكثرة من غير تعيينه أي بعض هو وفي التكليف على هذا الوجه فائدة جليلة وهي أن يحتاط المكلف ولا يجترىء على ظن ما حتى يتبين عنده أنه مما يصح اتباعه ولا يجب الاجتناب عنه ولو عرف لكان المعنى اجتنبوا حقيقة الظن الموصوف بالكثرة أو جميع أفراده لا ما قل منه وتحريم الظن المعرف تعريف الجنس والاستغراق لا يؤدي إلى احتياط المكلف لكون المحرم معيناً فيجتنب عنه ولا يجتنب عن غيره وهو الظن القليل سواء كان ظن سوء وظن صدق ومن المعلوم أن هذا المعنى غير مراد بخلاف ما لو نكر الظن الموصوف بالكثرة فإن المحرم حينئذ اتباع الفرد المبهم من أفراد تلك الحقيقة وتحريمه يؤدي إلى احتياط المكلف إلى أن يتبين عنده أن ما يخطر بباله من الظن من أي نوع من أنواع الظن فإن من الظن ما يجب اتباعه كحسن الظن بالله تعالى وفي الحديث: «إن حسن الظن من الإيمان» والظن فيما لا قاطع فيه من العمليات كالوتر فإنه لما ثبت بخبر الواحد لم يكن مقطوعاً به فقلنا بالوجوب فلا يكفر جاحده بل يكون ضالاً ومبتدعاً لرده خبر الواحد ويقتص لكونه فرضاً عملياً وفي «الأشباه» ويكفر بإنكار أصل الوتر والأضحية انتهى ومن الظن ما يحرم كالظن في الإلهيات أي: بوجود الإله وذاته وصفاته وما يليق به من الكمال وفي النبوات فمن قال آمنت بجميع الأنبياء ولا أعلم آدم نبي أم لا يكفر وكذا من آمن بأن نبينا عليه السلام رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لا نسخ لدينه إلى يوم القيامة لا يكون مؤمناً وكالظن حيث يخالفه قاطع مثل الظن بنبوة الحسنين أو غيرهما من خلفاء هذه الأمة وأوليائها مع وجود قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقوله عليه السلام: «لا نبي بعدي» أي: لا مشرعاً ولا متابعاً فإن مثل هذا الظن حرام ولو قطع كان كفراً وكظن السوء بالمؤمنين خصوصاً بالرسول عليه السلام وبورثته الكمل وهم العلماء بالله تعالى قال تعالى: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢] وقال عليه السلام: «إن الله حرم من المسلم عرضه ودمه وأن يظن به ظن السوء» والمراد بعضه جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه ويتحامى أن ينتقص. قال الصائب:

بدكمانى لازم بد باطنان افتاده است كوشه از خلق جا كردم كمين پند اشتند

ومن الظن ما يباح كالظن في الأمور المعاشية يعني ظن درامور دنيا ومهمات معاش ودرين صورت بدكمانى موجب سلامت وانتظام مهام است واز قبيل حزم شمرده اند كما قيل:

بدنفس مباش وبد كمان باش وزفتنه ومكردر امان باش

وفي «كشف الأسرار»: المباح كالظن في الصلاة والصوم والقبلة أمر صاحبه بالتحري فيها والبناء على غلبة الظن وفي «تفسير الكاشفي» تحردرى أمر قبله وبنا نهادن بر غلبه ظن در امور اجتهاديه مندوبست. ومعنى التحري لغة الطلب وشرعاً طلب شيء من العبادات بغالب الرأي عند تعذر الوقوف على حقيقته **﴿إن بعض الظن إثم﴾** يستحق العقاب عليه وذلك البعض كثير وهو تعليل للأمر بالاجتناب بطريق الاستئناف التحقيقي والإثم الذنب يستحق العقوبة عليه

وهمزته منقلبة من الواو كأنه يثم الأعمال أي: يكثرها فإن قلت أليس هذا ميلاً إلى مذهب الاعتزال؟ قلت: بلى لولا التشبيه أي: في كأنه قاله سعدي المفتي وقال أيضاً تبع المصنف في ذلك الزمخشري واعترض عليه بأن تصريف هذه الكلمة لا تنفك عنه الهمزة بخلاف الواوي وأنها من باب علم والواوي من باب ضرب قلت والزمخشري نفسه ذكرها في «الأساس» في باب الهمزة انتهى ودلت الآية على أن أكثر الظنون من قبيل الإثم لأن الشيطان يلقي الظنون في النفس فتظن النفس الظن الفاسد وعلى أن بعض الظن ليس بإثم بل هو حقيقته وهو ما لم يكن من قبيل النفس بل كان بالفراسة الصحيحة بأن يرى القلب بنور اليقين ما جرى في الغيب وفي الحديث إن في كل أمة محدثين أو مروعين على الشك من الراوي فإن يكن في هذه الأمة فإن عمر منهم والمحدث المصيب في رأيه كأنما حدث بالأمر المروع الذي يلقى الأمر في روعه أي: قلبه وفي «فتح الرحمٰن»: ولا يقدم على الظن إلا بعد النظر في حال الشخص فإن كان موسوماً بالصلاح فلا يظن به السوء بأدنى توهم بل يحتاط في ذلك ولا تظنن السوء إلا بعد أن لا تجد إلى الخير سبيلاً. قال الصائب:

سيلاب صاف شدزهم آغوشيء محيط باسينه كشاده كدورت چه ميكنند

وأما الفساق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم وفي «منهاج العابدين» للإمام الغزالي قدس سره: إذا كان ظاهر الإنسان الصلاح والستر فلا حرج عليك في قبول صلاته وصدقته ولا يلزمك البحث بأن تقول قد فسد الزمان فإن هذا سوء ظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمؤمنين مأمور به انتهى وفي الحديث من أتاه رزق من غير مسألة فرده فإنما يرده على الله قال الحسن: لا يرد جوائز الأمراء إلا مرائي أو أحمق وكان بعض السلف يستقرض لجميع حوائجه ويأخذ الجوائز ويقضي بها دينه والحيلة فيه أن يشتري بمال مطلق ثم ينقد ثمنه من أي مال شاء وعن الإمام الأعظم أن المبتلي بطعام السلطان والظلمة يتحرى إن وقع في قلبه حله قبل وأكل وإلا لا لقوله عليه السلام استفت قلبك قال الشيخ أبو العباس قدس سره: من كان من فقراء هذا الزمان أكالاً لأموال الظلمة مؤثراً للسماع ففيه نزغة يهودية قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢] قال سفيان الثوري رضي الله عنه: الظن ظنان أحدهما إثم وهو أن تظن وتتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم به والمراد بأن بعض الظن إثم ما أعلنته وتكلمت به من الظن وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام فيه وأنت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت أي: لأنهم أهل لذلك والمظنون موجود فيهم وعنه أيضاً: إن صحبة الأشرار تورث حسن الظن بالأخيار وطلب المتوكل جارية الدقاق بالمدينة وكان من أقران الجنيد ومن أكابر مصر فكاد يزول عقله لفرط حبها فقالت لمولاها: أحسن الظن بالله وبي فإني كفيلة لك بما تحب فحملت إليه فقال لها المتوكل: اقرئي فقرأت ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [ص: ٢٣] ففهم المتوكل ما أرادت فردها.

- وروي - عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كلم إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله فقال: «يا فلان هذه زوجتي صفية» وكانت قد زارته في العشر الأول من رمضان فقال: يا رسول الله إن كنت أظن بغيرك فإني لم أكن أظن بك فقال عليه السلام: «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم» كما في «الإحياء» وفيه إشارة إلى الحذر من مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم من الغيبة وإلى الاتقاء عن تزكية النفس فإن

النفس والشيطان لهما شأن عجيب في باب المكر والإغواء وإلقاء الفتنة والفساد نسأل الله المنان أن يجعلنا في أمان ﴿**ولا تجسسوا**﴾ أصله لا تتجسسوا حذف منه إحدى التاءين أي: ولا تبحثوا عن عورات المسلمين وعيوبهم تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب فإن جس الخبر طلبه والتفحص عنه فإذا نقل إلى باب التفعل يحدث معنى التكلف منضماً إلى ما فيه من معنى الطلب يقال جسست الأخبار أي: تفحصت عنها وإذا قيل تجسستها يراد معنى التكليف كالتلمس فإنه تفعل من اللمس وهو المس باليد لتعرف حال الشيء فإذا قيل تلمس يحدث معنى التكلف والطلب مرة بعد أخرى وقد جاء بمعنى الطلب في قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الجن: ٨] وقرىء بالحاء من الحس الذي هو أثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي «المفردات»: أصل الجس مس العرق وتعرف نبضه للحكم به على الصحة والسقم ومن لفظ الجس اشتق الجاسوس وهو أخص من الحس لأنه تعرف ما يدرك الحس والجس تعرف حال ما من ذلك وفي «الإحياء» التجسس بالجيم في تطلع الأخبار وبالحاء المهملة في المراقبة بالعين وفي «إنسان العيون»: التحسس للإخبار بالحاء المهملة أن يفحص الشخص عن الأخبار بنفسه وبالجيم أن يفحص عنها بغيره وجاء تحسسوا ولا تجسسوا انتهى. وفي «تاج المصادر»: التجسس والتحسس خبر جستن.

وفي «القاموس»: الجس تفحص الأخبار كالتجسس ومنه الجاسوس والجسيس لصاحب سر الشر ولا تجسسوا أي: خذوا ما ظاهر ودعوا ما ستر الله تعالى أو لا تفحصوا عن بواطن الأمور أو لا تبحثوا عن العورات والحاسوس الجاسوس أو هو في الخير وبالجيم في الشر انتهى وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته. قال الصائب:

خيانتهاى پنهان ميكشد آخر برسوايى   كه دزد خانكى راشحنه در يازار ميكيرد

وعن جبرائيل قال: يا محمد لو كانت عبادتنا على وجه الأرض لعملنا ثلاث خصال: سقي الماء للمسلمين وإعانة أصحاب العيال وستر الذنوب على المسلمين وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود رضي الله عنه: هل لك في الوليد بن عقبة بن أبي معيط يعني چه ميكويى در حق او. تقطر لحيته خمراً فقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنا قد نهينا عن التجسس فإن يظهر لنا شيء نأخذه به وفي الحديث: «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا» والعورات بالتسكين جمع عورة وهي عورة الإنسان وما يستحي منه من العثرات والعيوب وفي الحديث: «اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك ولا تهتك عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين» وعنه عليه السلام: «من قال عند منامه هذا الدعاء بعث الله إليه ملكاً في أحب الساعات إليه فيوقظه» كما في «المقاصد الحسنة» قال في «نصاب الاحتساب»: ويجوز للمحتسب أن يتفحص عن أحوال السوقية من غير أن يخبره أحد بخيانتهم فإن قيل ينبغي أن لا يجوز لأنه تجسس منهي فنقول التجسس طلب الخير للشر والأذى وطلب الخير للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس كذلك فلا يدخل تحت النهي.

يقول الفقير: وهو مخالف لما سبق عن ابن مسعود رضي الله عنه فإن قلت: ذلك لكونه غير آمر ومأمور قلت: دل قوله: تأخذوه به على ولايته من أي وجه كان إذ لا يأخذه إلا الوالي أو وكيله ويجوز أن يقال: لو طلب ابن مسعود خبر الوليد بنفسه للنهي عن المنكر لكان له وجه

فلما جاء خبره في صورة السعاية والهتك أعرض عنه أو رأى الستر في حق الوليد أولى فلم يستمع إلى القائل وكان عمر رضي الله عنه يعس ذات ليلة فنظر إلى مصباح من خلل باب فاطلع فإذا قوم على شراب لهم فلم يدر كيف يصنع فدخل المسجد فأخرج عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه فجاء به إلى الباب فنظر وقال له: كيف ترى أن نعمل فقال: أرى والله أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه لأنا تجسسنا واطلعنا على عورة قوم ستروا دوننا وما كان لنا أن نكشف ستر الله فقال: ما أراك إلا قد صدقت فانصرفا فالمحتسب لا يتجسس ولا يتسور ولا يدخل بيتاً بلا إذن فإن قيل ذكر في باب من يظهر البدع في البيوت أنه يجوز للمحتسب الدخول بلا إذن فنقول ذلك فيما ظهر وأما إذا خفي فلا يدخل فإن ما ستره الله لا بد وأن يستره العبد هذا في عيوب الغير وأما عيوب النفس فالفحص عنها لازم للإصلاح والتزكية وقد عدوا انكشاف عيوب النفس أولى من الكرامات وخوارق العادات فإنه ما دام لم تحصل التزكية للنفس لا تفيد الكرامة شيئاً بل ربما يوقعها في الكبر والعجب والتطاول فنعوذ بالله تعالى من شرورها وفجورها وغرورها **﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾** الاغتياب غيبت كردن والغيبة بالكسر اسم من الاغتياب وفتح الغين غلط إذ هو بفتحها مصدر بمعنى الغيبوبة والمعنى ولا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته وخلفه وسئل رسول الله ﷺ عنها فقال: «أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته» أي: قلت عليه ما لم يفعله والحاصل أن الغيبة والاغتياب هو أن يتكلم إنسان خلف إنسان مستور بما فيه من عيب أي: بكلام صادق من غير ضرورة قوية إلى ذكره ولو سمعه لغمه وإن كان ذلك الكلام كذباً يسمى بهتاناً وهو الذي يترك الديار بلاقع أي: خراباً **﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾** انتصاب ميتاً على الحالية من اللحم واللحم المنفصل عن الحي يوصف بأنه ميت لقوله عليه السلام ما أبين من حي فهو ميت وقيل من الأخ على مذهب من يجوز الحال من المضاف إليه مطلقاً وشدده نافع أي: قرأ ميتاً بالتشديد والكلام تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعاً وعقلاً وشرعاً يعني شبه الاغتياب من حيث اشتماله على تناول عرض المغتاب بأكل لحم الإنسان ميتاً تشبيهاً تمثيلياً وعبر بالهيئة المشبه بها عن الهيئة المشبهة ولا شك أن الهيئة المشبه بها أفحش جنس التناول وأقبحه فيكون التمثيل المذكور تصويراً للاغتياب بأقبح الصور وذلك أن الإنسان يتألم قلبه من قرض عرضه كما يتألم جسمه من قطع لحمه بل عرضه أشرف من لحمه ودمه فإذا لم يحسن للعاقل أكل لحوم الناس لم يحسن له قرض عرضهم بالطريق الأولى خصوصاً أن أكل الميتة هو المتناهي في كراهة النفوس ونفور الطباع ففيه إشارة إلى أن الغيبة عظيمة عند الله وفي قوله ميتاً إشارة إلى دفع وهم وهو أن يقال الشتم في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلمه فكيف يحرم فدفعه بأن أكل لحم الأخ وهو ميت أيضاً لا يؤلمه ومع هذا هو في غاية القبح لكونه بمراحل عن رعاية حق الأخوة كذا في «حواشي» ابن الشيخ.

يقول الفقير: يمكن أن يقال: إن الاغتياب وإن لم يكن مؤلماً للمغتاب من حيث عدم اطلاعه عليه لكنه في حكم الإيلام إذ لو سمعه لغمه على أنا نقول: إن الميت متألم وإن لم يكن فيه روح كما أن السن وهو الضرس متألم إذا كان وجعاً وإن لم يكن فيه حياة فاعرف **﴿فكرهتموه﴾** الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الأمر كما

ذكر فقد كرهتموه فأضمر كلمة قد لتصحيح دخول الفاء في الجزاء فالمقصود من تحقيق استكراههم وتقذرهم من المشبه به الترغيب والحث على استكراه ما شبه به وهو الغيبة كأنه قيل إذا تحققت كراهتكم له فليتحقق عندكم كراهة نظيره الذي هو الاغتياب ﴿**واتقوا الله**﴾ بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل وهو عطف على ما تقدم من الأوامر والنواهي ﴿**إن الله تواب رحيم**﴾ مبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وإن كثرت ذنوبهم فصيغة المبالغة باعتبار المتعلقات.

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما إلى المنزل فيهيىء لهما طعامهما وشرابهما فضم سلمان الفارسي إلى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيىء لهما شيئاً؟ فلما قدما قالا له: ما صنعت شيئاً فقال: لا غلبتني عيناي قالا له: انطلق إلى رسول الله فاطلب لنا منه طعاماً فجاء سلمان إلى رسول الله وسأله طعاماً فقال عليه السلام: انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له إن كان عنده فضل من طعام فليعطك وكان أسامة خازن رسول الله على رحله وطعامه فأتاه فقال: ما عندي شيء فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالا: كان عند أسامة شيء ولكن بخل به فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً فلما رجع قالوا: لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها» وسميحة كجهينة بالحاء المهملة بئر بالمدينة غزيرة الماء على ما في «القاموس» ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله من الطعام فلما جاءا إلى رسول الله قال لهما: «ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما» والعرب تسمي الأسود أخضر والأخضر أسود وخضرة اللحم من قبيل الأول كأنه عليه السلام أراد باللحم لحم الميت وقد اسود بطول المكث تصويراً لاغتيابهما بأقبح الصور ويحتمل أنه عليه السلام أراد بالخضرة النضارة أي: نضارة اللحم أو نضارة تناوله وفي الحديث «الدنيا حلوة خضرة نضرة» أي: غضة طرية ناعمة قالا: والله يا رسول ما تناولنا يومنا هذا لحماً قال عليه السلام «ظللتما تأكلان لحم أسامة وسلمان» أي: أنكما قد اغتبتماهما فأنزل الله الآية.

آنكس كه لواء غيبت افراخته است   از كوشت مردكان غدا ساخته است
وانكس كه بعيب خلق پرداخته است   زانست كه عيب خويش نشناخته است

وفي الحديث: الغيبة أشد من الزنى قالوا: وكيف؟ قال: إن الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه» كما في «كشف الأسرار» وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيبة إدام كلاب الناس وكان أبو الطيب الطاهري يهجو بني سامان فقال له نضر بن أحمد: إلى متى تأكل خبزك بلحوم الناس فخجل ولم يعد. قال الصائب:

كسى كه پاك نسازد دهن زغيبت خلق   همان كليتد در دوزخست مسواكش

قال الشيخ سعدي في كتاب «الكلستان»: ياد دارم كه در عهد طفوليت متعبد بودم وشب خيز ومولع زهد ويرهيز تاشبي درخدمت پدر نشسته بودم وهمه شب ديده بهم نبسته ومصحف عزيز دركنار كرفته وطائفة كردما خفته پدر را كفتم كه ازاينان يكى سر برنمى آردكه دو ركعت نماز بكزارد ودر خواب غفلت چنان رفته اندكه كويى نخفته اند بلكه مرده كفت اى جان پدرا كر تونيز بحفتى به كه درپوستين خلق افتى:

نبيند مدعى جز خويشتن را كه دارد برده پندار درپيش
اكر چشم دلت را بركشايى نه بينى هيچ كس عاجز تراز خويش

وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل فقال: هم الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» وفي الحديث: «خمس يفطرون الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة» رواه أنس وأول من اغتاب إبليس اغتاب آدم وكان ابن سيرين رحمه الله قد جعل على نفسه إذا اغتاب أن يتصدق بدينار ومما يجب التنبيه له أن مستمع الغيبة كقائلها فوجب على من سمعها أن يردها كيف وقد قال النبي عليه السلام: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة» وقال عليه السلام: «المغتاب والمستمع شريكان في الإثم» وعن ميمون أنه أتى بجيفة زنجي في النوم فقيل له: كل منها فقال: لم قيل: لأنك اغتبت عبد فلان فقال: ما قلت فيه شيئاً قيل: لكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحداً ولا يدع أحداً أن يغتاب عنده أحداً وعن بعض المتكلمين ذكره بما يستخف به إنما يكون غيبة إذا قصد الإضرار والشماتة به أما إذا ذكره تأسفاً لا يكون غيبة وقال بعضهم: رجل ذكر مساوىء أخيه المسلم على وجه الاهتمام ومثله في «الواقعات» وعلل بأنه إنما يكون غيبة أن لو أراد به السب والنقص قال السمرقندي في «تفسيره» قلت: فيما قالوه خطر عظيم لأنه مظنة أن يجر إلى ما هو محض غيبة فلا يؤمن فتركها رأساً أقرب إلى التقوى وأحوط انتهى. وفي «هدية المهديين» رجل لو اغتاب فريقاً لا يأثم حتى يغتاب قوماً معروفين ورجل يصلي ويؤذي الناس باليد أو اللسان لا غيبة له إن ذكر بما فيه وإن أعلم به السلطان حتى يزجره لا يأثم انتهى وفي «المقاصد الحسنة» ثلاثة ليست لهم غيبة الإمام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذي يدعو الناس إلى بدعته انتهى وعن الحسن لا حرمة لفاجر.

- وروي - «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له» واذكر الفاجر بما فيه ليحذره الناس كما في «الكواشي»: وإذا جاز نقص عرض الفاسق بغيبته فأولى أن يجوز نقص عرض الكافر كما في «شرح المشارق» لابن الملك وسلك بعضهم طريق الاحتياط فطرح عن لسانه ذكر الخلق بالمساوي مطلقاً كما حكي أنه قيل لابن سيرين: ما لك لا تقول في الحجاج شيئاً؟ فقال: أقول فيه حتى ينجيه الله بتوحيده ويعذبني باغتيابه ومن هنا أمسك بعضهم عن لعن يزيد وكان فضيل يقول: ما لعنت إبليس قط أي: وإن كان ملعوناً في نفس الأمر كما نطق به القرآن فكيف يلعن من اشتبه حاله وحال خاتمته وعاقبته.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ أي: من آدم وحواء عليهما السلام أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء في الانتساب إلى ذكر وأنثى أياً كانا فلا وجه للتفاخر بالنسب:

الناس من جهة التمثال اكفاه ابو هـمـو آدم والام حـواء

فان يكن لهمو من أصلهم نسب يفاخرون به فالطين والماء
از نسب آدمياني كه تفاخر ورزند ازره دانش وانصاف چه دور افتادند
نرسد فخر كسى رابنسب برد كرى چونكه دراصل زيك آدم وحوازادند

نزلت حين أمر النبي عليه السلام بلالاً رضي الله عنه ليؤذن بعد فتح مكة فعلا ظهر الكعبة فأذن فقال عتاب بن أسيد وكان من الطلقاء: «الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم» وقال الحارث بن هشام: أما وجد رسول الله سوى هذا الغراب يعني بلالاً وخرج أبو بكر بن أبي داود في تفسير القرآن أن الآية نزلت في أبي هند حين أمر رسول الله بني بياضة أن يزوجوه امرأة منهم فقالوا: يا رسول الله تتزوج بناتنا مواليها فنزلت وفيه إشارة إلى أن الكفاءة في الحقيقة إنما هي بالديانة أي: الصلاح والحسب والتقوى والعدالة ولو كان مبتدعاً والمرأة سنية لم يكن كفؤاً لها كما في «النتف» وسئل الرستغفني عن المناكحة بين أهل السنة وبين أهل الاعتزال فقال: لا يجوز كما في «مجمع الفتاوى». ﴿**وجعلناكم شعوباً وقبائل**﴾ وشمارا شاخ شاخ كرديم وخاندان خاندان. والشعب بفتح الشين الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة بكسر العين تجمع البطون والبطون تجمع الأفخاذ والفخذ تجمع الفصائل والفصيلة تجمع العشائر وليس بعد العشيرة حي يوصف به كما في «كشف الأسرار» فخزيمة شعب وكنانة وقبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لأن القبائل تتشعب منها كتشعب أغصان الشجرة وسميت القبائل لأنها يقبل بعضها على بعض من حيث كونها من أب واحد وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب والأسباط من بني إسرائيل والشعوب من قحطان والقبائل من عدنان. ﴿**لتعارفوا**﴾ أصله لتتعارفوا حذفت إحدى التاءين أي: ليعرف بعضكم بعضاً بحسب الإنسان فلا يعتزي أحد إلى غير آبائه لا لتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الأنساب.

وقال الكاشفي: يعني دوكس كه بنام متحد باشند بقبيله متميز ميشوند چنانچه زيد تميمي از زيد قرشي ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ تعليل للنهي عن التفاخر بالأنساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقي كأن قيل إن الأكرم عنده تعالى هو الأتقى وإن كان عبداً حبشياً أسود مثل بلال فإن فاخرتم ففاخروا بالتقوى وبفضل الله ورحمته بل بالله تعالى ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي: ليس الفخر لي بالسيادة والرسالة بل العبودية فإنها شرف أي: شرف وكفى شرفاً تقديم العبد على الرسول في قوله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

ـ وروي ـ أن رسول الله عليه السلام مر في سوق المدينة فرأى غلاماً أسود يقول: من اشتراني فعلى شرط أن لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله فاشتراه رجل فكان رسول الله يراه عند كل صلاة ففقده فسأل عنه صاحبه فقال: محموم فعاده ثم سأل عنه بعد أيام فقيل هو كابه أي: متهيىء للموت الذي هو لاحق به فجاءه وهو في بقية حركته وروحه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والأنصار أمر عظيم فنزلت الآية ﴿**إن الله عليم**﴾ بكم وبأعمالكم ﴿**خبير**﴾ ببواطن أحوالكم قال ابن الشيخ في «حواشيه»: والنسب وإن كان معتبراً عرفاً وشرعاً حتى لا تتزوج الشريفة بالنبطي قال في «القاموس»: النبط محركة جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين وهو نبطي محركة انتهى إلا أنه لا عبرة به عند ظهور ما هو أعظم قدراً منه

وأعز وهو الإيمان والتقوى كما لا تظهر الكواكب عند طلوع الشمس فالفاسق وإن كان قرشي النسب وقارون النشب لا قدر له عند المؤمن التقي وإن كان عبداً حبشياً والأمور التي يفتخر بها في الدنيا وإن كانت كثيرة لكن النسب أعلاها من حيث إنه ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك بخلاف غيره كالمال مثلاً فإنه قد يحصل للفقير مال فيبطل افتخار المفتخر به عليه وكذا الأولاد والبساتين ونحوها فلذلك خص الله النسب بالذكر وأبطل اعتباره بالنسبة إلى التقوى ليعلم منه بطلان اعتبار غيره بطريق الأولى انتهى وفي الحديث «إن ربكم واحد وأبوكم واحد لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى» وعلى هذا إجماع العلماء كما في «بحر العلوم» هركرا تقوى بيشتر قدم أودر مرتبه فضل بيشتر. الشرف بالفضل والأدب لا بالأصل والنسب:

بـــاادب بـــاش تـــا بـــزرك شـــوى   كـــه بـــزركـــى نـــتـــيـــجـــة ادبـــســـت

قال بعض الكبار: المفاضلة بين الخلق عند الله لنسبهم لا لنسبتهم فهم من حيث النسبة واحد ومن حيث النسب متفاضلون إن أكرمكم عند الله أتقاكم ولا يصح التفاضل بالأعمال فقد يسبق التابع المتبوع ولو كان الشرف للأشياء من حيث شأنها أو مواطنها لكان الشرف لإبليس على آدم في قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦] ولكن لما كان الشرف اختصاصاً إلهياً لا يعرف إلا من جانب الحق تعالى جهل إبليس في مقالته تلك وصح الشرف لآدم عليه السلام والخيرية وسئل عيسى عليه السلام: أي الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب ثم قال: أي هذين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال: الناس كلهم من تراب وأكرمهم عند الله أتقاهم قال سليمان الفارسي رضي الله عنه:

أبـــي الإســـلام لا أب لـــي ســـواه   إذا افـــتـــخـــروا بـــقـــيـــس أو تـــمـــيـــم

وفي الحديث إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم.

ره راســت بـــايـــدنـــه بـــالاى راســـت   كه كافر هم از روى صورت چوماست

وقال عليه السلام: «يا أيها الناس إنما الناس رجل مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله» وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى.

ـ وروي ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس يحشرون يوم القيامة ثم يوقفون ثم يقول الله لهم: طالما كنتم تكلمون وأنا ساكت فاسكتوا اليوم حتى أتكلم إني رفعت نسبي وأبيتم إلا أنسابكم قلت: إن أكرمكم عندي أتقاكم وأبيتم أنتم فقلتم لا بل فلان ابن فلان وفلان ابن فلان فرفعتم أنسابكم ووضعتم نسبي فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم سيعلم أهل الجمع اليوم من أصحاب الكرم أين المتقون كما في «كشف الأسرار» قال الكاشفي: أربعة لا يعبأ الله بهم يوم القيامة: زهد خصي وتقوى جندي وأمانة امرأة وعبادة صبي وهو محمول على الغالب كما في «المقاصد الحسنة».

قال في «التأويلات النجمية»: يشير بقوله تعالى: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾** إلى خلق القلوب أنها خلقت من ذكر وهو الروح وأنثى وهي النفس وجعلناكم شعوباً وقبائل أي: جعلناها صنفين: صنف منها شعوب وهي التي تميل إلى أمها وهي النفس والغالب عليها صفات النفس وصنف منها قبائل وهي التي تميل إلى أبيها وهو الروح والغالب عليها

صفات الروح لتعارفوا أي: لتتعارفوا أصحاب القلوب وأرباب النفوس لا لتتكاثروا وتتنافسوا وتباهوا بالعقول والأخلاق الروحانية الطبيعية فإنها ظلمانية لا يصلح شيء منها للتفاخر به ما لم يقرن به الإيمان والتقوى فإن تنورت الأفعال والأخلاق والأحوال بنور الإيمان والتقوى فلم تكن الأفعال مشوبة بالرياء ولا الأخلاق مصحوبة بالأهواء ولا الأحوال منسوبة إلى الإعجاب فعند ذلك تصلح للتفاخر والمباهاة بها كما قال تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ وقال عليه السلام: «الكرم التقوى» فأتقاهم من يكون أبعدهم من الأخلاق الإنسانية وأقربهم إلى الأخلاق الربانية والتقوى هو التحرز والمتقي من يتحرز عن نفسه بربه وهو أكرم على الله من غيره» انتهى.

﴿**قالت الأعراب آمنا**﴾ الأعراب أهل البادية وقد سبق تفصيله في سورة الفتح وإلحاق التاء بالفعل المسند إليهم مع خلوه عنها في قوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: ١٢] للدلالة على نقصان عقلهم بخلافهن حيث لمن امرأة العزيز في مراودتها فتاها وذلك يليق بالعقلاء نزلت في نفر من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدب فأظهروا الشهادتين فكانوا يقولون لرسول الله عليه السلام: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وأتيناك بالأثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يرون الصدق ويمنون عليه عليه السلام ما فعلوا ﴿**قل**﴾ رداً لهم ﴿**لم تؤمنوا**﴾ إذ الإيمان هو التصديق بالله وبرسوله المقارن للثقة بحقيقة المصدق وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك وإلا لما مننتم على ما ذكرتم من الإسلام وترك المقاتلة كما ينبىء عنه آخر السورة يعني أن التصديق الموصوف مسبوق بالعلم بقبح الكفر وشناعة المقاتلة وذلك يأبى المن وترك المقاتلة فإن العاقل لا يمن بترك ما يعلم قبحه. ﴿**ولكن قولوا أسلمنا**﴾ أسلم بمعنى دخل في السلم كأصبح وأمسى وأشتى أي: قولوا دخلنا في السلم والصلح والانقياد مخافة أنفسنا فإن الإسلام انقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به أي: بالانقياد والدخول المذكور وإيثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أولم تؤمنوا ولكن أسلمتم ليتقابل جملتا الاستدراك للاحتراز عن النهي عن التلفظ بالإيمان فإن ظاهره مستقبح سيما ممن بعث للدعوة إلى القول به وللتفادي عن إخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولاً محضاً قال سعدي المفتي والظاهر أن النظم من الاحتباك حذف من الأول ما يقابل الثاني ومن الثاني ما يقابل الأول والأصل قل لم تؤمنوا فلا تقولوا آمنا ولكن أسلمتم فقولوا أسلمنا وهذا من اختصارات القرآن ﴿**ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾ حال من ضمير قولوا أي: ولكن قولوا أسلمنا حال عدم مواطأة قلوبكم لألسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بأن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد ﴿**وإن تطيعوا الله ورسوله**﴾ بالإخلاص وترك النفاق ﴿**لا يلتكم من أعمالكم شيئاً**﴾ أي: لا ينقصكم شيئاً من أجورها من لات يليت ليتاً إذا نقص قال الإمام معنى قوله لا يلتكم أنكم إن أتيتم بما يليق بضعفكم من الحسنة المقرونة بالإخلاص وترك النفاق فهو تعالى يأتكم بما يليق بفضله من الجزاء لا ينقص منه نظراً إلى ما في حسناتكم من النقصان والتقصير وهذا لأن من حمل إلى ملك فاكهة طيبة يكون ثمنها في السوق درهماً مثلاً وأعطاه الملك درهماً أو ديناراً انتسب الملك إلى قلة العطاء بل إلى البخل فليس معنى الآية أن يعطي من الجزاء مثل عملكم من غير نقص بل المعنى يعطي ما تتوقعون بأعمالكم من غير نقص ويؤيد ما قاله قوله تعالى: ﴿**إن الله غفور**﴾ لما فرط من المطيعين ﴿**رحيم**﴾ بالتفضل عليهم قال في «بحر العلوم»: في الآية إيذان بأن

حقيقة الإيمان التصديق بالقلب وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالإيذان ليس بإيمان.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن حقيقة الإيمان ليست مما يتناول باللسان بل هو نور يدخل القلوب إذا شرح الله صدر العبد للإسلام كما قال تعالى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] وقال عليه السلام في صفة ذلك النور «إذا وقع في القلب انفسخ له واتسع» قيل يا رسول الله هل لذلك النور علامة يعرف بها؟ قال: «بلى التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله» ولهذا قال تعالى: **﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾** فهذا دليل على أن محل الإيمان القلب انتهى.

وفي علم الكلام ذهب جمهور المحققين إلى أن الإيمان التصديق بالقلب وإنما الإقرار شرط لا جزؤه لإجراء الأحكام في الدنيا كالصلاة عليه في وقت موته لما أن تصديق القلب أمر باطن لا يطلع عليه أحد لا بد له من علامة فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله لوجود التصديق القلبي وإن لم يكن مؤمناً في أحكام الدنيا لانتفاء شرطه وأما من جعل الإقرار ركناً من الإيمان فعنده لا يكون تارك الإقرار مؤمناً عند الله ولا يستحق النجاة من خلود النار ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق هو مؤمن في أحكام الدنيا وإن لم يكن مؤمناً عند الله وهذا المذكور من أن الإيمان هو التصديق القلبي والإقرار باللسان لإجراء الأحكام هو اختيار الشيخ أبي منصور رحمه الله والنصوص معاضدة لذلك قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢] وقال الله تعالى ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] وقال الله تعالى: **﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾** وقال عليه السلام: «اللهم ثبت قلبي على دينك» أي: على تصديقك وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه حين قتل: من قال لا إله إلا الله «هل شققت قلبه» وفي «فتح الرحمٰن»: حقيقة الإيمان لغة التصديق بما غاب وشرعاً عند أبي حنيفة رحمه الله تصديق بالقلب وعمل باللسان وعند الثلاثة عقد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان فدخل كل الطاعات انتهى قال ابن الملك في «شرح المشارق» ثم الإقرار باللسان ليس جزءاً من الإيمان ولا شرطاً له عند بعض علمائنا بل هو شرط لإجراء أحكام المسلمين على المصدق لأن الإيمان عمل القلب وهو لا يحتاج إلى الإقرار وقال بعضهم: إنه جزء منه لدلالة ظواهر النصوص عليه إلا أن الإقرار لما كان جزءاً له شائبة العرضية والتبعية اعتبروا في حالة الاختيار جهة الجزئية حتى لا يكون تاركه مع تمكنه منه مؤمناً عند الله وإن فرض أنه مصدق وفي حالة الاضطرار جهة العرضية فيسقط وهذا معنى قولهم الإقرار ركن زائد إذ لا معنى لزيادته إلا أن يحتمل السقوط عند الإكراه على كلمة الكفر فإن قيل ما الحكمة في جعل عمل جارحة جزءاً من الإيمان ولم عين به عمل اللسان دون أعمال سائر الأركان قلنا لما اتصف الإنسان بالإيمان وكان التصديق عملاً لباطنه جعل عمل ظاهره داخلاً فيه تحقيقاً لكمال اتصافه به وتعين له فعل اللسان لأنه مجبول للبيان أو لكونه أخف وأبين من عمل سائر الجسد نعم يحكم بإسلام كافر لصلاته بجماعة وإن لم يشاهد إقراره لأن الصلاة المسنونة لا تخلو عنه وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام المقدسي: النطق بكلمتي الشهادة واجب فمن علم وجوبهما وتمكن من النطق بهما فلم ينطق فيحتمل أن يجعل امتناعه من النطق بهما كامتناعه من الصلاة فيكون مؤمناً غير مخلد في النار لأن الإيمان هو التصديق المحض بالقلب واللسان ترجمانه وهذا هو الأظهر إذ قال رسول الله ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من

الإيمان» ولا يعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا يعدم بترك الفعل الواجب انتهى. وقال سهل رضي الله عنه: ليس في الإيمان أسباب إنما الأسباب في الإسلام والمسلم محبوب للخلق والمؤمن غني عن الخلق وقال بعض الكبار: المسلم في عموم الشريعة من سلم الناس من لسانه ويده وفي خصوصها من سلم كل شيء من لسانه بما يعبر عنه ويده فيما له فيه نفوذ الاقتدار والمؤمن منور الباطن وإن عصى والكافر مظلم الباطن وإن أتى بمكارم الأخلاق ومن قال أنا مؤمن إن شاء الله فما عرف الله كما ينبغي وقال بعض الكبار: كل من آمن عن دليل فلا وثوق بإيمانه لأنه نظري لا ضروري فهو معرض للشبه القادحة فيه بخلاف الإيمان الضروري الذي يجده المؤمن في قلبه ولا يقدر على دفعه وكذا القول في كل علم حصل عن نظر وفكر فإنه مدخول لا يسلم من دخول الشبه عليه ولا من الحيرة فيه ولا من القدح في الأمر الموصل إليه ولا بد لكل محجوب من التقليد فمن أراد العلم الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فليكثر من الطاعات والنوافل حتى يحبه الحق فيعرف الله بالله ويعرف جميع أحكام الشريعة بالله لا بعقله ومن لم يكثر مما ذكر فليقلد ربه فيما أخبر ولا يؤول فإنه أولى من تقليد العقل.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾.

﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا**﴾أي: آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق معه من ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك في الخبر مع التهمة للمخبر فظهر الفرق بين الريب والشك فإن الشك تردد بين نقيضين لا تهمة فيه وفيه إشارة إلى أن فيهم ما يوجب نفي الإيمان عنهم وهو الارتياب وثم للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان ليس في حال إنشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] ﴿**وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله**﴾في طاعته على تكثير فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معاً كالحج والجهاد ﴿**أولئك**﴾الموصوفون بما ذكر من الأوصاف الجميلة ﴿**هم الصادقون**﴾ أي: الذين صدقوا في دعوى الإيمان لا غيرهم فهو قصر إفراد وتكذيب لأعراب بني أسد حيث اعتقدوا الشركة وزعموا أنهم صادقون أيضاً في دعوى الإيمان.

واعلم أن الآية الكريمة شاملة لمجامع القوى التي وجب على كل أحد تهذيبها وإصلاحها تطهيراً لنفسه الحاصل به الفوز بالفلاح والسعادة كلها كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس: ٩] وهي قوة التفكر وقوة الشهوة وقوة الغضب اللاتي إذا أصلحت ثلاثتها وضبطت حصل العدل الذي قامت به السماوات والأرض فإنها جميع مكارم الشريعة وتزكية النفس وحسن الخلق المحمود ولأصالة الأولى وجلالتها قدمت على الأخيرتين فدل بالإيمان بالله ورسوله مع نفي الارتياب على العلم اليقيني والحكمة الحقيقية التي لا يتصور حصولها إلا بإصلاح قوة التفكر ودل بالمجاهدة بالأموال على العفة والجود التابعين بالضرورة لإصلاح قوة الشهوة وبالمجاهدة بالأنفس على الشجاعة والحلم التابعين لإصلاح قوة الحمية الغضبية وقهرها وإسلامها للدين وعليه دل قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

[الأعراف: ١٩٩] فإن العفو عمن ظلم هو كمال الحلم والشجاعة وإعطاء من حرم كمال العفة والجود ووصل من قطع كمال الفضل والإحسان.

واعلم أيضاً أن جميع كمالات النفس الإنسانية محصورة في القوى الثلاث وفضائلها الأربع إذ العقل كماله العلم والعفة كمالها الورع والشجاعة كمالها المجاهدة والعدل كماله الإنصاف وهي أصول الدين على التحقيق وفي الآية رد للدعوى وحث على الاتصاف بالصدق قال بعضهم: لولا الدعاوى ما خلقت المهاوي فمن ادعى فقد هوى فيها وإن كان صادقاً ألا تراه يطالب بالبرهان ولو لم يدع ما طولب بدليل. قال الحافظ:

حديث مدعيان وخيال همكاران همان حكايت زرد وزو بور يابافست

وفي الحديث يا أبا بكر عليك بصدق الحديث والوفاء بالعهد وحفظ الأمانة فإنها وصية الأنبياء. قال الحافظ:

طريق صدق بياموز ازاب صافي دل بر استى طلب آزادكى چوسر وچمن

وأتى رسول الله التجار فقال: «يا معشر التجار إن الله باعثكم يوم القيامة فجاراً إلا من صدق ووصل وأدى الأمانة» وفي الحديث: «التجار هم الفجار قيل ولم يا رسول الله وقد أحل الله البيع فقال: لأنهم يحلفون فيأثمون ويتحدثون فيكذبون» قال الصائب:

كعبه دركام نخستين كند استقبالت از سر صدق اكر همنفس دل باشى

فإذا صدق الباطن صدق الظاهر إذ كل إناء يترشح بما فيه وكل أحد يظهر ما فيه بفيه.

﴿**قل**﴾ - روي - أنه لما نزلت الآية السابقة جاء الأعراب وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى: قل يا محمد لهم: ﴿**أتعلمون الله بدينكم**﴾ دخلت الباء لأن هذا التعليم بمعنى الإعلام والإخبار أي: أتخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم والاستفهام فيه للتوبيخ والإنكار أي: لا تعرفوا الله بدينكم فإنه عالم به لا يخفى عليه شيء وفيه إشارة إلى أن التوقيف في الأمور الدينية معتبر واجب وحقيقتها موكولة إلى الله فالأسامي منه تؤخذ والكلام منه يطلب وأمره يتبع ﴿**والله يعلم ما في السموات والأرض**﴾ حال من فاعل تعلمون مؤكدة لتشنيعهم ﴿**والله بكل شيء عليم**﴾ لا يحتاج إلى إخباركم تذييل مقرر لما قبله أي: مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ما أخفوه من الكفر عند إظهارهم الإيمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم حيث كانوا يجتهدون في ستر أحوالهم وإخفائها.

وفي «التأويلات النجمية»: والله يعلم ما في سماوات القلوب من استعدادها في العبودية وما في أرض النفوس من تمردها عن العبودية والله بكل شيء جبلت القلوب والنفوس عليه عليم لأنه تعالى أودعه فيها عند تخمير طينة آدم بيده انتهى.

قال بعض الكبار: لا تضف إلى نفسك حالاً ولا مقاماً ولا تخبر أحداً بذلك فإن الله تعالى كل يوم هو في شأن في تغيير وتبديل يحول بين المرء وقلبه فربما أزالك عما أخبرت به وعزلك عما تخليت ثباته فتخجل عند من أخبرته بذلك بل احفظ ذلك ولا تعلمه إلى غيرك فإن كان الثبات والبقاء علمت أنه موهبة فلتشكر الله ولتسأله التوفيق للشكر وإن كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتأديب انتهى فظهر من هذا أن الإنسان يخبر غالباً بما ليس فيه أو بما سيزول عنه والعياذ بالله من سوء الحال ودعوى الكمال.

قال بعضهم: إياكم ثم إياكم والدعوات الصادقة والكاذبة فإن الكاذبة تسود الوجه

والصادقة تطفىء نور الإيمان أو تضعفه وإياكم والقول بالمشاهدات والنظر إلى الصور المستحسنات فإن هذا كله نفوس وشهوات ومن أحدث في طريق القوم ما ليس فيها فليس هو منا ولا فينا فاتبعوا ولا تبتدعوا وأطيعوا ولا تمرقوا ووحدوا ولا تشركوا وصدقوا الحق ولا تشكوا واصبروا ولا تجزعوا واثبتوا ولا تتفرقوا واسألوا ولا تسأموا وانتظروا ولا تيأسوا وتواخوا ولا تعادوا واجتمعوا على الطاعة ولا تفرقوا وتطهروا من الذنوب ولا تلطخوا وليكن أحدكم بواب قلبه فلا يدخل فيه إلا ما أمره الله به وليحذر أحدكم ولا يركن وليخف ولا يأمن وليفتش ولا يغفل.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ أي: يعدون إسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثواباً ممن أنعم بها عليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود به قطع حاجته مع قطع النظر أن يعوضه المحتاج بشيء وقيل: النعمة الثقيلة من المن الذي يوزن به وهو رطلان يقال منَّ عليه منة أي: أثقله بالنعمة قال الراغب: المنة النعمة الثقيلة ويقال ذلك على وجهين: أحدهما أن يكون ذلك بالفعل فيقال منَّ فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وذلك في الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى والثاني أن يكون ذلك بالقول وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة ولقبح ذلك قيل: المنة تهدم الصنيعة ولحسن ذكرها عند الكفران قيل إذا كفرت النعمة حسنت المنة وقوله تعالى: **﴿يمنون عليك﴾** إلخ فالمنة منهم بالقول ومنة الله عليهم بالفعل وهو هدايته إياهم **﴿قل لا تمنوا علي إسلامكم﴾** أي: لا تعدوا إسلامكم منة علي أو لا تمنوا علي بإسلامكم فنصبه بنزع الخافض **﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾** على ما زعمتم من أنكم أرشدتم إليه وبالفارسية بلكه خداي تعالى منت مينهد برشما كه راه نموده است شمارا بايمان **﴿إن كنتم صادقين﴾** في ادعاء الإيمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أي: فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فإنهم لما سمعوا ما صدر عنهم إيماناً ومنوا به نفى كونه إيماناً وسماه إسلاماً فقال: يمنون عليك بما هو في الحقيقة إسلام أي: دخول في السلم وليس بجدير بالمن لأنه ليس له اعتداد شرعاً ولا يعد مثله نعمة بل لو صح ادعاؤهم للإيمان فلله المنة عليهم بالهداية إليه لا لهم وسئل بعض الكبار عن قوله تعالى: **﴿بل الله يمن عليكم﴾** مع أنه تعالى جعل المن إذا وقع منا على بعضنا من سفساف الأخلاق فقال في جوابه: هذا من علم التطابق ولم يقصد الحق به المن حقيقة إذ هو الكريم الجواد على الدوام على من أطاع وعلى من عصى وفي الحديث: «ما كان الله ليدلكم على مكارم الأخلاق ويفعل معكم خلاف ذلك» وفي الحديث أيضاً «ما كان الله لينهاكم عن الرياء ويأخذه منكم» قال ذلك لمن قال له يا رسول الله إني صليت بالتيمم ثم وجدت الماء أفأصلي ثانياً فمعنى الآية إذا دخلتم في حضرة المن على رسولكم بإسلامكم فالمن لله لا لكم وإن وقع منكم شيء من سفساف الأخلاق رد الحق أعمالكم عليكم لا غير.

وفي «التأويلات النجمية»: يمنون عليك أن استسلموا لك ظاهرهم قل لا تمنوا علي إسلامكم أي: تسليم ظاهركم لي لأنه ليس هذا من طبيعة نفوسكم المتمردة بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إذا كتب في قلوبكم الإيمان فانعكس نور الإيمان من مصباح قلوبكم إلى

مشكاة نفوسكم فتنورت واستضاءت بنور الإسلام فإسلامكم في الظاهر من فرع الإيمان الذي أودعته في باطنكم إن كنتم صادقين أي: إن كنتم صادقين في دعوى الإيمان انتهى قال الجنيد رحمه الله: المن من العباد تقريع وليس من الله تقريعاً وإنما هو من الله تذكير النعم وحث على شكر المنعم. قال الشيخ سعدي:

شكر خداى كن كه موفق شدى بخير زانعام وفضل اونه معطل كذاشتت

منت منه كه خدمت سلطان همي كنى منت شناس ازوكه بخدمت بداشتت

﴿إن الله يعلم غيب السمٰوات والأرض﴾ أي: ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه ﴿والله بصير بما تعملون﴾ في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقال بعض الكبار: والله بصير بما تعملون في الظاهر أنه من نتائج ما أودعه في باطنكم:

درزمين كرنى شكرور خودنى است ترجمان هرزمين نبت وى است

فمن لاحظ شيئاً من أعماله وأحواله فإن رآها من نفسه كان شركاً وإن رآها لنفسه كان مكراً وإن رآها من ربه بربه لربه كان توحيداً وفقنا الله لذلك بمنه وجوده قال البقلي: ليس لله غيب إذ الغيب شيء مستور وجميع الغيوب عيان له تعالى وكيف يغيب عنه وهو موجده يبصره ببصره القديم والعلم والبصر هناك واحد قال في «كشف الأسرار» إز سورة الحجرات تا آخر قرآن مفصل كويند. وبه قال النبيّ ﷺ: «إن الله أعطاني السبع الطول مكان التوراة» والسبع الطول كصرد من البقرة إلى الأعراف والسابعة سورة يونس أو الأنفال وبراءة جميعاً لأنهما سورة واحدة عنده كما في «القاموس»: وأعطاني المئين مكان الإنجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفصل وفي رواية أخرى قال عليه السلام: «إني أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه السلام وأعطيت فواتح الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش والمفصل ناقلة» أي: عطية.

وفي «فتح الرحمٰن». سورة الحجرات أول المفصل على الراجح من مذهب الشافعي وأحد الأقوال المعتمدة عن أبي حنيفة وعنه قول آخر معتمد أن أوله قوله ق قاله عليه السلام: «فضلني ربي بالمفصل» والمفصل من القرآن ما هو بعد الحواميم من قصار السور إلى آخر القرآن وسميت مفصلاً لكثرة المفصولات فيها بسطر بسم الله الرحمٰن الرحيم لأنها سور قصار يقرب تفصيل كل سورة من الأخرى فكثر التفصيل فيها انتهى وقال بعضهم: المفصل السبع السابع سمي به لكثرة فصوله وهو من سورة محمد أو الفتح أو ق إلى آخر القرآن وطوال المفصل إلى البروج والأوساط منها إلى لم يكن والقصار منها إلى الآخر وقيل:

طوال از لا تقدم تا عبس دان پس اوسط از عبس تالم يكن خوان

قصار از لم يكن تا آخر آيد بخوان اين نظم را تا كردد آسان

والذي عليه الجمهور أن طوال المفصل من سورة الحجرات إلى سورة البروج والأوساط من سورة البروج إلى سورة لم يكن والقصار من سورة لم يكن إلى آخر القرآن.

ـ روي ـ أن القراء لما قسموا القرآن في زمن الحجاج إلى ثلاثين جزءاً قسموه أيضاً إلى سبعة أقسام وعن السلف الصالحين من ختم على هذا الترتيب الذي نذكره ثم دعا تقبل حاجته وهو الترتيب الذي كان يفعله عثمان رضي الله عنه يقرأ يوم الجمعة من أوله إلى سورة الأنعام ويوم السبت من سورة الأنعام إلى سورة يونس ويوم الأحد من سورة يونس إلى سورة طه ويوم

الاثنين من سورة طه إلى سورة العنكبوت ويوم الثلاثاء من سورة العنكبوت إلى سورة الزمر ويوم الأربعاء من سورة الزمر إلى سورة الواقعة ويوم الخميس من سورة الواقعة إلى آخره وقيل أحزاب القرآن سبعة الحزب الأول ثلاث سور والثاني خمس سور والثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع المفصل من ق وفي «فتح الرحمٰن»: وأحزاب القرآن ستون قيل إن الحجاج لما جد في نقط المصحف زاد تحزيبه وأمر الحسن ويحيى بن يعمر بذلك وأما وضع الأعشار فيه فحكي أن المأمون العباسي أمر بذلك وقيل إن الحجاج فعل ذلك وكانت المصاحف العثمانية مجردة من النقط والشكل فلم يكن فيها إعراب وسبب ترك الإعراب فيها والله أعلم استغناؤهم عنه فإن القوم كانوا عرباً لا يعرفون اللحن ولم يكن في زمنهم نحو وأول من وضع النحو وجعل الإعراب في المصاحف أبو الأسود الدؤلي التابعي البصري.

ـ حكي ـ أنه سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٣] بكسر اللام فأعظمه ذلك وقال عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ثم جعل الإعراب في المصاحف وكانت علاماته نقطاً بالحمرة غير لون المداد فكانت علامة الفتحة نقطة فوق الحرف وعلامة الضمة نقطة في نفس الحرف وعلامة الكسرة نقطة تحت الحرف وعلامة الغنة نقطتين ثم أحدث الخليل بن أحمد الفراهيدي بعد هذا هذه الصور الشدة والمدة والهمزة وعلامة السكون وعلامة الوصل ونقل الإعراب من صورة النقط إلى ما هو عليه الآن وأما النقط فأول من وضعها بالمصحف نصر بن عاصم الليثي بأمر الحجاج بن يوسف أمير العراق وخراسان وسببه أن الناس كانوا يقرؤون في مصحف عثمان نيفاً وأربعين سنة إلى يوم عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق فأمر الحجاج أن يضعوا لهذه الأحرف المشتبهة علامات فقام بذلك نصر المذكور فوضع النقط أفراداً وأزواجاً وخالف بين أماكنها وكان يقال له نصر الحروف وأول ما أحدثوا النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به هو نور له ثم أحدثوا نقطاً عند منتهى الآي ثم أحدثوا الفواتح والخواتم فأبو الأسود هو السابق إلى إعرابه والمبتدىء به ثم نصر بن عاصم وضع النقط بعده ثم الخليل بن أحمد نقل الإعراب إلى هذه الصورة وكان مع استعمال النقط والشكل يقع التصحيف فالتمسوا حيلة فلم يقدروا فيها إلا على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين فانتدب جهابذة علماء الأمة وصناديد الأئمة وبالغوا في الاجتهاد وجمعوا الحروف والقراءات حتى بينوا الصواب وأزالوا الإشكال رضي الله عنهم أجمعين وأول من خط بالعربية يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وأول من استخرج الخط المعروف بالنسخ ابن مقلة وزير المقتدر بالله ثم القاهر بالله فإنه أول من نقل الخط الكوفي إلى طريقة العربية ثم جاء ابن البواب وزاد في تعريب الخط وهذب طريقة ابن مقلة وكساها بهجة وحسناً، ثم ياقوت المستعصمي الخطاط وختم فن الخط وأكمله ثم جاء الشيخ حمد الله الأماسيوي فأجاد الخط بحيث لا مزيد عليه إلى الآن ولله در القائل:

خط حسن جمال مرأى ... إن كان لعالم فأحسن
الدر من النبات أحلى ... والدر مع البنات أزين

ومن الله التوفيق للكمالات والختم بأنواع السعادات.

تمت سورة الحجرات بعون ذي الفضل والبركات

في أوائل شهر ربيع الآخر من شهور عام ألف ومائة وأربعة عشر

٥٠ ــ سورة ق

خمس وأربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣﴾.

﴿قٓ﴾ أي: هذه سورة ق أي مسماة بق وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو قسم وهو اسم من أسماء الله تعالى وقال محمد بن كعب هو مفتاح أسماء الله تعالى مثل القادر والقدير والقديم والقاهر والقهار والقريب والقابض والقاضي والقدوس والقيوم أي: أنا القادر إلخ وقيل: اسم من أسماء القرآن وقيل قسم أقسم الله به أي: بحق القائم بالقسط وقيل معناه قل يا محمد والقرآن المجيد وقيل قف يا محمد على أداء الرسالة وعند أمرنا ونهينا ولا تتعداهما والعرب تقتصر من كلمة على حرف قال الشاعر: قلت لها قفي فقالت: ق أي: وقفت وقيل هو أمر من مفاعلة قفا أثره أي: تبعه والمعنى اعمل بالقرآن واتبعه وقيل معناه قضي الأمر وما هو كائن كما قالوا في حم وقيل المراد بحق القلم الذي يرقم القرآن في اللوح المحفوظ وفي الصحائف.

وقال الكاشفي: حروف مقطعه جهت فرقت است ميان كلام منظوم ومنثور أمام علم الهدى فرموده كه سامع بمجرد استماع اين حروف استدلال ميكند برآنكه كلامى كه بعد ازومى آيد منثورست نه منظوم پس در ايراد اين حروف رد جما عتيست كه قرآنرا شعر كفتند.

وقال الأنطاكي: ق عبارة عن قربه لقوله: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ﴾ [ق: ١٦] يعني قسم است بقرب الهي كه سر ونحن أقرب إليه بدين سوره ازان خبر ميدهد. وقال ابن عطاء: أقسم بقوة قلب حبيبه حيث تحمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله أي: بخلاف موسى عليه السلام فإنه خر صعقاً في الطور من سطوة تجلي النور.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن لكل سالك من السائرين إلى الله تعالى مقاماً في القرب إذا بلغ إلى مقامه المقدر له يشار إليه بقوله ق أي: قف مكانك ولا تجاوز حدك والقسم قوله: ﴿**والقرآن المجيد**﴾ أي: قف فإن هذا مكانك والقرآن المجيد فلا تجاوز عنه وقال بعض الكبار ق إشارة إلى قول هو الله أحد أي: إلى مرتبة الأحدية التي هي التعين الأول وص إشارة إلى الصمد أي: إلى مرتبة الصمدية التي هي التعين الثاني والصافات إشارة إلى التعينات الباقية التابعة للتعين الثاني. يقول الفقير أشار بقوله ق إلى قيامه عليه السلام بين يدي الله تعالى في الصف الأول قبل كل شيء مفارقاً لكل تركيب منفرداً عن كل كون منقطعاً عن كل وصف ثم

إلى قدومه من ذلك العالم الغيبي الروحاني إلى هذا المقام الشهادي الجسماني كما أشار إليه المجيء الآتي وقد جاء في حديث جابر رضي الله عنه حين خلقه: أي: نور نبيك يا جابر أقامه قدامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة وهو تفصيل عدد حروف لا إله إلا الله وحروف محمد رسول الله فإن عدد حروف كل منهما اثنا عشر وكذا أفاد أنه أقامه في مقام الحب اثني عشر ألف سنة وفي مقام الخوف والرجاء والحياء كذلك ثم خلق الله اثني عشر ألف حجاب فأقام نوره في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبد ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فكل هذا العدد من طريق الإجمال اثنان وسبعون وإذا انضم إليه المنازل الثماني والعشرون على ما أشير إليه في الجلد الأول يصير المجموع مائة وإليه الإشارة بالقاف فهو مائة رحمة ومائة درجة في الجنة اختص بها الحبيب عليه السلام في الحقيقة إذ كل من عداه فهو تبع له فكما أنهم تابعون له عليه السلام في مقاماته الصورية الدورية المائة لأنه أول من خلقه الله ثم خلق المؤمنين من فيض نوره فكذلك هم تابعون له في الدرجات العلوية المبنية على المراتب السلوكية السيرية وفي كل هذه المنازل دار بالقرآن لأن الكلام النفسي تنزل إليه مرتبة بعد مرتبة إلى أن أنزله روح القدس على قلبه في هذا العالم الشهادي تشريفاً له من الوجه العام والخاص وإلى كل هذه المقامات رقى بالقرآن كما يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وإن منزلك عند آخر آية تقرؤها ولا شك أنه كان خلقه القرآن فلذا مجد وشرف بمجد القرآن وشرفه فاعرف هذا فإنه من مواهب الله تعالى ويجوز أن يكون معنى ق من طريق الإشارة احذروا قاف العقل والزموا شين العشق كما قال بعضهم:

قفل در نشاط وسرورست قاف عقل دندانه كليد بهشت است شين عشق

وقال جماعة من العلماء: قاف جبل محيط بالأرض كإحاطة العين بسوادها وهو أعظم جبال الدنيا خلقه الله من زمرد أخضر أو زبرجد أخضر منه خضرة السماء والسماء ملتزقة به فليست مدينة من المدائن وقرية من القرى إلا وفيها عرق من عروقه وملك موكل به واضع يديه على تلك العروق فإذا أراد الله بقوم هلاكاً أوحى إلى ذلك الملك فحرك عرقاً فخسف بأهلها والشياطين ينطلقون إلى ذلك الزبرجد فيأخذون منه فيبثونه في الناس فمن ثم هو قليل. وفي «المثنوي»:

رفت ذو القرنين سوى كوه قاف ديداورا كز زمرد بود صاف
كرد عالم حلقه كشته او محيط ماند حيران اندران خلق بسيط
كفت توكوهى دكرها چيستند كه به پيش عظم توبازيستند
كفت ركهاى من اندان كوهها مثل من نبوند در حسن وبها
من بهر شهرى ركى درام نهان بر عروقم بسته اطراف جهان
حق چو خواهد زلزل شهر مرا كويد أو من برجهانم عرق را
پس بجنبانم من آن رك را بقهر كه بدان رك متصل كشتست شهر
چون بكويد بس شود ساكن ركم ساكنم وزروى قفل اندرتكم
همچو مرهم ساكن بس كاركن چون خردساكن وزوجنبان سخن
نزد آنكس كه نداند عقلش اين زلزله هست از بخارات زمين

قال أبي بن كعب الزلزلة لا تخرج إلا من ثلاثة إما لنظر الله بالهيبة إلى الأرض وإما لكثرة ذنوب بني آدم وإما لتحريك الحوت الذي عليه الأرضون السبع تأديباً للخلق وتنبيهاً، قال ذو القرنين: يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله تعالى فقال: إن شأن ربنا لعظيم وإن من ورائي مسيرة خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضها بعضاً لولا ذلك لاحترقت من نار جهنم والعياذ بالله تعالى منها يعني اسكندر كفت يا قاف از عظمة الله باما چيزى بكوى كفت ياذا القرنين كار خداوند ما عظيم است واز اندازه وهم وفهم بيرونست بعظمت او خبر كجارسد وكدام عبارت بوصف اورسد كفت آخر آنچه كمتراست ودرتحت وصف آيد چيزى بكوى كعفت وراى من زميني است آفريده پانصد ساله راه طول آن وپانصد ساله راه عرض آن همه كوهها اندربران برف واكرنه آن برف بودى من از حرارت دوزخ چون ارزيز بكدا ختمى ذو القرنين كفت ردنى يا قاف نكته ديكر بكوى ازعظمت وجلال او كفت جبريل امين كمر بسته در حجب هيبت ايستاده هرساعتى ازعظمت وسياست دركاه جبروت برخود بلرز درعده بروى افتد رب العالمين ازان رعده وى صد هزار ملك بيافريند صفها بركشيده در حضرت بنعت هيبت سردرپيش افكنده وكوش برفرمان نهاده تايكبار از حضرت عزت ندا آيدكه سخن كوييد همه كويند لا إله إلا الله وبيش ازاين نكويند اينست كه رب العالمين كفت يوم يقوم الروح والملائكة صفاً إلى قوله وقال صواباً يعني لا إله إلا الله، وقيل: خضرة السماء من الصخرة التي تحت الأرض السفلى تحت الثور وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ [لقمان: ١٦] الآية وجعل الله السماء خضراء لتكون أوفق للأبصار لأن النظر إلى الخضرة يقوي البصر في الحكمة وكل صنع الله لحكمة فائدة لأهل العالم وفي الحديث «ثلاث يجلون البصر: النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن» قال ابن عباس رضي الله عنهما: والإثمد عند النوم وبالجملة أن الألوان سوى البياض مما يعين البصر على النظر وعن خالد بن عبد الله أن ذا القرنين لما بنى الاسكندرية رخمها بالرخام الأبيض جدرها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد من نصوع بياض الرخام فمن ذلك لبس الرهبان السواد كما في «أوضح المسالك» لابن سپاهى قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: لماً خلق الله الأرض على الماء تحركت ومالت فخلق الله تعالى من الأبخرة الغليظة الكثيفة الصاعدة من الأرض بسبب هيجانها الجبال فسكن ميل الأرض وذهبت تلك الحركة التي لا يكون معها استقرار فطوق الأرض بجبل محيط بها وهو من صخرة خضراء وطوق الجبل بحية عظيمة رأسها بذنبها رأيت من الأبدال من صعد جبل قاف فسألته عن طوله علواً فقال: صليت الضحى في أسفله والعصر في أعلاه يعني بخطوة الأبدال فالخطوة عند الأبدال من المشرق إلى المغرب.

يقول الفقير: لعل هذا من قبيل البسط في السير وإلا فقد ثبت أن السماء الدنيا متصلة به وما بين السماء والأرض كما بين المشرق والمغرب وهي مسيرة خمسمائة عام فكيف تسع هذه المسيرة تلك الخطوات المتضاعفة وفي الخبر: «إن لقاف في السماء سبع شعب لكل سماء شعبة منها فالسمٰاوات السبع مقببة على شعبه وخلق الله ستة جبال من وراء قاف وقاف سابعها وهي موتودة بأطراف الأرض على الصخرة وقاف وراءها على الهواء وقيل خلق الله جبل قاف كالحصن المشرف على الملك ليحفظ أهل الأرض من فيح جهنم التي تحت الأرض السابعة.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى حال قطب الأقطاب رضي الله عنه فإنه مشرف على جميع

الرجال من حيث جمعية اسمه وعلو رتبته وبه يحفظ الله العالم من الآفات الصورية والمعنوية كما أن جبل قاف مشرف على سائر الجبال وبه يحفظ الله أهل الأرض بالغدو والآصال ومن خلف ذلك الجبل بحر محيط بجبل قاف وحوله جبل قاف آخر والسماء الثانية مقببة عليه وكذلك من وراء ذلك بحار محدقات بجبل قاف على عدد السمٰاوات وأن كل سماء منها مقببة عليه وأن في هذه البحار وفي سواحلها ويبسها المحدقة بها ملائكة لا يحصي عددهم إلا الله ويعبدون الله حق عبادته ومن جبل قاف ينفجر جميع عيون الأرض فيشرب منه كل بر وفاجر فيجده العبد حيث توجه وفي البعض مثل ذلك وما وراء جبل قاف فهو من حكم الآخرة لا من حكم الدنيا وقال بعض المفسرين: إن لله سبحانه من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضة المجلاة طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس وبها ملائكة شاخصون إلى العرش لا يعرف الملك منهم من إلى جانبه من هيبة الله تعالى ولا يعرفون ما آدم وما إبليس هكذا إلى يوم القيامة وقيل إن يوم القيامة تبدل أرضنا هذه بتلك الأرض.

ـ وروي ـ أن الله تعالى خلق ثمانية آلاف عالم الدنيا منها عالم واحد وأن الله تعالى خلق في الأرض ألف أمة سوى الجن والإنس ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وكل مستفيض منه تعالى.

چنان پهن خوان كرم كسترد كه سيمرغ درقاف قسمت خورد

﴿والقرآن المجيد﴾ أي ذي المجد والشرف على سائر الكتب على أن يكون للنسب كلابن وتامر أو لأنه كلام المجيد يعني أن وصف القرآن بالمجد وهو حال المتكلم به مجاز في الإسناد أو لأن من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وشرف على أن يكون مثل بنى الأمير المدينة في الإسناد إلى السبب قال الإمام الغزالي رحمه الله: المجيد هو الشريف ذاته الجميل أفعاله الجزيل عطاؤه ونواله فكان شرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمي مجيداً وهو الماجد أيضاً ولكن أحدهما أدل على المبالغة وجواب القسم محذوف أي: إنك يا محمد لنبي منذر أي: مخوف من عذاب الله تعالى.

﴿بل عجبوا﴾ أي: فراعنة قريش ومتعنتوهم ﴿أن جاءهم منذر منهم﴾ أي: لأن جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك وهو إضراب عما ينبىء عنه الجواب أي: أنهم شكوا فيه ولم يكتفوا بالشك والتردد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الأمور العجيبة وقال بعضهم: جواب القسم محذوف ودليل ذلك قوله بل لأنه لنفي ما قبله فدل على نفي مضمر وتقديره أقسم بجبل قاف الذي به بقاء دنياكم وبالقرآن الذي به بقاء دينكم ما كذبوك ببرهان وبمعرفة بكذبك بل عجبوا إلخ والعجب نظر النفس لأمر خارج عن العادة ﴿فقال الكافرون هذا شيء عجيب﴾ تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارناً لغاية الإنكار وهذا إشارة إلى كونه عليه السلام منذراً بالقرآن وحاصله كون النذير منا خصص بالرسالة من دوننا وكون ما أنذر به هو البعث بعد موت كل شيء بليغ في الخروج عن عادة أشكاله وهو من فرط جهلهم لأنهم عجبوا أن يكون الرسول بشراً وأوجبوا أن يكون الإله حجراً وأنكروا البعث مع أن أكثر ما في الكون مثل ذلك من إعادة كل من الملوين بعد ذهابه وإحياء الأرض بعد موتها وإخراج النبات والأشجار والثمار وغير ذلك ثم إن إضمار الكافرين أولاً للإشعار بتعينهم بما أسند إليهم من المقال وأنه إذا ذكر شيء خارج عن سنن الاستقامة انصرف إليهم إذ لا يصدر إلا عنهم فلا

حاجة إلى إظهار ذكرهم وإظهارهم ثانياً للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه.

﴿أئذا متنا وكنا تراباً﴾ أي أحين نموت فتفارق أرواحنا أشباحنا ونصير تراباً لا فرق بيننا وبين تراب الأرض نرجع ونبعث كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ والهمزة للإنكار أي: لا نرجع ولا نبعث ﴿ذلك﴾ إشارة إلى محل النزاع أي: مضمون الخبر برجوعها ﴿رجع﴾ الرجع متعد بمعنى الرد بخلاف الرجوع أي: رد إلى الحياة وإلى ما كنا عليه ﴿بعيد﴾ جداً عن الأوهام أو العادة أو الإمكان أو عن الصدق غير كائن لأنه لا يمكن تمييز ترابنا من بقية التراب.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾

﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ رد لاستبعادهم وإزاحة له أي: نحن على ذلك في غاية القدرة فإن من عم علمه ولطفه حتى انتهى إلى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه إياهم أحياء كما كانوا عبر بمن لأن الأرض لا تأكل عجب الذنب فإنه كالبذر لأجسام بني آدم وفي الحديث: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب فمنه خلق وفيه يركب» والعجب بفتح العين وسكون الجيم أصل الذنب ومؤخر كل شيء وهو هٰهنا عظم لا جوف له قدر ذرة أو خردلة يبقى من البدن ولا يبلى فإذا أراد الله الإعادة ركب على ذلك العظم سائر البدن وأحياه أي: غير أبدان الأنبياء والصديقين والشهداء فإنها لا تبلى ولا تتفسخ إلى يوم القيامة على ما نص به الأخبار الصحيحة قال ابن عطية: وحفظ ما تنقص الأرض إنما هو ليعود بعينه يوم القيامة وهذا هو الحق وذهب بعض الأصوليين إلى أن الأجساد المبعوثة يجوز أن تكون غير هذه قال ابن عطية وهذا عندي خلاف لظاهر كتاب الله ولو كانت غيرها فكيف كانت تشهد الجلود والأيدي والأرجل على الكفرة إلى غير ذلك مما يقتضي أن أجساد الدنيا هي التي تعود وسئل شيخ الإسلام ابن حجر: هل الأجساد إذا بليت وفنيت وأراد الله تعالى إعادتها كما كانت أولاً هل تعود الأجسام الأول أم يخلق الله للناس أجساداً غير الأجساد الأول؟ فأجاب أن الأجساد التي يعيدها الله هي الأجساد الأول لا غيرها قال: وهذا هو الصحيح بل الصواب ومن قال غيره عندي فقد أخطأ فيه لمخالفته ظاهر القرآن والحديث قال أهل الكلام إن الله تعالى يجمع الأجزاء الأصلية التي صار الإنسان معها حال التولد وهي العناصر الأربعة ويعيد روحه إليه سواء سمي ذلك الجمع إعادة المعدوم بعينه أولم يسم فإن قيل البدن الثاني ليس هو الأول لما ورد في الحديث من أن أهل الجنة جرد مرد وأن الجهنمي ضرسه مثل أحد فيلزم التناسخ وهو تعلق روح الإنسان ببدن إنسان آخر وهو باطل قلنا إنما يلزم التناسخ أن لو لم يكن البدن الثاني مخلوقاً من الأجزاء الأصلية للبدن الأول.

يقول الفقير: البدن معاد على الأجزاء الأصلية وعلى بعض الفضلة أيضاً وهو العجب المذكور فكأنه البدن الأول فلا يلزم التناسخ جداً والتغاير في الوصف لا يوجب التغاير في الذات فقد ثبت أن الخضر عليه السلام يصير شاباً على كل مائة سنة وعشرين سنة مع أن البدن هو البدن الأول وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن إبليس إذا مرت عليه الدهور وحصل له الهرم عاد ابن ثلاثين سنة واختلف القائلون بحشر الأجسام فمنهم من ذهب إلى أن الإعادة

تكون في الناس مثل ما بدأهم بنكاح وتناسل وابتداء بخلق من طين ونفخ كما جرى من خلق آدم وحواء وخلق البنين من نسل ونكاح إلى آخر مولود في العالم البشري كل ذلك في مدة قصيرة على حسب ما يقدره الحق تعالى وإليه ذهب الشيخ أبو القاسم بن قسي في كتاب «خلع النعلين» له في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] ومنهم من قال وهو القول الأصح بالخبر المروي «أن السماء تمطر مطراً شبه المني فينشأ منه النشأة الآخرة كما أن النشأة الدنيا من نقطة تنزل من بحر الحياة إلى أصلاب الآباء ومنها إلى أرحام الأمهات فيتكون من قطر بحر الحياة تلك النقطة جسد في الرحم»، وقد علمنا أن النشأة الأول أوجدها الله تعالى على غير مثال سبق وركبها في أي: صورة شاء وهكذا النشأة الآخرة يوجدها الحق على غير مثال سبق مع كونها محسوسة بلا شك فينشىء الله النشأة الآخرة على عجب الذنب الذي يبقى من هذه النشأة الدنيا وهو أصلها فعليه تتركب النشأة الآخرة فقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ راجع إلى عدم مثال سابق كما في النشأة الأولى مع كونها محسوسة بلا شك إذ ذكر رسول الله ﷺ من صفة نشأة أهل الجنة والنار ما يخالف هذه النشأة الدنيا وقوله وهو أهون عليه لا يقدح فيما قلنا لأن البدء إن كان عن اختراع فكر وتدبير كانت إعادته إلى أن يخلق خلقاً آخر مما يقارب ذلك ويزيد عليه أقرب إلى الاختراع في حق من يستفيد الأمور بفكره والله متعال عن ذلك علواً كبيراً فهو الذي يفيد العالم ولا يستفيد ولا يتجدد له علم بشيء بل هو عالم بتفاصيل ما لا يتناهى بعلم كلي فعلم التفصيل في عين الإجمال وهكذا ينبغي لجلاله أن يكون قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: إن العجب المذكور في الخبر والنفس وعليها ينشأ النشأة الآخرة أي كما يتكون شجر كثير الأصول والأغصان من الحبة الصغيرة في الطين كذلك جسد الإنسان من حبة العجب الذي لا يقبل البلى فعبر عنه الإمام بالنفس لأنه مادتها وعنصرها هكذا أوله البعض.

وقال غيره مثل أبي يزيد الرقراقي: المراد من العجب جوهر فرد وجزء واحد لا يقبل القسمة والبلى فيه قوة القابلية الهيولانية بل هو صورة هيولى النفس الحيوانية الحاملة لأجزاء العناصر التي في الهيكل المحسوس فيبقيه الخالق ويعصمه من التغير والبلى في عالم الكون والفساد بل خلقه من أول خلق النشأة الدنيوية إلى الأبدان الجنانية وعليه مدار الهيكل يبقى من هذه النشأة الدنيا لا يتغير وعليه ينشأ النشأة الآخرة وكل ذلك محتمل لا يقدح في شيء من الأصول الشرعية في الأحكام الأخروية وتوجيهات معقولة يحتمل أن يكون كل منها مقصود الشارع بقوله: عجب الذنب.

وقال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر والذي وقع لي به الكشف الذي لا أشك فيه أن المراد بعجب الذنب هو ما يقوم عليه النشأة وهو لا يبلى أي: لا يقبل البلى والفناء فإن الجواهر والذوات الخارجة إلى الوجود من العدم لا تنعدم أعيانها ولكن تختلف عليها الصور الشهادية والبرزخية بالامتزاجات التي هي أعراض تعرض لها بتقدير العزيز العليم فإذا تهيأت هذه الصور بالاستعداد لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش بالنارية التي هي فيه لقبول الاشتعال والصور البرزخية كالسرج مشتعلة بالأرواح التي فيها فينفخ إسرافيل نفخة واحدة فتمر تلك النفخة على تلك الصور البرزخية فتطفئها وتمر النفخة التي تليها وهي الأخرى إلى الصور المستعدة للاشتعال وهي النشأة الأخرى فتشعل بأرواحها فإذا هم قيام ينظرون نسأل الله تعالى أن يبعثنا آمنين بجاه النبي الأمين ﴿**وعندنا كتاب حفيظ**﴾ بالغ في الحفظ لتفاصيل الأشياء كلها

أو محفوظ من التغير والمراد إما تمثيل علمه تعالى بكليات الأشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شيء أو تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده.

﴿بل كذبوا بالحق﴾ إضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة إلى بيان ما هو أشنع منه وأفظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة فالأفظعية لكون الثاني تكذيباً للأمر الثابت من غير تدبر بخلاف الأول فإنه تعجب **﴿لما جاءهم﴾** من غير تأمل وتفكر تقليداً للآباء وبعد التأمل تمرداً وعناداً وجاء بكلمة التوقع إشعاراً بأنهم علموا بعد علو شأنه وإعجازه الشاهد على حقيته فكذبوا به بغياً وحسداً **﴿فهم في أمر مريج﴾** من مرج الخاتم في أصبعه إذا جرج بالجيمين كفرح أي: قلق وجال واضطرب من سعته بسبب الهزال أي: في أمر مضطرب لا قرار له من غلبات آفات الحس والوهم والخيال على عقولهم فلا يهتدون إلى الحق ولذا يقولون تارة إنه شاعر وتارة ساحر وأخرى كاهن ومرة مفتر لا يثبتون على شيء واحد وهذا اضطرابهم في شأن النبي عليه السلام صريحاً ويتضمن اضطرابهم في شأن القرآن أيضاً فإن نسبتهم إياه إلى الشعر ونحوه إنما هي بسببه واعلم أن الاضطراب موجب للاختلاف وذلك أدل دليل على البطلان كما أن الثبات والخلوص موجب للاتفاق وذلك أدل دليل على الحقيقة فقال الحسن ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم وكذا قال قتادة وزاد والتبس عليهم دينهم وعن علي رضي الله عنه قال له يهودي ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم؟ فقال: إنما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وسئل بزرجمهر الحكيم: كيف اضطربت أمور آل ساسان وفيهم مثلك؟ قال: استعانوا بأصاغر العمال على أكابر الأعمال فآل أمرهم إلى ما آل. كما قال الشيخ سعدي:

پندم اكر بشنوى اى پادشاه درهمه دفتر به ازين پند نيست
جز بخرمند مفر ما عمل كرچه عمل كار خردمند نيست

واضطربوا في حق الحلاج رضي الله عنه وكذبوا بالحق فأفتوا بالقتل فمرج أمرهم حيث أحرقت دار الوزير وقتل ثم دار الأمر على الخليفة ففعل به ما فعل واضطربوا في شأن سلطان العلماء والد المولى جلال الدين الرومي فنفوه من بلخ ثم نفاهم الله من الأرض وأوقعهم في ويل طويل من تسلط عدو مستأصل وكان فيهم صاحب «التفسير الكبير» فاختفى لكنه ظهر أمر الله عليه أيضاً وما نفع الاختفاء وفيه يقول المولى جلال الدين قدس سره:

درچنان ننكى وانكه اين عجب فخر دين خواهد كه كويندش لقب

واضطربوا في شأن الرسول عليه السلام حتى قتلهم الله تعالى وجعل مكة خالصة للمؤمنين.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾.

﴿أفلم ينظروا﴾ أي: أغفلوا فلم ينظروا حين كفروا بالبعث **﴿إلى السماء فوقهم﴾** بحيث يشاهدونها كل وقت أي: إلى آثار قدرة الله في خلق العالم وإيجاده من العدم إلى الوجود وفوقهم ظرف لينظروا أو حال من السماء **﴿كيف بنيناها﴾** أي: رفعناها بغير عمد **﴿وزيناها﴾** بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع **﴿وما لها من فروج﴾** من فتوق لملاستها وسلامتها

من كل عيب وخلل كما قال: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣] وهذا لا ينفي وجود الأبواب والمصاعد فإنها ليست من قبيل العيب والخلل ولعل تأخير هذا لمراعاة الفواصل والفروج جمع فرج وهو الشق بين الشيئين كفرجة الحائط والفرج ما بين الرجلين وكنى به عن السوءة وكثر حتى صار كالصريح فيه واستعير الفرج للثغر وكل مخافة وسمي القباء المشقوق فروجاً ولبس رسول الله عليه السلام فروجاً من حرير ثم نزعه.

﴿**والأرض مددناها**﴾ أي: بسطناها وفرشناها على وجه الماء مسيرة خمسمائة عام من تحت الكعبة وهذا دليل على أن الأرض مبسوطة وليست على شكل الكرة كما في «كشف الأسرار» وفيه أنه لا منافاة بين بساطتها وكريتها لسعتها كما عرف في محله ﴿**وألقينا فيها رواسي**﴾ جبالاً ثوابت أرسيت بها الأرض إذ لو لم تكن لكانت مضطربة مائلة إلى الجهات المختلفة كما كانت قبل إذ روي أن الله لما خلق الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة: ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت من رسا الشيء أي: ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للإيذان بأن إلقاءها لإرساء الأرض بها وفيه إشارة إلى رجال الله فإنهم أوتاد الأرض والعمد المعنوية للسماء فإذا انقرضوا ولم يوجد في الأرض من يقول الله الله فسدت السموات والأرض ﴿**وأنبتنا**﴾ وأخرجنا ﴿**فيها من كل زوج**﴾ صنف وقوله ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣] أي: أنواعاً متشابهة ﴿**بهيج**﴾ حسن طيب من الثمار والنباتات والأشجار كما قال في موضع آخر ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠] أي: يبتهج به لحسنه أي: يسر والبهجة حسن اللون وظهور السرور فيه وابتهج بكذا أي: سر به سروراً بان أثره على وجهه كما في «المفردات».

﴿**تبصرة وذكرى**﴾ علتان للأفعال المذكورة معنى على التنازع وإن انتصبتا عن الفعل الأخير أو بفعل مقدر بطريق الاستئناف أي: فعلنا ما فعلنا تبصيراً وتذكيراً. يعني از براى بينايى يعني بنظر اعتبار واستدلال نكرستن واز براى ياد كردن وپندكر فتن ويجوز أن يكونا نصبا على المصدرية من فعلهما المقدر أي: نبصرهم ونذكرهم ﴿**لكل عبد منيب**﴾ أي: راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنائعه وفيه إشارة إلى أن الوصول إلى مقام التبصرة والذكرى إنما هو بالعبودية والإنابة التي هي مبنى الطريقة وأساسها قال بعضهم: التبصرة معرفة منن الله عليه والذكرى عدها على نفسه في كل حال ليشتغل بالشكر فيما عومل به عن النظر إلى شيء من معاملته. [كفته اند تبصرة وذكرى دونام اند شريعت وحقيقت را تبصره حقيقت است وذكرى شريعت بواسطه وحقيقت بمكاشفه شريعت خدمت است بر شريطه وحقيقت غربت است بر مشاهده شريعت بى يدي است وحقيقت بي خورى اهل شريعت فريضه كزاران ومعصيت كدازان أهل حقيقت از خويشتن كريزان وبيكى تازان قبله اهل شريعت كعبه است قبله أهل حقيقت فوق العرش ميدان حساب أهل شريعت موقف است وميدان حساب أهل حقيقت حضرة سلطان ثمره اهل شريعت بهشت ثمره اهل حقيقت لقا ورضاى رحمن] فعلى العاقل أن يتبصر بالذكر الحكيم ويتفكر في صنعه العظيم ويوحده توحيداً يليق بجنابه الكريم وينيب إليه إنابة لا رجوع بعدها إلى يوم مقيم. [نقلست كه پيرى پيش شقيق بلخى رحمه الله آمد وكفت كناه بسياردارم وميخوا هم كه توبه بكنم وى كفت دير آمدى پبر كفت زود آمدم كفتاچرا كفت از بهر آنكه هركه پيش ازمرك بيايد بتوبه زود امده باشد شقيق كفت نيك آمدى ونيك كفتى].

بارهاى خويش راچيزى سبك كردان كه نيست تنكناى مرك را كنجايى اين بارها

وقال الشيخ سعدى:

بيا تا بر آريم دستى زدل كه نتوان بر آورد فردا زكل

أيقظنا الله تعالى وإياكم من نوم الغفلة.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿ونزلنا من السماء ماء مباركاً﴾ أي: كثير المنافع حياة الأناسي والدواب والأرض الميتة وفي «كشف الأسرار» مطراً يثبت في أجزاء الأرض فينبع طول السنة **﴿فأنبتنا به﴾** أي: بذلك الماء **﴿جنات﴾** كثيرة أي: أشجاراً ذوات ثمار فذكر المحل وأراد الحال كما قال: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٢٧] وبالفارسية بوستانها مشتمل بر اشجار وأثمار **﴿وحب الحصيد﴾** من حذف الموصوف للعلم به على ما هو اختيار البصريين في باب مسجد الجامع لئلا يلزم إضافة الشيء إلى نفسه وأصل الحصيد قطع الزرع والحصيد بمعنى المحصود وهو هنا مجاز باعتبار الأول والمعنى وحب الزرع الذي شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالهما مما يقتات به وتخصيص إنبات حبه بالذكر لأنه المقصود بالذات.

﴿والنخل﴾ عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الأشجار وقد سبق بعض أوصافها في سورة يس وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل **﴿باسقات﴾** طوالاً في السماء عجيبة الخلق وهو حال مقدرة فإنها وقت الإنبات لم تكن طوالاً يقال بسقت الشجرة بسوقاً إذا طالت وفي «المفردات»: الباسق هو الذاهب طولاً من جهة الانقطاع ومنه بسق فلان على أصحابه علاهم ويجوز أن يكون معنى باسقات حوامل من أبسقت الشاة إذا حملت فيكون من باب أفعل فهو فاعل **﴿لها طلع نضيد﴾** أي: منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل يقال نضدت المتاع بعضه على بعض ألقيته فهو منضود ومنضد والمنضد السرير الذي ينضد عليه المتاع ومنه استعير طلع نضيد كما في «المفردات» والنضد والتنضيد وبالفارسية برهم نهادن. والطلع شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود والطرف محدد أو ما يبدو من ثمرته في أول ظهورها وقشره يسمى الكفرى بضم الكاف والفاء معاً وتشديد الراء وما في داخله الاغريض لبياضه كما في «القاموس» قال في «بحر العلوم»: الطلع ما يطلع من النخلة وهو الكم قبل أن يشق ويقال لما يظهر من الكم طلع أيضاً وهو شيء أبيض يشبه بلونه الأسنان وبرائحته المني.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾.

﴿رزقاً للعباد﴾ أي: لرزقهم علة لقوله تعالى فأنبتنا وفي تعليله بذلك بعد تعليل أنبتنا الأول بالتبصرة والتذكرة تنبيه على أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار أهم وأقدم من تمتعه به من حيث الرزق:

خوردن براى زيستن وذكر كردنست تو معتقدكه زيستن از بهر خوردنست

يقول الفقير المقصود من الآية الأولى هو الاستدلال على القدرة بأعظم الأجرام كما دل عليه النظر وذكر الإنبات فيها بطريق التبع فناسب التعليل بالتبصرة والتذكير ومن الثانية بيان الانتفاع بمنافع تلك الأجرام فناسب التعليل بالرزق ولذا أخرت عن أولى لأن منافع الشيء مترتبة على خلقه قال أبو عبيدة: نخل الجنة نضيد ما بين أصلها إلى فرعها بخلاف نخل الدنيا فإن ثمارها رؤوسها كلما نزعت رطبة عادت ألين من الزبد وأحلى من العسل فنخل الدنيا تذكير لنخل الجنة وفي كل منهما رزق للعباد كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

﴿**وأحيينا به**﴾ أي: بذلك الماء ﴿**بلدة ميتاً**﴾ تذكير ميتاً باعتبار البلد والمكان أي: أرضاً جدبة لا نماء فيها أصلاً بأن جعلناها بحيث ربت وأنبتت أنواع النبات والأزهار فصارت تهتز بها بعدما كانت جامدة هامدة.

ـ روى ـ أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءهم المطر فسالت الميازيب قال: «لا محل عليكم العام»، أي: لا جدب. يعني تنكى نيست بر شما امسال ﴿**كذلك الخروج**﴾ جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك إشارة إلى الحياة المستفادة من الإحياء إلى مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها وقد روي أن الله يمطر السماء أربعين ليلة كمني الرجال يدخل في الأرض فينبت لحومهم وعروقهم وعظامهم ثم يحييهم ويخرجهم من تحت الأرض وفي التعبير عن إخراج النبات من الأرض بالإحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث وتحقيق للمماثلة بين إخراج النبات وإحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه إلى أفهام الناس. قال الكاشفي: واكر كسى تأمل كند در احياى دانه ما نند مرده درخاك مدفونست وظهور او بعد ازخفا دور نيست كه بشمه از حيات اموات پى تواند برد:

كدام دانه فروشدكه برنيا مدباز چرابدانه انسانيت كمان باشد

فروشدن چوبديدى بر آمدن بنكر غروب شمس وقمر راچرا زيان باشد

وفي الآية إشارة إلى تنزيل ماء الفيض الإلهي من سماء الأرواح فإن الله ينبت به حبات القلوب وحب المحبة المحصود به محبة ما سوى الله من القلوب وشجرة التوحيد لها طلع نضيد من أنواع المعارف رزقاً للعباد الذي يبيتون عند ربهم يطعمهم ويسقيهم ويحيي بذلك الفيض بلدة القلب الميت من نور الله كما قال ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ [الأنعام: ١٢٢] الآية كذلك الخروج من ظلمات الوجود إلى نور واجب الوجود فافهم جداً.

﴿**كذبت قبلهم**﴾ أي: قبل أهل مكة ﴿**قوم نوح**﴾ قوم نوح كه بني شيث وبني قابيل بودند تكذيب كردند مز نوح را ﴿**وأصحاب الرس**﴾ قيل كانت الرس بئراً بعدن لأمة من بقايا ثمود وكان لهم ملك عدل حسن السيرة يقال له العليس كزبير وكانت البئر تسقي المدينة كلها وباديتها وجميع ما فيها من الدواب والغنم والبقر وغير ذلك لأنها كانت بكرات كثيرة منصوبة عليها جمع بكرة بالفتح وهي خشبة مستديرة في وسطها محز يستقى عليها ورجال كثيرون موكلون بها وأبازن بالزاي والنون من رخام وهي تشبه الحياض كثيرة تملأ للناس قال في «القاموس»: الإبزن مثلثة الأول حوض يغتسل فيه وقد يتخذ من نحاس معرب آب زن انتهى وآخر للدواب وآخر للبقر والغنم والهوام يستقون عليها بالليل والنهار يتداولون ولم يكن لهم ماء غيره فطال

عمر الملك فلما جاءه الموت طلي بدهن لتبقى صورته ولا تتغير وكذلك كانوا يفعلون إذا مات منهم الميت وكان ممن يكرم عليهم فلما مات شق ذلك عنهم ورأوا أن أمرهم قد فسد وضجوا جميعاً بالبكاء واغتنمها الشيطان منهم فدخل في جثة الملك بعد موته بأيام كثيرة فكلمهم وقال: إني لم أمت ولكني قد تغيبت عنكم حتى أرى صنيعكم بعدي ففرحوا أشد الفرح وأمر لخاصته أن يضربوا حجاباً بينه وبينهم ويكلمهم من ورائه كيلا يعرف الموت في صورته فنصبوه صنماً من وراء حجاب لا يأكل ولا يشرب وأخبرهم أنه لا يموت أبداً وأنه إله لهم وذلك كله ويتكلم به الشيطان على لسانه فصدق كثير منهم وارتاب بعضهم وكان المؤمن المكذب منهم أقل من المصدق فكلما تكلم ناصح منهم زجر وقهر فاتفقوا على عبادته فبعث الله لهم نبياً كان الوحي ينزل عليه في النوم دون اليقظة وكان اسمه حنظلة بن صفوان فأعلمهم أن الصورة صنم لا روح له وأن الشيطان فيه وقد أضلهم الله وأن الله تعالى لا يتمثل بالخلق وأن الملك لا يجوز أن يكون شريكاً لله وأوعدهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربهم ونقمته فآذوه وعادوه وهو يتعدهم بالموعظة والنصيحة حتى قتلوه وطرحوه في بئر وعند ذلك حلت عليهم النقمة فباتوا شباعى رواء من الماء وأصبحوا والبئر قد غار ماؤها وتعطل رشاؤها وهو بالكسر الحبل فصاحوا بأجمعهم وضج النساء والولدان وضجت البهائم عطشاً حتى عمهم الموت وشملهم الهلاك وخلفهم في أرضهم السباع وفي منازلهم الثعالب والضباع وتبدلت لهم جناتهم وأموالهم بالسدر والشوك شوك العضاة والقتاد الأول بالكسر أم غيلان أو نحوه والثاني كسحاب شجر صلب شوكه كالإبر فلا تسمع فيها إلا عزيف الجن أي: صوتهم وهو جرس يسمع في المفاوز بالليل وإلا زئير الأسد أي: صوته من الصدر نعوذ بالله من سطواته ومن الإصرار على ما يوجب نقماته كذا في «التكملة» نقلاً عن «تفسير المقري» وقيل الرس بئر قرب اليمامة أو بئر بأذربيجان او واد كما قال الشاعر:

فهن لوادي الرس كاليد للفم

وقد سبق بعض الكلام عليه في سورة الفرقان فارجع ﴿وثمود﴾ وقوم ثمود صالح را وهو ثمود بن عاد وهو عاد الآخرة وعاد هو عاد إرم وهو عاد الأولى ﴿وعاد﴾ وقوم عاد هودرا ﴿وفرعون﴾ وفرعون موسى را وهٰرون را والمراد هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده من الجماعة ﴿وإخوان لوط﴾ يعني اصهار او مراورا والصهر زوج بنت الرجل وزوج أخته وقيل إخوانه قومه لاشتراكهم في النسب لا في الدين قال عطاء ما من أحد من الأنبياء إلا ويقوم معه قومه إلا لوطاً عليه السلام يقوم وحده.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

﴿وأصحاب الأيكة﴾هم من بعث إليهم شعيب عليه السلام غير أهل مدين وكانوا يسكنون أيكة أي: غيضة تنبت السدر والأراك وقد مر في سورة الحجر ﴿وقوم تبع﴾ الحميري ملك اليمن وقد سبق شرح حالهم في سورة الدخان ﴿كل كذب الرسل﴾ أي: فيما أرسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث الذي أجمعوا عليه قاطبة أي: كل قوم من الأقوام المذكورين كذبوا رسلهم وكذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور، وإفراد الضمير باعتبار لفظ الكل أو كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على التوحيد والإنذار بالبعث والحشر

فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر وأما على تقدير عدمها وهو الأظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم لمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث إلى ذلك كان يدعوهم تبع ﴿فحق وعيد﴾ أي: فوجب وحل عليهم وعيدي وهي كلمة العذاب والوعيد يستعمل في الشر خاصة بخلاف الوعد فإنه يكون في الخير والشر وفي الآية تسلية لرسول الله ﷺ يعني لا تحزن بتكذيب الكفار إياك لأنك لست بأول نبي كذب وكل أمة كذبت رسولها واصبر على أذاهم كما صبروا تظفر بالمراد كما ظفروا وتهديد لأهل مكة يعني: احذروا يا أهل مكة من مثل عذاب الأمم الخالية فلا تكذبوا رسول الله فإن الاشتراك في العمل يوجب الاشتراك في الجزاء.

واعلم أن عموم أهل كل زمان الغالب عليهم الهوى والطبيعة الحيوانية فهم أهل الحس لا أهل العقل ونفوسهم متمردة بعيدة عن الحق قريبة إلى الباطل كلما جاء إليهم رسول كذبوه وعلى ما جاء به قاتلوه فحق عليهم عذاب ربهم بما كفروا بأنعم الله فما أعياه إهلاكهم وفيه تسلية للأولياء أيضاً من طريق الإشارة وتهديد لأهل الإنكار ولعمري إنهم في أيديهم كالأنبياء في أيدي الكفار ولكن الصبر مفتاح الفرج فكما أن الكفار مسخوا وخسفوا وأخذوا بأنواع النكال فكذا أهل الإنكار مسخ الله بواطنهم وخسف بهم الأرض يعني أرض البشرية الكثيفة الظلمانية وأخذوا بأصناف الخذلان وهم لا يدرون أنهم كذلك بل يحسبون أنهم ناجون من كل المهالك لزيادة عماهم وحيرتهم نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المصدقين ويثبتنا على طريق أهل اليقين ويفيض علينا من بركاتهم ويشرفنا بآثار حركاتهم.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾.

﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ العي بالأمر العجز عنه يقال عي بالأمر وعيى به إذا لم يهتد لوجه عمله وقد مرّ في قوله: ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الأحقاف: ٣٣] والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر ينبىء عنه العي من القصد والمباشرة كأنه قيل أقصدنا الخلق الأول وهو الإبداء فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الخلق الثاني وهو الإعادة وبالفارسية: أياماً عاجز شده ايم ورنج يافته بآفرينش اول خلق تافرومانيم از آفرينش ثاني. وفي عين المعاني الخلق الأول آدم عليه السلام وهم يقرون به.

وفي «التأويلات النجمية»: أفاعتاص علينا فعل شيء حتى نعيى بالبعث أو يشق علينا البعث أي: ليس كذلك ﴿بل هم في لبس من خلق جديد﴾ يقال جددت الثوب إذا قطعته على وجه الإصلاح وثوب جديد أصله المقطوع ثم جعل لكل ما أحدث إنشاؤه وخلق جديد إشارة إلى النشأة الثانية وقوبل الجديد بالخلق لما كان المقصود بالجديد القريب العهد بالقطع من الثواب ومنه قيل لليل والنهار الجديدان والأجدان كما في «المفردات» والجملة عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الأول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة إذ لم تجر العادة بالإعادة في هذه الدار وهذا قياس فاسد كما لا يخفى.

وقال الكاشفي: مشركان مكه معترف بودند بانكه حق تعالى مبدع خلق است در اول پس ميفر ما يدكه كسى كه قادر بودبر آفرينش جمعى بي ماده ومددى چراتوا ناتوا نانبود بر اعاده ايشان بجمع مواد ورد حيات بآن وبي شبهه ما بران قوت داريم بلكه كافران درشك وشبهه اند بسبب وساوس شيطاني از آفريدن نويعنى بعث وحشرچه آنرا مخالف عادت مى بينند. وتنكير خلق لتفخيم شأنه والإشعار بخروجه عن حدود العادات أو الإيذان بأنه حقيق بأن يبحث عنه ويهتم بمعرفته ولا يقعد على لبس.

واعلم أن هذا الخلق الجديد حاصل في الدنيا أيضاً سواء كان في الأعراض أو في الأجسام وهو مذهب الصوفية ومذهب المتكلمين فإنهم جوزوا انتفاء الأجسام في كل آن ومشاهدة بقائها بتجدد الأمثال أي: الأجسام الأخر كما جوزوا انتفاء الأعراض في كل آن ومشاهدة بقائها بتجدد الأمثال أي: الأعراض الأخرى كما أنه جائز في الأعراض التي هي غير قائمة بذواتها كذلك جائز في الجواهر التي هي قائمة بذواتها وفي هذا المعنى. قال في «المثنوي»:

صورت از معنى چو شيراز پيشه دان ... ياچوآ واز وسخن زانديشه دان
اين سخن وآوازاو نديشه خواست ... تونداني بحر انديشه كجاست
ليك چون موج سخن ديدى لطيف ... بحرآن داني كه باشدهم شريف
چون زدانش موج انديشه بتاخت ... از سخن وآوازاو صورت بساخت
از سخن صورت بزاد وبازمرد ... موج خودرا بازاندر بحر برد
صورت از بى صورتى آمد برون ... بازشدكه انا اليه راجعون
پس ترا هر لحظه مرك ورجتيست ... مصطفى فرمود دنيا ساعتيست
فكر ماتيريست ازهودر هوا ... درهواكى پايه آيد تاخدا
هر نفس نومى شود دنيا وما ... بى خبر ازنوشدن اندربقا
عمر همچون جوى نونوميرسد ... مستمرى مى نمايد درجسد
آن زتيزى مستمر شكل آمدست ... چون شرركش تيز چنبانى بدست
شاخ آتش را بچنبانى بساز ... درنظر آتش نما يدپس دراز
اين درازى مدت ازتيزى صنع ... مى نمايد سرعت انكيزى صنع

قال الإمام الشعراني رضي الله عنه في «كتاب الجواهر»: تقليب العالم واقع في كل نفس من حال إلى حال فلا يثبت على حالة واحدة زماناً فرداً لكن التغيير إنما يقع في الصفات لا في الأعيان فلم يزل الحق تعالى خلاقاً على الدوام انتهى ومنه يعرف طواف الكعبة ببعض الرجال واستقبالها لهم كما وقع ذلك لرابعة العدوية رضي الله عنها وغيرها وحقيقة هذا المقام لا تتضح إلا بالكشف التام ومن الله الملك العلام الفيض والإلهام.

﴿**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه**﴾ أي: ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي والخطرة الرديئة ومنه وساوس الحلي وبالفارسية وميدانيم آن چيزى راكه وسوسه ميكندمر اورابدان نفس اوار انديشهاى بد. والضمير لما أن جعلت موصولة والباء كما في صوت بكذا وهمس به يعني أنها صلة أو للإنسان إن جعلت مصدرية والباء للتعدية أي: ما تجعله موسوساً فإن النفس تجعل الإنسان قائماً به الوسوسة قال في «الكشاف»:

ما مصدرية لأنهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه وفيه إشارة إلى أن الله تعالى كما يعلم حال الإنسان قبل خلقه علماً ثبوتياً كذلك يعلمه بعد خلقه علماً فعلياً ودخل فيه ما توسوس به نفسه فإنه مخلوق الله أيضاً لا يخفى عليه مخلوقه مطلقاً ودخل فيما توسوس به نفسه شهواته المطلوب الاستيفاؤها وسوء خلقه واعتقاده الفاسد وغير ذلك من أوصاف النفس توسوس بذلك لتشوش عليه قلبه ووقته وفيه دخل آدم عليه السلام فإن الله تعالى خلقه وعلم ما وسوست به نفسه في أكل الشجرة وذلك بإلقاء الشيطان.

قال بعض الكبار: ليس للشيطان على باطن الأنبياء من سبيل فخواطرهم لا حظ للشيطان فيها فهو يأتيهم في ظاهر الحس فقط ولا يعملون بما يقول لهم ثم إن من الأولياء من يحفظ من الشيطان في علم الله تعالى فيكون بهذه المثابة في العصمة مما يلقى لا في العصمة من وصول ذلك إلى قلبه لأن الأولياء ليسوا بمشرعين بخلاف الأنبياء عصمت بواطنهم لكونهم أصحاب الشرائع.

قال بعض الكبار: ما من شخص من بني آدم إلا ويخطر له كل يوم وليلة سبعون ألف خاطر لا تزيد ولا تنقص عدد الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم فما من شخص إلا ويخلق من خواطره كل يوم سبعون ألف ملك ثم يرتفعون إلى جهة البيت المعمور فإذا خرج السبعون ألفاً من البيت المعمور كل يوم يجتمعون بالملائكة المخلوقين من الخواطر فيكون ذكرهم استغفاراً لأصحابهم إلى يوم القيامة ولكن من كان قلبه معموراً بذكر الله دائماً فالملائكة المخلوقون من خواطره يمتازون عن الملائكة الذين خلقوا من خواطر قلب ليس له هذا المقام وسواء كان الخاطر فيما ينبغي أو فيما لا ينبغي فالقلوب كلها من هذا البيت المعمور خلقت فلا تزال معمورة دائماً وكل ملك يتكون من الخاطر يكون صورة صالحة في علم الله لما نظر وإن كان هو في نفسه ملكاً سبح وقد لا يعلم ما خطر ﴿**ونحن أقرب إليه**﴾ أي: إلى الإنسان ﴿**من حبل الوريد**﴾ ازرك جان وى بوى. أي: أعلم بحاله ممن كان أقرب إليه من حبل الوريد وعبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزاً لأنه موجب له فأطلق الملزوم على اللازم وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني بمعقد الإزار والحبل العرق شبه بواحد من الحبال من حيث الهيئة وإضافته بيانية وجوز الزمخشري كونها بمعنى اللام ويجوز أن تكون كإضافة لجين الماء على أن يكون الحبل على حقيقته والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين وهو عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه يردان من الرأس إليه فالوريد بمعنى الوارد وقيل سمي وريداً لأن الروح الحيواني يرده فالوريد حينئذ بمعنى المورود وفي «المفردات» الوريد عرق متصل بالكبد والقلب وفيه مجاري الروح وقوله: ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ أي: من روحه انتهى. ما وردى فرموده كه حبل الوريد ركيست متصل بدل وعلم خداى تعالى ببنده نزديكتر نيست ازعلم دل وى.

وفي «التأويلات النجمية» حبل الوريد أقرب أجزاء نفسه إلى نفسه يشير به إلى أنه تعالى أقرب إلى العبد من نفس العبد إلى العبد فكما أنه كل وقت يطلب نفسه يجدها لأنها قريب منه فكذلك كل وقت يطلب ربه يجده لأنه قريب منه كما قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] وفي الزبور: ألا من طلبني وجدني.

نحن أقرب كفت من حبل الوريد   توبكندى بئر فكرت را بعيد

أي كمان تيرها پرساخته صيد نزديك وتودور انداخته

وقال الشيخ سعدي:

دوست نزديكتر ازمن بمنست وين عجبتركه من ازوى دورم
چكنم باكه توان كفت كه او دركنار من ومن مهجورم

قال بعض الكبار: شدة القرب حجاب كما أن غاية البعد حجاب وإذا كان الحق أقرب إلينا من حبل الوريد فأين السبعون ألف حجاب التي بيننا وبينه فتأمل وقال البقلي: ولو يرى الإنسان نفسه لرأى هوان نفسه ألا ترى كيف أخبر عن كمال قربه بنعت الاتحاد بقوله: **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾** ولذلك قال عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» إذ لا نفس إلا هو إن فهمت ما قلت وإلا فاعلم أن الفعل قائم بالصفة والصفة قائمة بالذات فمن حيث عين الجمع ما هو إلا هو ولا تظن الحلول فإنه بذاته وصفاته منزه عن أن يكون له محل في الحوادث هذا رمز العاشقين ألا ترى إلى قول المجنون:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

وقال الواسطي: أي: نحن أولى به وأحق إنا جمعناه بعد الافتراق وأنشأناه بعد العدم ونفخنا فيه الروح فالأقرب إليه من هو أعلم به منه بنفسه وقال أيضاً: بي عرفت روحك بي عرفت نفسك كل ذلك لإظهار النعوت على قدر طاقة الخلق فأما الحقيقة فلا يتحملها العبد سماعاً.

وقال الكاشفي: وببايد دانست كه قرب حق تعالى بى چون وچكونه باشد أي: عزيز كيفيت قرب جانراكه پيوسته است بتن درنمى توان يافت قرب حق راكه پيوسته از كيفيت مقدس ومنزه است چكونه ادراك توان كرد وهمين در مثنوى معنوي مذكوراست:

قرب بيچونست جانترابتو قرب حق راچون بدانى اي عمو
قرب نى بالاوپستي رفتن است قرب حق ازحبس هستى رستن است

دركشف الاسرار آورده كه قرب حق بحق آنست كه فرمود واسجد واقترب ودر احاديث قدسية واردست كه لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل وأين قرب أول بايمانست وتصديق وآخر باحسانست وتحقيق يعني مقام مشاهده كه أن تعبد الله كأنك تراه وقرب حق تعالى مر بنده را دوقسمست يكى كافه خلق رابعلم وقدرت كقوله وهو معكم أينما كنتم ديكر خواص دوكاه را بخصائص برو شواهد لطف كه ونحن أقرب إليه أول اورا قربتي دهد غيبى تا ازجهانش برها ندپس قرب بحد حقيقى تا ازآب وكلش باز برداز هستى موهوم بنده مى كاهد وازنيستى اصلى زياده ظهور ميكند تاچنانچه در اول خود بود درآخر خود باشد انجا علايق مرتفع كردد واسباب منقطع ورسوم باطل وحدود متلاشى وإشارات متناهى وعبارات منتفى وخبر منمحق وحق يكتا بخود باقى والله خير وأبقى:

رأيت حبي بعين قلبي فقال من أنت قلت أنتا
أنا الذي جزت كل حد بمحو أيني فأين أنتا
موج بحر لمن الملك برايد نا كاه غرقه كردند دران بحرچه درويش وچه شاه
خرمن هستى موهوم چنان سوزاند آتش عشق كه نه دانه بماند نه كاه

قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فإذا أنا هو أي: إن من انسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها فلا يبقى فيه متسع لغير الله ولا يكون له هم سوى الله تعالى وإذا لم يحل في القلب إلا جلال الله وجماله حتى صار مستغرقاً يصير كأنه هو لا أنه هو تحقيقاً وفرق بين قولنا كأنه هو وبين قولنا هو هو لكن قد يعبر بهو هو عن قولنا كأنه هو كما يقال زيد أسد في مقام التشبيه مبالغة في الشجاعة فإن قلت: ما معنى السلوك وما معنى الوصول؟ قلت: معنى السلوك هو تهذيب الأخلاق والأعمال والمعارف وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن والعبد في جميع ذلك مشغول بنفسه عن ربه إلا أنه مشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول وإنما الوصول هو أن ينكشف له جلية الحق ويصير مستغرقاً به فإن نظر إلى معرفته فلا يعرف إلا الله وإن نظر إلى همه فلا هم له سواه فيكون كله مشغولاً بكله مشاهدة وهماً لا يلتفت في ذلك إلى نفسه ليعمر ظاهره بالعبادة وباطنه بتهذيب الأخلاق وكل ذلك طهارة وهي البداية وإنما النهاية أن ينسلخ عن نفسه بالكلية ويتجرد له فيكون كأنه هو وذلك هو الوصول كما في «شرح الأسماء الحسنى» للإمام الغزالي رحمه الله.

﴿**إذ يتلقى المتلقيان**﴾ منصوب باذكر وهو أولى لبقاء قوله ﴿**ونحن**﴾ إلخ على إطلاقه أو بما في أقرب من معنى الفعل والتلقي الأخذ والتلقن بالحفظ والكتابة والمعنى: أنه لطيف يتوصل علمه إلى ما لا شيء أخفى منه وهو أقرب إلى الإنسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن ويأخذ الحفيظان أي: الملكان الموكلان بالإنسان ما يتلفظ به وفيه أي: على الوجه الثاني إيذان بأنه تعالى غني عن استحفاظهما لإحاطة علمه بما يخفى عليهما وإنما ذلك لما في كتبهما وحفظهما لأعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الأشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه بإحاطته تعالى بتفاصيل أحواله خبراً من زيادة اللطف له في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه عليه السلام «إن مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما» وأنت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما وقد جوز أن يكون تلقي الملكين بياناً للقرب على معنى أنا أقرب إليه مطلعون على أعماله لأن حفظتنا وكتبتنا موكلون به.

﴿**عن اليمين**﴾ هو أشرف الجوارح وفيه القوة التامة ﴿**وعن الشمال**﴾ هو مقابل اليمين ﴿**قعيد**﴾ أي: عن جانب اليمين قعيد أي: مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظاً ومعنى فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

﴿**ما يلفظ من قول**﴾ ما يرمي به من فيه من خير أو شر والقول أعم من الكلمة والكلام ﴿**إلا لديه**﴾ مكر نزديك أو ﴿**رقيب**﴾ ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فإن كان خيراً فهو صاحب اليمين بعينه وإلا فهو صاحب الشمال ﴿**عتيد**﴾ أي معد مهيأ لكتابة ما أمر به من الخير أو الشر فهو حاضر أينما كان وبالفارسية رقيب نكهباني وديده بانى بود عتيد آماده في الحال نويسد. والإفراد حيث لم يقل رقيبان عتيدان مع وقوفهما معاً على ما صدر عنه لما أن كلاً منهما رقيب لما فوض إليه لا لما فوض إلى صاحبه كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿**عتيد**﴾ وتخصيص القول بالذكر لإثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه، فقيل: يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه وقيل إنما يكتبان ما فيه أجر ووزر وهو الأظهر كما ينبىء عنه قوله عليه السلام: «كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات

أمير أمين على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشراً وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر» قيل: إن الملائكة يجتنبون الإنسان عند غائطه وعند جماعه لذا كره الكلام في الخلاء وعند قضاء الحاجة أشد كراهة لأن الحفظة تتأذى بالحضور في ذلك الموضع الكريه لأجل كتابة الكلام فإن سلم عليه في هذه الحالة قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: يرد السلام بقلبه لا بلسانه لئلا يلزم كتابة الملائكة فإنهم لا يكتبون الأمور القلبية وكذا يحمد الله بقلبه عند العطاس في بيت الخلاء وكذا يكره الكلام عند الجماع وكذا الضحك في هذه الحالة فلا بد من حفظ اللسان وفي الحديث: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

ابلهى از صرفه زر ميكنى صرفه كفتار كن ار ميكنى
مصلحت تست زبان زيركام تيغ پسنديده بود درنيام

وفي الحديث: «إن ملائكة الليل وملائكة النهار يصلون معكم العصر فتصعد ملائكة النهار وتمكث ملائكة الليل فإذا كان الفجر نزل ملائكة النهار ويصلون الصبح فتصعد ملائكة الليل وتمكث ملائكة النهار وما من حافظين يرفعان إلى الله ما حفظا فيرى الله في أول الصحيفة خيراً وفي آخرها خيراً إلا قال للملائكة اشهدوا أني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة» كما في «كشف الأسرار» وفي الحديث: «نظفوا لثاتكم» جمع لثة بالكسر وفتح الثاء المخففة وهي اللحمة التي فوق الأسنان ودون الأسنان وهي منابتها والعمور اللحمة القليلة بين السنين واحدها عمر بفتح العين فأمر بتنظيفها لئلا يبقى فيها وضر الطعام فتتغير منه النكهة وتتنكر الرائحة ويتأذى المكان لأنه طريق القرآن ومقعد الملكين عند نابيه.

- وروي - في الخبر في قوله **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾** قال عند نابيه كما في «تفسير القرطبي» في سورة البقرة وفي الحديث: «نقوا براجمكم» وهي مفاصل الأصابع والعقد التي على ظهرها يجتمع فيها من الوسخ واحدها برجمة بضمتي الباء والجيم وسكون الراء بينهما وهو ظهر عقدة كل مفصل فظهر العقدة يسمى برجمة وما بين العقدتين يسمى راجبة وجمعها رواجب وذلك مما يلي ظهرها وهو قصبة الأصابع فلكل أصبع برجمتان وثلاث رواجب إلا الإبهام فإن له برجمة وراجبتين فأمر بتنقيته لئلا يدرن فيبقى فيه الجنابة ويحول الدرن بين الماء والبشرة والجنب لا تقربه ملائكة الرحمن إلى أن يتطهر وعن مجاهد قال: أبطأ جبريل عليه السلام على النبي عليه السلام ثم أتاه فقال له عليه السلام: ما حبسك يا جبريل؟ قال: «وكيف آتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤]» كما في «سفينة الأبرار» وفي الخبر النبوي قال عليه السلام: «نقوا أفواهكم بالخلال فإنها مجلس الملكين الكريمين الحافظين وإن مدادهما الريق وقلمهما اللسان وليس عليهما شيء أمر من بقايا الطعام بين الأسنان» كما في «أسئلة الحكم» قال الإمام حجة الإسلام: أليس الله منع الجنب والمحدث عن الدخول إلى بيته ومس كتابه فقال عز من قائل: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [النساء: ٤٣] وقال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٩] مع أنهما أثر مباح فكيف بمن هو منغمس في قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة مع من يدعى إلى خدمة الله العزيز وذكره الشريف وصحبته الطاهرة سبحانه كلا لا يكون ذلك أبداً كما في «الأسرار المحمدية» إخواني فكر القلب في

المباحات يحدث له ظلمة فكيف تدابير الحرام إذا غير المسك الماء منع الوضوء به فكيف ولوغ الكلب كما في «درياق الذنوب» لأبي الفرج بن الجوزي وفي الحديث: «إن لله ملكاً على بيت المقدس ينادي كل ليلة ألا كل من أكل حراماً لم يقبل منه صرف ولا عدل» فالصرف النافلة والعدل الفريضة كما في «الإحياء» وإطلاق الآية يدل على أن للكفار كتاباً وحفظة فإن قيل فالذي يكتب عن يمينه إذاً أي شيء يكتب ولم يكن لهم حسنات؟ يقال له: الذي عن شماله يكتب بإذن صاحبه ويكون شاهداً على ذلك وإن لم يكتب كما في «بستان العارفين» وفائدة حضور صاحب اليمين احتمال الإيمان وهو اللائح بالبال وفي الحديث: «إن الله تبارك وتعالى وكل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله فإذا مات قال الملكان اللذان وكلا به يكتبان عمله قد مات فلان فتأذن لنا فنصعد إلى السماء فيقول الله تعالى «سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحون فيقولان فأين فيقول قوما على قبر عبدي فكبراني وهللاني واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة».

قال بعض الكبار: من أهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همتهم من يعمل في قبورهم بغالب أعمالهم في الدنيا ويكتب الله تعالى لعبده ثواب ذلك العمل إلى آخر البرزخ كما وقع لثبات المنائي قدس سره فإنهم وجدوا في قبره شخصاً في صورته يصلي فظنوا أنه هو وإنما هو مخلوق من همته وكذلك المثالات المتخيلة في صور أهل البرازخ لأهل الدنيا في النوم واليقظة فإذا رؤي مثال أحدهم فهو إما ملك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولي وإما مثال أقامه الله تعالى على صورته لتنفيذ ما شاء الله من حوائج الناس وغيرها فأرواح الأولياء في البرزخ ما لها خروج منه أبداً وأما أرواح الأنبياء عليهم السلام فإنها مشرفة على وجود الدنيا والآخرة كما في «كتاب الجواهر» للشعراني ومن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ضرب بعض الصحابة خباءه على قبر وهو لا يشعر أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك فأتى النبي عليه السلام فأخبره فقال عليه السلام: «هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر» كما في «حل الرموز».

يقول الفقير: بعض الآثار يدل على أن بعض الأرواح يطوف في الأرض كالصديق والفاروق رضي الله عنهما كما أشار إليه قوله عليه السلام: «إن لي وزيرين في الأرض: أبا بكر وعمر» وأيضاً إن المهدي رضي الله عنه إذا خرج يستصحب أصحاب الكهف وروحانية شخصين من كمل هذه الأمة وأيضاً قد اشتهر في الروايات خروج بعض الأرواح من القبور في بعض الأيام والليالي والشهور بإذن الملك الغفور إلا أن يؤول كل ذلك والعلم عند الله تعالى.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير أن من لم يعرف قدر قربي إليه ويكون بعيداً مني بخصاله الذميمة وفعاله الرديئة ولم أرض بأن أكون رقيبه أوكل عليه رقيبين **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾** يكتب بقلم حركاته ومداد نيته على صحيفة قلبه فإن كانت حركاته شرعية ونيته صافية تجيء كتابته نورانية وإن كانت حركاته طبيعية حيوانية ونيته هوائية شهوانية تجيء كتابته ظلمانية نفسانية فمن هنا تبيض وجوه وتسود وجوه وفيه أيضاً إشارة إلى كمال عنايته في حق عباده إذ جعل على كل واحد رقيبين من الملائكة المقربين ليحفظوه بالليل والنهار إذا كان قاعداً فواحد عن يمينه وواحد عن شماله وإذا نام فواحد عن رأسه وواحد عن قدمه وإذا كان ماشياً فواحد بين يديه وآخر خلفه ويقال هما اثنان بالليل لكل واحد واثنان بالنهار ويقال بل الذي يكتب الخيرات كل يوم آخران والذي يكتب الشر والزلة كل يوم هو الذي كان بالأمس ليكثر

شهود الطاعة غداً وتقل شهود المعصية ويقال بل الذي يكتب المعصية كل يوم اثنان آخران لئلا يعلم من مساويك إلا القليل منهم فيكون علم المعاصي متفرقاً فيهم انتهى.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ السكرة استعارة لشدة الموت وغمرته الذاهبة بالعقل إنما لم يجعل الموت استعارة بالكناية ثم إثبات السكرة له تخييلاً لأن المقام أدعى للاستعارة التحقيقية وعبر عن وقوعها بالماضي إيذاناً بتحققها وغاية اقترابها حتى كأنها قد أتت وحضرت كما قيل: قد أتاكم الجيش: أي قرب إتيانه والباء إما للتعدية كما في قولك: جاء الرسول بالخبر والمعنى حضرت سكرة الموت أي: شدته التي تجعل الإنسان كالسكران بحيث تغشاه وتغلب على عقله حقيقة الأمر الذي نطق به كتاب الله ورسله أو حقيقة الأمر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وإما للملابسة كالتي في قوله تعالى ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] أي: ملتبسة بالحق أي: بحقية الأمر أو بالحكمة والغاية الجميلة وقال بعضهم: أتت وحضرت بأمر الله الذي هو حق.

ـ وحكي ـ أن رجلاً أتى عمر رضي الله عنه فقال: إني أحب الفتنة وأكره الحق وأشهد بما لم أره فحبسه عمر رضي الله عنه فبلغت قصته علياً رضي الله عنه فقال: يا عمر حبسته ظلماً فقال: كيف ذلك قال: لأنه يحب المال والولد قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] ويكره الموت وهو الحق قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] ويشهد بأن الله الواحد لم يره فقال عمر: لولا علي لهلك عمر **﴿ذلك﴾** أي: يقال للميت بلسان الحال وإن لم يكن بلسان القال أو تقول ملائكة ذلك الموت يا إنسان **﴿ما﴾** موصولة أي: الأمر الذي **﴿كنت﴾** في الدنيا **﴿منه﴾** متعلق بقوله: **﴿تحيد﴾** من حاد عنه يحيد حيداً إذا مال عنه أي: تميل وتهرب منه وبالفارسية مى كريختى ومى ترسيدى واورا مكروه ميداشتى. بل تحسب أنه لا ينزل عليك بسبب محبتك الحياة الدنيا كما في قوله: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤] أي: أقسمتم بألسنتكم بطراً وأشراً وجهلاً وسفهاً أو بألسنة الحال حيث بنيتم مشيداً وأملتم بعيداً ولم تحدثوا أنفسكم بالانتقال منها إلى هذه الحالة فكأنكم ظننتم أنكم ما لكم من زوال مما أنتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية فالخطاب في الآية للإنسان المتقدم على طريق الالتفات فإن النفرة عن الموت شاملة لكل فرد من أفراده طبعاً ويعضده ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أخذت أبا بكر غشية من الموت فبكيت عليه فقلت:

من لا يزال دمعه مقنعاً لا بد يوماً أنه مهراق

فأفاق أبو بكر رضي الله عنه فقال: بل جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وما روي أنها قالت: «إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وبين سحري ونحري وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته» ودخل عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنه علي وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت: آخذه لك فأشار برأسه أن نعم فتناوله فاشتد عليه فقلت: ألينه لك فأشار برأسه أن نعم فلينته فأمره وبين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده» وجوز في

«الكشاف» أن تكون الإشارة إلى الحق والخطاب للفاجر وهذا هو الظاهر لأن الكلام في الفجار قاله سعدي المفتي وفي الحديث القدسي: «وما رددت في شيء أنا فاعله» بتشديد الدال يعني ما رددت ملائكتي الذين يقبضون الأرواح «ما رددت في قبض نفس عبدي المؤمن» أي: مثل ترديدي إياهم في قبض أرواح المؤمنين بأن أقول اقبضوا روح فلان ثم أقول لهم أخروه وفي بعض النسخ ما ترددت ولما كان التردد وهو التحير بين الشيئين لعدم العلم بأن الأصلح أيهما محالاً في حق الله تعالى حمل على منتهاه وهو التوقف يعني ما توقفت فيما أفعله مثل توقفي في قبض نفس المؤمن فإني أتوقف فيه وأريه ما أعددت له من النعم والكرامات حتى يميل قلبه إلى الموت شوقاً إلى لقائي يكره الموت استئناف عمن قال ما سبب ترددك أراد به شدة الموت لأن الموت نفسه يوصل المؤمن إلى لقاء الله فكيف يكرهه المؤمن «وأنا أكره مساءته» أي أذاه بما يلحقه من صعوبة الموت وكربه «ولا بد منه» أي: للعبد من الموت لا أنه مقدر لكل نفس كذا في «شرح المشارق» لابن الملك قال في «كشف الأسرار»: هر جندكه حالت مرك بظاهر صعب مى نمايد لكن دوستانرا اندران حال درباطن همه عزوناز باشد وازدوست هر لمحه راحتى ودر هر ساعتى خلعتى آيد مصطفى عليه السلام زينجا كفته «تحفة المؤمن الموت» هيچ صاحب صدق از مرك نترسد حسين بن علي رضي الله عنهما بدررا ديدكه پيراهن حرب ميكرد كفت ليس هذا زي المحاربين على كفت ما يبالي أبوك أسقط على الموت أم سقط الموت عليه صدق زاد سفر مرك است ومرك راه بقاست وبقا سبب لقاست من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه عمار بن ياسر رضي الله عنه عمروى به نودسال رسيدنيزه دردست كرفتى ودستش مى لرزيدى مصطفى عليه السلام اورا كفته بود آخر قوت تواز طعام دنيا شربتى شير باشددر حرب صفين عمار حاضر بودنيزه دردست كرفته وتشنكى بروى افتاده شربتى آب خواست قدحى شيربوى دادندبادش آمد حديث مصطفى كه امروز روز دولت عمارست آن شربت بكشيد وپيش رفت وميكفت اليوم نلقى الأحبة محمداً وحزبه. وفي «المثنوي»:

همچنين باد اجل باعارفان — نرم وخوش همچون نسيم يوسفان
آتش ابراهيم را دندان نزد — چون كزيده حق بود چونش كزد
پس رجال ازنقل عالم شادمان — وزبقايش شادمان اين كود كان
چونكه آب خوش نديدآن مرغ كور — پيش اوكوثر نمايد آب شور

وعن صاحب «المثنوي» أنه لما حضره الموت ورأى ملك الموت عند الباب قال:

پيش تراپيش ترجان من — پيك در حضرت سلطان من

قالوا ينزل عند الموت أربعة من الملائكة: ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى، وملك يجذبها من قدمه اليسرى، وملك يجذبها من يده اليمنى، وملك يجذبها من يده اليسرى فيجذبونها من أطراف البنان ورؤوس الأصابع، ونفس المؤمن المطيع تنسل انسلال القطرة من السقاء وأما الفاجر فينسل روحه كالسفود من الصوف المبلول وهو يظن أن بطنه قد ملئت شوكاً وكأن نفسه تخرج من ثقب إبرة وكأن السماء انطبقت على الأرض وهو بينهما فإن قلت مع وجود هذه السكرات لم لا يصيح المحتضر كما يصيح من به ألم من الضرب وغيره قلت إنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وإنما ينقطع صوت الميت وصياحه مع شدته لأن الكرب قد بولغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه أعني البدن فهدّ كل

قوة وأضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة.

قال وهب بن منبه: بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يرى الملكين اللذين كانا يحفظان عمله في الدنيا فإن صحبهما بخير قالا: جزاك الله خيراً فرب مجلس خير قد أجلستنا وعمل صالح قد أحضرتنا وإن كان رجل سوء قالا جزاك الله شراً فرب مجلس قد أجلستنا ورب كلام سوء قد أسمعتنا قال فذلك الذي يشخص بصر الميت ثم لا يرجع إلى الدنيا أبداً. قال الشيخ سعدي:

دريغست فرموده ديوزشت   كه دست ملك برتو خواهد نوشت
روا داري از جهل وناپاكيت   كه پاكان نويسند ناپاكيت

وربما كشف للميت عن الأمر الملكوتي قبل أن يغرغر فعاين الملائكة على حقيقة عمله أي: على صور هي حقائق أعماله فإن كانت أعماله حسنة يراهم على صورة حسنة وإن كانت سيئة فعلى صور قبيحة ثم مراتب الحسن والقبح متفاوتة بحسب حسن الأعمال وقبحها وبحسب أنواعها فالملائكة لا يراهم البشر على ما يتحيزون إليه من عالمهم إلا ما كان من النبي عليه السلام من رؤية جبريل مرتين على صورته الأصلية.

وفي «التأويلات النجمية»: إذا أشرف الناس على الخروج من الدنيا فأحوالهم تختلف فمنهم من يزداد في ذلك الوقت خوفه ولا يتبين حاله إلا عند ذهاب الروح ومنهم من يكاشف قبل خروجه فيسكن روعه ويحفظ عليه قلبه ويتم له حضوره وتمييزه فيسلم الروح على مهل من غير استكراه وعبوس ومنهم ومنهم وفي معناه يقول بعضهم:

أنا إن مت فالهوى حشو قلبي   وابتداء الهوى بموت الكرام

قال بعض الكبار: إن السيد عبد القادر الجيلي قدس سره لما حضرته الوفاة وضع خده على الأرض وقال: هذا هو الحق الذي كنا عنه في حجاب فشهد على نفسه بأن مقام الإدلال الذي كان فيه نقص بالنسبة إلى حاله الذي ظهر له عند الموت وتمم الله حاله عند الموت ومات على الكمال وعكس هذا ما حكي أن مولانا حميد الدين أخذه اضطراب عظيم في مرض موته فقيل له: أين علومك ومعارفك؟ فقال: يطلبون منا القلب وأحوال القلب وذلك غير موجود عندنا فالاضطراب من تلك الجهة.

- وروي - لبعضهم كلمات عالية ثم رؤي حالة الرحلة في غاية التشوش وقد ذهب عنه التحقيقات وذلك لأن الأمر الحاصل بالتكلف لا يستقر حال المرض والهرم فكيف حال مفارقة الروح فلذا انتقل البعض في مقام القبض والهيبة وقد روي أن بعضهم ضحك عند الموت وقال ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١] وبعضهم بكى وقال: ما لهذا نسعى طول عمرنا وأراد تجلي الله تعالى عند ذلك فإذا كان حال أرباب الأحوال هكذا فما ظنك بأحوال غيرهم وقد قالوا: إن سكرات الموت بحسب الأعمال والأحوال وقد تظهر صفات حسنها وقبحها عند الموت فالمغتاب تقرض شفاهه بمقاريض من نار والسامع للغيبة يسلك في أذنيه نار جهنم وآكل الحرام يقدم له الزقوم كذلك إلى آخر أعمال العبد كل ذلك يظهر عند سكرات الموت فالميت يجوزها سكرة بعد سكرة فعند آخرها يقبض روحه وكان عليه السلام يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت وإنما لا يستعيذ أكثر الناس من الموت ومن أهواله وسكراته لما غلب عليهم من الجهل فإن الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف

الأنبياء والأولياء من الموت:

يا من بدنياه اشتغل — وغره طول الأمل
الموت يأتي بغتة — والقبر صندوق العمل

قال الحافظ:

سپهر برشده پرويزنيست خون افشان — كه ريزه اش سركسرى وتاج پرويزست
بدان اي جوانمردكه از عهد آدم تافناى عالم كس ازمرك نرست تونيز نخواهى رست

الموت كاس وكل الناس شاربه:

خانه پر كندم ويك جو نفرستاده بكور — غم مركت چوغم برك زمستانى نيست

﴿**ونفخ في الصور**﴾ هي النفخة الثانية وهي نفخة البعث والنشور والنافخ إسرافيل عليه السلام وقد سبق الكلام في الصور ﴿**ذلك**﴾ أي: وقت ذلك النفخ على حذف المضاف ﴿**يوم الوعيد**﴾ أي: يوم إنجاز الوعيد الواقع في الدنيا وتحقيقه والوعيد التهديد أو يوم وقوع الوعيد على أنه عبارة عن العذاب الموعود وتخصيص الوعيد بالذكر مع أنه يوم الوعد أيضاً لتهويله ولذا بدىء ببيان حال الكفرة

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿**وجاءت**﴾ ومى آيد دران روز بعرصه محشر ﴿**كل نفس**﴾ من النفوس البرة والفاجرة ﴿**معها**﴾ إلخ محله النصب على الحالية من كل لإضافته إلى ما هو في حكم المعرفة كأنه قيل كل النفوس ﴿**سائق وشهيد**﴾ وإن اختلف كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملاً أي: معها ملكان أحدهما يسوق إلى المحشر والآخر يشهد بعملها خيراً أو شراً وفي «كشف الأسرار»: يسوق الكافر سائقه إلى النار ويشهد الشهيد عليه بمعصيته ويسوق السائق المؤمن إلى الجنة ويشهد الشهيد له بطاعته انتهى وهل الملكان الكاتبان في الدنيا هما اللذان ذكرهما الله في قوله سائق وشهيد أو غيرهما فيه خلاف كما في «فتح الرحمٰن» أو معها ملك جامع بين الوصفين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد لها أو عليها وقال الواسطي سائقها الحق وشهيدها الحق أي: بالنظر إلى الحقيقة في الدنيا والآخرة.

﴿**لقد كنت في غفلة من هذا**﴾ الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور وفي «المفردات» سهو يعتري من قلة التحفظ والتيقظ والمعنى يقال له يوم القيامة أو وقت النشور أو وقت العرض لقد كنت أيها الشخص في الدنيا في غفلة من هذا اليوم وغوائله وفي «فتح الرحمٰن» من هذا النازل بك اليوم وقال ابن عباس رضي الله عنهما من عاقبة الكفر وفي «عين المعاني» أي: من السائق والشهيد وخطاب الكل بذلك لما أنه ما من أحد إلا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرىء كنت بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس وكذا الخطابات الآتية ﴿**فكشفنا**﴾ أي: أزلنا ورفعنا ﴿**عنك غطاءك**﴾ الذي كان على بصرك والغطاء الحجاب المغطى لأمور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والإلفة بها وقصر النظر عليها قال في «المفردات»: الغطاء ما يجعل فوق الشيء من لباس ونحوه كما أن الغشاء كذلك وقد استعير للجهالة قال تعالى: فكشفنا الآية. يعني برداشتيم ازديده توپوشش جهل وغفلت

تراتا هرچه شنوده بودى معاينه بيني وحقيقتش ادراك ميكنى. وفي «الكواشي» أو الغطاء القبر أي: أخرجناك منه ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ أي: نافذ وبالفارسية تيزست. تبصر ما كنت تنكره وتستبعده في الدنيا لزوال المانع للإبصار ولكن لا ينفعك وهذا كقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨] يقال: حددت السكين رققت حدها ثم يقال لكل حاذق في نفسه من حيث الخلقة أو من حيث المعنى كالبصر والبصيرة حديد فيقال هو حديد النظر وحديد الفهم ويقال لسان حديد نحو لسان صارم وماض وذلك إذا كان يؤثر تأثير الحديد وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان وإن خلق من عالمي الغيب والشهادة فالغالب عليه في البداية الشهادة وهي العالم الحسي فيرى بالحواس الظاهرة العالم المحسوس مع اختلاف أجناسه وهو بمعزل عن إدراك عالم الغيب فمن الناس من يكشف الله غطائه عن بصر بصيرته فيجعل بصره حديداً يبصر رشده ويحذر شره وهم المؤمنون من أهل السعادة ومنهم من يكشف الله عن بصر بصيرته يوم القيامة يوم لا ينفع نفساً إيمانها وهم الكفار من أهل الشقاوة:

كرت رفت ازاندازه بيرون بدى ... چو كفتى كه بدرفت نيك آمدى

فراشو چو بينى در صلح باز ... كه ناكه درتوبه كردد فراز

كنون باخردبايد انباز كشت ... كه فردا نماند ره باز كشت

ومن كلمات أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً:

حال خلد وجحيم دانستم ... بيقين آنچنانكه مى بايد

كر حجاب ازميانه بركيرند ... آن يقين ذره نيفزايد

يعني أن عين اليقين الحاصل لأهل الحجاب في الآخرة حاصل لأهل الكشف في الدنيا فإنهم ترقوا من علم اليقين إلى عين اليقين في هذه الدار فطابوا وقتاً فكأنهم في الجنان في الحال وكل يوم لهم يوم المزيد وفيه إشارة إلى سر عظيم وهو أن أهل النار يزول عن أبصارهم الحجب المانعة عن اليقين والعيان وذلك بعد احتراق ظواهرهم وبواطنهم أحقاباً كثيرة فيرون إذ ذاك من أثر الجمال ما رآه العارفون في هذه الدار فحينئذ لا يبقى للعذاب خطر إذ الاحتراق على الشهود سهل ألا ترى إلى النسوة اللاتي قطعن أيديهن كيف لم يكن لهن حس بالقطع على شهود يوسف ولكن ليس لأهل النار نعيم كأكل وشرب ونكاح فاعرف.

﴿**وقال قرينه**﴾ وكويد همنشين او. يعني الشيطان المقيض له مشيراً له ﴿**هذا ما لدي عتيد**﴾ أي: هذا ما عندي وفي ملكتي ومقدوري عتيد لجهنم قد هيأته لها بإغوائي وإضلالي وقيل: قال الملك الموكل به يعني الرقيب الذي سبق ذكره مشيراً إلى ما هو من كتاب عمله هذا مكتوب عندي عتيد مهيأ للعرض فإن كان العبد من أهل الإيمان والجنة أحضر كتاب حسناته لأن سيئاته قد كفرت وإن كان من أهل الكفر والنار أحضر كتاب سيئاته لأن حسناته حبطت بكفره وما إن جعلت موصوفة فعتيد صفتها وإن جعلت موصولة فهي بدل منها أو خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ محذوف فعلى العاقل أن لا يطع الشيطان ولا يلتفت إلى إغوائه في كل زمان ومكان فإنه يدعو إلى النار وقهر الجبار.

ـ روي ـ أن النبي عليه السلام سار ليلة المعراج فرأى عجوزاً على جنب الطريق فقال: ما هذه يا جبريل؟ فقال: سر يا محمد فسار ما شاء الله فإذا بشيء يدعوه متنحياً عن الطريق يقول: هلم يا محمد وأنه عليه السلام مر بجماعة فسلموا عليه وقالوا: السلام عليك يا أول السلام

عليك يا آخر فقال جبريل اردد عليهم السلام» فرد ثم قال جبريل أما العجوز فالدنيا ولم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز أما لو أجبتها لاختار أمتك الدنيا على الآخرة وأما الذي دعاك فإبليس وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام قال بعض العارفين: خلق الله إبليس ليميز به العدو من الحبيب والشقي من السعيد فخلق الله الأنبياء ليقتدي بهم السعداء وخلق إبليس ليقتدي به الأشقياء ويظهر الفرق بينهما فإبليس دلال وسمسار على النار والخلاف وبضاعته الدنيا ولما عرضها على الكافرين قيل ما ثمنها قال: ترك الدين فاشتروها بالدين وتركها الزاهدون وأعرضوا عنها والراغبون فيها لم يجدوا في قلوبهم ترك الدين ولا ترك الدنيا فقالوا له: أعطنا مذاقة منها حتى ننظر ما هي فقال إبليس: أعطوني رهناً فأعطوه سمعهم وأبصارهم ولذا يحب أرباب الدنيا استماع أخبارها ومشاهدة زينتها لأن سمعهم وأبصارهم رهن عند إبليس فأعطاهم المذاقة بعد قبض الرهن فاستمعوا من الزهاد عيب الدنيا ولم يبصروا قبائحها بل استحسنوا زخارفها ومتاعها فلذلك قيل: حبك الشيء يعمي ويصم وقال بعضهم: خلق الله إبليس ليكون المؤمن في كنف رعاية المولى وحفظه لأنه لولا الذئب لم يكن للغنم راع وخلق الله إبليس من ظلمة وخبث وطبعه على العداوة نسأل الله الحفظ والعصمة منه.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ألقيا في جهنم﴾ خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو لملكين من خزنة النار أو لواحد وهو الملك الجامع للوصفين أو خازن النار على تنزيل تثنية الفاعل تثنية الفعل وتكريره للتأكيد كأنه قيل ألق ألق حذف الفعل الثاني ثم أتى بفاعله وفاعل الفعل الأول على صورة ضمير الاثنين متصلاً بالفعل الأول أو على أن الألف بدل من نون التأكيد على إجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرىء ألقين بالنون الخفيفة مثل ﴿لَنَسْفَعًا﴾ [العلق: ١٥] فإنه إذا وقف على النون تنقلب ألفاً فتكتب بالألف على الوقف ووجه آخر هو أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان يعني أدنى الأعوان في السفر اثنان فكثر في ألسنتهم أن يقولوا خليلي وصاحبي وقفا وأسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين كما قال امرؤ القيس:

خليلي مرا بي على أم جندب ... لتقضي حاجات الفؤاد المعذب
ألم تر أني كلما جئت طارقاً ... وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

فثنى في البيت الأول ووحد في البيت الثاني **﴿كل كفار﴾** كل مبالغ في الكفر بالمنعم والنعم جاحد بالتوحيد معرض عن الإيمان وقيل كل كافر حامل غيره على الكفر **﴿عنيد﴾** معاند للحق يعرف الحق فيجحده والعناد أقبح الكفر وقال قتادة منحرف عن الطاعة وقال السدي مشتق من العند وهو عظم يعترض في الحلق أو معجب بما عنده كأنه من قولهم عندي كذا كما في «عين المعاني» وقال في «المفردات» العنيد المعجب بما عنده والمعاند المتباهي بما عنده والعنود الذي يعند عن القصد أي: يميل عن الحق ويرده عارفاً به.

﴿مناع للخير﴾ كثير المنع للمال عن حقوقه مفروضة زكاة أو غيرها إن طبع على الشر والإمساك كما أن الكافر طبع على الكفر والعنيد طبع على العناد ومناع لجنس الخير أن يصل إلى أهله يحول بينه وبينهم والمنع ضد العطية يقال: رجل مانع ومناع أي: بخيل وقد يقال في

الحماية ومنه مكان منيع وقيل المراد بالخير الإسلام فإن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني أخيه منه وكان يقول: من دخل منكم فيه لم أنفعه بخير ما عشت ﴿معتد﴾ الاعتداء مجاوزة الحق أي: ظالم متخط للحق معاد لأهله ﴿مريب﴾ شاك في الله وفي دينه فهو صيغة نسبة بمعنى ذي شك وريب أي: موقع في الريبة وقيل متهم.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿الذي جعل مع الله إلهاً آخر﴾ مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره قوله: **﴿فألقياه في العذاب الشديد﴾** أو بدل من كل كفار وقوله فألقياه تكرير للتوكيد والفاء للإشعار بأن الإلقاء للصفات المذكورة وفي الحديث بينما الناس ينتظرون الحساب إذ بعث الله عنقاً من النار يتكلم فيقول: أمرت بثلاثة بمن دعا مع الله إلهاً آخر وبمن قتل بغير حق وبجبار عنيد فيلقطهم من الناس كما يلقط الطير الحب ثم يصيرهم في نار جهنم وفي «تفسير الفاتحة» للفناري يخرج عنق من النار أي: قبل الحساب والناس وقوف قد ألجمهم العرق واشتد الخوف وتصدعت القلوب لهول المطلع فإذا أشرف على الخلائق له عينان ولسان فصيح يقول يا أهل الموقف إني وكلت منكم بثلاثة وذلك ثلاث مرات إني وكلت بكل جبار عنيد فيلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطائر حب السمسم فإذا لم يترك أحداً منهم في الموقف نادى نداء ثانياً يا أهل الموقف إني وكلت بمن آذى الله ورسوله فيلقطهم كما يلقط الطائر حب السمسم بين الخلائق فإذا لم يترك منهم أحداً نادى ثالثاً يا أهل الموقف إني وكلت بمن ذهب يخلق كخلق الله فيلقط أهل التصاوير وهم الذين يصورون الكنائس لتعبد تلك الصور والذين يصورون الأصنام وهو قوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥] وكانوا ينحتون لهم الأخشاب والأحجار ليعبدوها من دون الله فيلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطائر حب السمسم فإذا أخذهم الله عن آخرهم وبقي الناس وفيهم المصورون الذين لا يقصدون بتصويرهم عباداتها حتى يسألوا عنها لينفخوا فيها أرواحاً تحيا بها وليسوا بنافخين كما ورد في الخبر في المصورين فيقفون ما شاء الله ينتظرون ما يفعل الله بهم والعرق قد ألجمهم» وفي الآية إشارة إلى الهوى والدنيا فمن عبدهما وجعلهما إلهين آخرين مع الله عذب بطلب الدنيا بالحرص والغفلة.

قال العطار قدس سره:

چشم كرسنه سير زنعمت نمى شود غربال را زكثرت حاصل چه فائده

﴿قال قرينه﴾ بغير واو لأن الأول خطاب للإنسان من قرينه ومتصل بكلامه والثاني استئناف خاطب الله سبحانه من غير اتصال بالمخاطب وهو قوله **﴿ربنا ما أطغيته﴾** وكذلك الجواب بغير واو وهو قال **﴿لا تختصموا لدي﴾** وكذلك **﴿ما يبدل القول لدي﴾** فجاء الكل على نسق واحد كما في «برهان القرآن» أي: قال الشيطان المقيض للكافر. قال الكاشفي: چون خواهندكه كافر را در دوزخ افكنند كويد مراچه كناهست كه ديوبرمن مسلط بود ومراكمراه كردانيد دبورا حاضر سازند تكذيب ميكند. ودل على هذا التقاول والسؤال المحذوف قوله **﴿لا تختصموا﴾** **﴿ربنا﴾** أي: بروكارما **﴿ما أطغيته﴾** أي: ما جعلته طاغياً وما أوقعته في الطغيان وهو تجاوز الحد في العصيان **﴿ولكن كان﴾** هو بالذات **﴿في ضلال بعيد﴾** من الحق طويل لا

يرجع عنه فأعنته عليه بالإغواء والدعوة إليه من غير قسر وإلجاء كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] وذلك فإن إغواء الشيطان إنما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مائلاً إلى الفجور ضالاً عن طريق الحق واقعاً دونه بمراحل وفي الحديث إنما أنا رسول وليس إلي من الهداية شيء ولو كانت الهداية إلي لآمن كل من في الأرض وإنما إبليس مزين وليس له من الضلالة شيء ولو كانت الضلالة إليه لأضل كل من في الأرض ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

﴿**قال**﴾ كأنه قيل فماذا قال الله لابن آدم وشيطانه المقيض له في الدنيا فقيل قال تعالى. ﴿**لا تختصموا لدي**﴾ أي: في موقف الحساب والجزاء إذ لا فائدة في ذلك قال بعضهم: هذا الخطاب في الكفار وأما قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣١] ففي المؤمنين في المظالم فيما بينهم لأن الاختصام في الظالم مسموع وهذا في الموقف وأما قوله ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ [ص: ٦٤] ففي جهنم فظهر التوفيق بين الآيات ﴿**وقد قدمت إليكم بالوعيد**﴾ على الطغيان في دار الكسب والتكليف في كتبي وألسنة رسلي فما تركت لكم حجة علي فلا تطمعوا في الخلاص منه بما أنتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم وعلمتم أني قدمت إليكم بالوعيد حيث قلت لإبليس ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥] فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام في هذا الوقت وإنما قدر المعنى هكذا ليصح جعله حالاً فإن مقارنة الحال لديها في الزمان واجبة ولا مقارنة بين تقديم الوعيد في الدنيا والاختصام في الآخرة والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿**ما يبدل القول لدي**﴾ أي: لا يغير قولي في الوعد والوعيد فما يظهر في الوقت هو الذي قضيته في الأزل لا مبدل له والعفو عن بعض المذنبين لأسباب داعية إليه ليس بتبديل فإن دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد يعني ولا مخصص في حق الكفار فالوعيد على عمومه في حقهم قال الجلال الدواني في «شرح العضد»: ذهب بعض العلماء إلى أن الخلف في الوعيد جائز على الله تعالى لا في الوعد وبهذا وردت السنة حيث قال عليه السلام: «من وعد لأحد على عمله ثواباً فهو منجز له ومن أوعده على عمله عقاباً فهو بالخيار والعرب لا تعد عيباً ولا خلفاً أن يعد شراً ثم لا يفعله بل ترى ذلك كرماً وفضلاً وإنما الخلف أن يعد خيراً ثم لا يفعله» كما قال:

وإني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وأحسن يحيى بن معاذ رضي الله عنه في هذا المعنى حيث قال: الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوا ذلك أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا وإن شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما العفو والكرم لأنه غفور رحيم فالله تعالى لا يغفر أن يشرك به فينجز وعيده في حق المشركين ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فيجوز أن يخلف وعيده في حق المؤمنين ولأهل الحقائق كلام آخر مذكور في محله عافانا الله وإياكم من بلائه ﴿**وما أنا بظلام للعبيد**﴾ أي: وما

أنا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلاً عن كونه ظلماً مفرطاً لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على أنها مبالغة كماً لا كيفاً.

وقال بعضهم: يفهم من ظاهر العبارة جواز الظلم المحال منه تعالى إذا النفي مسلط على القيد الذي هو الظلامية والجواب على ما اختاره كثير من المحققين أن المبالغة مسلطة على النفي لا على القيد كما في قوله «ما أنا بكذوب» يعني: أن أصله ليس بظالم ثم نقل مع نفيه إلى صيغة المبالغة فكانت المبالغة راجعة إلى النفي على معنى أن الظلم منفي عنه نفياً مؤكداً مضاعفاً ولو جعل النفي داخلاً على صيغة المبالغة بأن ضعف ظالم بدون نفيه ثم أدخل عليه النفي لكان المعنى أن ضعف الظلم منفي عنه تعالى ولا يلزم منه نفي أصله والله تعالى منزه عن الظلم مطلقاً يقول الله تعالى: «إني حرمت الظلم على نفسي وحرمته على عبادي فلا تظالموا» ويقول الله تعالى: «اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري»، وعن بعض السلف دعوتان أرجو إحداهما كما أخشى الأخرى: دعوة مظلوم أعنته ودعوة ضعيف ظلمته وكان من ديدن السلطان بسمرقند الامتحان بنفسه مرات لطلبة مدرسته المرتبين أعالي وأواسط وأداني بعد تعيين جماعة كثيرة من العدول غير المدرس للامتحان من الأفاضل حذراً من الحيف وكان يعد الحيف في الرتبة بين المستعدين من قبيل الكفر في الدين.

قال الشيخ سعدي:

چوخواهى كه فردا برى مهترى مكن دشمن خويشتن كهترى
كه چون بكذرد برتواين سلطنت بكيرد بقهرآن كدا دامنت

وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى قال: «هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي» فلا يبدل قوله تعالى فلا بد للجنة من أهلها وللنار من أهلها ولو عكس وجعل أهل الجنة في النار وأهل النار في الجنة لكان مخالفاً للحكمة لأن الجنة دار الجمال فهي مقر للمؤمنين والنار دار الجلال فهي مقر للكافرين كما أن القلب مقر الأوصاف الحميدة والنفس مقر الأوصاف الذميمة ولذا لا يدخل أهل النفس جنة القلب لأن النور والظلمة لا يجتمعان فاعرف.

﴿يوم﴾ أي: اذكر يا محمد لقومك ويشمل كل من شأنه الذكر يوم ﴿نقول﴾ بما لنا من العظمة ﴿لجهنم﴾ دار العذاب وسجن الله للعصاة ﴿هل امتلأت﴾ بمن ألقي فيك وهل أوفيك ما وعدتك وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨] وقوله: «لكل واحدة منكما ملؤها» فهذا السؤال من الله لتصديق خبره وتحقيق وعده والتقريع لأهل عذابه والتنبيه لجميع عباده ﴿وتقول﴾ جهنم مجيبة بالاستفهام تأدباً وليكون الجواب وفق السؤال ﴿هل من مزيد﴾ أي: من زيادة من الجن والإنس فيكون مصدراً كالمحيد أو من يزاد فيكون مفعولاً كالمبيع ويجوز أن يكون يوم ظرفاً لمقدر مؤخر أي: يكون من الأحوال والأهوال ما يقصر عنه المقال واختلف الناس في أن الخطاب والجواب هل هما على الحقيقة أو لا، فقال بعضهم: هما على الحقيقة فينطقها الله بذلك كما ينطق الجوارح وهو المختار فإن الله على كل شيء قدير وأمور الآخرة كلها أو جلها على خلاف ما تعورف في الدنيا وقد دلت الأحاديث على تحقق الحقيقة فلا وجه للعدول إلى

المجاز كما روي من زفرتها وهجومها على الناس يوم الحشر وجرها الملائكة بالسلاسل وقولها «جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي» ونحو ذلك مما يدل على حياتها الحقيقية وإدراكها فإن مطلق الجمادات لها تلك الحياة في الحقيقة فكيف بالدارين المشتملين على الشؤون العجيبة والأفعال الغريبة وإن الدار الآخرة لهي الحيوان.

وقال بعضهم: سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل أمرها يعني أن المقصود تصوير المعنى في القلب وتبيينه فهي بحيث لو قيل لها ذلك وهي ناطقة لقالت ذلك وأيضاً دلت بحالها على النطق كقولهم:

امتلأ الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

يعني أنها مع اتساعها وتباعد أطرافها وأقطارها يطرح فيها الجنة والناس فوجاً بعد فوج حتى تمتلىء بهم وتصير بحيث لا يسعها شيء ولا يزاد فيها فالاستفهام على معنى التقرير ونفي المزيد أي: وهل عندي موضع يزاد فيه شيء أي: قد امتلأت وحصل في موعودك وصرت بحيث لا أسع إبرة وبالفارسية لا مزيد پرشدم وزيادتي را كنجايش نيست. فالمعنى الممثل هو الامتلاء وهو كقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦] فإنه سؤال تقرير لا سؤال استفهام وكقوله عليه السلام يوم فتح مكة «هل أبقى لنا عقيل داراً» أي: ما أبقى لنا داراً ويجوز أن يكون المعنى أنها لغيظها على الكفار والعصاة كأنها تطلب زيادتهم وتستكثرهم ويجوز أن يكون السؤال استدعاء للزيادة في الحقيقة لأن ما يلقى فيها كحلقة تلقى في اليم. يعني زيادتي كن وحق تعالى ديكر كافر بوى فرستاد تا پرشود. ويجوز أن يكون المعنى أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ وموضع زيادة فإن قلت هذا يخالف قوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨] قلت: ورد في الحديث: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فيزوي بعضها إلى بعض يعني فيحصل الامتلاء» وبه تندفع المخالفة:

اين قدم حق را بود كورا كشد غير حق را كه كمان او كشد

وفي رواية حتى يضع فيها رب العزة أو رب العرش قدمه فتقول قط قط أي: حسبي حسبي وعزتك. قوله ويزوي بالزاي المعجمة على بناء المجهول أي: يضم ويجمع من غاية الامتلاء وآخر الحديث ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقاً» فيسكنهم فضل الجنة كما في «كشف الأسرار» وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم فقال الله تعالى للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فإنهم يلقون فيها وتقول هل من مزيد فلا تمتلىء حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلىء ويزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً وأما الجنة فينشىء الله لها خلقاً وفي «القاموس» حتى يضع رب العزة فيها قدمه أي: الذين قدمهم من الأشرار فهم قدم الله للنار كما أن الأخيار قدمه إلى الجنة أو وضع القدم مثل للردع والقمع أي: يأتيها أمر يكفها عن طلب المزيد انتهى كما قال في «بحر العلوم»: وضع القدم على الشيء مثل للردع والكف وقال بعضهم: يضربها من جبروته بسوط إهانة ويستمرون بين دولتي الحر والزمهرير

وعامة عذاب إبليس بالزمهرير لأنه يناقض ما هو الغالب عليه في أصل خلقته وقال ابن ملك وضعها كناية عن دفعها وتسكين سورتها كما تقول وضعت رجلي على فلان إذا قهرته وفي «الكواشي»: قدمه أي: ما قدمه في قوله: «سبقت رحمتي على غضبي» أي: يضع رحمته انتهى أو المراد من القدم قوم مسمى بهذا الاسم وأيضاً المراد بالرجل جماعة من الناس وهو وإن كان موضوعاً لجماعة كثيرة من الجراد لكن استعارته لجماعة من الناس غير بعيدة ومنهم من يقول المراد به قدم بعض مخلوقاته أضافها إلى الله تعظيماً كما قال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] وكان النافخ جبريل وفي «عين المعاني» القدم جمع قديم كأديم وأدم أي: على كل ما تقدم أو قوم قدمهم إلى النار ويروى قدمه بكسر القاف أي: قوماً قدموا بني آدم في الدنيا وروي رجلي وهو الجماعة من الناس وقيل قدمه أهل قدمه الذين لهم قدم صدق عند ربهم يعني العاصين من أهل التوحيد انتهى ومنهم من قال القدم اسم لقوم يخلقهم الله لجهنم قال القاضي عياض هذا أظهر التأويلات لعل وجهه أن أماكن أهل الجنة تبقى خالية في جهنم ولم ينقل أن أهلها يرثون تلك الأماكن ويقال لهم إن الله يختص بنقمته من يشاء كما يرث أهل الجنة أماكن أهل النار في الجنة غير جنة أعمالهم ويقال لهم إن الله يختص برحمته من يشاء وهذا من نتائج قوله تعالى سبقت رحمتي على غضبي فيخلق الله خلقاً على مزاج لو دخلوا به الجنة لعذبوا فيضعهم فيها فإن قلت: إذا لاءم مزاجهم النار فأنى يتصور التعذيب قلنا: الموعود ملؤها لا تعذيب كل من فيها وقال بعض الأكابر ليس في النار دركات اختصاص إلهي ولا عذاب اختصاص إلهي من الله فإن الله ما عرفنا قط أنه اختص بنقمته من يشاء كما أخبرنا أنه يختص برحمته من يشاء فأهل النار معذبون بأعمالهم لا غير وأهل الجنة ينعمون بأعمالهم وبغير أعمالهم في جنات الاختصاص فلأهل السعادة ثلاث جنات جنة الأعمال كما لأهل الشقاوة جحيم الأعمال ولهم خاصة جنات الاختصاص وجنات الميراث وهي التي كانت لأهل النار لو دخلوا الجنة كما قال تعالى ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣] وذلك أنه ما من شخص من الجن والإنس إلا وله في الجنة موضع وفي النار موضع وذلك لا مكانه الأصلي فإنه قبل كونه يمكن أن يكون له البقاء في العدم أو يوجد فمن هذه الحقيقة له قبول النعمة وقبول العذاب قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩] أي: أنتم قابلون لذلك ولكن حقت الكلمة وسبق العلم ونفذت المشيئة فلا راد لأمره ولا معقب لحكمه ولم يقل في أهل النار أنهم يرثون من النار أماكن أهل الجنة لو دخلوا النار وهذا من سبق الرحمة بعموم فضله سبحانه فما نزل من نزل في النار إلا بأعمالهم ولهذا يبقى فيها أماكن خالية وهي الأماكن التي لو دخلها أهل الجنة عمروها فيخلق الله خلقاً يعمرونها على مزاج لو دخلوا به الجنة لعذبوا وهو قوله عليه السلام: «فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط أي: حسبي حسبي فإنه تعالى يقول لها: هل امتلأت وتقول هل من مزيد وقد قال للجنة والنار لكل واحدة منكما ملؤها فما اشترط لهما إلا أن يملأهما خلقاً وما اشترط عذاب من يملؤها بهم ولا نعيمهم وأن الجنة أوسع من النار بلا شك فإن عرضها السماوات والأرض فما ظنك بطولها فهي للنار كمحيط الدائرة والنار عرضها قدر الخط الذي يميز قطري دائرة فلك الكواكب الثابتة فأين هذا الضيق من تلك السعة وسبب هذا الاتساع جنات الاختصاص الإلهي فورد في الخبر أنه يبقى أيضاً في الجنة أماكن ما فيها أحد فيخلق الله خلقاً للنعيم يعمرها بهم وهو أن يضع الرحمن فيها

قدمه أي: آخر وجود يعطيه وليس ذلك إلا في جنات الاختصاص فالحكم لله العلي الكبير فمن كرمه أنه ما أنزل أهل النار إلا على أعمالهم خاصة وأما قوله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨] فذلك لطائفة مخصوصة هم الأئمة المضلون ثم لا بد لأهل النار من فضله ورحمته في نفس النار بعد انقضاء مدة موازنة أزمان العمل فيفقدون الإحساس بالآلام في نفس النار فتتخلد جوارحهم بإزالة الروح الحساس منها إذ ليسوا بخارجين منها فلا يموتون فيها ولا يحيون وثم طائفة يعطيهم الله بعد انقضاء موازنة المدد بين العذاب والعمل نعيماً خيالياً مثل ما يراه النائم ونضج جلودهم خدرها فزمان النضج والتبديل يفقدون الآلام لخمود النار في حقهم فيكونون في النار كالأمة التي دخلتها وليست من أهلها فأماتهم الله فيها إماتة فلا يحسون بما تفعله النار في أبدانهم الحديث بكماله ذكره مسلم في صحيحه وهذا من فضل الله ورحمته.

يقول الفقير للإنسان الكامل قدمان قدم الجلال وقدم الجمال وبالأولى تمتلىء جهنم وبالثانية تمتلىء الجنة وبيان ذلك أن جهنم مقام أهل الطبيعة والنفس يعني أنها مظهر قدم الجلال والجنة مقام أهل الروح والسر يعني أنها مظهر قدم الجمال والأعراف مقام أهل القلب لمناسبة بين الأعراف والقلب من حيث إنه مقام بين الجنة والنار كما أن القلب برزخ بين الطبيعة والنفس وبين الروح والسر وللإنسان الكامل نشأة جنانية روحانية ونشأة دنيوية جسمانية فهو لا يدخل الجنة إلا بمرتبة الروح والسر فتبقى صورته الطبيعية والنفسية المتعلقة بنشأته العنصرية فيملأ الله سبحانه جهنم بهذه البقية يعني: يظهر مظاهر جلاليته من تلك البقية فيملؤها بها حتى تقول قط قط فما دام لم يظهر هذا التجلي من الإنسان الكامل لا تزال جهنم تقول هل من مزيد وهو المراد بقدم الجبار كذا في الحديث وإليه أشار الشيخ الكبير رضي الله عنه في «الفكوك» بقوله وأخبرت من جانب الحق أن القدم الموضوع في جهنم هو الباقي في هذا العالم من صور الكمل مما لا يصحبهم في النشأة الجنانية وكنى عن ذلك الباقي بالقدم لمناسبة شريفة لطيفة فإن القدم من الإنسان آخر أعضائه صورة فكذلك نفس صورته العنصرية آخر أعضاء مطلق الصورة الإنسانية لأن صور العالم بأجمعها كالأعضاء لمطلق صورة الحقيقة الإنسانية وهذه النشأة آخر صورة ظهرت منها الحقيقة الإنسانية وبها قامت الصور كلها التي قلت إنها كالأعضاء انتهى وقال أيضاً: إن الجنة لا تسع إنساناً كاملاً وإنما منه في الجنة ما يناسب الجنة وفي كل عالم ما يناسب ذلك العالم وما يستدعيه ذلك العالم من الحق من حيث ما في ذلك العالم من الإنسان بل أقول ولو خلت جهنم منه لم تبق وبه امتلأت وإليه الإشارة بقدم الجبار المذكور في الحديث انتهى أيضاً.

وقال الشيخ روزبهان البقلي في «عرائس البيان» إن جهنم لتشتاق إلى الله كما تشتاق إليه الجنة فإذا رأى سبحانه حالها من الشوق إليه يضع أثقال سطوات قهر القدم عليها بنعت التجلي فتملأ من العظمة وتصير عند عظمة الله كلا شيء ورب طيب في قلوب الجهنميين في تلك الساعة من رؤية جلال عظمته ومن رؤية أنوار قدم القدم فتصير نيرانها ورداً وريحاناً من تأثير بركة ظهوره لها انتهى وفي الآية إشارة إلى أن جهنم صورة النفس الإنسانية فكما أن النفس لا يشبعها شيء وهي في طلب المزيد مطلقاً فكذا صورتها دار العذاب تطلب المزيد فهما على نسق واحد كاللفظ والمعنى يعني أن النفس الإنسانية حريصة على الدنيا وشهواتها فكلما ألقي فيها نوع منها ويقال لها هل امتلأت تقول هي هل من مزيد من أنواع الشهوات فلا يملأ جوف

ابن آدم إلا التراب:

آن شنيد ستى كه در صحراى غور بارسالارى درافتاد ازستور
كفت چشتم تنك دنيا داررا ياقناعت پركند ياخاك كور

وأيضاً إن الحرص الإنساني قشر محبة الله بل هو عين المحبة إذا كان متوجهاً إلى الدنيا وشهواتها يسمى الحرص وإذا كان متوجهاً إلى الله وقربانه يسمى محبة فاعلم أن ما زاد في الحرص نقص في المحبة وما نقص من الحرص زاد في المحبة وإذا اشتعلت نار المحبة فلا تسكن نائرتها بما يلقى فيها من محبوبات الدنيا والآخرة بل يكون حطبها وتزيد بعضها إلى بعض وتقول قط قط كما في «التأويلات النجمية».

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿**وأزلفت الجنة**﴾ الإزلاف نزديك كردانيدن اى قربت ﴿**للمتقين**﴾ عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فتون المحاسن فيبتهجون بأنهم محشورون إليها فائزون بها ﴿**غير بعيد**﴾ تأكيد للإزلاف أي: مكاناً غير بعيد بحيث ينظرون إليها قبل دخولها فيكون انتصابه على الظرفية أو هو حال مؤكدة أي: حال كونها غير بعيد أي: شيئاً غير بعيد كقولك هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل إلى غير ذلك من أمثلة التوكيد فالإزلاف تقريب الرؤية وغير بعيد تقريب الدخول فإنهم يحاسبون حساباً يسيراً ومنهم من لا يحاسب أصلا ويجوز أن يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذي يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث كالزئير والصليل أو لتأويل الجنة بالبستان وفيه إشارة إلى جنة قلوب خواص المتقين أنها قربت لهم في الدنيا بالأجساد وهم في الآخرة بالقلوب. جنت نقدست اينجا عشرت وعيش وحضور. ويقال: إن الجنة تقرب من المتقين كما أن النار تجر بالسلاسل إلى المحشر للمجرمين ويقال بل تقرب الجنة بأن يسهل على المتقين مسيرهم إليها ويراد بهم الخواص من المتقين ويقال هم ثلاثة أصناف قوم يحشرون إلى الجنة مشاة وهم الذين قال فيهم ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣] وهم عوام المؤمنين وقوم يحشرون إلى الجنة ركباناً على طاعاتهم المصورة لهم بصورة حيوان وهؤلاء هم الخواص وأما خاص الخاص فهم الذين قال فيهم ﴿**وأزلفت الجنة للمتقين**﴾ فقرب الجنة منهم غير بعيد أي: الجنة غير بعيد عنهم وهم البعداء عن الجنة في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

﴿**هذا ما توعدون**﴾ أي: حال كون أولئك المتقين مقولاً لهم من قبل الله أو على ألسنة الملائكة عندما شاهدوا الجنة ونعيمها هذا المشاهد أو هذا الثواب أو الإزلاف والتذكير لتذكير الخبر أو إشارة إلى الجنة والتذكير لما أن المشار إليه هو المسمى من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلاً عن تذكيره وتأنيثه فإنهما من أحكام اللفظ العربي كما في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٨] وقوله ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وفي «التأويلات النجمية»: هذا إشارة إلى مقعد صدق ولو كانت الإشارة إلى الجنة لقال هذا ﴿**لكل أواب**﴾ بدل من المتقين بإعادة الجار أي: رجاع إلى الله فأولاً يرجع من الشرك إلى

التوحيد وثانياً من المعصية إلى الطاعة وثالثاً من الخلق إلى الحق قال ابن عمر رضي الله عنهما: لا يجلس مجلساً فيقوم حتى يستغفر وفي «المفردات» الأواب كالتواب وهو الراجع إلى الله بترك المعاصي وفعل الخيرات ومنه قيل للتوبة أوبة والفرق بين الأوب والرجوع أن الأوب ضرب من الرجوع وذلك أنه لا يقال إلا في الحيوان الذي له إرادة والرجوع يقال فيه وفي غيره آب أوباً وإياباً ومآباً والمآب مصدر منه واسم الزمان والمكان ﴿**حفيظ**﴾ حافظ لتوبته من النقض ولعهده من الرفض.

قال في «التأويلات النجمية»: مقعد صدق هو في الحقيقة موعود للمتقين الموصوفين بقوله ﴿**لكل أواب حفيظ**﴾ وهو الراجع إلى الله في جميع أحواله لا إلى ما سواه حافظاً لأنفاسه مع الله لا يصرفها إلا في طلب الله يعني درهر نفس از حق تعالى غافل نباشد:

اكر تو پاس دارى پاس انفاس ... بسلطاني رسانندت ازين پاس
ترا يك پند بس درهر دو عالم ... كه برنايد زجانت بى خدادم

وقال سهل رضي الله عنه هو الراجع إلى الله تعالى بقلبه من الوسوسة إلى السكون إلى الله الحفيظ المحافظ على الطاعات والأوامر وقال المحاسبي الأواب الراجع بقلبه إلى ربه والحفيظ الحافظ قلبه في رجوعه إليه أن لا يرجع منه إلى أحد سواه وقال الوراق هو المحافظ لأوقاته وخطراته أي: الخطرات القلبية والإلهامات وفي الحديث من حافظ على أربع ركعات في أول النهار كان أواباً حفيظاً.

﴿**من**﴾ هركه. وهو وما بعده بدل بعد بدل ﴿**خشي الرحمن**﴾ الخشية خوف يشوبه تعظيم وفي «عين المعاني» انزعاج القلب عند ذكر السيئة وموجبها وقال الواسطي الخشية أرق من الخوف لأن الخوف للعامة من العقوبة والخشية من نيران الله في الطبع فيها نظافة الباطن للعلماء ومن رزق الخشية لم يعدم الإنابة ومن رزق الإنابة لم يعدم التفويض والتسليم ومن رزق التفويض والتسليم لم يعدم الصبر على المكاره ومن رزق الصبر على المكاره لم يعدم الرضى وقال بعضهم: أوائل العلم الخشية ثم الإجلال ثم التعظيم ثم الهيبة ثم الفناء وعن بعضهم الخشية من الرحمن خشية الفراق ومن الجبار والقهار خشية العقوبة ﴿**بالغيب**﴾ متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي أو من مفعوله أو صفة لمصدره أي: خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب عنه أو العقاب بعد غيب يعني ناديده اورا وعذاب اورا. أو هو غائب عن الأعين لا يراه أحد يعني نهان واشكار اي او يكى باشد. وقال بعض الكبار بالغيب أي: بنور الغيب يشاهد شواهد الحق فيخشى منه والتعرض لعنوان الرحمانية للإشعار بأنهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته أو بأن علمهم بسعة رحمته لا يصدهم عن خشيته وأنهم عاملون بموجب قوله ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

﴿**وجاء**﴾ وبياورد ﴿**بقلب منيب**﴾ وصف القلب بالإنابة مع أنها وصف المكلف لما أن العبرة برجوعه إلى الله تعالى أي: لا عبرة للإنابة والرجوع إلا إذا كان من القلب والمراد بها الرجوع إلى الله تعالى بما يحب ويرضى.

قال في «المفردات» النوب رجوع الشيء مرة بعد أخرى والإنابة إلى الله الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل.

وفي «التأويلات النجمية»: بقلب منيب إلى ربه معرض عما سواه مقبل عليه بكلية.

﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾

﴿ادخلوها﴾ بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من **﴿بسلام﴾** متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها أي: ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم وحلول النقم أو بسلام من جهة الله وملائكته **﴿ذلك﴾** إشارة إلى الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الأمور **﴿يوم الخلود﴾** والبقاء في الجنة إذ لا انتهاء له أبداً قال الراغب: الخلود هو تبري الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها وكل ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود كقولهم الأيام خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها والخلود في الجنة بقاء الأشياء على الحالة التي هي عليها من غير اعتراض الكون والفساد عليها وقال سعدي المفتي ولا يبعد والله أعلم أن تكون الإشارة إلى زمان السلم فتحصل الدلالة على أن السلامة من العذاب وزوال النعم حاصلة لهم مؤبداً مخلداً لا أنها مقتصرة على وقت الدخول.

﴿لهم ما يشاؤون﴾ من فنون المطالب كائناً ما كان سوى ما تقتضي الحكمة حجره وهو ما كان خبيثاً في الدنيا أبداً كاللواطة ونحوها فإنهم لا يشاؤونها كما سبق من أن الله يعصم أهل الجنة من شهوة محال أو منهي عنه **﴿فيها﴾** متعلق بيشاؤون أو حال من الموصول قال القشيري: يقال لهم: قد قلتم في الدنيا ما شاء الله كان فاليوم ما شئتم كان وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان **﴿ولدينا﴾** وعندنا **﴿مزيد﴾** أي: زيادة في النعيم على ما يشاؤون وهو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من أنواع الكرامات التي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فإنهم يسألون الله حتى تنتهي مسألتهم فيعطيهم ما شاؤوا ثم يزيدهم من عنده ما لم يسألوه ولم تبلغه أمانيهم وقيل إن السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال تعالى **﴿ولدينا مزيد﴾** وقال الراغب: الزيادة أن ينضم إلى ما عليه الشيء من نفسه شيء آخر وروي من طرق مختلفة أن هذه الزيادة النظر إلى وجه الله إشارة إلى أنعام وأحوال لا يمكن تصورها في الدنيا انتهى وكذا قال غيره المختار أن المزيد هو النظر إلى وجه الله الكريم فيجتمعون في كل يوم جمعة فلا يسألون شيئاً إلا أعطاهم وتجلى لهم ويقال ليوم الجمعة في الجنة يوم المزيد وفي الحديث «إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

قال بعض الكبار هي المشاهدة الذاتية وما ينتج من دخول الجنة في الدار الآخرة نتيجة الطاعات في هذه الدار لمن اختصه الله فنتيجتنا في هذه الدار طاعات ومجاهدات توصل إلى تجليات ومشاهدات.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من يريدنا ويعبر عن نعيم الجنة للوصول إلينا فيصل إلينا ولدينا يجد بالمزيد ما يشاء أهل الجنة منها وهذا كما قال: من كان لي كنت له ومن كنت له يكون له ما كان لي وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾ [الشورى: ٢٠] فإن قيل الزيادة في الدنيا تكون أقل من رأس المال قلت المراد بالزيادة في الآية الكريمة هو الزيادة على موعود الجنة لا من درجات الجنة لأن الزيادة هنا ليست من جنس المزيد عليه حتى يلزم ذلك بخلافه في قوله عليه السلام: «إن الله زادكم صلاة ألا وهي الوتر» فإن الزيادة هنا من جنس المزيد عليه وقضيته الفرضية إلا أنه لما ثبت بخبر الواحد لم يكن

مقطوعاً به فقيل بالوجوب فالزيادة من الله العزيز الأكبر أكبر وأعز كما أن الرضوان من الكريم الأجود أكبر وأجل والنظر إلى وجهه الكريم كمال الرضى ومزيد فضل وعناية وقال الحسن البصري: إن الله ليتجلى لأهل الجنة فإذا رأوه نسوا نعيم الجنة ثم يقول الله لملائكته ردوهم إلى قصورهم إذ لا يهتدون بأنفسهم لأمرين لما طرأ عليهم من سكر الرؤية ولما زاد من الخير في طريقهم فلم يعرفوها فلولا أن الملائكة تدل بهم ما عرفوا منازلهم فإذا وصلوا إلى منازلهم تلقاهم أهلهم من الحور والولدان فيرون جميع ملكهم قد اكتسب بهاء وجمالاً ونوراً من وجوههم أفاضوه إفاضة ذاتية على ملكهم فيقولون لهم لقد زدتم نوراً وبهاء وجمالاً على ما تركناكم عليه فيقول لهم أهلهم وكذلك أنتم قد زدتم من البهاء والجمال ما لم يكن فيكم فافهم أسرار تسمية الرؤية بالزيادة لأنها تورث زيادة الجمال والعلوم والكمال ويتفاوت الناس بالرؤية تفاوتاً عظيماً على قدر عملهم.

قال بعض الكبار إذا أخذ الناس منازلهم في الجنة استدعاهم الحق تعالى إلى رؤيته على مقام الكثيب وهو مسك أبيض في جنة عدن وجعل في هذا الكثيب منابر وأسرة وكراسي ومراتب فيسارعون إلى قدر هممهم ومراكبهم ومشيهم هنا في طاعة ربهم فمنهم السريع والبطيء والمتوسط فيجتمعون في الكثيب فكل شخص يعرف مرتبته علماً ضرورياً يهوي إليها ولا ينزل إلا فيها كما يهوى الطفل إلى الثدي والحديد إلى المغناطيس لو رام أن ينزل في غير مرتبته لما قدر ولو رام أن يتعشق بغير منزلته ما استطاع بل يرى في منزلته أنه قد بلغ منتهى أمله وقصده فهو يتعشق بما فيه من النعيم تعشقاً طبيعياً ذاتياً لا يقوم بنفسه بما هو عنده أحسن من حاله ولولا ذلك لكانت دار ألم وتنغيص ولم تكن جنة ولا نعيماً فكل شخص مقصور عليه نعيمه:

بعلم نظر كوش جامى كه نيست زتحصيل علم دكر حاصلي

وقال المغربي:

نخست ديده طلب كن پس آنكهى ديدار ازانكه يار كند جلوه بر اولوا الابصار

وقال الخجندي:

باروى توچيست جنت وحور هرچيز نكو نمايد ازدور

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿**وكم أهلكنا**﴾ كم للتكثير هنا وهي خبرية وقعت مفعول أهلكنا ومن قرن مميزها ومبين لإبهامها ﴿**قبلهم من قرن**﴾ القرن القوم المقترنون أي: وكثيراً من القرون الذين كذبوا رسلهم أهلكنا قبل قومك وهم كفار مكة وبالفارسية وبس كسان كه هلاك كرده ايم پيش ازقوم تواز اهل قرن وكروه كروه جهانيان كه بحسب واقع ﴿**هم**﴾ ايشان ﴿**أشد منهم**﴾ سخت تربودنداز كفار مكه ﴿**بطشاً**﴾ ازروى قوت وعظيم تر بودند از روى جسد چون عاد وثمود وفرعون ومحل الجملة النصب على أنها صفة لكم وفيه إشارة إلى إهلاك النفوس المتمردة في القرون الماضية إظهاراً لكمال القدرة والحكمة البالغة لتتأدب به النفوس القابلة للخير وتتعظ به القلوب السليمة ﴿**فنقبوا في البلاد**﴾ قال في «القاموس» نقب في الأرض ذهب كأنقب ونقب وعن الأخبار بحث

عنها أو أخبر بها والنقب الطريق في الجبل وفي «تاج المصادر»: التنقيب شب در راهها كرديدن وفي المصادر شدن اندر شهرها. والمعنى خرقوا فيها أي: أوقعوا الخرق فيها والجوب وقطع المفازة ودوخوا أي: أذلوها وقهروا أهلها واستولوا عليهم وتصرفوا في أقطارها أو جالوا في أكناف الأرض كل مجال حذار الموت فالفاء على الأول للتسبب والدلالة على أن شدة بطشهم أبطرتهم وأقدرتهم على التنقيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب وأصل التنقيب والنقب التنقير عن الأمر والبحث والطلب ولذا قال في «كشف الأسرار»: أي أبعدوا فيها السير وبحثوا عن الأمور والأسباب قال امرؤ القيس:

لقد نقبت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

وبالفارسية پس دور شدند وفراوان رفتند درزمين وراه بريدند درشهرها يعني رفتند تجارت وسفرها كردند ومال ومتاع بسيار بدست آوردند. وفي «فتح الرحمٰن» أي: طافوا في نقوبها أي: طرقها ﴿هل من محيص﴾ حال من واو نقبوا وأصله من قولهم وقع في حيص بيص أي: في شدة وحاص عن الحق يحيص أي: حاد عنه إلى شدة ومكروه وفي «القاموس» المحيص المهرب أي: فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص أي: هل لهم من مفر ومخلص من أمر الله وعذابه أو من الموت فمحيص مبتدأ خبره مضمر وهو لهم ومن زائدة وبالفارسية هيچ بودمر ايشانرا كريز كاهى ازمرك ياپناهى از قضاى خداى تعالى كه حكم فنا نازل شد هيچ چيز دستكيرىء ايشان نكرد. ويجوز أن تكون الجملة كلاماً مستأنفاً وارد النفي أن يكون لهم محيص يعني نكريد تاهيچ ازمرك رستند يعني نرستند واز عقوبت حق خلاص نشدند. فإن أصر أهل مكة فليحذروا من مثل ما حل بالأمم الماضية فإن الغاية هو الهلاك والنهاية هو العذاب روز كارى كه آدم را وفانداشت تراكى وفا دارد عمرى كه برنوح بپايان رسيد باتوكى بقادارد اجلى كه برنوح بپايان رسيد باتوكى بقادارد اجلى كه بر خليل تاختن آورد تراكى فرو كذارد مركى كه بر سليمان كمين ساخته بانوكى مساحت كند:

نه برباد رفتى سحر كاه وشام سرير سليمان عليه السلام
بآخر نديدى كه برباد رفت خنك آنكه بادانش ودادرفت

مؤكلى كه جان مصطفى را ﷺ تقاضا كرد باتوكى مدارا كند اكر عمر نوح ومال قارون وملك سليمان بدست آرى بدرد مرك سودندارد وباتو محابا نكند هفت هزار سال كه كسرى كذشت تا آدميان اندرين سفرنداز اصلاب بارحام مى آيند واز ارحام به پشت زمين وان پشت زمين بشكم زمين ميروندهمه عالم كور ستانست زيرا وهمه حسرت زبرا وهمه درحيرت سر برآور از آسمان بپرس كه چند پادشاه ياد دارى چشم بر زمين افكن وباز پرس كه درشكم چند نازنين دارى:

سل الطارم العالي الذرى عن قطينه نجا ما نجا من بؤس عيش ولينه
فلما استوى في الملك واستعبد الورى رسول المنايا تله لجبينه
جهان اى پسر ملك جاويد نيست زدنيا وفادارى اميد نيست

أي سخره امل أي: غافل از اجل كارى كه لا محاله بودنيست ازان نه انديشى وراهى كه على الحقيقة رفتنيست زاد آن راه برنكيرى شغل دنيا راست ميدارى وبرك مرك مى نسازى أي: مسكين مركت درقفاست ازو ياد دار منزلت كورست آباد دار حطام دنيا جمع ميكنى واز مستحق منع ميكنى چه طمع دارى كه جاويد بان بمانى باش تا ملك الموت در آيد وجانت

غارت كند و وارث درآيد مالت غارت كند وخصم درآيد طاعت غارت كند وكرم در آيد پوست وكوشت غارت كند وآه اكر باين غفلت دشمن درآيد وايمان غارت كند نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المتيقظين ومن الثابتين على الدين واليقين ومن رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين.

﴿إن في ذلك﴾ أي: فيما ذكر من قصتهم أو فيما ذكر في هذه السورة من العبر والأخبار وإهلاك القرى **﴿لذكرى﴾** لتذكرة وعظة وبالفارسية پند **﴿لمن كان له قلب﴾** أي: قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الأمور ويتفكر فيها كما ينبغي فإن من كان له ذلك يعلم أن مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير قال الراغب قلب الإنسان سمي به لكثرة تقلبه ويعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة وسائر ذلك وقوله **﴿لمن كان له قلب﴾** أي: علم وفهم انتهى وفسره ابن عباس رضي الله عنهما بالعقل وذلك لأن العقل قوة من قوى القلب وخادم من خدامه كما في «كتاب الجواهر» للشعراني فمن له أدنى عقل فله ذكرى كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤ وغيرها] أي: أدنى تعقل وقال أبو الليث **﴿لمن كان له قلب﴾** أي: عقل لأنه يعقل بالقلب فكنى عنه انتهى وفي «الأسئلة المقحمة» كيف قال **﴿لمن كان له قلب﴾** ومعلوم أن لكل إنسان قلباً؟ قلت: إن المراد هٰهنا بالقلب عقل كنى بالقلب عن العقل لأنه محله ومنبعه كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧] وسمعت بعض الشيوخ يقول لمن كان له قلب مستقر على الإيمان لا ينقلب بالسراء والضراء انتهى.

وفي «تفسير الكاشفي»: آنكس راكه اورا دلى زنده است وفي كشف الأسرار دلى متفكر در حقايق اخبار يا عقلى بيدار كننده از خواب غفلت شبلى قدس سره فرمود موعظه قرآنرا دلى بايد باخداى تعالى كه طرفة العيني غافل نباشد **﴿أو ألقى السمع﴾** أي: إلى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فإن من فعله يقف على جلية الأمر فينزجر عما يؤدي إليه من الكفر فكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع فإن إلقاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله **﴿وهو﴾** أي: والحال أن ذلك الملقى فهو حال من الفاعل **﴿شهيد﴾** من الشهود بمعنى الشاهد أي: حاضر بذهنه ليفهم معانيه لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب أو شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وقال سعدي المفتي أو لتقسيم المتفكر إلى التالي السامع أو إلى الفقيه والمتعلم وبعبارة أخرى إلى العالم المجبول على الاستعداد الكامل فهو بحيث يحتاج إلى التعليم فيتذكر بشرط أن يقبل بكليته ويزيل الموانع كلها وقال بعض الكبراء من العارفين: إن في ذلك أي: القرآن الناطق بإثبات أمور متخالفة للحق سبحانه من التنزيه والتشبيه لذكرى أي: تذكراً لما هو الحق عليه في نفسه من التقلب في الشؤون لمن كان له قلب سمي به لتقلبه في أنواع الصور والصفات المتخالفة لاختلاف التجليات ولم يقل لمن كان له عقل فإن العقل قيد لغة وحقيقة أما لغة فإنه يقال عقل البعير بالعقال أي: قيده وعقل الدواء البطن أي: عقده وأما حقيقة فلأن العقل يقيد العاقل بما يؤدي نظره وفكره إليه فيحصر الأمر في نعت واحد والحقيقة تأبى الحصر فليس القرآن ذكرى لمن كان له عقل يقيده بما يؤديه الكفر إليه فإنه ليس ممن يتذكر بما وقع في القرآن من الآيات الدالة على التنزيه والتشبيه جميعاً بل يؤول ما وقع على خلاف ما يؤديه فكره إليه كالآيات الدالة على التشبيه مثلاً وهم أي: من كان له عقل هم أصحاب

الاعتقادات الجزئية التقييدية الذين يكفر بعضهم الذي يؤديه فكره إلى عقد مخصوص بعضاً آخر يؤديه فكره إلى خلاف ما أدى إليه فكر البعض الأول ويلعن بعضهم بعضاً والحق عند العارف الذي يتقلب قلبه في أنواع الصور والصفات لأنه يعرف أن لا غير في الوجود وصور الموجودات كلها صورته فلاختصاص معرفة الحق في جميع الصور في الدنيا والآخرة بالعارف الناتج معرفته عن تقلب قلبه قال تعالى ﴿لمن كان له قلب﴾ فإنه قد تقلب قلبه في الأشكال فعلم تقلب الحق في الصور وهذا النوع من المعرفة الذي لا يعقبه نكرة حظ من عرف الحق من التجلي والشهود أي: من تجليه في الصور وشهوده فيها حال كونه مستقراً في عين مقام الجميع بحيث لا يشغله صور التفرقة عن شهوده وأما أهل الإيمان الاعتقادي الذين لم يعرفوا الحق من التجلي والشهود فهم المقلدة الذين قلدوا الأنبياء والرسل فيما أخبروا به عن الحق من غير طلب دليل عقلي لا من قلد أصحاب الأفكار والمتأولين للأخبار الواردة الكاشفة عن الحق كشفاً مبيناً يحملها على أدلتهم العقلية وارتكاب احتمالاتها البعيدة فهؤلاء الذين قلدوا الرسل عليهم السلام حق التقليد هم المرادون بقوله: ﴿أو ألقى السمع﴾ لاستماع ما وردت به الأخبار الإلهية على ألسنة الأنبياء وهو حاضر بما يسمعه مراقب له في حضرة خياله يعني ينبغي لملقي السمع أن يجهد في إحضار ما يسمعه في خياله لعله يفوز بالتجليات المثالية لا أن يكون صاحب تلك التجليات بالفعل وإلا بقي بعض مقلدة الانبياء خارجاً عن هذا الحكم فليس المراد بالشهود هٰهنا الرؤية البصرية بل ما يشابهها كمال المشابهة وهو مشاهدة الصور المتمثلة في حضرة الخيال ليس إلا ومن قلد صاحب نظر فكري فليس هو الذي ألقى السمع وهو شهيد فالمقلدون لأصحاب الأفكار هم الذين قال الله فيهم ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٦] لأن المتبوعين دعوا التابعين إلى خلاف الواقع فتبعوهم ورجع نكال متابعتهم إلى متبوعيهم فتبرؤوا منهم والرسل لا يتبرؤون من أتباعهم الذين اتبعوهم لأنهم دعوهم إلى الحق والصدق فتبعوهم فانعكست أنوار متابعيهم إليهم فلم يتبرؤوا منهم فاعرف. درلباب آورده كه صاحب قلب مؤمن عربست وشهيد مؤمن أهل كتاب كه كواهى دارد بركفت حضرت پيغمبر عليه السلام شيخ أبو سعيد خراز قدس سره فرموده كه القاى سمع بوقت شنيدن قرآن چنان بايدكه كويا از حضرت پيغمبر مى شنود پس در فهم بالاتر رود وچنان داندكه از جبرائيل استماع ميكند پس فهم را بلند ترسازد وچنان داندكه از خداى تعالى مى شنود شيخ الاسلام قدس سره فرموده كه اين سخن تامست وبرو در قرآن كواهى هست وآن لفظ شهيدست وشهيد از كوينده شنودنه ازخبر دهنده چه غائب ازمخبر مى شنود وحاضر بامتكلم واز امام جعفر رضي الله عنه منقولست كه تكرار ميكردم قرء آنرا تا وقتى كه از متكلم آن شنودم.

وفي «التأويلات النجمية»: القلوب أربعة: قلب يائس وهو قلب الكافر وقلب مقفول وهو قلب المنافق وقلب مطمئن وهو قلب المؤمن وقلب سليم من تعلقات الكونين وهو قلب المحبين المحبوبين الذي هو مرآة صفات جمال الله وجلاله كما قال لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن وقوله ﴿أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ يعني من لم يكن له قلب بهذه الصفة يكون له سمع يسمع بالله وهو حاضر مع الله فيعتبر مما يشير إليه الله في إظهار اللطف أو القهر وقال ابن عطاء قلب لاحظ الحق بعين التعظيم فذاب له وانقطع عما سواه وإذا لاحظ القلب الحق بعين التعظيم لان وحسن وقال بعضهم: القلب مضغة وهو محل

الأنوار ومورد الزوائد من الجبار وبه يصح الاعتبار جعل الله القلب للجسد أميراً وقال: ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**﴾ ثم جعله لربه أسيراً فقال ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤] وقال بعضهم: للقلوب مراتب: فقلوب في قبضة الحق مأسورة وقلوب والهة وقلوب طائرة بالشوق إليه وقلوب إلى ربها ناظرة وقلوب صاحبت الآمال في الله وقلوب تبكي من الفراق وشدة الاشتياق وقلوب ضاقت في دار الفناء وقلوب خاطبها في سرها فزال عنها مرارة الأوجاع وقلوب سارت إليه بهمتها وقلوب صعدت إليه بعزائم صدقها وقلوب تقدمت لخدمته في الخلوات وقلوب شربت بكأس الوداد فاستوحشت من جميع العباد إلى غير ذلك ويدل على شرف القلب قوله عليه السلام: «تفكر ساعة خير من عبادة الثقلين». چون بنده بدركاه آيد ودل اوكرفتار شغل دنيا رقم خذلان بران طاعت كشند وبروى اوباز زنندكه كفته اند من لم يحضر قلبه في الصلاة فلا تقبل صلاته ومن لم يحصل درجة الرؤية في الصلاة فما بلغ غايتها ولا كان له فيها قرة عين لأنه لم ير من يناجيه فإن لم يسمع ما يرد عليه من الحق في الصلاة من الواردات الغيبية فما هو ممن ألقى سمعه ومن لم يحضر فيها مع ربه مع كونه لم يسمع ولم ير فليس بمصل ولا هو ممن ألقى السمع وهو شهيد يعني أدنى مرتبة الصلاة الحضور مع الرب فمن لا يرى ربه فيها ولا يشهده شهوداً روحانياً أو رؤية عيانية قلبية أو مثالية خيالية أو قريباً منها المعبر عنه بقوله عليه السلام: «أن تعبد الله كأنك تراه» ولا يسمع كلامه المطلق بغير واسطة الروحانيات أو بواسطة منهم ولا حصل له الحضور القلبي المعبر عنه بقوله فإن لم تكن تراه فاعلم أنه يراك فليس بمصل وصلاته أفادت له الخلاص من القتل لا غير وبقدر خوف المرء من ربه وقربه منه يكون حضوره:

نزديكانرا بيش بود حيراني كايشان دانند سياست سلطاني

آن وزير پيوسته از مراقبت سلطان هراسان بود وآن ستوردار راهراسى نه زيرا كه سينه وزير خزينه اسرار سلطانست ومهر خزينه شكستن خطرناك بود «وكان عليه السلام يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء» والأزيز الغليان وقيل صوته والمرجل قدر من النحاس:

خوشا نماز ونياز كسى كه از سردرد بآب ديده وخون جكر طهارت كرد

حذيفه يماني رضي الله عنه صاحب سر رسول الله عليه السلام بود كفتا روزى شيطانرا ديدم كه مى كريست كفتم أي: لعين اين ناله وكريه توچيست كفت ازبراى دومعنى يكى آنكه دركاه لعنت برما كشاده ديكر آنكه دركاه دل مؤمنان برمابسته بهر وقتى كه قصد دركاه دل مؤمن كنم بآتش هيبت سوخته كردم بداود عليه السلام وحى آمدكه يا داود زبانت دلالى است برسربازار دعوى اورا در صدر دار الملك دين محلى نيست محلى كه هست دلراست كه ازو بوى اسرار أحديت وأزليت آيد عزيز مصر بابرادران كفت رخت برداريد وبوطن وقراركاه خود باز شويدكه ازدلهاى شما بوى مهر يوسفى مى نيايد اينست سر آنچه رب العالمين فرمود ﴿**إن في ذلك لذكرى**﴾ الآية قال بعض الكبار حقيقة السمع الفهم عن الله فيما يتلوه عليك في الأنفس والآفاق فإن الحق تارة يتلو عليك الكتاب من الكبير الخارج وتارة من نفسك فاسمع وتأهب لخطاب مولاك إليك في أي مقام كنت وتحفظ من الوقر والصمم فالصمم آفة تمنعك عن إدراك تلاوته عليك من الكتاب الكبير المعبر عنه بالفرقان والوقر آفة تمنعك من إدراك تلاوته عليك من نفسك المختصرة وهو الكتاب المعبر عنه بالقرآن إذ الإنسان محل الجمع لما تفرق في العالم الكبير.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما﴾ من أصناف المخلوقات **﴿في ستة أيام﴾** درشش روز آن يكشنبه تاشنبه الأرض. في يومين ومنافعها في يومين والسماوات في يومين ولو شاء لكان ذلك في أقل من لمح البصر ولكنه سن لنا التأني بذلك فإن العجلة من الشيطان إلا في ستة مواضع أداء الصلاة إذا دخل الوقت ودفن الميت إذا حضر وتزويج البكر إذا أدركت وقضاء الدين إذا وجب وحل وإطعام الضيف إذا نزل وتعجيل التوبة إذا أذنب قال بعض العارفين: إذا فتح الله عليك بالتصريف فائت البيوت من أبوابها وإياك والفعل بالهمة من غير آلة وانظر إلى الحق سبحانه كيف خمر طينة آدم بيديه وسواه وعدله ثم نفخ فيه الروح وعلمه الأسماء فأوجد الأشياء على ترتيب ونظام وكان قادراً أن يكون آدم ابتداء من غير تخمير ولا شيء مما ذكر.

وفي «التأويلات النجمية» ولقد خلقنا سماوات الأرواح وأرض الأشباح وما بينهما من النفوس والقلوب والأسرار وسر الأسرار في ستة أيام أي: في ستة أنواع من المخلوقات وهي محصورة فيما ذكرناه من الأرواح والأشباح والنفوس والقلوب والأسرار وسر الأسرار فلا مخلوق إلا وهو داخل في جملتها فافهم جداً **﴿وما مسنا﴾** بذلك مع كونه مما لا تفي به القوى والقدر وبالفارسية ونرسيد مارا از آفرينش آنها **﴿من لغوب﴾** قال الراغب اللغوب: التعب والنصب يقال أتانا ساعياً لاغياً خائفاً تعباً وفي «القاموس» لغب لغباً ولغوباً كمنع وسمع وكرم أعيا أشد الإعياء وفي «تاج المصادر» اللغوب مانده شدن. وفعل يفعل فعولاً وفعلاً أيضاً لغة ضعيفة والمعنى من إعياء ولا تعب في الجملة وبالفارسية هيچ رنجى وماندكى. فإنه لو كان لاقتضى ضعفاً فاقتضى فساداً فكان من ذلك شيء على غير ما أردناه فكان تصرفنا فيه غير تصرفنا في الباقي وأنتم تشاهدون الكل على حد سواء من نفوذ الأمر وتمام التصرف.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿وما مسنا من لغوب﴾** لأنها خلقت بإشارة أمرِ كُن كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] فأنى يمسه اللغوب وإنه صمد لا يحدث في ذاته حادث انتهى وهذا رد على جهلة اليهود في زعمهم أن الله بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه عما يقولون علواً كبيراً قال العلماء: إن الذي وقع من التشبيه لهذه الأمة إنما وقع من اليهود ومنهم أخذ.

يقول الفقير: هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣] يدل عليه ما بعد الآية وهو قوله: **﴿فاصبر على ما يقولون﴾** أي: ما يقوله المشركون في شأن البعث من الأباطيل المبنية على الإنكار واستبعاد فإن من فعل هذه الأفاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم أو ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وغيرهم وفي «تفسير المناسبات» لما دل سبحانه على شمول العلم وإحاطة القدرة وكشف فيهما الأمر أتم كشف وكان علم الحبيب القادر بما يفعل العدو أعظم نذارة للعدو وبشارة للولي سبب عن ذلك قوله **﴿فاصبر على ما يقولون﴾** أي: على جميع الذي يقوله الكفرة وغيرهم انتهى وفيه إشارة إلى تربية النفوس بالصبر على ما يقول الجاهلون من كل

نوع من المكروهات وتزكيتها من الصفات المذمومات ملازمة للذكر والتسبيحات والتحميدات كما قال ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أي: نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في أخباره التي من جملتها الإخبار بوقوع البعث وعن وصفه بما يوجب التشبيه حال كونك ملتبساً بحمده على ما أنعم عليك من إصابة الحق وغيرها قال سهل في «الأمالي»: سر اقتران الحمد بالتسبيح أبداً كما في الآية وفي قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] أن معرفة الله تنقسم قسمين: معرفة ذاته ومعرفة أسمائه وصفاته، ولا سبيل إلى إثبات أحد القسمين دون الآخر وإثبات وجود الذات من مقتضى العقل وإثبات الأسماء والصفات من مقتضى الشرع فبالعقل عرفت المسمى وبالشرع عرفت المسمى ولا يتصور في العقل إثبات الذات إلا مع نفي سمات الحدوث عنها وذلك هو التسبيح ومقتضى العقل مقدم على مقتضى الشرع وإنما جاء الشرع المنقول بعد حصول النظر والعقول فنبه العقول على النظر فعرفت ثم علمها ما لم تكن تعلم من الأسماء فانضاف لها إلى التسبيح الحمد والثناء فما أمرنا إلا بتسبيحه بحمده ﴿قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ هما وقتا الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة فالتسبيح فيهما بمكان وفي طه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] راعى القياس لأن الغروب للشمس كما أن الطلوع لها.

﴿ومن الليل فسبحه﴾ أي: وسبحه بعض الليل فقوله من الليل مفعول لفعل مضمر معطوف على ﴿سبح بحمد ربك﴾ يفسره فسبحه ومن للتبعيض ويجوز أن يعمل فيه المذكور أيضاً ولا تمنع الفاء عن عمل ما بعدها فيما قبلها كما يجيء في سورة قريش وقال بعض الكبار قبل طلوع الشمس يعني من أول النهار وقبل الغروب يعني إلى آخر النهار ومن الليل فسبحه يعني من جميع الليل بقدر الوسع والطاقة.

يقول الفقير: ثبت أن بعض أهل الرياضة لم ينم سنين فيمكن له دوام الذكر والتسبيح كما قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣] ويمكن أن يقال: إن ذلك حال القلب لا حال القالب فإن أكثر أهل الله ينامون ويقومون على ما فعله النبي عليه السلام لكن قلوبهم يقظى وصلاتهم أي: توجههم دائمة فهم في الذكر في جميع آناء الليل والنهار ﴿وأدبار السجود﴾ وأعقاب الصلوات وأواخرها جمع دبر من أدبرت الصلاة إذا انقضت والركوع والسجود يعبر بهما عن الصلاة لأنهما أعظم أركانها كما يعبر بالوجه عن الذات لأنه أشرف أعضائها وفي «تفسير المناسبات»: وسبح ملتبساً بحمد ربك قبل طلوع الشمس بصلاة الصبح وما يليق به من التسبيح وغيره وقبل الغروب بصلاة العصر والظهر كذلك فالعصر أصل في ذلك الوقت والظهر تبع لها ولما ذكر ما هو أدل على الحب في المعبود لأنه وقت الانتشار إلى الأمور الضرورية التي بها القوام والرجوع لقصد الراحة الجسدية بالأكل والشرب واللعب والاجتماع بعد الانتشار والانضمام مع ما في الوقتين من الدلالة الظاهرة على طي الخلق ونشرهم أتبعه ما يكون وقت السكون المراد به الراحة بلذيذ الاضطجاع والمنام فقال: ﴿ومن الليل﴾ أي: في بعض أوقاته فسبحه بصلاتي المغرب والعشاء وقيام الليل لأن الليل وقت الخلوات وهي ألذ المناجاة ولما ذكر الفرائض التي لا مندوحة عنها على وجه يشمل النوافل من الصلاة وغيرها أتبعها النوافل المقيدة بها فقال ﴿وأدبار السجود﴾ أي: الذي هو الأكمل في بابه وهو صلاة الفرض بما يصلي بعده من الرواتب والتسبيح بالقول أيضاً والمعنى والله أعلم أن الاشتغال استمطار من المحمود المسبح للنصر على المكذبين وأن الصلاة أعظم ترياق للنصر

وإزالة النصب ولهذا كان النبي عليه السلام «إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة» انتهى.

يقال حزبه الأمر نابه واشتد عليه أو ضغطه وفزع إليه لجأ وعن عمر وعلي رضي الله عنهما أدبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وعليه جمهور المفسرين وعن النبي عليه السلام: «من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم كتبت صلاته في عليين» وعنه عليه السلام «ركعتا الفجر» أي: سنة الصبح «خير من الدنيا وما فيها» «وكان عليه السلام يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد» قاله ابن مسعود وعن مجاهد ﴿**وأدبار السجود**﴾ هو التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبة وفي الحديث: «من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين فذلك تسع وتسعون ثم قال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الوفور بالدرجات والنعيم المقيم قال: وكيف ذلك؟ قالوا: صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال: أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشراً وتحمدون عشراً وتكبرون عشراً كما في «كشف الأسرار».

يقول الفقير: لعل سر التثليث في بيانه عليه السلام دائر على التثليث في بيانهم فإنهم قالوا صلوا وجاهدوا وأنفقوا فقال عليه السلام: تسبحون وتحمدون وتكبرون وفي تخصيص العشر في هذا الحديث رعاية لسر قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فإن كل عشر إذا ضوعف أفرادها بعشرة الأمثال تبلغ إلى المائة المشيرة إلى الأسماء الحسنى التسعة والتسعين مع أحديتها فإذا كان كل عشر مائة يكون المجموع ثلاثمائة لكنه عليه السلام أراد أن يبلغ الأعداد المضاعفة إلى الألف لتكون إشارة إلى ألف اسم من أسمائه تعالى فزاد في كل من التسبيح والتحميد والتكبير باعتبار أصوله حتى جعله ثلاثاً وثلاثين وجعل تمام المائة القول المذكور في الحديث الأول فيكون أصول الأعداد مائة بمقابلة المائة المذكورة وفروعها وهي المضاعفات ألفاً ليكون بمقابلة الألف المذكور فإن قلت فأهل الوفور لا يخلو من أن يقولوا ذلك في أعقاب الصلوات فإذاً لا فضل للفقراء عليهم قلت: جاء في حديث آخر إذا قال الفقير: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصاً وقال الغني مثل ذلك لم يلحق الغني الفقير في فضله وتضاعف الثواب وإن أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم» وكذلك أعمال البر كلها فظهر فضلهم عليهم والحمد لله تعالى وفي الآية بيان فضيلة النوافل قال عليه السلام: خطاباً لأبي الدرداء رضي الله عنه: يا عويمر اجتنب مساخط الله وأد فرائض الله تكن عاقلاً ثم تنفل بالصالحات من الأعمال تزدد من ربك قرباً وعليه عزاً وفي الحديث حسنوا نوافلكم فبها تكمل فرائضكم وفي المرفوع النافلة هدية المؤمن إلى ربه فليحسن أحدكم هديته وليطبها وفي الحديث «ازدلفوا إلى الله بركعتين» أي: تقربوا وفي الحديث القدسي «ما تقرب عبد إلي بمثل أداء ما افترضت عليه وإنه ليتقرب إلي بعد ذلك بالنوافل حتى أحبه» والمراد بالنوافل نوافل الصلوات وغيرها ومنها سلوك الصوفية فإنه يتقرب به السالك إلى الله بإزالة الحجب المانعة عن النظر إلى وجه الله الكريم.

قال الراغب: القرب إلى الله قرب روحاني بإزالة الأوساخ من الجهل والطيش والغضب والحاجات البدنية بقدر طاقة البشر والتخلق بالأخلاق الإلهية من العلم والحكمة والرحمة وفي «ترجمة الفتوحات المكية»: دراد أي: فرائض عبوديت اضطرارست ودر نوافل عبوديت اختبار ونفل در ركعت زائد را كويند وتودر اصل خود زائدي بر وجود حق تعالى چه اوبودوتو نبودى وبوجود تووجود حادث زياده شدپس عمل نفل أشارت بوجود تست كه زائدست واصل تست وعمل فرض اشارت بوجود حق است كه اصل كلى است پس دراد اى فرائض بنده براى اوست ودر اداى نوافل براى خود وقتى كه دركار اوباشى هرآينه دوسترازان داردكه دركار خود باشى وثمرة اين حب كه دركار خودى است كه كنت سمعه وبصره ثمره آن حب كه دركار او باشى اعني اعمال فرائض قياسى كن كه چه كونه باشد وبدان كه درنفس نفل فرائض ونوافل هست اكر در فرض نقصانى واقع شده باشد بدان فرائض كه درضمن نفل است تمام كرده شود در خبر صحيح آمده است كه حق تعالى فرمايد كه درنماز بنده نكاه كنيد اكر تمام باشد تمام نويسند واكر ناقص باشد فرمايدكه ببينيدكه اين بنده را هيچ تطوعى هست اكر باشد فرمايدكه فريضه بنده رابدان تطوعات تمام سازيد چون ركوع وسجود وسائر افعال كه نفل بى آن درست نيست كه سادمسد فرض شود حق تعالى اين فروض را درميانه نوافل نهاد تاجبر فرض بفرض باشد انتهى. قال بعض الكبار: من أراد العلم الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فليكثر من الطاعات والنوافل حتى يحبه الحق فيعرف الله بالله ويعرف جميع الأحكام الشرعية بالله لا بعقله ومن لم يكثر مما ذكر فليقلد ربه فيما أخبر أولاً بأول فإنه أولى من تقليد العقل.

يقول الفقير: دخل في أدبار السجود والنوافل مثل صلاة الرغائب وصلاة البراءة وصلاة القدر فإن صلاة الرغائب تصلى بعد المغرب في ليلة الجمعة الأولى من شهر الله رجب والثانية بعد العشاء في ليلة النصف من شعبان والثالثة بعد العشاء أيضاً في ليلة القدر وتلك الصلوات من مستحسنات المشايخ المحققين لأنها نوافل أي: زوائد على الفرائض والسنن وهذا على تقدير أن لا يكون لها أصل صحيح في الشرع وقد تكلم المشايخ عليها والأكثر على أنه عليه السلام صلاها فلها أصل صحيح لكن ظهورها حادث ولا يقدح هذا الحدوث في أصالتها على أن عمل المشايخ يكفي سنداً فإنهم ذوو الجناحين وقد أفردت لهذا الباب جزءاً واحداً شافياً

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿واستمع﴾ يا محمد لما يوحى إليك من أحوال القيامة وفي حذف مفعول استمع وإبهامه ثم تفسيره بقوله يوم إلخ تهويل وتفظيع للمخبر به كما يروى عن النبي عليه السلام أنه قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: يا معاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك والسمع إدراك المسموع بالإصغاء والفرق بين المستمع والسامع أن المستمع من كان قاصداً للسماع مصغياً إليه والسامع من اتفق سماعه من غير قصد إليه فكل مستمع سامع من غير عكس **﴿يوم يناد المناد﴾** أصله ينادي المنادي قرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير المنادي بالياء في الوصل وهو الأصل في اللغة والباقون بغير ياء لأن الكسر يدل عليه واكتفي به والمنادي هو الملك النافخ في الصور وهو إسرافيل عليه السلام والنداء نفخه سمي نداء من حيث إنه جعله علماً للخروج وللحشر

وإنما يقع ذلك النداء كأذان المؤذن وعلامات الرحيل في العساكر وقيل هو النداء حقيقة فيقف على الصخرة ويضع أصبعه في أذنيه وينادي أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل إسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادي بالحشر ﴿**من مكان قريب**﴾ إلى السماء وهو صخرة بيت المقدس فإن بيت المقدس أقرب من جميع الأرض إلى السماء باثني عشر ميلاً أو ثمانية عشر ميلاً وهو وسط الأرض كما قاله علي رضي الله عنه أو من مكان قريب يصل نداؤه إلى الكل على سواء. يعني آواز او بهمه جا برسد واز هيچ موضعى دور نبود. وفي «كشف الأسرار» سمي قريباً لأن كل إنسان يسمعه من طرف أذنه وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في الإعادة مثل كن في البدء.

﴿**يوم**﴾ الخ بدل من يوم ينادي الخ ﴿**يسمعون**﴾ أي: الأرواح وقيل الأجساد لأنه يمدها أربعين سنة كما في «عين المعاني» ﴿**الصيحة**﴾ وهي صيحة البعث التي هي النفخة الثانية والصيحة والصياح الصوت بأقصى الطاقة ﴿**بالحق**﴾ متعلق بالصيحة على أنه حال منها والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله تعالى ﴿**ذلك**﴾ أين روز ﴿**يوم الخروج**﴾ من القبور وهو من أسماء يوم القيامة وسمي يوم العيد يوم الخروج أيضاً تشبيهاً به والمعنى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من القبور إلى المحاسبة ثم إلى إحدى الدارين إما إلى الجنة وإما إلى النار قال في «كشف الأسرار»: چون اين ندا درعالم دهد در خلق اضطرار افتدآن كوشتهاى وپوستهاى پوسيده واستخوانها ريزيده وخاك كشسته وذره ذره بهم برآميخته بعضى بشرق بعضي بغرب بعضي به بر بعضي به بحر بعضي كركان خورده وبعضي مرفان پرده همه باهم مى آيد وذره ذره بجاى خود باز ميشود هرچه درهفت اقليم خاكى جانور بوده از ابتداء دور عالم تاروز رستا خيز همه باهم آيدتنها راست كردد وصورتها پيدا شود اعضا واجزاى مرتب ومركب كردد ذره كم نه وذره پيش نه موى ازين بان نياميزد وذره ازان به اين نه پيوندد آه صعب روزى كه حشر ونشرست روز جزاء خير وشرست ترازوى راستى آو يخته كرسى قضا نهاده بساط هيبت باز كسترده همه خلق بزانو در آمده كه ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨] دوزخ مى غردكه ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨] زبانيه در عاصى آو يخته كه ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١﴾ [الحاقة: ٣٠، ٣١] صلوه هركس بخود درمانده واز خويش وپيوند بكريخته ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ [عبس: ٣٧] آورده اندكه پيش از آمدن خلق ازخاك جبريل وميكائيل بزمين آيند براق مى آرندو حله وتاج ازبهر مصطفى صلوات الله عليه واز هول آن روز ندانندكه روضه سيد كجاست اززمين مى برسند وزمين ميكويد من ازهول رستا خيز ندانم كه دربطن خود چه دارم جبريل بشرق وغرب همى نكرد از آنجا كه خوابكاه سيدست نورى برآيد جبريل آنجا شتابد سيد عالم صلوات الله عليه ازخاك بر آيد چنانكه درخبرست انا اول من تنشق عنه الأرض أول سخن اين كويد اى جبرائيل حال امتم چيست خبر چه دارى كويد اى سيد اول تو برخاسته ايشان درخاك اند اى سيد توحله درپوش وتاج بر سرنه وبر براق نشين وبمقام شفاعت رو تاامت در رسند مصطفى عليه السلام همى رودتا بحضرت عزت سجده آرد وحق راجل جلاله بستايد وحمد كويد از حق تعالى خطاب آيدكه اى سيد امروزنه روز خدمت است كه روز عطا ونعمت است نه روز سجود است كه روز كرم وجودست سر بردار وشفاعت كن هرچه

توخواهى آن كنم تودر دنياهمه آن كردى كه ما فرموديم ما امروز ترا آن دهيم كه توخواهى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥] قال المولى الجامي في «سلسلة الذهب»:

سويم افكن زمر حمت نظري باز كن بر رخم زفضل دري
لب بچنبان پى شفاعت من منكر دركناه وطاعت من
مانده ام زير بار عصيان پست افتم ازپاى اكر نكيرى دست
رحم كن برمن وفقيرىء من دست ده بهر دستكيرىء من

﴿إنا نحن نحيي ونميت﴾ في الدنيا من غير أن يشاركنا في ذلك أحد فتكرير الضمير بعد إيقاعه اسما للتأكيد والاختصاص والتفرد.

قال الكاشفي: يعني نطفه مرده راحيات مي دهيم وميرانيم ايشانرا دردنيا ﴿وإلينا المصير﴾ للجزاء في الآخرة لا إلى غيرنا لا استقلالاً ولا اشتراكاً فليستعدوا للقائنا وفيه إشارة إلى مراقبة القلوب بعد انقضاء أوقات الذكر لاستماع نداء الهواتف الغيبية والإلهامات الربانية والإشارات الإلهية من مكان قريب وهو القلب يوم يسمع النفوس الصيحة من جانب الحق بتجلي صفاته ذلك يوم الخروج من ظلمات البشرية إلى نور الروحانية والربانية إنا نحن نحيي القلوب الميتة ونميت النفوس الحية وإلينا المصير لمن ماتت نفسه وحيي قلبه.

واعلم أن الحشر حشر عام وهو خروج الأجساد من القبور إلى المحشر يوم النشور وحشر خاص وهو خروج الأرواح الأخروية من قبور الأجسام الدنيوية بالسير والسلوك في حال حياتهم إلى العالم الروحاني وذلك بالموت بالإرادة عن الصفات الحيوانية النفسانية قبل الموت بالاضطرار عن الصورة الحيوانية وحشر أخص وهو الخروج من قبور الأنانية الروحانية إلى الهوية الربانية وكما أن الموت نوعان: اضطراري واختياري فكذا الولادة الاضطرارية بخلق الله تعالى لا مدخل فيها لكسب العبد واختياره وأما الاختيارية فإنما تحصل بالكسب وهو الذي أشار إليه عيسى عليه السلام بقوله: لن يلج ملكوت السماوات من لم يولد مرتين.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝٤٤ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾

﴿يوم تشقق الأرض عنهم﴾ بحذف إحدى التاءين من تتشقق أي: تتصدع قال في «تاج المصادر» التشقق شكافته شدن والمعنى بالفارسية بياد آر روزى راكه بشكافد زمين ودور شود ز آدميان يعني مردكان پس بيرون آييد ازقبرها ﴿سراعاً﴾ حال من المجرور وهو جمع سريع والسرعة ضد البطء ويستعمل في الأجسام والأفعال ويقال سرع فهو سريع وأسرع فهو مسرع والمعنى حال كونهم مسرعين إلى إجابة الداعي من غير التفات يميناً وشمالاً هذا كقوله مهطعين إلى الداع ﴿ذلك﴾ أين إحياى ايشان ازقبور ﴿حشر﴾ بعث وجمع وسوق ﴿علينا يسير﴾ أي: هين علينا نقول له ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١٧٧] وهو كلام معادل لقول الكفرة ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣] وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى فإن ذلك لا يتيسر إلا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شأن من شأن كما قال ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه وهو تسلية لرسول الله عليه السلام وتهديد لهم ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ بمسلط

تقسرهم على الإيمان أو تفعل بهم ما تريد وإنما أنت مذكر هذا كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢] أي: لست بمتسلط عليهم تجبرهم بما تريد وأصل الجبر إصلاح الشيء بضرب من القهر والجبار في اسم الله تعالى هو الذي جبر العباد على ما أراد.

﴿**فذكر**﴾ پس پندكوى ﴿**بالقرآن من يخاف وعيد**﴾ أي: عظهم بمواعظه فإنهم المنتفعون به كما قال ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] وأما من عداهم فنفعل بهم ما يوجبه أقوالهم وتستدعيه أعمالهم من ألوان العقاب وفنون العذاب كقوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [يس: ١١] والوعيد التخويف بالعذاب ويستعمل في نفس العذاب كما مر.

قال بعض العارفين أمر الله نبيه عليه السلام أن يذكر الخاشعين من عظمته والخائفين من كبريائه بالقرآن لأنهم أهله وأهل القرآن أهل الله وخاصته هم يعرفون حقائق الخطاب بنعت العبودية وهم بالقرآن يرتقون إلى معادنه فيرون الحق بالحق بلا حجاب ويصعدون به إلى الأبد وقال أحمد بن همدان رحمه الله: لا يتعظ بمواعظ القرآن إلا الخائفون على إيمانهم وإسلامهم وعلى كل نفس من أنفاسهم وقال بعضهم: إنما يؤثر التخويف والإنذار والتذكير في الخائفين فأما من لا يخاف فلا ينجح فيه ذلك وطير السماء على أوكارها تقع وقال بعضهم: ﴿**وما أنت عليهم بجبار**﴾ هذا خطاب مع القلب يعني ما أنت على النفس وصفاتها بمتسلط بنفسك إلا بنا فذكر بالقرآن أي: بدقائق معانيه وحقائق أسراره من يخاف وعيد يعني بعض النفوس القابلة لتذكير القرآن ووعيده فإنه ليس لك نفس قابلة له. قال الشيخ سعدي:

درخير بازست هركز وليك — نه هركس تواناست برفعل نيك
كسى راكه پندار درسر بود — مپندار هركز كه حق بشنود
زعلمش ملال آيداز وعظ ننك — شقايق بباران نرويد زسنك
بكوشش نرويد كل ازشاخ بيد — نه زنكى به كرمابه كرد دسفيد
نيايد نكوكارى از بدر كان — محالست دوزندكى از سكان
توان پاك كردن زرنك آينه — وليكن نيايد زسنك آينه

كان رسول الله عليه السلام يخطب بسورة ق في كثير من الأوقات لاشتمالها على ذكر الله تعالى والثناء عليه ثم على علمه بما توسوس به النفوس وما تكتبه الملائكة على الإنسان من طاعة وعصيان ثم تذكير الموت وسكرته ثم تذكير القيامة وأهوالها والشهادة على الخلائق بأعمالهم ثم تذكير الجنة والنار ثم تذكير الصيحة والنشور والخروج من القبور ثم بالمواظبة على الصلوات قال السيوطي في كتاب «الوسائل»: أول من قرأ في آخر الخطبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] الآية عمر بن عبد العزيز ولزمها الخطباء إلى عصرنا هذا وكان النبي عليه السلام يقرأ ق وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ إذا الشمس كورت إلى قوله ما أحضرت وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقرأ آخر سورة النساء يستفتونك الآية وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقرأ الكافرون والإخلاص ذكر ذلك ابن الصلاح وفي الحديث «من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته» قيل تارات الموت إفاقاته وغشياته كما في «حواشي سعدي المفتي» رحمه الله.

تمت سورة ق بعون ذي الألطاف في أوائل جمادى الأولى
من سنة أربع عشرة ومائة وألف

٥١ ـ سورة الذاريات

ستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴿١﴾ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴿٤﴾﴾.

﴿والذاريات ذرواً﴾ الواو للقسم والذاريات وما بعدها صفات حذفت موصوفاتها وأقيمت هي مقامها والتقدير والرياح الذاريات وذرواً مصدر عامله الذاريات يقال ذرت الريح الشي ذرواً وأذرته أطارته وأذهبته قال في «تاج المصادر»: الذرى داميدن. والمراد الرياح التي تذرو التراب وغيره ودانه را ازكاه جدا كننند كما في «تفسير الكاشفي» روي عن كعب الأحبار قال: لو حبس الله الريح عن الأرض ثلاثة أيام ما بقي على الأرض شيء إلا نتن وعن العوام بن حوشب قال: تخرج الجنوب من الجنة فتمر على جهنم فغمها منها وبركاتها من الجنة وتخرج الشمال من جهنم فتمر على الجنة فروحها من الجنة وشرها من النار وقيل الشمال تمر بجنة عدن فتأخذ من عرف طيبها فتمر على أرواح الصديقين وعن عبد الله بن شداد قال: إن الريح من روح الله فإذا رأيتموها فاسألوا الله خيرها وتعوذوا من شرها وعن جابر رضي الله عنه قال: هاجت ريح كادت تدفن الراكب من شدتها فقال عليه السلام: «هذه ريح أرسلت لموت منافق فقدمنا المدينة فإذا رأس من رؤوس المنافقين قد مات».

ـ وروي ـ عن علي رضي الله عنه أن مساكن الريح تحت أجنحة الكروبيين حملة الكرسي فتهيج من ثمة فتقع بعجلة الشمس ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع برؤوس الجبال فتقع في البر فتأخذ الشمال وحدها من كرسي بنات النعش إلى مغرب الشمس والنعش أربعة كواكب على شكل مربع مستطيل وخلفها ثلاثة كواكب تسمى البنات وتأتي الدبور وحدها من مغرب الشمس إلى مطلع سهيل وتأتي الجنوب وحدها من مطلع سهيل إلى مطلع الشمس وتأتي الصبا وحدها من مطلع الشمس إلى كرسي بنات النعش فلا تدخل هذه في حد هذه ولا هذه في حد هذه.

قال ابن عمر: الرياح ثمان أربع منها عذاب وأربع منها رحمة أما الرحمة فالناشرات والمبشرات والذاريات والمرسلات وأما العذاب فالعاصفات والقاصف والصرصر والعقيم وأراد ابن عمر ما في القرآن من ألفاظ الرياح وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «ليبيتن قوم من أمتي على أكل وشرب ولهو ولعب ثم ليمسخن قردة وخنازير وليصيبن أقواماً من أمتي خسف وقذف باتخاذهم القيان وشربهم الخمور وضربهم بالدف ولبسهم الحرير ولتنسفن أحياء من أمتي الريح كما نسفت عاداً» كما في كتاب «الإمتاع في أحكام السماع» والنسف بركندن بنا وكياه وداميدن چيزى. وفي الآية إشارة إلى الرياح الصبحية بحمل أنين

المشتاقين المتعرضين لنفحات الألطاف إلى ساحات العزة ثم تأتي بتنسم نفحات الحق إلى مشام أسرار المحبة فيجدون راحة من غلبات اللوعة وفي معناه أنشدوا:

وإني لأستهدي الرياح نسيمكم إذا أقبلت من أرضكم بهبوب
وأسألها حمل السلام إليكمو فإن هي يوماً بلغت فأجيبي

قال المولى الجامي:

نسيم الصبح زر مني ربي نجدو قبلها كه بوى دوست مى آيد ازان پاكيزه منزلها

وقال الكمال الخجندي:

صبا زدوست پيامى بسوى ما اورد بهمدمان كهن دوستى بجا آورد
براى چشم ضعيف رمد كرفته ما زخاك مقدم محبوب توتيا آورد

وقال بعضهم: المراد بالذاريات النساء الولود فإنهن يذرين وهو بضم الياء بمعنى يذرون.

يقول الفقير: من لطف هذا المعنى مجاورته للفظ الحاملات والجاريات على أن من وجوه الحاملات النساء الحوامل وفيه بيان لفضل المولود على العقيم كما قال عليه السلام: «سوداء ولود خير من حسناء عقيم» ودل لفظ السوداء على سيادة الولود كسواد الحجر الأسود فإنه من السيادة وذلك أن الولود مظهر الآثار ومطلع الأنوار وكذلك ولود الإنسان وهو الإنسان الكامل وهو كالمصدر للأفعال والجامد وهو الإنسان الناقص لا يصلح إلا لأن يكون آية يستدل بها كسائر الآيات التكوينية ومثاله لفظ إنما فإنه للتأكيد والحصر لا غير وذلك باعتبار الكف عن العمل فافهم الإشارة.

﴿**فالحاملات وقراً**﴾ الوقر بالكسر اسم لما توقر أي: تحمل والمراد هنا المطر ووقراً مفعول الحاملات والمعنى فالسحب الحاملة للمطر وبالفارسية: پس بردارندكان باركران يعني ابرها كه ببارند.

ـ روي ـ عن خالد بن معدان قال: إن في الجنة شجرة تثمر السحاب فالسوداء التي نضجت تحمل المطر والبيضاء النبيء لا تحمل المطر وقال كعب: السحاب غربال المطر ولولا السحاب لأفسد المطر ما أصاب من الأرض وعن الحسن أنه كان إذا نظر إلى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم ولكن تحرمونه بخطاياكم وأعمالكم وعن عكرمة قال: ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها في الأرض عشبة أو في البحر لؤلؤة وفي المطر حياة الأرض فكأنه روحها وكذا في الفيض الإلهي حياة القلب والروح وفيه إشارة إلى أن سحاب ألطاف الربوبية تحمل أمطار مراحم الألوهية فتمطر على قلوب الصديقين.

﴿**فالجاريات يسراً**﴾ يسراً صفة لمصدر محذوف أي: فالسفن الجارية في البحر جرياً يسيراً أي ذا يسر وسهولة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: البحر رزق بيد ملك لم يغفل عنه ولو غفل عنه الملك لطم على الأرض يعني دريا خيكى است بدست فرشته غافل نمنى شودازوى فرشته واكر غافل شود برمى كند زمين را وفرومي كيرد وفي الحديث لا يركبن رجل البحر إلا غازياً أو حاجاً أو معتمراً فإن تحت البحر ناراً وإن تحت النار بحراً وإن تحت البحر ناراً وقال كعب: ما من ليلة إلا والبحار تشرف على الخلائق فتقول: يا رب ائذن لنا حتى نغرق الخطائين فيأمرها تعالى بالسكون فتسكن وسأل سليمان بن داود عليهما السلام عن ملك البحر فخرجت إليه دابة من البحر فجعلت تنسل من حيث طلعت الشمس حتى انتصف النهار تقول

هذا ولما يخرج نصفي بعد فتعوذ بالله من البحر ومن ملكه يعني برسيد سليمان بن داود ازفرشته بحر پس بيرون آمد بسوى وى جانورى ازبحر بشتاب ازان زمان كه آفتاب برآمد تانيم روز كفت هنوز نيم من بيرون نيامده است پس پناه كرفت سليمان بخدا ازبحر ازملك وى.

وفيه إشارة إلى أن سفن وجود المحبين المحبوبين شراعها مرفوعة إلى مهب رياح العناية فتجري بها في بحر التوحيد على أيسر حال.

﴿**فالمقسمات أمراً**﴾ الأمر واحد الأمور أريد به معنى الجمع وهو منصوب على المفعولية والمراد بالمقسمات الملائكة وإيراد جمع المؤنث السالم فيهم بتأويل الجماعات أي: فالملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها وفي «كشف الأسرار» هذا كقوله ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥] قال عبد الرحمٰن بن سابط يدبر أمر الأرض أربعة من الملائكة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام فجبريل على الجنود والرياح وميكائيل على القطر والنبات وملك الموت على قبض الأرواح وإسرافيل يبلغهم ما يؤمرون به وأضاف هذه الأفعال إلى هذه الأشياء لأنها أسباب لظهورها كقوله تعالى خبراً عن جبريل ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩] وإنما الله هو الواهب الغلام لكن لما كان جبريل سبب ظهوره أضاف الهبة إليه والفاء لترتيب الأقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة يعني أن المقصود من الأقسام بها ظاهراً هو تأكيد المحلوف عليه وهو البعث وكونه محقق الوقوع والمقصود الأصلي تعظيم هذه الأشياء لما فيها من الدلالة على كمال قدرته فيكون في المعنى استدلالاً على المحلوف عليه فكأنه قيل: فمن قدر على إنشاء هذه الأشياء ألا يقدر على إعادة ما أنشأه أولاً كقول القائل لمن أنعم عليه وحق نعمك الكثيرة إني لا أزال أشكرك أتى بصورة القسم الدال على تعظيم النعم استدلالاً به على أنه مواظب لشكرها فإذا كان كذلك فالمناسب أن يقدم ما هو أدل على كمال القدرة والرياح أدل عليه بالنسبة إلى السحب لكون الرياح أسباباً لها والسحب لغرابة ماهيتها وكثرة منافعها ورقة حاملها الذي هو الريح أدل عليه من السفن وهذه الثلاث لكونها من قبيل المحسوسات أدل عليه من الملائكة الغائبين عن الحس لأنه كلام من المنكر فربما ينكر وجود من هو غائب عن الحس فلا يتم الاستدلال.

وقال سعدي المفتي في بيان التفاوت المذكور فأما على التنزل كما في قوله عليه السلام: «رحم الله المحلقين والمقصرين» بأن يقال الرياح أظهر في الدلالة على كمال القدرة من السحب وهي من السفن والثلاث من الملائكة المقسمة لأنه كلام مع الجاحد ويمكن أن ينكرها فكيف يجعلها أظهر مما هو محسوس على ما اختاره صاحب «الكشف» وأما على الترقي والقول بأن كلاً منها آخره أدل على كمال القدرة مما قبله ولا اعتبار بإنكار من لا عبرة به فالمقسمات يدل على أقدار الروحانيات مع لطافتها على التصرف في الجسمانيات مع كثافتها ثم الجاريات المتألفة من جميع العناصر على ما فيها من الصنعة البديعة والأمور العجيبة من حمل الأثقال مع خفة الحامل ورقة المحمل وقطع المسافة الشاسعة في زمان يسير بهبوب الرياح العاصفة ثم الحاملات تتألف من الأجزاء المائية والهوائية وقليل من الأجزاء النارية والأرضية وفيها غرائب من الآثار العلوية ولا تتم إلا بواسطة الرياح وعليك بالتأمل انتهى.

يقول الفقير: سر الترتيب هو أن الرياح فوق السحاب الحاملة للمطر وهي فوق الماء الحامل للسفن وهو فوق الأرض الظاهر أثر تدبير الملائكة فيها فأشار تعالى إلى أن كل أمر إنما

ينزل من السماء وكل تأثير في الأرض إنما يظهر من جانب العلو ومن ذلك وقوع البعث من القبور فمن قدر على إظهار الآثار في الأرض بالتأثيرات العلوية كان قادراً على البعث لأنه من الآثار الأرضية أيضاً والله أعلم وفيه إشارة إلى من ينزل من الملائكة المقربين لتفقد أهل الوصلة والقيام بأنواع من الأمور لأهل هذه القصة فهؤلاء القوم يسألونهم عن أحوالهم هل عندهم خبر من فراقهم ووصالهم ويقولون:

بربكما يا صاحبي قفا ليا أسائلكما عن حالكم فاسألانيا

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾

﴿إنما توعدون لصادق﴾ جواب للقسم وما موصولة والعائد محذوف أي: إن الذي توعدونه من البعث والحساب أو من الثواب والعقاب لصادق. يعني هرآينه راست ودرست است ودران هيچ خلافى نيست قال في «الإرشاد» ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضى في أن اسم الفاعل مسند إلى المفعول به إذا الوعد مصدوق والعيشة مرضية وقال ابن الشيخ أي: لذو صدق على أن البناء للنسب كتامر لأن الموعود لا يكون صادقاً بل الصادق هو الوعد ويجوز أن تكون ما مصدرية أي: وعدكم أو وعيدكم إذ يحتمل توعدون أن يكون مضارع وعد وأوعد والثاني هو المناسب للمقام فالكلام مع المنكرين **﴿وإن الدين لواقع﴾** أي: وإن الجزاء على الأعمال لحاصل وكائن لا محالة فإن من قدر على هذه الأمور البديعة المخالفة لمقتضى الطبيعة فهو قادر على البعث الموعود.

قال بعضهم: قد وعد الله المطيعين بالجنة والتائبين بالمحبة والأولياء بالقربة والعارفين بالوصلة والطالبين بالوجدان كما قال ألا من طلبني وجدني ووعد الله واقع البتة ومن أوفى بعهده من الله وأوعد الفاسقين بالنار والمصرين بالبغضاء والأعداء بالبعد والجاهلين الغافلين بالفراق والبطالين بالفقدان قال بعضهم: ما الحكمة في معنى القسم من الله تعالى فإنه إن كان لأجل المؤمن فالمؤمن يصدق بمجرد الإخبار من غير قسم وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده والجواب أن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً والحكم يفصل باثنين إما بالشهادة وإما بالقسم فذكر الله في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٨] الآية ولا يكون القسم إلا باسم معظم وقد أقسم الله بنفسه في القرآن في سبعة مواضع والباقي من القسم القرآني قسم بمخلوقاته كما في عنوان هذه السورة ونحوه والتين والزيتون والصافات والشمس والليل والضحى وغير ذلك فإن قلت ما الحكمة في أن الله تعالى قد أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله تعالى قال في «ترجمة الفتوحات»: حذركن كه بغير دين إسلام بديني ديكر سوكند يادكنى ياكويى اكر چنين باشد از دين اسلام بيزارم ودرين صورت ازبهر احتياط تجديد ايمان كن ونهى آمده است ازانكه كسى بغير الله سوكند يادكند انتهى.

قلت: فيه وجوه الأول أنه على حذف المضاف أي: ورب الذاريات ورب التين ورب الشمس والثاني أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون والثالث أن الإقسام إنما يكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لأنها تدل على بارىء وصانع حكيم وقال بعضهم: القسم

بالمصنوعات يستلزم بالصانع لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل وقال بعضهم: إن الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلا بالله وقال بعضهم: القسم إما لفضيلة أو منفعة ولا تخلو المصنوعات عنهما.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾.

﴿**والسماء ذات الحبك**﴾ جمع حباك أو حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق والمراد بالحبك الطرائق أي: الطرائق المحسوسة التي هي مساير الكواكب أو المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها إلى المعارف كما قال الراغب الحبك هي الطرائق فمن الناس من تصور منها الطرائق المحسوسة بالنجوم والمجرة وهي بالفارسية كهكشان. وعن علي رضي الله عنه أن السماء تنشق من المجرة يوم القيامة ومنهم من اعتبر ذلك بما فيه من الطرائق المعقولة المدركة بالبصيرة وإلى هذا أشار بقوله ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ إلى قوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١] وعن ابن عباس رضي الله عنهما ذات الخلق الحسن المستوي. درتبيان از ابن عمر رضي الله عنهما نقل ميكندكه مراد آسمان هفتم است وحق تعالى يد وسوكند ياد كند.

﴿**إنكم**﴾ يا أهل مكة ﴿**لفي قول مختلف**﴾ في القرآن أي: متخالف متناقض وهو قولهم: إنه شعر وسحر وافتراء وأساطير الأولين وفي الرسول شاعر وساحر ومفتر ومجنون وفي القيامة فإن من الناس من يقطع القول بإقرار ومنهم من يقطع القول بإنكار ومنهم من يقول إن نظن إلا ظناً وهذا من التحير والجهل الغليظ فيكم وفي هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك أن قول الكفرة لا يكون مستوياً إنما هو مناقض مختلف.

يقول الفقير: لعل الوجه في هذا القسم أن القرآن نازل من السماء وأن النبوة أمر سماوي فهم اختلفوا في هذا الأمر السماوي وظنوا أنه أمر أرضي مختلف وليس كذلك وفي الآية إشارة إلى سماء القلب ذات الطريق إلى الله إنكم أيها الطالبون الصادقون لفي قول مختلف في الطلب فمنكم من يطلب منا ما عندنا من كمالات القربات ومنكم من يطلب منا ما لدينا من العلوم والمعارف ومنكم من يطلبنا بجميع صفاتنا فلو استقمتم على الطريقة وتبتم ملازمين في طلبه لبلغ كل قاصد مقصده.

﴿**يؤفك عنه من أفك**﴾ يقال أفكه عنه يأفكه إفكاً صرفه وقلبه أو قلب رأيه كما في «القاموس» ورجل مأفوك مصروف عن الحق إلى الباطل كما في «المفردات» أي: يصرف عن القرآن أو الرسول من صرف إذ لا صرف أفظع منه وأشد فكأنه لا صرف بالنسبة إليه يعني أن تعريف مصدر أفك للحقيقة وكلمة من للعموم فالمعنى كل من اتصف بحقيقة المصروفية يصرف عنه ويلزمه بعكس النقيض كل من لم يصرف عنه لم يتصف بتلك الحقيقة فكان كل صرف يغايره لا صرف بالقياس إليه لكماله وشدته وقال بعضهم: يصرف عنه من صرف في علم الله وقضائه يعني هركه در علم خداى محروم باشد ازايمان بكتاب وپيغمبر هرآينه محرومست:

دلهاهمه محزون وحكرها خونست تاحكم ازل درحق هركس چونست

وفيه إشارة إلى أن في قطاع الطريق على أرباب الطلب لكثرة فمن يصرفه عن طلبه قاطع من القطاع من النفس والهوى والدنيا وزينتها وشهواتها وجاهها ونعيمها فصرف فقد حرم من متمناه وأهلكه هواه كما قيل نعوذ بالله من الحور بعد الكور وينادي عليه منادي العزة وكم مثلها فارقتها وهي تصفر.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾

﴿قتل الخراصون﴾ دعاء عليهم كقوله ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧﴾ [عبس: ١٧] وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخرص تقدير القول بلا حقيقة ومنه خرص الثمار أي: تقديرها مثلاً تقدير ما على النخل من الرطب تمراً وكل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرص سواء كان ذلك مطابقاً للشيء أو مخالفاً له من حيث إن صاحبه لم يقله عن علم ولا غلبة ظن ولا سماع بل اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل الخارص في خرصه وكل من قال قولاً على هذا النحو يسمى كاذباً وإن كان قوله مطابقاً للقول المخبر به كما قال تعالى في شهادة المنافقين ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨ وغيرها] فالخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم أصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون فاللام للعهد إشارة إليهم وعن مجاهد هم الكهنة.

﴿الذين هم﴾ لفظ هم مبتدأ وخبره قوله ﴿في غمرة﴾ من الجهل والضلال تغمرهم وتغشاهم عن أمر الآخرة قال الراغب أصل الغمر إزالة أثر الشيء ومنه قيل للماء الكثير الذي يزيد أثر مسيله غمر وغامر وبه شبه الرجل السخي والفرس الشديد العدو فقيل لهما غمر كما شبها بالبحر والغمرة معظم الماء الساترة لمقرها وجعلت مثلاً للجهالة التي تغمر صاحبها وإلى نحوه أشار بقوله ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ [يس: ٣٦] وقيل للشدائد غمرات قال تعالى ﴿فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقال الشاعر:

قال العواذل إنني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

﴿ساهون﴾ خبر بعد خبر أي: غافلون عما أمروا به قال بعضهم: الغمرة فوق الغفلة والسهو دون الغفلة قال الراغب: السهو خطأ عن غفلة وذلك ضربان أحدهما أن لا يكون من الإنسان جوالبه ومولداته كمجنون سب إنساناً والثاني أن يكون مولداته كمن شرب خمراً ثم ظهر منه منكر لا عن قصد إلى فعله فالأول معفو عنه والثاني مأخوذ به وعلى الثاني ذم الله تعالى فقال ﴿الذين هم في غمرة ساهون﴾ وفي «كشف الأسرار» الخراصون هم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول في النبي عليه السلام ليصرفوا الناس عن دين الإسلام يعني أن أهل مكة أقاموا رجالاً على عقاب مكة يصرفون الناس يعني بوقت ورود قوافل برعقاب مكة نشستندى وهريك درحق مصطفى عليه السلام بآينده وروندہ دروغ كفتندى ومرد مانرا ازصحبت شريف وى باز داشتندى حق تعالى ايشانرا لعنت كرد. قال ابو الليث فمنهم من يأخذ بقولهم ويرجع ومنهم من لا يرجع وفي الآية إشارة إلى أهل الدعوى الذين هم في غمرة الحسبان والغرور وهم ملعونون أي: مطرودون عن مقامات أهل الطلب فإنه ليس لهم طلب ولو طلبوا لوجدوا ما وجد أهل الطلب قال سهل رضي الله عنه: توضأت في يوم الجمعة فمضيت إلى الجامع في أيام البداية فوجدته قد امتلأ بالناس وهم الخطيب أن يرقى المنبر فأسأت الأدب ولم أزل أتخطى رقاب الناس حتى وصلت إلى الصف الأول فجلست فإذا هو

عن يميني شاب حسن المنظر طيب الرائحة عليه أطمار صوف فلما نظر إلي قال: كيف نجدك يا سهل؟ قلت: بخير أصلحك الله وبقيت متفكراً في معرفته لي وأنا لم أعرفه فبينما أنا كذلك إذ أخذني حرقان بول فأكربني فبقيت على وجل خوفاً أن أتخطى رقاب الناس وإن جلست لم تكن لي صلاة فالتفت إلي وقال: يا سهل أخذك حرقان بول؟ قلت: أجل فنزع إحرامه عن منكبه فغشاني به ثم قال اقض حاجتك وأسرع فالحق الصلاة قال: فغمي علي وفتحت عيني وإذا بباب مفتوح وسمعت قائلاً يقول: لج الباب يرحمك الله فولجت وإذا بقصر مشيد عالي البناء شامخ الأركان وإذا بنخلة قائمة وإلى جنبها مطهرة مملوءة ماء أحلى من الشهد ومنزل إراقة الماء ومنشفة معلقة وسواك فحللت لباسي وأرقت الماء ثم اغتسلت وتنشفت بالمنشفة فسمعته يناديني فيقول: إن كنت قضيت أربك فقل نعم فقلت: نعم فنزع الإحرام عني فإذا أنا جالس في مكاني ولم يشعر بي أحد فبقيت متفكراً في نفسي وأنا مكذب نفسي فيما جرى فقامت الصلاة وصلى الناس فصليت معهم ولم يكن لي شغل إلا الفتى لأعرفه فلما فرغ تبعت أثره فإذا به قد دخل على درب فالتفت إلي وقال: يا سهل كأنك ما أيقنت بما رأيت قلت: كلا فقال: لج الباب يرحمك الله فنظرت الباب بعينه فولجت القصر فنظرت النخلة والمطهرة والحال بعينه والمنشفة مبلولة فقلت: آمنت بالله فقال: يا سهل من أطاع الله أطاعه كل شيء يا سهل اطلبه تجده فتغرغرت عيناي بالدموع فمسحتهما وفتحتهما فلم أر الفتى ولا القصر فبقيت متحسراً على ما فاتني منه ثم أخذت في العبادة.

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿**يسألون**﴾ أي: الكفار فيقولون ﴿**أيان يوم الدين**﴾ بحذف المضاف من اليوم وإقامة المضاف إليه مقامه فلا يرد أن ظرف الزمان لا يقع خبراً إلا عن الحدث وفي النظم أخبر به عن الزمان أي: متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء

﴿**يوم هم على النار يفتنون**﴾ جواب للسؤال وانتصب يوم يفعل مضمر دل عليه السؤال أي: يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون بها كما يفتن الذهب بالنار يقال: فتنت الشيء أي: أحرقت خبثه لتظهر خلاصته فالكافر كله خبث فيحرق كله ويجوز أن يكون خبر المبتدأ محذوف أي: هو يوم هم والفتح لإضافته إلى غير متمكن.

﴿**ذوقوا فتنتكم**﴾ أي: مقولاً لهم هذا القول إذا عذبوا والقائل خزنة النار أو ذوقوا جزاء تكذيبكم كما في قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٣] أي: كفرهم مراداً به عاقبته قال الراغب أصل الفتن إدخال الذهب النار ليظهر جودته من رداءته ويستعمل في إدخال الإنسان النار وقوله تعالى ﴿**ذوقوا فتنتكم**﴾ أي: عذابكم وتارة يسمون ما يحصل منه العذاب فيستعمل فيه نحو قوله تعالى ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: ٤٩] وتارة في الاختبار نحو قوله: ﴿وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠] ﴿**هذا الذي كنتم به تستعجلون**﴾ جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر وهذا إشارة إلى ما في الفتنة من معنى العذاب أي: هذا العذاب ما كنتم تستعجلون به في حياتكم الدنيا وتقولون متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء ويجوز أن يكون هذا بدلاً من فتنتكم بتأويل العذاب والذي صفته وفيه إشارة إلى أهل المكر والدعوى الذين استبطؤوا حصول

المرام فيسألون أيان يوم الدين وهم في ظلمة ليل الدنيا مستعجلين في استبلاج نهار الدين فأجابتهم عزة الجبروت عن الكبرياء والعظموت يوم هم على نار الشهوات يفتنون بعذاب البعد والقطيعة يعذبون ذوقوا عذاب فتنتكم التي قطعت عليكم طريق الطلب هذا الذي كنتم به تملون من الطلب وتستعجلون الظفر بالمقصود. قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: كنت أنا وصاحب لي قد أوينا إلى مغارة نطلب الدخول إلى الله وأقمنا فيها ونقول يفتح لنا غداً أو بعد غد فدخل علينا يوماً رجل ذو هيبة علمنا أنه من أولياء الله فقلنا له: كيف حالك؟ فقال: كيف يكون حال من يقول يفتح لنا غداً أو بعد غد يا نفس لم لا تعبدين الله لله فتيقظنا وتبنا إلى الله فبعد ذلك فتح علينا ففيه إشارة إلى ترك الاستعجال في طريق الطلب وإلى الأخذ بالإخلاص وإلى العمل وفق إشارة المرشد ودلالة الأنبياء حتى يتخلص الطالب من عذاب الوجود ويرتفع الحجاب ويحصل الشهود بكمال الفيض والجود وأما العمل بالنفس فيزيد في وجودها:

واقف نمى شوندكه كمكرده اندراه تارهروان براهنمايى نمى رسند

فالمرشد إذاً لا بد منه فإن المريد ضعيف والشيخ كالحائط المستحكم. كما قال الشيخ سعدي:

مريدان زطفلان بقوت كمند مشايخ چو ديوار مستحكمند

وقال الصائب:

برهدف دستى ندارد تيربى زور كمان همت پيران جوانانرا بمنزل ميبرد

نسأل الله سبحانه أن يدلنا على سلوك طريقه ويوصلنا إلى جنابه بتوفيقه إنه هو الكريم الرحيم.

﴿**إن المتقين**﴾ عن الكفر والمعصية والجهل والميل إلى ما سوى المولى والمتصفين بالإيمان والطاعة والمعرفة والتوجه إلى الحضرة العليا ﴿**في جنات**﴾ أي: بساتين لا يعرف كنهها فالتنكير للتعظيم ويجوز أن يكون للتكثير كما في قوله إن له لإبلاً وإن له لغنماً والعرب تسمي النخيل جنة ﴿**وعيون**﴾ أي: أنهار جارية أي: تكون الأنهار بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لا أنهم فيها وعن سهل رضي الله عنه التقي في الدنيا في جنات الرضى يتقلب وفي عيون الناس يسبح وقال بعضهم في جنات قلوبهم وعيون الحكمة في عاجلهم وفي جنات الفضل وعيون الكرم فغدا تجلي ودرجات واليوم مناجاة وقربات ﴿**آخذين ما آتاهم ربهم**﴾ حال من الضمير في الجار أي: قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به على معنى أن كل ما أعطاهم حسن مرضى متلقى بالقبول ليس فيه ما يرد لأنه في غاية الجودة ومنه قوله ويأخذ الصدقات أي: يقبلها ويرضاها قال بعضهم: آخذين ما آتاهم ربهم اليوم بقلوب فارغة إلى الله من أصناف ألطافه وغداً يأخذون وما يعطيهم ربهم في الجنة من فنون العطاء والرفد ثم علل استحقاقهم ذلك بقوله: ﴿**إنهم كانوا قبل ذلك محسنين**﴾ قبل دخول الجنة أي: في الدنيا.

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون**﴾ الهجوع النوم بالليل دون النهار وما مزيدة لتأكيد معنى التقليل فإنها تكون لإفادة التقليل كما في قولك أكلت أكلاً ما وقليلاً ظرف ويهجعون خبر كانوا أي: كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل أو صفة مصدر محذوف أي: كانوا يهجعون

هجوعاً قليلاً من أوقات الليل يعني يذكرون ويصلون أكثر الليل وينامون أقله ولا يكونون مثل البطالين الغافلين النائمين إلى الصباح وقال بعض أهل الإشارة فيه إشارة إلى أن أهل الإحسان وهم أهل المحبة والمشاهدة لا ينامون بالليل لأن القلة عبارة عن العدم ومعنى عدم نومهم ما أشار إليه ﷺ بقوله: «نوم العالم عبادة» فمن يكون في العبادة لا يكون نائماً قيل: نزلت الآية في شأن الأنصار رضي الله عنهم حيث كانوا يصلون في مسجد النبي عليه السلام ثم يمضون إلى قبا وبينهما ميلان وهما ساعة واحدة بالساعة النجومية.

وقال الكاشفي: اشهر آنست كه خواب نكردندى تا نماز خفتن ادا نفر مودندى ووقت آنرا دراز كشيدندى. وعن جعفر بن محمد أنه قال: من لم يهجع ما بين المغرب والعشاء حتى يشهد العشاء فهو منهم وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي: «صلاة الليل أفضل قال في نصف الليل وقليل فاعله». قال بعضهم:

نركس اندر خواب غفلت يافت بلبل صد وصال خفته نابينا بوددولت به بيداران رسد

وفي «المثنوي»:

درد پشتم داد حق تامن زخواب برجهم درنيم شب باسوز وتاب

درد دها بخشيد حق ازلطف خوبش تانخسبم جمله شب چون كاو ميش

قال داود بن رشيد من أصحاب محمد بن الحسن قمت ليلة فأخذني البرد فبكيت من العري فنمت فرأيت قائلاً يقول: يا داود أنمناهم وأقمناك فتبكي علينا فما نام داود بعد تلك الليلة. روزى شاكردى از شاكردان ابو حنيفة رحمه الله اوراكفت مردمان مى كويندكه ابو حنيفه هيچ بشب نمى خسبد كفت نيت كردم كه هركز ديكر نخسبم لما قال تعالى ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ [آل عمران: ١٨٨] ومن نخواهم كه ازان قوم باشم كه ايشانرا بچيزى كه نكرده باشند ياد كنند بعد ازان سى سال نماز بامداد بطهارت نماز خفتن كزارد. قال الشيخ أبو عمرو في سبب توبته: سمعت ليلة حمامة تقول: يا أهل الغفلة قوموا إلى ربكم رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم فلما سمعت ذلك ذهبت عني ثم لما جئت إلي وجدت قلبي خالياً عن حب الدنيا فلما أصبحت لقيت الخضر عليه السلام فدلني على مجلس الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه فدخلت عليه وسلمت نفسي إليه ولازمت بابه حتى جمع الله لي كثيراً من الخير.

﴿**وبالأسحار هم يستغفرون**﴾ السحر السدس الأخير من الليل لاشتباهه بالضياء كالسحر يشبه الحق وهو باطل أي: هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الأسحار كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم. واين دليل آنست كه بعمل خود معجب نبوده اند وازان حساب نداشته:

طاعت ناقص ما موجب غفران نشود راضيم كر مدد علت عصيان نشود

وفي بناء الفعل على الضمير المفيد للتخصيص إشعار بأنهم الأحقاء أن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطنابهم فيه وفي «بحر العلوم» تقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفاصلة وعن الحسن كانوا لا ينامون من الليل إلا أقله وربما نشطوا فمدوا إلى السحر ثم أخذوا بالأسحار في الاستغفار.

وفي «التأويلات النجمية» يستغفرون من رؤية عبادات يعملونها في سهرهم إلى الأسحار

بمنزلة العاصين يستغفرون استصغاراً لقدرهم واستحقاراً لفعلهم:

عــذر تــقــصــيــر خــدمــت آوردم كــه نــدارم بــطــاعــت اســتــظــهــار
عــاصــيــان ازكــنــاه تــوبــه كــنــنــد عــارفــان ازعــبــادت اســتــغــفــار

أي من التقصير في العبادة أو من رؤيتها قيل: يا رسول الله كيف الاستغفار؟ قال: «قولوا اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم» وقال عليه السلام: «توبوا فإني أتوب إلى الله في كل يوم مائة مرة» وفي الحديث «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فيقول: يا رب أنى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك» أي بأن قال: رب اغفر لي ولوالدي وفي بعض الأخبار إن أحب أحبائي إلي الذين يستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض شيئاً ذكرتهم فصرفت بهم عنهم. قال الحافظ:

هر كنج سعادت كه خداداد بحافظ ازيمن دعاى شب وورد سحرى بود

وقال:

دركوى عشق شوكت شاهى نمى خرند اقرار بندكى كن ودعوى چاكرى

وفي «المثنوي»:

كفت آنكه هست خورشيد راه او حرف طوبى هركه زلت نفسه
ظل ذلت نفسه خوش مضجعست مستعدان صفارا مهجعست
كرازين سايه روى سوى منى زود طاغى كردى وره كم كنى

وقال الكلبي ومجاهد وبالأسحار هم يصلون وذلك أن صلاتهم بالأسحار لطلب المغفرة وفي الحديث: «من تعار من الليل» هذا من جوامع الكلم لأنه يقال تعار من الليل إذا استيقظ من نومه مع صوت كذا في «الصحاح» وهذه اليقظة تكون مع كلام غالباً فأحب النبي عليه السلام أن يكون ذلك الكلام تسبيحاً وتهليلاً ولا يوجد ذلك إلا ممن استأنس بالذكر فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا» أي بدعاء آخر غير قوله اللهم اغفر لي: «استجيب له». هذا الجزاء مترتب على الشروط المذكورة والمراد بها الاستجابة اليقينية لأن الاحتمالية ثابتة في غير هذا الدعاء ولو لم يدع المتعار بعد هذا الذكر كان له ثواب لكنه عليه السلام لم يتعرض له. قال: توضأ وصلى قبلت صلاته. فريضة كانت أو نافلة وهذه المقبولية اليقينية مترتبة على الصلاة المتعقبة لما قبلها وفي الخبر الصحيح ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول: أنا الملك من الذي يدعوني فأستجيب له من الذي يسألني فأعطيه من الذي يستغفرني فأغفر له وكان النبي عليه السلام إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللهم لك الحمد أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك» قال داود عليه السلام: يا جبرائيل أي: الليل أفضل؟ قال: لا أدري إلا أن العرش يهتز وقت السحر ولا يهتز العرش إلا لكثرة تجليات الله إما تلقياً وفرحاً لأهل السهر وإما طرباً لأنين المذنبين والمستغفرين في ذلك الوقت وإما تعجباً لكثرة عفو الله ومغفرته وإجابته للأدعية في ذلك الوقت وإما تعجباً من حسن

لطف الله في تحننه على عباده الآبقين الهاربين منه مع غناه عنهم وكثرة احتياجهم إليه تعالى ثم مع ذلك هم غافلون في نومهم وهو يتوجه إليهم ويدعوهم بقوله: «هل من سائل هل من مستغفر هل من تائب هل من نادم» وقوله: «من يقرض غير عدوم ولا ظلوم» وإما تعجباً من غفلات أهل الغفلة بنومهم في مثل ذلك الوقت وحرمانهم من البركة وإما لأنواع قضاء الله وقدره في ذلك الوقت من الخيرات والشرور والليل إما للأحباب في أنس المناجاة وإما للعصاة في طلب النجاة والسهر لهم في لياليهم دائم أو لفرط أسف ولشدة لهف وإما للاشتياق أو للفراق كما قالوا:

كم ليلة فيك لا صباح لها أفنيتها قابضاً على كبدي

قد غصت العين بالدموع وقد وضعت خدي على بنان يدي

وإما لكمال أنس وطيب روح كما قالوا:

سقى الله عيشاً نضيراً مضى زمان الهوى في الصبي والمجنون

لياليه تحكي انسداد اللحا ظ للعين عند ارتداد الجفون

واعلم أن الله سبحانه أمر نبيه ﷺ بإحياء الليل لأن هذه الطريقة أقرب طريق إلى الله للمقبل الصادق وما يطيقها إلا المتمكن الصابر العابر من كل عائق وفي الحديث فرض علي قيام الليل ولم يفرض عليكم وذلك لأنه روح العالم ومداره فكيف يكون ولي الله بخيل بنفسه على الله متكاسل وبتكاسله يخرب العالم ويشتد جهل أهله كما أن الروح إذا ضعف اختل الجسد وقواه ومن هنا عرفت شدة توغل الأتقياء في العبادات وكلما قرب الإنسان من الكمال اشتد تكليفه فاعرف هذا.

ـ وروي ـ أن إلياس النبي عليه السلام أتى إليه ملك الموت ليقبضه فبكى فقال له: أتبكي وأنت راجع إلى ربك فقال: بل أبكي على ليالي الشتاء ونهار الصيف الأحباب يقومون ويصومون ويخدمون ويتلذذون بمناجاة محبوبهم وأنا رهين التراب فأوحى الله إليه قد أجلناك إلى يوم القيامة لحبك خدمتنا فتمتع.

قال الحافظ: دع التكاسل تغنم. فقد جرى مثل كه زاد را هروان جستيست وچالاكى.

﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿**وفي أموالهم حق**﴾ أي: نصيب وافر يستوجبونه على أنفسهم أي: يعدونه واجباً عليهم ويلزمونه تقرباً إلى الله وإشفاقاً على الناس فليس المراد بالحق ما أوجبه الله عليهم في أموالهم فاندفع به ما عسى يقال كيف يمدح المرء بأنه يثبت في ماله حق للفقراء فمن يمنع الزكاة من الأغنياء يوجد فيهم هذا المعنى ولا يستحقون المدح ﴿**للسائل**﴾ لحاجة المستجدي أي: طالب الجدوى والنفع ﴿**والمحروم**﴾ أي: المتعفف الذي يحسبه الناس غنياً فيحرم الصدقة وفي «القاموس» المحروم الممنوع من الخير ومن لا ينمى له مال وفي «المفردات» أي: الذي لم يوسع عليه في الرزق كما وسع على غيره بل منع من جهة الخير وفي «بحر العلوم» وإنما خصصه بالسائل والمحروم ولم يذكر سائر المستحقين لأن ذلك حق سوى الصدقة المفروضة بدليل قوله عليه السلام «إن في المال حقاً سوى الزكاة» انتهى يعني في المال حق واجب سوى الزكاة وهو الحقوق التي تلزم عندما يعرض من الأحوال من النفقة على الوالدين إذا كانا فقيرين

وعلى ذي الرحم المحرم وما يجب من طعام المضطر وحمل المنقطع ونحو ذلك وفي الحديث «ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا فيقول الله لأقربنكم اليوم ولأبعدنهم وتلا الآية» فلا بد من الإنفاق وهو من أحسن الأخلاق. قال الحافظ:

چه دوزخى چه بهشتى چه آدمى چه ملك بمذهب همه كفر طريقتست امساك

وقال الشيخ سعدي:

از زر وسيم راحتى برسان خويشتن هم تمتعى بركير

چونكه اين خانه ازتو خواهد ماند خشتى ازسيم وخشتى اززر كير

وفي الحديث: «إن لله ثلاثمائة وستين خلقاً من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة قال أبو بكر رضي الله عنه هل فيّ منها يا رسول الله قال: كلها فيك يا أبا بكر وأحبها إلى الله السخاء».

ـ حكي ـ أن الشيخ الشبلي قدس سره أشار إلى أصحابه بالتوكل فلم يفتح عليهم بشيء ثلاثة أيام ثم قال لهم: إن الله تعالى قد أباح الكسب بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥] فخرج واحد منهم فأعياه الجوع وجلس عند حانوت طبيب نصراني فعرف الطبيب جوعه من نبضه فأمر غلامه بالطعام فقال الفقير: قد ابتلي بهذه العلة أربعون رجلاً فأمر غلامه بحمل الطعام إليهم ومشى خلفه فلما وصل الطعام إليهم قال الشبلي: لا ينبغي أن تأكلوا قبل المكافأة بالدعاء فدعوا له فلما سمع الطبيب دعاءهم دخل وأسلم فظهر معنى قوله ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠] فجزاء إحسان الطبيب النصراني بالطعام الإحسان من عباد الله بالدعاء ومن الله بتوفيق الإسلام وفي الآية إشارة إلى ما آتاهم الله من فضله من المقامات والكمالات أنه فيها حق للطالبين الصادقين إذا قصدوهم من أطراف العالم في طلبها إذا عرفوا قدرها والمحروم من لم يعرف قدر تلك المقامات والكمالات فما قصدوهم في طلبها فلهم في ذمة كرم هؤلاء الكرام حق التفقد والنصح فإن الدين النصيحة فإنهم بمنزلة الطبيب والمحروم بمنزلة المريض فعلى الطبيب أن يأتي إلى المريض ويرى نبضه ويعرف علته ويعرفه خطره ويأمره بالاحتماء من كل ما يضره ويعالجه بأدوية تنفعه إلى أن يزيل مرضه وتظهر صحته كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ الإيقان بي كمان شدن. أي: دلائل واضحة على وجود الصانع وعلمه وقدرته وإرادته ووحدته وفرط رحمته من حيث إنها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في أقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن متفننة وأنها تلقح بألوان النبات وأنواع الأشجار وأصناف الثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وقال الكلبي عظات من آثار من تقدم.

وفي «التأويلات النجمية» منها أي: من تلك الآيات أنها تحمل كل شيء فكذا الموقن العارف يحمل كل حمل من كل أحد ومن استثقل حملاً أو تبرم برؤية أحد ساقه الله إليه فلغيبته عن الحقيقة ومطالعته الحق بعين التفرقة وأهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة ومنها أنها يلقى عليها قذارة وقمامة فتنبت كل زهر ونور وورد وكذلك العارف يتشرب ما يسقى من الجفاء ولا يترشح إلا بكل خلق على وشيمة زكية ومنها أن ما كان منها سبخاً يترك ولا يعمر لأنه لا

يحتمل العمارة كذلك من الإيمان له بهذه الطريقة يهمل فإن مقابلته بهذه القصة كإلقاء البذر في الأرض السبخة انتهى قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر ولا تبذر السمراء في الأرض عميان. يعني بيان الحقائق الذي هو غذاء القلب والروح كالسمراء يعني الحنطة للجسم وقوله في الأرض عميان يعني في أرض استعداد هذه الطوائف الذين لا يبصرون الحق ولا يشاهدونه في جميع الأشياء وفي «حقائق البقلي» آيات الأرض ظهور تجلي ذاته وصفاته في مرآة الأكوان كما ظهر من الطور لموسى عليه السلام وما ظهر من المصيصة لعيسى عليه السلام وهي بكسر الميم مدينة على ساحل البحر الرومي بجوار طرسوس والسيس وما ظهر لمحمد ﷺ من جبال مكة ألا ترى إلى قوله عليه السلام «جاء الله من سينا واستعين بساعة وأشرق من جبال فاران» أي: جبال مكة وفي «القاموس» فاران جبال مذكورة في التوراة منها بكر بن القاسم.

﴿**وفي أنفسكم**﴾: أي في أنفسكم آيات إذ ليس في العالم شيء إلا وفي الأنفس له نظير يدل دلالته على ما سبق تطبيق العالم الصغير بالكبير في أواخر حم السجدة عند قوله ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [فصلت: ٥٣] إلخ مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الأفعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة وفي «بحر العلوم» وفي الأرض دلائل من أنواع الحيوان والأشجار والجبال والأنهار وفي أنفسكم آيات لهم من عجائب الصنع الدالة على كمال الحكمة والقدرة والتدبير والإرادة فيكون تخصيصاً بعد تعميم لأن أنفس الناس مما في الأرض كأنه قيل في الأرض آيات للموحدين العاقلين وفي أنفسكم خصوصاً آيات لهم لأن أقرب المنظور فيه من كل عاقل نفسه ومن ولد منها وما في بواطنها وظواهرها من الدلائل الواضحة على الصانع وفي نقلها من هيئة وحال إلى حال من وقت الميلاد إلى وقت الوفاة قال بعضهم:

ففي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

وذلك لأن كل شيء بجسمه واحد وكذا بروحه ولا عبرة بكثرة الأجزاء والأعضاء وما من عدد إلا ويصح وصفه بالوحدة فيقال عشرة واحدة ومائة واحدة على أن كل جسم فهو منتهى إلى الجزء الذي لا يتجزى وهو النقطة وكل ألف فهو إما مركب من نقاط ثلاث أو خمس أو سبع وقس عليه سائر التركيبات الحروفية والفعلية.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن نفس الإنسان مرآة جميع صفات الحق ولهذا قال عليه السلام: من عرف نفسه فقد عرف ربه فلا يعرف أحد نفسه إلا بعد كمالها وكمالها في أن تصير مرآة تامة مصقولة قابلة لتجلي صفات الحق لها فيعرف نفسه بالمرآتية ويعرف ربه بالمتجلى فيها كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

جهان مرآت حسن شاهد ماست ... فشاهد وجهه في كل ذرات

﴿**أفلا تبصرون**﴾ أي: ألا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة حتى تعتبروا وتستدلوا بالصنعة على الصانع وبالنقش على النقاش وكذا على صفاته. قال الكاشفي: استفهام بمعنى امرست يعني بنظر عبرت درنكريد وعلامات كمال صنع درذات خود مشاهده كنيددر حقايق سلمى مذكور است كه هركه اين آيتها در نفس خودبيند ودر صفحه وجود آثار قدرت مطالعه ننمايد حظ خودرا ضايع كرده باشد واز زندكانى هيچ بهره نيابد:

نظري بسود خودكن كه توجان دلربايى مفكن بخاك خودراكه تواز بلند جايى
تو زچشم خود نهانى توكمال خود چه دانى چودراز صدف برون آكه توبس كران بهايى

قال الواسطي: تعرف إلى قوم بصفاته وأفعاله وهو قوله ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ وتعرف إلى الخواص بذاته فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الفرقان: ٤٥].

ـ روي ـ أن علياً رضي الله عنه صعد المنبر يوماً فقال: سلوني عما دون العرش فإن ما بين الجوانح علم جم هذا لعاب رسول الله ﷺ في فمي هذا ما رزقني الله من رسول الله رزقاً فوالذي نفسي بيده لو أذن للتوراة والإنجيل أن يتكلما فأخبرت بما فيهما لصدقاني على ذلك وكان في المجلس رجل يماني فقال: ادعى هذا الرجل دعوى عريضة لأفضحنه فقام وقال: يا علي أسأل قال: سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً فقال: أنت حملتني على ذلك هل رأيت ربك يا علي قال: ما كنت أعبد رباً لم أره فقال: كيف رأيت قال: لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأت القلوب بحقيقة الإيمان ربي واحد لا شريك له أحد لا ثاني له فرد لا مثل له لا يحويه مكان ولا يداوله زمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس فسقط اليماني مغشياً عليه فلما أفاق قال: عاهدت الله أن لا أسأل تعنتاً.

ـ وحكي ـ عن بعض الصالحين أنه رأى في المنام معروفاً الكرخي شاخصاً بصره نحو العرش قد اشتغل عن حور الجنة وقصورها فسألت رضوان: من هذا قال معروف الكرخي مات مشتاقاً إلى الله فأباح له أن ينظر إليه وهذا النظر هناك من نتائج النظر بالقلب في الدنيا لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢] وأما النظر بالبصر في الدنيا فلما لم يحصل لموسى عليه السلام لم يحصل لغيره إذ ليس غيره أكمل قابلية منه إلا ما حصل لرسول الله ﷺ وقد كان في خارج حد الدنيا إذ كان فوق العرش والعرش من العالم الطبيعي وملاق لعالم الأرواح.

واعلم أن رؤية العوام في مرتبة العلم ورؤية الخواص في مرتبة العين ولهم مراتب في التوحيد كالأفعال والصفات والذات فليجتهد العاقل في الترقي من مرتبة العلم إلى مرتبة العين ومن الاستدلال إلى الشهود والحضور.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وفي السماء رزقكم﴾ أي: أسباب رزقكم على حذف المضاف يعني به الشمس والقمر وسائر الكواكب واختلاف المطالع والمغارب التي يترتب عليه اختلاف الفصول التي هي مبادي حصول الأرزاق. كما قال الشيخ سعدي:

ابر وباد ومه وخورشيد وفلك دركارند تاتونانى بكف آرى وبغفلت نخورى
همه از بهر توسر كشته وفرمان برادر شرط انصاف نباشدكه توفر مان نبرى

أو في السماء تقدير رزقكم وقال ابن كيسان يعني على رب السماء رزقكم كقوله تعالى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] ﴿وما توعدون﴾ من الثواب لأن الجنة على ظهر السماء السابعة تحت العرش قرب سدرة المنتهى أو أراد أن كل ما توعدون من الخير والشر والثواب والعقاب والشدة والرخاء وغيرها مكتوب مقتدر في السماء. ودرتبيان كفته مكتوبست درلوحى كه در آسمان چهارم است. يقول الفقير: أمر العقاب ينزل من السماء ونفسه أيضاً كالصيحة والقذف والنار والطوفان على ما وقع في الأمم السالفة.

﴿فورب السماء والأرض﴾ أقسم الله بنفسه وذكر الرب لأنه في بيان التربية بالرزق ﴿إنه﴾ أي: ما توعدون أو ما ذكر من أمر الآيات والرزق على أنه مستعار لاسم الإشارة ﴿لحق﴾ هر آينه راستست. وفي الحديث «أبى ابن آدم أن يصدق ربه حتى أقسم له فقال: فورب» إلخ وقال الحسن في هذه الآية بلغني أن رسول الله عليه السلام قال: «قاتل الله أقواماً أقسم الله لهم بنفسه فلم يصدقوه» انتهى ولو وعد يهودي لإنسان رزقه وأقسم عليه لاعتمد بوعده وقسمه فقاتله الله كيف لا يعتمد على الرزق قال هرم بن سنان لأويس القرني رضي الله عنه: أين تأمرني أن أكون فأومأ إلى الشام فقال هرم: كيف المعيشة بها؟ قال أويس: أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها العظة ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ أي: كما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون ينبغي أن لا تشكوا في حقيقته وبالفارسية همچنانكه شك نيست شمارادر سخن خودشك نيست در روزى دادن من وغير او. ونصبه على الحالية من المستكن في الحق أو على أنه وصف لمصدر محذوف أي: إنه لحق حقاً مثل نطقكم فإنه لتوغله في الإبهام لا يتعرف بإضافته إلى معرفته وما زائدة أو عبارة عن شيء على أن يكون ما بعدها صفة لها بتقدير المبتدأ أي هو أنكم تنطقون.

وفي «التأويلات النجمية» كما نطقكم الله فتنطقون بقدرته بلا شك كذلك حق على الله أن يرزقكم ما وعدكم وإنما اختص التمثيل بالنطق لأنه مخصوص بالإنسان وهو أخص صفاته انتهى وفي الآية دليل للتوكل على الله وحث على طلب الحوائج منه وأحالهم على رؤية الوسائط ولو كانوا على محل التحقيق لما أحالهم على السماء ولا على الأرض فإنه لو كأنه السماء من حديد والأرض من نحاس فلم تمطر ولم تنبت وكان رزق جميع العباد على رقبة ولي من أولياء الله الكمل ما يبالي لأنه خرج من عالم الوسائط ووصل إلى صاحب الوسائط والله تعالى إنما يفعل عند الأسباب لا بالأسباب ولو رفع الأسباب لكان قادراً على إيصال الرزق فإنه إنما يفعل بأمر كُن وبيده الملكوت وهذا مقام عظيم قلما سلمت النفوس فيه من الاضطراب والقلق لعل الفتاح أدخلنا في دائرة الفتوح آمين وعن الأصمعي أقبلت في البصرة من الجامع بعد الجمعة فطلع أعرابي على قعود وهو بالفتح من الإبل ما يقتعده الراعي في كل حاجة فقال: من الرجل؟ قلت: من بني أصمع قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن أي: من بيت الله الحرام قال: اتل علي فتلوت ﴿والذاريات﴾ فلما بلغت قوله ﴿وفي السماء رزقكم﴾ قال: حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم فاستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح فقال: قد وجدنا ما وعد ربنا حقاً ثم قال: وهل غير هذا فقرأت ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ فصاح وقال: يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الخليل حتى حلف لم يصدقوه بالقول حتى ألجؤوه اليمين قالها ثلاثاً وخرجت معه نفسه نسأل الله التوكل والاعتماد.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم﴾ تفخيم لشأن الحديث لأنه استفهام معناه التعجب والتشويق إلى استماعه ومثله لا يكون إلا فيما فيه فخامة وعظيم شأن وتنبيه على أنه ليس مما علمه رسول الله عليه السلام بغير طريق الوحي إذ هو أمي لم يمارس الخط وقراءته ولم

يصاحب أصحاب التواريخ ففيه إثبات نبوته قال ابن الشيخ الاستفهام للتقرير أي: قد أتاك وقيل إن لم يأتك نحن نخبرك والضيف في الأصل مصدر ضافه إذا نزل به ضيفاً ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيفان قال الراغب أصل الضيف الميل يقال ضفت إلى كذا وأضفت كذا إلى كذا والضيف من مال إليك نزولاً بك وصارت الضيافة متعارفة في القرى كانوا اثني عشر ملكاً منهم جبرائيل وميكائيل وزقائيل وتسميتهم ضعيفاً لأنهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم أو لأنهم كانوا في حسبانه كذلك ﴿المكرمين﴾ صفة للضيف أي: المكرمين عند الله بالعصمة والتأييد والاصطفاء والقربة والسفارة بين الأنبياء كما قال ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] أو عند إبراهيم بالخدمة حيث خدمهم بنفسه وبزوجته وأيضاً بطلاقة الوجه وتعجيل الطعام وبأنهم ضيف كريم لأن إبراهيم أكرم الخليقة وضيف الكريم لا يكون إلا كريماً وفي الحديث «من آمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» قيل إكرامه تلقيه بطلاقة الوجه وتعجيل قراه والقيام بنفسه في خدمته وقد جاء في الرواية أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم عليه السلام أكرم أضيافك فأعد لكل منهم شاة مشوية فأوحى إليه أكرم فجعله ثوراً فأوحى إليه أكرم فجعله جملاً فأوحى إليه أكرم فتحير فيه فعلم أن إكرام الضيف ليس في كثرة الطعام فخدمهم بنفسه فأوحى إليه الآن أكرمت الضيف وقال بعض الحكماء لا عار للرجل ولو كان سلطاناً أن يخدم ضيفه وأباه ومعلمه ولا تعتبر الخدمة بالإطعام. قال الشيخ سعدي:

شنيدم كه مرديست پاكيزه بوم ... شناسا ورهرو دراقصاى روم
من وچند سالوك صحرا نورد ... برفتيم قاصد بديدار مرد
سروچشم هريك ببوسيد ودست ... بتميكن وعزت نشاند ونشست
زرش ديدم وزرع وشاكر دورخت ... ولي بي مروت چوبى بردرخت
بخلق ولطف كرم رومرد بود ... ولي ديكدانش قوي سرد بود
همه شب نبودش قرار وهجوع ... زتسبيح وتهليل ومار از جوع
سحر كه ميان بست ودر باز كرد ... هما لطف دوشينه آغاز كرد
يكى بدكه شيرين وخوش طبع بود ... كه باما مسافر دران ربع بود
مرا بوسه كفته بتصحيف ده ... كه درويش را توشه ازبوسه به
بخدمت منه دست بر كفش من ... مرا نان ده وكفش بر سربزن

﴿إذ دخلوا عليه﴾ ظرف للحديث فالمعنى هل أتاك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه ﴿فقالوا سلاماً﴾ أي: نسلم عليك سلاماً والفاء هناك إشارة إلى أنهم لم يخلوا بأدب الدخول بل جعلوا السلام عقيب الدخول ﴿قال﴾ إبراهيم ﴿سلام﴾ أي: عليكم سلام يعني سلام برشماباد. فهو مبتدأ خبره محذوف وترك العطف قصداً إلى الاستئناف فكأن قائلاً قال: ماذا قال إبراهيم في جواب سلامهم فقيل: ﴿قال سلام﴾ أي: حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لأن تحيتهم كانت بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث حيث نصبوا سلاماً وتحيته بالاسمية الدالة على دوام السلام وثباته لهم حيث عدل به إلى الرفع بالابتداء ﴿قوم منكرون﴾ يقال نكرت الرجل بكسر الكاف نكراً وأنكرته واستنكرته إذا لم تعرفه فالكل بمعنى وأصله أن يرد على القلب ما لا يتصوره وذلك ضرب من الجهل قال تعالى ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨] كما في «المفردات»

أي: قال إبراهيم في نفسه من غير أن يشعرهم بذلك هؤلاء قوم لا نعرفهم فهم منكرون عند كل أحد وقوله فنكرهم أي: بنفسه فقط فأحدهما غير الآخر وكانوا على أوضاع وأشكال خلاف ما عليه الناس وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض لأن السلام لم يكن تحيتهم لأنه كان بين أظهر قوم كافرين لا يحيي بعضهم بعضاً بالسلام الذي هو تحية المسلمين. وقال الكاشفي: يعني هركز چون شما قومى نديدم در صورت وقامت مرا بكوييد چه كسانيد ايشان كفته اند مهما نانيم.

﴿فراغ إلى أهله﴾ يقال راغ إلى كذا أي: مال إليه سراً فالاختفاء معتبر في مفهوم الروغ أي: ذهب إليهم على خفية من ضيفه فإن من أدب المضيف أن يبادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذراً من أن يكفه الضيف ويعذره أو يصير منتظراً.

ـ وحكي ـ أنه نزل ببعض المشايخ ضيف فأشار إلى مريد له بإحضار الطعام فاستبطأ فلما جاء سأله عن وجهه فقال المريد: وجدت على السفرة نملاً فتوقفت إلى أن خرجت منها فقال الشيخ: أصبت الفتوة ولما اطلع على هذه الحال بعض من هو أعلى حالاً من ذلك الشيخ قال: لم يصب الفتوة فإن الأدب تعجيل القرى وحق الضيف أحق من حق النمل فكان الواجب على المريد أن يلقيها على الأرض ويجيء بالسفرة مستعجلاً ﴿فجاء بعجل سمين﴾ الفاء فصيحة مفصحة عن جمل محذوفة والباء للتعدية والعجل ولد البقرة لتصور عجلته التي تعدم منه إذا صار ثوراً أو بقرة والسمن لكونه من جنس السمن وتولده عنه والمعنى فذبح عجلاً سميناً لأنه كان عامة ماله البقر واختار السمين زيادة في إكرامهم فحنذه أي: شواه فجاء به يعني پس بياورد كوساله فربه بريان كرده.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿فقربه إليهم﴾ بأن وضعه لديهم حسبما هو المعتاد ليأكلوا فلم يأكلوا ولما رأى منهم ترك الأكل ﴿قال ألا تأكلون﴾ منه إنكاراً لعدم تعرضهم للأكل وحثاً عليه.

ـ وروي ـ أنهم قالوا: نحن لا نأكل بغير ثمن قال إبراهيم: كلوا وأعطوا ثمنه قالوا: وما ثمنه قال: إذا أكلتم فقولوا بسم الله وإذا فرغتم فقولوا الحمد لله فتعجب الملائكة من قوله فلما رآهم لا يأكلون.

﴿فأوجس منهم﴾ الوجس الصوت الخفي كالإيجاس وذلك في النفس أي: أضمر في نفسه ﴿خيفة﴾ أي: خوفاً فتوهم أنهم أعداء جاؤوا بالشر فإن عادة من يجيء بالشر والضرر أن لا يتناول من طعام من يريد إضراره قال في «عين المعاني»: من لم يأكل طعامك لم يحفظ ذمامك.

يقول الفقير: يخالفه سلامهم فإن المسلم لا بد وأن يكون من أهل السلم وقيل وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا لعذاب ﴿قالوا﴾ حين أحسوا بخوفه ﴿لا تخف﴾ إنا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يمشي حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم ﴿وبشروه﴾وبشارت ومژده دادند مراورا. وفي سورة الصافات وبشرناه أي: بواسطتهم ﴿بغلام﴾ هو إسحاق والغلام

الطار الشارب والكهل ضده أو من حين يولد إلى أن يشب كما في «القاموس» ﴿عليم﴾ عند بلوغه واستوائه ولم تلد له سارة غيره.

﴿فأقبلت امرأته﴾ سارة لما سمعت بشارتهم إلى بيتها وكانت في زاوية تنظر إليهم قال ابن الشيخ فأقبلت إلى أهلها وكانت مع زوجها في خدمتهم فلما تكلموا بولادتها استحيت وأعرضت عنهم فذكر الله ذلك بلفظ الإقبال على الأهل ولم يذكره بلفظ الإدبار عن الملائكة قال سعدي المفتي كذا في «التفسير الكبير» ولا يناسبه قوله ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ [مريم: ٩] فإنه يقتضي كونها عندهم فالإقبال إليهم ﴿في صرة﴾ حال من فاعل أقبلت والصرة الصيحة الشديدة يقال صر يصر صريراً إذا صوت ومنه صرير الباب وصرير القلم أي: حال كونها في صيحة وهو صوت شديد وقيل صرتها قولها أوه أو يا ويلتي أو رنتها. وقال الكاشفي: درفرياد وميكفت الليلاء الليلاء اين كلمه بود در كفت ايشان كه وقت تعاظم أمور برزبان راندندى. والصرة أيضاً الجماعة المنضم بعضها إلى بعض كأنهم صروا أي: جمعوا في إناء وبها فسرها بعضهم أي: أقبلت في جماعة من النساء كنّ عندها وهي واقفة متهيئة للخدمة ﴿فصكت وجهها﴾ الصك ضرب الشيء بالشيء العريض يقال صكه أي: ضربه شديداً بعريض أو عام كما في «القاموس» أي: لطمته من الحياء لما أنها وجدت حرارة دم الحيض وقيل ضربت بأطراف أصابعها جبينها كما يفعله المتعجب وهي عادة النساء إذا أنكرن شيئاً. وقال الكاشفي: بس طبانچه زدروى خودرا چنانچه زنان در وقت تعجب كنند ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ أي: أنا عجوز عاقر لم ألد قط في شبابي فكيف ألد الآن ولي تسع وتسعون سنة سميت العجوز عجوزاً لعجزها عن كثير من الأمور وأصل العقم اليبس المانع من قبول الأثر والعقيم من النساء التي لا تقبل ماء الفحل قال في «القاموس»: العقم بالضم هزمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد وفي «عين المعاني» العقيم من سد رحمها ومنه الداء العقام الذي لا يرجى برؤه وبمعناه العاقر وهي المرأة التي لا تحبل ورجل عاقر أيضاً لمن لا يولد له وكانت سارة عقيماً لم تلد قط فلما لم تلد في صغرها وعنفوان شبابها ثم كبر سنها وبلغت سن الإياس استبعدت ذلك وتعجبت فهو استبعاد بحكم العادة لا تشكك في قدرة الله سبحانه وتعالى.

﴿قالوا كذلك﴾ أي: مثل ذلك الذي بشرناه ﴿قال ربك﴾ وإنما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا أنا نقول من تلقاء أنفسنا فالكاف في كذلك منصوب المحل على أنه صفة لمصدر قال الثانية أي: لا تستبعدي ما بشرناه به ولا تتعجبي منه فإنه تعالى قال مثل ما أخبرناك به ﴿إنه هو الحكيم العليم﴾ فيكون قوله حقاً وفعله محكماً لا محالة:

كسى كوبكار تودانا بود براتمام اوهم توانا بود
بجزدر كهش رومكن سوى كس مراددل خويش از وجوى وبس

روي أن جبريل عليه السلام قال لها: انظري إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوعه مورقة مثمرة فأيقنت ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع إبراهيم أيضاً حسبما شرح في سورة الحجر وإنما لم يذكر هنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر هٰهنا وفي سورة هود وفي الآية إشارة إلى أنه لا يجوز اليأس من فضل الله تعالى فإن المقدور كائن ولو بعد حين وقد أورقت وأثمرت شجرة مريم عليها السلام أيضاً وكانت يابسة كما مر في سورة مريم وقد اشتغل أفراد في كبرهم ففاقوا على أقرانهم في العلم فبعض محرومي البداية

مرزوقون في النهاية فمنهم إبراهيم بن أدهم وفضيل بن عياض ومالك بن دينار قدس الله أسرارهم فإنهم وإن بعدوا عن الفطرة الأصلية بسبب الأحوال العارضة لكنهم لما سبقت العناية في حقهم انجذبوا إلى الله فتقربوا لديه وأزالوا عن الفطرة الغواشي فمن استعجز قدرة الله تعالى فقد كفر وأما قولهم: «الصوفي بعد الأربعين بارد»، فهو يحسب الغالب لأن المزاج بعد الأربعين في الانحطاط لغلبة اليبوسة والبرودة لكن الله يحيي ويميت فيحيي في الكبر ما أماته في الصغر أي: في حال الشباب ويميت في الكبر ما أحياه في الصغر بأن يميت النفس في الكبر بعدما كانت حية في الشباب ويحيي القلب في الكبر بعدما كان ميتاً في الشباب ومن الله نرجو جزيل الفيض والعطاء.

﴿قال﴾ إبراهيم عليه السلام لما علم أنهم ملائكة أرسلوا لأمر ﴿فما خطبكم﴾ أي: شأنكم الخطير الذي لأجله أرسلتم سوى البشارة فإن الخطب يستعمل في الأمر العظيم الذي يكثر في التخاطب وقلما يعبر به عن الشدائد والمكاره حتى قالوا خطوب الزمان ونحو هذا والفاء فيه للتعقيب المتفرع على العلم بكونهم ملائكة ﴿أيها المرسلون﴾ أي: فرستاده شد كان.

﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ متمادين في إجرامهم وآثامهم مصرين عليها وفي «فتح الرحمن» المجرم فاعل الجرم آثم وهي صعاب المعاصي والمراد بهم قوم لوط

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿لنرسل عليهم﴾ أي: بعدما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة ﴿حجارة من طين﴾ أي: طين متحجر وهو ما طبخ فصار في صلابة الحجارة وهو السجيل يعني أن السجيل حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب عليها أسماء القوم ولو لم يقل من طين لتوهم أن المراد من الحجارة البرد بقرينة إرسالها من السماء فلما قيل من طين اندفع ذلك الوهم.

﴿مسومة﴾ مرسلة من سومت الماشية أي: أرسلتها لترعى لعدم الاحتياج إليها قال سعدي المفتي فيه أن الظاهر حينئذ من عند ربك بإثبات من الجارة انتهى أو معلمة للعذاب من السومة وهي العلامة أو معلمة ببياض وحمرة أو بسيما تتميز بها عن حجارة الأرض أو باسم من يرمي بها ويهلك ﴿عند ربك﴾ في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره تعالى ﴿للمسرفين﴾ أي: المجاوزين الحد في الفجور إذ لم يقنعوا بما أبيح لهم من النسوان للحرث بل أتوا الذكران وعن ابن عباس أي: للمشركين فإن الشرك أسرف الذنوب وأعظمها.

﴿فأخرجنا﴾ الفاء فصيحة مفصحة عن محذوف كأنه قيل فباشروا ما أمروا به فأخرجنا بقولنا ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [هود: ٨١، الحجر: ٦٥] إلخ فهو إخبار من الله وليس بقول جبريل. قال الكاشفي: چون إبراهيم معلوم فرمودكه بمؤتفكه مى روند بهلاك كردن قوم لوط دل مباركش بجهت برادر زاده متألم شدكه آيا حال او دران بلا چكونه كذرد ملائكه كفتند غم مخوركه لوط عليه السلام ودختران او نجات خواهند يافت. وذلك قوله تعالى: ﴿فأخرجنا من كان فيها﴾

أي: في قرى قوم لوط وهي خمس على ما في «تفسير الكاشفي» وإضمارها بغير ذكرها لشهرتها ﴿من المؤمنين﴾ من آمن بلوط.

﴿فما وجدنا فيها غير بيت﴾ أي: غير أهل بيت ﴿من المسلمين﴾ قيل هم لوط وابنتاه وأما امرأته فكانت كافرة وإليه الإشارة بقول الشيخ سعدي:

بابدان يار كشت همسر لوط   خاندان نبوتش كم شد

سك اصحاب كهف روزى چند   پى نيكان كرفت ومردم شد

وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر. وكفته انديك كس ازان قوم بلوط ايمان آورده بود درمدت بيست سال.

قال العلماء يأتي النبي يوم القيامة ومعه أمته وآخر معه قومه وآخر معه رهطه وآخر معه ابنه وآخر معه رجل وآخر استتبع ولم يتبع ودعا فلم يجب وذلك لإتيانه في الوقت الشديد الظلمة وفي الآية إشارة إلى أن المسلم والمؤمن متحدان صدقاً وذاتاً لا مفهوماً والمسلم أعم من المؤمن فإنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم من غير عكس والعام والخاص قد يتصادقان في مادة واحدة وقال بعضهم: الإيمان هو التصديق بالقلب أي: إذعان لحكم المخبر وقبوله وجعله صادقاً والإسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول الأحكام والإذعان وهذا حقيقة التصديق كما لا يخفى على من له أدنى عقل وتأمل وإنكار ذلك مكابرة.

﴿وتركنا فيها﴾ أي: في تلك القرى ﴿آية﴾ علامة دالة على ما أصابهم من العذاب هي تلك الحجارة أو ماء أسود منتن خرج من أرضهم ﴿للذين يخافون العذاب الأليم﴾ أي: من شأنهم أن يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب القاسية فإنهم لا يعتدون بها ولا يعدونها آية كما شاهدنا أكثر الحجاج حين المرور بمدائن صالح عليه السلام وكان عليه السلام يبكي حين المرور بمثل هذه المواضع وينكس رأسه ويأمر بالبكاء والتباكي ودلت الآية على كمال قدرته تعالى على إنجاء من يؤيد دينه والانتقام من أعدائه ولو بعد حين وعلى أن المعتبر في باب النجاة والحشر مع أهل الفلاح والرشاد هو حبهم وحسن اتباعهم وهو الاتصال المعنوي لا الاختلاط الصوري وإلا لنجت امرأة نوح ولوط وقد قال تعالى في حقهما ﴿ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠] فعلى العاقل باتباع الكامل والاحتراز عن أهل الفساد والقصور سيما الناقصات في العقل والدين والشهادة والميراث والنفسانية والشيطانية غالبة فيهن فإذا اقترن بمضل آخر فسدن، وفي الآية إشارة إلى أن القوم المجرمين المسرفين هم النفس وصفاتها الذميمة والأذكار والأوراد والمجاهدات والرياضات مهلكة للنفس وأوصافها وليس في مدينة الشخص الإنساني من المسلمين إلا القلب السليم وأوصافه الحميدة فهي سالمة من الهلاك وإذا أهلكت النفس وأوصافها بما ذكر يكون تزكيتها وتهذيب أخلاقها آية وعبرة للذين يخافون العذاب الأليم بوعيد ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩ - ١٠] ثم هذه التزكية وإن كان حصولها في الخارج بالأسباب والوسائط لكنها في الحقيقة فضل من الله سبحانه وإلا لنالها كل من تشبث بالأسباب نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل النفوس المطمئنة الراضية المرضية الصافية.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝٣٨﴾

﴿وفي موسى﴾ عطف على قوله: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ فقصة إبراهيم ولوط عليهما السلام معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه تسلية لرسول الله عليه السلام من تكذيبهم ووعداً له بإهلاك أعدائه الأفاكين كما أهلك قوم لوط أو على قوله ﴿وتركنا فيها آية﴾ على معنى وجعلنا في إرسال موسى إلى فرعون وإنجائه مما لحق فرعون وقومه من الغرق آية كقول من قال: «علفتها تبناً وماء بارداً» أي: وسقيتها ماء بارداً وإلا فقوله في موسى: لا يصح كونه معمولاً لتركنا إذ لا يستقيم أن يقال تركنا في موسى آية كما يصح أن يقال تركنا في تلك القرية آية لأن الترك ينبىء عن الإبقاء فإذا لم يبق موسى كيف يبقى ما جعل فيه ﴿إذ أرسلناه﴾ منصوب بآية محذوفة أي: كائنة وقت أرسلنا وعلى الثاني ظرف لجعلنا المقدر ﴿إلى فرعون﴾ صاحب مصر ﴿بسلطان مبين﴾ هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة كالعصا واليد البيضاء وغيرهما والسلطان مصدر يطلق على المتعدد.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿فتولى بركنه﴾ أي: ثنى عطفه وهو كناية عن الإعراض أي: فأعرض عن الإيمان به وازور فالتولي بمعنى الإعراض والباء في بركنه للتعدية كما في قوله ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٣] فإنها معدية لنأى بمعنى بعد فيكون الركن بمعنى الطرف والجانب والمراد بهما نفسه فإنه كثيراً ما يعبر بطرف الشيء وجانبه عن نفسه وفي «الصحاح» ركن الشيء جانبه الأقوى كالمنكب بالنسبة إلى الإنسان وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فإن الركن اسم لما يركن إليه الإنسان وليكن من مال وجند وقوة فالركن مستعار لجنوده تشبيهاً لهم بالركن الذي يتقوى به البنيان وعلى هذه الباء للسببية أو للملابسة والمصاحبة ﴿وقال﴾ هو أي: موسى ﴿ساحر﴾ جادوست بچشم بندى خوارق عادات مينمايد ﴿أو مجنون﴾ أو ديوانه است عاقبت كار خود نمى انديشد. والمجنون ذو الجنون وهو زوال العقل وفساده كأنه نسب ما ظهر على يديه من الخوارق العجيبة إلى الجن وتردد في أنه حصل باختياره وسعيه أو بغيرهما وقال أبو عبيدة أو بمعنى الواو إذ نسبوه إليهما جميعاً كقوله إلى مائة ألف أو يزيدون محققان كفته اندطعن وى بر موسى دليل كمال جهل اوست چه اورابد وچيز متضاد طعن زد ومقررست كه سحررا عقلي تمام وذهني دراك وحذاقتي وافربايد وديوانكى دليل زوال عقلست وكمال عقل وزوال أن ضدانند.

﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ النبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به أي: فطرحناهم في بحرالقلزم مع كثرتهم كما يطرح أحدكم فيه حصيات أخذهن في كفه لا يبالي بها وبزوالها عنه ﴿وهو مليم﴾ أي: أخذناه والحال أنه آت بما يلام عليه صغيرة أو كبيرة إذ كل صاحب ذنب ملوم على مقدار ذنبه. قال الكاشفي: مليم مستحق ملامت بوديا ملامت كنند خودراكه چرا اعراض كردم ازموسى وبر وطعنه زدم وبدين سبب كفت آمنت انه الخ:

بكوى آنچه دانى سخن سود مند وكر هيچ كس رانيايد پسند
كه فردا پشيمان بر آرد خروش كه آوخ چرا حق نكردم بكوش

وفي الآية إشارة إلى موسى القلب إذ أرسله الله إلى فرعون النفس بسلطان وهو عصا لا إله إلا الله مبين إعجازها بأن تلقف ما يأفكون من بحر تمويهات سحرة صفات فرعون النفس

فأعرض عن رؤية الإعجاز والإيمان بجميع صفاته فأهلكه الله في يم الدنيا والقهر والجلال ونعوذ بالله من غضب الملك المتعال وقد كان ينسب موسى القلب إلى السحر أو الجنون فإن من خالف أحداً فهو عنده مجنون وليس موسى القلب مجنوناً بل مجذوباً والفرق بينهما أن المجنون ذهب عقله باستعمال مطعوم كوني أو غير ذلك والمجذوب ذهل عقله لما شاهد من عظم قدرة الله تعالى فعقله مخبوء عند الحق منعم بشهوده عاكف بحضرته متنزه في جماله فهم أصحاب عقول بلا عقول وهم في ذلك على ثلاث مراتب: منهم من يكون وارده أعظم من القوة التي يكون في نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون تحت تصرف الحال ولا تدبير له في نفسه ما دام في ذلك الحال ومنهم من يمسك عقله هناك ويبقى عليه عقل حيوانيته فيأكل ويشرب ويتصرف من غير تدبير ولا رؤية ويسمى هذا من عقلاء المجانين لتناوله العيش الطبيعي كسائر الحيوانات ومنهم من لا يدوم له حكم الوارد فيزول عنه الحال فيرجع إلى الناس بعقله فيدبر أمره ويعقل ما يقول ويقال له ويتصرف عن تدبير وروية مثل كل الإنسان وذلك هو صاحب القدم المحمدي فإنه ﷺ كان يؤخذ عن نفسه عند نزول الوحي ثم يسري عنه فيلقي ما أوحي به إليه على الحاضرين.

واعلم أن المجاذيب لا يطالبون بالآداب الشرعية لذهاب عقولهم بما طرأ عليها من عظيم أمر الله تعالى:

هركه كرد ارجام حق يكجرعه نوش نه ادب ماند درونه عقل وهوش

وحكمهم عند الله حكم من مات على حالة شهود ونعت استقامة وحالهم في الدنيا حكم الحيوان ينال جميع ما يطلب حكم طبيعته من أكل وشرب ونكاح من غير تقييد ولا مطالبة عليه عند الله مع وجود الكشف وبقائه عليهم كما تكشف البهائم وكل دابة حياة الميت على النعش وهو يحور ويقول: قدموني إن كان سعيداً ويقول: أين تذهبون بي إن كان شقياً فذاهب العقل معدود في الأموات لذهاب عقله معدود في الأحياء بطبعه فهو من السعداء الذين رضي الله عنهم وأكثر المجانين من غلبة المكاشفات والمشاهدات يعني أنهم يكاشفون الأمور الغيبية والأحوال الملكوتية ويشاهدون ما خفي عن أعين العامة وذلك من غير سبق المجاهدة منهم فبذلك يخرجون عن دائرة العقل إذ لا يتحملون الفتح الفجائي لعدم تهيئهم قبله ثم يتعسر إدخالهم في دائرة العقل إلا إن أراد الله تعالى ذلك فالمقبول البقاء على العقل وأن يكون المرء غالباً على حاله لا أن يكون الحال غالباً والأول من أحوال أهل النهاية والثاني من أحوال أهل البداية والله الغالب على أمره.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وفي عاد﴾ أي: وفي قوم هود آيات إن كان معطوفاً على وفي الأرض أو وجعلنا فيهم آية على تقدير كونه معطوفاً على قوله **﴿وتركنا فيها آية﴾** **﴿إذ أرسلنا عليهم﴾** أي: على أنفسهم أصالة وعلى دورهم وأموالهم وأنعامهم تبعاً **﴿الريح العقيم﴾** العقم بالضم هزمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد كما في «القاموس» وصفت بالعقم لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم فالعقيم بمعنى المعقم أو العاقم وفيه استعارة تبعية شبه إهلاكهم وقطع دابرهم بإعقام النساء التي لا يلدن ولا يعقبن ثم أطلق المشبه به على المشبه واشتق منه العقيم أو وصفت به لأنها لم تتضمن خيراً ما

من إنشاء مطر أو إلقاح شجره يعني شبه عدم تضمنها منفعة بعقم المرأة ثم أطلق عليه فالعقيم بمعنى الفاعل من اللازم وفي «بحر العلوم» ولعله سماها عقيماً لأنها كانت سبب قطع الأرحام من الولادة بإهلاكها إياهم وقطعها دابرهم وهي من رياح العذاب والهلاك وهي النكباء على قول علي رضي الله عنه وهي التي انحرفت ووقعت بين ريحين أو بين الصبا والشمال وهي الدبور على قول ابن عباس رضي الله عنهما ويؤيده قوله عليه السلام: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» وهي ريح تقابل الصبا أي: ريح تجيء من جانب المغرب فإن الصبا تجيء من جانب المشرق وقال ابن المسيب: الريح العقيم هي الجنوب مقابل الشمال وهي ريح تجيء من شمال من يتوجه إلى المشرق.

﴿**ما تذر**﴾ أي: ما تترك يقال ذره أي: دعه يذره تركاً ولا تقل وذراً وأصله وذره يذره نحو وسعه يسعه لكن ما نطقوا بماضيه ولا بمصدره ولا باسم الفاعل ﴿**من شيء أتت عليه**﴾ أي: جرت عليه من أنفسهم ودورهم وأموالهم وأنعامهم ﴿**إلا جعلته كالرميم**﴾ كالشيء البالي المتفتت فهو كل ما رم وبلي وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك وبالفارسية مثل كياه خشك يا استخوان كهنه شده ريزيده. وفي «القاموس» رم العظم يرم رمة بالكسر ورماً ورميماً وارم بلي فهو رميم وفي «المفردات»: الرمة بالكسر تختص بالعظم والرمة بالضم بالحبل البالي والرم بالكسر بالفتات من الخشب والحشيش والتبن وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما أرسل على عاد من الريح إلا مثل خاتمي هذا يعني أن الريح العقيم تحت الأرض فأخرج منها مثل ما يخرج من الخاتم من الثقب فأهلكهم الله به وفيه إشارة إلى شدة تلك الريح وأشير بكونها تحت الأرض إلى ريح الهوى التي تحت أرض الوجود فهي أيضاً شديدة جداً فإنها حيث هبت تركت الديار بلاقع وأيضاً هي ريح جلال الله تعالى وقهره فإنها إذا هبت تميت النفوس عن أوصافها فلا يبقى منها شيء فالعقيم في بر الجسد والعاصف والقاصف في بحر الروح وكان عليه السلام يتعوذ بالله تعالى حين تهب الرياح الشديدة فليتعوذ العاقل من المهلكات فإنه إذا هلكت النفس بالهلاك الصوري قبل الكمال خسرت التجارة وكذا إذا هلك القلب فإن حياة المرء حينئذ لا فائدة فيها. سؤال كردنداز حسن بصري رحمه الله كه يا شيخ دلهاى ما خفته است سخن تودروى كار واثر نمى كندچه كنيم كفت كاشكى خفته بودى كه خفته رابجنبانى بيدار شود امادلهاى شما مرده است كه هرجند مى جنبانى بيدار نمى كردد. قال المولى الجامي:

أي بمهد بدن چو طفل صغير ... مانده دردست خواب غفلت اسير

پيش ازان كت اجل كند بيدار ... كرنمردى زخواب سر برادر

قال محمد بن حامد رحمه الله: وكان جالساً عند أحمد بن حضرويه وهو في النزع وقد أتى عليه خمس وتسعون سنة: هو ذا يفتح لي الساعة لا أدري أيفتح بالسعادة أم بالشقاوة وعن خلف بن سالم رحمه الله قال: قلت لأبي علي بن المعتوه: أين مأواك؟ قال: دار يستوي فيها العزيز والذليل قلت: وأين هذه الدار؟ قال: المقابر قلت: أما تستوحش في ظلمة الليل قال: إني أذكر ظلمة اللحود ووحشتهن فتهون علي ظلمة الليل قلت له: فربما رأيت في المقابر شيئاً تنكره قال: ربما ولكن في هول الآخرة ما يشغل عن هول المقابر ووجد مكتوباً على بعض القبور:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه ... لقاؤك لا يرجى وأنت قريب

يزيد بلاء كل يوم وليلة ... ويبلى كما تبلى وأنت حبيب

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿**وفي ثمود**﴾ أي: وفي قوم صالح آيات أو وجعلنا فيهم آية ﴿**إذ قيل لهم تمتعوا**﴾ أي: انتفعوا بالحياة الدنيا ﴿**حتى حين**﴾ إلى وقت نزول العذاب وهو آخر ثلاثة أيام: الأربعاء، والخميس، والجمعة، فإنهم عقروا الناقة يوم الأربعاء وهلكوا بالصيحة يوم السبت وقد فسر بقوله: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] قيل: قال لهم صالح عليه السلام: تصبح وجوهكم غداً مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فكان كذلك وإنما تبدلت ألوانهم بما ذكر لأنهم كانوا كل يوم في الترقي إلى سوء الحال ولا شك أن الأبيض يصير أصفر ثم أحمر ثم أسود والسواد من ألوان الجلال والقهر وأيضاً لون جهنم فإنها سوداء مظلمة فعند الهلاك صاروا إلى لون جهنم لأنها مقرهم ونعوذ بالله منها.

﴿**فعتوا عن أمر ربهم**﴾ أي: فاستكبروا عن الامتثال به وبالفارسية پس سر كشيدند ازفرمان آفريد كار خود وبتدارك كارخود مشغول نكشتند. يقال عتا عتواً وعتياً استكبر وجاوز الحد فهو عات وعتي وأمر ربهم هو ما أمروا به على لسان صالح عليه السلام من قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النمل: ٤٥] وقوله: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣] أو شأن ربهم وهو دينه أو صدر عتوهم عن أمر ربهم وبسببه كان أمر ربهم بعبادته وترك الناقة كان هو السبب في عتوهم كما في «بحر العلوم» والفاء ليست للعطف على قيل لهم فإن العتو لم يكن بعد التمتع بل قبله وإنما هو تفسير وتفصيل لما أجمله في قوله وفي ثمود إلخ فإنه يدل إجمالاً على أنه تعالى جعل فيهم آية ثم بين وجه الآية وفصلها قال في «شرح الرضي» إن الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاماً مرتباً على ما قبلها في الذكر لأن مضمونها عقيب مضمون ما قبلها في الزمان.

﴿**فأخذتهم الصاعقة**﴾ قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا إلى قتله عليه السلام فنجاه الله إلى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة جبريل عليه السلام كما صرح بها في قوله ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧] فهلكوا فالمراد بالصاعقة الصيحة لا حقيقتها وهي نار تنزل من السماء فتحرق ما أصابته وقيل: أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وقال بعضهم: أهلكوا بالصاعقة حقيقة بأن جاءت نار من السماء فأهلكتهم جميعاً ﴿**وهم ينظرون**﴾ إليها ويعاينونها لأنها جاءتهم معاينة بالنهار فينظرون من النظر بالعين وفيه ترجيح لكون المراد بالصاعقة حقيقة النار لأنها حين ظهرت رأوها بأعينهم والصيحة لا ينظر إليها وإنما تسمع بالأذن والظاهر أن الصاعقة لا تنافي أن يكون معها صيحة جبريل وقيل هو من الانتظار أي: ينتظرون ما وعدوا به من العذاب حيث شاهدوا علامات نزوله من تغير ألوانهم في تلك الأيام ويقال سمعوا الصيحة وهم ينظرون أي: يتحيرون.

﴿**فما استطاعوا من قيام**﴾ كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨] أي: لاصقين بمكانهم من الأرض لا يقدرون على الحركة والقيام فضلاً عن الهرب فالقيام ضد القعود ﴿**وما كانوا منتصرين**﴾ بغيرهم كما لم يمتنعوا بأنفسهم قال في «تاج المصادر» الانتصار داد بستدن.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وقوم نوح﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح فإن ما قبله يدل عليه ويجوز أن يكون منصوباً باذكر المقدر ﴿من قبل﴾ أي: من قبل هؤلاء المهلكين ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي وهو علة لإهلاكهم.

واعلم أن الله تعالى قد أرسل الرسل وشرع الشرائع وحد الحدود فمتى تعديت الحد الذي حد لك الشارع صرت فاسقاً وأطعت الشيطان وتنحى عنك عند العصيان الملك المؤيد للمؤمنين فإذا وكل العبد إلى نفسه وإلى الشيطان فقد هلك وكل نار وعذاب وبلاء فإنما يأتي من الداخل لا من الخارج إذ لا خارج من وجود الإنسان فالعذاب صورة أوصافه وأفعاله وأخلاقه عادت إليه حين عصى الله تعالى وكذا الثواب صورة ذلك عادت إليه حين أطاع الله تعالى فإن قلت كل ذلك إذا كان من أحوال العين الثابتة للعبد فكل عبد فإنما يمر على طريقه في الهداية والضلالة فما معنى دعوة الأنبياء وإرشاد الأولياء قلت تلك الدعوة أيضاً من أحوال أعيان المدعوين فخلاف المخالفين وإن كان من التجلي لكن حقائق الأنبياء اقتضت التجلي بموافقة التجلي من وجه والرد عليه من آخر فكان أمرهم حيرة فلو كانوا يخدمون التجلي مطلقاً لما ردوا على أحد فإذا ورد الأمر التكليفي فإما أن يوافقه الأمر الإرادي أو لا فإن وافقه فالمكلف منتقل من دائرة الاسم المضل إلى دائرة الاسم الهادي وذلك الانتقال من أحوال عينه وإن لم يوافقه فمعنى التكليف أنه من أحوال عينه ولا بد وأيضاً فيه تمييز الشقي من السعيد وبالعكس فاعرف هذه الجملة تسعد واجتهد حتى ينقلك الله من دائرة الجانب إلى دائرة الأحباب ولا تغتر بكثرة الدنيا وطول العمر كما فعل الكفار والفساق حتى لا يحل بك ما حل بهم من الصاعقة والطوفان مع أن صاعقة الموت وطوفان الحوادث لا بد وأن تحل بكل أحد بحيث لا يستطيع القيام من مكانه فيموت في مقامه.

قال الشيخ سعدي في «البستان»:

كهن سالى آمد بنزد طبيب	زنالـيدنش تابمردن قريب
كه دستم برك برنه اى نيك راى	كه پايم همى برنيايد زجاى
بدان ماند اين قامت جفته ام	كه كويى بكل در فرو رفته ام
بدو كفت دست ازجهان دركسل	كه پايت قيامت برايد زكل
نشاط جوانى زپيران مجوى	كه آب روان بازنايد بجوى
اكر درجوانى زدى دست وپاى	درايام پيرى بهش باش وراى
چودوران عمر از چهل در كذشت	مزن دست وپا كابت از سر كذشت
نشاط ازمن آنكه رميدن كرفت	كه شامم سپيده ،ميدن كرفت
ببايد هوس كردن از سر بدر	كه روز هو سبازى آمد بسر
بسبزى كجا تازه كردد دلم	كه سبزه بخواهد دميد از كلم
تفرج كنان درهوا وهوس	كذشيتم برخاك بسيار كس
كسايكه ديكر بغيب اندراند	بيايند وبرخاك ما بكذرند
دريغا كه فصل جواني برفت	بلهو ولعب زند كانى برفت

ريغا چنين روح پرور زمان | كه بكذشت بر ما چو برق يمان
زسود اى آن پوشم واين خورم | نپردا ختم تاغم دين خورم
دريغا كه مشغول باطل شديم | زحق دور مانديم وغافل شديم
چه خوش كفت با كودك آموزكار | كه كارى نكرديم وشد روز كار

أي ضاع زماننا ومضى بلا فائدة.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿**والسماء بنيناها**﴾ نصب السماء على الاشتغال أي: وبنينا السماء بنيناها حال كوننا ملتبسين ﴿**بأيد**﴾ أي: بقوة فهو حال من الفاعل أو ملتبسة بقوة فيكون حالاً من المفعول ويجوز أن تكون الباء للسببية أي: بسبب قدرتنا فتتعلق ببنيناها لا بالمحذوف والقوة هنا بمعنى القدرة فإن القوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف والله تعالى منزه عن ذلك والقدرة هي الصفة التي بها يتمكن الحي من الفعل وتركه بالإرادة.

قال الكاشفي: بقوت الوهيت وكفته اند بقدرتي بر آفر ينش داشتيم يقال آد يئيد أيدا أي: اشتد وقوي قال في «القاموس» الآد الصلب والقوة كالأيد وآيدته مؤايدة وأيدته تأييداً فهو مؤيد قويته انتهى قال الراغب ولما في اليد من القوة قيل أنا يدك وأيدتك قويت يدك ﴿**وإنا لموسعون**﴾ لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الاتفاق قال في «تاج المصادر»: الإيساع توانكر شدن وتمام فراسيدن ويقال أوسع الله عليك أي: أغناك انتهى فيكون قوله: ﴿**وإنا لموسعون**﴾ حالاً مؤكدة أو تذييلاً إثباتاً لسعة قدرته كل شيء فضلاً عن السماء أو لموسعون السماء أي: جاعلوها واسعة أو ما بينها وبين الأرض أو الرزق على خلقنا لقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ [الذاريات: ٢٢] وفيه إشارة إلى أن وسعة البيت والرزق من تجليات الاسم الواسع.

﴿**والأرض**﴾ أي: وفرشنا الأرض ﴿**فرشناها**﴾ مهدناها وبسطناها من تحت الكعبة مسيرة خمسمائة عام ليستقروا عليها ويتقلبوا كما يتقلب أحدهم على فراشه ومهاده ﴿**فنعم الماهدون**﴾ أي: نحن وهو المخصوص بالمدح المحذوف أي: هم نحن فحذف المبتدأ والخبر من غير أن يقوم شيء مقامهما وقد اختلف القدماء في هيئة الأرض وشكلها فذكر بعضهم أنها مبسوطة مستوية السطح في أربع جهات: المشرق والمغرب والجنوب والشمال وزعم آخرون أنها كهيئة المائدة ومنهم من زعم أنها كهيئة الطبل وذكر بعضهم أنها تشبه نصف الكرة كهيئة القبة وأن السماء مركبة على أطرافها وزعم قوم أن الأرض مقعرة وسطها كالجام والذي عليه الجمهور أن الأرض مستديرة كالكرة وأن السماء محيطة بها من كل جانب إحاطة البيضة بالمخ فالصفرة بمنزلة الأرض وبياضها بمنزلة السماء وجلدها بمنزلة السماء الأخرى غير أن خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة بل هي مستديرة كاستدارة الكرة المستوية الخرط حتى قال مهندسوهم: لو حفر في الوهم وجه الأرض لأدى إلى وجه الآخر ولو ثقب مثلاً ثقب بأرض الأندلس لنفذ الثقب بأرض الصين واختلف في كمية عدد الأرضين فروي في بعض الأخبار أن بعضها فوق بعض وغلظ كل أرض مسيرة خمسمائة عام حتى عد بعضهم لكل أرض أهلاً على

صفة وهيئة عجيبة وسمى كل أرض باسم خاص كما سمى كل سماء باسم خاص وزعم بعضهم أن في الأرض الرابعة حيات أهل النار وفي الأرض السادسة حجارة أهل النار وعن عطاء بن يسار في قوله تعالى ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] قال في كل أرض آدم كآدمكم ونوح مثل نوحكم وإبراهيم مثل إبراهيمكم وليس هذا القول بأعجب من قوله الفلاسفة إن الشموس شموس كثيرة والأقمار أقمار كثيرة ففي كل إقليم شمس وقمر ونجوم وقالت القدماء الأرض سبع على المجاورة والملاصقة وافتراق الأقاليم لا على المطابقة والمكابسة وأهل النظر من المسلمين يميلون إلى هذا القول ومنهم من يقول سبع على الانخفاض والارتفاع كدرج المراقي ويزعم بعضهم أن الأرض مقسومة لخمس مناطق وهي المنطقة الشمالية والجنوبية والمستوية والمعتدلة والوسطى واختلفوا في مبلغ الأرض وكميتها فروي عن مكحول أنه قال ما بين أقصى الدنيا إلى أدناها مسيرة خمسمائة سنة مائتان من ذلك في البحر ومائتان ليس يسكنها أحد وثمانون فيها يأجوج ومأجوج وعشرون فيها سائر الخلق وعن قتادة قال: الدنيا أربعة وعشرون ألف فرسخ فملك السودان منها اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ وملك العرب ألف فرسخ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ربع من لا يلبس الثياب من السودان أكثر من جميع الناس وقال بطليموس بسيط الأرض كلها مائة واثنان وثلاثون ألف ألف وستمائة ألف ميل فتكون مائتي ألف وثمانية وثمانين ألف فرسخ فإن كان حقاً فهو وحي من الحق أو إلهام وإن كان قياساً واستدلالاً فهو قريب من الحق أيضاً وأما قوله قتادة ومكحول فلا يوجب العلم اليقيني الذي يقطع على الغيب به كذا في «خريدة العجائب».

﴿**ومن كل شيء**﴾ أي: من أجناس الموجودات فالمراد بالشيء الجنس وقيل من الحيوان ﴿**خلقنا زوجين**﴾ صنفين ونوعين مختلفين كالذكر والأنثى والسماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والصيف والشتاء والبر والبحر والسهل والجبل والإنس والجن والنور والظلمة والأبيض والأسود والدنيا والآخرة والإيمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والمر والموت والحياة والرطب واليابس والجامد والنامي والمدر والنبات والناطق والصامت والحلم والقهر والجود والبخل والعز والذلة والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والصحة والسقم والغنى والفقر والضحك والبكاء والفرح والغم والفوق والتحت واليمين والشمال والقدام والخلف والحرارة والبرودة وهلم جرا.

قال الراغب: يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوان المتزاوج زوج ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج كالخف والنعل ولكل ما يقترن بالآخر مماثلاً له أو مضاداً زوج وفي قوله ﴿**ومن كل شيء خلقنا زوجين**﴾ تنبيه على أن الأشياء كلها مركبة من جوهر وعرض ومادة وصورة وأن لا شيء يتعرى منها إذ الأشياء كلها مركبة من تركيب يقتضي كونه مصنوعاً وأنه لا بد له من صانع تنبيهاً على أنه تعالى هو الفرد فبين بقوله ومن كل شيء إلخ أن كل ما في العالم فإنه زوج من حيث إن له ضداً ما أو مثلاً ما أو تركيباً ما بل لا ينفك من وجه من تركب وإنما ذكر هٰهنا زوجين تنبيهاً على أنه وإن لم يكن له ضد ولا مثل فإنه لا ينفك من تركب صورة ومادة وذلك زوجان قال الخراز قدس سره: أظهر معنى الربوبية والوحدانية بأن خلق الأزواج ليخلص له الفردانية. ﴿**لعلكم تذكرون**﴾ أي: فعلنا ذلك كله من

البناء والفرش وخلق الأزواج كي تتذكروا فتعرفوا أنه خالق الكل ورازقه وأنه المستحق للعبادة وأنه قادر على إعادة الجميع فتعلموا بمقتضاه وبالفارسية باشد كه شما بند بذير شويد ودانيد كه وجدانيت از خواص ممكنات نيست ومن واجب بالذاتم وواجب قابل تعدد وانقسام نيست:

ذاتش از قسمت وتعدد پاك وحدت او مقدس از اشراك

از عدد دم مزن كه او فردست كى عدد بهر فردد رخوردست

احدست وشمار از ومعزول صمدست وتبار از ومخذول

وفيه إشارة إلى أنه تعالى خلق لكل شيء من عالم الملك وهو عالم الأجسام زوجاً من عالم الملكوت وهو عالم الأرواح ليكون ذلك الشيء الجسماني قائماً بملكوته وملكوته قائماً بيد القدرة الإلهية لعلكم تذكرون أنكم بهذا الطريق جئتم من الحضرة وبهذا الطريق ترجعون إلى الله سبحانه.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾﴾

﴿ففروا إلى الله﴾ أي: قل لقومك يا محمد إذا كان الأمر كذلك فاهربوا إلى الله الذي هذه شؤونه بالإيمان والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه يعني أن في الأمر بالإيمان وملازمة الطاعة بلفظ الفرار تنبيهاً على أن وراء الناس عقاباً يجب أن يفروا منه.

قال بعض الكبار: ياأيها الذين فررتم من الله بتعلقات الكونين ففروا بنعت الشوق والمحبة والتجرد إلى الله بقطع التعلقات عن الوجود وعما سواه تعالى مطلقاً ومن صح فراره إلى الله صح قراره مع الله وأيضاً ففروا منه إليه حتى تفنوا فيه قال: فإن الحادث لا يثبت عند رؤية القديم وقال سهل رضي الله عنه: ففروا مما سوى الله إلى الله ومن المعصية إلى الطاعة ومن الجهل إلى العلم ومن العذاب إلى رحمته ومن سخطه إلى رضوانه وقال محمد بن حامد رحمه الله حقيقة الفرار ما روي عن النبي عليه السلام أنه قال: وألجأت ظهري إليك وما روي عنه في حديث عائشة رضي الله عنها «وأعوذ بك منك» فهذه غاية الفرار منه إليه وقال الواسطي رحمه الله ففروا إلى الله معناه لما سبق لهم من الله لا إلى علمهم وحركاتهم وأنفسهم وسئل بعضهم عن قول النبي عليه السلام «سافروا تصحوا» قال: سافروا إلينا تجدونا في أول قدم ثم قرأ ففروا إلى الله هيچكس درتونيا ويخت كه ازخود نكريخت. هيچكس باتونه پيوست كه ازخود نبريد وفي «كشف الأسرار»: فرار مقامي است از مقامات روندكان ومنزلي از منازل دوستى كسى راكه اين مقام درست شود نشانش آنست كه همه نفس خود غرامت بيند همه سخن خود شكايت بيندهمه كرده خودجنايت بيند اميد از كردار خوديبر دوبر اخلاص خودتهمت نهدوا كر دولتى آيد در راه وى از فضل حق بيند واز حكم ازل نه از جهد وكردار خود وهذا موت عن نفسه وهمه خلق زنده ازمرده ميراث برد مكر اين طائفه كه مرده از زنده ميراث برد. وفي الحديث: «من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر» **﴿إني لكم منه نذير مبين﴾** أي: إني لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذراً منه تعالى بالمعجزات الباهرة أو مظهر لما يجب إظهاره من العذاب المنذر به وفي أمره للرسول عليه السلام بأن يأمرهم بالهرب إليه من عقابه وتعليله بأنه عليه السلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه

وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب.

﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر﴾ نهي موجب للفرار من سبب العقاب بعد الأمر بالفرار نفسه كأنه قيل وفروا من أن تجعلوا معه تعالى اعتقاداً أو تقولوا إلهاً آخر **﴿إني لكم منه﴾** أي: من الجعل المنهي عنه **﴿نذير مبين﴾** وفيه تأكيد لما قبله من الفرار من العقاب إليه تعالى لكن لا بطريق التكرير بل بالنهي عن سببه وإيجاب الفرار منه قال في «برهان القرآن»: الأول متعلق بترك الطاعة والثاني متعلق بالشرك بالله فلا تكرار.

وفي «التأويلات النجمية» ولا تجعلوا مع الله في المعرفة بوحدانيته إلهاً آخر من النفوس والهوى والدنيا والآخرة فتعبدونها بالميل إليها والرغبة فيها فإن التوحيد في الإعراض عنها وقطع تعلقاتها والفرار إلى الله منها لأن من صح فراره إلى الله صح قراره مع الله وهذا كمال التوحيد إني لكم نذير مبين أخوفكم أليم عقوبة البعد وعذاب الاثنينية إذا أشركتم به في الوجود فإنه لا يغفر أن يشرك به.

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿كذلك﴾ أي: الأمر وهو أمر الأمم السالفة بالنسبة إلى رسلهم من ما ذكر من تكذيب قريش ومشركي العرب الرسول ﷺ وتسميتهم له ساحراً أو مجنوناً ثم فسره بقوله: **﴿ما أتى الذين من قبلهم من رسول﴾** من رسل الله **﴿إلا قالوا﴾** في حقه هو **﴿ساحر أو مجنون﴾** يعني اكر معجزه بديشان نمود عمل اورا سحر خواندند واكر ازبعث وحشر خبرداد قول اورا بسخن اهل جنون تشبيه كردند أي: فلا تأس على تكذيب قومك إياك **﴿أتواصوا به﴾** إنكار وتعجيب من حالهم وإجماعهم على تفرق أزمانهم على تلك الكلمة الشنيعة التي لا تكاد تخطر ببال أحد من العقلاء فضلاً عن التفوه بها في حق الأنبياء أي: أوصى الأولون الآخرين بعضهم بعضاً بهذا القول حتى اتفقوا عليه **﴿بل هم قوم طاغون﴾** إضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك لبعد الزمان وعدم تلاقيهم في وقت واحد وإثبات لكونه أمراً أقبح من التواصي وأشنع منه وهو الطغيان الشامل للكل الدال على أن صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير أن يكون ذلك مقتضى طباعهم وفيه إشارة إلى أن أرباب النفوس المتمردة من الأولين والآخرين مركوزة في جبلتهم طبيعة الشيطنة من التمرد والإباء والاستكبار فما أتاهم رسول من الأنبياء في الظاهر أو من الإلهامات الربانية في الباطن إلا أنكروا عليه وقالوا ساحر يريد أن يسحرنا أو مجنون لا عبرة بقوله كأن بعضهم أوصى بعضهم بالتمرد والإنكار والجحود لأنهم خلقوا على طبيعة واحدة **﴿بل هم قوم طاغون﴾** بأنهم وجدوا أسباب الطغيان من السعة والتنعم والبطر والغنى.

قال الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجده   مفسدة للمرء أي مفسده

فعكسوا الأمر وكان ينبغي لهم أن يصرفوا العمر والشباب والغنى في تحصيل المطلوب الحقيقي. كما قال الحافظ:

عشق وشباب ورندى مجموعه مرادست   چون جمع شد معاني كوى بيان توان زد

﴿فتول عنهم﴾ فأعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فأبوا إلا الإباء والاستكبار

وبالفارسية پس روى بكردان از مكافات ايشان تاوقتى كه مأمور شوى بقتال وفي «فتح الرحمٰن» فتول عن الحرص المفرط عليهم وذهاب النفس حسرات وقال الواسطي ردهم إلى ما سبق عليهم في الأزل من السعادة والشقاوة ﴿**فما أنت بملوم**﴾ على التولي بعدما بذلت المجهود وجاوزت في الإبلاغ كل حد معهود واللوم والملامة العذل وبالفارسية نكوهيدن.

وقال بعض الكبار فتول عنهم فإنك لا تهدي من أحببت منهم فما أنت بملوم بالعجز عن هدايتهم لأنك مبلغ وليس إليك من الهداية شيء وقال بعضهم فتول عنهم بسيرك إلينا فما أنت بملوم في إبلاغ رسالتك واشتغالك في الظاهر بهم وإعلامهم بأسباب نجاتهم فأنت مستقيم لا يحجبنك إبلاغ الرسالة عن شهود العين.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿**وذكر**﴾ أي: افعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالكلية أو فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الأمر ﴿**فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾ أي: الذين قدر الله إيمانهم أو الذين آمنوا بالفعل فإنها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين يعني بعناد كافران وجحود ايشان دست از تربيت مسلمانان بازمدار وهمچنان بر تذكير خود ثابت باش كه وعظ را فوائد بسيارست ومنافع بي شمار فإن النصيحة تلين القلوب القاسية وفي الحديث «ما من مؤمن إلا وله ذنب قد اعتاده الفينة بعد الفينة» أي: الساعة بعد الساعة والحين بعد الحين «إن المؤمن خلق مفتوناً ناسياً فإذا ذكر ذكر» وقال بعضهم: ذكر المطيعين جزيل ثوابي وذكر العارفين ما صرفت عنهم من بلائي وقال بعضهم: ذكر العاصين منهم عقوبتي ليرجعوا عن مخالفة أمري وذكر المطيعين جزيل ثوابي ليزدادوا طاعة وعبادة لي وذكر المحبين ما شاهدوا من أنوار جمالي وجلالي في الغيب وغيب الغيب ليزيدوا في بذل الوجود وطلب المفقود. ودر فصول آورده كه كلام مذكور بايدكه برده خير مشتمل باشد تاسا معانرا سودمند بود اول نعمت خداى باياد مردم دهد تاشكر كزارى نمايند دوم ثوابي محنت وبلا ذكر كند تادران شكيبايى ورزند سوم عقوبت كناهان برشمرد تا ازان باز ايستند وتوبه كنند چهارم مكائد ووساوس شيطاني بيان فرما يدتا ازان حذر نما يندپنجم فنا وزوال وبي اعتباري دنيا بر ايشان روشن كرداند تادل درونه بندند ششم مركرا پيوسته ياد كند تارفتن را آماده شوند هفتم قيامت را آماده وذكر آن بسيار كويد تاكار آنروز بسازند هشتم دركات دوزخ وانواع عقوبتهاى آن بيان كندتا ازآن بترسند نهم درجات بهشت واقسام نعمتهاى آنرا بر شمارد تابدان راغب كردند دهم بناى كلام برخوف ورجانهد يعني كاهى ازعظمت وكبريا وهيبت الهي سخن راندتا ازوى بترسند ووقتى از رحمت ومغفرت مهربانى او تقرير كند تابوى اميدوار شوند پس هر موعظه كه مشتمل برين سخنانست منفعت مؤمنانست خصوصا اذا كان المذكر عاملاً بما ذكرهم به غير ناس نفسه فإن تأثيره أشد من تأثير تذكير الغافلين:

عالم كه كامرانى وتن پرورى كند ... او خويشتن كم است وكرا رهبرى كند

وإنما قلنا من تأثيره فإنهم قالوا:

مرد بايدكه كيردانـدر كوش ... ورنوشتست پند بر ديوار

فلا كلام إلا في الاستعداد والتهيؤ للاستماع ولذا قال تعالى ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧].

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ قرأ يعقوب ليعبدوني وكذا يطعموني ويستعجلوني كما سيأتي بإثبات ياء المتكلم فيهن وصلاً ووقفاً وحذفها الباقون في الحالين والعبادة أبلغ من العبودية لأن العبودية إظهار التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال.

قال بعض الكبار العبادة ذاتية للمخلوق لأنها ذلة في اللغة العربية وإنما وقع التكليف بالأفعال المخصوصة التي هي العبادة الوصفية للتنبيه على تلك الذلة الذاتية حتى يتذللوا ويتخضعوا لربهم وخالقهم بالوجه المشروع ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الإنس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها أتم استعداد ومتمكنين منها أكمل تمكين مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتيب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الفرض على ما هو غرض له فإن استتباع أفعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعاً كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وإنما الذي لا يليق بجنابه تعالى تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعل لإفضائه إلى استكماله بفعل وهو الكامل بالفعل من كل وجه وأما بمعنى نهاية كمالية يفضي إليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من أفعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدر وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه أهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام وأما إرادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الإرادة فإن تعوق البعض عن الوصول إلى الغاية مع تعاضد المبادي وتأخر المقدمات الموصلة إليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١] ونظائره كذا في «الإرشاد» قال سعدي المفتي: فاللام حينئذ على حقيقتها فتأمل انتهى والحاصل أن قوله: **﴿إلا ليعبدون﴾** إثبات السبب الموجب للحق فهذه اللام لام الحكمة والسبب شرعاً ولام العلة عقلاً قال المولى رمضان في «شرح العقائد» واستكماله تعالى بفعل نفسه جائز بل واقع فإنه تعالى حين أوجد العالم قد استكمل بكمال الموجدية والمعروفية على ما نطق به قوله تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** أي: ليعرفون وهو كمال إضافي يجوز الخلو عنه انتهى مقصود إلهي ازهمه كمال جلا واستجلاست كه در انسان كامل جمعاً وتفصيلاً بظهور آمد ودر عالم تفصيلاً فقط سؤال طلب ابن مقصودنه استكمالست كه مستدعى سبق نقصاً نست چنانكه اهل كلام ميكويندكه افعال الله معلل بأغراض نشايد بودن جواب آنچه محذورست استكمال بغير است واين استكمال بصفات خوداست نه بغير كذا في «تفسير الفاتحة» للشيخ صدر الدين القنوي قدس سره وكذا قال في بعض «شروح الفصوص» إن للحق سبحانه كمالاً ذاتياً وكمالاً أسمائياً وامتناع استكماله بالغير إنما هو في الكمال الذاتي لا الأسمائي فإن ظهور آثار الأسماء ممتنع بدون المظاهر الكونية انتهى.

قال المولى الجامي:

وجود قابل شرط كمال اسمائيست وكرنه ذات نباشد بغير مستكمل

وقال أيضاً:

أي ذات رفيع تونه جوهر نه عرض فضل وكرمت نيست معلل بغرض

يعني حق سبحانه وتعالى بحسب كمال ذاتي ازوجود عالم وعالميان مستغنيست كما قال

تعالى ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ [فاطر: ١٥] وچون ظهور كمال اسمائي موقوفست بروجود اعيان ممكنات پس آنرا ايجاد كرد:

تاخود كردد بجملـه اوصاف عيان ... واجب باشد كه ممكن آيد بميان

ورنـه بكمال ذاتـي از آدميان ... فردست وغنى چنانكه خود كرد بيان

والأشاعرة أنكروا صحة توجيه تعليل أفعال الله تعالى معنى وإن كان واقعاً لفظاً تمسكاً بأن الله تعالى مستغن عن المانع فلا يكون فعله لمنفعة راجعة إليه ولا إلى غيره لأنه تعالى قادر على إيصال تلك المنفعة من غير توسيط العمل فلا يصلح أن يكون غرضاً فعندهم لام التعليل يكون استعارة تبعية تشبيهاً لعبادة العباد بما يفرض علة لخلقه في الترتب عليه وأكثر الفقهاء والمعتزلة قالوا بصحته لمنفعة عائدة إلى عباده تمسكاً بأن الفعل الخالي عن الغرض عبث والعبث من الحكيم محال كما في «شرح المشارق» لابن الملك رحمه الله قال ابن الشيخ: استدلت المعتزلة بقوله تعالى **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** على أن أفعال الله معللة بالأغراض وعلى أن مراد الله جائز أن يتخلف عن إرادته إذا كان المراد من الأفعال الاختيارية للعباد وجه دلالته عليها هو أن وضع اللام لأن تدخل على ما هو غرض من الفعل فتكون العبادة غرضاً من خلق الجن والإنس والغرض يكون مراداً فينتج أن العبادة غرض من جميع الجن والإنس وظاهر أن بعضاً منهم لم يعبده فتخلف مراده عن إرادته وهو المطابق والجواب عن الأول أنه لما دل الدليل القطعي على أنه تعالى لا يفعل فعلاً لغرض وجب أن يؤول اللام في مثل هذه المواضع بأن يقال إن الحكم والمصالح التي تترتب على فعله تعالى وتكون هي غاية له لما كانت بحيث لو صدر ذلك الفعل من غيره تعالى لكانت هي غرضاً لفعله شبهت بالغرض الحقيقي فدخلت عليها اللام الدالة على الغرض لأجل ذلك التشبيه وأطلق عليها اسم الغرض لذلك حتى قيل الغرض من خلق ما في الأرض انتفاع الناس به لقوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] وهذا الجواب إنما يتأتى في اللام الداخلة على ما هو غاية مترتبة على الفعل ولا ينفع في قوله تعالى **﴿إلا ليعبدون﴾** لأن العبادة لم تكن غاية مترتبة على خلق كثير من الجن والإنس حتى يقال إنها شبهت بالغرض من حيث كون الفعل مؤدياً إليها وكونها مترتبة عليه فأطلق عليها اسم الغرض ودخل عليها لام الغرض لذلك ولكنه لو تم لكان جواباً عن الاستدلال الثاني لأنه مبني على كون مدلول اللام غرضاً في نفس الأمر وما كان غرضاً على طريق التشبيه لا يكون مراداً فلا يلزم من عدم ترتبه على الفعل تخلف المراد عن الإرادة فلا يتم الاستدلال وأشار المصنف إلى جوابه بقوله لما خلقهم على صورة متوجهة إلى العبادة مستعدة لها جعل خلقهم مغياً بها وتقريره أن العبادة ليست غاية مترتبة على خلقهما فضلاً عن أن تكون غرضاً ومراداً حتى يلزم من عدم ترتبها على خلقهما تخلف المراد عن الإرادة وإنما دخلت عليها اللام التي حقها أن تدخل على الغرض أو على ما شبه به في كونه مترتباً على الفعل وحاملاً عليه في الجملة تشبيهاً لها بالغاية المترتبة من حيث إن الجن والإنس خلقوا على صورة متوجهة إلى العبادة أي: صالحة قابلة لها مغلبة أي: قادرة عليها متمكنة منها وقد انضم إلى خلقهم على تلك الصورة أن هدوا إلى العبادة بالدلائل السمعية والعقلية فصاروا بذلك كأنهم خلقوا للعبادة وأنها غاية مترتبة على خلقهم فلذلك أطلق عليها

اسم الغاية ودخلت عليها لام الغاية مبالغة في خلقهما على تلك الصورة ولما وجه الآية بإخراج اللام عن ظاهر معناها بجعلها للمبالغة في خلقهم بحيث تتأتى منهم العبادة أشار إلى وجه العدول عن الظاهر بقوله ولو حمل على ظاهره لتطرق إليه المنع والإبطال وللزم تعارض الآيتين لأن من خلق منهم لجهنم لا يكون مخلوقاً للعبادة انتهى ما في «حواشي ابن الشيخ» وقال في «بحر العلوم» أي: وما خلقت هذين الفريقين إلا لأجل العبادة وهي قيام العبد بما تعبد به وكلف من امتثال الأوامر والنواهي أو إلا لأطلب العبادة منهم وقد طلب من الفريقين العبادة في كتبه المنزلة على أنبيائه وهذا التقدير صحيح لا تقدير الإرادة لأن الطلب لا يستلزم المطلوب بخلاف الإرادة كما تقرر في موضعه فيكون حاصله ما قال بعضهم في تصوير المعنى إلا ليؤمروا بعبادتي كما في قوله تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ [التوبة: ٣١] وهذا مستمر على مذهب أهل السنة فلو أنهم خلقوا للعبادة ما عصوا طرفة عين لكنهم خلقوا للأمر التكليفي الطلبي دون الأمر الإرادي وإلا لم يتخلف المراد عن الإرادة ولما كان لعين العاصي الثابتة في الحضرة العلمية استعداد التكليف توجه إليها الأمر التكليفي ولما لم يكن لتلك العين استعداد الإتيان بالمأمور به لم يتحقق منها المأمور به ولهذا تقع المخالفة والمعصية فإن قلت ما فائدة التكليف والأمر بما يعلم عدم وقوعه قلت فائدة تمييز من له استعداد القبول ممن ليس له استعداد ذلك لتظهر السعادة والشقاوة وأهلهما وقيل المراد سعداء الجنسين كما أن المراد بقوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ [الأعراف: ١٧٩] أشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والإنس المؤمنين بدليل أن الصبيان والمجانين مستثنون من عموم الآية بدليل قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ [الأعراف: ١٧٩] قال ابن الملك فإن قلت كيف تكون العبادة علة للخلق ولم تحصل تلك في أكثر النفوس قلنا يجوز أن يراد من النفوس نفوس المؤمنين لقراءة ابن عباس رضي الله عنهما وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون وأن يراد مطلقها بأن يكون المراد بالعبادة قابلية تكليفها كما قال عليه السلام: ما من مولود يولد إلا على الفطرة وأما إن أريد منها المعرفة فلا إشكال لأنها حاصلة للكفرة أيضاً كما قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: ٢٥] انتهى وقال مجاهد واختاره البغوي معناه إلا ليعرفون ومداره قوله عليه السلام فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف» ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق إطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على أن المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة كما في «الإرشاد» وقال بعضهم: لم أخلقهم إلا لأجل العبادة باختيارهم لينالوا الشرف والكرامة عندي ولم أقسرهم عليها إذ لو قسرتهم عليها لوجدت منهم وأنا غني عنهم وعن عبادتهم والحاصل أنهم خلقوا للعبادة تكليفاً واختياراً لا جبلة وإجباراً فمن وفقه وسدده أقام العبادة التي خلق لها ومن خذله وطرده حرمها وعمل بما خلق له وفي الحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له كما في «عين المعاني» وقال الشيخ نجم الدين دايه في تأويلاته ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ لأن ذرة معرفتي مودعة في صدف عبوديتي وإن معرفتي تنقسم قسمين: معرفة صفة جمالي ومعرفة صفة جلالي ولكل واحد منهما مظهر والعبودية مشتملة على المظهرين بالانقياد لها والتمرد عنها فمن انقاد لها بالتسليم والرضى كما أمر به فهو مظهر صفات جمالي ولطفي ومن تمرد عليها بالإباء

والاستكبار فهو مظهر صفات جلالي وقهري فحقيقة معنى قوله ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي: خلقت المقبولين منهم ليعبدوا الله فيكونوا مظهر صفات لطفه وخلقت المردودين منهم ليعبدوا الهوى فيكونوا مظهر صفات قهره هذا المعنى الذي أردت من خلقهم انتهى والحكمة لا تقتضي اتفاق الكل على التوحيد والعبادة والإخلاص والإقبال الكلي على الله فإن ذلك مما يخل بأمر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا ولا بد من الغضب لتكميل مرتبة قبضة الشمال فإنه وإن كان كلتا يديه يميناً مباركة لكن حكم كل واحدة يخالف الأخرى فالأرض جميعاً قبضته والسموات مطويات بيمينه فاقتضت الحكمة الإلهية ظهور ما أضيف إليه كل من اليدين فللواحدة المضاف إليها عموم السعداء الرحمة والجنان والأخرى القهر والغضب ولوازمهما وقد وجد كلا المقتضيين والمقصود الأصلي وجود الإنسان الكامل الذي هو مرآة جماله تعالى وكماله وقد وجد والسواد الأعظم هو الواحد على الحق وقال الواحدي مذهب أهل المعاني في الآية إلا ليخضعوا لي ويتذللوا ومعنى العبادة في اللغة الذل والانقياد وكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله تعالى مذلل لمشيئته خلقه على ما أراد ورزقه كما قضى لا يملك أحد لنفسه خروجاً عما خلق عليه وقال ابن عباس رضي الله عنهما إلا ليقروا بالعبودية طوعاً أو كرهاً يعني أن المؤمنين يقرون له طوعاً والكافرون يقرون له بما جبلهم عليه من الخلقة الدالة على وحدانية الله وانفراده بالخلق واستحقاق العبادة دون غيره فالخلق كلهم بهذا له عابدون وعلى هذا قوله تعالى ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦] على معنى ما يوجد منهم من دلائل الحدوث الموجبة لكونها مربوبة مخلوقة مسخرة كما في «التيسير» فهذه جملة الأقوال في هذا الباب وفي خلقهم للعبادة بطريق الحصر إشارة إلى أن الربوبية لله تعالى كما أن العبودية للمخلوقين وهي أخص أوصافهم حتى قالوا إنها إفضل من الرسالة ولذا قال تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] لا برسوله وقدم العبد في أشهد أن محمداً عبده ورسوله فمن ادعى الربوبية من المخلوق فليحذر من تهديد الآية وجميع الكمالات لله تعالى وإن ظهرت من العبد فالعبد مظهر فقط والظاهر هو الله وكماله والعبادات عشرة أقسام: الصلاة والزكاة والصوم والحج وقراءة قرآن وذكر الله في كل حال وطلب الحلال والقيام بحقوق المسلمين وحقوق الصحبة والتاسع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعاشر اتباع السنة وهو مفتاح السعادة وأمارة محبة الله كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] قال المولى الجامي:

يا نبي الله السلام عليك ... إنما الفوز والفلاح لديك

كرنرفتم طريق سنت تو ... هستم از عاصيان امت تو

مانده ام زير بار عصيان پست ... افتم ازپاى اكر نكيرى دست

فينبغي للعبد أن يعبد ربه ويتذلل لخالقه بأي وجه كان من الفرائض والواجبات والسنن والمستحبات على الوجه الذي أمره أن يقوم فيه فإذا كملت فرائضه وكمالها فرض عليه فيتفرغ فيما بين الفرضين لنوافل الخيرات كانت ما كانت ولا يحقر شيئاً من عمله فإن الله ما احتقره حين خلقه وأوجبه فإن الله ما كلفك بأمر إلا وله بذلك الأمر اعتناء وعناية حتى كلفك به وإذا واظب على أداء الفرائض فإنه يتقرب إلى الله بأحب الأمور المقربة إليه وورد في الخبر الصحيح

عن الله تعالى: «ما تقرب من عبد بشيء أحب إلي مما افترضته وما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ويده التي بها يبطش ورجله بها يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته» فالقرب الأول هو قرب الفرائض والقرب الثاني هو قرب النوافل فانظر إلى ما تنتجه محبة الله من كون الحق تعالى قوي العبد من السمع والبصر واليد والرجل فواظب على أداء ما يصح به وجود هذه المحبة الإلهية من الفرائض والنوافل ولا يصح نفل إلا بعد تكملة الفرائض وفي النفل عينه فروض ونوافل فبما فيه من الفروض تكمل الفرائض ورد في الخبر الصحيح أنه تعالى يقول: «انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان انتقص منها شيء قال: انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال الله تعالى: أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه ثم يؤخذ الأعمال على ذاكم» وليست النوافل إلا ما لها أصل في الفرائض وما لا أصل له في فرض فذلك إنشاء عبادة مستقلة يسميها علماء الظاهر بدعة قال الله تعالى ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧] وسماها رسول الله ﷺ سنة حسنة والذي سنها له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء ولما لم يكن في قوة النفل أن يسد مسد الفرض جعل في نفس النفل فروض ليجبر الفرائض بالفرائض كصلاة النفل بحسب حكم الأصل ثم إنها تشتمل على فرائض من ذكر وركوع وسجود مع كونها في الأصل نافلة وهذه الأقوال والأفعال فرائض فيها ثم اعلم أن أمرنا بالاقتداء بالنبي سنة حسنة فإن لنا أجرها وأجر من عمل بها وإذا تركنا تسنينها اتباعاً لكون رسول الله عليه السلام لم يسنها فإن أجرك في اتباعك له في ترك التسنين أعظم من أجرك في التسنين فإن النبي عليه السلام كان يكره كثرة التكليف على أمته ومن سن فقد كلف وكان النبي عليه السلام أولى بذلك ولكن تركه تخفيفاً فلهذا قلنا الاتباع في الترك أولى وأعظم أجراً من التسنين فاجعل حالك كما ذكرنا لك ولقد روي عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه ما أكل البطيخ فقيل له في ذلك فقال: ما بلغني كيف كان رسول الله عليه السلام يأكله فلما لم تبلغ إليه الكيفية في ذلك تركه وبمثل هذا يقدم علماء هذه الأمة على علماء سائر الأمم فهذا الإمام علم وتحقق قوله تعالى عن نبيه عليه السلام ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وقوله ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١] والاشتغال بما سن من فعل وقول وحال أكثر من أن نحيطه به ونحصيه فكيف أن نتفرغ لنسن فلا نكلف الأمة أكثر مما ورد.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾

﴿ما أريد منهم﴾ أي: من الجن والإنس في وقت من الأوقات **﴿من رزق﴾** لي ولا لأنفسهم ولا لغيرهم يحصلونه بكسبهم **﴿وما أريد أن يطعمون﴾** ولا أنفسهم ولا غيرهم وأصله أن يطعموني بياء المتكلم وهو بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعالياً عن أن يكون كسائر السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وتهيئة أرزاقهم فإن منهم من يحتاج إلى كسب عبده في نيل الرزق ومنهم من يكون له مال وافر يستغني به عن حمل عبده على الاكتساب لكنه يطلب من العبد قضاء حوائجه من طبخ الطعام وإصلاحه وإحضاره

بين يديه وهو تعالى مستغن عن جميع ذلك ونفع العباد وغيره إنما يعود عليهم والمعنى ما أريد أن أصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم ولا في تهيئة بل أتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي وفي الآية تعريض بأصنامهم فإنهم كانوا يحضرون لها المأكل فربما أكلتها الكلاب ثم بالت على الأصنام ثم لا يصدهم ذلك وهذه الآية دليل على أن الرزق أعم من الأكل كما في «تفسير المناسبات» وقال بعضهم معنى أن يطعمون أن يطعموا أحداً من خلقي وإنما أسند الإطعام إلى نفسه لأن الخلق عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه كما جاء في الحديث يقول الله: «استطعمتك فلم تطعمني» أي: لم تطعم عبدي وذلك أن الاستطعام وسؤال الرزق يستحيل في وصف الله.

﴿**إن الله هو الرزاق**﴾ تعليل لعدم إرادة الرزق منهم وهو من قصر الصفة على الموصوف أي: لا رزاق إلا الله الذي يرزق كل ما يفتقر إلى الرزق وفيه تلويح بأنه غني عنه ﴿**ذو القوة**﴾ على جميع ما خلق تعليل لعدم إرادته منهم أن يعملوا ويسعوا في إطعامه لأن من يستعين بغيره في أموره يكون عاجزاً لا قوة له ﴿**المتين**﴾ الشديد القوة لأن القوة تمام القدرة والمتانة شدتها وهو بالرفع على أنه نعت للرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر.

وفي «التأويلات النجمية» إن الله هو الرزاق لجميع الخلائق ذو القوة المتين في خلق الأرزاق والمرزوقين وفي «المفردات» القوة تستعمل تارة في معنى القدرة وتارة للتهيؤ الموجود في الشيء وتارة في البدن وفي القلب وفي المعاون من خارج وفي القدرة الإلهية وقوله ﴿**ذو القوة المتين**﴾ عام فيما اختص الله به من القدرة وما جعله للخلق انتهى..

يقول الفقير: قد سبق أن القوة في الأصل عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف والله تعالى منزه عن ذلك فهي في حقه تعالى بمعنى القدرة التامة ويجوز أن يعتبر قوي مظاهر أسمائه وصفاته أياً ما كانت والمتنان مكتنفا الصلب وبه شبه المتن من الأرض ومتنته ضربت متنه ومتن قوي متنه فصار متيناً ومنه قيل حبل متين. ودر ترجمة رشف در معنى قوى ومتين آورده كه قدرت قاهره اش دليل قوت بالغه كشسته وشدت قوتش حجت متانت قدرت شده نه دركار سازى متانتش رافتورى ونه در روزى وبنده نوازى قدرتش راقصورى:

رساند رزق بر وجهى كه شايد بسازد كارها نوعى كه بايد
بروزى بى نوا يا نرا نوازد برحمت بى كسانرا كارسازد

قال بعضهم رزق الله بالتفاوت رزق بعضهم الإيمان وبعضهم الإيقان وبعضهم العرفان وبعضهم البيان وبعضهم العيان فهؤلاء أهل اللطف والسعادة وبعضهم الخذلان وبعضهم الحرمان وبعضهم الطغيان وبعضهم الكفران فهؤلاء أهل القهر والشقاوة وقال بعضهم: اعتبروا باللبيب الطالب الأرزاق وحرمانه وبالطفل العاجز وتواتر الأرزاق عليه لتعلموا أن الرزق طالب وليس بمطلوب.

قال الإمام الغزالي رحمه الله في «شرح الأسماء»: الرزاق هو الذي خلق الأرزاق والمرتزقة وأوصلها إليهم وخلق لهم أسباب التمتع بها والرزق رزقان ظاهر وهي الأقوات والأطعمة وذلك للظاهر وهي الأبدان وباطن وهي المعارف والمكاشفات وذلك للقلوب والأسرار وهذا أشرف الرزقين فإن ثمرتها حياة الأبد وثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد إلى مدة

قريبة الأمد والله تعالى هو المتولى لخلق الرزقين والمتفضل بالإيصال إلى كلا الفريقين ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وغاية حظ العبد من هذا الوصف أمران:

أحدهما أن يعرف حقيقة هذا الوصف وأنه لا يستحقه إلا الله تعالى فلا ينتظر الرزق إلا منه ولا يتوكل فيه إلا عليه كما روي عن حاتم الأصم أنه قال له رجل: من أين تأكل؟ فقال: من خزانته فقال الرجل يلقي عليك الخبز من السماء؟ فقال: لو لم تكن الأرض له لكان يلقيه من السماء فقال الرجل: أنتم تقولون الكلام فقال: لم ينزل من السماء إلا الكلام فقال الرجل: أنا لا أقوى لمجادلتك فقال: لأن الباطل لا يقوم مع الحق.

والثاني أن يرزقه علماً هادياً ولساناً مرشداً ويداً منفقة متصدقة ويكون سبباً لوصول الأرزاق الشريفة إلى القلوب بأقواله وأعماله وإذا أحب الله تعالى عبداً أكثر حوائج الخلق إليه ومهما كان واسطة بين الله وبين العباد في وصول الأرزاق إليهم فقد نال حظاً من هذه الصفة قال رسول الله ﷺ: «الخازن الأمين الذي يعطي ما أمر به طيبة به نفسه أحد المتصدقين» وأيدي العباد خزائن الله فمن جعلت يده خزانة أرزاق الأبدان ولسانه خزانة أرزاق القلوب فقد أكرم بشوب من هذه الصفة انتهى كلام الغزالي فعبد الرزاق هو الذي وسع الله رزقه فيؤثر به على عباده ويبسط على من يشاء الله أن يبسط له لأن الله جعل في قدمه السعة والبركة فلا يأتي إلا حيث يبارك فيه ويفيض الخير وخاصية هذا الاسم لسعة الرزق أن يقرأ قبل صلاة الفجر في كل ناحية من نواحي البيت عشراً يبدأ باليمين من ناحية القبلة ويستقبلها في كل ناحية إن أمكن وفي «الأربعين الإدريسية» سبحانك يا رب كل شيء ووارثه ورازقه قال السهروردي المداوم عليه تقضي حاجته من الملوك وولاة الأمر فإذا أراد ذلك وقف مقابلة المطلوب وقرأه سبع عشرة مرة ومن تلاه عشرين يوماً على الريق رزق ذهناً يفهم به الغوامض وقال الغزالي في شرح الاسمين القوي المتين القوة تدل على القدرة التامة والمتانة تدل على شدة القوة والله تعالى من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوي ومن حيث إنه شديد القوة متين وذلك يرجع إلى معنى القدرة انتهى وعبد القوي هو الذي يقوى بقوة الله على قهر الشيطان وجنوده التي هي قوى نفسه من الغضب والشهوة والهوى ثم على قهر أعدائه من شياطين الإنس والجن فلا يقاويه شيء من خلق الله إلا قهره ولا يناويه أحد إلا غلبه وعبد المتين هو القوي في دينه الذي لم يتأثر ممن أراد إغواءه ولم يكن لمن أزله عن الحق بشدته لكونه أمتن كل متين فعبد القوي هو المؤثر في كل شيء وعبد المتين هو الذي لم يتأثر من شيء.

وقال أبو العباس الزروقي: القوي هو الذي لا يلحقه ضعف في ذاته ولا صفاته ولا في أفعاله فلا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز في نقض ولا إبرام وقال بعض المشايخ القوى من القوة وهي وسط ما بين حال باطن الحول وظاهر القدرة لأن أول ما يوجد في الباطن من منة العمل يسمى حولاً ثم يحس به في الأعضاء مثلاً يسمى قوة وظهور العمل بصورة البطش والتناول يسمى قدرة ولذلك كان في كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله وهو تمثيل للتقريب إلى الفهم وإلا فالله تعالى منزه عن صفات المخلوقين ومن عرف أنه القوي رجع بحوله وقوته في كل شيء إلى حوله وقوته والتقريب بهذا الاسم تعلقاً من حيث إسقاط التدبير وترك منازعة المقادير ونفي الدعوى ورؤية المنة له تعالى ونفي خوف الخلق وهموم الدنيا وتخلقاً أن

يكون قوياً في ذات الله حتى لا يخاف فيه لومة لائم ولا يضعف عن أمره بحال وخاصية هذا الاسم ظهور القوة في الوجود فما تلاه ذو همة ضعيفة إلا وجد القوة ولا ذو جسم ضعيف إلا كان له ذلك ولو ذكره مظلوم بقصد إهلاك الظالم ألف مرة كان له ذلك وكفى أمره والمتين هو الذي له كمال القوة بحيث لا يعارض ولا يشارك ولا يداني ولا يقبل الضعف في قوته ولا يمانع في أمره بل هو الغالب الذي لا يغالب ولا يغلب ولا يحتاج في قوته لمادة ولا سبب ومن عرف عظمة قوته ومتانتها لم يخف من شيء ولم يقف بهمته على شيء دونه استناداً إليه واعتماداً عليه وخاصية هذا الاسم ظهور القوة لذاكره مع اسمه القوي ولو ذكر على شابة فاجرة عشر مرات وكذلك الشاب لتابا.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿فإن للذين ظلموا﴾ أي: ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله ﷺ أو وضعوا مكان التصديق تكذيباً وهم أهل مكة **﴿ذنوباً﴾** أي: نصيباً وافراً من العذاب **﴿مثل ذنوب أصحابهم﴾** مثل أنصباء نظرائهم من الأمم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء قال: لنا ذنوب ولكم ذنوب. فإن أبيتم فلنا القليب. قال في «المفردات»: الذنوب الدلو الذي ذنب واستعير للنصيب كما استعير السجل وهو الدلو العظيم وفي «القاموس» الذنوب الفرس الوافر الذنب ومن الأيام الطويل الشر والدلو أو فيها ماء أو الملأى أو دون الملأى والحظ والنصيب والجمع أذنبة وذنائب وذناب انتهى **﴿فلا يستعجلون﴾** أصله يستعجلوني بياء المتكلم أي: لا يطلبوا مني أن أعجل في المجيء به لأن له أجلاً معلوماً فهو نازل بهم في وقته المحتوم يقال استعجله أي: حثه على العجلة وأمره بها ويقال استعجله أي: طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] وهو جواب لقولهم ﴿مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨] وكان النضر بن الحارث يستعجل بالعذاب فأمهل إلى بدر ثم قتل في ذلك اليوم وصار إلى النار فعذب أولاً بالقتل ثم بالنار.

﴿فويل للذين كفروا﴾ پس واى مرانا نراكه كافر شدند والويل أشد من العذاب والشقاء والهم ويقال واد في جهنم وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وإشعاراً بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذاباً عظيماً كما أن الفاء الأولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك **﴿من يومهم الذي يوعدون﴾** من للتعليل أي: يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الأنسب لما في صدر السورة الآتية والأول هو الأوفق لما قبله من حيث إنهما من العذاب الدنيوي وأياً ما كان فالعذاب آت وكل آت قريب كما قالوا. كرچه قيامت دير آيدولى مى آيد عمر اكرچه دراز بود چون مرك روى نمود ازان درازى چه سود نوح هزار سال درجهان يسر برده است امروز چند هزار سالست كه مرده است فعلى العاقل أن يتعجل في التوبة والإنابة حتى لا يلقى الله عاصياً ولا يتعجل في الموت فإنه آت البتة وفي الحديث لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً أي: فإنه إن كان محسناً فلعله إن يزداد خيراً وإن كان مسيئاً فلعل الله يرزقه الإنابة:

أي كـه پـنـجـاه رفـت ودر خـوابـى مـكـر ايـن پـنـج روز دريـابـى

وفي «التأويلات النجمية» فإن للذين ظلموا من أهل القلوب على قلوبهم بأن جعلوها ملوثة بحب الدنيا بعد أن كانت معدن محبة الله ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم من أرباب النفوس بجميع صفاتها يعني أن فساد القلب بمحبة الدنيا يوازي فساد النفس بجميع صفاتها لأن القلب إذا صلح صلح به سائر الجسد وإذا فسد فسد به سائر الجسد فلا تستعجلون في إفساد القلب فويل للذين كفروا بنعمة ربهم في إفساد القلب من يومهم الذي يوعدون بإفساد سائر صفات الجسد ومن الله العصمة والحفظ.

تمت سورة الذاريات بعون خالق البريات
في أواخر جمادى الآخرة من سنة أربع عشرة ومائة وألف

٥٢ ـ سورة الطور

مكية وآيها تسع وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤﴾.

﴿**والطور**﴾ الواو للقسم والطور بالسريانية الجبل وقال بعضهم: هو عربي فصيح ولذا لم يذكره الجواليقي في المعربات وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الطور كل جبل ينبت قال:

لو مر بالطور بعض ناعقة ما أنبت الطور فوقه ورقه

كويند مراد اينجا مطلق كوهست كه اوتاد ارض اند. وفيه منابع ومنافع وقيل بل هو جبل محيط بالأرض والأظهر الأشهر أنه اسم جبل مخصوص هو طور سينين يعني الجبل المبارك وهو جبل بمدين واسمه زبير سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى ولذا أقسم الله تعالى به لأنه محل قدم الأحباب وقت سماع الخطاب وورد على محل القدم كثير من الأولياء فظهر عليهم الحال تلك الساعة وقال في «خريدة العجائب» جبل طور سينا هو بين الشام ومدين قيل إنه بالقرب من أيلة وهو المكلم عليه موسى عليه السلام كان إذا جاءه موسى للمناجاة ينزل عليه غمام فيدخل في الغمام ويكلم ذا الجلال والإكرام وهو الجبل الذي دك عند التجلي وهناك خر موسى صعقاً وهذا الجبل إذا كسرت حجارته يخرج من وسطها شجرة العوسج على الدوام وتعظيم اليهود لشجرة العوسج لهذا المعنى ويقال لشجرة العوسج شجرة اليهود انتهى كلام «الخريدة» والعوسج جمع عوسجة وهي شوك كما في «القاموس».

﴿**وكتاب مسطور**﴾ مكتوب على وجه الانتظام فإن السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو ألواح موسى وهو الأنسب بالطور أو ما يكتب في اللوح وآخر سطر في اللوح المحفوظ سبقت رحمتي على غضبي من أتاني بشهادة أن لا إله إلا الله أدخلته الجنة أو ما يكتبه الحفظة يخرج إليهم يوم القيامة منشوراً فآخذ بيمينه وآخذ بشماله نظيره قوله تعالى ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣] ﴿**في رق منشور**﴾ الرق الجلد الذي يكتب فيه شبه كاغد استعير لما يكتب فيه الكتابة من الصحيفة وسمي رقاً لأنه مرقق وقد غلب الاستعمال على هذا الذي هو من جلود الحيوان كما في «فتح الرحمن» وقال في «القاموس» الرق ويكسر جلد رقيق يكتب فيه وضد الغليظ كالرقيق الصحيفة البيضاء انتهى والمنشور المبسوط وهو خلاف المطوي.

قال الراغب نشر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة والحديث بسطها وقيل منشور مفتوح لا ختم عليه وتنكيرهما للتفخيم أو الإشعار بأنهما ليسا مما يتعارفه الناس والمعنى

بالفارسية وسوكند بكتاب نوشته در صحيفه كه كشاده كردد بوقت خواندن وعلى تقدير أن يكون ما يكتب في اللوح يكون الرق المنشور مجازاً لأن اللوح خلقه الله من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور عرضه كما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق الله بكل نظرة يحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء ﴿والبيت المعمور﴾ أي: الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين أو الضراح يعني اسم البيت المعمور الضراح قال السهيلي رحمه الله وهو في السماء السابعة واسمها عروبا قال وهب بن منبه: من قال سبحان الله وبحمده كان له نور يملأ ما بين عروبا وحريبا وحريبا هي الأرض السابعة انتهى وهو خيال الكعبة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة ولا يعودون إليه أبداً وحرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض وهو عدد خواطر الإنسان في اليوم والليلة ومنه قيل إن القلب مخلوق من البيت المعمور وقيل باطن الإنسان كالبيت المعمور والأنفاس كالملائكة دخولاً وخروجاً وفي أخبار المعراج رأيت في السماء السابعة البيت المعمور وإذا أمامه بحر وإذا يؤمر الملائكة فيخوضون في البحر يخرجون فينفضون أجنحتهم فيخلق الله من كل قطرة ملكاً يطوف فدخلته وصليت فيه وسمي بالضراح بضم الضاد المعجمة لأنه ضرح أي: رفع وأبعد حيث كان في السماء السابعة والضرح هو الإبعاد والتنحية يقال ضرحه أي: نحاه ورماه في ناحية وأضرحه عنك أي: أبعده والضريح البعيد وقيل: كان بيتاً من ياقوتة أنزله الله موضع الكعبة فطاف به آدم وذريته إلى زمان الطوفان فرفع إلى السماء وكان طوله كما بين السماء والأرض وذهب بعضهم إلى أنه في السماء الرابعة ولا منافاة فقد ثبت أن في كل سماء بحيال الكعبة في الأرض بيتاً.

يقول الفقير: والذي يصح عندي من طريق الكشف أن البيت المعمور في نهاية السماء السابعة فإنه إشارة إلى مقام القلب فكما أن القلب بمنزلة الأعراف فإنه برزخ بين الروح والجسد كما أن الأعراف برزخ بين الجنة والنار فكذا البيت المعمور فإنه برزخ بين العالم الطبيعي الذي هو الكرسي والعرش وبين العالم العنصري الذي هو السماوات السبع وما دونها وهذا لا ينافي أن يكون في كل سماء بيت على حدة هو على صورة البيت المعمور كما أنه لا ينافي كون الكعبة في مكة أن يكون في كل بلدة من بلاد الإسلام مسجد على حدة على صورتها فكما أن الكعبة أم المساجد وجميع المساجد صورها وتفاصيلها فكذا البيت المعمور أصل البيوت التي في السماوات فهو الأصل في الطواف والزيارة ولذا رأى النبي عليه السلام ليلة المعراج إبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور الذي هو بإزاء الكعبة وإليه تحج الملائكة وقال بعضهم: المراد بالبيت المعمور قلب المؤمنين وعمارته بالمعرفة والإخلاص فإن كل قلب ليس فيه ذلك فهو خراب ميت فكأنه لا قلب.

﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦﴾

﴿**والسقف المرفوع**﴾ يعني السماء المرفوع عن الأرض مقدار خمسمائة عام قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفًا مَّحۡفُوظًاۖ﴾ [الأنبياء: ٣٢]. قال الكاشفي: يعني آسمان كه مجمع انوار حكمت ومخزن اسرار فطرتست ويا عرش عظيم. وذلك لأن العرش سقف الجنة وهو محيط بعالم الأجسام كما أن سقف البيت محيط بالجدران ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور من

حيث اجتماع السقف مع البيت ومن حيث إن العرش على التقدير الثاني والبيت المعمور متقاربان تقارب السقف بالبيت.

﴿والبحر المسجور﴾ أي: المملوء وهو البحر المحيط الأعظم الذي منه مادة جميع البحار المتصلة والمنقطعة وهو بحر لا يعرف له ساحل ولا يعلم عمقه إلا الله تعالى والبحار التي على وجه الأرض خلجان منه وفي هذا البحر عرش إبليس لعنه الله وفيه مدائن تطفو على وجه الماء وهي آهلة من الجن في مقابلة الربع الخراب من الأرض وفيه قصور تظهر على وجه الماء طافية ثم يغيب وتظهر فيه الصور العجيبة والأشكال الغريبة ثم تغيب في الماء وفي هذا البحر ينبت شجر المرجان كسائر الأشجار في الأرض وفيه من الجزائر المسكونة والخالية ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

قال في «القاموس» سجر التنور أحماه والنهر ملأه والمسجور الموقد والساكن ضد والبحر الذي ماؤه أكثر منه انتهى وقال بعض المفسرين والبحر المسجور أي: الموقد من قوله تعالى ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾ [التكوير: ٦] والمراد به الجنس وعدد البحار العظيمة سبعة كما أن عدد الأنهار العظيمة كذلك وكل ماء كثير بحر.

ـ روي ـ أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة ناراً يسجر بها نار جهنم وفي الحديث: «لا يركبن رجل بحراً إلا غازياً أو معتمراً أو حاجاً» فإن تحت البحر ناراً أو تحت النار بحراً والبحر نار في نار وهذا على أن يكون البحر بحر الدنيا وبحر الأرض وقال علي وعكرمة رضي الله عنهما: هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سماوات إلى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان وهو بحر مكفوف أي: عن السيلان يمطر منه على الموتى ماء كالمني بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً فينبتون في قبورهم وحمله بعض المشايخ على صورة إحياء الله تعالى يعني كما أنه ينبت النبات بماء المطر فيظهر من الأرض فكذا الموتى يخلقهم الله خلقاً جديداً فيظهرون من الأرض كالنبات ولكن هذا لا ينافي أن يكون هناك ماء صوري فإن الإنسان من المني خلق وبصورة ماء كالمني سينبت ولله في كل شيء حكمة بديعة وقيل هو بحر سماء الدنيا وهو الموج المكفوف لولاه لأحرقت الشمس الدنيا. ونزد أرباب تحقيق مراد طور نفس است كه موسى القلب بران باحق سبحانه مناجاة ميكند وكتاب مسطور ايمانست كه دررق منشور قلب بقلم رحمت ازلي نوشته شده كه كتب في قلوبهم الإيمان وبيت سرعا رفانست كه بنظرات تجليات سبحاني آباداني يافته وسقف مرفوع روح رفيع القدر والدرجات إلى الحضرة است كه سقف خانه دلست وبحر مسجور دلى است بآتش محبت تافته.

وقال عبد العزيز المكي قدس سره: أقسم الله بالطور وهو الجبل وهو النبي ﷺ كان في أمته كالجبال في الأرض استقرت به الأمة على دينهم إلى يوم القيامة كما تستقر الأرض بالجبال وأقسم بالكتاب المسطور وهو الكتاب المنزل عليه المسطور في اللوح المحفوظ في رق منشور هو المصاحف وأقسم بالبيت المعمور وهو النبي عليه السلام كان والله بيتاً بالكرامة معموراً وعند الله مسروراً مشكوراً وأقسم بالسقف المرفوع وهو رأس النبي عليه السلام كان والله سقفاً مرفوعاً وفي الدارين مشهوراً وعلى المنابر مذكوراً وأقسم بالبحر المسجور وهو قلب محمد عليه السلام كان والله من حب الله مملوءاً فأقسم بنفس محمد عموماً وبرأسه خصوصاً وبقلبه ضياء ونوراً وبكتابه حجة وعلى المصاحف مسطوراً فأقسم الحبيب بالحبيب فلا وراءه قسم

وقال شيخي وسندي روح الله روحه في كتاب «اللائحات البرقيات» له والطور أي: طور الهوية الذاتية الأحدية الفردية المجردة عن الكل والحقيقة الجمعية الصمدية المطلقة عن الجميع وكتاب أي: كتاب الوجود مسطور فيه حروف الشؤون الذاتية الكمالية الوجودية والإمكانية وكلمات الأعيان العلمية الجلالية والجمالية الوجوبية والإمكانية وآيات الأرواح والعقول المجردة القهرية واللطيفة وسور الحقائق والصور المثالية الحية المقربة والمبعدة في رق أي: رق النفس الرحماني والأمر الرباني منشور على ماهيات الممكنات وحقائق الكائنات مبسوط على أعيان المجردات وصور الممثلات بالفيض الأقدس والتجلي الذاتي أولاً الحاصل به كليات التعينات والظهورات وبالفيض المقدس والتجلي الصفاتي والأفعالي ثانياً المتحقق به جزئيات التشخصات والتميزات والقرآن والفرقان اللفظي الرسمي بجميع حروفه وكلماته وآياته وسوره إن هو إلا ذكر وقرآن مبين وهذا مكتوب بيد المخلوق ومسطور بخطه وذلك مكتوب بيد الخالق ومسطور بخطه فلذا كان واجب التعظيم ولازم التكريم بحيث لا يمسه إلا المطهرون من الحدث مطلقاً فيا شقاوة من عقل الكتاب الإلهي الرسمي وأقبل عليه بالتعظيم والتوقير وغفل عن الكتاب الإلهي الحقيقي وأهمله عن التعظيم والتوقير بل أقدم عليه بالإهانة والتحقير ويا سعادة من عقلهما ولم يغفل عن واحد منهما ولم يهمل شأنهما بل أقبل على كل منهما بالتعظيم والتكريم انقياداً للشريعة في تكريم القرآن والفرقان اللفظي وإذعاناً للحقيقة في تحريم القرآن والفرقان الوجودي أداء لحق كل مرتبة وقضاء لدين كل منزلة قائماً في كل مقام بالعدل والإنصاف مجانباً في كل حال عن الجور والاعتساف.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾.

يقول الفقير: في ذلك الكتاب تفصيل عريض آخر لكل من الكتابين الحقيقي والمجازي واقتصرت هنا على شيء يسير مما ذكره لمناسبة المقام والمسؤول من الله الجامع الانتفاع بعلمه النافع **﴿إن عذاب ربك لواقع﴾** أي: لنازل حتماً وهو جواب للقسم قال في «فتح الرحمن» المراد عذاب الآخرة للكفار لا العذاب الدنيوي وإليه الإشارة في «الإرشاد» في آخر السورة المتقدمة **﴿ماله من دافع﴾** يدفعه وهو كقوله تعالى ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٤٣] وبالفارسية نيست مران عذاب را هيج دفع كننده بلكه بهمه حال واقع خواهد بود. وهو خبر ثان لأن قال بعضهم: الفرق بين الدفع والرفع أن الدفع بالدال يستعمل قبل الوقوع والرفع بالراء يستعمل بعد الوقوع وتخصيص هذه الأمور بالإقسام بها لما أنها من أمور عظام تنبىء عن عظم قدرة الله وكمال علمه وحكمته الدالة على إحاطته بتفاصيل أعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق إخباره التي من جملتها الجملة المقسم عليها وقال جبير بن مطعم: قدمت المدينة لأكلم رسول الله عليه السلام في أسارى بدر فلقيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور وصوته يخرج من المسجد فلما بلغ إلى قوله: **﴿إن عذاب ربك لواقع﴾** فكأنما صدع قلبي حين سمعته فكان أول ما دخل في قلبي الإسلام فأسلمت خوفاً من أن ينزل العذاب وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب ومثل هذا التأثير وقع لعمر رضي الله عنه حين بلغ دار الأرقم فسمع النبي عليه السلام

يقرأ سورة طه فلان قلبه وأسلم فالقلوب المتهيئة للقبول تتأثر بأدنى شيء خصوصاً إذا كان الواعظ هو القرآن العظيم أو التالي هو الرسول الكريم أو وارثه المستقيم وأما القلوب القاسية فلا ينجع فيها الوعظ كما لم ينجع في قلب أبي جهل ونحوه. قال الشيخ سعدي:

آهنى راكه موريانه بخورد نتوان برداز وبصيقل زنك
باسيه دل چه سود كفتن وعظ نرود ميخ آهنين درسنك

وفي «التأويلات النجمية»: العذاب لأهل العذاب واقع بالفقد لأن أشد العذاب ذل الحجاب وكان من دعاء السري السقطي قدس سره: اللهم مهما عذبتني بذل الحجاب والحجاب واقع فإن أعظم الحجاب حجاب النفس ﴿ما له من دافع﴾ من قبل العبد بل دافع حجاب النفس هو رحمة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٥٣] عبد الله المغاوري مردى بوداز نواحي اشبيليه دربلاد غرب دربعضى اوقات تشويش وپرا كندكى بخلق راه يافته بود زنى نزدوى آمد وكفت البتة مرا باشبيليه رسان وازدست اين قوم خلاص كن اوزن را بر كردن كرفت وبيرون آمد واو ازشطار بود وقوتى عظيم داشت چون بجاى خلوت رسيد واين زن بغاية جميله بود شيطان اورا بمجامعت با آن زن وسوسه داد ونفس تقاضا كرفت. فكان حال المرأة حينئذ نظير الحكاية التي قال الشيخ سعدي فيها:

شنيدم كوسفندى را بزركى رها نيداز دهان ودست كركى
شبانكه كارد بر حلقش بماليد روان كوسفند ازوى بناليد
كه ازچنكال كركم درر بودى چوديدم عاقبت كركم تو بودى

عبد الله باخود كفت اي نفس اين بدست من أمانت است وخيانت كردن روانمى دارم ونفس البته بر عصيان حرص مى نمود واو ترسيدكه نفس غالب شود وكارى ناشايست در وجود آيد آلت مردى خودرا درميان دوسنك بكوفت وكفت النار ولا العارى سبب رجوع او بطريق حق اين بودودر همان وقت روى بحج نهاد ودر عهد خود يكانه روز كار بود فقد رحمه الله تعالى رحمة خاصة حيث نجاه من يد النفس الأمارة ولو وكله إلى نفسه لصدر عنه ذلك القبيح وكان سبباً لوقوعه في العذاب في الدنيا والآخرة أما في الآخرة فظاهر وأما في الدنيا فلأن التلبس بسبب الشيء تلبس به وكل فعل قبيح ووصف ذميم فهو عذاب حكمي ونار معنوية والعذاب الصوري أثر ذلك فليس من خارج عن الإنسان.

﴿يوم تمور السماء موراً﴾ ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبىء عن كمال هوله وفظاعته لا لدافع لأنه يوهم أن أحداً يدفع عذابه في غير ذلك اليوم والغرض أن عذاب الله لا يدفع في كل وقت والمور الاضطراب والتردد في المجيء والذهاب والجريان السريع أي: تضطرب وتجيء وتذهب وبالفارسية در اضطراب آيد آنكاه بشكافد. قيل: تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفأ بأهلها تكفأ السفينة وقيل: يختلج أجزاؤها بعضها في بعض ويموج أهلها بعضهم في بعض ويختلطون وهم الملائكة وذلك من الخوف.

﴿وتسير الجبال سيراً﴾ أي: تزول عن وجه الأرض فتصير هباء وقال بعضهم: تسير الجبال كما تسير السحاب ثم تنشق أثناء السير حتى تصير آخره كالعهن المنفوش لهول ذلك اليوم ومثله وجود السالك عند تجلي الجلال بالفناء فإنه لا يبقى منه أثر وتأكيد الفعلين بمصدريهما للإيذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة أي: موراً عجيباً وسيراً بديعاً لا يدرك كنههما.

﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ الفاء فصيحة والجملة جواب شرط محذوف أي: إذا وقع ذلك المور والسير أو إذا كان الأمر كما ذكر فويل وشدة عذاب يوم إذ يقع لهم ذلك وهو لا ينافي تعذيب غير المكذبين من أهل الكبائر لأن الويل الذي هو العذاب الشديد إنما هو للمكذبين بالله ورسوله وبيوم الدين لا لعصاة المؤمنين.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥﴾.

﴿الذين هم في خوض﴾ أي: اندفاع عجيب في الأباطيل والأكاذيب وبالفارسية در شروع كردن بأقوال باطلة كه استهزا بقرء آنست وتكذيب نبي عليه السلام وإنكار بعث. قال في «فتح الرحمن»: الخوض التخبط في الأباطيل شبه بخوض الماء وغوصه وفي «حواشي الكشاف» الخوض من المعاني الغالبة فإنه يصلح في الخوض في كل شيء إلا أنه غلب في الخوض في الأباطيل كالإحضار لأنه عام في كل شيء ثم غلب استعماله في الإحضار للعذاب قال: ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٧] وقوله ﴿الذين هم في خوض﴾ ليس صفة قصد بها تخصيص المكذبين وتمييزهم وإنما هو للذم كقولك الشيطان الرجيم ﴿يلعبون﴾ يلهون ويتشاغلون بكفرهم.

﴿يوم يدعون إلى نار جهنم دعا﴾ الدع الدفع الشديد وأصله أن يقال للعاثر دع دع أي: يدفعون إليها دفعاً عنيفاً شديداً بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار دفعاً على وجوههم وفي أقفيتهم حتى يردوها ويوم إما بدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى.

﴿هذه النار﴾ أي: يقال لهم من قبل خزنة النار هذه النار ﴿التي كنتم﴾ في الدنيا وقوله ﴿بها﴾ متعلق بقوله: ﴿تكذبون﴾ أي: تكذبون الوحي الناطق بها ﴿أفسحر هذا﴾ توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحراً وتقديم الخبر لأنه محط الإنكار ومدار توبيخ كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا المصداق أي: النار سحر أيضاً وبالفارسية آيا سحرست اين كه مى بينيد. فالفاء سببية لا عاطفة لئلا يلزم عطف الإنشاء على الإخبار فهذا الاستفهام لم يتسبب عن قولهم للوحي هذا سحر والمصداق ما يصدق الشيء وأحوال الآخرة ومشاهدتها تصدق أقوال الأنبياء في الإخبار عنها يعني أن الذي ترونه من عذاب النار حق ﴿أم أنتم لا تبصرون﴾ أي: أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عمياً عن الخبر أو أم سدت أبصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٥].

﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝١٨﴾.

﴿اصلوها﴾ أي: ادخلوها وقاسوا حرها وشدائدها ﴿فاصبروا أو لا تصبروا﴾ فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه فإنه لا خلاص لكم منها وهذا على جهة قطع رجائهم ﴿سواء عليكم﴾ خبر مبتدأ محذوف دل عليه اصبروا أو لا تصبروا وسواء وإن كان بمعنى مستو لكنه في الأصل مصدر بمعنى الاستواء والمعنى سواء عليكم الأمر أن أجزعتم أم صبرتم في عدم النفع لا بدفع

العذاب ولا بتخفيفه إذ لا بد أن يكون الصبر حين ينفع وذلك في الدنيا لا غير فمن صبر هنا على الطاعات لم يجزع هناك إذ الصبر وإن كان مراً بصلاً لكن آخره حلو عسل ﴿**إنما تجزون ما كنتم تعملون**﴾ تعليل للاستواء فإن الجزاء على كفرهم وأعمالهم القبيحة حيث كان واجب الوقوع حتماً بحسب الوعيد لامتناع الكذب على الله كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع.

وفي «التأويلات النجمية» إنما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من الخير والشر لا الذي تعملون في الآخرة من الصبر والخضوع والخشوع والتضرع والدعاء فإنه لا ينفع شيء منها والحاصل أن يقال ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] انتهى ثم النار ناران النار الصورية لأهل الشرك الجلي ومن لحق بهم من العصاة والنار المعنوية لأهل الشرك الخفي ومن اتصل بهم من أهل الحجاب فويل لكل من الطائفتين يوم يظفر الطالب بالمطلوب ويصل المحب إلى المحبوب من عذاب جهنم وعذاب العبد والقطيعة والحرمان من السعادة العظمى والرتبة العليا فليحذر العاقل من الخوض في الدنيا واللعب بها فإن الغفلة عن خالق البريات توقد نيران الحسرات وفي الآية إشارة إلى مرتبة الخوف كما أن الآية التي تليها إشارة إلى مرتبة الرجاء فإن الأمن والقنوط كفر. زيراكه امن از عاجزان بود واعتقاد عجز در الله كفرست وقنوط ازلئيمان بود واعتقاد لؤم در الله كفرست چراغى كه درو روغن نباشد روشنايى ندهد وچون روغن باشد وآتش نباشد ضيانده‌هد پس خوف بر مثال آتش است ورجاء بر مثال روغن وايمان برمثال فتيله ودل بر شكل چراغ دان چون خوف ورجا مجتمع كشت چراغى حاصل آمدكه دروى هم روغن است كه مدد بقاست هم آتش است كه ماده ضياست آنكه ايمان ازميان هردو مدد ميكير دازيكى ببقا وازيكى بضياء ومؤمن ببدرقه ضياراه ميرود وبمدد بقاقدم مى زند والله ولي التوفيق.

﴿**إن المتقين**﴾ عن الكفر والمعاصي ﴿**في جنات ونعيم**﴾ النعيم الخفض والدعة والتنعم الترفه والاسم النعمة بالفتح.

قال الراغب: النعيم النعمة الكثيرة وتنعم تناول ما فيه النعمة وطيب العيش ونعمه تنعيماً جعله في نعمة أي: لين عيش وفي «البحر» التنعم استعمال ما فيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات والمعنى في جنات ونعيم أي: في آية جنات وأي نعيم بمعنى الكامل في الصفة على أن التنوين للتفخيم أو في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على أنه للتنويع والجنة مع كونها أشرف المواضع قد يتوهم أن من يدخلها إنما يدخلها ليعمل فيها ويصلحها ويحفظها لصاحبها كما هو شأن ناطور الكرم أي: مصلحه وحافظه كما قال في «القاموس» الناطور أي: بالطاء المهملة حافظ الكرم والنخل أعجمي انتهى فلما قال ونعيم أفاد أنهم فيها متنعمون كما هو شأن المتفرج بالبستان لا كالناطور والعمال.

﴿**فاكهين**﴾ ناعمين متلذذين وبالفارسية شادمان ولذات يابندكان.

وفي «القاموس»: الفاكة صاحب الفاكهة وطيب النفس الضحوك والناعم الحسن العيش كما أن الناعمة والمنعمة الحسنة العيشة ﴿**بما آتاهم ربهم**﴾ از كرا متهاى جاودانى وفي «فتح الرحمن» من إنعامه ورضاه عنهم وذلك أن المتنعم قد يستغرق في النعم الظاهرة وقلبه مشغول بأمر ما فلما قال فاكهين تبين أن حالهم محض سرور وصفاء وتلذذ ولا يتناولون شيئاً من النعيم إلا تلذذاً لا لدفع ألم جوع أو عطش ﴿**ووقاهم ربهم عذاب الجحيم**﴾ الوقاية حفظ الشيء مما

يؤذيه ويضره والجحمة شدة تأجج النار ومنه الجحيم أي: جهنم لأنه من أسمائها وهو عطف على آتاهم على أن ما مصدرية أي: متلذذين بسبب إيتاء ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم فإنها إن جعلت موصولة يكون التقدير بالذي وقاهم ربهم عذاب الجحيم فيبقى الموصول بلا عائد وإظهار الرب في موضع الإضمار مضافاً إلى ضميرهم للتشريف والتعليل.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ امْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿**كلوا واشربوا**﴾ أي: يقال لهم من قبل خزنة الجنة دائماً كلوا واشربوا أكلاً وشرباً ﴿**هنيئا**﴾ فهنيئاً صفة لمصدر محذوف أو طعاماً وشراباً هنيئاً فهو صفة مفعول به محذوف فإن ترك ذكر المأكول والمشروب دلالة على تنوعهما وكثرتهما والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغاً يعني كوارنده لا تكدير فيه أي: كان بحيث لا يورث الكدر من التخم والسقم وسائر الآفات كما يكون في الدنيا قال ابن الكمال ومنه يهنى المشتهر في اللسان التركي باللحم المطبوخ ﴿**بما كنتم تعملون**﴾ بسببه أو بمقابلته قال في «فتح الرحمن» معناه أن رتب الجنة ونعيمها هي بحسب الأعمال وأما نفس دخولها فهو برحمة الله وتغمده والأكل والشرب والتهني ليس من الدخول في شيء وأعمال العباد الصالحة لا توجب على الله التنعيم إيجاباً لكنه قد جعلها أمارة على من سبق في علمه تنعيمه وعلق الثواب والعقاب بالتكسب الذي في الأعمال. إمام زاهد رحمه الله فرمود كه هرچند وعده بكردار بنده است أما أصل فضل الهيست واكرنه پيداست كه فردامز ذكر دار ماچه خواهد بود:

ندارد فعل من از زور بازو كه بافضل تو كرددهم ترازو
بفضل خويش كن فضل مرايار بعدل خود بكن بافعل من كار

قال سهل جزاء الأعمال الأكل والشرب ولا يساوي أعمال العباد أكثر من ذلك وأما شراب الفضل فهو قوله ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] وهو شراب على رؤية المكاشفة والمشاهدة.

﴿**متكئين**﴾ حال من الضمير في ﴿**كلوا واشربوا**﴾ أي: معتمدين ومستندين ﴿**على سرر**﴾ جمع سرير وهو الذي يجلس عليه وهو من السرور إذا كان ذلك لأولي النعمة وسرير الميت تشبيه به في الصورة وللتفاؤل بالسرور الذي يلحق الميت برجوعه إلى الله وخلاصة من سجنه المشار إليه بقوله عليه السلام: «الدنيا سجن المؤمن» ﴿**مصفوفة**﴾ مصطفة قد صف بعضها إلى جنب بعض أو مرمولة أي: مزينة بالذهب والفضة والجواهر وبالفارسية بر تختهاى بافته بزر. والظاهر أن جمع السرر مبني على أن يكون لكل واحد منهم سرر متعددة مصطفة معدة لزائريهم فكل من اشتاق إلى صديقه يزوره في منزله قال الكلبي: صف بعضها إلى بعض طولها مائة ذراع في السماء يتقابلون عليها في الزيارة وإذا أراد أحدهم القعود عليها تطامنت واتضعت فإذا قعد عليها ارتفعت إلى أصل حالها ﴿**وزوجناهم بحور عين**﴾ واحد الحور حوراء وواحد العين عيناء وإنما سمين حوراً لأن الطرف يحار في حسنهن وعيناً لأنهن الواسعات الأعين مع جمالها والباء للتعدية مع أن التزويج مما يتعدى إلى مفعولين بلا واسطة قال تعالى:

﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] لما فيه من معنى الوصل والإلصاق أو للسببية والمعنى صيرناهم أزواجاً بسببهن فإن الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن إليهم يعني أن التزويج حينئذ ليس على أصل معناه وهو النكاح وعقد النكاج بل بمعنى تصييرهم أزواجاً فلا يتعدى إلى مفعولين وبالفارسية وجفت كردانيم ايشانرا برنان سفيد روى كشاده چشم.

قال الراغب وقرناهم بهن ولم يجىء في القرآن زوجناهم حوراً كما يقال زوجته امرأة تنبيهاً على أن ذلك لم يكن على حسب التعارف فيما بيننا من المناكح انتهى قال في «فتح الرحمن» وقرناهم وليس في الجنة تزويج كالدنيا انتهى يعني أن الجنة ليست بدار تكليف فشأن تزويج أهل الجنة بالحور بقبول بعضهم بعضاً لا بأن يعقد بينهم عقد النكاح قال في «الواقعات المحمودية»: إن لأهل الجنة بيوت ضيافة يعملون فيها الضيافة للأحباب ويتنعمون ولكن أهليهم لا يظهرن لغير المحارم انتهى.

يقول الفقير: الظاهر أن عدم ظهورهن ليس من حيث الحرمة بل من حيث الغيرة يعني أن أهل الرجل إشارة إلى سره المكتوم فاقتضت الغيرة الإلهية أن لا تظهر لغير المحارم كما أن السر لا يفشى لغير الأهل وإلا فالحل والحرمة من توابع التكليف ولا تكليف هنالك وإنما كان ذلك ونحوه من باب التلذذ.

﴿والذين آمنوا﴾ مبتدأ خبره ألحقنا بهم ﴿واتبعتهم ذريتهم﴾ عطف على آمنوا أي: نسلهم ﴿بإيمان﴾ متعلق بالاتباع والتنكير للتقليل أي: بشيء من الإيمان وتقليل الإيمان ليس مبنياً على دخول الأعمال فيه بل المراد قلة ثمراته ودناءة قدره بذلك فالتقليل فيه بمعنى التحقير والمعنى واتبعتهم ذريتهم بإيمان في الجملة قاصرين عن رتبة إيمان الآباء واعتبار هذا القيد للإيذان بثبوت الحكم في الإيمان الكامل أصالة لا إلحاقاً ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ أي: أولادهم الصغار والكبار في الدرجة كما روي أنه عليه السلام قال: «إنه تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه لِتقرَّ بهم عينه» أي: يكمل سروره ثم تلا هذه الآية وفيها دلالة بينة على أن الولد الصغير يحكم بإيمانه تبعاً لأحد أبويه وتحقيقاً للحوقه به فإنه تعالى إذا جعلهم تابعين لآبائهم ولاحقين بهم في أحكام الآخرة فينبغي أن يكونوا تابعين لهم ولاحقين بهم في أحكام الدنيا أيضاً قال في «فتح الرحمن»: إن المؤمنين اتبعتهم أولادهم الكبار والصغار بسبب إيمانهم فكبارهم بإيمانهم بأنفسهم وصغارهم بأن اتبعوا في الإسلام بآبائهم بسبب إيمانهم لأن الولد يحكم بإسلامه تبعاً لأحد أبويه إذا أسلم وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد وقال مالك: يحكم بإسلامه تبعاً لإسلام أبيه دون أمه وأما إذا مات أحد أبويه في دار الإسلام فقال أحمد يحكم بإسلامه وهو من مفردات مذهبه خلافاً للثلاثة واختلفوا في إسلام الصبي المميز وردته فقال الثلاثة يصحان منه وقال الشافعي لا يصحان وفي «هدية المهديين»: إسلام الصبي العاقل وهو من كان في البيع سالباً وفي الشراء جالباً صحيح استحساناً حتى لا يرث من أقاربه الكفار ويصلى عليه إذا مات وارتداده ارتداد استحساناً في قول أبي حنيفة ومحمد إلا أنه يجبر على أحسن الوجوه ولا يقتل لأنه ليس من أهل العقوبة وفي الأشباه إن قيل أي مرتد لا يقتل فقل من كان إسلامه تبعاً أو فيه شبهة وأي رضيع يحكم بإسلامه بلا تبعية فقل لقيط في دار الإسلام وفي «الهدية» أيضاً صبي وقع من الغنيمة في سهم رجل في دار الحرب أو بيع به فمات يصلى عليه لأنه يصير مسلماً حكماً تبعاً لمولاه بخلاف ما قبل القسمة فإنه حينئذ يكون على دين أبويه وفي

«الفتوحات المكية» الطفل المسبي في دار الحرب إذا مات ولم يحصل منه تمييز ولا عقل يصلى عليه فإنه على فطرة الإسلام وهذا أولى ممن قال لا يصلى عليه لأن الطفل مأخوذ من الطفل وهو ما ينزل من السماء غدوة وعشية وهو أضعف من الرش والوبل فلما كان بهذا الضعف كان مرحوماً والصلاة رحمة فالطفل يصلى عليه إذا مات بكل وجه انتهى وإن دخل الصبي في دار الإسلام فإن كان معه أبواه أو أحدهما فهو على دينهما وإن مات الأبوان بعد ذلك فهو على ما كان كما في الهدية وإن لم يكن معه واحد منهما حين دخل الإسلام يصير مسلماً تبعاً للدار وللمولى ولو أسلم أحد الأبوين في دار الحرب يصير الصبي مسلماً بإسلامه وكذا لو أسلم أحد الأبوين في دار الإسلام ثم سبي الصبي بعده من دار الحرب فصار في دار الإسلام كان مسلماً بإسلامه ﴿وما ألتناهم﴾ وما نقصنا الآباء بهذا الإلحاق وإلا لأبغضوهم في الدنيا شحاً كما في عين المعاني من ألت يألت كضرب يضرب قال في «القاموس» ألته حقاً يألته نقصه كآلته إيلاتاً ﴿من عملهم﴾ من ثواب عملهم ﴿من شيء﴾ من الأولى متعلقة بألتناهم والثانية زائدة والمعنى ما نقصناهم من عملهم شيئاً بأن أعطينا بعض مثوباتهم أبناءهم فتنتقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وإنما رفعناهم إلى درجتهم ومنزلتهم بمحض التفضل والإحسان. يعني بلكه بفضل وكرم خود اولاد را رفعت درجه ارزاني فرمودم شيخ الإسلام حسين مروزي از استاد خود احمد بن أبي علي سرخسي رحمهما الله نقل ميكند كه ايمان وعمل جز بفضل لم يزلي نيست:

در فضل خدا بند دل خويش مدام تا فضل نباشد نبود كار تمام

وسألت خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن ولدين لها ماتا في الجاهلية فقال عليه السلام: «هما في النار» فكرهت فقال عليه السلام: «لو رأيت مكانهما لأبغضتهما قالت: فالذي منك قال في الجنة إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار» كما في «عين المعاني» وقال الإمام محمد: إن الإمام الأعظم توقف في أطفال المشركين والمسلمين والمختار أن أطفال المسلمين في الجنة وأما ما روي أنه توفي صبي من الأنصار فدعي النبي عليه السلام إلى جنازته فقالت عائشة رضي الله عنها: طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال عليه السلام: «أو غير ذلك أتعتقدين ما قلت» والحق غير الجزم به إن الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلاً فإنما نهاها عن الحكم على معين بدخول الجنة كما في «شرح المشارق» لابن الملك وقال مولى رمضان في «شرح العقائد» ولا يشهد بالجنة والنار لأحد بعينه بل يشهد بأن المؤمنين من أهل الجنة والكافرين من أهل النار وكذا أطفالهم تبعاً لهم وقيل هم في الجنة إذ لا إثم لهم وقيل هم في الأعراف ووجهه أن عدم التيقن لعدم العلم بخاتمته وإذا مات ولد المؤمن طفلاً فخاتمته الإيمان لا محالة تبعاً لأبيه إلا أن يكون تابعاً لخاتمة أبيه وهي غير معلومة انتهى واختار البعض في أطفال المشركين كونهم خدام أهل الجنة كما في هدية المهديين والأكثرون على أنهم في النار تبعاً لآبائهم وقال آخرون إنهم في الجنة لكونهم غير مكلفين وتوقف فيه طائفة وهو الظاهر كما في «شرح المشارق» لابن الملك وبقي قول آخر وهو أن الصبيان والمجانين وأهل الفترة يرسل إليهم يوم القيامة رسول من جنسهم ويدعون إلى الإيمان ويمتحن المؤمن بإيقاع نفسه في نار هناك فمن قبل الدعوة ولم يمتنع عن الإيقاع المذكور خلص لأنها ليست بنار حقيقة وإلا دخل النار أي: جهنم وقال الشيخ روز بهان البقلي في

«عرائس البيان» عند الآية هذا إذا وقعت فطرة الذرية من العدم سليمة طيبة طاهرة صالحة لقبول معرفة الله ولم تتغير من تأثير صحبة الأضداد لقوله عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» فإذا بقيت على النعت الأول ووصل إليها فيض مباشرة نور الحق ولم تتم عليها الأعمال يوصلها الله إلى درجة آبائهم وأمهاتهم الكبار من المؤمنين إذ هناك تتم أرواحهم وعقولهم وقلوبهم ومعرفتهم بالله عند كشف مشاهدته وبروز أنوار جلاله ووصاله وكذلك حال المريدين عند العارفين يبلغون إلى درجات كبرائهم وشيوخهم ما آمنوا بأحوالهم وقبلوا كلامهم كما قال رويم قدس سره: من آمن بكلامنا هذا من وراء سبعين حجاباً فهو من أهلنا وقال عليه السلام: «من أحب قوماً فهو منهم» وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٩] ولا تعجب من ذلك فإنه تعالى مبلغهم إلى أعلى الدرجات فإذا كانوا في منازل الوحشة يصلون إلى الدرجات العلية فكيف لا يصلون إليها في مقام الوصلة انتهى.

يقول الفقير: يظهر من هذا أن لحوق الأبناء الصورية والمعنوية بالآباء في درجاتهم مشروط بالإيمان الشرعي والتوحيد العقلي وليس لأطفال المشركين شيء من ذلك فكيف يلتحقون بأهل الجنة مطلقاً فإنما يلتحق المؤمن بالمؤمن لمجانستهما وأما الإيمان الفطري فلا يعتبر في دار التكليف وكذا في دار الجزاء والله أعلم بالأسرار ومنه نرجو الالتحاق بالأخيار ﴿كل امرىء﴾ هر مردى بالغ عاقل مكلف ﴿بما كسب﴾ بانچه كرده باشد ازخير وشر ﴿رهين﴾ در كروست روز قيامت يعني وابست است بپاداش كردار خود وزان رهايى ندارد ويعمل ديكرى مؤاخذه نيست وزن مكلفه نيز همين حكم دارد. كما في «تفسير الكاشفي» والرهن ما يوضع وثيقة للدين ولما كان الرهن يتصور منه حبسه استعير ذلك للمحتبس أي شيء كان وقال ابن الشيخ: ما مصدرية والفعيل بمعنى المفعول والعمل الصالح بمنزلة الدين الثابت على المرء من حيث إنه مطالب به ونفس العبد مرهونة به فكما أن المرتهن ما لم يصل إليه الدين لا ينفك منه الرهن كذلك العمل الصالح ما لم يصل إلى الله لا تتخلص نفس العبد المرهونة فالمعنى كل امرىء مرهون عند الله بالعمل الصالح الذي هو دين عليه فإن عمله واداه كما هو المطلوب منه فك رقبته من الرهن وإلا أهلكها وفي هذا المعنى قال عليه السلام لكعب بن عجرة رضي الله عنه: «لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت النار أولى به» يا كعب بن عجرة «الناس صنفان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها» وقال مقاتل: كل امرىء كافر بما عمل من الشرك مرهون في النار والمؤمن لا يكون مرتهناً لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٩﴾ [المدثر: ٣٨، ٣٩] وفي الآية وجه آخر وهو أن يكون الرهين فعيلاً بمعنى الفاعل فيكون المعنى كل امرىء بما كسب رهين أي: دائم ثابت مقيم إن أحسن ففي الجنة مؤيداً وإن أساء ففي النار مخلداً لأن في الدنيا دوام الأعمال بدوام الأعيان فإن العرض لا يبقى إلا في جوهر ولا يوجد إلا فيه وفي الآخرة دوام الأعيان بدوام الأعمال فإن الله يبقي أعمالهم لكونها عند الله من الباقيات الصالحات وما عند الله باق والباقي من الأعيان يبقى ببقاء عمله.

قال في «الإرشاد»: وهذا المعنى أنسب بالمقام فإن الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته أن لا ينقص من ثواب الآباء شيء فالجملة تعليل لما قبلها انتهى.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿**وأمددناهم**﴾ أصل المد الجر وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب والمد في المكروه والإمداد بالفارسية مدد كردن ومدد دادن.

وفي «القاموس» الإمداد تأخير الأجل وأن تنصر الأجناد بجماعة غيرك والإعطاء والإغاثة ﴿**بفاكهة**﴾ هي الثمار كلها ﴿**ولحم مما يشتهون**﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه والمعنى: وزدناهم على ما كان من مبادي التنعم وقتا فوقتا مما يشتهون من فنون النعماء وضروب الآلاء. وذلك أنه تعالى لما قال ﴿**وما ألتناهم**﴾ ونفي النقصان يصدق بإيصال المساوي دفع هذا الاحتمال بقوله ﴿**وأمددناهم**﴾ أي: ليس عدم النقصان بالاقتصار على المساوي بل بالزيادة على ثواب أعمالهم والإمداد وتنوين فاكهة للتكثير أي: بفاكهة لا تنقطع كلما أكلوا ثمرة عاد مكانها مثلها وما في ﴿**مما يشتهون**﴾ للعموم لأنواع اللحمان وفي الخبر أنك لتشتهي الطير في الجنة فيخر بين يديك مشوياً وقيل يقع الطائر بين يدي الرجل في الجنة فيأكل منه قديداً ومشوياً ثم يطير إلى النهر.

﴿**يتنازعون فيها**﴾ نزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس من كبدها والتنازع والمنازعة المجاذبة ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة والمراد بالتنازع هنا التعاطي والتداول على طريق التجاذب يعني تجاذب الملاعبة لفرط السرور والمحبة وفيه نوع لذة إذ لا يتصور في الجنة التنازع بمعنى التخاصم والمعنى يتعاطون في الجنات ويتداولون هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبىء عنه التعبير بالتنازع وبالفارسية بايكديكر داد وستد كنند دربهشت يعني بهم دهند وازهم ستانند ﴿**كأساً**﴾ كأسه مملو ازخمر بهشت. والكأس قدح فيه شراب ولا يسمى كأساً ما لم يكن فيه شراب كما لا تسمى مائدة ما لم يكن عليها طعام والمعنى كأساً أي: خمراً تسمية لها باسم محلها ولما كانت الكأس مؤنثة مهموزة أنث الضمير في قوله ﴿**لا لغو فيها**﴾ أي: في شربها حيث لا يتكلمون في أثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام قال ابن عطاء أي لغو يكون في مجلس محله جنة عدن والساقي فيها الملائكة وشربهم ذكر الله وريحانهم تحية من عند الله مباركة طيبة والقوم أضياف الله.

قال الراغب: اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية وفكر فيجري مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور ﴿**ولا تأثيم**﴾ ولا يفعلون ما يأثم به فاعله أي: ينسب إلى الإثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والسب والفواحش كما هو ديدن المنادمين في الدنيا وإنما يتكلمون بالحكم وأحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام لأن عقولهم ثابتة غير زائلة وذلك كسكارى المعرفة في الدنيا فإنهم إنما يتكلمون بالمعارف والحقائق. قال البقلي: وصفهم الله في شربهم لكاسات شراب وصله بالمنازعة والشوق إلى مزيد القرب ثم وصف شرابهم أنه يورثهم التمكين والاستقامة في السكر لا يؤول حالهم إلى الشطح والعربدة وما يتكلم به سكارى المعرفة في الدنيا عند الخلق ولا يشابه حال أهل الحضرة حال أهل الدنيا من جميع المعاني ثم إنه قد يقع الأكل والشرب في المنام فيسري حكمه إلى الجسد لغلبة الروحانية كما قال بعض الكبار: العيش مع الله هو القوت الذي من أكله لا يجوع وإليه أشار

عليه السلام بقوله: «إني لست كهيئتكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» والمراد بذلك الشبع والري الذي يعود من ثمرة الأكل والشراب يعني يبيت جائعاً فيرى في منامه أنه يأكل فيصبح شبعاناً وقد اتفق ذلك لبعضهم بحكم الإرث وبقي رائحة ذلك الطعام حين استيقظ نحو ثلاثة أيام والناس يشمونها منه وأما غير النبي وغير الوارث فإذا رأى أنه يأكل استيقظ وهو جيعان مثل ما نام فصح قوله ﷺ «إن المبشرات جزء من أجزاء النبوة» انتهى.

يقول الفقير: فرب شبعان في دعواه جيعان في نفس الأمر ألا ترى حال من أكل في منامه حتى شبع ثم استيقظ وهو جائع وكذلك حال أهل التلوين فإن من شرب شراباً من هذه المعرفة يقع في الدعاوى العريضة كما شاهدناه في بعض المعاصرين ولا يدري أن حاله بالنسبة إلى حال أهل التمكين كحال النائم فمن سكر من رائحة الخمر ليس كمن سكر من شرب نفسها فأين أنت من الحقيقة فاعرف حدك ولا تتعد طورك فإن التعدي من قبيل اللغو والتأثيم.

قال الخجندي: از عشق دم مزن چونكشتى شهيد عشق. دعواي اين مقام درست از شهادتست.

﴿ويطوف عليهم﴾ الطواف المشي حول الشيء ومنه الطائف لمن يدور حول البيوت حافظاً أي: ويدور على أهل الجنة بالكأس وقيل بالخدمة ﴿غلمان لهم﴾ جمع غلام وهو الطار الشارب أي: مماليك مخصوصون بهم لم يضفهم بأن يقول غلمانهم لئلا يظن أنهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيتفق كل من خدمه أحداً في الدنيا أن يكون خادماً له في الجنة فيحزن لكونه لا يزال تابعاً وأفاد التنكير أن كل من دخل الجنة وجد له خدم لم يعرفهم كما في حواشي سعدي المفتي ﴿كأنهم لؤلؤ مكنون﴾ حال من غلمان لأنهم قد وصفوا أي: كأنهم في البياض والصفاء لؤلؤ مصون في الصدف لأنه رطباً أحسن وأصفى إذ لم تمسه الأيدي ولم يقع عليه غبار وبالفارسية كويا ايشان در صفا ولطافت مرواريد پوشيده انددر صدف كه دست كس بديشان نرسيده. أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالي القيمة قيل لقتادة: هذا الخادم فكيف المخدوم فقال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وأقبل بعضهم على بعض﴾ وروي مي آرند بعضي ازبهشتيان بربعض ديكر ﴿يتساءلون﴾ أي: يسأل كل بعض منهم بعضاً آخر عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله من الكرامة وذلك تلذذاً واعترافاً بالنعمة العظيمة على حسب الوصول إليها على ما هو عادة أهل المجلس يشرعون في التحادث ليتم به استئناسهم فيكون كل بعض سائلاً ومسؤولاً لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضاً آخر معيناً.

﴿قالوا﴾ أي: المسؤولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة ﴿إنا كنا قبل﴾ أي: قبل دخول الجنة ﴿في أهلنا﴾ درميان اهل خود يعني بوديم دردنيا ﴿مشفقين﴾ أرقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة قيد بقوله في أهلنا فإن كونهم بين

أهليهم مظنة الأمن فإذا خافوا في تلك الحال فلأن يخافوا في سائر الأحوال والأوقات أولى وقال سعدي المفتي: ولعل الأولى أن يجعل إشارة إلى معنى الشفقة على خلق الله كما أن قوله ﴿**إنا كنا من قبل ندعوه**﴾ إشارة إلى التعظيم لأمر الله وترك العاطف لجعل الثاني بياناً للأول ادعاء للمبالغة في وجوب عدم انفكاك كل منهما عن الآخر انتهى.

يقول الفقير: الظاهر أن هذا الكلام وارد على عرف الناس فإنهم يقولون شأننا بين قومنا وقبيلتنا كذا فهم كانوا في الدنيا بين قبائلهم وعشائرهم على صفة الإشفاق وفيه تعريض بأن بعض أهلهم لم يكونوا على صفتهم ولذا صاروا محرومين ويدل على هذا أن الأهل يفسر بالأزواج والأولاد وبالعبيد والإماء وبالأقارب وبالأصحاب وبالمجموع كما في «شرح المشارق» لابن الملك ﴿**فمن الله**﴾ أي: أنعم ﴿**علينا**﴾ بالرحمة والتوفيق للحق.

يقول الفقير: الظاهر أن المن والإنعام إنما هو بالجنة ونعيمها كما دل عليه قوله: ﴿**ووقانا عذاب السموم**﴾ أي: حفظنا من عذاب النار النافذة في المسام أي: ثقب الجسد كالمنخر والفم والأذن نفوذ السموم وهي الريح الحارة التي تدخل المسام فأطلق على جهنم لنفوذ حرها في المسام كالسموم وفي «المفردات» السموم الريح الحارة التي تؤثر تأثير السم وقال البقلي: هذا شكر من القوم في رؤية الحق سبحانه أي: كنا مشفقين من الفراق في الدنيا والبعد في يوم التلاق فمن الله علينا ووقانا من ذلك العذاب المحرق المفني هذا في أوائل الرؤية أما إذا استقاموا في الوصال نسوا ما كان فيهم من ذكر الإشفاق وغيره والإشفاق وصف الأرواح والخوف صفة القلوب وقال الجنيد قدس سره: الإشفاق أرق من الخوف والخوف أصلب وقال بعضهم: الإشفاق للأولياء والخوف لعامة المؤمنين وقال الواسطي قدس سره: لاحظوا دعاءهم وشفقتهم ولم يعلموا أن الوسائل قطعت المتوسلين عن حقيقة وحجبت من إدراك من لا وسيلة إلا به.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿**إنا كنا من قبل**﴾ أي: من قبل لقاء الله والمصير إليه يعنون في الدنيا ﴿**ندعوه**﴾ أي: نعبده أو نسأله الوقاية ﴿**إنه هو البر**﴾ أي: المحسن ﴿**الرحيم**﴾ الكثير الرحمة الذي إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب قال الراغب: البر خلاف البحر وتصور منه التوسع فاشتق منه البر أي: التوسع في فعل الخير وينسب ذلك تارة إلى الله تعالى نحو أنه هو البر الرحيم وإلى العبد تارة فيقال بر العبد ربه أي: توسع في طاعته فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك ضربان: ضرب في الاعتقاد وضرب في الأعمال الفرائض والنوافل وبر الوالدين التوسع في الإحسان إليهما وضده العقوق قال في «شرح الأسماء»: من عرف أنه هو البر الرحيم رجع إليه بالرغبة في كل حقير وعظيم فكفاه ما أهمه ببره ورحمته وقد قال في حكم ابن عطاء: متى أعطاك أشهدك بره وإحسانه وفضله ومتى منعك أشهدك قهره وجلاله وعظمته فهو في كل ذلك متعرف إليك تارة بجماله وأخرى بجلاله ومقبل بوجود لطفه عليك اذ وجه لك ما يوجب توجهك إليه ولكن إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه إذ لو فهمت عنه كنت تشكره على ما واجهك منه فقد قال ابو عثمان المغربي قدس سره: الخلق كلهم مع الله في مقام الشكر وهم يظنون

أنهم في مقام الصبر وقال ابراهيم الخواص قدس سره: لا يصح الفقر للفقير حتى يكون فيه خصلتان: إحداهما الثقة بالله والثانية الشكر له فيما زوي عنه في الدنيا مما ابتلي به غيره ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له في المنع أفضل من نظره له في العطاء وعلامة صدقه في ذلك أن يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطاء والتقرب باسم البر تعلقاً وجود محبته لإحسانه وترك التدبير معه لما توجه من إكرامه وكثرة الدعاء كما قال: ﴿**إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم**﴾ وتخلقاً بالنفع لعباد الله والشفقة عليهم فإن البر هو الذي لا يؤذي الذر.

وفي «التأويلات النجمية» وأقبل بعضهم يعني القلب والروح على بعض يعني النفس يتساءلون قالوا: إنا كنا قبل أي: قبل السير والسلوك في أهلنا أي: في عالم الإنسانية مشفقين أي: خائفين من سموم الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية والشهوات الدنيوية فإنها مهب سموم قهر الحق فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم أي: سموم قهره ولولا فضله ما تخلصنا منه بجهدنا وسعينا بل إنا كنا من قبل ندعوه ونتضرع إليه بتوفيقه في طلب النجاة وتحصيل الدرجات إنه هو البر بمن يدعوه الرحيم بمن ينيب إليه.

﴿**فذكر**﴾ قال ابن الشيخ: لما بين الله أن في الوجود قوماً يخافون الله ويشفقون في أهلهم والنبي عليه السلام مأمور بتذكير من يخاف الله فرع عليه قوله فذكر بالفاء.

وقال الكاشفي: آورده اندكه جماعتى مقتسمان برعقبات مكه حضرت رسول را عليه السلام نزد قبائل عرب بكهانت وجنون وسحر وشعر منسوب ميساختند وآن حضرت اندوهناك ميشد آيت آمدكه فذكر أي: فاثبت على ما أنت عليه من تذكير المشركين بما أنزل إليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الأباطيل ﴿**فما أنت بنعمة ربك**﴾ نعمت رسمت بالتاء ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب أي: بسبب إنعامه بصدق النبوة وزيادة العقل.

وقال الكاشفي: بإنعام پروردكار خود يعني بحمد الله ونعمته أو ما أنت بكاهن حال كونك منعماً عليك به فهو حال لازمة من المنوي في كاهن لأنه عليه السلام لم يفارق هذه الحال فتكون الباء للملابسة والعامل هو معنى النفي ويجوز أن يجعل الباء للقسم ﴿**بكاهن**﴾ كما يقولون قاتلهم الله وهو من يبتدع القول ويخبر عما سيكون في غد من غير وحي وفي «المفردات» الكاهن الذي يخبر بالأخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذي يخبر بالأخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هاتين الصناعتين مبنيتين على الظن الذي يخطىء ويصيب قال عليه السلام: من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل الله على محمد ويقال كهن فلان كهانة إذا تعاطى ذلك وكهن إذا تخصص بذلك وتكهن تكلف ذلك وفي «القاموس» كهن له كجعل ونصر وكرم كهانة بالفتح وتكهن تكهناً وتكهيناً قضى له بالغيب فهو كاهن والجمع كهنة وكهان وحرفته الكهانة بالكسر انتهى قال ابن الملك في قوله عليه السلام: «من سأل عرافاً لم تقبل صلاته أربعين ليلة» العراف من يخبر بما أخفى من المسروق أو الكاهن وأما من سألهم لاستهزائهم أو لتكذيبهم فلا يلحقه ما ذكر في الحديث بقرينة حديث آخر «من صدق كاهناً لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة» فإن قلت هذا مخالف لقوله عليه السلام: «من صدق كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد» قلت: اللائح لي في التوفيق أن يقال مصدق الكاهن يكون كافراً إذا اعتقد أنه عالم بالغيب وأما إذا اعتقد أنه ملهم من الله أو أن الجن يلقون مما

يسمعون من الملائكة فصدقه من هذا فلا يكون كافراً انتهى كلام ابن الملك وفي «هدية المهديين» من قال: أعلم المسروقات يكفر ولو قال أنا أخبر عن أخبار الجن يكفر أيضاً لأن الجن كالإنس لا يعلم غيباً ﴿ولا مجنون﴾ وهو من به جنون وهو زوال العقل أو فساده وفي «المفردات» الجنون الحائل بين النفس والعقل وفي «التعريفات» الجنون هو اختلال العقل بحيث يمنع جريان الأفعال والأقوال على نهج العقل إلا نادراً وهو عند أبي يوسف إن كان حاصلاً في أكثر السنة فمطبق وما دونه فغير مطبق.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن طبيعة الإنسان متنفرة من حقيقة الدين مجبولة على حب الدنيا وزينتها وشهواتها وزخارفها والجوهر الروحاني الذي جبل على فطرة الإسلام في الإنسان مودع بالقوة كالجوهر في المعدن فلا يستخرج إلى الفعل إلا بجهد جهيد وسعي تام على قانون الشريعة ومتابعة النبي عليه السلام وإرشاده وبعده بإرشاد ورثة علمه وهم العلماء الربانيون الراسخون في العلم من المشايخ المسلكين وفي زمان كل واحد منهم والخلق مع دعوى إسلامهم ينكرون على سيرهم في الأغلب ويستبعدون ترك الدنيا والعزلة والانقطاع عن الخلق والتبتل إلى الله وطلب الحق إلا من كتب الله في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه وهو الصدق في الطلب وحسن الإرادة المنتجة من بذر يحبهم ويحبونه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وإلا فمن خصوصية طبيعة الإنسان أن يمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية وإن كانوا يصلون ويصومون ويزعمون أنهم مسلمون ولكن بالتقليد لا بالتحقيق اللهم إلا من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه انتهى.

يقول الفقير: في الآية تشريف للنبي عليه السلام جداً حيث إن الله تعالى ناب عنه في الجواب ورد الكافرين بنفسه وهو أيضاً تصريح بما علم التزاماً فإن الأمر بالتذكير الذي هو متعلق بالوحي وإن كان مقتضاه كمال العقل والصدق في القول يقتضي أن لا يكون عليه السلام كاهناً ولا مجنوناً فهذا النفي بالنسبة إلى ظاهر الحال فإنه لا يخلو من دفع الوهم وتمكين التصديق ونظيره كلمة الشهادة فإن قوله لا إله نفي للوجود المتوهم الذي يتوهمونه وإلا فلا شيء غير الإثبات فافهم والله المعين:

سيدى كزو هم قدرش بر ترست   خاك پايش چرخ را تاج سرست

﴿أم يقولون﴾ بلكه مى كويند درحق تو، أم المكررة في هذه الآيات منقطعة بمعنى بل والهمزة ومعنى الهمزة فيها الإنكار ونقل البغوي عن الخليل أنه قال: ما في سورة الطور من ذكر أم كله استفهام وليس بعطف يعني ليست بمنقطعة وقال في برهان القرآن: أعاد أم خمس عشرة مرة وكلها إلزامات وليس للمخاطبين بها عنها جواب وفي «عين المعاني» أم هٰهنا خمسة عشر وكله استفهام أربعة للتحقيق على التوبيخ بمعنى بل أم يقولون شاعر أم يقولون تقوله وقد قالوهما وأم هم قوم طاغون وأم يريدون كيداً وقد فعلوهما وسائرهما للإنكار وفي «فتح الرحمٰن» جميع ما في هذه السورة من ذكر أم استفهام غير عاطفة واستفهم تعالى مع علمه بهم تقبيحاً عليهم وتوبيخاً لهم كقول الشخص لغيره: أجاهل أنت مع علمه بجهله ﴿شاعر﴾ أي: هو شاعر وقد سبق معنى الشعر والشاعر في أواخر سورة يس مفصلاً قال الإمام المرزوقي شارح الحماسة: تأخر الشعراء عن البلغاء لتأخر المنظوم عند العرب لأن ملوكهم قبل الإسلام وبعده يتحجون بالخطابة ويعدونها أكمل أسباب الرياسة ويعدون الشعر دناءة ولأن الشعر كان

مكسبة وتجارة وفيه وصف اللئيم عند الطمع بصفة الكريم والكريم عند تأخر صلته بوصف اللئيم ومما يدل على شرف النثر أن الإعجاز وقع في النثر دون النظم لأن زمن النبي عليه السلام زمن الفصاحة كذا ذكره صاحب «روضة الأخبار» فإن قلت فإذا كان الإعجاز واقعاً في النثر فكيف قالوا في حق القرآن شعر وفي حقه عليه السلام شاعر قلت ظنوا أنه عليه السلام كان يرجو الأجر على التبليغ ولذا قال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧] فكان عليه السلام عندهم بمنزلة الشاعر حيث إن الشاعر إنما يستجلب بشعره في الأغلب المال وأيضاً لما كانوا يعدون الشعر دناءة حملوا القرآن عليه ومرادهم عدم الاعتداد به فإن قلت كيف كانوا يعدون الشعر دناءة وقد اشتهر افتخارهم بالقصائد حتى كانوا يعلقونها على جدار الكعبة قلت: كان ذلك من كمال عنادهم أو جرياً على مسلك أهل الخطابة من الأوائل فاعرف فإن هذا زائد على ما فصل في سورة يس وقد لاح بالبال في هذا المقام قال ابن الشيخ قوله أم يقولون الخ من باب الترقي إلى قولهم فيه أنه شاعر لأن الشاعر أدخل في الكذب من الكاهن والمجنون وقد قيل أحسن الشعر أكذبه وكانوا يقولون: لا نعارضه في الحال مخافة أن يغلبنا بقوة شعره وإنا نصبر ونتربص موته وهلاكه كما هلك من قبله من الشعراء وحينئذ تتفرق أصحابه وأن أباه مات شاباً ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه وذلك قوله سبحانه وتعالى **﴿نتربص به ريب المنون﴾** التربص الانتظار والريب ما يقلق النفوس أي: يورث قلقاً واضطراباً لها من حوادث الدهر وتقلبات الزمان فهو بمعنى الرائب من قولهم رابه الدهر وأرابه أي: أقلقه وقيل سميت ريباً لأنها لا تدوم على حال كالريب وهو الشك فإنه لا يبقى بل هو متزلزل وفي «المفردات» ريب الدهر صروفه وإنما قيل ريب لما يتوهم فيه من المنكر وفيه أيضاً الريب أن تتوهم بالشيء أمراً ما فينكشف عما توهمته ولهذا قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] والإرابة أن تتوهم فيه أمراً فلا ينكشف عما تتوهمه وقوله **﴿نتربص به ريب المنون﴾** سماه ريباً لا من حيث إنه مشكك في كونه بل من حيث إنه يشكك في وقت حصوله فالإنسان أبداً في ريب المنون من جهة وقته لا من جهة كونه وعلى هذا قال الشاعر:

الناس قد علموا أن لا بقاء لهم ... لو أنهم عملوا مقدار ما علموا

انتهى.

والمنون الدهر والموت والكثير الامتنان كالمنونة والتي تزوجت لمالها فهي تمن على زوجها كالمنانة انتهى وقيل في الآية المنون الموت وريبه أوجاعه وهو في الأصل فعول من منه إذا قطعه لأن الدهر يقطع القوى والموت يقطع الأماني والعمر وفي «المفردات» قيل: المنون للمنية لأنها تنقص العدد وتقطع المدد انتهى وريب منصوب على أنه مفعول به والمعنى بل أيقولون ننتظر به نوائب الدهر فيهلك كما هلك غيره من الشعراء زهير والنابغة وطرفة وغيرهم أو ننتظر أوجاع الموت كما مات أبوه شاباً وذلك كما تتمنى الصبيان في المكتب موت معلمهم ليتخلصوا من يده فويل لمن أراد هلاك معلمه في الدين وكان محروماً من تحصيل اليقين.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قل تربصوا فإني معكم من المتربصين﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي والأمر

بالتربص للتهديد قال الراغب: التربص انتظار الشخص سلعة كان يقصد بها غلاء أو رخصاً أو أمراً ينتظر زواله أو حصوله انتهى وفيه عدة كريمة بإهلاكهم وجاء في التفسير أن جميعهم ماتوا قبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد وقع في زماننا أن بعض الوزراء أهان بعض الأولياء فأجلاه وكان ينتظر هلاكه فهلك قبله هلاكاً هائلاً حيث قتل وقتل معه ألوف وفي الآية إشارة إلى التربص في الأمور ودعوة الخلق إلى الله والتوكل على الله فيما يجري على عباده والتسليم لأحكامه في المقبولين والمردودين إذ كل يجري على ما قضاه الله.

﴿أم تأمرهم أحلامهم﴾ أي: دع تفوههم بهذه الأقوال الزائغة المتناقضة وفيهم ما هو أقبح من ذلك وهو أنهم سفهاء ليسوا من أهل التمييز والأحلام العقول قال الراغب: وليس الحلم في الحقيقة هو العقل لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل والحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب ﴿بهذا﴾ أي: بهذا التناقض في المقال فإن الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في الأمور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع هؤلاء في واحد وأمر الأحلام بذلك مجاز عن أدائها إلى التناقض بعلاقة السببية كقوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ [هود: ٨٧] لا أنه جعلت الأحلام آمرة على الاستعارة المكنية وفي «الكواشي» جعلت الحلوم آمرة مجازاً ولضعفها جمعت جمع القلة قال في «القاموس»: الحلم بالضم وبضمتين الرؤيا والجمع أحلام والحلم بالكسر الأناة والعقل والجمع أحلام وحلوم ومنه أم تأمرهم أحلامهم وهو حليم والجمع حلماء وأحلام انتهى.

وكان قريش يدعون أهل الأحلام والنهى فأزرى الله بعقولهم حين لم تثمرهم معرفة الحق من الباطل وقيل لعمرو بن العاص رضي الله عنه: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقول فقال تلك عقول كادها الله أي: لم يصحبها التوفيق وفي الخبر: أن الله لما خلق العقل قال له: أدبر فأدبر ثم قال له: أقبل فأقبل. يعني كفت بوى پشت بركن پشت بركرد پس كفت روي بازكن روي بازكرد. «فإني لم أخلق خلقاً أكرم علي منك بك أعبد وبك أعطي وبك آخذ» قال أبو عبد الله المغربي لما قال له ذلك تداخله العجب فعوقب من ساعته فقيل له: التفت فلما التفت نظر إلى ما هو أحسن منه فقال: من أنت؟ قال أنا الذي لا تقوم إلا بي قال: ومن أنت؟ قال التوفيق. وفي «المثنوي»:

جز عنايت كي كشايد چشم را	جز محبت كي نشاند خشم را
جهد بي توفيق خودكس را مباد	در جهان والله أعلم بالرشاد

روي أن صفوان بن أمية فخر على رجل فقال: أنا صفوان بن أمية بن خلف ابن فلان فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأرسل إليه وغضب فلما جاء قال: ثكلتك أمك ما قلت فهاب عمر أن يتكلم فقال عمر: إن كان لك تقوى فإن لك كرماً وإن كان لك عقل فإن لك أصلاً وإن كان لك خلق حسن فإن لك مروءة وإلا فأنت شر من الكلب ﴿أم هم قوم طاغون﴾ مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد مع ظهور الحق لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الأكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون. قال ابن الشيخ: ثم قيل لا بل ذلك من طغيانهم لأنه أدخل في الذم من نقصان العقل وأبلغ في التسلية لأن من طغى على الله فقد باء بغضبه ﴿أم يقولون تقوله﴾ هو ترق إلى ما هو أبلغ في كونه منكراً وهو أن ينسبوا إليه عليه السلام أنه يختلق القرآن من تلقاء نفسه ثم يقول: إنه من عند الله افتراء عليه والتقول تكلف

القول ولا يستعمل إلا في الكذب والمعنى اختلق القرآن من تلقاء نفسه وليس الأمر كما زعموا ﴿بل لا يؤمنون﴾ البتة لأن الله ختم على قلوبهم وفي «الإرشاد» فلكفرهم وعنادهم يرمونه بهذه الأباطيل التي لا يخفى على أحد بطلانها كيف لا وما رسول الله إلا واحد من العرب أتى بما عجز عنه كافة الأمم من العرب والعجم وفي كون ذلك مبنياً على العناد إشارة إلى أنهم يعلمون بطلان قولهم وتناقضه.

﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ أي: إذا كان الأمر كما زعموا من أنه كاهن أو مجنون أو شاعر ادعى الرسالة وتقول القرآن من عند نفسه فليأتوا بكلام مثل القرآن في النعوت التي استقل بهم من حيث النظم ومن حيث المعنى قال في «التكملة»: المشهور في القرآن بحديث مثله بالتنوين فيكون الضمير راجعاً إلى القرآن.

ـ وروي ـ عن الجحدري أنه قرأ بحديث مثله بالإضافة فيكون الضمير راجعاً إلى النبي عليه السلام ﴿إن كانوا صادقين﴾ فيما زعموا فإن صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ودواعي الأمر بذلك.

واعلم أن الإعجاز إما أن يتعلق بالنظم من حيث فصاحته وبلاغته أو يتعلق بمعناه ولا يتعلق به من حيث مادته فإن مادته ألفاظ العرب وألفاظه ألفاظهم قال تعالى: ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] تنبيهاً على اتحاد العنصر وأنه منظم من عين ما ينظمون به كلامهم والقرآن معجز من جميع الوجوه لفظاً ومعنى ومتميز من خطبة البلغاء ببلوغه حد الكمال في اثني عشر وجهاً إيجاز اللفظ والتشبيه الغريب والاستعارة البديعة وتلاؤم الحروف والكلمات وفواصل الآيات وتجانس الألفاظ وتعريف القصص والأحوال وتضمين الحكم والأسرار والمبالغة في الأسماء والأفعال وحسن البيان في المقاصد والأغراض وتمهيد المصالح والأسباب والأخبار عما كان وما يكون.

﴿أم خلقوا من غير شيء﴾ من لابتداء الغاية أي: أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير البديع والشكل العجيب من غير محدث ومقدر وقيل أم خلقوا من أجل لا شيء من عبادة وجزاء فمن للسببية.

وقال الكاشفي: آيا آفريده شده اند ايشان بى چيزى يعني بى پدر ومادر مراد آنست كه ايشان آدمى انداز آدميان زاده شده نه جمادندكه تعقل خود نكند ﴿أم هم الخالقون﴾ لأنفسهم فلذلك لا يعبدون الله تعالى.

﴿أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾ أي: إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا وإلا لما أعرضوا عن عبادته تعالى والإيقان بي كمان شدن.

﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ جمع خزانة بالكسر وهو مكان الخزن يقال خزن المال أحرزه

وجعله في الخزانة وهو على حذف المضاف أي: خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا ويمسكوها عمن شاؤوا أي: أعندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره ﴿**أم هم المسيطرون**﴾ أي: الغالبون على الأمور يدبرونها كيفما شاؤوا حتى يدبروا أمر الربوبية وبينوا الأمور على إرادتهم ومشيئتهم وفي «عين المعاني» أي: الأرباب المسلطون على الناس فيجبرونهم على ما شاؤوا من السطر كأنه يخط للمسلط عليه خطاً لا يجاوزه وفي «كشف الأسرار» المسيطر المسلط القاهر الذي لا يكون تحت أمر أحد ونهيه ويفعل ما يشاء يقال تصيطر على فلان بالسين والصاد أي: سلط انتهى قال في «القاموس»: المسيطر الرقيب الحافظ والمتسلط والسطر الصف من الشيء الكتاب والشجر وغيره والخط والكتابة ويحرك في الكل والصطر بالصاد ويحرك السطر وتصيطر تسيطر

﴿**أم لهم سلم**﴾ منصوب إلى السماء وبالفارسية آيامر ايشانراست نردبانى كه بدان با آسمان بروند قال الراغب: السلم ما يتوصل به إلى الأمكنة العالية فيرجى به السلامة ثم جعل اسماً لما يتوصل به إلى كل شيء رفيع كالسبب قال ابن الشيخ: لما أبطل من الاحتمالات العقلية جميع ما يتوهم أن يبنوا عليه تكذيبهم وإنكارهم لم يبق لهم إلا المشاهدة والسماع منه تعالى وهو أظهر استحالة فتهكم بهم وقال بل ألهم سلم ﴿**يستمعون فيه**﴾ ضمن يستمعون معنى الصعود فاستعمل بفي وفيه متعلق بمحذوف هو حال من فاعل يستمعون أي: يستمعون صاعدين في ذلك السلم ومفعول يستمعون محذوف أي: إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الأمور التي يتقولون فيها رجماً بالغيب ويعلقون بها أطماعهم الفارغة وفي «كشف الأسرار» فيه أي: عليه كقوله: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: عليها.

﴿**فليأت**﴾ پس بيايد كه بيارد. فالباء الآتي للتعدية وهو أمر تعجيز ﴿**مستمعهم**﴾ شنونده ايشان كه بر آسمان برفتند وپيغام غيب شنيدند ﴿**بسلطان مبين**﴾ بحجة واضحة تصدق استماعه وبالفارسية حجتي روشن كه كواه باشد بر صدق استماع وى.

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿**أم له البنات ولكم البنون**﴾ هذا إنكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون أو تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وإيذان بأن من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلاً عن الترقي بروحه إلى عالم الملكوت والتطلع على الأسرار الغيبية وذلك أن من جعل خالقه أدون حالاً منه بأن جعل له ما لا يرضى لنفسه كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النحل: ٥٨] فإنه لم يستبعد منه أمثال تلك المقالات الحمقاء والالتفات إلى الخطاب لتشديد ما في أم المنقطعة من الإنكار والتوبيخ.

﴿**أم تسألهم أجراً**﴾ رجوع إلى خطابه عليه السلام وإعراض عنهم أي: بل أتسألهم أجراً على تبليغ الرسالة تاتاوان زده شدند ﴿**فهم**﴾ لأجل ذلك ﴿**من مغرم**﴾ من التزام غرامة فادحة فالمغرم مصدر ميمي بمعنى الغرم والمضاف مقدر وفي «الكشاف» المغرم أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه وفي «الفتح الرحمن» المغرم ما يلزم أداؤه وفي «المفردات» الغرم ما ينوب الإنسان

من ماله من ضرر بغير جناية منه وكذا المغرم والغريم يقال لمن له الدين ولمن عليه الدين انتهى ﴿مثقلون﴾ محملون الثقل وبالفارسية كران بارشوند فلذلك لا يتبعونك يعني لا عذر لهم أصلاً والدين لا يباع بالدنيا:

زيان ميكنند مرد تفسيردان كه علم وادب ميفروشد بنان

فالأجر على الله تعالى كما قال ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢] وقد سبق تحقيقه في مواضع متعددة ﴿أم عندهم الغيب﴾ أي: اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب ﴿فهم يكتبون﴾ ما فيه حتى يتكلموا في ذلك بنفي أو إثبات.

وقال الكاشفي: پس ايشان مى نويسند ازان كه خبر پيغمبر عليه السلام از امر قيامت وبعث باطلست يا كتابت كنندكه موت توكى خواهد بود.

﴿أم يريدون كيداً﴾ أي: لا يكتفون بهذه المقالات الفاسدة ويريدون مع ذلك أن يكيدوا بك كيداً وإساءة وهو كيدهم برسول الله عليه السلام في دار الندوة ومكرهم بالقتل والحبس والإخراج فإن الكيد هو الأمر الذي يسوء من نزل به سواء كان في نفسه حسناً أو قبيحاً فالاستفهام في المعطوف للتقرير وفي المعطوف عليه للإنكار وقال بعضهم: الكيد ضرب من الاحتيال وفي «التعريفات» الكيد إرادة مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة السيئة ومن الله التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق وقال سعدي المفتي: الظاهر أنه من الإخبار بالغيب فإن السورة مكية وذلك الكيد كان وقوعه ليلة الهجرة فإن قيل فليكن نزول الطور في تلك الليلة قلنا قد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نزل بعدها بمكة تبارك الملك وغيرها من السور ﴿فالذين كفروا هم المكيدون﴾ القصر إضافي أي: هم الذين يحيق بهم كيدهم أو يعود عليهم وباله لا من أرادوا أن يكيدوه فإنه المظفر الغالب عليهم قولاً وفعلاً حجة وسيفاً أو هم المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته والمراد ما أصابهم يوم بدر من القتل يعني عند انتهاء سنين عدتها عدة كلمة أم وهي خمس عشرة فإن غزوة بدر كانت في الثانية من الهجرة وهي الخامسة عشرة من النبوة.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿أم لهم إله غير الله﴾ يعينهم ويحرسهم من عذابه ﴿سبحان الله﴾ نزهه تعالى ﴿عما يشركون﴾ أي: عن إشراكهم فما مصدرية أو عن شركة ما يشركونه فما موصول والمضاف مقدر وكذا العائد:

بر ذيل عزتش ننشيند غبار شرك با وحدتش كسى دم شركت چه سان زند
هركاه افكنند بوصفش خيال را دست كمالش آتش غيرت دران زند

﴿وإن يروا كسفاً﴾ أي: قطعة ﴿من السماء ساقطاً﴾ عليهم لتعذيبهم وفي «عين المعاني» قطعة من العذاب أو من السماء أو جانباً منها من الكسف وهو التغطية كالكسوف وفي «القاموس» الكسفة بالكسر القطعة من الشيء والجمع كسف وكسف وفي «المختار» وقيل الكسف والكسفة واحد ﴿يقولوا﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿سحاب مركوم﴾ غليظ أو

متراكب أي: هم في طغيان بحيث لو أسقطناه عليهم حسبما قالوا ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٢] لقالوا: هذا سحاب تراكم أي: ألقى بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب.

وفي «التأويلات النجمية» يعني أنهم وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحجر: ١٤] حتى شاهدوا بالعين ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ [الحجر: ١٥] وليس هذا عياناً ومشاهدة ﴿فذرهم﴾ پس دست بدار از ايشان يعني حرب مكن با ايشان كه هنوز بقتال مأمور نيستي ومكافات ايشان بكذار ﴿حتى يلاقوا﴾ يعاينوا وبالفارسية تا وقتى كه بينند معاينه ﴿يومهم﴾ مفعول به لا ظرف ﴿الذي فيه يصعقون﴾ أي: يهلكون وبالفارسية هلاك كرده شوند وهو على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة أو من أصعقته أماتته وأهلكته قال في المختار: صعق الرجل بالكسر صعقة غشي عليه وقوله تعالى ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨] أي: مات وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الأولى كما قيل إذ لا يصعق بها إلا من كان حياً حينئذٍ قال ابن الشيخ المقصود من الجواب عن الاقتراح المذكور بيان أنهم مغلوبون بالحجة مبهوتون وإن طعنهم ذلك ليس إلا للعناد والمكابرة حتى لو أجبناهم في جميع مقترحاتهم لم يظهر منهم إلا ما يبتنى على العناد والمكابرة فلذلك رتب عليه قوله فذرهم بالفاء.

﴿يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً﴾ أي: شيئاً من الإغناء في رد العذاب وبالفارسية روزى كه نفع نكند وباز ندارد از ايشان مكر ايشان چيزى را از عذاب. وهو بدل من يومهم ﴿ولا هم ينصرون﴾ من جهة الغير في رفع العذاب عنهم.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿وإن للذين ظلموا﴾ أي: وإن لهؤلاء الظلمة أبي جهل وأصحابه ﴿عذاباً﴾ آخر ﴿دون ذلك﴾ غير ما لاقوه من القتل أي: قبله وهو القحط الذي أصابهم سبع سنين كما مر في سورة الدخان أو وراءه وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الأمر كما ذكر لفرط جهلهم وغفلتهم أو لا يعلمون شيئاً أصلاً وفيه إشارة إلى أن منهم من يعلم ذلك وإنما يصر على الكفر عناداً فالعالم غير العامل والجاهل سواء فعلى العاقل أن يحصل علوم الآخرة ويعمل بها.

قال بعض الكبار: العلم علمان علم تحتاج منه مثل ما تحتاج من القوت فينبغي الاقتصاد والاقتصار على قدر الحاجة منه وهو علم الأحكام الشرعية فلا ينبغي النظر فيه إلا بقدر ما تمس الحاجة إليه في الوقت فإن تعلق تلك العلوم إنما هو بالأحوال الواقعة في الدنيا لا غير وعلم ليس له حد يوقف عنده وهو العلم المتعلق بالله ومواطن القيامة إذ العلم بمواطنها يؤدي العالم بها إلى الاستعداد لكل موطن بما يليق به لأن الحق تعالى بنفسه هو المطالب في ذلك اليوم بارتفاع الوسائط وهو يوم الفصل فينبغي للإنسان العاقل أن يكون على بصيرة من أمره معداً للجواب عن نفسه وعن غيره في المواطن التي يعلم أنه يطلب منه الجواب فيها فلهذا ألحقنا علم مواطن القيامة بالعلم بالله انتهى وفي الآية إثبات عذاب القبر فإن الله تعالى يحيي العبد

المكلف في قبره ويرد الحياة إليه ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به ويفهم ما أتاه من ربه وما أعد له من كرامة وهوان ولقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أخبر عليه السلام بفتنة الميت في قبره وسؤال منكر ونكير وهما الملكان: يا رسول الله أيرجع إلي عقلي؟ قال: نعم قال: «إذاً أكفيكهما والله لئن سألاني لأسألنهما وأقول لهما أنا ربي الله فمن ربكما أنتما» وأنكرت الملحدة ومن تمذهب من الإسلاميين بمذهب الفلاسفة عذاب القبر وأنه ليس له حقيقة وقد رؤي أبو جهل في جانب مصرعه في بدر أنه خرج من الأرض وفي عنقه سلسلة من نار يمسك أطرافها أسود وهو يطلب الماء حتى أدخله الأسود في الأرض بجذب شديد واختلاف أحوال العصاة في عذاب القبر بحسب اختلاف معاصيهم وأكثر عذاب القبر في البول فلا بد من التنزه عنه وسمع البهائم عذاب القبر وإنما لم يسمع من يعقل من الجن والإنس وكان عليه السلام يدعو ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال» وينجي المؤمن من أهوال القبر وفتنته وعذابه خمسة أشياء:

الأول: الرباط في سبيل الله ولو يوماً وليلة.

والثاني: الشهادة بأن يقتل في سبيل الله.

والثالث: سورة الملك فإن من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان.

الرابع: الموت مبطوناً فإنه لا يعذب في قبره والمراد بالمبطون صاحب الإسهال والاستطلاق.

والخامس: الوقت ففي الحديث: من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقي فتنة القبر نسأل الله سبحانه أن يعصمنا من الزلل ويحفظنا من الخلل ويجعلنا في القبر والقيامة من الآمنين ويبشرنا عند الموت برحمة منه وفضل مبين بجاه النبي الأمين والأنبياء المرسلين والملائكة المقربين.

﴿**واصبر لحكم ربك**﴾ بإمهالهم إلى يومهم الموعود وإبقائك فيما بينهم مع مقاساة الأحزان والشدائد ولا تكن في ضيق مما يمكرون.

يقول الفقير: أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بالصبر لحكمه لا لأذى الكفار وجفائهم تسهيلاً للأمر عليه لأن في الصبر لحكمه حلاوة ليست في الصبر للأذى والجفاء وإن كان الصبر له صبراً للحكم فاعرف ﴿**فإنك بأعيننا**﴾ أي: في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والإيذان بغاية الاعتناء في الحفظ وبكثرة أسبابه إظهاراً للتفاوت بين الحبيب والكليم حيث أفرد فيه العين والضمير كما قال ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩].

وفي «التأويلات النجمية»: أي لا حكم لك في الأزل فإنه لا يتغير حكمنا الأزلي إن صبرت وإن لم تصبر ولكن إن صبرت على قضائي فقد جزيت ثواب الصابرين بغير حساب فإنك بأعيننا نعينك على الصبر لأحكامنا الأزلية كما قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] وفي «عرائس البيان» للبقلي ذكر قوله ربك بالغيبة لأنه في مقام تفرقة العبودية والرسالة تقتضي حالة المشقة ولذلك أمره بالصبر ولما ثقل عليه الحال نقله من الغيبة إلى المشاهدة بقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] أي: نحفظك من الاعوجاج والتغير في جريان أحكامنا عليك حتى تصير مستقيماً بنا لنا فينا ونحن نراك بجميع عيون الصفات والذات بنعت

المحبة والعشق ننظر بها إليك شوقاً إليك وحراسة لك نحرسك بها حتى لا يغيرك غيرها من الحدثان عنا ونرفع بها عنك طوارق قهرنا فإنك في مواضع عيون محبتنا وأنت في أكناف لطفنا انظر كيف ذكر الأعين وليس في الوجوه أشرف من العيون ومن احتصن بالله كان في حفظه ومن كان في حفظه كان في مشاهدته ومن كان في مشاهدته استقام معه ووصل إليه ومن وصل إليه انقطع عما سواه ومن انقطع عما سواه عاش معه عيش الربانيين قال بعضهم: كنا مع إبراهيم بن أدهم قدس سره فأتاه الناس فقالوا: يا أبا إسحٰق إن الأسد وقف على طريقنا فأتى إبراهيم إلى الأسد وقال له: يا أبا الحارث إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به وإن لم تؤمر بشيء فتنح عن طريقنا فأدبر الأسد وهو يهمهم والهمهمة ترديد الصوت في الصدر فقال إبراهيم: وما على أحدكم إذا أصبح وأمسى أن يقول: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام واحفظنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا وقال الخواص قدس سره: كنت في طريق مكة فدخلت إلى خربة بالليل وإذا فيها سبع عظيم فخفت فهتف بي هاتف اثبت فإن حولك سبعين ألف ملك يحفظونك يقول الفقير: يحتمل أن يكون هذا الحفظ الخواصي بسبب بعض الأدعية وكان يلازمه وقد روي عن رسول الله ﷺ أن من قال «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثلاث مرات وقرأ ثلاث آيات آخر سورة الحشر هو الله الذي لا إله إلا هو إلى آخر السورة حين يصبح وكل الله به سبعين ألف ملك يحرسونه» وكذلك إذا قرأها حين يمسي وكل الله به سبعين ألف ملك يحرسونه ويحتمل أن يكون ذلك بسبب أن الخواص من أحباب الله والحبيب يحرس حبيبه كما «روي أنه ينزل على قبر النبي عليه السلام كل صباح سبعون ألف ملك ويضربون أجنحتهم عليه ويحفظونه إلى المساء ثم ينزل سبعون ألفاً غيرهم فيفعلون به إلى الصباح كما يفعل الأولون وهكذا إلى يوم القيامة» ﴿**وسبح**﴾ أي: نزهه تعالى عما لا يليق به حال كونك ملتبساً ﴿**بحمد ربك**﴾ على نعمائه الفائتة للحصر ﴿**حين تقوم**﴾ من أي: مقام قمت قال سعيد بن جبير وعطاء أي: قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك أي: سبح الله ملتبساً بحمده فإن كان ذلك المجلس خيراً ازددت إحساناً وإن كان غير ذلك كان كفارة له وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه وهو بالغين المعجمة والطاء المهملة الكلام الرديء القبيح واختلاط أصوات الكلام حتى لا يفهم فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كان كفارة لما بينهما وفي «فتح القريب» «فقد غفر له» يعني من الصغائر ما لم تتعلق بحق آدمي كالغيبة.

وقال الضحاك والربيع: إذا قمت إلى الصلاة فقل: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقال الكلبي: هو ذكر الله باللسان حين يقوم من الفراش إلى أن يدخل في الصلاة لما روي عن عاصم بن حميد أنه قال: سألت عائشة رضي الله عنها: «بأي شيء يفتتح رسول الله عليه السلام قيام الليل؟ فقالت: كان إذا قام كبر عشراً وحمد الله عشراً وسبح وهلل عشراً واستغفر عشراً وقال: اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة» ﴿**ومن الليل فسبحه**﴾ أفراد بعض الليل بالتسبيح والصلاة لأن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل.

يقول الفقير: ولأن الليل زمان المعراج والصلاة هو المعراج المعنوي فمن أراد أن يلتحق

برسول الله عليه السلام في معراجه فليصل بالليل والناس نيام أي: في جوفه حين غفلة الناس ولشرف ذلك الوقت كان معراجه عليه السلام فيه لا قرب الصباح لأن في قربه قد يستيقظ بعض النفوس للحاجات وإن كان السحر الأعلى مما له خواص كثيرة ﴿**وإدبار النجوم**﴾ بكسر الهمزة مصدر أدبر والنجوم جمع نجم وهو الكوكب الطالع يقال نجم نجوماً ونجماً أي: طلع والمعنى ووقت إدبارها من آخر الليل أي: غيبتها بضوء الصباح وقيل: التسبيح من الليل صلاة العشاءين وإدبار النجوم صلاة الفجر وفي الآية دليل على أن تأخير صلاة الفجر أفضل لأنه أمر بركعتي الفجر بعدما أدبر النجوم وإنما أدبر النجوم بعدما يسفر قاله أبو الليث في «تفسيره» وقال أكثر المفسرين: إدبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم بضوء الصبح وفي الحديث ركعتا الفجر أي: سنة الصبح خير من الدنيا وما فيها وفيها بيان عظم ثوابهما.

يقول الفقير: في قولهم وذلك حين الخ نظر لأن السنة في سنة الفجر أنه يأتي بها في أول الوقت لأن الأحاديث ترجحه فالتأخير إلى قرب الفرض مرجوح وأول وقتها هو وقت الشافعي وليس للنجوم ادبار إذ ذاك وإنما ذلك عند الأسفار جداً وقال سهل قدس سره صل المكتوبة بالإخلاص لربك حين تقوم إليها ولا تغفل صباحاً ولا مساء عن ذكر من لا يغفل عن برك وحفظك في كل الأوقات.

وفي «التأويلات النجمية» قوله: وسبح الخ يشير إلى مداومته على الذكر وملازمته له بالليل والنهار انتهى وقد سبق بيانه في آخر سورة ق قال بعض الكبار: من سوء أدب المريد أن يقول لشيخه: اجعلني في بالك فإن في ذلك استخداماً للشيخ وتهمة له وانظر إلى قوله ﷺ لمن قال له أسألك مرافقتك في الجنة حيث قال للسائل: أعني على نفسك بكثرة السجود فحوله إلى غير ما قصد من الراحة فعلم الرياضة واجب تقديمه على الفتح في طريق السالكين لا المجذوبين والله عليم حكيم انتهى وفي الحديث: «من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل فإن صلاة آخر الليل مشهودة» وذلك أفضل.

يقول الفقير: كان التهجد فرضاً على رسول الله ﷺ وإنما كان يؤخر الوتر إلى آخر الليل إما لما ذكر من شهود الملائكة في ذلك الوقت وإما لأن الوتر صلاها عليه السلام أولاً ليلة المعراج بعد المنام فناسب فصلها عن العشاء وتأخيرها وفي ختم هذه السورة بالنجوم وافتتاح السورة الآتية بالنجم أيضاً من حسن الانتهاء والابتداء ومن الأسرار ما لا يخفى على أهل التحقيق.

تمت سورة الطور بعون الله الغفور في أواخر رجب الفرد
من سنة أربع عشرة ومائة وألف

٥٣ ـ سورة النجم

مكية وآيها إحدى أو ثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾.

﴿**والنجم**﴾ سورة النجم أول سورة أعلن بها رسول الله ﷺ وجهر بقراءتها في الحرم والمشركون يستمعون نزلت في شهر رمضان من السنة الخامسة من النبوة ولما بلغ عليه السلام السجدة سجد معه المؤمنون والمشركون والجن والإنس غير أبي لهب في رواية فإنه رفع حفنة من تراب إلى جبهته وقال: يكفيني هذا في رواية كان ذلك الوليد بن المغيرة فإنه رفع تراباً إلى جبهته فسجد عليه لأنه كان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود وفي رواية وصححت أمية بن خلف وقد يقال: لا مانع أن يكونوا فعلوا ذلك جميعاً بعضهم فعل ذلك تكبراً وبعضهم فعل ذلك عجزاً وممن فعل ذلك تكبراً أبو لهب ولا يخالف ذلك ما نقل عن ابن مسعود رضي الله عنه ولقد رأيت الرجل أي: الفاعل لذلك قتل كافراً لأن يجوز أن يكون المراد بقتل مات وإنما سجد المشركون لأن النبي عليه السلام لما بلغ إلى قوله: ﴿**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى**﴾ ألحق الشيطان به قوله تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى كما سبق في سورة الحج فسمعه المشركون وظنوا أنه من القرآن فسجدوا لتعظيم آلهتهم ومن ثم عجب المسلمون من سجود المشركين من غير إيمان إذ هم لم يسمعوا ما ألقى الشيطان في آذان المشركين وأرادوا بالغرانيق العلى الأصنام شبهت الأصنام بالغرانيق التي هي طائر الماء جمع غرنوق بكسر الغين المعجمة وإسكان الراء ثم النون المفتوحة أو غرنوق بضم الغين والنون أيضاً أو غرنيين بضم الغين وفتح النون وهو طير طويل العنق وهو الكركي أو ما يشبهه ووجه الشبه بين الأصنام وتلك الطيور أن تلك الطيور تعلو وترفع في السماء فالأصنام مشبهة بها في علو القدر وارتفاعه.

قال بعضهم: والنجم أول سورة نزلت جملة كاملة فيها سجدة فلا ينافي أن اقرأ باسم ربك أول سورة نزلت فيها سجدة لأن النازل منها أوائلها لا مجموعها دفعة والواو للقسم. أصحاب معاني كفتند قسم درقرآن بردو وجه است يكى قسم بذات وصفات خالق جل جلاله چنانكه فوربك فبعزتك والقرآن المجيد وهمچنين حروف تهجي در أوائل سور هر حرفي أشارتست بصفتي از صفات حق وقسم بران يا دكرد وجه دوم قسممست بمخلوقات وآن برچهار ضربست يكى إظهار قدرت راچنانكه والذاريات والمرسلات والنازعات هذا وأمثاله نبه العباد على معرفة القدرة فيها ديكر قسم برستاخيز اظهار هيبت را كقوله ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ

ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١﴾ [القيامة: ١] أقسم بها ليعلم هيبته فيها سوم قسم ياد ميكند إظهار نعمت را تا بندكان نعمت خود از الله بشناسند وشكر آن بكذارند كقوله ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ [التين: ١] چهارم قسم است ببعض مخلوقات بيان تشريف راتا خلق عز وشرف آن چيز بدانندكه قسم بوى ياد كرده كقوله ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ [البلد: ١] يعني مكة وكذلك قوله ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [البلد: ٢، ٣] ومن ذلك قوله للمصطفى عليه السلام: لعمرك وهذا على عادة العرب فإنها تقسم بكل ما تستعظمه وتريد إظهار تعظيمه وقيل كل موضع أقسم فيه بمخلوق فالرب فيه مضمر كقوله والنجم ورب النجم ورب الذاريات وأشباه ذلك والمراد بالنجم إما الثريا فإنه اسم غالب عليها ومنه قوله عليه السلام: «ما طلع النجم قط وفي الأرض من العاهة شيء إلا رفع» يريد بالنجم الثريا باتفاق العلماء وقال السهيلي رحمه الله وتعرف الثريا بالنجم أيضاً وبألية الحمل لأنها تطلع بعد بطن الحمل وهي سبعة كواكب ولا يكاد يرى السابع منها لخفائه وفي الحقيقة إنها اثنا عشر كوكباً وإن رسول الله ﷺ كان يراها كلها لقوة جعلها الله في بصره وقال في «عين المعاني» وهي سبعة أنجم ظاهرة والسابع تمتحن به الأبصار وكانت قريش تبجلها وتقول أحسن النجم في السماء الثريا والثريا في الأرض زين السماء وكانت رحلتاها عند طلوعها وسقوطها فإذا طلعت بالغداة عدوها من الصيف وإذا طلعت بالعشي عدوها من الشتاء قال الشاعر:

طلع النجم غديه ابتغى الراعي شكيه

وأما جنس النجم وهويه كما قال تعالى: ﴿إذا هوى﴾ غربه وطلوعه يقال هوى يهوى من الثاني هويا بوزن قبول إذا غرب فإن الهوي سقوط من علو إلى أسفل وهوياً بوزن دخول إذا علا وصعد والعامل في إذا القسم أي: أقسم فإنه بمعنى مطلق الوقت منسلخ عن معنى الاستقبال كما في قولك آتيتك إذا احمر البسر فلا يلزم عمل فعل الحال في المستقبل يعني أن فعل القسم إنشاء والإنشاء حال وإذا لما يستقبل من الزمان فيكون المعنى أقسم الآن بالنجم وقت هوى بعد هذا الزمان ثم إن الله تعالى أقسم بالنجم حين هوى أي: وقت هويه لأن شأنه أن يهتدى به الساري إلى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذي يهتدي به السابلة في البر والجارية في البحر إلى سواء السبيل والسمت.

﴿ما ضل صاحبكم﴾ هو جواب القسم أي: ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة وهذا دليل على أن قوله ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ [الضحى: ٧] ليس من ضلال الغي فإنه عليه السلام قبل الوحي وبعده لم يزل يعبد ربه ويوحده ويتوقى مستقبحات الأمور وفيه بيان فضل النبي عليه السلام حيث إن الله تعالى قال في حق آدم عليه السلام ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] وقال في حقه ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ الغي هو الجهل المركب قال الراغب الغي جهل من اعتقاد فاسد وذلك أن الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد أصلاً لا صالحاً ولا فاسداً وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد وهذا الثاني يقال له غي فعطفه على ما ضل من عطف الخاص على العام للاهتمام بشأن الاعتقاد بمعنى أنه فرق بين الغي والضلال وليسا بمعنى واحد فإن الغواية هي الخطأ في الاعتقاد خاصة والضلال أعم منها يتناول الخطأ في الأقوال والأفعال والأخلاق والعقائد التي شرعها الله وبينها لعباده فالمعنى وما اعتقد باطلاً قط أي: هو في غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية في شيء أصلاً وكانوا يقولون ضل محمد عن دين آبائه وخرج عن الطريق وتقول شيئاً من تلقاء نفسه فرد الله عليهم

بنفسه بتنزيل هذه السورة تعظيماً له والخطاب لقريش وإيراده عليه السلام بعنوان صاحبيته لهم للإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله وإحاطتهم خبراً ببراءته عليه السلام مما نفي عنه بالكلية وباتصافه بغاية الهدى والرشاد فإن طول صحبتهم له ومشاهدتهم محاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتماً كما في «الإرشاد» وقال «الكاشفي»:

وتسميه صاحب بجهت آنست كه حضرت پيغمبر عليه السلام مأمور بود بصحبت كافران جهت دعوت ايشان. ويؤيد ما في «الإرشاد» قول الراغب في «المفردات» لا يقال الصاحب في العرف إلا لمن كثرت ملازمته وقوله تعالى ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦] سمي النبي عليه السلام صاحبهم تنبيهاً أي: أنكم صحبتموه وجربتموه وعرفتم ظاهره وباطنه ولم تجدوا به خبلاً وجنة وتقييد القسم بوقت الهوى لأن النجم لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وإنما يهتدي به عند هبوطه أو صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلي جبريل من الأفق الأعلى ودنوه منه عليهما السلام وقال سعدي المفتي ثم التقييد بوقت الهوى أي: الغروب لكونه أظهر دلالة على وجود الصانع وعظيم قدرته كما قال الخليل عليه السلام: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] قال ابن الشيخ في «حواشيه» وفيه لطيفة وهي أن القسم بالنجم يقتضي تعظيمه وقد كان فيهم من يعبده فنبه بهويه على عدم صلاحيته للإلهية بأفوله وقيل خص الهوى دون الطلوع فإن لفظة النجم دلت على طلوعه فإن أصل النجم الكوكب الطالع وقال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: أراد بالنجم محمداً عليه السلام إذا نزل ليلة المعراج والهوى النزول. كفته اند آن روزكه اين آيت فرو آمد ورسول خدا بر قريش آشكارا كرد عتبة بن أبي لهب كفت كفرت برب النجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى ودختر رسول عليه السلام زن او بود طلاق داد رسول خدا دعا كرد وكفت اللهم سلط عليه كلباً من كلابك بعد ازان عتبه بتجارت شام رفت باپدر خويش ابو لهب در منزلى ازمنازل راه فرو آمدند وآنجا ديرى بود راهبى ازدير فر وآمد وكفت هذه أرض مسبعة درين منزل سباع فراوان بود نكريد تا خويش را از سباع نكاه داريد ابو لهب أصحاب خويش را كفت اين پسر مرا نكاه داريد كه من مى ترسم كه دعاى محمد دروى رسد ايشان همه كردوى در آمدند واورا درميان كرفتند وپاس اومى داشتند درميانه شب رب العالمين خواب برايشان افكند وشير بيامد وبايشان در كذشت ولطمه برعتبه زد واورا هلاك كرد. ولم يأكله لنجاسته ويحتمل من التأويل المصلي إذا سجد والغازي إذا قتل شهيداً والعالم إذا مات ووضع في قبره فإن هؤلاء نجوم والأخبار ناطقة بها قال عليه السلام علماء أمتي كالنجوم بها يهتدي في البر والبحر وقال الإمام الغزالي رحمه الله هم الصحابة إذا ماتوا لقوله عليه السلام أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وعلماء الإسلام لقوله عليه السلام العلماء نجوم الأرض وقال بعضهم: هو قسم بنور المعرفة إذا وقع في القلب قال تعالى ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥] وقال «الكاشفي»: ونزد محققان سوكند ياد كرده بستاره دل حضرت محمد عليه السلام برفلك توحيد منقطع شد ازما سوى الله تعالى. وأيضاً أقسم الله بنجم الإلهام حين سقط من صحائف الغيوب إلى معادن القلوب.

وفي «التأويلات النجمية» قال الأخفش: النجم نبت لا ساق له فيكون هويه سقوطه على الأرض كما قال ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝﴾ [الرحمن: ٦] يشير إلى أن الله تعالى ينبت حبة

المحبة الدائمة المنزهة عن التغير المقدسة عن التبدل التي وقعت وسقطت من روض سماء ذاته المطلقة الكلية الجمعية الإحاطية في أرض قلب نبيه وحبيبه القابل لإنبات نباتات الولاية والنبوة والرسالة الموجبات لظهور رياحين الحقائق القرآنية وشقائق التجليات الربانية وأزهار التنزلات الحقانية وغرار اللطائف الإحسانية العرفانية كالمشاهدات والمكاشفات والمعاينات وأمثالها وجواب القسم ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ وبه يشير إلى أن وجود النبي عليه السلام لما كان أول نور وحداني بسيط علوي لطيف شعشعاني تجلى به الحق وتعلقت به القدرة القديمة الأزلية من غير واسطة كما أخبر عنه بقوله «أنا من الله والمؤمنون مني» وليست فيه ظلمة الوسائط الإمكانية الموجبة للضلالة المنتجة للغي بل هو على نوريته الأصلية البسيطة الشعشعانية المقتضية للهدى والتقوى المستدعية للرشد والنهي باق كما هو ما أثرت فيه مصاحبتكم الطبيعية ولا مخالطتكم الصورية العنصرية وما ضل بأمر الطبيعة وما غوى بحكم البشرية فإنه ﷺ قائم بالحق خارج عن الطبع كما أخبر عن نفسه الشريفة القدسية بقوله: «لست كأحدكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» وهذا يدل على قيامه بالحق وخروجه عن الطبع وأحكامه انتهى.

يقول الفقير أمده الله القدير: لفظ النجم نون هي خمسون بحساب أبجد وجيم هي ثلاثة فالمجموع ثلاثة وخمسون وميم هي أربعون فأشار إلى أن النبي عليه السلام بعث عند الأربعين وجعل خاتم الأنبياء والمرسلين ومكث في مكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة والمجموع ثلاثة وخمسون وقد سماه الله تعالى بالنجم في هذه الآية كما سماه سراجاً منيراً في آية أخرى لأنه يستضاء بنور وجهه وضياء علمه وهداه وهوى هذا النجم العالي غروبه من مكة بعد المدة المذكورة وهجرته إلى المدينة ولذا أقسم الله على عدم ضلاله وغيه لأنه في غروبه ذلك وحركته راشد مهدي حيث كان بأمر الله تعالى وإذنه فلما غرب من مكة أظلمت الدنيا على قريش وصاروا في ظلمة شديدة ولما طلع على المدينة أشرقت الأرض على المؤمنين حتى أنهم وقعوا في البدر التام في السنة الثانية من الهجرة حيث نورهم الله تحت لواء حبيبه بنور النصرة على الأعداء ببدر وصار حال الأعداء إلى ظلمة العدم وبهذا يظهر سر قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣] وسر قوله عليه السلام: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله» أي: ينقطع أهل الذكر المتصل وكان هو النبي عليه السلام في مكة وبخروجه عنها بمفارقته عن أرضها وإصرار القوم على الشرك والعناد وقع عليهم الطامة الكبرى ببدر كما تقوم الساعة عند انقطاع أهل الذكر الدائم من الأرض ففيه الناس يعني الناسين لا يعرفون قدر أهل الذكر والحضور فيما بينهم بل يعادونهم ويؤذونهم مع أن في ذلك هلاكهم لأنهم ملكوتهم وبانقطاع الملكوت والأرواح عن الملك والأجسام يزول الملك وتخرب الأجسام لانقطاع سبب البقاء ومن هنا قالوا إن لله رجالاً متصرفين في أقطار الدنيا ولو في دار الحرب فإنه لا بد للوجود من فيض البقاء والإمداد أمدنا الله وإياكم بمزيد فضله وجوده وشرفنا بوصاله وشهوده بحرمة النجم وهويه وسجوده آمين آمين.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾

﴿وما ينطق عن الهوى﴾ يقال نطق ينطق نطقاً ومنطقاً ونطوقاً تكلم بصوت وحروف

يعرف بها المعاني كما في «القاموس» فلا يستعمل في الله تعالى لأن التكلم بالصوت والحروف من خواص المخلوق والهوى مصدر هويه من باب علم إذا أحبه واشتهاه ثم غلب على الميل إلى الشهوات والمستلذات من غير داعية الشرع ومنه قيل صاحب الهوى للمبتدع لأنه مائل إلى ما يهواه في أمر الدين فالهوى هو الميل المخصوص المذموم ولهذا نهى الله أنبياءه فقال لداود عليه السلام ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦] ولنبينا عليه السلام ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٨] ولم يمل أحد من الأنبياء إليه بدليل قوله عليه السلام ما أطلى نبي قط يقال أطلى الرجل إذا مال إلى هواه.

ـ حكي ـ عن بعض الكبار أنه قال: كنت في مجلس بعض الغافلين فتكلم إلى أن قال لا مخلص لأحد من الهوى ولو كان فلاناً عنى به النبي عليه السلام حيث قال حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة فقلت له: أما تستحيي من الله تعالى فإنه ما قال أحببت بل قال حبب فكيف يلام العبد على ما كان من عند الله تعالى ثم حصل لي غم وهم أفرأيت النبي عليه السلام في المنام فقال لا تغتم فقد كفينا أمره ثم سمعت أنه خرج إلى ضيعة له فقتل في الطريق نعوذ بالله من الإطالة على الأنبياء وورثتهم الأولياء وضمن ينطق معنى الصدور فتعدى بكلمة عن فالمعنى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه أصلاً فإن المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار النطق عنه وقد يقال عن هنا بمعنى الباء أي: وما ينطق بالهوى كما يقال رميت عن القوس أي: بالقوس وفي التنزيل ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ [هود: ٥٣] أي: بقولك قال ابن الشيخ قال أولاً «ما ضل وما غوى» بصيغة الماضي ثم قال ﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾ بصيغة المستقبل بياناً لحاله قبل البعثة وبعدها أي: ما ضل وما غوى حين اعتزلكم وما تعبدون قبل أن يبعث رسولاً وما ينطق عن الهوى الآن حين يتلو عليكم آيات ربه انتهى.

يقول الفقير: فيه بعد كما لا يخفى والظاهر أن صيغة الماضي باعتبار قولهم قد ضل وغوى إشارة إلى تحقق ذلك في زعمهم وأما صيغة المضارع فباعتبار تجدد النطق في كل حال والله أعلم بكل حال.

﴿**إن هو**﴾ أي: ما الذي ينطق به من القرآن ﴿**إلا وحي**﴾ من الله تعالى ﴿**يوحى**﴾ إليه بواسطة جبريل عليهما السلام وهو صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي يعني أن فائدة الوصف التنبيه على أنه وحي حقيقة لا أنه يسمى به مجازاً والوحي قد يكون اسماً بمعنى الكتاب الإلهي وقد يكون مصدراً وله معان الإرسال والإلهام والكتابة والكلام والإشارة والإفهام وفيه إشارة إلى أن النبي عليه السلام قد فني عن ذاته وصفاته وأفعاله في ذات الله وصفاته وأفعاله بحيث لم يبق منه لا اسم ولا رسم ولا أثر ولا عين فكان ناطقاً بنطق الحق لا بنطق البشرية فلا يتوهم فيه أن يجري عليه الخطرات الشيطانية والهواجس النفسانية ولذا قالوا ما يصدر عن الواصل شريعة إذ هو محفوظ كما أن النبي عليه السلام معصوم.

قال بعض الكبار: من وضع من الفقراء وردا من غير الوارد في السنة فقد أساء الأدب مع الله ورسوله إلا أن يكون ذلك بتعريف من الله تعالى فيعرفه خصائص كلمات يجمعها فيكون حينئذ ممتثلاً لا مخترعاً وذلك مثل حزب البحر للشاذلي قدس سره فإنه سافر في بحر القلزم مع نصراني يقصد الحج فتوقف عليهم الريح أياماً فرأى النبي عليه السلام في مبشرة فلقنه إياه

فقرأه وأمر النصراني بالسفر فقال وأين الريح فقال: افعل فإنه الآن يأتيك فكان الأمر كما قال وأسلم النصراني بعد ذلك وقس عليه الإلهام والتعريف في اليقظة وقد أخبر أبو يزيد البسطامي قدس سره أنه يولد بعد وفاته بمدة طويلة نفس من أنفاس الله وهو الشيخ أبو الحسن الخرقاني قدس سره فكان كما قال. وكذا قال صاحب «المثنوي»:

لـوح مـحـفـوظـسـت اورا پـيـشـوا ازچه محفوظست محفوظ ازخطا
نى نجومست ونى رملست ونه خواب وحى حق والله أعلم بالصواب
ازپـى روپـوش عـامـه در بـيـان وحـى دل كـويـنـد اورا صـوفـيـان
وحى دل كيرش كه منظر كاه اوست چون خطا باشد چو دل آكاه اوست
مـؤمـنـا يـنـظـر بـنـور الله شـدى از خـطـا وسـهـو ايـمـن آمـدى

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾.

﴿علمه﴾ أي: القرآن الرسول أي نزل به عليه وقرأه عليه وبينه له هذا على أن يكون الوحي بمعنى الكتاب وإن كان بمعنى الإلهام فتعليمه بتبليغه إلى قلبه فيكون كقوله ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] ﴿شديد القوى﴾ من إضافة الصفة إلى فاعلها مثل حسن الوجه والموصوف محذوف أي: ملك شديد قواه وهو جبريل فإنه الواسطة في إبداء الخوارق ويكفيك دليلاً على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الماء الأسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين ورأى إبليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقبات الأرض المقدسة فنفخه نفخة بجناحه يعني بادزد ويرا بجناح خود بادى وألقاه في أقصى جبل في الهند وكان هبوطه على الأنبياء عليهم السلام وصعوده في أسرع من رجعة الطرف ﴿ذو مرة﴾ أي: حصافة يعني استحكام في عقله ورأيه ومتانة في دينه.

قال الراغب: أمررت الحبل إذا فتلته والمرير والممر المفتول ومنه فلان ذو مرة كأنه محكم الفتل وفي «القاموس» المرة بالكسر قوة الخلق وشدة والجمع مرر وامرار والعقل والأصالة والإحكام والقوة وطاقة الحبل كالمريرة وذو مرة جبريل عليه السلام والمريرة الحبل الشديد الفتل ﴿فاستوى﴾ عطف على علمه بطريق التفسير فإنه إلى قوله ﴿ما أوحي﴾ بيان لكيفية التعليم أي: فاستقام جبريل واستقر على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح موشحاً أي: مزيناً بالجواهر دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي كصورة دحية أمير العرب وكما أتى إبراهيم عليه السلام في صورة الضيف وداود عليه السلام في صورة الخصم وذلك أن رسول الله ﷺ أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها وكان رسول الله ﷺ بجبل حراء وهو الجبل المسمى بجبل النور في قرب مكة فقال: «إن الأرض لا تسعني ولكن انظر إلى السماء فطلع له جبريل من المشرق فسد الأرض من المغرب وملأ الأفق فخر رسول الله كما خر موسى في جبل الطور فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه» وذلك فإن الجسد وهو في الدنيا لا يتحمل رؤية ما هو خارج عن طور العقل فمنها رؤية الملك على صورة جبل عليها وأعظم منها رؤية الله تعالى في هذه الدار قيل ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير نبينا عليه السلام فإنه رآه فيها مرتين: مرة في الأرض ومرة في

السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى لما سيأتي.

- وروي - أن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: يا رسول الله أرني جبرائيل في صورته فقال: «إنك لا تستطيع أن تنظر إليه قال: بلى يا رسول الله أرنيه فقعد ونزل جبرائيل على خشبة في الكعبة كان المشركون يضعون ثيابهم عليها إذا طافوا فقال عليه السلام: ارفع طرفك يا حمزة فانظر فرفع عينيه فإذا قدماه كالزبرجد الأخضر فخر مغشياً عليه».

- وروي - أنه رآه على فرس والدنيا بين كلكلها وفي وجهه أخدود من البكاء لو ألقيت السفن فيه لجرت وإنما رآه عليه السلام مرتين ليكمل له الأمر مرة في عالم الكون والفساد وأخرى في المحل الأنزه الأعلى وإنما قام بصورته ليؤكد أن ما يأتيه في صورة دحية هو هو فإنه إذا رآه في صورة نفسه عرفه حق معرفته ولم يبق عليه اشتباه بوجه ما وفي «كشف الأسرار» فإن قيل: كيف يجوز أن يغير الملك صورة نفسه وهل يقدر غير الله على تغيير صورة المخلوقين وقد قلتم إن جبرائيل أتى رسول الله مرة في صورة رجل ومرة في صورته التي ابتدأه الله عليها وأن إبليس أتى قريشاً في صورة شيخ من أهل نجد فالجواب عنه تغيير الصور الذي هو تغيير التركيب والتأليف لا يقدر عليه إلا الله وأما صفة جبرائيل ففعل الله تعالى تنبيهاً للمصطفى عليه السلام وليعلم أنه أمر من الله إذ رآه في صور مختلفة فإن ذلك لا يقدر عليه إلا الله وهو أن يراه مرة قد سد الأفق وأخرى يجمعه مكان ضيق وأما إبليس فكان ذلك منه تخييلاً للناظرين وتمويهاً دون التحقيق كفعل السحرة بالعصي والحبال قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] انتهى ما في «الكشف» وقال في «آكام المرجان» قال القاضي أبو يعلى ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور أي: صور الإنس والبهائم والطير وإنما يجوز أن يعلمهم الله تعالى كلمات وضرباً من ضروب الأفعال إذا فعله وتكلم به نقله الله من صورة إلى صورة فيقال إنه قادر على التصور والتخييل على معنى أنه قادر على قول إذا قاله أو على فعل إذا فعله نقله الله من صورته إلى صورة أخرى بجري العادة وأما يصور نفسه فذلك محال لأن انتقالها من صورة إلى صورة إنما يكون بنقض البنية وتفريق الأجزاء وإذا انتقضت بطل الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة فكيف ينقل نفسه قال والقول في تشكيل الملائكة من ذلك انتهى. وقال والهى الاسكوبي فيه: أن من قال تمثل جبريل وتصور إبليس ليس مراده أنهما أحدثا تلك الصورة والمثال عن قدرة أنفسهما بل بإقدار الله على التمثيل والتصوير كيف يشاء فلا منافاة بين القولين غاية ما في الباب أن العامل عن طريق إقدار الله به من الأسباب المخصوصة انتهى وقال في «إنسان العيون»: فإن قيل: إذا جاء جبريل على صورة الآدمي دحية أو غيره بل هي الروح تتشكل بذلك الشكل وعليه يصير جسده الأصلي حياً من غير روح أو ميتاً أجيب بأن الجائي يجوز أن لا يكون هو الروح بل الجسد لأنه يجوز أن الله تعالى جعل في الملائكة قدرة على التطور والتشكل بأي شكل أرادوه كالجن فيكون الجسد واحداً ومن ثمة قال الحافظ ابن حجر: إن تمثل الملك رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيساً لمن يخاطبه والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط وأخذ من ذلك بعض غلاة الشيعة أنه لا مانع ولا بعد أن الحق تعالى يظهر في صورة علي وأولاده الاثني عشر رضي الله عنهم ويجوز أن يكون الجسد للملك متعدداً وعليه فمن الممكن أن يجعل الله لروح الملك قوة يقتدر بها على التصرف في جسد آخر غير جسدها

المعهود مع تصرفها في ذلك الجسد المعهود كما هو شأن الأبدال لأنهم يرحلون إلى مكان ويقيمون في مكانهم شبحاً آخر شبيهاً لشبحهم الأصلي بدلاً منه.

وقد ذكر ابن السبكي في الطبقات أن كرامات الأولياء أنواع وعد منها أن يكون له أجساد متعددة قال وهذا هو الذي يسميه الصوفية بعالم المثال ومنه قصة قضيب البان وغيره أي: كواقعة الشيخ عبد القادر الطبحطوطي فقد ذكر الجلال السيوطي أنه رفع إليه سؤال في رجل حلف بالطلاق إن ولي الله الشيخ عبد القادر الطبحطوطي بات عنده ليلة كذا فحلف آخر بالطلاق أنه بات عنده تلك الليلة بعينها فهل يقع الطلاق على أحدهما فأرسلت قاصدي إلى الشيخ عبد القادر فسأله عن ذلك فقال: لو قال أربعون إني بت عندهم لصدقوا فأفتيت بأنه لا حنث على واحد منهما لأن تعدد الصور بالتخيل والتشكل ممكن كما يقع ذلك للجان قال الشعراني وأخبرني من صحب الشيخ محمد الخضري أنه خطب في خمسين بلدة في يوم واحد خطبة الجمعة وصلى بهم إماماً وأما الشيخ حسين أبو علي المدفون بمصر المحروسة فأخبرني عنه أصحابه أن التطور كان دأبه ليلاً ونهاراً حتى في صور السباع والبهائم ودخل عليه بعض أعدائه ليقتلوه فوجدوه فقطعوه بالسيوف ليلاً ورموه في كوم بعيد ثم أصبحوا فوجدوه قائماً يصلي وفي «جواهر الشعراني» وصورة التطور أن يقدر الله الروح على تدبير ما شاءت من الأجسام المتعددة بخلعة كن فللأولياء ذلك في الدنيا بحكم خرق العادة وأما في الآخرة فإن نفس نشأة أهل الجنة تعطي ذلك فيدبر الواحد الأجسام المتعددة كما يدبر الروح الواحد سائر أعضاء البدن فتكون تسمع وأنت تبصر وتبطش وتمشي ونحو ذلك وفي «الفتوحات المكية» والذي أعطاه الكشف الصحيح أن أجسام أهل الجنة تنطوي في أرواحهم فتكون الأرواح ظروفاً للأجسام عكس ما كانت في الدنيا فيكون الظهور والحكم في الدار الآخرة للجسم لا للروح ولهذا يتحولون في أي: صورة شاؤوا كما هو اليوم عندنا للملائكة وعالم الأرواح انتهى وفي «إنسان العيون» عالم المثال عالم متوسط بين عالم الأجساد والأرواح ألطف من عالم الأجساد وأكثف من عالم الأرواح فالأرواح تتجسد وتظهر في صور مختلفة من عالم المثال وهذا الجواب أولى من جواب ابن حجر بأن جبرائيل كان يندمج بعضه في بعض وهل مجيء جبرائيل في صورة دحية كان في المدينة بعد إسلام دحية وإسلامه كان بعد بدر فإنه لم يشهدها وشهد المشاهد بعدها إذ يبعد مجيئه على صورة دحية قبل إسلامه قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه: دحية الكلبي كان أجمل أهل زمانه وأحسنهم صورة فكان الغرض من نزول جبريل على سيدنا محمد في صورته إعلاماً من الله تعالى أنه ما بيني وبينك يا محمد سفير إلا صورة الحسن والجمال وهي التي عندي فيكون ذلك بشرى له عليه السلام ولا سيما إذا أتى بأمر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه ما يحرك ذلك الوعيد والزجر هذا كلامه وهو واضح لو كان لا يأتيه إلا على تلك الصورة إلا أن يدعي أنه من حين أتاه على صورة دحية لم يأته على صورة آدمي غيره بقي هنا كلام وهو أن السهيلي رحمه الله ذكر أن المراد بالأجنحة في حق الملائكة صفة ملكية وقوة روحانية وليست كأجنحة الطير ولا ينافي ذلك وصف كل جناح منها بأنه يسد ما بين المشرق والمغرب انتهى.

يقول الفقير: هذا كلام عقلي ولا منع من أن يجمع الملك بين قوة روحانية وبين جناح يليق بعالمه سواء كان ذلك كجناح الطير أو غيره فإن المعقولات مع المحسوسات تدور

والجمع أنسب بالحكمة وألصق بالقدرة وقد أسلفنا مثل هذا في أوائل سورة الملائكة فلا كلام فيه عند أولي الألباب وإنما يقتضي المقام أن يبين وجه كون جناح جبريل ستمائة لا أزيد ولا أنقص ولم أظفر ببيانه لا في كلام أهل الرسوم ولا في إشارات أهل الحقائق والذي يدور بالبال إلهاماً من الله تعالى لا تعملاً وتأملاً أن النبي عليه السلام إنما عرج ليلة الإسراء بالفناء التام ولذا وقع الإسراء في الليل الذي هو مظهر الفناء دون النهار الذي هو مظهر البقاء وكان مراتب الفناء سبعاً على مراتب الأسماء السبعة التي آخرها القيوم القهار وللإشارة إلى هذه جعلت منارات الحرم المكي سبعاً لأن سر البقاء إنما ظهر في حرم النبي عليه السلام ولذا جعلت مناراته خمساً على عدد مراتب البقاء التي أشير إليها بالأسماء الخمسة الباقية من الاثني عشر التي آخرها الأحد الصمد وكل واحد من تلك الأسماء السبعة مائة على حسب تفصيلها إلى الأسماء الحسنى مع أحدية جمعها فيكون مجموعها بهذا الحساب سبعمائة ولما كان جبريل دون النبي عليه السلام في الفناء لم يتجاوز تلك الليلة مقامه الذي هو سدرة المنتهى حتى قال: لو دنوت أنملة لاحترقت وتجاوزه النبي عليه السلام إلى مستوى العرش وقهره وغلب عليه في ذلك فانتهى سير جبريل إلى الاسم القيوم فصار مقهوراً تحت سير النبي عليه السلام وقائماً في مكانه وقائماً بوحيه للقلوب ولذا سمي بروح القدس لحياة القلوب بوحيه كحياة الأجساد بالأرواح فله من تلك الأجنحة السبعمائة ستمائة صورة ومعنى وانتهى سير النبي عليه السلام إلى الاسم القهار فصار ما حصر الكل من دونه فله سبعمائة جناح معنوية فظهر أن القوة النبوية أزيد من القوة الملكية لأنها القوة الإلهية وقد قال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١٠] وإن جبريل لكونه من الأيدي إنما يستفيد اليد والقوة من يد النبي عليه السلام وقوته فاعرف ذلك وكن من الموقنين.

﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ حال من فاعل استوى والأفق هي الدائرة التي تفصل بين ما يرى من الفلك وما لا يرى والأفق الأعلى مطلع الشمس كما أن الأفق الأدنى مغربها والمعنى والحال أن جبريل بأفق الشمس أي: أقصى الدنيا عند مطلع الشمس وبالفارسية وبكناره بلند تربود از آسمان يعني نزديك مطلع آفتاب. ومنه يعلم أن مطلع الشمس ومغربها كرأس الإنسان ورجله وإن كانت الدنيا كالكرة على ما سلف وأيضاً مثل روح الإنسان وجسده فإن الروح علوي والجسد سفلي وقد طلع من عالم الأرواح وغرب في عالم الأجساد.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾﴾

﴿ثم دنا﴾ أي: أراد الدنو من النبي عليه السلام حال كونه في جبل حراء والدنو القرب بالذات أو بالحكم ويستعمل في الزمان والمكان والمنزلة كما في «المفردات» ﴿فتدلى﴾ التدلي استرسال مع تعلق أي: استرسل من الأفق الأعلى مع تعلقه به فدنا من النبي عليه السلام يقال: تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وفي الحديث: لو دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله أي: على علمه وقدرته وسلطانه في كل مكان وأدلى دلوه والدوالي الثمر المعلق وبالفارسية أونك.

﴿فكان﴾ أي: مقدار امتداد ما بينهما وهو المسافة ﴿قاب قوسين﴾ من قسي العرب أي: مقدارهما في القرب وذكر القوس لأن القرآن نزل بلغة العرب والعرب تجعل مساحة الأشياء

بالقوس وفي «معالم التنزيل» معنى قوله كان بين جبرائيل ومحمد عليهما السلام مقدار قوسين أنه كان بينهما مقدار ما بين الوتر والقوس كأنه غلب القوس على الوتر وهذا إشارة إلى تأكيد القرب وأصله أن الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك أنهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقيل قدر ذراعين ويسمى الذراع قوساً لأنه يقاس به المذروع أي: يقدر فلم يكن قريباً قرب التصاق ولا بعيداً بحيث لا يتأتى معه الإفادة والاستفادة وهو الحد المعهود في مجالسة الأحباء المتأدبين **﴿أو أدنى﴾** أي: على تقديركم أيها المخاطبون كما في قوله أو يزيدون فإن التشكيك لا يصح على الله فأو للشك من جهة العباد كما أن كلمة لعل كذلك في مواضع من القرآن أي: لو رآهما راءٍ منكم لقال هو قدر قوسين في القرب أو أدنى أي: لالتبس عليه مقدار القرب والمراد أي: من قوله **﴿ثم دنا﴾** إلى قوله **﴿أو أدنى﴾** تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحي إليه بنفي البعد الملبس وحمله بعضهم على حقيقته حيث قال فكلما دنا جبريل من النبي عليهما السلام انتقص فلما قرب منه مقدار قوسين رآه على صورته التي كان يراه عليها في سائر الأوقات حتى لا يشك أنه جبريل وهنا كلام آخر يجيء بعد تمام الآيات.

﴿فأوحى﴾ أي: جبرائيل **﴿إلى عبده﴾** أي: عبد الله تعالى وإضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥] أي: على ظهر الأرض والمراد بالعبد المشرف بالإضافة إلى الله هو الرسول عليه السلام كما في قوله تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] **﴿ما أوحى﴾** أي: من الأمور العظيمة التي لا تفي بها العبارة أو فأوحى الله حينئذ بواسطة جبريل ما أوحى.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾.

﴿ما كذب الفؤاد﴾ أي: فؤاد محمد عليه السلام وما نافية **﴿ما رأى﴾** ما موصولة وعائدها محذوف أي: ما رآه ببصره من صورة جبريل أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذباً لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره قال بعضهم: كذب مخففاً ومشدداً بمعنى واحد وقال بعضهم: من خفف كذب جعل ما في موضع النصب على نزع الخافض وإسقاطه أي: ما كذب فؤاده فيما رآه ببصره أي: لم يقل فيه كذباً وإنما يقول ذلك أن لو قال له لا أعرفك ولا أعتقد بك.

﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ أي: أتكذبون محمداً عليه السلام فتجادلونه على ما يراه معاينة من صورة جبريل فالفاء للعطف على محذوف أو أبعد ما ذكر من أحواله المنافية للمماراة فتمارونه فالفاء للتعقيب وذلك أن النبي عليه السلام لما أخبر برؤية جبريل تعجبوا منه وأنكروا والمماراة والمراء المجادلة بالباطل فكان حقه أن يتعدى بفي يقال جادلته في كذا لكنه ضمن معنى الغلبة فتعدى تعديتها لأن المماري يقصد بفعله غلبة الخصم واشتقاقه من مري الناقة كأن كلا من المجادلين يمري ما عند صاحبه يقال مريت الناقة مرياً مسحت ضرعها لتدر ومريت الفرس إذا استخرجت ما عنده من الجري أو غيره.

يقول الفقير: كان الظاهر أن يقال على ما رأى وجوابه أنه لما كان أثر الرؤية باقياً صح أن يقال يرى وأيضاً أن رؤية جبريل مستمرة إلى وقت الانتقال ولو على غير صورته الأصلية.

وقال الحسن البصري رحمه الله وجماعة **﴿علمه شديد القوى﴾** أي: علمه الله وهو

وصف من الله نفسه بكمال القدرة والقوة ذو مرة أي: ذو أحكام الأمور والقضايا وبين المكان الذي فيه علمه بلا واسطة فاستوى أي: محمد عليه السلام وهو بالأفق الأعلى أي: فوق السماوات ثم دنا. پس نزديك شد حضرت محمد بحضرت احديث يعني مقرب دركاه الوهيت كشت بمكانت ومنزلت نه بمنزل ومكان فتدلى پس فروتنى كرد يعني سجده خدمت آورد خدايرا وچون اين مرتبه بواسطه خدمت يافته بود ديكر باره در وظيفه خدمت افزود ودر سجده وعده قرب نيزهست كه اقرب ما يكون العبد من ربه أن يكون ساجداً ﴿**فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾ كنايتست از تأكيد قربت وتقرير محبت وبواسطة تقرب بإفهام در صورت تمثيل مؤدي شده چه عادت عظماى عرب آن مى بوده كه چون تأكيد عهدي وتوثيق عهدي خواستندى كه بغض بدان راه نيابد هريك از متعاقدان كمان خود حاضر ساخته بايكديكر انضمام دادندى وهردو بيكبار قبضتين راكرفته وبيكبار كشيده باتفاق يك تيرازان بيند اختندى واين صورت ازايشان اشارت بدان معنى بودى كه موافقت كلي ميان ما تحقق پذيرفت ومصادقت واتحاد أصلي بر وجهى ثبوت يافت كه بعد ازان رضا وسخط يكى عين رضا وسخط آن ديكرست پس كوييا درين آيت باعنايت آن معنى مؤدي شده كه محبت وقربت حضرت پيغمبر باحق سبحانه وتعالى بمثابه تأكيد يافته كه مقبول رسول مقبول خداوندست ومردود مصطفى مردود دركاه خداست وعلى هذا القياس ونزد محققان دنا اشارت نفس مقدس اوست وتدلى بمنزله دل مطهراو فكان قاب قوسين مقام روح مطيب او أدنى بمرتبه سر منوراو ونفس او در مكان خدمت بود ودل او در منزل محبت وروح او درمقام قربت وسر او در مرتبه مشاهدت شيخ ابو الحسين نورى را قدس سره از معنى اين آيت پرسيدند جواب داد جايى كه جبرائيل نكنجند نورى كيست كه ازان سخن تواند كفت:

خيمه برون زد ز حدود وجهات	پرده او شد تتق نور ذات
تيركى هستى ازو دور كشت	پردكى پرده آن نور كشت
كيست كزان پرده شود پرده ساز	زمزمه كويد ازان پرده باز

ويدل على أن ضمير دنا يعود إليه عليه السلام أنه قال في رواية «لما أسري بي إلى السماء قربني ربي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين أو أدنى قيل لي قد جعلت أمتك آخر الأمم لأفضح الأمم عندهم» أي بوقوفهم على أخبارهم ولا أفضحهم عند الأمم لتأخرهم عنهم.

وقال بعض الكبار: ثم دنا إشارة إلى العروج والوصول وقوله فتدلى إلى النزول والرجوع وقوله فكان قاب قوسين بمنزلة النتيجة إشارة إلى الوصول إلى عالم الصفات المشار إليه بقوله تعالى ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ٢] وقوله أو أدنى إشارة إلى الوصول إلى عالم الذات المشار إليه بقوله تعالى ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] في صورة الإخلاص فحاصل المعنى ثم دنا أي: إلى الحق من الخلق فتدلى إلى الخلق من الحق فكان قاب قوسين في مرتبة الوحدة الواحدية الجامعة بين شهادة الصفات والخلق وبين غيب الذات والحق أو أدنى في الوحدة الأحدية المختصة بغيب ذات الحق وإذن هنا أمران:

الأول: الوصول إلى مرتبة قاب قوسين وذلك بفناء في الصفات فقط.

والثاني: الوصول إلى مرتبة أو أدنى وذلك بفناء في الصفات والذات معاً فإن يسر الله النزول والبقاء يكمل الأمر في هاتين الجهتين ولعمري عزيز أهل هذا المقام جداً وقال بعضهم:

ضمير دنا إلى آخره يعود إلى الله تعالى قال في «كشف الأسرار» دنو الله من العبد على نوعين: أحدهما بإجابة الدعوة وإعطاء المنية ورفع المنزلة كما في قوله ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] والثاني بمعنى القرب في الحقيقة دون هذه المعاني كقوله ﴿ثم دنا فتدلى﴾ انتهى فالمعنى ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى أي: زاد في القرب حتى كان من محمد عليه السلام قاب قوسين أو أدنى فمعنى الدنو والتدلي الواقعين من الله تعالى كمعنى النزول منه إلى السماء الدنيا كل ليلة في ثلث الليل الأخير وهو أن ذلك عند أهل الحقائق من مقام التنزل بمعنى أنه تعالى يتلطف بعباده ويتنزل في خطابه لهم فيطلق على نفسه ما يطلقونه على أنفسهم فهو في حقهم حقيقة وفي حقه تعالى مجاز كما في «إنسان العيون» قال القاضي أبو الفضل في كتاب الشفاء اعلم أن ما وقع في إضافة الدنو والقرب من الله أو إلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وإنما دنو النبي من ربه وقربه منه إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ومن الله له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام قال في فتح الرحمن: فمن جعل الضمير عائداً إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان قوله فكان الخ عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة من محمد عليه السلام وعبارة إجابة الرغبة وقضاء المطالب قرب بالإجابة والقبول وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ قال في «الأسئلة المقحمة» أجمل ولم يفسره لأنه كان يطول ذكر جميع ما أوحى إليه فذكره جملة من غير تعرض إلى التفصيل فقال: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ وقالت الشيوخ: ستر الله بعض ما أوحى إلى عبده محمد عليه السلام عن الخلق ستراً على حاله لئلا يطلع عليه غيره فإن ذلك لا يتعلق بغيره وإنما ذلك من خواص محبته ومعرفته وعلو درجاته إذ بين الأحباب يجري من الأسرار ما لا يطلع عليه الأجانب والأغيار قال عليه السلام: «لي وقت مع الله لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل» وسمعت الشيخ أبا علي الفارسي رحمه الله يقول في هذه الآية قولاً يطول شرحه وقصاراه يرجع إلى أنه تعالى ستر بعض ما أوحى إلى نبيه عن الخلق لما علم أن علمهم بذلك يفتر عن السير في صراط العبودية اتكالاً على محض الربوبية ولهذا قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال معاذ أأخبر الناس بذلك يا رسول الله؟ فقال: لا تخبرهم بذلك لئلا يتكلوا انتهى.

لا يكتم السر إلا كل ذي خطر ... والسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندي في بيت له غلق ... قد ضاع مفتاحه والباب مختوم

وقيل:

بين المحبين سر ليس يفشيه ... قول ولا عمل للخلق يحكيه
سر يمازجه إنس يقابله ... نور تحير في بحر من التيه

وقيل:

دردى كه من از عشق تو دارم حاصل ... دل داند ومن دانم ومن دانم ودل

قال الكاشفي: بعض عليما كويند كه اولى آنست كه تعرض آن وحي نكنيم ودر پرده بكذا ريم وجمعي كويند آنچه ازان وحي درچيزى ويا اثري بما رسيده ذكر أن هيچ نقصان ندارد ودامانت بسيار واقع شده ودر تفسير جواهر بسطى تمام يافته اينجابسه وجه اختصاص مى يابد

اول آنكه مضمون وحي اين بودكه يا محمد لولا أني أحب معاتبة أمتك لما حاسبتهم يعني اكرنه آنست كه دوست ميدارم معاتبه با امت تو والابساط محاسبه ايشان طى مى كردم دوم آنكه اى محمد أنا وأنت وما سوى ذلك خلقته لأجلك آن حضرت عليه السلام در جواب فرمودند أنت وأنا وما سوى ذلك تركته لأجلك سوم آنكه امت تو طاعت من بجاى مى آرند وعصان نيزمى ورزند طاعت ايشان برضاى منست ومعصيت ايشان بقضاى من پس آنچه برضاى من از ايشان ثابت شود اكرچه اندك وبا قصور بود قبول كنم زيراكه كريمم وآنچه بقضاى من از ايشان در وجود آيد اكرچه بزرك وبسيار باشد عفو كنم زيرا كه رحيمم. وقيل: أوحي إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك وقيل كن آيسا من الخلق فليس بأيديهم شيء واجعل صحبتك معي فإن مرجعك إلي ولا تجعل قلبك معلقاً بالدنيا فإني ما خلقتك لها وقيل أوحي إليه ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى: ٦] إلى قوله ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤] وقيل أوحي إليه ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الخ بغير واسطة جبريل وقيل أوحي إليه عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزى به.

ـ وروي ـ أنه عليه السلام قال: «شكا إلي الله ليلة المعراج من أمتي شكايات:

الأولى: لم أكلفهم عمل الغد وهم يطلبون مني رزق الغد.

والثاني: لا أدفع أرزاقهم إلى غيرهم وهم يدفعون عملهم إلى غيري.

والثالثة: أنهم يأكلون رزقي ويشكرون غيري ويخونون معي ويصالحون خلقي.

والرابعة: أن العزة لي وأنا المعز وهم يطلبون العزة من سواي.

والخامسة: أني خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون أن يوقعوا أنفسهم فيها قال: قل لأمتك إن أحببتم أحداً لإحسانه إليكم فأنا أولى به لكثرة نعمي عليكم وإن خفتم أحداً من أهل السماء والأرض فأنا أولى بذلك لكمال قدرتي وإن أنتم رجوتم أحداً فأنا أولى به لأني أحب عبادي وإن أنتم استحييتم من أحد لجفائكم إياه فأنا أولى به لأن منكم الجفاء ومني الوفاء وإن آثرتم أحداً بأموالكم وأنفسكم فأنا أولى بذلك لأني معبودكم وإن صدقتم أحداً في وعده فأنا أولى بذلك لأني أنا الصادق وقيل أوحى الله إليه يا محمد لم أكثر مال أمتك لئلا يطول حسابهم في القيامة ولم أطل أعمارهم لئلا تقسو قلوبهم ولم أفجأهم بالموت لئلا يكون خروجهم من الدنيا بدون التوبة وأخرتهم في الدنيا عن الآخرين لئلا يطول في القبور حبسهم.

قال بعضهم: إن ما أوحي إليه مفسر في الأخبار ونطقت به الروايات من أهوال القيامة وغيرها ولهذا قال عليه السلام: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» قال جعفر الصادق رضي الله عنه: ﴿فأوحي إلى عبده ما أوحى﴾ بلا واسطة فيما بينه وبينه سراً إلى قلبه لا يعلم به أحد سواه بلا واسطة أي: في العقبى حين يعطيه الشفاعة لأمته وقال البقلي: أبهم الله سر ذلك الوحي الخفي على جميع فهوم الخلائق من العرش إلى الثرى بقوله: ما أوحى لأنه لم يبين أي: شيء أوحي إلى حبيبه لأنه بين المحب والمحبوب سراً لا يطلع عليه غيرهما وأظن أنه لو بين كلمة من تلك الأسرار لجميع الأولين والآخرين لماتوا جميعاً من ثقل ذلك الوارد الذي ورد من الحق على قلب عبده احتمل ذلك المصطفى عليه السلام بقوة ربانية ملكوتية لاهوتية ألبسه الله إياها ولولا ذلك لم يحتمل ذرة منها لأنها أنباء عجيبة وأسرار أزلية لو ظهرت كلمة منها لتعطلت الأحكام ولفنيت الأرواح والأجسام واندرست الرسوم واضمحلت العقول والفهوم والعلوم.

يقول الفقير: لا شك أن ما أوحي إليه عليه السلام تلك الليلة على أقسام قسم أداه إلى الكل وهو الأحكام والشرائع وقسم أداه إلى الخواص وهو المعارف الإلهية وقسم أداه إلى أخص الخواص وهو الحقائق ونتائج العلوم الذوقية وقسم آخر بقي معه لكونه مما خصه الله به وهو السر الذي بينه وبين الله المشار إليه بقوله: «لي مع الله وقت» الخ فإنه تحل مخصوص وسر مكتوم لا يفشى وهكذا كل ورثته فإن لهم نصيباً من هذا المقام حيث إن بعض علومهم يرتحل معهم إلى الآخرة ولا يوجد له محل يؤدي إليه إما لكونه من خصائصهم وإما لفقدان من يستعد لأدائه وذلك بحسب الزمان ولذا جاء نبي في الأولين وبقي معه الرسالة ولم يقبلها أحد من أمته لعدم الاستعداد فيهم.

وفي «التأويلات النجمية» في هذه الآية يشير إلى أن الله تعالى من مقام جمعيته الجامعة لجميع المظهريات من غير واسطة جبريل وواسطة ميكائيل أوحى أو تجلى في صورة الوحي لعبده المضاف إلى هاء هويته المطلقة بحقائق من مقتضى حكم الوحدة والموحى به هو أن وجودك يا محمد عين وجود المتعين بأحدية جمع جميع الأعيان الظاهرة المشهودة والحقائق الباطنة الغيبية المفقودة في عين كونها موجودة مطلقاً عن هذا التعين والجمع والإطلاق **﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾**.

اعلم أن المرئي إن كان صورة جبريل عليه السلام فالرؤية من رؤية العين وإن كان هو الله تعالى على ما ذهب إليه البعض فقد اختلفوا في أنه عليه السلام رأى الله تعالى ليلة الإسراء بقلبه أو بعين رأسه فقال بعضهم: جعل بصره في فؤاده فرآه في فؤاده فيكون المعنى ما كذب الفؤاد ما رآه الفؤاد أي: لم يقل فؤاده له أن ما رأيته هاجس شيطاني وأنه ليس من شأنه أن ترى الرب تعالى بل تيقن أن ما رآه بفؤاده حق صحيح وقال بعضهم: رآه بعينه لقوله عليه السلام: «إن الله أعطى موسى الكلام وأعطاني الرؤية» وقوله عليه السلام: «رأيت ربي في أحسن صورة» أي: صفة. قال في «الكواشي»: هذا لا حجة فيه لأنه يجوز أنه أراد الرؤية بالقلب بأن زاده معرفة على غيره.

يقول الفقير: إيراد الرؤية في مقابلة الكلام يدل على رؤية العين لأن موسى عليه السلام قد سألها ومنع منها فاقتضى أن يفضل النبي عليه السلام عليه بما منع منه وهو الرؤية البصرية ولا شك أن الرؤية القلبية الحاصلة بالانسلاخ يشترك فيها جميع الأنبياء حتى الأولياء وقد صح أن موسى رأى ربه بعين قلبه حين خر في الطور مغشياً عليه وحملها على زيادة المعرفة لا يجدي نفعاً وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: من زعم بأن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله قال في «كشف الأسرار» قول عائشة نفي وقول ابن عباس بأنه رأى إثبات والحكم للمثبت لا للنافي فالنافي إنما نفاه لأنه لم يسمعه والمثبت إنما أثبته لأنه سمعه وعلمه انتهى وقول أبي ذر رضي الله تعالى عنه للنبي عليه السلام: «هل رأيت ربك؟ قال: نوراني أراه» بالنسبة إلى تجرد الذات عن النسب والإضافات أي: النور المجرد لا يمكن رؤيته على ما سبق تحقيقه وقال في «عين المعاني»: ولا يثبت مثل هذا أي: الرؤية بالعين إلا بالإجماع وفي «كشف الأسرار» قال بعضهم: رآه بقلبه دون عينه وهذا خلاف السنة والمذهب الصحيح أنه عليه السلام رأى ربه بعين رأسه انتهى. وفي «الكواشي»: يستحيل رؤيته هنا عقلاً ومعتقد رؤية الله هنا بالعين لغير محمد غير مسلم أيضاً انتهى. قال ابن الشيخ: اعلم أن رؤية الله تعالى جائزة

لأن دليل الجواز غير مخصوص بالآخرة ولأن مذهب أهل السنة الرؤية بالإراءة لا بقدرة العبد فإذا حصل العلم بالشيء من طريق البصر كان رؤية بالإراءة وإن حصل من طريق القلب كان معرفة والله تعالى قادر على أن يحصل العلم بخلق مدرك المعلوم في البصر كما قدر أن يحصله بخلق مدرك المعلوم في القلب والمسألة مختلف فيها بين الصحابة والاختلاف في الوقوع مما ينبىء عن الاتفاق على الجواز انتهى وكان الحسن البصري رحمه الله يحلف بالله أن محمداً رأى ربه ليلة المعراج.

ـ وحكى ـ النقاش عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس رضي الله عنهما بعينه رآه رآه حتى انقطع نفس الإمام أحمد. كلام سرمدي بي نقل بشنيد خداوند جهانرا بي جهت ديد:

دران ديدن كه حيرت حاصلش بود دلش درچشم وچشمش در دلش بود

قال بعض الكبار: الممنوع من رؤية الحق في هذه الدار إنما هو عدم معرفتهم له وإلا فهم يرونه ولا يعرفون أنه هو على غير ما يتعقل البصر فالخلق حجاب عليه دائماً فإنه تعالى جل عن التكييف دنيا وأخرى فافهم فهم يرونه ولا يرونه وأكثر من هذا الإفصاح لا يكون انتهى.

يقول الفقير: نعم إن الله جل عن الكيفية في الدارين لكن فرق بين الدنيا والآخرة كثافة ولطافة فإن الشهود في الدنيا بالسر المجرد لغير نبينا عليه السلام بخلافه في الآخرة فإن القلب ينقلب هناك قالباً فيفعل القالب هناك ما يفعله القلب والسر في هذه الدار فإذا كانت لطافة جسم النبي عليه السلام تعطي الرؤية في الدنيا فما ظنك بلطافته ورؤيته في الآخرة فيكون شهوده أكمل شهود في الدارين حيث رأى ربه بالسر والروح في صورة الجسم.

قال في «التأويلات النجمية»: اتحد بصر ملكوته وبصر ملكه فرأى ببصر ملكوته باطن الحق من حيث اسمه الباطن ورأى ببصر ملكه ظاهر الحق من حيث اسمه الظاهر ورأى بأحدية جمع القوتين الملكوتية والملكية الحقيقة الجمعية المتعينة بجميع التعينات العلوية الروحانية والسفلية الجسمانية مع إطلاقه في عين تعينه المطلق عن التعين واللاتعين والإطلاق واللا إطلاق انتهى هذا وليس وراء عبادان قرية وقال البقلي رحمه الله: ذكر الله رؤية فؤاده عليه السلام ولم يذكر العين لأن رؤية العين سر بينه وبين حبيبه فلم يذكر ذلك غيرة عليه لأن رؤية الفؤاد عام ورؤية البصر خاص أراه جماله عياناً فرآه ببصره الذي كان مكحولاً بنور ذاته وصفاته وبقي في رؤيته عياناً ما شاء الله فصار جسمه جميعه أبصاراً رحمانية فرأى الحق بجميعها فوصلت الرؤية إلى الفؤاد فرأى فؤاده جمال الحق ورأى ما رأى عينه ولم يكن بين ما رأى بعينه وبين ما رآه بفؤاده فرق فأزال الحق الإبهام وكشف العيان بقوله: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ حتى لا يظن الظان أن ما رأى الفؤاد ليس كما رأى بصره أي: صدق قلبه فيما رآه من لقائه الذي رآه بصره بالظاهر إذ كان باطن حبيبه هناك ظاهراً وظاهراً باطناً بجميع شعراته وذرات وجوده وليس في رؤية الحق حجاب للعاشق الصادق بأن يغيب عن الرؤية شيء من وجوده فبالغ الحق في كمال رؤية حبيبه وكذلك قال عليه السلام: «رأيت ربي بعيني وبقلبي» رواه مسلم في صحيحه. قال ابن عطاء: ما اعتقد القلب خلاف ما رأته العين وقال: ليس كل من رأى سكن فؤاده من إدراكه إذ العيان قد يظهر فيضطرب السر عن حمل الوارد عليه والرسول

عليه السلام كان محمولاً فيها في فؤاده وعقله وحسه ونظره وهذا يدل على صدق طويته وحمله فيما شوهد به.

﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ آيا مجادله ميكنيد با محمد برآنچه ديد درشب معراج ومجادله آن بودكه صفت بيت المقدس وخبر كاروان خود پرسيدند. وقال بعضهم: أفتجادلونه على رؤية الله تعالى أي: أن رسول الله عليه السلام رأى الله وهم يجادلونه في ذلك وينكرونها.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى مماراة المحتجبين عن الحق بالخلق ومجادلتهم في شهود الخلق من دون الحق لقيامهم في مقام الكثرة الاعتبارية من غير شهود الوحدة الحقيقية أعاذنا الله وإياكم من عذاب جحيم الاحتجاب ومن شدة لهب النار والالتهاب.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾

﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ الضمير البارز في رآه لجبريل ونزلة منصوب نصب الظرف الذي هو مرة لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها والمعنى وبالله لقد رأى محمد جبريل عليهما السلام على صورته الحقيقية مرة أخرى من النزول وذلك أنه كان للنبي عليه السلام في ليلة المعراج عرجات لمسألة التخفيف من أعداد الصلوات المفروضة فيكون لكل عرجة نزلة فرأى جبريل في بعض تلك النزلات.

﴿عند سدرة المنتهى﴾ وهو مقام جبرائيل وكان قد بقي هناك عند عروجه عليه السلام إلى مستوى العرش وقال: لو دنوت أنملة لاحترقت قال عليه السلام: «رأيته عند سدرة المنتهى عليه ستمائة جناح يتناثر منه الدر والياقوت» وعند يجوز أن يكون متعلقاً برأى وأن يكون حالاً من المفعول المراد به جبرائيل لأن جبرائيل لكونه مخلوقاً يجوز أن يراه النبي عليه السلام في مكان مخصوص وهو سدرة المنتهى وهي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيلة نبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها والمنتهى مصدر ميمي بمعنى الانتهاء كما قال الزمخشري أو اسم مكان بمعنى موضع الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وقيل: ينتهي إليها الملائكة ولا يتجاوزونها لأن جبرائيل رسول الملائكة إذا لم يتجاوزها فبالحري أن لا يتجاوزها غيره فأعلاها لجبرائيل كالوسيلة لنبينا عليه السلام فكما أن خواص الأمة يشتركون مع النبي عليه السلام في جنة عدن بدون أن يتجاوزوا إلى مقامه المخصوص به فكذا الملائكة يشتركون مع جبرائيل في السدرة بدون أن يتعدوا إلى ما خص به من المكان وقيل إليها ينتهي علم الخلائق وأعمالهم ولا يعلم أحد ما وراءها وذلك لأن الأعمال الصالحة في عليين ولا تعرج إليه إلا على يد الملائكة فتقف عندها كوقوف الملائكة هذا بالنسبة إلى أعمال الأمة وأما خواص الأمة فلهم من الأعمال ما لا يقف عندها بل يتجاوز إلى عالم الأرواح فوق مستوى العرش بل إلى ما وراءه حيث لا يعلمه إلا الله فمثل هذه الصالحات الناشئة عن خلوص فوق خلوص العامة ليست بيد الملائكة إذ لا يدخل مقامها أحد وقيل: ينتهي إليها أرواح الشهداء لأنها في أرض الجنان أو ينتهي إليها ما يهبط من فوقها من الأحكام ويصعد من تحتها من الآثار وعن أبي هريرة رضي الله عنه لما أسري بالنبي عليه السلام انتهى إلى السدرة فقيل له: هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك يعني ميرسد بدين هركس از امت توكه رفته باشد برسنت تو. وقال كعب:

إنها سدرة في أصل العرش على رؤوس حملة العرش وإليها ينتهي الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله وبالجملة هي شجرة طوبى وقال مقاتل السدرة هي شجرة طوبى ولو أن رجلاً ركب نجيبه وطاف على ساقه حتى أدركه الهرم لما وصل إلى المكان الذي ركب منه تحمل لأهل الجنة الحلي والحلل وجميع ألوان الثمار ولو أن ورقة منها وضعت في الأرض لأضاءت أهلها قيل: إضافة السدرة إلى المنتهى إما إضافة الشيء إلى مكانه كقولك أشجار البستان فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك أو إضافة المحل إلى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم أو إضافة الملك إلى المالك على حذف الجار والمجرور أي: سدرة المنتهى إليه وهو الله تعالى قال إلى ربك المنتهى وإضافة السدرة إليه كإضافة البيت إليه للتشريف والتعظيم وقال بعضهم: المرئي هو الله تعالى يعني أن محمداً عليه السلام رأى ربه مرة أخرى يعني مرتين كما كلم موسى مرتين وفيه إشعار بأن الرؤية الثانية كانت كالرؤية الأولى بنزول ودنو فقوله عند لا يجوز أن يكون حالاً من المفعول المراد به الله تعالى لأن الله تعالى منزه عن أن يحل في زمان أو مكان فهو متعلق برأى يعني أنه عليه السلام رأى ربه رؤية ثانية عند سدرة المنتهى على أن يكون الظرف ظرفاً لرأى ورؤيته لا للمرئي كما إذا قلت رأيت الهلال فقيل لك أين رأيت فتقول عند الشجرة الفلانية وجعل ابن برجان الإسراء مرتين:

الأولى بالفؤاد وهذه بالعين ولما كان ذلك لا يتأتى إلا بتنزل يقطع مسافات البعد التي هي الحجب ليصير به بحيث يراه البشر عبر بقوله ﴿**نزلة أخرى**﴾ وعين الوقت بتعيين المكان فقال ﴿**عند سدرة المنتهى**﴾ كما في «تفسير المناسبات».

ـ وروي ـ عن وكيع عن كعب الأحبار أنه قال: رأى ربه مرة أخرى فقال: إن الله تعالى كلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين عليهما السلام فلما بلغ ذلك عائشة رضي الله عنها قالت: قد اقشعر جلدي من هيبة هذا الكلام فقيل لها: «يا أم المؤمنين أليس يقول الله تعالى ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ فقالت: أنا سألت النبي عليه السلام عن ذلك فقال: رأيت جبرائيل نازلاً في الأفق على خلقته وصورته» انتهى وقال بعضهم: رآه بفؤاده مرتين.

يقول الفقير: لما كان هذا المقام لا يخلو عن صعوبة واحتمال وتأويل كفروا من أنكر المعراج إلى المسجد الأقصى لثبوته بالنص القطعي وهو قوله تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] الخ وضللوا من أنكره إلى ما فوقه لثبوته بالخبر المشهور. قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: إن معراجه عليه السلام أربع وثلاثون مرة: واحدة بجسده والباقي بروحه رؤيا رآها.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى رد استعجاب أهل الحجاب شهود النبي عليه السلام الحضرة الإلهية في المظاهر الكونية والمجالي الغيبية وأنى لهم هذا الاستعجاب والاستغراب وما قيده في حضرة دون حضرة وفي مشهد دون مشهد بل شهرة وعلانية مرة بعد مرة وساعة بعد ساعة بل ما احتجب لحظة منه تعالى وما غاب عنه لمحة مرة شاهده به في مقام أحديته بفنائه عنه ونزلة عاينه في مقام واحديته بالبقاء به عند نزوله من المشهد الأحدي إلى المشهد الواحدي المسمى سدرة المنتهى التي هي شجرة الكثرة لابتداء الكثرة منها وانتهاء مظاهرها إليها بحسب الأعمال والأقوال والأفعال والأحوال شبهت السدرة بشجرة الكثرة لكثرة إظلالها وأغصانها كما في شجرة الكثرة التي هي الواحدية لظهور التعينات والتكثرات منها واستظلال

المتعينات بها بالوجود العيني الخارجي انتهى.

وقال البقلي: ما الرؤية الثانية بأقل كشفاً من الرؤية الأولى ولا الأولى بأكشف من الرؤية الثانية أين أنت لو كنت أهلاً لقلت لك إنه عليه السلام رأى ربه في لحافه بعد أن رجع من الحضرة أيضاً في تلك الساعة وما غاب قلبه من تلك الرؤية لمحة وما ذكر سبحانه بيان أن ما رأى في الأولى في المكان وما رأى عند سدرة المنتهى كان واحداً لأن ظهوره هناك ظهور القدم والجلال وليس ظهوره يتعلق بالمكان ولا بالزمان إذ القدم منزه عن المكان والجهات وكان العبد في المكان والرب في الإمكان وهذا غاية في كمال تنزيهه وعظيم لطفه إذ تتجلى نفسه لقلب عبده وهو في الإمكان والعبد في مكان والعقل هٰهنا مضمحل والعلم متلاشٍ لأن العقول عاجزة والأوهام متحيرة والقلوب والهة والأرواح حائرة والأسرار فانية وفي هذهِ الآية بيان كمال شرف حبيبه إذ رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ظن عليه السلام أن ما رآه في الأولى لا يكون في الكون لكمال علمه بتنزيه الحق فلما رآه ثانية علم أنه لا يحجبه شيء من الحدثان وعادة الكبراء إذا زارهم أحد يأتون معه إلى باب الدار إذا كان كريماً فهذا من الله إظهار كمال حب لحبيبه وحقيقة الإشارة أنه سبحانه أراد أن يعرف حبيبه مقام التباس فلبس الأمر وأظهر المكر بأن بان الحق من شجرة سدرة المنتهى كما بان من شجرة العناب لموسى ليعرف حبيبه بكمال المعرفة إذ ليس بعارف من لم يعرف حبيبه في ألبسة مختلفة انتهى ولما أراد سبحانه أن يعظم السدرة ويبين شرفها قال:

﴿عندها﴾ أي: عند السدرة ﴿جنة المأوى﴾ والجملة حالية قيل: الأحسن أن يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به بالفاعلية وإضافة الجنة إلى المأوى مثل إضافة مسجد الجامع أي: الجنة التي يأوي إليها المتقون أي: تنزل فيها وتصير وتعود إليها أرواح الشهداء وبالفارسية بهشتى كه آرامكاه متقيان يا مأوى ومكان أرواح شهداست او اوى إليها آدم وحواء عليهما السلام يقال: أويت منزلي وإليه أويا وأويا عدت وأويته نزلته بنفسي والمأوى المكان.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: آدم عليه السلام أنزل من جنة المأوى التي هي اليوم مقام الروح الأمين جبريل عليه السلام وهي اليوم برزخ لذرية آدم ونزل إليها جبرائيل من السدرة بنزول آدم وهذه الجنة لا تقتضي الخلود لذاتها فلذلك أمكن خروج آدم منها ولذلك تأثر بالاشتياق إلى أن يكون ملكاً بعد سجود الملائكة له بغرور إبليس إياه ووعده في الخلود رغبة في الخلود والبقاء مع جبرائيل والجنة التي عرضها السماوات والأرض تقتضي الخلود لذاتها يعلم من دخلها أنه لا يمكن الخروج منها إذ لا سبيل للكون والفساد إليها قال تعالى في وصف عطائها أنه ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي: غير منقطع انتهى فالجنة التي عرضها السماوات والأرض أرضها الكرسي الذي وسع السماوات والأرض وسقفها العرش المحيط فهي محيطة بالجنان الثمان وليست هي الجنة التي أنزل منها آدم كذا قاله الشيخ أيضاً في كتاب «تلقيح الأذهان».

وقال نجم الدين رحمه الله في تأويلاته يشير إلى أن الجنة العلية التي يسجن بها المجانين العاشقون عن أنانيتهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر وفي قوله عندها إشارة إلى الهوية الظاهرة بالشجرة الواحدية المسماة بسدرة المنتهى لانتهاء أرواح الشهداء المقتولين بسيف الصدق والإخلاص ورمح الرياضات والمجاهدات إليها.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾.

﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ زيادة في تعظيم السدرة وإذ ظرف زمان لرآه لما بعده من الجملة المنفية فإن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورتها البديعة أو للإيذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد والمعنى ولقد رأى محمد جبرائيل عند السدرة وقت ما غشيها وغطاها ما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان كيفا ولا كما وفي الحديث «وغشيها ألوان لا أدري ما هي فليس أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها» وعنه عليه السلام: «رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكاً قائماً يسبح الله» وعنه عليه السلام «يغشاها رفرف» أي: جماعة من طيور خضر وقيل: يغشاها فراش أو جراد من ذهب. كما قال الكاشفي: وكويند بر حوالى آن فرشتكان طيران ميكردند چون پروانهاى زرين. وقيل: يغشاها سبحات أنوار الله حين تجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت أقوى من الجبل حيث لم يصبها ما أصابه من الدك وذلك لأن الجبل كان في عالم الملك الضعيف والسدرة في عالم الملكوت القوي ولذا لم يخر عليه السلام هناك مغشياً عليه حين رأى جبرائيل كما غشي عليه حين رآه في الأفق الأعلى لقوة التمكين وغاية لطافة الجسد الشريف وقيل: يغشاها الجم الغفير من الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر يعبدون الله تعالى عندها أو يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل: يغشاها الملائكة النازلون للقاء النبي عليه السلام فإنهم استأذنوا للقائه فأذن لهم وقيل: لا تأتوه بغير نثار فجاء كل واحد منهم بطبق من أطباق الجنة عليه من اللطائف ما لا يحصى فنثروه بين يديه تقرباً إليه وفي الحديث: «إنه أعطى رسول الله عندها يعني السدرة ثلاثاً» يعني سه چيز. الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن مات من أمته لا يشرك بالله شيئاً».

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى تعظيم المظاهر الأسمائية والصفاتية الجمالية اللطفية والجلالية القهرية الغاشية الساترة شجرة الواحدية المسماة بسدرة المنتهى بحيث لا تعد ولا تحصى لعدم نهاية مصادرها لأن الأسماء بحسب الجزئيات غير متناهية وإن كانت من حيث كلياتها متناهية وكان حقيقة السدرة وعمودها مغشية مستورة بكثرة أغصانها وأوراقها وأزهارها وهذا الوصف يدل على عظمة شأن الشجرة عينها وجلالة قدرها وكيف لا والواحدية من حيث الحقيقة عين الأحدية ومن حيث الاعتبار العقلي وغيرها فافهم جداً لا يفوتك الحقيقة بل الطريقة والشريعة انتهى.

وقال البقلي رحمه الله: أبهم ما غشيها لأن العقول لا تدرك حقائق ما يغشاها وكيف يغشاها والقدم منزه عن الحلول في الأماكن وكانت الشجرة مرآة لظهوره سبحانه ما ألطف ظهوره لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون بعد عرفانهم به آمنا به.

﴿ما زاغ البصر﴾ الزيغ الميل عن الاستقامة أي: ما مال بصر رسول الله عليه السلام أدنى ميل عما رآه ﴿وما طغى﴾ وما تجاوز مع ما شاهد هناك من الأمور المذهلة مما لا يحصى بل أثبته إثباتاً صحيحاً متيقناً أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها واستدل على أن رؤية الله كانت بعين بصره عليه السلام يقظة بقوله ﴿ما زاغ البصر﴾ الخ لأن

وصف البصر بعدم الزيغ يقتضي أن ذلك يقظة ولو كانت الرؤية قلبية لقال ما زاغ قلبه وأما القول بأنه يجوز أن يكون المراد بالبصر بصر قلبه فلا بد له من القرينة وهي هنها معدومة. قال الكاشفي في معنى الآية: ميل نكرد چشم محمد عليه السلام ويچپ وراست ننكريست ودرنكذشت از حديكه مقرر بود نكريستن ويرا درين آيت ستايش آن حضرتست بحسن أدب وعلو همت كه دران شب پرتو التفات بر هيچ ذره از ذرات كائنات نيفكند وديده دل بجز مشاهده جمال بي زوال الهي نكشود:

دردیده کشیده کحل ما زاغ   نی راغ نکاه کردونی باغ
میراند براق عرش پرواز   تا حجله ناز وپرده راز
پس پرده زپیش دیده برخاست   پی پرده بدید آنچه دل خواست

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى تحقق النبي عليه السلام بمقام حقيقة الفقر الكلي الذي هو الخلو المطلق عما سواه لأنه قال: «الفقر فخري» وأي فقر أعظم وأفخم من أن يخرج العبد عن وجوده الكلي المجازي ويقوم بالوجود الحقيقي ويظهر بصفات سيده حتى يقال له عبد الله أي: لا عبد غيره يعني ما مال بصر ملكه الجسماني إلى ملك الدنيا وزينتها وزخارفها وجاهها ومالها وما طغى نظر ملكوته الروحاني إلى عالم الآخرة ونعيمها ودرجاتها وقرباتها وغرفاتها بل اتحدا واجتمعا اتحاداً كلياً واجتماعاً حقيقياً من غير فتور وقصور على شهود الحق وأسمائه وصفاته وعجائب تجلياته الذاتية وغرائب تنزلاته الصفاتية وأيضاً ما زاغ عين ظاهره إلى الكثرة الأسمائية قائمة بالوحدة الذاتية وغرائب تنزلاته بكمال قيامه بشهود المرتبتين ولإحاطة علمه بوجود المرتبتين فافهم وإلا تندم.

وقال البقلي رحمه الله: هذه الآية في الرؤية الثانية لأن في الرؤية الأولى لم يكن شيء دون الله ولذلك ما ذكر هناك غض البصر وهذا من كمال تمكين الحبيب في محل الاستقامة وشوقه إلى مشاهدة ربه إذ لم يمل إلى شيء دونه وإن كان محل الشرف والفضل وفي «كشف الأسرار» موسى عليه السلام چون ديدار خواست كه ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] اورا بصمصام غيرت لن تراني جواب دادند پس چون تاوان زده آن سؤال كشت بغرامت تبت اليك واديد آمد باز چون نوبت بمصطفى عليه السلام رسيد ديده ويرا توتياى غيرت ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحجر: ٨٨] در كشيدند كفتند اى محمد ديده كه بآن ديده مارا خواهى ديكر نكر تابعاريت بكس ندهى مهتر عصابه عزت ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ برديده خود بست بزبان حال كفت:

بربندم چشم خویش ونکشایم نیز   تاروز زیارت توای یار عزیز

تالا جرم چون حاضر حضرت كشت جمال وجلال ذو الجمال والجلال برديده او كشف كردند كه ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾:

همه تنم ذکر کردد چون بانو راز کنم   همه کمال توبینم چو دیده باز کنم
ان تذكرته فكلي قلوب   أو تأملته فكلي عيون

وكفته اند موسى عليه السلام چون از حضرت مناجات باز كشت باوى نور هيبت بود وعظمت لا جرم هركه دروى ناديست تابينا كشت باز مصطفى عليه السلام چون از حضرت مشاهدات باز كشت باوى نوارنس بود تاهركه بروى نكريد بينايي او بيفزود آن مقام أهل تكوين است واين مقام ارباب تمكين.

﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ أي: وبالله لقد رأى محمد عليه السلام ليلة المعراج الآيات التي هي كبراها وعظماها فأرى من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة فقوله: ﴿من آيات ربه﴾ حال قدمت على ذيها وكلمة من للبيان لأنه المناسب لمرام المقام وهو التعظيم والمبالغة ولذا لم تحمل على التبعيض على أن يكون هو المفعول ويجوز أن يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف أي: شيئاً عظيماً من آيات ربه وأن يكون من مزيدة يعني على مذهب الأخفش وكان الإسراء ليلة السابع والعشرين من رجب على ما عليه الأكثر في السنة الثانية عشرة من النبوة قبل الهجرة بقليل كما في «تفسير المناسبات» وفيه إشكال فإن هذه السورة نزلت في السنة الخامسة من النبوة على ما مر في أول السورة قال المفسرون: رأى عليه السلام أي: أبصر تلك الليلة رفرفاً أخضر سد أفق السماء فجلس عليه وجاوز سدرة المنتهى والرفرف البساط وهو صورة همته البسيطة العريضة المحيطة بالآفاق مطلقاً لأنه عليه السلام في سفر العالم البسيط ولا يصل إليه إلا من له علو الهمة مثله وقد قال حسان رضي الله عنه في نعته عليه السلام:

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

ورأى تلك الليلة طوائف الملائكة وسدرة المنتهى وجنة المأوى وما في الجنان لأهل الإيمان وما في النيران لأهل الطغيان والظلم والأنوار وما يعجز عنه الأفكار وتحار فيه الأبصار ومن ذلك ما رآه في السماوات من الأنبياء عليهم السلام إشارة بكل نبي إلى أمر دقيق جليل وحالة شريفة قال الإمام أبو القاسم السهيلي رحمه الله في «الروض الأنف»: والذي أقول في هذا إن مأخذ فهمه من علم التعبير فإنه من علم النبوة وأهل التعبير يقولون: من رأى نبياً بعينه في المنام فإن رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبي في شدة أو رخاء أو غير ذلك من الأمور التي أخبر بها عن الأنبياء في القرآن والحديث مثلاً من رأى آدم عليه السلام في مكان على حسنه وجماله وكان للولاية أهلاً ملك ملكاً عظيماً لقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ومن رأى نوحاً عليه السلام فإنه يعيش عيشاً طويلاً ويصيبه شدة وأذى من الناس ثم يظفر بهم ومن رأى إبراهيم عليه السلام فإنه لا يعق أباه ويرزق الحج وينصر على أعدائه ويناله هول وشدة من ملك جائر ثم ينصر ومن رأى يوسف عليه السلام فإنه يكذب عليه ويظلم ويناله شدة ويحبس ثم يملك ملكاً ويظفر ومن رأى موسى وهارون عليهما السلام فإن الله يهلك على يده جباراً عنيداً ومن رأى سليمان عليه السلام فإنه يلي القضاء أو الملك أو يرزق الفقه ومن رأى عيسى عليه السلام فإنه يكون رجلاً مباركاً نفاعاً كثير الخير كثير السفر في رضى الله ومن رأى نبينا ﷺ وليس في رؤياه مكروه لم يزل خفيف الحال وإن رآه في أرض جدب أخصبت أو في أرض قوم مظلومين نصروا ومن رآه عليه السلام فإن كان مغموماً ذهب غمه وإن كان مديوناً قضى الله دينه وإن كان مغلوباً نصر وإن كان محبوساً أطلق وإن كان عبداً أعتق وإن كان غائباً رجع إلى أهله سالماً وإن كان معسراً أغناه الله وإن كان مريضاً شفاه الله تعالى وحديث الإسراء كان بمكة ومكة حرم الله وأمنه وقطانها جيران الله لأن فيها بيته فأول من رآه عليه السلام من الأنبياء كان آدم عليه السلام الذي كان في أمن الله وجواره فأخرجه إبليس عدوه منها وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبي عليه السلام حين أخرجه أعداؤه من حرم الله وجوار بيته وكربه ذلك وغمه فأشبهت قصته في هذا قصة آدم مع أن آدم تعرض عليه أرواح

ذريته البر والفاجر منهم فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لأن أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء ولا تفتح لهم أبوابها ثم رأى في الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام وهما الممتحنان باليهود أما عيسى عليه السلام فكذبته اليهود وآذته وهموا بقتله فرفعه الله وأما يحيى عليه السلام فقتلوه ورسول الله عليه السلام بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته فيها باليهود آذوه وظاهروا عليه وهموا بإلقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجى عيسى منهم ثم سموه في الشاة فلم تزل تلك الأكلة تعاوده حتى قطعت أبهره كما قال عند الموت. وفي «المثنوي»:

چون سفيها نراست اين كار وكيا لازم آمد يقتلون الأنبيا

ومما يؤثر عن سعيد ابن المسيب رحمه الله الدنيا بذلة تميل إلى الإبذال ومن استغنى بالله افتقر إليه الناس وأما لقاؤه ليوسف عليه السلام في السماء الثالثة فإنه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حالة يوسف عليه السلام وذلك أن يوسف ظفر بإخوته بعدما أخرجوه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢] الآية وكذلك نبينا عليه السلام أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من أطلق ومنهم من فداه ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم: «أقول ما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم» ثم لقاؤه لإدريس عليه السلام في السماء الرابعة وهو المكان الذي سماه الله مكاناً علياً وإدريس أول من آتاه الله الخط بالقلم فكان ذلك مؤذناً بحالة رابعة وهو علو شأنه عليه السلام حتى أخاف الملوك وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبي عليه السلام ورأى ما رأى من خوف هرقل كسبحل وزبرج لقد أمر أمر ابن أبي كبشة حين أصبح يخافه ملك ابن أبي الأصفر وكتب عليه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي بالتخفيف وملك عمان ومنهم من هادنه وأهدى إليه وأتحفه كهرقل والمقوقس سلطان مصر ومنهم من تعصى عليه فأظفره الله به فهذا مقام علي وخط بالقلم جلي نحو ما أوتي إدريس ولقاؤه في السماء السادسة لموسى عليه السلام يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بغزوة الشام وظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها وأدخل بني إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم وكذلك غزا رسول الله عليه السلام تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دومة الجندل حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيراً وافتتح مكة وأدخل أصحابه البلد الذي خرجوا منه ثم لقاؤه في السماء السابعة لإبراهيم عليه السلام لحكمتين إحداهما أنه رآه عند البيت المعمور مسنداً ظهره إليه والبيت المعمور حيال الكعبة أي: بإزائها ومقابلتها وإليه تحج الملائكة كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة وأذن في الناس بالحج إليها والحكمة الثانية أن آخر أحوال النبي عليه السلام حجه إلى البيت الحرام وحج معه ذلك العام نحو من سبعين ألفاً من المسلمين ورؤية إبراهيم عليه السلام عند أهل التأويل تؤذن بالحج لأنه الداعي إليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة.

قال الإمام: إن هذه الآية تدل على أن محمداً عليه السلام لم ير الله ليلة المعراج وإنما رأى آيات الله وفيه خلاف ووجه الدلالة أنه ختم قصة المعراج هٰهنا برؤية الآيات وقال في موضع آخر: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] إلى أن قال: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١] ولو كان رآه لكان ذلك أعظم ما يمكن من الكرامة فكان حقه أن يختم به قصة المعراج انتهى.

يقول الفقير: رؤية الآيات مشتملة على رؤية الله تعالى كما قال الشيخ الكبير رضي الله عنه في الفكوك إنما تتعذر الرؤية والإدراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والإضافات فأما في المظاهر ومن وراء حجابية المراتب فالإدراك ممكن كما قيل:

كالشمس تمنعك اجتلاءك وجهها فإذا اكتست برقيق غيم أمكنا

انتهى.

وأما اشتمال إراءة الآيات على إراءة الله تعالى فلما كانت تلك الآيات الملكوتية فوق الآيات الملكية أشهده تعالى في تلك المشاهد ليكمل له الرؤية في جميع المراتب والمشاهد ومن المحال أن يدعو كريم كريماً إلى داره ويضيف حبيب حبيباً في قصره ثم يتستر عنه ولا يريه وجهه.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن لله تعالى آيات كبرى وصغرى أما الآيات الكبرى فهي الصفات القديمة الأزلية المسماة عند القوم بالأئمة السبعة كالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والآيات الصغرى هي الأسماء الإلهية التي قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وإنما سميت الأولى بالكبرى والثانية بالصغرى لأن الصفات مصادر الأسماء مراجعها كما أن الحي يرجع في الوجود إلى الحياة والعليم إلى العلم والقادر إلى القدرة ولأن الأسماء مظاهر الصفات كما أن الحي يرجع في الوجود إلى الأفعال والأفعال مظاهر الأسماء والآثار مظاهر الأفعال وأما التخصيص بالكبرى دون الصغرى وإن كانت من آيات الله كما قال تعالى ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] لأن شهود الآيات الكبرى يستلزم شهود الآيات الصغرى لأن الله تعالى إذا تجلى لعبده بصفة الحياة والعلم والقدرة لا بد للعبد أن يصير حياً بحياته عليماً بعلمه قديراً بقدرته تلخيص المعنى أن النبي ﷺ لما عرج به إلى سماء الجمعية الوحدانية وأدرج في نور الفردانية تجلى الحق سبحانه أولاً بصورة هذه الصفات الكبرى التي هي مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو بحيث صارت حياته مادة حياة العالم كله علوية وسفلية روحانية وجسمانية معدنية ونباتية وحيوانية وإنسانية كما قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال: لولاك لما خلقت الأفلاك وقال عليه السلام: «أنا من الله والمؤمنون مني» وكذا صار علمه محيطاً بجميع المعلومات الغيبية الملكوتية كما جاء في حديث اختصام الملائكة أنه قال: فوضع كفه على كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت علم الأولين والآخرين وفي رواية علم ما كان وما سيكون وكذا قدرته كسر بها أعناق الجبابرة وضرب بالسيف رقاب الأكاسرة وخرب حيطانهم وحصونهم فما بقين ولا بقوا وببركة هذا التجلي الجمعي الكلي الإحاطي صار آدم بتبعيته وخلافته خليفة العالم كما أخبر في كتابه العزيز ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وأسجد الله الملائكة لتلألؤ نوره الوحداني في وجه آدم هذا تحقيق قوله: **﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾** اللام جواب القسم ومن مزيدة انتهى.

وقال البقلي رحمه الله: أراه سبحانه من آياته العظام ما لا يقوم برؤيتها أحد سواه أي: المصطفى عليه السلام وذلك بأن ألبسه قوة الجبارية الملكوتية كما قال: **﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾** وذلك ببروز أنوار الصفات في الآيات وتلك الآيات لو رآها أحد لاستغرق في رؤيتها فكان من كمال استغراقه في بحر الذات والصفات لم يكبر عليه رؤية الآيات قال ابن

عطاء: رأى الآيات فلم تكبر في عينه لكبر همته وعلو محله ولاتصاله بالكبير المتعال قال جعفر: شاهد من علامات المحبة ما كبر عن الإخبار عنها.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾

﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ هي أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف أصله لوية فأسكنت الياء وحذفت لالتقاء الساكنين فبقيت لوة فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت لاة فهي فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وكانت على صورة آدمي.

قال سعدي المفتي: فإن قلت هذا يختص بقراءة الكسائي فإنه يقف على اللاة بالهاء وأما الباقون فيقفون عليها بالتاء فلا يجوز أن تكون من تلك المادة قلت: لا نسلم ذلك فإنهم إنما يقفون بهاء مراعاة لصورة الكتابة لا غير انتهى والعزى تأنيث الأعز كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها وهو يقول: «يا عزى كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك فخرجت من أصلها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فأخبر رسول الله عليه السلام فقال: تلك لن تعبد أبداً» وفي «القاموس»: العزى صنم أو سمرة عبدتها غطفان أول من اتخذها ظالم بن أسعد فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال بنى عليها بيتاً وسماه بساً وكانوا يسمعون فيها الصوت فبعث إليها رسول الله خالد بن الوليد فهدم البيت وأحرق السمرة انتهى ومناة صخرة لهذيل وخزاعة سميت مناة لأن دماء المناسك تمنى عندها أي: تراق ومنه منى وفي «إنسان العيون» مناة صنم كان للأوس والخزرج أرسل رسول الله عليه السلام سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه في عشرين فارساً إلى مناة ليهدم محلها فلما وصلوا إلى ذلك الصنم قال السادن لسعد؟ ما تريد؟ قال: هدم مناة قال: أنت وذاك فأقبل سعد إلى ذلك الصنم فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل تضرب صدرها فقال لها السادن: مناة دونك بعض عصاتك فضربها سعد فقتلها وهدم محلها انتهى. ووصف مناة بالثالثة تأكيداً لأنها لما عطفت عليهما علم أنها ثالثتهما والأخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار أي: مناة الحقيرة الذليلة لأن الأخرى تستعمل في الضعفاء كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٨] أي: ضعفاؤهم لرؤسائهم قال ابن الشيخ: الأخرى تأنيث الآخر بفتح الخاء وهو في الأصل من التأخر في الوجود نقل في الاستعمال إلى المغايرة مع الاشتراك مع موصوفه فيما أثبت له ولا يصح حمل الأخرى في الآية على هذا المعنى العرفي إذ لا مشاركة لمناة في كونها مناة ثالثة حتى توصف بالأخرى احترازاً عنها فلذلك حمل على المعنى المذكور انتهى وقد جوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى فتكون مناة من التأخر الرتبي يعني أن العزى شجرة وهي لكونها من أقسام النبات أشرف من مناة التي هي صخرة وجماد فهي متأخرة عنها رتبة ويقال إن المشركين أرادوا أن يجعلوا لآلهتهم من الأسماء الحسنى فأرادوا أن يسموا واحداً منها الله فجرى على ألسنتهم اللات وأرادوا أن يسموا واحداً منها العزيز فجرى على ألسنتهم العزى وأرادوا أن يسموا واحداً منها المنان فجرى على ألسنتهم المناة.

وقال الراغب: أصل اللات اللاه فحذفوا منها الهاء وأدخلوا التاء فيه فأنثوه تنبيهاً على

قصوره عن الله وجعلوه مختصاً بما يتقرب به إلى الله في زعمهم وقال السهيلي: أصل هذا الاسم أي: اللات لرجل كان يلت السويق للحجاج بسمن وأقط إذا قدموا وكانت العرب تعظم ذلك الرجل بإطعامه في كل موسم فلما مات اتخذ مقعده الذي كان يلت فيه السويق منسكاً ثم سنح الأمر بهم إلا أن عبدوا تلك الصخرة التي كان يقعد عليها ومثلوها صنماً وسموها اللات أعني ملت السويق ذكر ذلك كثير ممن ألف في الاخبار والتفسير انتهى وهذا على قراءة من يشدد اللات أي: التاء منه وقد قرأ به أي: بالتشديد ابن عباس وعكرمة وجماعة كما في «القاموس» ثم إنهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون: إن الملائكة وتلك الأصنام بنات الله فقيل لهم توبيخاً وتبكيتاً: أفرأيتم والهمزة للإنكار والفاء لتوجيهه إلى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وأحكام قدرته ونفاذ أمره في الملأ الأعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الأصنام مع غاية حقارتها بنات له تعالى قال بعضهم: كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله وهذه الأصنام استوطنها جنيات هي بناته تعالى أو هذه الأصنام هياكل الملائكة التي هن بناته تعالى.

وفي «التأويلات النجمية» يخاطب عبدة الأصنام صنم لات النفس وصنم عزى الهوى ومناة الدنيا الدنية الخسيسة الحقيرة الواقعة في أدنى المراتب لخسة وضعها ودناءة قدرها ويستفهم منهم إنكاراً لهم ورداً عليهم أخبروني عن حال آلهتكم التي اتخذتموها معبودات وتمكنتم على عبوديتها هل وجدتم فيها صفة من صفات الإلهية من الإيجاد والإعدام والنفع والضر وأمثالها لا والله بل اتخذتموها آلهة لغاية ظلوميتكم على أنفسكم ونهاية جهوليتكم بالإله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد.

قال المغربي رحمه الله:

بود وجود مغربي لات ومنات أوبود نيست بتى چو بود او درهمه سو منات تو

﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ توبيخ مبني على التوبيخ الأول والمعنى بالفارسية آيا شمارا فرزندان نرباشند ومرخدايرا ماده.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿تلك﴾ إشارة إلى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية ﴿إذاً﴾ آنهنكام كه چنين باشد ﴿قسمة ضيزى﴾ أي: جائرة معوجة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور يعني أن أصله ضيزى بضم الضاد من ضاز في الحكم يضيز ضيزاً أي: جار وضازه حقه يضيزه أي: بخسه ونقصه لكن كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في البيض فإن أصله بيض بضم الباء لأنه جمع أبيض كحمر في جمع أحمر وذلك لأن فعلى بالكسر لم يأت في الوصف وفيه إشارة إلى استنكار شركهم وتخصيصهم الشرك ببعض الظاهر دون بعض يعني أتخصصون ذكر الروح لكم وإن كان ميتاً باستيلاء ظلمة نفوسكم الظلمانية عليه وتجعلون أنثى

النفس في عبوديتها واتباع مراداتها وانقياد أوامرها ونواهيها شركاً له تعالى الله عما يقول الظالمون الذين وضعوا الجور موضع العدل وبالعكس ما هذا إلا قسمة الجور والجائر لا قسمة العدل والعادل.

﴿إن هي﴾ الضمير للأصنام أي: ما الأصنام باعتبار الألوهية التي تدعونها أي: باعتبار إطلاق اسم الإله ﴿إلا أسماء﴾ أي: أسماء محضة ليس تحتها مسميات أي: ما تنبىء هي عنه من معنى الألوهية شيء ما أصلاً كما إذا أردت أن تحقر من هو ملقب بما يشعر بالمدح وفخامة الشان تقول ما هو إلا اسم. قال المولى الجامي:

مرد جاهل جاه كيتى را لقب دولت نهد همچنان آماس بيند طفل كويد فربهست

وقال في ذم أبناء الزمان:

شكل ايشان شكل إنسان فعل شان فعل سباع هم ذئاب في ثياب أو ثياب في ذئاب

ويجوز الحمل على الادعاء ﴿سميتموها﴾ صفة لأسماء وضميرها لها لا للأصنام والمعنى جعلتموها أسماء لا جعلتم لها أسماء فإن التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فإذا قيست إلى الاسم فمعناها جعله اسماً للمسمى وإذا قيست إلى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وإنما اختير هٰهنا المعنى الأول من غير تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الأصنام التي يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعاً كما في قوله تعالى: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ [يوسف: ٤٠] لأن هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية أي: ما هي إلا أسماء خالية من المسميات وضعتموها ﴿أنتم وآباؤكم﴾ بمقتضى أهوائكم الباطلة ﴿ما أنزل الله بها﴾ أي: بصحة تسميتها ﴿من سلطان﴾ برهان تتعلقون به جميع القرآن أنزل بالألف إلا في الأعراف فإنه نزل بالتشديد ﴿إن يتبعون﴾ التفات إلى الغيبة للإيذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الإعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها ﴿إلا الظن﴾ إلا توهم أن ما هم عليه حق توهماً باطلاً ﴿وما تهوى الأنفس﴾ أي: تشتهيه أنفسهم الأمارة بالسوء فما موصولة ويجوز كونها مصدرية والألف واللام بدل الإضافة وهو معطوف على الظن.

وفي «التأويلات النجمية»: يقول ليست هذه الأصنام التي تعبدونها بضلالة نفوسكم الدنية الشهوانية وجهالة عقولكم السخيفة الهيولانية إلا أسماء صور وهمية لا مسميات لها أوجدتها أوهامكم الضعيفة وأدركتها عقولكم المريضة المشوبة بالوهم والخيال التي هي بمرتبة آبائكم ليس لها عند أصحاب الطلب وأرباب الكشف والقرب وجود ولا نمو بل هي خشب مسندة ما جعل الله في تلك الأصنام النفسية والهوائية والدنيوية ولا ركب فيها التصرف في الأشياء في الإيجاد والإعدام والقهر واللطف والنفع والضر والأشياء علويها وسفليها جمادها ونباتها حيوانها وإنسانها كلها مظاهر الأسماء الإلهية ومجالي الصفات الربانية الجمالية والجلالية أي: اللطيفة والقهرية تجلى الحق في الكل بحسب الكل لا بحسبه إلا الإنسان الكامل فإنه تجلى فيه بحسب الكلية المجموعية وصار خليفة الله في الأرض وأنتم أيها الجهلة الظلمة ما تتبعون تلك الصفات الإلهية وما تشهدون في الأشياء تلك الحقائق الروحانية والأسرار الربانية المودعة في كل حجر ومدر بل أعرضتم باتباع الشهوات الحيوانية وملازمة الجسمانية الظلمانية عن إدراك تلك اللطائف الروحانية وشهود تلك العواطف الرحمانية واتبعتم مظنونات ظنكم الفاسد وموهومات وهمكم الكاسد وآثرتم هوى النفس المشؤومة على رضى الحق وذلك هو الخسران المبين وإن

الظن لا يغني من الحق شيئاً انتهى.

وقال الجنيد قدس سره: رأيت سبعين عارفاً قد هلكوا بالتوهم أي: توهموا أنهم عرفوه تعالى فالكل معزولون عن إدراك حقيقة الحق وما أدركوه فهو اقدارهم وجل قدر الحق عن إدراكهم قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] ولذلك اجترأ الواسطي رحمه الله في حق سلطان العارفين أبي يزيد البسطامي قدس سره بقوله: كلهم ماتوا على التوهم حتى أبو يزيد مات على التوهم وقال البقلي: يا عاقل احذر مما يغوي أهل الغرة بالله من الأشكال والمخاييل التي تبدو في غواشي أدمغتهم وهم يحسبون أنها مكاشفات الغيوب ونوادر القلوب ويدعون أنها عالم الملكوت وأنوار الجبروت وما يتبعون إلا أهواء نفوسهم ومخاييل شياطينهم التي تصور عندهم أشكالاً وتمثالاً ويزينون لهم أنها الحق والحق منزه عن الأشكال والتمثال إياك يا صاحبي وصحبة الجاهلين الحمقى الذين يدعون في زماننا مشاهدة الله ومشاهدة الله حق للأولياء وليست بمكشوفة للأعداء **﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾** حال من فاعل يتبعون أو اعتراض وأياً ما كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فإن اتباعهما من أي شخص كان قبيح وممن هداه الله بإرسال الرسول وإنزال الكتاب أقبح فالهدى القرآن والرسول ولم يهتدوا بهما وفيه إشارة إلى إفساد استعدادهم الفطري الغير المجعول بواسطة تلبسهم بملابس الصفات الحيوانية العنصرية وانهماكهم في الغواشي الظلمانية الطبيعية فإنهم مع أن جاءهم من ربهم أسباب الهدى وموجباته وهو النبي عليه السلام والقرآن وسائر المعجزات الظاهرة والخوارق الباهرة الدالة على صدق نبوته وصحة رسالته اشتغلوا بمتابعة النفس وموافقة الهوى وأعرضوا عن التوجه إلى الولي والمولى وذلك لأن هداهم ما جاءهم إلا في يوم الدنيا لا في يوم الأزل ومن لم يجعل الله له نوراً في يوم الأزل فما له من نور إلى يوم الأبد.

واعلم أن الهدى ضد الهوى فلا بد من المتابعة للهدى قال بعض الكبار: ليس لولي كرامة إلا بحكم الإرث لمن ورثه من الأنبياء عليهم السلام ولذلك لم يقدر من هو وارث عيسى عليه السلام أن يمشي في الهواء والماء ومن هو وارث لمحمد عليه السلام له المشي على الهواء والماء لعموم مقامه وفي الحديث: «لو ازداد عيسى يقيناً لمشى في الهواء» أي: بموجب قوة يقينية لا بموجب صدق اتباعي ولا نشك أن عيسى عليه السلام أقوى يقيناً من سائر الأولياء الذين يمشون في الهواء بما لا يتقارب فإنه من أولي العزم من الرسل فعلمنا قطعاً أن مشي الولي منا في الهواء إنما هو بحكم صدق التبعية لا بزيادة اليقين على يقين عيسى عليه السلام وعيسى أصدق في تبعيته لمحمد عليه السلام من جميع الأولياء فله القدرة بذلك على المشي على الهواء وإن ترك ذلك من نفسه وبالجملة فلا يمشي في الهواء إلا من ترك الهوى:

هوى وهوس را نماند ستيز چو بيند سر پنجه عقل تيز

﴿أم للإنسان ما تمنى﴾ أم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان أن ما هم عليه غير مستند إلا إلى توهمهم وهوى نفسهم إلى بيان أن ذلك مما لا يجدي نفعاً أصلاً والهمزة للإنكار والنفي والتمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن رؤية وبناء على أصل لكن لما كان أكثره عن تخمين صار الكذب له أملك فأكثر التمني تصوير ما لا حقيقة له والمعنى ليس للإنسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الأمور التي

من جملتها أطماعهم الفارغة في شفاعة الآلهة ونظائرها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وقال الكاشفي: آياهست مر انسان را يعني كافررا آنچه آرزو برداز شفاعت بتان يا آنكه كويد چرا نبوت بفلان وفلان ندادند. وقيل: أم للإنسان ما اشتهى من طول الحياة وأن لا بعث ولا حشر وفي الآية إشارة إلى أن للإنسان استعداد الكمال وهو الفناء عن أنانيته والبقاء بهوية الله تعالى لكن بسبب اشتغاله باللذات الجسمانية والروحانية يحصل له في بعض الأوقات آفات العلائق الجسمانية وفترات العوائق الروحانية فيحرم من بلوغ مطلوبه ولا يتهيأ له كل ما تمناه إذ كل ميسر لما خلق له فمن خلق مظهر اللطف بيده اليمنى لا يقدر أن يجعل نفسه مظهر القهر ومن خلق مظهر القهر بيده اليسرى لا يمكن أن يجعل نفسه مظهر اللطف:

توان پاك كردن زژنك آينه وليكن نيايد زسنك آينه

وإنما تمنى لما ليس له مخلوقية على صورة من جمع الضدين بقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] أي: هو الأول في عين آخريته والظاهر في عين باطنيته وسئل الخراز قدس سره: بم عرفت الله؟ قال: بالجمع بين الضدين لأن الحقيقة متوحدة والتعين والظهور متعدد وتنافي التعينات لا يقدح في وحدة الهوية المطلقة كما أن تنافي الزوجية والفردية لا يقدح في العدد وتضاد السواد والبياض لا يقدح في اللون المطلق قال الحسين رحمه الله: الاختيار طلب الربوبية والتمني الخروج من العبودية وسبب عقوبة الله عباده ظفرهم بمنيتهم **﴿فلله الآخرة والأولى﴾** تعليل لانتفاء أن يكون للإنسان ما يتمناه حتماً فإن اختصاص أمور الآخرة والأولى جميعاً به تعالى مقتض لانتفاء أن يكون له أمر من الأمور.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى قهرمانية الحق تعالى على العالم كله ملكه وملكوته الأخروي والدنيوي يعني لا يملك الإنسان شيئاً حتى يتمكن من تحصيل ما تتمناه نفسه بل ملك الآخرة تحت تصرف يده اليمنى المقتضية لموجبات حصول الآخرة من الأعمال الصالحة والأفعال الحسنة يهبه بالاسم الواهب لمن يشاء أن يكون مظهر لطفه وجماله وملك الدنيا تحت تصرف يده اليسرى المستدعية لأسباب حصول الدنيا من حب الدنيا الدنية المنتجة للخطيئة ومتابعة النفس الخبيثة وموافقة الطبيعة اللئيمة يجعله باسمه المقسط لمن يشاء أن يكون مظهر صفة قهره وجلاله ولا ذلك يزيد في ملكه ولا هذا ينقص من ملكه وكلتا يدي الرحمن ملأى سحاء **﴿وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً﴾** إقناط لهم مما علقوا به أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لإقناطهم عن شفاعة الأصنام بطريق الأولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع إفراد الملك باعتبار المعنى أي: وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله شيئاً من الإغناء في وقت من الأوقات أي: لا تنفع شيئاً من النفع وهو القليل منه أو شيئاً أي: أحداً وليس المعنى أنهم يشفعون فلا تنفع شفاعتهم بل معناه أنهم لا يشفعون لأنه لا يؤذن لهم كما قال تعالى: **﴿إلا من بعد أن يأذن الله﴾** لهم في الشفاعة **﴿لمن يشاء﴾** أن يشفعون له **﴿ويرضى﴾** ويراه أهلاً للشفاعة من أهل التوحيد والإيمان وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من إذن الله بمعزل من الشفاعة بألف منزل فإذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الأصنام وفي الآية إشارة إلى أن ملك الروح يشفع في حق

النفس الأمارة بالسوء رجاء الانسلاخ عن أوصافها الذميمة والترقي إلى مقام الفناء والبقاء ولكن لا تنفع شفاعته في حقها لعلمه القديم الأزلي بعدم استعدادها للترقي من مقامها اللهم إلا أن تقبل شفاعته في حق نفس رقيق الحجاب مستعد لقبول الفيض الإلهي لصفاء فطرته الأولى وبقاء قابليته الكبرى للترقي في المقامات العلية بالخروج من موافقة الطبع ومخالفة الشرع والدخول في موافقة الشريعة ومخالفة الطبيعة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾.

﴿**إن الذين لا يؤمنون بالآخرة**﴾ وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ﴿**ليسمون الملائكة**﴾ المنزهين عن سمات النقصان على الإطلاق أي: كل يسمون كل واحد منهم ﴿**تسمية الأنثى**﴾ منصوب على أنه صفة مصدر محذوف أي: تسمية مثل تسمية الأنثى فإن قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بأن كلاً منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالأنثى فاللام في الملائكة للتعريف الاستغراقي وفي تعليقها بعدم الإيمان بالآخرة إشعار بأنها في الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجتري عليها إلا من لا يؤمن بها رأساً قال ابن الشيخ فإن قيل كيف يصح أن يقال إنهم لا يؤمنون بالآخرة مع أنهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم أن يربطوا مركوب الميت على قبره ويعتقدون أنه يحشر عليه أجيب بأنهم ما كانوا يجزمون به بل كانوا يقولون: لا نحشر فإن كان فلنا شفعاء بدليل ما حكى الله عنهم ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] وأيضاً ما كانوا يعترفون بالآخرة على وجه الذي ورد به الرسل فهم لا يؤمنون بها على وجهها.

واعلم أن الملائكة ليسوا بذكور ولا إناث وفي الحديث: «جبرائيل أتاني في أول ما أوحي إلى فعلمني الوضوء والصلاة فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه» أي: رش بها فرجه أي: محل الفرج من الإنسان بناء على أنه لا فرج له وكون الملك لا فرج له لو تصور بصورة الإنسان دليل على أنه ليس ذكراً ولا أنثى وفيه نظر لأنه يجوز أن يكون له آلة ليست كآلة الذكر وكآلة الأنثى كما قيل بذلك في الخنثى ويقال لذلك فرج وبعضهم حمل الفرج على ما يقابل الفرج من الإزار.

﴿**وما لهم به من علم**﴾ حال من فاعل يسمون أي: يسمونهم والحال أنه لا علم لهم بما يقولون أصلاً ﴿**إن يتبعون**﴾ أي: ما يتبعون في ذلك ليس بتكرار لأن الأول متصل بعبادتهم اللات والعزى ومناة والثاني بعبادتهم الملائكة ﴿**إلا الظن**﴾ الفاسد ﴿**وإن الظن**﴾ أي: جنس الظن كما يلوح به الإظهار في موقع الإضمار ﴿**لا يغني من الحق شيئاً**﴾ من الإغناء فإن الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك إدراكاً معتبراً إلا بالعلم والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقية وإنما يعتد به في العمليات وما يؤدي إليها كمسائل علم أصول الفقه وفيه ذم للظن ودلالة على عدم إيمان المقلد وقيل: الحق بمعنى العلم أي: لا يقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب أي: إن ظنهم لا ينقذهم من العذاب وحقيقة هذه الآية العزيزة تحريض السالكين والطالبين على السعي والاجتهاد في السير إلى الله بقطع المنازل السفلية وتصحيح المقامات العلوية إلى أن يصلوا إلى عين الجمع ويغرقوا في بحر التوحيد ويشهدوا

الحقائق والمعاني المجردة بنور الوحدة الحقيقة الذاتية الدافعة ظلمة الكثرة النسبية لأسماء الله تعالى ثم إن الافراد يتفاوتون في حضرة الشهود مع كونهم على بساط الحق الذي لا نقص فيه لأنهم إنما يشهدون في حقائقهم ولو شهدوا عين الذات لتساووا في الفضيلة.

قال بعض الكبار: أصحاب الكشف الخيالي غلطهم أكثر من إصابتهم لأن الخيال واسع والذي يظهر فيه يحتمل «التأويلات المختلفة» فلا يقع القطع بما يحصل منه إلا بعلم آخر وراء ذلك وإنما كان الخيال بهذا الحكم لكونه ليست له حقيقة ونفسه بل هو أمر برزخي بين حقيقتين وهما المعاني المجردة والمحسوسات فلهذا يقع الغلط في الخيال لكونه ليست له حقيقة في نفسه وانظر إلى إشارته عليه السلام في الكشف الخيالي وكونه يقبل الإصابة والغلط لما أتاه جبرائيل بصورة عائشة رضي الله عنها في سرقة من حرير وقال له: هذه زوجتك فقال عليه السلام: إن يكن من عند الله يمضه بخلاف ما لو أتاه ذلك بطريق الوحي المعهود المحسوس له أو بطريق المعاني المجردة الموجبة لليقين وللعلم فإنه إذا لا يمكنه الجواب بمثل ذلك الجواب الذي يشعر بالتردد المحتمل الذي يقتضيه حضرة الخيال بحقيقتها:

سيراب كن زبحر يقين جان تشنه را زين بيش خشك لب منشين برسراب ريب

﴿**فأعرض عمن تولى عن ذكرنا**﴾ أي فأعرض يا محمد عن دعوة من أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني ولم يؤمن به وهو القرآن المنطوي على علوم الأولين والآخرين المذكر لأمور الآخرة ولا تتهالك على إسلامه أو عن ذكرنا كما ينبغي فإن ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الأمور المرغوب فيها والمهروب عنها ﴿**ولم يرد إلا الحياة الدنيا**﴾ راضياً بها قاصراً نظره على جمع حطامها وجلب منافعها فالمراد النهي عن دعوته والاعتناء بشأنه فإن من أعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة إلى خلافها إلا عناداً وإصراراً على الباطل والنهي عن الدعوة لا يستلزم نهي الآية بآية القتال بل الإعراض عن الجواب والمناظرة شرط لجواز المقاتلة فكيف يكون منسوخاً بها فالمعنى أعرض عنهم ولا تشتغل بإقامة الدليل والبرهان فإنهم لا ينتفعون به وقاتلهم واقطع دابرهم قال بعضهم: ضيع وقته من اشتغل بموعظة طالبي الدنيا والراغبين فيها لأن أحداً لا يقبل على الدنيا إلا بعد الإعراض عن الله:

باسيه دل چه سود كفتن وعظ نرود ميخ آهنين درسنك

قال ابن الشيخ: اعلم أن النبي عليه السلام كالطبيب للقلوب فأمره الله تعالى في معالجة القلوب بما عليه الأطباء في معالجة المرضى فإن المرض إذا أمكن علاجه بالغذاء لا يستعملون في إزالته الدواء وإذا أمكن إزالته بالدواء الضعيف لا يستعملون الدواء القوي والكي فلذلك أمر عليه السلام بالذكر الذي هو غذاء القلوب حيث قال: قولوا لا إله إلا الله فإن بذكر الله تطمئن القلوب كما أن بالغذاء تطمئن النفوس فانتفع به أبو بكر ومن كان مثله رضي الله عنهم: ومن لم ينتفع بالحمل على الذكر والأمر به ذكر لهم الدليل وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾ [الروم: ٨] قل: انظروا أفلا ينظرون فلما لم ينتفعوا أتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال: أعرض عن المعالجة واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح فقوله: عمن تولى الخ إشارة إلى ما قلنا فإن التولي عن ذكره كناية عن ملزمه الذي هو ترك النظر في دلائل وجوده ووحدته وسائر صفاته وقوله: ولم يرد الخ إشارة

إلى إنكارهم الحشر ومن لم يقل بالحشر والحساب لا يخاف ولا يرجع عما هو عليه ترك النظر في دلائل الله لا يعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه كلامه فلا يبقى في الدعاء فائدة فلم يبق إلا ترك المعالجة والمسارعة إلى المقاتلة انتهى كلامه.

ثم اعلم أن كل ما يبعد البعد عن حضرة سيده فهو من الحياة الدنيا فمن قصد بالزهد والورع والتقى والكشف والكرامات وخوارق العادات قبول الناس والشهرة عندهم وحصول الجاه والمال فهو ممن لم يرد إلا الحياة الدنيا فضاع جميع أحواله وكسد جملة أقواله وأفعاله إذ لا ربح له عند الله ولا ثمرة:

زعمرو اى پسر چشم اجرت مدار چو درخانه زيد باشى بكار

ولا يغترن هذا بحصول بعض الكشوف وإقبال أهل الدنيا عليه فإنه ثمرة عاجلة له وما له في الآخرة من خلاق ألا ترى أن إبليس عبد الله تعالى تسعة آلاف سنة ثم لما كفر وقال: ﴿أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤] أمهله الله تعالى فكانت تلك المهلة ثمرة عاجلة له في حياته الدنيوية.

﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾

﴿ذلك﴾ أي: أمر الدنيا وفي «بحر العلوم» أي: إرادة الدنيا وإيثارها على الآخرة وفي «الإرشاد» أي: ما أداهم إلى ما هم فيه من التولي وقصر الإرادة على الحياة الدنيا **﴿مبلغهم من العلم﴾** لا يكادون يجاوزونه إلى غيره حتى يجديهم الدعوة و«الإرشاد» كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٧] فمبلغ اسم مكان وجمع الضمير في مبلغهم باعتباره معنى من كما أن إفراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الإدراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لقصر همتهم على الدنيا الدنية التي هي أبغض الخلق إلى الله تعالى بشهادة قوله عليه السلام: «إن الله لم يخلق خلقاً هو أبغض إليه من الدنيا وما نظر إليها منذ خلقها بغضاً لها» رواه أبو هريرة رضي الله عنه ومعنى هوان الدنيا على الله سبحانه أنه تعالى لم يجعلها مقصودة لنفسه بل جعلها طريقاً موصلة إلى ما هو المقصود لنفسه ولذلك قال عليه السلام: «الدنيا قنطرة فاعبروها لا تعمروها» فما ورد من إباحة لعن الدنيا فباعتبار ما كان منها مبعداً عن الله تعالى وشاغلاً عنه كما قال بعض أهل الحقيقة: ما ألهاك عن مولاك فهو دنياك ومشؤوم عليك وأما ما يقرب إلى الله ويعين إلى عبادته فممدوح كما قال عليه السلام: «لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر، إن العبد إذا قال: لعن الله الدنيا قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربه» وفي «المثنوي»:

چيست دنيا از خدا غافل بدن نى قماش ونقره وميزان وزن
مال را كزبهر دين باشى حمول نعم مال صالح خواندش رسول
آب در كشتى هلاك كشتى است آب اندر زير كشتى پشتى است
چونكه مال وملك را ازدل برانند زان سليمان خويش جر مسكين نخواند

قال بعض الكبار: من ذم الدنيا فقد عق أمه لأن جميع الأنكاد والشرور التي ينسبها الناس إلى الدنيا ليس هو فعلها وإنما هو فعل أولادها لأن الشر فعل المكلف لا فعل الدنيا فهي مطية

العبد عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فهي تحب أن لا يشقى أحد من أولادها لأنها كثيرة الحنو عليهم وتخاف أن تأخذهم الضرة الأخرى على غير أهبة مع كونها ما ولدتهم ولا تعبت في تربيتهم فمن عقوق أولادها كونهم ينسبون جميع أفعال الخير إلى الآخرة ويقولون: أعمال الآخرة والحال أنهم ما عملوا تلك الأعمال إلا في الدنيا فللدنيا أجر المصيبة التي في أولادها ومن أولادها فما أنصف من ذمها بل هو جاهل بحق أمه ومن كان كذلك فهو بحق الآخرة أجهل انتهى.

واعلم أن الإرادة والنية واحد وهو قصد قلبي ينبعث إلى قلب الإنسان بالبعث الإلهي فهذا البعث الإلهي إن كان بالفجور على ما قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٨] فهو من اسم المضل وقبضة الجلال ويد القهر وسادنه هو الشيطان وإن كان بالتقوى فهو من اسم الهادي وقبضة الجمال ويد اللطف وسادنه هو الملك والأول من عالم العدل والثاني من عالم الفضل ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] ثم إن نية الإنسان لا تخلو إما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو الدنيا فهو سيىء نية وعملاً وإما أن يكون متعلقها في لسانه هو الآخرة وفي جنانه هو الدنيا فهو أسوء نية وعملاً وإما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو الآخرة فهو حسن نية وعملاً وإما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو وجه الله فهو أحسن نية وعملاً فالأول حال الكفار والثاني حال المنافقين والثالث حال الأبرار والرابع حال المقربين وقد أشار الحق سبحانه وتعالى إلى أحوال المقربين عبارة وإلى أحوال غيرهم إشارة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف: ٧] والمقربون قد فروا إلى الله من جميع ما في أرض الوجود ولم يلتفتوا إلى شيء سوى وجهه الكريم ولم يريدوا من المولى غير المولى فكانوا أحسن نية وعملاً هذا صراط مستقيم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين **﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾** تعليل للأمر بالإعراض وتكرير قوله وهو أعلم لزيادة التقرير والإيذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من أصر عليه ولم يرجع إلى الهدى أصلاً وبمن اهتدى من من شأنه الاهتداء في الجملة أي: هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال أبداً وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك في دعوتهم فإنه من القبيل الأول وفيه إشارة إلى النفس الكافرة ويهود صفاتها فإنهم لا يقبلون الدعوة لانتفاء استعدادهم لقبولها فمن كان مظهر القهر في الأزل لا يكون مظهر اللطف في الأبد وبالعكس وفي الحديث القدسي: «خلقت الجنة وخلقت لها أهلاً وخلقت النار وخلقت لها أهلاً فطوبى لمن جعلته أهلاً للجنة وويل لمن جعلته أهلاً للنار».

قال بعض الكبار: النفس لا تفعل الشر إلا لجاجة من القرين واللجاج ممن لا قدرة على منعه ومخالفته بمنزلة الإكراه والمكره غير مؤاخذ بالشرع والعقل ولذا قال عليه السلام: «الخير عادة والشر لجاجة» فهو بشارة عظيمة من العالم بالأمور عليه السلام فإنه أخبر أن النفس خيرة بالذات لأن أباها الروح القدسي الطاهر وما تقبل الشر إلا لجاجة من القرين فلم يجعل عليه السلام الشر من ذاتها **﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾** أي: خلقاً وملكاً لا لغيره أصلاً لا استقلالاً ولا اشتراكاً **﴿ليجزي﴾** الخ متعلق بما دل عليه أعلم الخ وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فإن كون الكل مخلوقاً له تعالى مما يقرر علمه تعالى بأحوالهم ألا يعلم من خلق كأنه

قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزي ﴿الذين أساؤوا﴾ بد كردند ﴿بما عملوا﴾ أي: بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالإساءة بياناً لحاله أو بسبب ما عملوا شبه نتيجة علمه بكل واحد من الفريقين وهي مجازاته على حسب حاله بعلته الغائية فأدخل لام العلة عليها وصح بذلك تعلقها بقوله اعلم:

هين مراقب باش كردل بايدت كزپى هر فعل چيزى زايدت

﴿ويجزي الذين أحسنوا﴾ أي: اهتدوا ﴿بالحسنى﴾ أي: بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة فالحسنى للزيادة المطلقة والباء لتعدية الجزاء أو بسبب أعمالهم الحسنى فالباء للسببية والمقابلة.

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم﴾ صفة للذين أحسنوا أو بدل منه لكن قال سعدي المفتي: لا حسن في جعل الذين الخ مقصوداً بالنسبة وجعل الذين أحسنوا في حكم المتروك ولو كان النظم على العكس لكان لها وجه انتهى.

يقول الفقير: الاجتناب من باب التخلية بالمعجمة وهي أقدم فلذا جعلت مقصودة بالنسبة وصيغة الاستقبال في صلته دون صلة الموصوف أو المبدل منه للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره يعني للإشعار بأن ترك المعصية سواء كانت بارتكاب المحرمات أو بترك الواجبات ينبغي أن يستمر عليه المؤمن ويجعل الاجتناب عنها دأباً له وعادة حتى يستحق المثوبة الحسنى فإن من اجتنب عنها مرة وانهمك عليها في باقي الأزمان لا يستحقها بخلاف الحسنات المتطوع بها فإن من أتى بها ولو مرة يؤجر عليها وكبائر الإثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه كالشرك والزنى مطلقاً خصوصاً بحليلة جاره وقتل النفس مطلقاً لا سيما الأولاد وهي الموؤودة وقال ابن جبير: هي ما لا يستغفر منه لقوله عليه السلام: «لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار» وفي الحديث: «إياكم والمحقرات من الذنوب» قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي إلى سبعين أقرب وتمام التفصيل سبق في حمعسق في نظير الآية ﴿والفواحش﴾ وما فحش من الكبائر خصوصاً الزنى والقتل بغير حق وغيرهما فهو من قبيل التخصيص بعد التعميم قال الراغب: الفحش والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال ﴿إلا اللمم﴾ اللمم مقاربة المعصية ويعبر به عن الصغيرة من قولك ألممت بكذا أي: نزلت به وقاربته من غير مواقعة وألم الغلام قارب البلوغ والاستثناء منقطع لأن المراد باللمم الصغائر وهي لا تدخل في الكبائر والمعنى إلا ما قل وصغر فإنه مغفور ممن يجتنب الكبائر يعني أن الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنب الكبائر قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] وقال: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] وقيل: هي النظر بلا تعمد فإن أعاد النظر فليس بلمم وهو مذنب والغمزة والقبلة كما روي أن نبهان التمار أتته امرأة لتشتري التمر فقال لها: ادخلي الحانوت فعانقها وقبلها فقالت المرأة: خنت أخاك ولم تصب حاجتك فندم وذهب إلى رسول الله عليه السلام فنزلت وقيل: هي الخطرة من الذنب أي: ما خطره من الذنب على القلب بلا عزم. وازقوت بفعل نيايد. وقيل: كل ذنب لم يذكر الله عليه حداً ولا

عذاباً وقال بعضهم: اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين ولا يكون له عادة ولا إقامة عليه قال محمد ابن الحنفية: كل ما هممت به من خير وشر فهو لمم دليله قوله عليه السلام: «إن للشيطان وللملك لمة فلمة الشيطان الوسوسة ولمة الملك الإلهام» وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه إلا أن يلمم بالفاحشة مرة ثم يتوب ولم يثبت عليها فإن الله يقبل توبته ويؤيده قوله عليه السلام: «أن تغفر اللهم فاغفر جما وأي عبد لك لا ألماً» فالاستثناء على هذا متصل وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما نقله أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله عليه السلام: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى فزنى العينين النظر وزنى الشفتين القبلة وزنى اليدين البطش وزنى الرجلين المشي والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه فإن تقدم فرجه كان زانياً وإلا فهو اللمم» وفي «الأسئلة المقحمة» الذنوب كلها كبائر على الحقيقة لأن الكل تتضمن مخالفة أمر الله تعالى لكن بعضها أكبر من بعض عند الإضافة ولا كبيرة أعظم من الشرك وأما اللمم فهو من جملة الكبائر والفواحش أيضاً إلا أن الله تعالى أراد باللمم الفاحشة التي يتوب عنها مرتكبها ومجترحها وهو قول مجاهد والحسن وجماعة من الصحابة منهم أبو هريرة رضي الله عنه ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على أن إخراجه من حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية.

وفي «التأويلات النجمية»: كبائر الإثم ثلاث مراتب: محبة النفس الأمارة بالسوء ومحبة الهوى النافخ في نيران النفس ومحبة الدنيا التي هي رأس كل خطيئة ولكل واحدة من هذه المحبات الثلاث فاحشة لازمة غير منفكة عنها أما فاحشة محبة النفس الأمارة بالسوء فموافقة الطبيعة ومخالفة الشريعة وأما فاحشة محبة الهوى فحب الدنيا وشهواتها وأما فاحشة محبة الدنيا فالإعراض عن الله والإقبال على ما سواه قوله: ﴿إلا اللمم﴾ أي: الميل اليسير إلى النفس والهوى والدنيا بحسب الضرورة البشرية من استراحة البدن ونيل قليل من حظوظ الدنيا بحسب الحقوق لا بحسب الحظوظ فإن مباشر الحقوق مغفور ومبادر الحظوظ مغرور كما قال: إن ربك واسع المغفرة ومن سعة غفرانه ستر ظلمة الوجود المجازي بنور الوجود الحقيقي بالفناء عن ناسوتيته والبقاء بلا هويته انتهى.

قال بعض الكبار: من استرقه الكون بحكم مشروع كالسعي في مصالح العباد والشكر لأحد من المخلوقين من جهة نعمة أسداها إليه فهو لم يبرح عن عبوديته لله تعالى لأنه في أداء واجب أوجبه الحق عليه وأما تعبد العبد فمخلوق عن أمر الله لا يقدح في العبودية بخلاف من استرقه الكون لغرض نفسي ليس للحق فيه رائحة أمر فإن ذلك يقدح في عبوديته لله تعالى ويجب عليه الرجوع إلى الحق تعالى وقال بعض العارفين: من المحال أن يأتي مؤمن معصية توعد الله عليها بالعقوبة فيفزع منها إلا ويجد في نفسه الندم على وقوعها منه وقد قال ﷺ: «الندم توبة» وقد قام بهذا المؤمن الندم فهو تائب بلا شك فسقط حكم الوعيد لهذا الندم فإنه لا بد للمؤمن أن يكره المخالفة ولا يرضى بها فهو من كونه كارهاً لها ومؤمناً بأنها معصية ذو عمل صالح وهو من كونه فاعلاً لها ذو عمل سيىء فهو من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وقد قال تعالى فيهم: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢] يعني ليتوبوا والله غفور رحيم انتهى فعلى العاقل أن يندم على المعاصي الواقعة منه ولا يغتر بالرب الكريم وإن كان الله واسع المغفرة فإنه

تعالى أيضاً شديد البطش والأخذ نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ﴿هو﴾ تعالى ﴿أعلم﴾ منكم ﴿بكم﴾ أي: بأحوالكم يعلمها ﴿إذ أنشأكم﴾ أي: خلقكم في ضمن إنشاء أبيكم آدم عليه السلام ﴿من الأرض﴾ إنشاء إجمالياً ﴿وإذ أنتم أجنة﴾ ووقت كونكم أجنة ﴿في بطون أمهاتكم﴾على أطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسطة لأصابكم وباله وضروره والأجنة جمع جنين مثل أسرة وسرير والجنين الولد ما دام في البطن وهو فعيل بمعنى مفعول أي: مدفون مستتر والجنين الدفين في الشيء المستتر فيه من جنه إذا ستره وإذا خرج من بطن أمه لا يسمى إلا ولداً أو سقطاً وفي «الأشباه» هو جنين ما دام في بطن أمه فإذا انفصل ذكراً فصبي ويسمى رجلاً كما في آية الميراث إلى البلوغ فغلام إلى تسعة عشر فشاب إلى أربعة وثلاثين فكهل إلى أحد وخمسين فشيخ إلى آخر عمره هذا في اللغة وفي الشرع يسمى غلاماً إلى البلوغ وبعده شاباً وفتى إلى ثلاثين فكهل إلى خمسين فشيخ وتمامه في أيمان «البزازية» فإن قيل الجنين إذا كان اسماً له ما دام في البطن فما فائدة قوله تعالى ﴿في بطون أمهاتكم﴾ قلنا فائدته المبالغة في بيان كمال علمه وقدرته فإن بطون الأمهات في غاية الظلمة ومن علم حال الجنين فيها لا يخفى عليه شيء من أحواله ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ الفاء لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من أن عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم أي: إذا كان الأمر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة من المعصية بالكلية أو بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته وبالفارسية پس ستايش مكنيد نفسهاى خودرا به بى كناهى وبسيارى خير وخوبى اوصاف. وقال الحسن رحمه الله: علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة فلا تزكوا أنفسكم ولا تطهروها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الأعمال لأن كل واحد من التخلية والتحلية إنما يعتد به إذا كان خالصاً لله تعالى وإذا كان هو أعلم بأحوالكم منكم فأي حاجة إلى التزكية:

همان به كر آبستن كوهرى	كه همچون صدف سر بخود در برى
اكر مسك خالص ندارى مكوى	وكرهست خود فاش كردد ببوى
منه آب زر جان من برپشيز	كه صراف دانا نكيرد بچيز

وأما من زكاه الغير ومدحه فقد ورد فيه: احثوا في وجه المداحين أي: الذين يمدحون بما ليس في الممدوح التراب على حقيقته أو هو مجاز عن ردهم عن المدح لئلا يغتر الممدوح فيتجبر وقيل: المراد به أن لا يعطوهم شيئاً لمدحهم أو معناه الأمر بدفع المال إليهم لينقطع لسانهم ولا يشتغلوا بالهجو وفيه إشارة إلى أن المال حقير في الواقع كالتراب قال ابو الليث في تفسيره: المدح على ثلاثة أوجه: الأول أن يمدحه في وجهه فهو الذي نهى عنه والثاني أن يمدحه بغير حضرة ويعلم أنه يبلغه فهذا أيضاً ينهى عنه ومدح يمدحه في حال غيبته وهو لا يبالي بلغه أو لم يبلغه ومدح يمدحه بما هو فيه فلا بأس بهذا انتهى. وفي «المثنوي»:

خلق ما در صورت خود كرد حق	وصف ما از وصف او كيرد سبق
چونكه آن خلاق شكر وحمد جوست	آدمي را مدح جويى نيز خوست
خاصه مرد حق كه در فضلست چست	پرشود زان باد چون خيك درست
ورنه باشد اهل زان باد دروغ	خيك بدريدست كى كيرد فروغ

وأما المدح بعد الموت فلا بأس به إذا لم يجاوز الحد كالروافض في مدح أهل البيت ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ المعاصي جميعاً وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بأن فيهم من يتقيها بأسرها وقيل: كان ناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا إذا كان بطريق الإعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ما عمله من الأعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم فإن المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر.

وفي «التأويلات النجمية» يشير به إلى أن علم الإنسان بنفسه علم إجمالي وعلمه تعالى به تفصيلي والعلم التفصيلي أكمل وأشمل من العلم الإجمالي وأيضاً علم الإنسان بنفسه علم مقيد بقواه البشرية وهو متناه بحسب تناهي قواه البشرية وعلمه تعالى به علم مطلق إذ علمه عين ذاته في مقام الواحدية غير ذاته في مقام الواحدية والعلم المطلق أحوط وأجمع من العلم المقيد وأيضاً الإنسان مخلوق على صورة الله كما قال عليه السلام: «إن الله خلق آدم على صورته» وفي رواية أخرى على صورة الرحمن والله تعالى عالم بصورته المنزهة عن الشكل المقدسة عن الهيئة والإنسان غير عالم بها على كيفية علم الله إذ لا يعلم الله إلا الله كما قال ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] اللهم إلا أن يفنى عن علمه المقيد ويبقى بعلمه المطلق هذا هو تحقيق أعلمية الحق تعالى وقوله ﴿وهو أعلم بمن اتقى﴾ أي: بمن اتقى بالله عما سواه بحيث جعل الله تعالى وقاية نفسه لينسب كل ما يصدر عنه من العلم والعمل إليه فإنه هو المؤثر في الوجود ومنه كل فيض وفضل وخير وجود.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾

﴿أفرأيت الذي تولى﴾ أي: أعرض عن اتباع الحق والثبات عليه وبالفارسية آيا ديدى آن كسى راكه از پيرىء حق روى بكردانيد ﴿وأعطى قليلا﴾ أي: شيئاً قليلاً من ماله وأعطاه قليلاً وبالفارسية وبداداندكى ازمال خود براى رشوت تحمل عذاب ازو ﴿وأكدى﴾ أي: قطع عطيته وأمسك بخلاً من قولهم أكدى الحافر أي: حافر البئر إذا بلغ الكدية أي: الصلابة كالصخرة فلا يمكنه أن يحفر ثم استعمل في كل من طلب شيئاً فلم يصل إليه ولم يتممه ولم يبلغ آخره وفي «القاموس» أكدى بخل أو قل خيره أو قلل عطاءه وفي «تاج المصادر» قوله تعالى: ﴿وأكدى﴾ أي: قطع القليل قالوا: نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه السلام يعني دربى حضرت رسالت ميرفت واستماع كلام وى ميكند در مجلس او. وطمع النبي عليه السلام في إسلامه فعيره بعض المشركين وعاتبه وقال له: تركت دين الأشياخ وضللتهم فقال: أخشى عذاب الله فضمن أن يتحمل عنه العذاب وكل شيء يخافه في الآخرة إن أعطاه بعض ماله فارتد وتولى عن الوعظ واستماع الكلام النبوي وأعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي فالذم آيل إلى سبب القطع وهو البخل فلا يتوهم أن الآية مسوقة لذم فعل المتولي وقطع العطاء عن المتحمل المذكور ليس بمذموم. وقال الكاشفي: واكدى وبازداشت باقى را پس جهل وبخل بايكديكر جمع كرد.

يقول الفقير: الظاهر أن الآية مسوقة لذم التولي وسوء الاعتقاد في نفع التحمل يوم القيامة

كما دلت عليه الآية الآتية وقوله: ﴿وأعطى قليلاً وأكدى﴾ مجرد بيان الحال المتولي والمعطي فيما جرى بينه وبين المتحمل لا ذم لبخله في ذلك لكن لا يخلو عن التهكم حيث إنه بخل فيما اعتقد نفعه وقال مقاتل: أنفق الوليد على أصحاب محمد عليه السلام نفقة قليلة ثم انتهى عن ذلك انتهى ولا يخفى أنه ليس لهذا المعنى ارتباط بما بعد من الآيات وفيه إشارة إلى السالك المنقطع في أثناء السلوك الراجع من السير إلى الله إلى نفسه البشرية واستيفاء لذاتها الحيوانية بسبب سآمته المشؤومة من المجاهدات البدنية والرياضات النفسانية بعد أن صرف في طريق السير والسلوك فلساً من رأس مال عمره ثم بخل به وقطعه عن الصرف في طريق السعي والاجتهاد في الله وصرف بقية رأس مال عمره في تحصيل لذات النفس الحيوانية البشرية واستيفاء شهواتها وحب الدنيا الدنية الخسيسة وهذا كله لعدم استعداده للوصول والوصال نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن النكرة بعد المعرفة:

اندرين ره مى تراش ومى خراش تادم آخر دمى فارغ مباشى

﴿أعنده﴾ آيا نزديك اوست ﴿علم الغيب فهو يرى﴾ الفاء للسببية والرؤية قلبية أي: أعنده علم بالأمور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة فهو يعلم أن صاحبه يتحمل عنه قال ابن الشيخ: أرأيت بمعنى أخبرت وأعنده علم الغيب مفعوله الثاني أي: أخبرت أن هذا المعطي المكدي هل عنده علم ما غاب عنه من أحوال الآخرة فهو يعلم أن صاحبه يتحمل أوزاره على أن قوله يرى بمعنى يعلم حذف مفعولاه لدلالة المقام عليهما.

﴿أم﴾ أهو جاهل ﴿لم ينبأ﴾ لم يخبر ﴿بما في صحف موسى﴾ أي: أسفار التوراة قال الراغب: الصحيفة المبسوطة من كل شيء كصحيفة الوجه والصحيفة التي كان يكتب فيها وجمعها صحائف وصحف والمصحف ما جعل جامعاً للصحف المكتوبة وقال القهستاني: المصحف مثلث الميم ما جمع فيه قرآن والصحف.

﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ عطف على موسى أي: وبما في صحف ابراهيم الذي وفى أي: وفر وأتم ما ابتلي به من الكلمات كما مر في سورة البقرة أو أمر به من غير إخلال وإهمال يقال: أوفاه حقه ووفاه بمعنى أي: أعطاه تاماً وافياً ويجوز أن يكون التشديد فيه للتكثير والمبالغة في الوفاء بما عاهد الله أي: بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمل غيره كالصبر على نار نمرود حتى أنه أتاه جبريل حين ألقي في النار فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا وعلى ذبح الولد وعلى الهجرة وعلى ترك أهله وولده في واد غير ذي زرع ويروى أنه كان يمشي كل يوم فرسخاً يرتاد ضيفاً فإن وجده أكرمه وإلا نوى الصوم ونعم ما قيل وفى ببذل نفسه للنيران وقلبه للرحمن وولده للقربان وماله للإخوان وعن النبي عليه السلام وفى عمل كل يوم بأربع ركعات وهي صلاة الضحى وفي الحديث القدسي: ابن آدم اركع إلي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره وروي ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول: «إذا أصبح وأمسى ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الروم: ١٧] حتى يختم الآيتين ذكره أحمد في مسنده الآيات الثلاث في «عين المعاني» وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله كم من كتاب أنزل الله؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب أنزل الله على آدم عشر صحائف وعلى شيت خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف وأنزل الله التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قلت: يا رسول الله ما

كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالاً منها أيها الملك المبتلى المغرور إني لم أبعثك فتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ولكن بعثتك كيلا ترد دعوة المظلوم فإني لا أردها» وإن كانت من كافر وكان فيها أمثال منها وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه ويفكر في صنع الله وساعة يحاسب نفسه فيما قدم وأخر وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه ويأتي ما نقل من صحف موسى في آخر سورة سبح اسم ربك الأعلى كذا في «فتح الرحمن» وتقديم موسى لما أن صحفه التي هي التوراة أشهر عندهم وأكثر.

يقول الفقير: وأيضاً هو من باب الترقي من الأقرب إلى الأبعد لكون الأقرب أعرف وأيضاً أن موسى صاحب كتاب حقيقة بخلاف إبراهيم.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾

﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أصله أن لا تزر على أن أن هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على أنها بدل مما في صحف موسى أو الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما في صحفهما فقيل: هو أنه أي: الشأن لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى من حيث تتعرى منه المحمول عنها ولا يؤاخذ أحد بذنب غيره ليتخلص الثاني من عقابه فالمراد بالوازرة هي التي يتوقع منها الوزر والحمل لا التي وزرت وحملت ثقلاً وإلا فكان المقام أن يقال لا تحمل فارغة وزر أخرى إذ لا تحمل مثقلة بوزرها غير الذي عليها وفي هذا إبطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة أن يحمل عنه الإثم ولا يقدح في ذلك قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] إذ ليس المعنى أن عليه إثم مباشرة سائر القاتلين بل المعنى أن عليه فوق إثم مباشرته للقتل المحظور إثم دلالته وسببيته لقتل هؤلاء وهما ليستا إلا من أوزاره فهو لا يحمل إلا وزر نفسه وكذا قوله عليه السلام: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» فإن ذلك وزر الإضلال الذي هو وزره.

﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ أن مخففة من الثقيلة كأختها معطوفة عليها وللإنسان خبر ليس وإلا ما سعى اسمها مصدرية ويجوز أن تكون موصولة والسعي المشي الذريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الأمر خيراً كان أو شراً والمعنى وأنه أي: الشأن ليس للإنسان في الآخرة إلا سعيه في الدنيا من العمل والنية أي: كما لا يؤاخذ أحد بذنب الغير لا يثاب بفعله فهو بيان لعدم انتفاع الإنسان بعمل غيره من حيث جلب النفع أثر بيان عدم انتفاعه من حيث دفع الضرر عنه وظاهر الآية يدل على أنه لا ينفع أحداً عمل أحد واختلفوا في تأويلها فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عدم إثابة الإنسان بسعي غيره وفعله وهذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] فيدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء ويجعل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان أبيه ويشفع الله الآباء في الأبناء والأبناء في الآباء يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١] قال

عكرمة: كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى وأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي أن امرأة رفعت صبياً لها من محفة وقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: نعم ولك أجر وقال رجل للنبي عليه السلام: «إن أمي افتلتت نفسها أي: ماتت فجأة فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم» وقال الربيع بن أنس ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾ يعني الكافر وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره وكثير من الأحاديث يدل على هذا القول ويشهد له أن المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره.

ـ روي ـ أن عائشة رضي الله عنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن رضي الله عنه بعد موته وأعتقت عنه وقال سعد للنبي عليه السلام: «إن أمي توفيت أفأتصدق عنها: قال: نعم قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: سقي الماء فحفر بئراً وجعلها في سبيل الله» وقال القرطبي في تذكرته: ويحتمل أن يكون قوله ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾ خالصاً في السيئة بدليل قوله عليه السلام: قال الله: «إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها عشراً إلى سبعمائة ضعف وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبتها سيئة واحدة» والقرآن دال على هذا قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وهذا ونحوه تفضل من الله وطريق العدل ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾ إلا أن الله يتفضل عليه بما لم يجب له كما أن زيادة الأضعاف فضل منه كتب لهم بالحسنة الواحدة عشراً إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف حسنة وقد تفضل الله على الأطفال بإدخالهم الجنة بغير عمل والحاصل ما كان من السعي فمن طريق العدل والمجازاة وما كان من غير السعي فمن طريق الفضل والتضعيف فكرامة الله تعالى أوسع وأعظم من ذلك فإنه يضاعف الحسنات ويتجاوز عن السيئات فمرتبة النفس والطبيعة وكذا الشريعة والطريقة من الطريق الأولى ومرتبة الروح والسر وكذا المعرفة والحقيقة من الطريقة الثانية قال في: «الأسئلة المقحمة» أشارت الآية إلى أصل النجاة المعهودة في حكم الشريعة فإن النجاة الأصلية الموعودة في الكتاب والسنة بالعمل الصالح وهي النجاة بشرط المجازاة والمكافأة فأما التي هي من غير طريق المجازاة والمكافأة فهي بطريق تفضل الله وبطوله وعميم رحمته وكريم لطفه وقد فسرها رسول الله عليه السلام حيث قال: «ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي أترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للخطائين الملوثين» وبيان الكتاب إلى الرسول عليه السلام وسمعت الإمام أبا بكر الفارسي بسمرقند يقول: سمعت الأستاذ أبا إسحاق الإسفرائيني يقول: إن عبد الله بن طاهر أمير خراسان قال للحسن بن الفضل البجلي: أشكلت علي ثلاث آيات: أريد أن تكشف عني وتشفي العليل أولاها قوله تعالى في قصة ابن آدم ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١] وصح الخبر بأن الندم توبة ولم يكن هذا الندم توبة في حق قابيل وثانيتها قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] وصح الخبر بأن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة وثالثتها قوله تعالى: ﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠] فأجابه وقال: أما الآية الأولى فالندم لم يكن توبة في شريعة من الشرائع وإنما صار توبة في شريعة محمد عليه السلام تخصيصاً له على أن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل وإنما كان على حمله حين حمله على عاتقه أياماً فلم يعلم ماذا يعمل به لأنه كان أول قتل حتى بعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه وأما الآية الثانية فإن الشأن المذكور فيها ما هو التقدير بطريق الابتداء وإنما هو سوق المقادير إلى المواقيت وأما الآية الثالثة فهو أنه ليس للإنسان إلا ما سعى من

طريق العدل والمجازاة وله أن يجزيه بواحدة عشراً وأضعافاً مضاعفة بطريق الفضل والطول لا على سبيل العدل والجزاء فقام عبد الله بن طاهر وقبل رأسه وسوغ خراجه وكان خمسين ألف درهم وقد ذكر الخرائطي في «كتاب الثبور» قال سنة في الأنصار إذا حملوا الميت أن يقرؤوا معه سورة البقرة.

يقول الفقير: فيه دليل على سنية الذكر عند حمل الجنازة لأن الذكر من القرآن ولذا كان على الذاكر أن ينوي التلاوة والذكر معاً حتى يثاب بثواب التلاوة فحيث سن القرآن سن الذكر المأخوذ منه ولقد أحسن من قال في أبيات:

زر والديك وقف على قبريهما فكأنني بك قد حملت إليهما

إلى أن قال في آخرها:

وقرأت من آي الكتاب بقدر ما تستطيعه وبعثت ذاك إليهما

قال الشيخ تقي الدين أبو العباس: من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة أحدها: أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير. والثاني: أن النبي عليه السلام يشفع لأهل الموقف في الحساب ثم لأهل الجنة في دخولها ولأهل الكبائر في الإخراج من النار وهذا الانتفاع بسعي الغير والثالث: أن كل نبي وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير والرابع: أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض وذلك منفعة بعمل الغير والخامس: أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم والسادس: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير وكذا الميت بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والإجماع وهو من عمل غيره وأن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة وكذا تبرأ ذمة الإنسان من ديون الخلق إذا قضاها عنه قاض كما قال الشافعي: إذا أنا مت فليغسلني فلان أي: من الدين وذلك انتفاع بعمل الغير وكذا من عليه تبعات ومظالم إذا حلل منها سقطت عنه وأن الجار الصالح ينتفع بجواره في الحياة والممات كما جاء في الأثر وأن جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس معهم لذلك بل لحاجة أخرى والأعمال بالنيات وكذا الصلاة على الميت والدعاء له فيها ينتفع بها الميت مع أن جميع ذلك انتفاع بعمل الغير ونظائر ذلك كثيرة لا تحصى والآيات الدالة على مضاعفة الثواب كثيرة أيضاً فلا بد من توجيه قوله تعالى: ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾ فإنه لاشتماله على النفي والاستثناء يدل على أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمل نفسه ولا يجزى على عمله إلا بقدر سعيه ولا يزداد وهو يخالف الأقوال الواردة في انتفاعه بعمل غيره وفي مضاعفة ثواب أعماله ولا يصح أن يؤول بما يخالف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة فأجابوا عنه بوجوه: منها أنه منسوخ ومنها أنه في حق الكافر ومنها أنه بالنسبة إلى العدل لا الفضل وقد ذكرت ومنها أن الإنسان إنما ينتفع بعمل غيره إذا نوى الغير أن يعمل له حيث صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعاً فكان سعي الغير بذلك كأنه سعيه وأيضاً إن سعي الغير إنما لم ينفعه إذا لم يوجد له سعي قط فإذا وجد له سعي بأن يكون مؤمناً صالحاً كان سعي الغير تابعاً لسعيه فكأنه سعى بنفسه فإن علقة الإيمان وصلة وقرابة كما قال عليه السلام مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وقال عليه السلام: «المؤمن للمؤمن

كالبنيان يشد بعضه بعضاً» ثم شبك بين أصابعه فإذا سعى أحد في الإيمان والعمل الصالح فكأنه سعى بتأييد عضو أخيه وسد ثلمته فكان سعيه سعيه والحاصل أنه لما كان مناط منفعة كل ما ذكر من الفوائد عمله الذي هو الإيمان والصالح ولم يكن لشيء منه نفع ما بدونهما جعل النافع نفس عمله وإن كان بانضمام غيره إليه وفي أول باب الحج عن الغير من «الهداية» الإنسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوماً أو صدقة أو غيرها عند أهل السنة والجماعة وفي «فتح الرحمن» واختلف الأئمة فيما يفعل من القرب كالصلاة والصيام وقراءة القرآن والصدقة ويهدي ثوابه للميت المسلم فقال أبو حنيفة وأحمد يصل ذلك إليه ويحصل له نفعه بكرم الله ورحمته وقال مالك والشافعي: يجوز ذلك في الصدقة والعبادة المالية وفي الحج وأما غير ذلك من الطاعات كالصلاة والصوم وقراءة القرآن وغيره لا يجوز ويكون ثوابه لفاعله وعند المعتزلة ليس للإنسان جعل ثواب عمله مطلقاً لغيره ولا يصل إليه ولا ينفعه لقوله تعالى ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾ ولأن الثواب الجنة وليس في قدرة العبد أن يجعلها لنفسه فضلاً عن غيره واختلفوا فيمن مات قبل أن يحج فقال أبو حنيفة ومالك يسقط عنه الحج بالموت ولا يلزم الحج عنه إلا أن يوصي بذلك وقال الشافعي وأحمد لا يسقط عنه ويلزم الحج عنه من رأس ماله واختلفوا فيمن لم يحج عن نفسه هل يصح أن يحج عن غيره فقال أبو حنيفة ومالك يصح ويجزي عن الغير مع الكراهة وقال الشافعي وأحمد: لا يصح ولو فعل وقع عن نفسه وأما الصلاة فهي عبادة بدنية لا تصح فيها النيابة بمال ولا بدن بالاتفاق وعند أبي حنيفة إذا مات وعليه صلوات يعطى لكل صلاة نصف صاع من بر أو صاع من تمر أو شعير أو قيمة ذلك فدية تصرف للمساكين وليس للمدفوع إليه عدد مخصوص فيجوز أن يدفع لمسكين واحد الفدية عن عدة صلوات ولا يجوز أن تدفع فدية صلاة لأكثر من مسكين ثم لا بد من الإيصاء بذلك فلو تبرع الورثة بذلك جاز من غير لزوم وذلك عند أبي حنيفة خلافاً للثلاثة.

ـ وروي ـ أن رجلاً سأل النبي عليه السلام فقال: كان لي أبوان أبرهما حال حياتهما فكيف أبرهما بعد موتهما؟ فقال: «إن من البر بعد الموت أن تصلي لهما مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك» رواه الدارقطني عن علي رضي الله عنه وهذا الحديث حجة لأبي حنيفة في تجويزه جعل العبادة البدنية أيضاً لغيره خلافاً للشافعي كما مر.

ـ وروي ـ أيضاً من مر على المقابر قرأ «قل هو الله أحد عشر مرات ثم وهب أجرها للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات» رواه الدارقطني عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً فهذا أيضاً حجة له في تجويزه جعل ثواب التلاوة للغير خلافاً للشافعي.

ـ وروي ـ عن النبي عليه السلام «أنه ضحى بكبشين أملحين أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته المؤمنين» متفق عليه أي: جعل ثوابه لها وهذا تعليم منه عليه السلام بأن الإنسان ينفعه عمل غيره والاقتداء به عليه السلام هو الاستمساك بالعروة الوثقى وكذا قال الحسن البصري رحمه الله: رأيت علياً رضي الله عنه يضحي بكبشين وقال: إن رسول الله أوصاني أن أضحي عنه وكان الشيخ الفقيه القاضي الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام يفتي بأنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ ويحتج بقوله ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾ فلما توفي رآه بعض أصحابه ممن يجالسه وسأله عن ذلك وقال له: إنك كنت تقول: لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ ويهدى إليه فكيف الأمر فقال له: كنت أقول ذلك في دار الدنيا والآن قد رجعت عنه لما

رأيت من كرم الله في ذلك أنه يصل إليه ذلك وقد قيل: إن ثواب القرآن للقارىء وللميت ثواب الاستماع ولذلك تلحقه الرحمة قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤] قال القرطبي: ولا يبعد من كرم الله أن يلحقه ثواب القرآن والاستماع جميعاً ويلحقه ثواب ما يهدى من قراءة القرآن وإن لم يسمعه كالصدقة والاستغفار ولأن القرآن دعاء واستغفار وتضرع وابتهال وما تقرب المتقربون إلى الله بمثل القرآن انتهى.

يقول الفقير: فيه حجة على من أنكر من أهل عصرنا جهر آية الكرسي أعقاب الصلوات وأوجب إخفاءها وتلاوتها لكل واحد من الجماعة وذلك لأن استماع القرآن أثوب من تلاوته فإذا قرأ المؤذن واستمع الحاضرون كانوا كأنهم قرأوا جميعاً وإذا جاز وصول ثواب القراءة والاستماع جميعاً إلى الميت فما ظنك بالحي أصلحنا الله وإياكم.

ـ وروي ـ أن بعض النساء توفيت فرأتها في المنام امرأة كانت تعرفها وإذا عندها تحت السرير آنية من نور مغطاة فسألتها ما في هذه الأوعية فقالت: فيها هدية أهداها إلي أبو أولادي البارحة فلما استيقظت المرأة ذكرت ذلك لزوج الميتة فقال: قرأت البارحة شيئاً من القرآن وأهديته إليها وفي الحديث: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» قال القرطبي: القراءة في معنى الدعاء وذلك صدقة من الولد ومن الصاحب والصديق والمؤمنين قال ابن الملك في شرح الحديث: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله» أي: تجدد الثواب له «إلا من ثلاث صدقة جارية» كالأوقاف «أو علم ينتفع به» قيل هو الأحكام المستنبطة من النصوص والظاهر أنه عام متناول ما خلفه من تصنيف أو تعليم في العلوم الشرعية وما يحتاج إليه في تعلمها قيد العلم بالمنتفع به لأن ما لا ينتفع به لا يثمر أجراً «أو ولد صالح يدعو له».

قيد بالصالح لأن الأجر لا يحصل من غيره وأما الوزر فلا يلتحق بالأب من سيئة ولده إذا كانت نيته في تحصيل الخير وإنما ذكر الدعاء له تحريضاً للولد لأن الأجر يحصل للوالد من ولده الصالح كلما عمل عملاً صالحاً سواء دعا لأبيه أو لا كمن غرس شجرة يحصل له من أكل ثمرتها ثواب سواء دعا له من أكلها أو لم يدع وكذلك الأم.

قال بعض الكبار: النكاح سنة نبيك فلا ترغب عنه واطلب من الله من يقوم مقامك بعد موتك حتى لا ينقطع عملك بموتك فإن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم بثه في الناس أو ولد صالح يدعو له وفي لفظ الصدقة الجارية إشارة إلى أفضلية الماء ولذا حفر سعد بئراً لأمه فإن قلت ما التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله عليه السلام: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» وقوله عليه السلام: «من مات يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة» قلنا: السنة المسنونة من جملة العلم المنتفع به ومعنى حديث المرابط أن ثواب عمله الذي قدمه في حياته ينمو إلى يوم القيامة وأما الثلاثة المذكورة في الحديث فإنها أعمال تحدث بعد وفاته لا تنقطع عنه لأنه سبب لها فيلحقه منها ثواب والحاصل أن المراد بهذا الحديث عمله المضاف إلى نفسه فهو منقطع وأما العمل المضاف إلى غيره فلا ينقطع فللغير أن يجعل ما له من أجر عمله إلى من أراد وقال بعضهم في الآية: ليس كل عمل للإنسان إنما بعضه لله مثل الصوم كما قال: «الصوم لي وأنا أجزي به» فثوابه فضل الله وهو رؤيته وتمسك بعض العلماء

بهذا الحديث وظن أن الصيام مختص بعامله موفر له أجره لا يؤخذ منه شيء لمظلمة ظلمها وهذا القول مردود فإن الحقوق تؤخذ من جميع الأعمال صياماً كان أو غيره وقيل: إن الصوم إذا لم يكن معلوماً لأحد ولا مكتوباً في الصحف هو الذي يستره الله ويخبأه لعامله حتى يكون له جنة من العذاب فتطرح أولئك عليه سيئاتهم فتنصرف عنهم ويقيه الصوم فلا تضر بأصحابها لزوالها عنهم ولا به لأن الصوم جنته وهذا تأويل حسن دافع للتعرض قال البقلي رحمه الله في تأويل الآية ليس للصورة الإنسانية إلا ما سعت من الأعمال الزكية عن الرياء والسمعة يؤول ثوابها إليها من درجات الجنان أما ما يتعلق بفضل الله وجوده من مشاهدته وقربته فهو للروح والروحاني الذي في تلك الصورة فإنه إذا استوفى درجات الجنان التي هي جزاء أعماله الصالحة تمتع أيضاً بما يجد روحه من فضل الله المتعلق بكشف حجاب جماله وأيضاً ليس للإنسان إلا ما يليق بالإنسان من الأعمال وأما الفضل كالمشاهدة والقربة فهو لله يؤتيه من يشاء فإذا وصل إلى مشاهدة الله وتمتع بها فليس ذلك له إنما ذلك الله وإن كان هو متمتعاً به وقال ابن عطاء ليس للإنسان من سعيه إلا ما نواه إن كان سعيه لرضى الرحمن فإن الله يرزقه الرضوان وإن كان سعيه للثواب والعطاء والاعواض فله ذلك وقال النصر ابادي سعي الإنسان في طريق السلوك لا في طريق التحقيق فإذا تحقق يسعى به ولا يسعى هو بنفسه وأما قول العارف الجامي.

سالكان بي كشش دوست بجايى نرسند سالها كرجه درين راه تك وبوى كنند

فقد لا ينافيه فإنه لا فائدة في السعي بدون الجذبة الإلهية فالسعي منسوب إلى السالك والجذبة مضافة إلى الله تعالى وأما المنتهي فالسعي والجذبة بالنسبة إليه كلاهما من الله تعالى إذ ليس بمتحقق من لم يكن حركاته وسكناته بالله ثم إن الطريق قد يثني كطريق الحج من البر والبحر وأما طريق الحق فمفرد أي من حيث الجمعية الوحدانية وإلا فالطرق إلى الله المنتهى مع أنه فرق بين وصول ووصول كالناظرين كل ينظر بحسب قوة نور بصره وضعفه وإن كان المرئي واحداً ثم إن الله يوصل السالك بعد موته إلى محل همته لأنه كأنه حاصل بسعيه وقد مر تحقيقه في محله نسأل الله الوصول إلى غاية المطالب بحرمة اسمه الواهب.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾

﴿وأن سعيه﴾ أي سعي الإنسان وهو عمله كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ [الليل: ٤] وهو مع خبره معطوف على ما قبله من ألا تزر إلخ على معنى أن المذكورات كلها في الصحف ﴿سوف يرى﴾ أي يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة في صحيفته وميزانه من أريته الشيء عرضته عليه وفيه إشارة إلى أن الإنسان له مراتب في السعي وبحسب كل مرتبة يجد سعيه في الحال لا يزيد ولا ينقص وأيضاً في المآل وأول مراتبه في السعي مرتبة النفس وسعيه في هذه المرتبة تزكية النفس عن المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية بالموافقات الشرعية والمخالفات الطبيعية إذ العلاج بضدها وأثر هذا السعي ونتيجته حصول الجنات التي تجري من تحتها الأنهار والحور والقصور والغلمان كما أخبر الكتاب العزيز في غير موضع والمرتبة الثانية والسعي فيها تصفية القلب عن صدأ الظلمات البشرية وغطاء الكدورات الطبيعية وأثر هذا السعي ونتيجته ترك حب الدنيا وشهواتها ولذاتها وزخارفها ومالها وجاهها والمرتبة الثالثة والسعي فيها تحلية السر بالصفات الإلهية والأخلاق الربانية وأثر هذا السعي ونتيجته حصول شواهد التحليات

الصفاتية والاسمائية والمرتبة الرابعة والسعي فيها تحلية الروح بالتجليات الذاتية والمشاهدات الحقانية وأثر هذا السعي ونتيجته هو الفناء عن أنانيته والبقاء بهويته الأحدية المطلقة عن التقييد والإطلاق واللاتقييد واللاإطلاق.

وقال الواسطي في الآية: إنه لم يكن مما يستجلب به شيء من الثواب وقال سهل: سوف يرى سعيه فيعلم أنه لا يصلح للحق ويعلم ما الذي يستحق بسعيه وأنه لو لم يلحقه فضل ربه لهلك بسعيه ﴿ثم يجزاه﴾ أي: يجزي الإنسان بسعيه أي: جزاء عمله يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله بحذف الجار وإيصال الفعل ﴿الجزاء الأوفى﴾ أي: الأوفر الأتم إن خيراً فخير وإن شراً فشر وهو مفعول مطلق مبين للنوع قال الوراق: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ ذلك في بدايته وأن سعيه سوف يرى ذلك في توسط أموره ثم يجزاه الجزاء الأوفى ذلك في نهاياته وله نهايتان باعتبار الفناء والبقاء ففي الفناء يحصل الجزاء الذي هو الشهود وفي البقاء يحصل الجزاء الذي هو تربية الجسد والوجود وذلك باستيفاء ما ترك في بداية سلوكه من المباحات المشروعة من الأكل والشرب والملبس والمنكح والتوسعة في معايش الدنيا وأسبابها فبعد تحققه بعالم الوحدة يرد إلى عالم الكثرة ولكن لا تضره الكثرة إذا أصلا.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ مصدر بمعنى الانتهاء أي: انتهاء الخلق في رجوعهم إلى الله تعالى بعد الموت لا إلى غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً فيجازيهم بأعمالهم وفي الحقيقة انتهاء الخلق إليه تعالى في البداية والنهاية ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] إذ لا إله إلا هو. وفي «المثنوي»:

دست بر بالاى دست اين تاكجا ... تا بيزدان كه اليه المنتهى
كان يكى درياست بى غور وكران ... جمله درياها چو سيلى پيش آن
حيلها وچارها كر ازدهاست ... پيش إلا الله إنها جمله لاست

قال ابن عطاء: من كان منه مبدأه كان إليه منتهاه وإذا وصل العبد إلى معرفة الربوبية ينحرف عنه كل فتنة ولا يكون له مشيئة غير اختيار الله له قيل للحسين ما التوحيد قال أن تعتقد أنه معلل الكل بقوله هو الأول وعند ذلك تطلب المعلولات منه الابتداء وإليه الانتهاء ذهبت المعلولات وبقي المعلل بها.

قال بعض الكبار: من أدل دليل على توحيد الله تعالى عند من لا كشف عنده كونه تعالى عند النظار والفلاسفة علة العلل وهذا توحيد ذاتي ينتفي معه الشريك بلا شك غير أن إطلاق هذا اللفظ عليه تعالى لم يرد به الشرع فلا ندعوه به ولا نطلقه عليه فاعلم ذلك.

﴿وأنه﴾ تعالى ﴿هو﴾ وحده ﴿أضحك وأبكى﴾ الضحك انبساط الوجه وتكشر الأسنان من سرور النفس ولظهور الأسنان عنده سميت مقدمات الأسنان الضواحك والبكاء بالمد سيلان الدمع عن حزن وعويل يقال: إذا كان الصوت أغلب كالرغاء وسائر هذه الأبنية الموضوعة للصوت وبالقصر يقال إذا كان الحزن أغلب وقوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢] إشارة إلى الفرح والترح وإن لم يكن مع الضحك قهقهة ولا مع البكاء إسالة دمع كما في

«المفردات» والمعنى هو خلق قوتي الضحك والبكاء في الإنسان منهما ينبعث الضحك والبكاء والإنسان لا يعلم ما تلك القوة أو هما كنايتان عن السرور والحزن كأنه قيل: أفرح وأحزن لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء أو عما يسر ويحزن وهو الأعمال الصالحة والأعمال الصالحة أو أضحك في الدنيا أهل النعمة وأبكى أهل الشدة والمصيبة أو أضحك في الجنة أهلها وأبكى في النار أهلها واضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر أو الأشجار بالأنوار والسحاب بالأمطار أو القراطيس بالأرقام والأقلام بالمداد أو أضحك القرد وأبكى البعير أو أضحك بالوعد وأبكى بالوعيد أو أضحك المطيع بالرضى وأبكى العاصي بالسخط أو أضحك قلوب العارفين بالحكمة وأبكى عيونهم بالحزن والحرقة أو أضحك قلوب أوليائه بأنوار معرفته وأبكى قلوب أعدائه بظلمات سخطه أو أضحك المستأنسين بنرجس مودته وياسمين قربته وطيب شمال جماله وأبكى المشتاقين بظهور عظمته وجلاله أو أضحك بالإقبال على الحق وأبكى بالإدبار عنه أو أضحك الأسنان وأبكى الجنان أو بالعكس قال الشاعر:

السن تضحك والأحشاء تحترق ... وإنما ضحكها زور ومختلق
يا رب باك بعين لا دموع لها ... ورب ضاحك سن ما به رمق

أو أضحك بتجليه اللطفي الجمالي القلب المنور بنور اللطف والجمال وأبكى بتجليه القهري الجلالي النفس المظلمة بظلمة القهر والجلال أو أضحك بتجليه الجلالي النفس على القلب عند استيلاء ظلمة النفس على القلب وأبكى بتجليه الجمالي القلب على النفس عند غلبة أنوار القلب على النفس وفي الآية دلالة على أن كل ما يعمله الإنسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء قالت عائشة رضي الله عنها: مر النبي عليه السلام على قوم يضحكون فقال: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً» فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال: إن الله تعالى يقول: «﴿**وأنه هو أضحك وأبكى**﴾ فرجع إليهم» فقال: «ما خطوت أربعين خطوة حتى أتاني جبريل فقال: ائت هؤلاء فقل لهم: إن الله يقول: هو أضحك وأبكى» وسئل طاهر المقدسي أتضحك الملائكة؟ فقال: ما ضحك من دون العرش منذ خلقت جهنم وقال النبي عليه السلام لجبرائيل: «ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط؟ قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار» وقيل لعمر رضي الله عنه: هل كان أصحاب رسول الله عليه السلام يضحكون؟ قال: نعم والله والإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وعن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة رضي الله عنه: أكنت تجالس النبي عليه السلام؟ قال: نعم وكان أصحابه يجلسون فيتناشدون الشعر ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم معهم إذا ضحكوا يعني النبي عليه السلام ولقي يحيى عيسى عليهما السلام فتبسم عيسى في وجه يحيى فقال: ما لي أراك لاهياً كأنك آمن فقال: ما لي أراك عابساً كأنك آيس فقالا: لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله تعالى أحبكما إلي أحسنكما ظناً بي.

ـ وروي ـ أحبكما إلي الطلق البسام وقال الحسن يا ابن آدم تضحك ولعل كفنك خرج من عند القصار وبكى نوح عليه السلام ثلاثمائة سنة بقوله: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ [هود: ٤٥] وقال كعب لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بجبل ذهب والنافع بكاء القلب لا العين فقط.

بران ازدوسر چشمه ديده جوى ... ور الايشى دارى ازخود بشوى

﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره لا خلقاً ولا كسباً فإن أثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وإنما يحصل الموت عنده بفعل الله على العادة فللعبد نقض البنية كسباً دون الإماتة وبالفارسية قادر براماته واحيا اوست وبس مى ميراند بوقت أجل دردنيا وزنده ميسازد درقبر يا او سازنده اسباب موت وحياتست وكفته اند مرده ميسازد كافر انرا بنكرت وزنده ميكند مؤمنا نرا بمعرفت وبقول بعض أماته وأحيا بجهل وعلم است يا ببخل وجود يا بعدل وفضل يابه منع وأعطا. وقيل الخصب والجدب أو الآباء والأبناء أو أيقظ وأنام أو النطفة والنسمة. ونزد محققان بهيبت وأنس باباستتار وتجلي وامام قشيري فرموده كه بميراند نفوس زاهد انرا بآثار مجاهدت وزنده كرداند قلوب عارفانرا بأنوار مشاهدت يا هركه را مرتبه فنا في الله رساند جرعه ازساغر بقا بالله چشاند. أو أمات النفس عن الشهوات الجسمانية واللذات الحيوانية وأحيى القلب بالصفات الروحانية والأخلاق الربانية أو أمات النفس بغلبة القلب عليها وإحيائه أو أمات القلب باستيلاء النفس عليه وإحيائها وهذه الأحكام المختلفة ما دام القلب في مقام التلوين فأما إذا ترقى إلى مقام الإطمئنان والتمكين فلا يصير القلب مغلوباً للنفس بل تكون النفس مغلوبة للقلب أبد الآباد إلى أن تموت تحت قهره بأمر ربه.

يقول الفقير: قدم الإماتة على الإحياء رعاية للفاصلة ولأن النطفة قبل النسمة ولأن موت القلب قبل حياته ولأن موت الجسد قبل حياته في القبر وأيضاً في تقديم الإماتة تعجيل لأثر القهر لينتبه المخاطبون وأيضاً أن العدم قبل الوجود ثم إن مآل الوجود إلى الفناء والعدم فلا ينبغي الاغترار بحياة بين الموتين ووجود بين العدمين والله الموفق.

﴿وأنه﴾ وآنكه خداى تعالى ﴿خلق الزوجين﴾ بيافريد از انسان دو صنف. وفي بعض التفاسير من كل الحيوان وفيه أن كل حيوان لا يخلق من النطفة بل بعضه من الريح كالطير فإن البيضة المخلوقة منها الدجاجة مخلوقة من ريح الديك ﴿الذكر والأنثى﴾ نروماده ﴿من نطفة﴾ هي الماء الصافي ويعبر بها عن ماء الرجل كما في «المفردات» ﴿إذا تمنى﴾ تدفق في الرحم وتصب وبالفارسية ازآب منى وقتى كه ريخته شود دررحم وآدم وحوا وعيسى عليهما السلام ازين مستثنى اند فهو من أمنى يمني إمناء وهو بالفارسية مني آوردن. قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨﴾ [الواقعة: ٥٨] وفي «القاموس» منى وأمنى ومنى بمعنى أو معنى تمنى يقدر منها الولد من مناء الله يمنيه قدره إذ ليس كل مني يصير ولداً وفيه إشارة إلى أنه تعالى خلق زوج ذكر الروح موصوفاً بصفة الفاعلية وخلق زوجة انثى النفس موصوفة بصفة القابلية ليحصل للقلب من مقدمتي الروح والنفس نتيجة صادقة صالحة لحصول المطالب الدنيوية والأخروية من نطفة واقعة كائنة مستقرة في رحم الإرادة الأزلية إذا تمنى إذا تحرك وتدفق في رحم الإرادة القديمة أو إذا قدر المقدر بالحكمة البالغة قدم الذكر رعاية للفاصلة ولشرفه الرتبي وإن كان الأصل في العالم الأنوثة ولذلك سرت فيه بأسره ولكن لما كانت في النساء أظهر حببت للأكابر حتى آجر موسى عليه السلام نفسه في مهر امرأة عشر سنين وحتى أن أعظم ملوك الدنيا يكون عند الجماع كهيئة الساجد فاعلم ذلك فلما كان لا يخلو العوالم عن نكاح صوري أو معنوي كان نصف الخلق الذكر ونصفه الأنثى وإن شئت قلت الفاعل والقابل والإنسان برزخ هاتين الحقيقتين.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾.

﴿وأن عليه﴾ أي: على الله تعالى ﴿النشأة الأخرى﴾ أي: الخلقة الأخرى وهو الإحياء بعد الموت وفاء بوعده لا لأنه يجب على الله كما يوهمه ظاهر كلمة على وفيه تصريح بأن الحكمة الإلهية اقتضت النشأة الثانية الصورية للجزاء والمكافأة وإيصال المؤمنين بالتدريج إلى كمالهم اللائق بهم ولو أراد تعجيل أجورهم في هذه الدار لضاقت الدنيا بأجر واحد منهم فما ظنك بالباقي ومن طلب تعجيل نتائج أعماله وأحواله في هذه الدار فقد أساء الأدب وعامل الموطن بما لا يقتضيه حقيقته وأما إذا استقام العبد في مقام عبوديته وعجل له الحق نتيجة ما أو كرامة فإن من الأدب قبولها إن كانت مطهرة من شوائب الحظوظ وبالجملة فالخير فيما اختاره الله لك ثم إن النشأة الأخرى الصورية مترتبة على كمال الفناء الصوري مع الاستعداد والتهيىء لقبول الروح فكذا النشأة الأخرى المعنوية وهي البقاء والاتصاف بالصفات الإلهية موقوفة على تمام الفناء المعنوي والانسلاخ عن الأوصاف البشرية بالكلية مع الاستعداد والتهيىء لقبول الفيض وبالجملة فلا بد في كلتا النشأتين من صحة المزاج ألا ترى أن الجنين إذا فسد في الرحم سقط بل الرحم إذا فسدت لم تقبل العلوق وإلى الولادة الثانية التي هي النشأة الأخرى أشار عيسى عليه السلام بقوله: لن يلج ملكوت السماوات من لم يولد مرتين ومعنى ملكوت السماوات حقائقها وأنوارها وأسرارها فكل نبي وولي وارث متحقق بهذا الولوج والولادة الثانية ﴿وأنه هو أغنى﴾ أعطى الغنى للناس بالأموال ﴿وأقنى﴾ وأعطى القنية وهي ما يتأثل من الأموال أي: يتخذ أصلاً ويدخر بأن يقصد حفظه استثماراً واستنماء وأن لا يخرج عن ملكه وفي المثل لا تقتن من كلب سوء جرواً يقال قنوت الغنم وغيرها وقنيتها قنية وقنية إذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة وفي «تاج المصادر» الإقناء سرمايه دادن وخشنود كردن. قال بعضهم: أغنى الناس بالكفاية والأموال وأعطى القنية وما يدخرونه بعد الكفاية وقال الضحاك: أغنى بالذهب والفضة والثياب والمسكن وأقنى بالإبل والبقر والغنم والدواب وإفراد القنية بالذكر أي: بعد قوله أغنى لأنها أشرف الأموال وأفضلها أو معنى أقنى أرضى وتحقيقه جعل الرضى له قنية والأوفق لما تقدمه من الآي المشتملة على مراعاة صنعة الطباق أن يحمل على معنى أفقر على أن تكون الهمزة أي: في أقنى للإزالة كما قاله سعدي المفتي.

قال الجنيد قدس سره: أغنى قوماً به وأفقر قوماً منه وقال بعضهم: فيه إشارة إلى إفاضة الفيض الإلهي على القلب السليم المستقيم الثابت على دين الله كما قال عليه السلام: «اللهم ثبت قلبي على دينك» وإبقاء ذلك الفيض الإلهي عليه بحيث لا يستهلك الفيض ولا يضمحل تحت غلبة ظلمة النفس الإمارة بالسوء لتمكن ذلك القلب وعدم تلونه بخلاف القلب المتلون فإنه لعدم تمكنه في بعض الأوقات يتكدر بظلمة النفس ويزول عنه ذلك النور المفاض عليه المضاف إليه وهو المعنى بقوله: ﴿أقنى﴾ أي: جعل فيه ذلك النور قنية ثم إن الآية دلت على إباحة التأثل من الأموال النافعة دون غيرها ولذا نهى عن اقتناء الكلب أي: إمساكه بلا فائدة من جهة حفظ الزرع أو الضرع أو نحو ذلك والنفس الأمارة أشد من الكلب العقور ففي اقتناء الروح النامي مندوحة عن اقتنائها أبتر عقيم لا خير فيها ألا ترى أن مرتبة النفس والطبيعة تبقى

هنا ولا تستصحب الإنسان الكامل في النشأة الجنانية إذ الجنان كالمرعى الطيب والروض الأنف فلا يرعى فيها إلا الروح الطيب والجسد النظيف.

﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ أي: رب معبودهم فاعبدوا الرب دون المربوب والشعرى كوكب نير خلف الجوزاء يقال لها العبور بالمهملة كالصبور وهي أشد ضياء من الغميصاء بالغين المعجمة المضمومة وفتح الميم والصاد المهملة وهي إحدى الشعريين يعني أن الشعرى شعريان أحدهما الشعرى اليمانية وتسمى أيضاً الشعر العبور وثانيتهما الشعرى الشامية وتسمى أيضاً الشعرى الغميصاء فصلت المجرة بينهما تزعم العرب أن الشعريين اختا سهيل وأن الثلاثة كانت مجتمعة فانحدر سهيل نحو اليمين وتبعته العبور فعبرت المجرة ولقيت سهيلاً وأقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل فغمصت عينها أي: كانت أقل نوراً من العبور وأخفى والغمص في العين ما سال من الرمص يقال: غمصت عينه بالكسر غمصاً وكانت خزاعة تعبد الشعرى سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم فقال لقومه: إن النجوم تقطع السماء عرضاً وهذه تقطعها طولاً فليس شيء مثلها فعبدتها خزاعة وخالف أبو كبشة قريشاً في عبادة الأوثان ولذلك كانت قريش يسمون الرسول عليه السلام ابن أبي كبشة لا يريدون بذلك اتصال نسبه إليه وإن كان الأمر كذلك أي: لأن أبا كبشة أحد أجداد النبي عليه السلام من قبل أمه بل يريدون به موافقته عليه السلام له في ترك عبادة الأوثان وإحداث دين جديد فالنبي عليه السلام كما وافق أبا كبشة في مخالفة قريش بترك عبادة الأصنام خالفه أيضاً بترك عبادة الشعرى وهو إشارة إلى شعرى النفس المسماة بكلب الجبار التي عبدها خزاعة أهل الأهواء وأبو كبشة أهل البدع من الفلاسفة والزنادقة.

﴿وأنه أهلك عادا الأولى﴾ هي قوم هود عليه السلام أهلكوا بريح صرصر وعاد الأخرى إرم وقيل الأولى القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح أي: المراد إبعاد جميع من انتسب إلى عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح ووصفهم بالأولية ليس للاحتراز عن عاد الأخيرة بل لتقدم هلاكهم بحسب الزمان على هلاك سائر الأمم بعد قوم نوح قال في «التكملة» وصف عاد بالأولى يدل على أن لها ثانية فالأولى هي عاد بن إرم قوم هود والثانية من ولدها وهي التي قاتلها موسى عليه السلام بأريحاء كانوا تناسلوا من الهزيلة بنت معاوية وهي التي نجت من قوم عاد مع بنيها الأربعة عمر وعمرو وعامر والعتيد وكانت الهزيلة من العماليق.

﴿وثمود﴾ عطف على عاداً لأن ما بعده لا يعمل فيه لمنع ما النافية عن العمل وهم قوم صالح عليه السلام أهلكهم الله بالصيحة ﴿فما أبقى﴾ أي: أحداً من الفريقين ويجوز أن يكون المعنى فما أبقى عليهما فالإبقاء على هذا المعنى الترحم وهو بالفارسية بخشودن وإنما لم يترحم عليهم لكونهم من أهل الغضب ورحمة الله لأهل اللطف دون القهر وفيه إشارة إلى التربية فأولاً باللطف وثانياً بالعتاب وثالثاً بالعقاب فإن لم يحصل التنبه فبالإزالة والإهلاك وهكذا عادة الله في خلقه فليتنبه العباد وليحافظوا على المراتب في تربية عبيدهم وإمائهم وخدمهم مطلقاً.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وقوم نوح﴾ عطف عليه أيضاً ﴿من قبل﴾ أي: من قبل إهلاك عاد وثمود ﴿إنهم﴾ أي: قوم نوح ﴿كانوا هم أظلم﴾ لنبيهم ﴿وأطغى﴾ من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى لا يكون به حراك

وما أثرت فيهم دعوته قريباً من ألف سنة وما آمن معه إلا قليل:

باسيه دل چه سود كفتن وعظ نرود ميخ آهنين در سنك

وفيه إشارة إلى إهلاك صفات القلب من قبل أن يتمكن في سفينة التوحيد فإنهم كانوا مذبذبين منقلبين بين القلب وبين النفس ظالمين على القلب بمشاهدة الكثرة طاغين عليه بالميل إلى النفس وصفاتها.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾

﴿والمؤتفكة﴾ هي قرى قوم لوط عليه السلام يعني شهرستان قوم لوط عليه السلام. ائتفكت بأهلها أي: انقلبت بهم وهو منصوب عطفاً على عادا أي: وأهلك المؤتفكة وقيل هو منصوب بقوله: ﴿أهوى﴾ أي: أسقطها إلى الأرض مقلوبة بعد أن رفعها على جناح جبريل إلى السماء فالأهواء بمعنى انداختن. وقال الزجاج القاها في الهاوية.

﴿فغشاها ما غشى﴾ من فنون العذاب.

وقال الكاشفي: پس بپوشانيد آن شهرها را آنچه بپوشانيد يعني سنكهاى نشان داده بران بارانيد، وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه قوله ما غشى مفعول ثان إن قلنا إن التضعيف للتعدية أي: ألبس الله المؤتفكة ما ألبسها إياه من العذاب كالحجارة المنضودة المسومة فمفعولا الفعل الأول مذكوران والثاني محذوفان وإن قلنا إنه للمبالغة والتكثير فهو فاعل كقوله: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨] وفي الآية إشارة إلى قرية القالب وانقلابها من أعلى الكمال إلى أسفل النقصان ومن اعتدال المزاج إلى انحرافه وذلك سبب ظلم النفس الأمارة عليها باستيفاء الحظوظ والشهوات كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: ٥٨] الآية ﴿فبأي آلاء ربك تتمارى﴾ الآلاء النعم واحدها إلى وألى والى كما في «القاموس» والتماري والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه مرية أي: شك وتردد قال في «تاج المصادر»: التماري بشك شدن وبايكديكر بستيهبدن. وإسناد فعل التماري إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه والخطاب للرسول عليه السلام فهو من باب الإلهاب والتعريض بالغير على طريقة قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] أو لكل واحد وجعل الأمور المعدودة آلاء مع أن بعضها نقم لما أنها أيضاً نعم من حيث إنها نصرة للأنبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين قال في «بحر العلوم» وهلاك أعداء الله والنجاة من صحبتهم وشرهم والعصمة من مكرهم من أعظم آلائه الواصلة إلى المؤمنين قال المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

وقد أمر نوحاً بالحمد على ذلك في قوله: ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨] وقد حمد هو بنفسه على ذلك في موضع آخر تعليماً لعباده حيث قال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥] وقد سجد عليه السلام سجدة الشكر حين رأى رأس أبي جهل قد قطعت في غزوة بدر.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى استحقاق الشكر الجزيل على آلائه التي عددها وسماها آلاء لاشتمالها على نعم المواعظ ونعم الزواجر واستبعاد الشك والمماراة فيها

والخطاب لأفراد الأمة لاشتمال النبي عليه السلام على أمته كما قال ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [النحل: ١٢٠] انتهى ومعنى الآية إذا عرفت يا محمد هذه المذكورات فبأي نعمة من نعم ربك تتشكك بأنها ليست من عند الله أو في كونها نعمة وبالفارسية پس بكدامين ازنعمتهاى آفريدكار خودشك مى آرى وجدال ميكنى. فكما نصرت إخوانك من الأنبياء الماضين ونصرت أولياءهم وأهلكت أعداءهم فكذلك أفعل بك فلا يكن قلبك في ضيق وحرج مما رأيت من إصرار هؤلاء القوم وعنادهم واستكبارهم.

﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾ هذا إما إشارة إلى القرآن والنذير مصدر أي: هذا القرآن الذي تشاهدونه إنذار كائن من قبيل الإنذارات المتقدمة التي سمعتم عاقبتها أو إلى الرسول والنذير بمعنى المنذر أي: هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الأولين والأولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم أحوال قومهم المنذرين.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى القرآن أو إلى الرسول وشبه إنذارهما بإنذار الكتب الماضية والرسول المتقدمة.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى نذارة كمل ورثته عليه السلام فإن كل نذير متأخر فهو من قبيل النذر الأولى لاتحاد كلمتهم ودعوتهم إلى الله على بصيرة وكذا ما ألهموا به من الإنذارات بحسب الأعصار والمشارب فطوبى لأهل المتابعة وويل لأهل المخالفة.

بكوى آنچه دانى سخن سودمند ... وكر هيچ كس را نيايد پسند
كه فردا پشيمان بر آرد خروش ... كه آوخ چراحق نكردم بكوش
بكمراه كفتن نكو ميروى ... كناه بزركست وجور قوى
مكو شهد شيرين شكر فايقست ... كسى را كه سقمونيا لا يقست
چه خوش كفت يكروزدار وفروش ... شفا بايدت داروى تلخ نوش

﴿أزفت الآزفة﴾ في إيراده عقيب المذكورات إشعار بأن تعذيبهم مؤخر إلى يوم القيامة تعظيماً للنبي عليه السلام وإن كانوا معذبين في الدنيا أيضاً في الجملة واللام للعهد فلذا صح الإخبار بدونها ولو كانت للجنس لما صح لأنه لا فائدة في الإخبار بقرب آزفة ما فإن قلت: الإخبار بقرب الآزفة المعهودة لا فائدة فيه أيضاً قلت: فيه فائدة وهو التأكيد وتقرير الإنذار والأزف ضيق الوقت لقرب وقت الساعة وعلى ذلك عبر عن القيامة بالساعة يقال: أزف الترحل كفرح ازفا وازوفا دنا والأزف محركة الضيق كما في «القاموس» والمعنى دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] أي: في الدلالة على كمال قربها لما في صيغة الافتعال من المبالغة ففي الآية إشارة إلى كمال قربها حيث نسب القرب إلى الموصوف به.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾

﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ أي: ليس لها أنفس قادرة على كشفها أي: إزالتها وردها عند وقوعها في وقتها المقدر لها إلا الله لكنه لا يكشفها من كشف الضر أي: أزاله بالكلية فالكاشفة اسم فاعل والتاء للتأنيث والموصوف مقدر أوليس لها الآن نفس كاشفة بتأخيرها إلا الله فإنه المؤخر لها يعني لو وقت الآن لم يردها إلى وقتها أحد إلا الله فالكشف بمعنى الإزالة لا بالكلية بل بالتأخير إلى وقتها أو ليس لها كاشفة لوقتها إلا الله أي: عالمة به من كشف الشيء

إذا عرف حقيقته أو مبينة له متى تقوم وفي القرآن: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ٨٧] أوليس لها من غير الله كشف على أن كاشفة مصدر كالعاقبة والخائنة وأما جعل التاء للمبالغة كتاء علامة فالمقام يأباه لإيهامه ثبوت أصل الكشف لغيره وفي الآية إشارة إلى قرب القيامة الكبرى ووقوع الطامة العظمى وهي ظهور الحقيقة المثلى لأهل الفناء عن نفوسهم والإقبال على الله بجميع الهمة وقوة العزيمة ليس لها من دون الله كاشفة بالنسبة إلى أهل الحجاب لأنهم مستغرقون في بحر الغفلة مستهلكون في أسر الشهوة والإنسان فإن في كل آن وزمان وما له شعور بذلك فيا ليته كشف عن غطائه وتشرف برؤية الله ولقائه وقد قالوا قيامة العارفين دائمة أي: لأنهم في شهود الأمر على ما كان عليه ولا يتوقف شهودهم على وقوع القيامة الظاهرة ومن هنا قال الإمام علي كرم الله وجهه: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» فطوبى لمن زاد يقينه ووصل إلى حق اليقين وتمكن في مقام التحقيق والله المعين.

﴿أفمن هذا الحديث﴾ آيا ازين سخن كه قرآنست ﴿تعجبون﴾ إنكاراً قال الراغب العجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه. ﴿وتضحكون﴾ استهزاء مع كونه أبعد شيء من ذلك قال الراغب واستعير الضحك للسخرية فقيل ضحكت منه ﴿ولا تبكون﴾ حزناً على ما فرطتم في شأنه وخوفاً من أن يحيق بكم ما حاق بالأمم المذكورة.

ـ روي ـ أنه عليه السلام لم ير ضاحكاً بعد نزول هذه الآية وعن أبي هريرة رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية بكى أهل الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله عليه السلام حنينهم بكى معهم فبكينا لبكائه فقال عليه السلام: «لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ثم يغفر لهم».

ـ وروي ـ أن النبي عليه السلام نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي فقال له: من هذا؟ فقال: فلان فقال جبرائيل: «إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلا البكاء فإن الله ليطفىء بالدمعة بحوراً من نيران جهنم» وفي الحديث: «إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» وذلك فإن الحزن يؤدي إلى السرور والبكاء إلى الضحك. قال الصائب:

منال أي: ساكن بيت الحزن ازچشم تاريكى كه خواهد صيقلى كشت ازجمال روشن يوسف

وقال:

خنده كردن رخنه در قصر حيات افكندنست خانه در بسته باشد تاغمين باشد كسى

﴿وأنتم سامدون﴾ أي: لاهون أو مستكبرون من سمد البعير في مسيره إذا رفع رأسه قال الراغب السامد اللاهي الرافع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير وكانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء واللهو ليشغلوهم عن الاستماع أو خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا أن مضمونها على الوجه الأخير قيد للمنفي والإنكار وارد على نفي البكاء والسمود معاً وعلى الوجوه الأول قيد للنفي والإنكار متوجه إلى نفي البكاء ووجود السمود والأول أوفى بحق المقام فتدبر كما في «الإرشاد». ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ الفاء لترتيب الأمر أو موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالإنكار واستهزاء ووجوب تلقيه بالإيمان مع كمال الخضوع والخشوع أي: وإذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله الذي أنزله واعبدوه ولا تعبدوا غيره من ملك

أو بشر فضلاً عن جماد لا يضر ولا ينفع كالأصنام والكواكب قال في «عين المعاني» فاسجدوا أي: في الصلاة والأصح أنه على الانفراد وهي سجدة التلاوة انتهى وهذا محل سجود عند أبي حنيفة والشافعي وأحمد وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنه صح عن رسول الله عليه السلام أنه سجد بالنجم، يعني بعد تلاوته هذه السورة على قريش سجد وسجد معه المؤمن والمشرك والإنس والجن كما سبق وليس يراها مالك لما روى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قرأ على النبي عليه السلام والنجم فلم يسجد فيها. قال الكاشفي: أين سجده دوازدهم است ازسجدات قرآني در فتوحات اين را سجده عبادت كفتندكه امر الهى بذلت ومسكنت مقترنست بوى وجز سالكان طريقت عبادت وعبوديت بسر منزل سراين سخن نرسيده اند.

وفي «التأويلات» البقلي أي إذا قرب أيام الوصال فاشتاقوا وسارعوا في بذل الوجود ووضع الخدود على التراب واعبدوا رب الأرباب لوجود كشف النقاب قال شيخي وسندي روح الله روحه في «كتاب البرقيات» له يعني اسجدوا لله واعبدوا الله بالله لا بالنفس إذا سجدتم وعبدتم له بسجدة القالب بالانقياد وعبادته بالإذعان في مرتبة الشريعة وبسجدة القلب بالفناء وعبادته بالاستهلاك في مرتبة الحقيقة حتى تكون سجدتكم وعبادتكم محض قربة إلى الله في المرتبة الأولى وصرف وصلة إلى الله في المرتبة الثانية وتكونوا من المقربين أولاً ومن الواصلين ثانياً هذا شأن عباد الله الموحدين المخلصين الفانين في الله الباقين بالله وأما طاعة من عداهم فبأنفسهم وهواهم لعدم تخلصهم من الشوائب النفسانية في مقام الشريعة ومن الشوائب الغيرية في مقام الحقيقة.

واعلم أن سجدة القالب وعبادته منقطعة لانقطاع سببها ومحلها وموطنها لأنها حادثة فانية زائلة وأما سجدة القلب وعبادته وهي فناؤه في الله أزلاً وأبداً بحسب نفسه وإن كان باقياً بالله بحسب تحلية الوجود فغير منقطعة بل هي دائمة لدوام سببها وباقية لبقاء محلها وموطنها أزلاً وأبداً والمقصود من وضع السجدة والعبادة القالبية هو الوصول إلى شهود السجدة والعبادة القلبية ولذا حبب إلى النبي عليه السلام ثلاث: الطيب والنساء والصلاة أما الأول فلأنه يوجد في نفسه ذوق الإنس والمحاضرة وأما الثاني فلأنه يوجد فيه ذوق القربة والوصلة وأما الثالث فلأنه يوجد فيه ذوق المكاشفة والمشاهدة وهذه الأذواق إنما يتحقق بها من الإنس من هو الإنسان الحقيقي المتحقق بسر الحضرة الأحدية والمتنور بنور الحضرة الواحدية وهو المنتفع بإنسانيته انتفاعاً تاماً وأما الإنسان الحيواني فلا حظ له من ذلك التحقق ولا نصيب له من هذا الانتفاع بل حظه ونصيبه إنما هو الشهوات الطبيعية والإنسان الأول في أعلى عليين والثاني في أسفل السافلين وبينهما بون بعيد كما بين الأوج والحضيض وبكمال علو الأول قد يستغنى عن الأكل والشرب كالملائكة بالأذواق الروحانية والتجليات الربانية وذلك مدة كثيرة كما وقع لبعضهم ولتمام تسفل الثاني يأكل كما تأكل الأنعام فلا يقتنع في اليوم والليلة بمرة من الأكل بل يحتاج إلى مرات منها وإلا يقع في الاضطراب والذبول والنحول وربما تؤدي قلة الأكل إلى هلاكه كما حكي أن شخصين أحدهما سمين والآخر هزيل حبسا في تهمة ومنع عنهما الغذاء أسبوعاً فبعد الأسبوع تبين أن ليس لهما جرم فإذا السمين قد مات والهزيل حي وذلك لأن من اعتاد الأكل إذا لم يجده هلك.

تمت سورة النجم بعون الله تعالى في الحادي عشر من شهر رمضان المنتظم في سلك شهور سنة أربع عشرة ومائة وألف

٥٤ ـ سورة القمر

وآيها خمس وخمسون وهي مكية عند الجمهور والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾.

﴿اقتربت الساعة﴾ الاقتراب نزديك آمدن. والساعة جزء من أجزاء الزمان عبر بها عن القيامة تشبيهاً لها بذلك لسرعة حسابها أو لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم أو لغير ذلك كما بين فيما سبق والمعنى دنت القيامة وقرب قيامها ووقوعها لأنه ما بقي من الدنيا إلا قليل كما قال عليه السلام: «إن الله جعل الدنيا كلها قليلاً فما بقي منها قليل من قليل ومثل ما بقي مثل الثغب» أي: الغدير شرب صفوه وبقي كدره فالاقتراب يدل على مضي الأكثر ويمضي الأقل عن قريب كما مضى الأكثر وبيانه أنه مضى من يوم السنبلة وهو سبعة آلاف سنة وقد صح أن مدة هذه الأمة تزيد على ألف بنحو أربعمائة سنة إلى خمسمائة سنة ولا يجوز الزيادة إلى خمسمائة سنة بعد الألف لعدم ورود الأخبار في ذلك ولاقتضاء البراهين والشواهد عند أهل الظواهر والبواطن من أهل السنة وقد قال عليه السلام: «الآيات بعد المائتين» والمهدي بعد المائتين فتنتهي دورة السنبلة بظهور عيسى عليه السلام فيكون آدم فاتحها وعيسى خاتمها فعلى هذا فآدم ونبينا عليهما السلام أي: وجودهما من أشراط الساعة كما قال عليه السلام: «مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان» فإذا كان وجوده من أشراط الساعة فمعجزاته من انشقاق القمر ونحوه تكون كذلك.

يقول الفقير: فإن قلت فكم عمر الدنيا بأسرها وما قول العلماء فيه قلت: اتفقوا على حدوث الدنيا وما قطعوا بشيء في مدتها والذي يلوح لي والله أعلم بحقيقة المدة أنها ثلاثمائة وستون ألف سنة وذلك لأنه قد مثل دور السنبلة بجمعة من جمع الآخرة أي: سبعة أيام وكل يوم من أيام الآخرة ألف سنة كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ [الحج: ٤٧] ولا شك أن بالجمعة أي: الأسبوع يتقدر الشهر وبالشهر تتقدر السنة وعليه يحمل ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة فقد مضى ستة آلاف سنة ومائة سنة وليأتين عليها زمن من سنين ليس عليها من يوحد وقد خاطبت الدنيا آدم عليه السلام فقالت: يا آدم جئت وقد انقضى شبابي يعني انقضى من عمرها ستون ألف سنة تقريباً وهي إجمال ما ذكرنا من المدة ولا شك أن ما بين الستين والسبعين دقاقة الرقاب فآدم إنما جاء إلى الدنيا وقد انقضى عمرها وبقي شيء قليل منها وعلى هذا المعنى يحمل قول من قال إن عمر الدنيا سبعون ألف سنة فاعرف جداً فالساعة مقتربة عند الله وعند الناس لأن كل آت قريب وإن

طالت مدته فكيف إذا قصرت وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦، ٧] فبالنسبة إلى الغافلين المنكرين ولا عبرة بهم والحكمة في ذكر اقتراب الساعة تحذير المكلف وحثه على الطاعة تنبيهاً لعباده على أن الساعة من أعظم الأمور الكونية على خلقه من أهل السمٰاوات والأرض وأما تعيين وقت الساعة فقد انفرد الحق تعالى بعلمه وأخفاه عن عباده لأنه أصلح لهم ولذا كان كل نبي قد أنذر أمته الدجال وفي الحديث: «إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم» والمراد بالكذابين الدجاجلة وهم الأئمة المضلون.

يقول الفقير: لا شك أن إنذار الأنبياء عليهم السلام حقيقة من أمثال هؤلاء الدجاجلة من أممهم إذ لم يخل قرن منهم وإلا فهم يعرفون أن الساعة إنما تقوم بعد ظهور ختم النبيين وختم الأمم وأن الدجال الأعور الكذاب متأخر عن زمانه وإنما يخرج في الألف الثاني بعد المائتين والله أعلم فكل كذاب بين يدي الساعة سواء كان قبل مبعث النبي عليه السلام أو بعده فإنما هو من مقدمات الدجال المعروف كما أن كل أهل صدق من مقدمات المهدي رضي الله عنه ﴿**وانشق القمر**﴾ الانشقاق شكافته شدن. دلت صيغة الماضي على تحقق الانشقاق في زمن النبي عليه السلام ويدل عليه قراءة حذيفة رضي الله عنه وقد انشق القمر أي: اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق وقد خطب حذيفة بالمدائن ثم قال ألا إن الساعة قد اقتربت وأن القمر قد انشق على عهد نبيكم وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه صاحب سر رسول الله عليه السلام كابن مسعود رضي الله عنه وعلى هذا القول عامة الصحابة ومن بعدهم وبه أخذ أكثر المفسرين فلا عبرة بقول من قال إنه سينشق يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق: ١] والتعبير بالماضي للدلالة على تحققه على أنا نقول يجوز أن يكون انشقاقه مرتين: مرة في زمانه عليه السلام إشارة إلى قرب الساعة ومرة يوم القيامة حين انشقاق السماء وفي فتح الباري لابن حجر حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث انتهى وقال الطيبي: أسند أبو إسحاق الزجاج عشرين حديثاً إلا واحداً في تفسيره إلى رسول الله عليه السلام في انشقاق القمر وفي شرح الشريف للمواقف هذا متواتر رواه جمع كثير من الصحابة كابن مسعود وغيره قال سعدي المفتي: فيه أنهم لم يجعلوا حديث: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وقد رواه ستون أو أكثر من الصحابة وفيهم العشرة من المتواتر فكيف يجعل هذا منه انتهى.

يقول الفقير: قد جعل ابن الصلاح ومن تبعه ذلك الحديث أي: حديث من كذب الخ من المتواتر كما في «أصول الحديث» على أنه يجوز أن لا يكون بعض ما رواه جمع كثير من المتواتر لعدم استجماع شرائطه. إمام زاهد رحمه الله: آورده كه شبى ابو جهل وجهودى بحضرت پيغمبر عليه السلام رسيدند ابو جهل كفت أي: محمد آيتي بمن نماى والاسر توبشمشير برميدارم آن حضرت فرمود كه چه ميخواهى ابو جهل بجب وراست نكريست كه چه خواهد كه وقوع آن متعذر باشد يهودى كفت او ساحرست اورا بكوى كه ماه را بشكافد كه سحر درزمين متحقق ميشود وساحر را در آسمان تصرف نيست ابو جهل كفت أي: محمد ماه را براى ما بشكاف آن حضرت انكشت شهادت بر آورد واشارت فرمود ماه رابشكافت في الحال دونيم شد يك نيم برجاى خود قرار كرفت ويكى ديكر جايى ديكر رفت وباز كفت بكوى تاملتئم شود اشارت كرد هردونيمه بهم پيوستند:

شق كشت ماه چارده برلوح سبز چرخ چون خامه دبير ز تيغ بنان او

او العطار قدس سره:

ماه را انكشت او بشكافته مهر ازفرمانش از پس تافته

وفي «المثنوي»:

پس قمركه امر بشنيد وشتافت پس دونيمه كشت برچرخ وشكافت

وقال الجامي:

چومه را بر سرتير اشارت زد از سبابه معجز بشارت

دونون شد ميم دور حلقه ماه چهل راساخت اوشصت از دو پنجاه

بلى چون داشت دستش بر قلم پشت رقم زد خط شق برمه برانكشت

يهودى ايمان آورد وابو جهل لعين كفت چشم ما بسحر رفته است وقمر را منشق بما نموده.

وقال بعض المفسرين: اجتمع بعض صناديد قريش فقالوا: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين ووعدوا الإيمان وكانت ليلة البدر فرفع عليه السلام أصبعه وأمر القمر بأن ينشق نصفين فانفلق فلقتين أي: شقين فلقة ذهبت عن موضع القمر وفلقة بقيت في موضعه وقال ابن مسعود رضي الله عنه: رأيت حراء بين فلقتي القمر فعلى هذا فالنصفان ذهبا جميعاً عن موضع القمر فقال بعضهم: نصف ذهب إلى المشرق ونصف إلى المغرب وأظلمت الدنيا ساعة ثم طلعا والتقيا في وسط السماء كما كان أول مرة فقال عليه السلام: اشهدوا اشهدوا وعند ذلك قال كفار قريش: سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم: إن محمداً إن كان سحر القمر بالنسبة إليكم فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر جميع أهل الأرض فاسألوا من يأتيكم من البلاد هل رأوا هذا. يعني ازجماعت مسافران كه ازاطراف آفاق برسند سؤال كنيد تا ايشان ديده اند يانه. فسألوا أهل الآفاق فأخبروا كلهم بذلك. يعني چون از آينده ورونده پرسيدند همه جواب دادندكه درفلان شب ماه رادونيمه ديديم. وهذا الكلام كما لا يخفى يدل على أنه لم يختص برؤية القمر منشقاً أهل مكة بل رآه كذلك جميع أهل الآفاق وبه يرد قول بعض الملاحدة لو وقع انشقاق القمر لاشترك أهل الأرض كلهم في رؤيته ومعرفته ولم يختص بها أهل مكة ولا يحسن الجواب عنده بأنه طلبه جماعة فاختصت رؤيته بمن اقترح وقوعه ولا بأنه قد يكون القمر حينئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض ولا بقول بعضهم إن انشقاق القمر آية ليلية جرى مع طائفة في جنح ليلة ومعظم الناس نيام كما في «إنسان العيون» وقال في «الأسئلة المقحمة» لا يستبعد اختفاؤه عن قوم دون قوم بسبب غيم أو غيره يمنع من رؤيته أي: فكان انشقاق القمر صحيحاً لكنه لم ينقل بطريق التواتر ولم يشترك فيه العرب والعجم في جميع الأقطار القاصية والدانية ولذا وقع فيه الاختلاف كما وقع في المعراج والرؤية وإلى انشقاق القمر أشار الإمام السبكي في تائيته بقوله:

وبدر الدياجي انشق نصفين عندما أرادت قريش منك إظهار آية

وصاحب القصيدة البردية بقوله أقسمت بالقمر المنشق أن له

من قلبه نسبة مبرورة القسم

يعني لو أقسم أحد أن للقمر المنشق نسبة وشبهاً بقلبه المنشق يكون باراً وصادقاً وصاحب الهمزية بقوله:

شق عن صدره وشق له البدر ومن شرط كل شرط جزاء

أي: شق عن صدره عليه السلام وشق لأجله القمر ليلة أربع عشرة وإنما شق له لأن من شرط كل شرط جزاء لأنه لما شق صدره جوزي على ذلك بأعظم مشابه له في الصورة وهو شق القمر الذي هو من أظهر المعجزات بل أعظمها بعد القرآن. كما قال الصائب:

هر محنتي مقدمه راحتي بود شد همزبان حق چو زبان كليم سوخت

موسى كليم را انفلاق بحر بود ومصطفى حبيب را انشقاق قمربود چه عجب كر بحر برموسى بضرب عصا شكافته شد كه بحر مركوب وملموس است دست آدمي بدو رسد وقصد آدمي بوى اثر دارد اعجوبه مملكت انشقاق قمر است كه عالميان ازدر يافت آن عاجز ودست جن وانس از رسيدن بوى قاصر وبيان شق الصدر أنه قالت حليمة أمه عليه السلام من الرضاعة وهي من بنات بني سعد بن بكر أسلمت مع أولادها وزوجها بعد البعثة لما كان يوم من الأيام خرج محمد مع إخوته من الرضاعة وكان يومئذ ابن خمس سنين على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما فلما انتصف النهار إذا أنا بابني حمزة يعدو وقد علاه العرق باكياً ينادي يا أماه يا أبتاه أدركا أدركا أخي القرشي فما أراكما تلحقانه إلا ميتاً قلت: وما قصته؟ قال: بينا نحن نترامى بالجلة إذا أتاه رجل فاختطفه من بيننا وعلا به ذروة الجبل وشق صدره إلى عانته فما أراه إلا مقتولاً قالت: فأقبلت أنا وزوجي نسعى سعياً فإذا أنا به قاعد على ذروة الجبل شاخص بعينه نحو السماء يتبسم فانكببت عليه وقبلت بين عينيه فقلت له: فداك نفسي ما الذي دهاك؟ قال: خير يا أمه بينا أنا الساعة قائم مع إخوتي نتقاذف بالجملة إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض وفي رواية فأقبل إلي طيران أبيضان كأنهما نسران وفي رواية كركيان والمراد ملكان وهما جبرائيل وميكائيل وفي رواية أتاني ثلاثة رهط أي: وهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل لأن جبريل ملك الوحي الذي به حياة القلوب وميكائيل ملك الرزق الذي به حياة الأجساد وإسرافيل مظهر الحياة مطلقاً في يد أحدهم إبريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمرد أخضر مملوء ثلجاً وهو ثلج اليقين فأخذوني من بين أصحابي وانطلقوا بي إلى ذروة الجبل وفي رواية إلى شفير الوادي فأضجعني بعضهم على الجبل إضجاعاً لطيفاً ثم شق صدري وأنا أنظر إليه فلم أجد لذلك حساً ولا ألماً ثم أدخل يده في جوفي فأخرج أحشاء بطني فغسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها أي: بالغ في غسلها ثم أعادها مكانها وقام الثاني وقال للأول تنح فقد أنجزت ما أمرك الله فدنا مني فأدخل يده في جوفي فانتزع قلبي وشقه باثنين فأخرج منه علقة سوداء فرمى بها وقال: هذا حظ الشيطان أي: محل غمزه ومحل ما يلقيه من الأمور التي لا تنبغي لأن تلك العلقة خلقها الله في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فأزيلت من قلبه وبعض ورثته الكمل يقيء دماً أسود محترقاً من نور التوحيد فيحصل به شرح الصدر وشق القلب أيضاً ولا يلزم من وجود القابل لما يلقيه الشيطان حصول الإلقاء بالفعل قبل هذا الشق فإنه عليه السلام معصوم على كل حال فإن قلت: فلم خلق الله هذا القابل في هذه الذات الشريفة وكان من الممكن أن لا يخلق فيها قلت لأنه من جملة الأجزاء الإنسانية فخلقت تكملة للخلق الإنساني ثم نزعت تكرمة له أي: لأنه لو خلق خالياً عنها لم تظهر تلك الكرامة وفيه أنه يرد على ذلك ولادته عليه السلام من غير قلفة وهي جلدة الذكر التي يقطعها الخاتن وأجيب بالفرق بينهما لأن القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل أحد مع ما يلزم على إزالتها من كشف العورة كان نقص

الخلقة الإنسانية عنها عين الكمال قال عليه السلام: ثم حشا قلبي بشيء كان معه وهو الحكمة والإيمان ورده مكانه ثم ختمه بخاتم من نور يحيا الناظرون دونه وفي رواية أقبل الملك وفي يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه ولا مانع من تعدد الختم فختم القلب لحفظ ما فيه وبين الكتفين مبالغة في حفظ ذلك لأن الصدر وعاؤه القريب وجسده وعاؤه البعيد وخص بين الكتفين لأنه أقرب إليه من القلب من بقية الجسد وهو موضع نفوذ خرطوم إبليس لأن العدو يجيء من وراء ولذا سن الحجامة فيه ثم قال عليه السلام: «أنا الساعة أجد برد الخاتم في عروقي ومفاصلي وقام الثالث فقال: تنحيا فقد أنجزتما ما أمر الله فيه فدنا مني وأمر يده على مفرق صدري إلى منتهى الشق فالتأم وأنا أنظر إليه وكانوا يرونه أثراً كأثر المخيط في صدره وهو أثر مرور يد جبريل ثم أنهضني من الأرض إنهاضاً لطيفاً ثم قال الأول الذي شق صدري: زنه بعشرة من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال: زنه بعشرين فرجحتهم ثم قال: زنه بمائة فرجحتهم ثم قال: زنه بألف فرجحتهم ثم قال: دعه فلو وزنتموه بأمته كلهم لرجحهم».

يقول الفقير: هذا يدل على أنه عليه السلام كما أنه أفضل من كل فرد فرد من أفراد الموجودات فكذا أفضل من المجموع ولا عبرة بقول من قال في كونه أفضل من المجموع توقف لأنه جهل بشأنه العالي وأنه أحدية مجموع الأسماء الإلهية وبرزخيتها فاعرف قال عليه السلام: ثم انكبوا علي وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا: يا حبيباه إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وتركوني قاعداً في مكاني هذا وجعلوا يطيرون حتى دخلوا خلال السماء وأنا أنظر إليهم ولو شئت لأرينك موضع دخولهم.

واعلم أن صدره الشريف شق مراراً مرة لإخراج حظ الشيطان كما مر لأنه لا يليق به وعند مجيء الوحي لتحمل ثقله وعند المعراج لتحمل أسراره ففي شرح الصدر مراراً مزيد تقوية لباطنه وهذا الشرح معنوي لأكامل أمته ولا بد منه في حصول الفيض الإلهي يسره الله لي ولكم ثم إنه بقي هنا معنى آخر كما قاله البعض وهو أن انشقاق القمر مجاز عن وضوح الأمر ولا يبعد أن يحمل بيت «المثنوي» على ذلك وهو:

سايه خواب آرد ترا همچون سمر چون بر آيد شمس انشق القمر

أي وضح الأمر واستبان وذلك لأنه عند اقتراب الساعة ينكشف كل خفي ويظهر كل مستور ويستبين الحق من الباطل من كل وجه ويدل على هذا المعنى قوله عليه السلام: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب» فإن المراد وضوح الأمر في آخر الزمان وظهور حقيقته ولذا يصير الناس بحيث ينكشف لأدنى سالك منهم في مدة قليلة ما لم ينكشف للأمم الماضية في مدة طويلة وذلك لأن الله تعالى قال في حق يوم القيامة ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ [الطارق: ٩] فإذا قرب الزمان من ذلك اليوم يأخذ حكمه فيكون كشف الأمور أكثر والخفايا أظهر وقال البقلي رحمه الله: علم الله انتظار أرواح الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين والأولياء العارفين وجميع الصالحين كشف جماله وقرب وصاله والدخول في جواره فبشرهم الله تعالى بأنه مقرون بقدوم محمد عليه السلام فلما خرج بالنبوة شك فيه المشركون فأراهم الله صدق وعده بانشقاق القمر حتى يعرفوا أن الله تعالى يريد بالعالمين إتيان الساعة التي فيها كشوف العجائب وظهور الغرائب من آيات الله وصفاته وذاته.

وفي «التأويلات النجمية»: اعلم أن الساعة أي: القيامة ساعتان الكبرى وهي عامة بالنسبة

إلى جميع الخلائق وهي التي اقتربت والصغرى وهي خاصة بالنسبة إلى السالكين إلى الله برفع الأوصاف البشرية وقطع العلائق الطبيعية السائرين في الله بالتجلي بالأوصاف الإلهية والأخلاق الربانية الراجعين من الحق إلى الخلق بالبقاء الحقاني بعد الفناء الخلقاني وبالجمع بعد الفرق وهي أعني الساعة الصغرى واقعة اليوم في كل آن ولله تجلي جلالي يفنى وجمالي يبقى وإليه إشارة قوله عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته» فقد انشق قمر قلب السالك عن ظلمة النفس المظلمة باستيلاء نور شمس فلك الروح عليها فلا جرم وقعت الساعة بالنسبة إلى القلب الحي المنور بالنور الإلهي ووقعت القيامة الخاصة الشاملة على الموت والحشر والنشور فافهم ولا تعجب لئلا تكون ممن قال تعالى فيهم ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠﴾ [النجم: ٥٩، ٦٠] والله الموفق والمعين.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾

﴿**وإن يروا**﴾ يعني قريشاً ﴿**آية**﴾ من آيات الله دالة على قدرته وصدق نبوة حبيبه عليه السلام مثل انشقاق القمر ونظائره ومعنى تسمية ما جاءت به الأنبياء معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها ﴿**يعرضوا**﴾ عن التأمل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها فيؤمنوا ﴿**ويقولوا**﴾ هذا ﴿**سحر مستمر**﴾ مطرد دائم يأتي به محمد عليه السلام على ممر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر فالاستمرار بمعنى الاطراد يقال: اطرد الشيء تبع بعضه بعضاً وجرى وهو يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخرى مترادفة حتى قالوا وفيه تأييد أن انشقاق القمر قد وقع لأنه سينشق يوم القيامة كما قاله بعضهم وذلك لأنه لو لم يكن الانشقاق من جنس الآيات لم يكن ذكر هذا القول مناسباً للمقام أو مطرداً بالنسبة إلى جميع الأشخاص والبلاد حيث رأوه منشقاً وقال بعضهم: آن جاد وييست دائم وروندہ از زمين تا بآسمان. ويجوز أن يكون مستمر من المرة بالكسر بمعنى القوة أمررته فاستمر إذا أحكمته فاستحكم فالاستمرار بمعنى الاستحكام أي: قوي مستحكم لا يمكن إزالته أو قوي شديد يعلو كل سحر وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى عن قريب تمنية لأنفسهم وتعليلاً فهو من المرور.

﴿**وكذبوا**﴾ أي: بالنبي عليه السلام وما عاينوه من معجزات التي أظهرها الله على يده ﴿**واتبعوا أهواءهم**﴾ التي زينها الشيطان لهم من رد الحق بعد ظهوره أو كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا: سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحاله ولم يصبه شيء أو أنه خسوف في القمر وظهور شيء من جانب آخر من الجو يشبه نصف القمر فهذه أهواؤهم الباطلة:

بد كمانى لازم بد باطنان افتاده است ... كوشه از خلق جا كردم كمين پنداشتند

وذكرهما بلفظ الماضي أي: بعد يعرضوا ويقولوا بلفظ المستقبل للإشعار بأنهما من عادتهم القديمة وفيه إشارة إلى المحجوبين المستغرقين في بحر الدنيا وشهواتها فإنهم إذا ظهر لهم خاطر رحماني بالإقبال على الله ومتابعة الرسول وترك حب الدنيا ورفع شهواتها يعرضوا عن هذا الخاطر الرحماني وينفوه ولا يلتفتوا إليه ولا يعتبروه بل يزدادوا فيما هم عليه من حب

الدنيا ومتابعة النفس وموافقة الهوى ويرموه بالكذب وربما يرى بعضهم في منامه أنه لبس خرقة الفقراء من خارج ولكن تحتها قميص حرير فهذا يدل على أن تجرده ليس من باطنه فتجرده الظاهري وملاحظة الفناء القشري ليس بنافع له جداً ﴿**وكل أمر مستقر**﴾ أي: وكل أمر من الأمور مستقر أي: منته إلى غاية يستقر عليها لا محالة من جملتها أمر النبي عليه السلام فسيصير إلى غاية يتبين عندها حقيقته وعلو شأنه وإبهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة إلى التصريح به أو كل أمر من أمرهم وأمره عليه السلام مستقر أي: سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا وشقاوة أو سعادة في الآخرة فإن الشيء إذا انتهى إلى غايته ثبت واستقر يعني أن الاستقرار كناية عن ملزومه وهو الانتهاء إلى الغاية فإن عنده يتبين حقيقة كل شيء من الخير والشر والحق والباطل والهوى والحجة وينكشف جلية الحال ويضمحل الشبه والالتباس فإن الحقائق إنما تظهر عند العواقب فهذا وعيد للمشركين ووعد وبشارة للرسول والمؤمنين ونظيره ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنعام: ٦٧] أي: كل نبأ وإن طالت مدته فلا بد أن ينتهي إلى غايته وتنكشف حقيقته من حق وباطل وفي «عين المعاني» وكل أمر وعدهم الله كائن في وقته أي: لا يتغير شيء عن مراد الله ولا يغيره أحد دون الله فهو يمضيه على الخلق في وقته لأنه مستقر لا يزول وفيه إشارة إلى أن أمر محمد الروح وأمر أبي جهل النفس له نهاية وغاية يستقر فيها إما إلى السعادة الأبدية بواسطة التخلق بالأخلاق الإلهية وإما إلى الشقاوة السرمدية بسبب الاتصاف بالصفات البشرية الحيوانية.

﴿**ولقد جاءهم**﴾ أي: وبالله لقد جاء أهل مكة في القرآن ﴿**من الأنباء**﴾ جمع نبأ وهو خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة أي: أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار فاللام عوض عن المضاف إليه وهو حال مما بعده ﴿**ما فيه مزدجر**﴾ أي: ازدجار من تعذيب إن أريد بالأنباء أنباء القرون الخالية أو وعيد إن أريد بها أنباء الآخرة أو موضع ازدجار على أن في تجريدية والمعنى أنه في نفسه موضع ازدجار ومظنة له كقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] أي: هو في نفسه أسوة حسنة وتاء الافتعال تقلب دالاً مع الدال والذال والزاي للتناسب في المخرج أو لتحصيل التناسب فإن التاء مهموسة وهذه الحروف مجهورة يعني أن أصله مزتجر لأنه مفتعل من الزجر قلبت التاء دالاً لأن الزاي حرف مجهور والتاء حرف مهموس والذال تناسب الزاي في الجهر وتناسب التاء في المخرج يقال زجره وازدجره أي: نهاه عن السوء ووعظه غير أن افتعل أبلغ في المعنى من فعل قال الراغب: الزجر طرد بصوت يقال زجرته فانزجر ثم يستعمل في الطرد تارة وفي الصوت تارة وقوله تعالى ﴿**مزدجر**﴾ أي: طرد ومنع عن ارتكاب المأثم.

﴿**حكمة بالغة**﴾ غايتها متناهية في كونها حكمة لا خلل فيها أو قد بلغت الغاية في الإنذار والنهي والموعظة وهو بدل من ما أو خبر لمحذوف وفي «القاموس» الحكمة بالكسر العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن وفي «المفردات» الحكمة إصابة الحق بالعلم والفعل فالحكمة من الله معرفة الأشياء أو إيجادها على غاية الأحكام ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات وإذا وصف القرآن بالحكيم فلتضمنه الحكمة وهي علمية وعملية والحكمة المنطوق بها هي العلوم الشرعية والطريقة والحكمة المسكوت عنها هي أسرار الحقيقة التي لا يطلع عليها علماء

الرسوم والعوام على ما ينبغي فتضرهم أو تهلكهم ﴿**فما تغني النذر**﴾ نفي للإغناء فمفعول تغني محذوف أي: لم تغن النذر شيئاً أو استفهام إنكار فما منصوبة على أنها مفعول مقدم لتغني أي: فأي إغناء تغني النذر إذا خالفوا أو كذبوا أي: لا تنفع كقوله ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] جمع نذير بمعنى المنذر أو مصدر بمعنى الإنذار وفيه إشارة إلى عدم انتفاع النفوس المتمردة بإنذار منذر الروح وإنذار منذر القلب إذ الروح مظهر منذر القرآن والقلب مظهر منذر الحقيقة.

﴿**فتول عنهم**﴾ لعلمك بأن الإنذار لا يؤثر فيهم البتة ولا ينفع فالفاء للسببية وبالفارسية پس روى بكردان از ايشان تا وقت امر بقتال ومنتظر باش جزاى انشانرا ﴿**يوم يدع الداع**﴾ أصله يوم يدعو الداعي بالواو والياء لما حذف الواو من يدعو في التلفظ لاجتماع الساكنين حذفت في الخط أيضاً إتباعاً للفظ وأسقطت الياء من الداعي للاكتفاء بالكسرة تخفيفاً قال بعضهم: حذفت الياء من الداعي مبالغة في التخفيف إجراء لأل مجرى ما عاقبها وهو التنوين فكما يحذف الياء مع التنوين كذلك مع ما عاقبه ويوم منصوب بيخرجون أو باذكر والداعي إسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور قائماً على صخرة بيت المقدس ويدعو الأموات وينادي قائلاً أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء أو أن إسرافيل ينفخ وجبريل يدعو وينادي بذلك وعلى كلا القولين فالدعاء على حقيقته وقال بعضهم: هو مجاز كالأمر في قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] يعني أن الدعاء في البعث والإعادة مثل كن في التكوين والابتداء بأن لا يكون ثمة داع من إسرافيل أو غيره بل يكون الدعاء عبارة عن نفاذ مشيئته وعدم تخلف مراده عن إرادته كما لا يتخلف إجابة دعاء الداعي المطاع.

يقول الفقير: الأولى بقاؤه على حقيقته لأن إسرافيل مظهر الحياة وبيده الصور والله تعالى ربط الأشياء بعضها ببعض وإن كان الكل بإرادته ومشيئته ﴿**إلى شيء نكر**﴾ بضمتين صفة على فعل وقرىء بسكون الكاف وكلاهما بمعنى المنكر أي: منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول يوم القيامة ومنه منكر ونكير لفتاني القبر لأنه لم يعهد عند الميت مثلهما.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾.

﴿**خشعاً أبصارهم**﴾ حال من فاعل ﴿**يخرجون**﴾ والتقديم لأن العامل فعل فعل متصرف أي: يخرجون ﴿**من الأجداث**﴾ جمع جدث محركة وهو القبر أي: من قبورهم حال كونهم أذلة أبصارهم من شدة الهول خاضعة عند رؤية العذاب والخشوع ضراعة وأكثر ما يستعمل فيما يوجد في الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب كما روي «إذا ضرع القلب خشعت الجوارح» وخص الأبصار بالخشوع لأنه فيها أظهر منه في سائر الجوارح وكذلك سائر ما في نفس الإنسان من حياء أو خوف ونحوه إنما يظهر في البصر ﴿**كأنهم جراد**﴾ أي: يشبهن الجراد وهو بالفارسية ملخ. سمي بذلك لجرده الأرض من النبات يقال: أرض مجرودة أي: أكل ما عليها حتى تجردت كما في «المفردات» ﴿**منتشر**﴾ في الكثرة والتموج والتفرق في الأقطار ومثله قوله: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

﴿**مهطعين إلى الداع**﴾ حال أيضاً أي: مسرعين إلى جهة الداعي مادي أعناقهم إليه أو

ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم يقال هطع الرجل إذا أقبل ببصره على الشيء لا يقلع عنه وأهطع إذا مد عنقه وصوب رأسه وأهطع في عدوه إذا أسرع كما في «الجوهري» وفيه إشارة إلى ذلة أبصار النفوس وعلتها فإنها رمدت من حب الدنيا وانطفاء أبصار القلوب عن شواهد الحق وانطماس أبصار الأرواح عن شهود الحق وإلى أن هذه النفوس الرديئة تخرج من قبور صفاتها الرذيلة كالجراد الحريص على أكل زروع مزارع القلب من الأخلاق الروحانية منتشرين في مزارع الروح ومغارس القلب بالفساد والإفساد وترى هذه النفوس الخبيثة مسرعة إلى إجابة داعي الشهوات النفسانية واللذات الجسمانية راغبة إلى دعوته مقبلة على طلبه ﴿**يقول الكافرون**﴾ استئناف وقع جواباً عما نشأ من وصف اليوم بالأهوال وأهله بسوء الحال كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل: يقول الكافرين: ﴿**هذا يوم عسر**﴾ أي: صعب شديد علينا فيمكثون بعد الخروج من القبور واقفين أربعين سنة يقولون: أرحنا من هذا ولو إلى النار ثم يؤمرون بالحساب وفي إسناد القول المذكور إلى الكفار تلويح بأن المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة بل ذلك اليوم يوم يسير لهم ببركة إيمانهم وأعمالهم بل المطهرون المحفوظون الذين ما تدنست بواطنهم بالشبه المضلة ولا ظواهرهم أيضاً بالمخالفات الشرعية آمنون يغبطهم النبيون في الذي هم عليه من الأمن لما هم والنبيون عليه من الخوف على أممهم يعني أن الأنبياء والرسل عليهم السلام يخافون على أممهم للشفقة التي جبلهم الله عليها للخلق فيقولون في ذلك اليوم سلم سلم وإن كان لا يحزنهم الفزع الأكبر لأنهم آمنون من خوف العاقبة وفيه إشارة إلى كفار النفوس اللئيمة يقولون بلسان الحال ولا ينفعهم المقال يوم قيامة اضطرابهم لما رأوا الفضيحة والقطيعة هذا يوم عسر صعب خلاصنا ومناصنا منه لا نجاة لنا ولا منجاة إلا الاستمساك بعروة وثقى الروح والقلب وما يقدرون على ما يقولون لإفساد استعدادهم بيد الأماني الكاذبة واختيار تلك الأماني الفاسدة الدنيوية على المطالب الصالحة الأخروية فعلى العاقل أن يختار الباقي على الفاني ولا يغتر بالأماني بل يجتهد قبل الموت بأسباب الخلاص والنجاة لكي يحصل له في الآخرة النعيم والدرجات وإلا فإذا خرج الوقت من اليد وبقيت اليد صفراً في الغد فلا ينفع الأسف والويل نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الذين أجابوا داعي الله ورسوله وتشرفوا بالعمل بالقرآن وقبوله وييسر لنا الفناء المعنوي قبل الفناء الصوري ويهيىء لنا من أمرنا رشداً فإنا آمنا به ولم نشرك بربنا أحداً وهو المعين في الآخرة والأولى وبيده الأمور رداً وقبولاً.

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾

﴿**كذبت قبلهم قوم نوح**﴾ أي: فعل التكذيب قبل قومك يا محمد قوم نوح أو كذبوا نوحاً فالمفعول محذوف وهو شروع في تعداد بعض الأنباء الموجبة للازدجار وتسلية لرسول الله ﷺ ﴿**فكذبوا عبدنا**﴾ نوحاً تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ﴾ [هود: ٤٥] الخ فالمكذب في المقامين واحد والفاء تفسيرية تفصيلية تعقيبية في الذكر فإن التفصيل يعقب الإجمال وفي ذكره بعنوان العبودية مع الإضافة إلى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه فإن تكذيب عبد السلطان أشنع من تكذيب عبد غيره وفيه إشارة إلى أنه لا شيء أشرف من العبودية فإن الذلة الحقيقية التي يقابلها

مقام الربوبية مختصة بالله تعالى فكذا العبودية مختصة بالعبد وهي المرادة بالتواضع وهي غير التملق فإن التملق لا عبرة به وفي الحديث «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي: ليس الفخر لي بالرسالة وإنما الفخر لي بالعبودية وخصوصاً بالفقر الذي هو الخروج عن الوجود المجازي بالكلية ﴿**وقالوا**﴾ في حقه هو أو قالوا له إنك ﴿**مجنون**﴾ أي: لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الجنون واختلال العقل وهو مبالغة في التكذيب لأن من الكاذبين من يخبر بما يوافق العقل ويقبله والمجنون لا يقول إلا ما لا يقبله العقل ويأباه ﴿**وازدجر**﴾ عطف على قالوا فهو من كلام الله أي: وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية مثل الشتم والضرب والخنق والوعيد بالرجم قال الراغب: وازدجر أي: طرد واستعمال الزجر فيه لصياحهم بالمطرود نحو أن يقال أعزب عني وتنح ووراءك وقيل هو من جملة ما قالوه أي: هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته أي: أفسدته وتصرفت فيه وذهبت بلبه وطارت بقلبه وفيه إشارة إلى أن كل داع حق لا بد وأن يكذب لكثرة أهل البطلان وغلبة أهل البدع والأهواء والطغيان وذلك في كل عصر وزمان وأيضاً قوم نوح الروح وهم النفس الأمارة وصفاتها لا يقبلون دعوته إلى الله لانهماكهم في الشهوات واللذات وصعوبة الفطام عن المألوفات والله المعين في جميع الحالات والمقامات:

اين جهان شهوتي بتخانه ايست انبيا وكافران را لأنه ايست
ليك شهوت بنده پا كان بود زرنسوزد زانكه نقد كان بود
ذلة الأرواح من أشباحها عزة الأشباح من أرواحها
كم نشين براسب توسن بي لكام عقل ودين را پيشوا كن والسلام

﴿**فدعا ربه**﴾ أي: لما زجروا نوحاً عن الدعوة وبلغ مدة التبليغ تسعمائة وخمسين سنة دعا ربه ﴿**أني**﴾ أي: بأني ﴿**مغلوب**﴾ من جهة قومي ما لي قدرة على الانتقام منهم ﴿**فانتصر**﴾ أي: فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتي فقد روي أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشياً فيفيق ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون فلما أذن الله له في الدعاء للإهلاك دعا فأجيب كما قال في الصفات ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الصافات: ٧٥] ﴿**ففتحنا أبواب السماء**﴾ أي: طرقها وبالفارسية پس بكشاديم براى عذاب ايشان درهاء آسمانرا ازطرف مجره كما قال علي رضي الله عنه ﴿**بماء منهمر**﴾ الهمر صب الدمع والماء يقال همره يهمره ويهمره صب فانهمر هو وانهمر أي: انسكب وسال والمعنى بماء كثير منصب انصباباً شديداً كما ينصب من أفواه القرب لم ينقطع أربعين يوماً وكان مثل الثلج بياضاً وبرداً وهو تمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها سواء جعل الباء في قوله بماء للاستعانة وجعل الماء كالآلة لفتح أبواب السماء وهو ظاهر أو للملابسة.

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾.

﴿**وفجرنا الأرض عيوناً**﴾ أي: جعلنا الأرض كلها كأنها عيون منفجرة أي: جارية وكان ماء الأرض مثل الحميم حرارة وأصله وفجرنا عيون الأرض فغير عن المفعولية إلى التمييز قضاء لحق المقام من المبالغة لأن قولنا فجرنا عيون الأرض يكفي في صحة تفجر ما فيها من

العيون ولا مبالغة فيه بخلاف فجرنا الأرض عيوناً فإن معناه فجرنا أجزاء الأرض كلها بجعلها عيون الماء ولا شك في أنه أبلغ ﴿**فالتقى الماء**﴾ أي: ماء السماء وماء الأرض وارتفع على أعلى جبل في الأرض ثمانين ذراعاً والإفراد حيث لم يقل الماآن لتحقيق أن التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد ﴿**على أمر قد قدر**﴾ أي: كائناً على حال قد قدره الله من غير تفاوت أو على حالة قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل من السماء على قدر ما أخرج من الأرض أو على أمر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان فكلمة على على هذا للتعليل.

يقول الفقير: إنما وقع العذاب بالطوفان العام لأن الماء إشارة إلى العلم فلما لم ينتفع بعلم نوح عليه السلام في المدة الطويلة ولم تغرق أرواحهم فيه أخذوا بالماء حتى غرقت أجسادهم وتأثير الطوفان يظهر في كل ثلاثين سنة مرة واحدة لكن على الخفة فيقع مطر كثير ويغرق بعض القرى والبيوت من السيل.

﴿**وحملناه**﴾ أي: نوحاً ومن آمن معه ﴿**على ذات ألواح**﴾ أي: سفينة صاحبة أخشاب عريضة فإن الألواح جمع لوح وهو كل صحيفة عريضة خشباً أو عظماً وكانت سفينة نوح من ساج وهو شجر عظيم ينبت في أرض الهند أو من خشب شمشاد ويقال من الجوز ﴿**ودسر**﴾ ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد بقهر يقال دسره بالرمح.

ـ وروي ـ أنه ليس في العنبر زكاة إنما هو شيء دسره البحر سمي به المسمار لأنه يدسر به منفذه أي: يدفع قال في «عين المعاني» دسرت بها السفينة أي: شدت أو لأنها تدسر أي: تدفع بالدق فقوله ﴿**ذات ألواح ودسر**﴾ صفة للسفينة أقيمت مقامها بأنها يكنى بها عنها كما يكنى عن الإنسان بقولهم هو مستوي القامة عريض الأظفار.

﴿**تجري بأعيننا**﴾ أي: تجري السفينة وتسير بمرأى منا أي: محفوظة بحفظنا ومنه قولهم للمودع عين الله عليك وقيل بأوليائنا يقال مات عين من عيون الله أي: ولي من أوليائه ﴿**جزاء لمن كان كفر**﴾ مفعول له لما ذكر من فتح أبواب السماء وما بعده وكفر من كفران النعمة أي: فعلنا ذلك المذكور أجراً وثواباً لنوح لأنه كان نعمة كفروها فإن كل نبي نعمة من الله على أمته ورحمة أي: نعمة ورحمة فكان نوح نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما حكي أن رجلاً قال للرشيد: الحمد لله عليك فقال: ما معنى هذا الكلام؟ فقال: أنت نعمة حمدت الله عليها.

﴿**ولقد تركناها**﴾ أي: السفينة ﴿**آية**﴾ يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة: أبقاها الله بباقردى من بلاد الجزيرة وقيل على الجودي دهراً طويلاً حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة وكم من سفينة كانت بعد قد صارت رماداً وفي «تفسير أبي الليث» قال بعضهم: يعني أن تلك السفينة كانت باقية على الجبل قريباً من خروج النبي عليه السلام وقيل: بقيت خشبة من سفينة نوح هي في الكعبة الآن وهي ساجة غرست حتى ترعرعت أربعين سنة ثم قطعت فتركت حتى يبست أربعين سنة وقيل: بقي بعض خشبها على الجودي إلى هذه الأوقات.

يقول الفقير: لعل بقاء بعض خشبها لكونها آية وعبرة وإلا فهو ليس بأفضل من أخشاب منبر نبينا ﷺ في المدينة وقد احترقت أو أكلتها الأرضة فاتخذت مشطاً ونحوه مما يتبرك به ألا ترى أن مقام إبراهيم عليه السلام مع كونه حجراً صلداً لم يبق أثره بكثرة مسح الأيدي ثم لم يبق نفسه أيضاً على ما هو الأصح والمعروف بالمقام الآن هو مقام ذلك المقام فاعرف وفي

«عين المعاني» ﴿**ولقد تركناها**﴾ أي: الغرق العام وهو إضمار الآية قبل الذكر كقوله ﴿**إنها تذكرة**﴾ وقال بعضهم: يعني جنس السفينة صارت عبرة لأن الناس لم يعرفوا قبل ذلك سفينة واتخذوا السفن بعد ذلك في البحر فلذلك كانت آية للناس.

يقول الفقير: كيف يعرفونها ولم يكن في الدنيا قبل الطوفان إلا البحر المحيط وذلك أن الله تعالى أمر الأرض بعد الطوفان فابتلعت ماءها وبقي ماء السماء لم تبتلعه الأرض فهذه البحور على وجه الأرض منها وأما البحر المحيط فغير ذلك بل هو جرز عن الأرض حين خلق الله الأرض من زبده وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] أي: العذب والبحور سبعة: منها البحر المحيط وبعضهم لم يعد المحيط منها بل هو غير السبعة وكان نوح عليه السلام نجاراً فجاء جبريل وعلمه صنعة السفينة ﴿**فهل من مدكر**﴾ أي: معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار فيخاف من الله ويترك المعصية وأصله مذتكر على وزن مفتعل من الذكر فأدغمت الذال في التاء ثم قلبت دالاً مشددة.

﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾ استفهام تعظيم وتعجيب أي: كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الإنذار أصله نذري بالياء حذفت اكتفاء بالكسرة وحد العذاب وجمع الإنذارات إشارة إلى غلبة الرحمة لأن الإنذار إشفاق ورحمة فقال: الإنذارات التي هي نعم ورحمة تواترت عليهم فلما لم تنفع وقع العذاب وقعة واحدة فكانت النعم كثيرة والنقمة واحدة.

﴿**ولقد يسرنا القرآن**﴾ الخ جملة قسمية وردت في أواخر القصص الأربع تنبيهاً على أن كل قصة منها مستقبلة بإيجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار أي: وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلنا على لغتهم كما قال ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧] ووشحنا بأنواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد ﴿**للذكر**﴾ أي: للتذكير والاتعاظ [وعن الحسن عن النبي عليه السلام لولا قول الله ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر**﴾ لما أطاقت الألسن أن تتكلم به] ﴿**فهل من مدكر**﴾ إنكار ونفي للمتعظ على أبلغ وجه وآكده حيث يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قرأت على النبي عليه السلام فهل من مذكر بالذال فقال عليه السلام: «فهل من مدكر» بالدال قال في «برهان القرآن» قوله فكيف كان الخ ختم به قصة نوح وعاد وثمود ولوط لما في كل واحدة منها من التخويف والتحذير وما حل بهم فيتعظ به حافظ القرآن وتاليه ويعظ غيره. وفي الآيات إشارة إلى مغلوبية نوح القلب في يد النفس الأمارة بغلبات الصفات البشرية عليه حتى دعا ربه فأجابه الله حتى غلبت صفاته الروحانية النورانية على صفاتها الحيوانية الظلمانية وأفاض من سماء الأرواح العلوية مياه الرأفة والرحمة والكرامة ومن أرض البشرية عيون المعارف والحقائق فأهلك قومه المعبر عنهم بالنفس وصفاتها ونجاه على سفينة صفاته الروحانية وفيه إشارة أخرى وهي أنه إذا زاد الكشف والعيان تستشرف الأرواح على الفناء فيدخلها الله في سفن العصمة ويجريها بشمال العناية وأيضاً أن الأنبياء والأولياء سفن عنايته تعالى يتخلص العباد بهم من الاستغراق في بحار الضلالة وظلمات الشقاوة لأنهم محفوظون بحسن عنايته وعين كلاءته ومن استن بسنتهم نجا من الطغيان والنيران ودخل في جوار الرحمن وفي «المثنوي»:

اينچنين فرمود آن شاه رسل كه منم كشتى درين درياى كل
يا كسى كودر بصيرتهاى من شد خليفه راستى برجاى من
كشتى نوحيم در دريا كه تا رونكردانى ز كشتى اي فتى

نسأل الله سبحانه أن يحفظنا في سفينة الشريعة من الاعتماد على العقل والخيال ويعصمنا من الزيغ والضلال.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿**كذبت عاد**﴾ أي: هوداً عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له روماً للاختصار ومسارعة إلى بيان ما فيه الازدجار من العذاب ﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾ هو لتوجيه قلوب السامعين نحو الإصغاء إلى ما يلقى إليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتهم أو فاسمعوا كيف كان عذابي وإنذاراتي لهم فالنذر جمع نذير بمعنى الإنذار.

﴿**إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً**﴾ استئناف ببيان ما أجمل أولاً وصرصر من الصر وهو البرد أو من صر الباب والقلم أي: صوت أي: أرسلنا وسلطنا عليهم ريحاً باردة أو شديدة الصوت والهبوب وهي ريح الدبور وتقدم تفصيله في فصلت وغيرها ﴿**في يوم نحس**﴾ النحس ضد السعد أي: شؤم ﴿**مستمر**﴾ صفة ليوم أو نحس أي: مستمر شؤمه عليهم أو أبد الدهر فإن الناس يتشاءمون بأربعاء آخر الشهر.

قال ابن الشيخ: واشتهر بين بعض الناس التشاؤم بالأربعاء الذي يكون في آخر الشهر بناء على قوله تعالى: ﴿**في يوم نحس مستمر**﴾ ومعلوم أن ليس المراد أنه نحس على المصلحين بل على المفسدين حيث لم تظهر نحو سنته في حق الأنبياء والمؤمنين وفي «الروضة» الأربعاء مشؤوم عندهم والذي لا يدور وهو آخر أربعاء في الشهر أشأم وعن ابن عباس رضي الله عنهما. يرفعه آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر قال الشاعر:

لقاؤك للمبكر فال سوء ووجهك أربعاء لا يدور

وقيل: يحمد في الأربعاء الاستحمام فإنه يقال يخلط في ذلك اليوم ماء من الجنة مع المياه وكذا يحمد ابتداء الأمور والمعنى مستمر عليهم شؤمه ونحو ستة أزمنة ممتدة إلى أن أهلكهم فاليوم بمعنى الحين وإلا فاليوم الواحد لا يمكن أن يستمر سبع ليال وثمانية أيام والاستمرار على هذين الوجهين بحسب الزمان أو المعنى شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم فالمستمر بمعنى المطرد بالنسبة إلى الأشخاص أو مشتد مرارته أي: بشاعته وكان ابتداؤه يوم الأربعاء آخر الشهر يعني كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء آخر الشهر إلى غروب الأربعاء الآخر.

ـ وروي ـ أنه كان آخر أيامهم الثمانية في العذاب يوم الأربعاء وكان سلخ صفر وهي الحسوم في سورة الحاقة.

﴿**تنزع الناس**﴾ صفة لريحا أي: ريحاً تقلعهم روي أنهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك

بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى وقال مقاتل: تنزع أرواحهم من أجسادهم وقال السهلي: دامت عليهم سبع ليال وثمانية أيام كيلا ينجو منهم أحد ممن في كهف أو سرب فأهلكت من كان ظاهراً بارزاً وانتزعت من البيوت من كان في البيوت أو هدمتها عليهم وأهلكت من كان في الكهوف والأسراب بالجوع والعطش ولذلك قال: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة: ٨] أي: فهل يمكن أن يبقى بعد هذه الثمانية الأيام باقية منهم ﴿**كأنهم أعجاز نخل منقعر**﴾ حال من الناس والإعجاز جمع عجز وعجز الإنسان مؤخره وبه شبه مؤخر غيره ومنه العجز لأنه يؤدي إلى تأخر الأمور والنخل من الجنس الذي يفرق بينه وبين واحده بالتاء واللفظ مفرد لكنه كثيراً ما يسمى جمعاً نظراً إلى المعنى الجنسي والمنقعر المنقلع عن أصله يقال قعرت النخلة قلعتها من أصلها فانقعرت أي: انقلعت وفي «المفردات» منقعر أي: ذاهب في قعر الأرض وإنما أراد تعالى أن هؤلاء اجتثوا كما اجتث النخل الذاهب في قعر الأرض فلم يبق لهم رسم ولا أثر انتهى والمعنى منقلع عن مغارسه قيل شبهوا بإعجاز النخل وهي أصولها بلا فروع لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى أجساداً وجثثاً بلا رؤوس وقال بعضهم: كانت الريح تقلعهم وتصرعهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فيبين الرأس من الجسد وفيه إشارة إلى قوتهم وثباتهم في الأرض فكأنهم بحسب قوتهم وجسامتهم يجعلون أرجلهم غائرة نافزة في الأرض ويقصدون به المقاومة على الريح ثم إن الريح لما صرعتهم فكأنها قلعت أعجاز نخل منقعر وقال أبو الليث: صرعتهم وكبتهم على وجوههم كأنهم أصول نخل منقلعة من الأرض فشبههم لطولهم بالنخل الساقطة قال مقاتل: كان طول كل واحد منهم اثني عشر ذراعاً وقال في رواية الكلبي: كان طول كل واحد منهم سبعين ذراعاً فاستهزأوا حين ذكر لهم الريح فخرجوا إلى الفضاء وضربوا بأرجلهم وغيبوا في الأرض إلى قريب من الركبة فقالوا: قل للريح حتى ترفعنا فجاءت الريح فدخلت تحت الأرض وجعلت ترفع كل اثنين وتضرب أحدهما بالآخر بعدما ترفعهما في الهواء ثم تلقيهما في الأرض والباقون ينظرون إليهما حتى رفعتهم كلهم ثم رمت بالرمل والتراب عليهم وكان يسمع أنينهم من تحت التراب كذا وكذا يوماً وتذكير صفة نخل للنظر إلى اللفظ كما أن تأنيثها في قوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] للنظر إلى المعنى وكذا قوله: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١].

﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾ تهويل لهما وتعجيب من أمرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار كما في «الإرشاد» وقال في «برهان القرآن» أعاد في قصة عاد ﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾ مرتين لأن الأول في الدنيا والثاني في العقبى كما قال في هذه القصة ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ﴾ [فصلت: ١٦] وقيل الأول لتحذيرهم قبل هلاكهم والثاني لتحذير غيرهم بعد هلاكهم انتهى ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾ الكلام فيه كالذي مر فيما سبق وفيه إشارة إلى أهل النفوس الأمارة فإنهم بواسطة انهماكهم في الشهوات الجسمانية احتجبوا عن الله وموائد كرمه فأرسل الله عليهم صرصر ريح أهوائهم الظلمانية وبدعهم الشيطانية في يوم نحوسة الاحتجاب وسلطها عليهم فسقطوا على أرض الهوان والخذلان كأنهم أعجاز نخل منقلع عن تخوم الأرض ساقط على وجه الأرض مثل أجساد جامدة بلا رؤوس نعوذ بالله من تجليات قهره وتسلط عذابه وغضبه في يومه وشهره فعلى العاقل أن يتذكر بهذه الذكرى ويعتبر بهذه الآية الكبرى:

چو بركشته بختى در افتدبه بند | از ونيكبختان بكيرند پند
توپيش از عقوبت در عفو كوب | كه سودى ندارد فغان زير چوب

فلو آمن إيمان يأس أو تاب توبة يأس لم يقبل

فراشو چوبينى در صلح ياز | كه ناكه در توبه كردد فراز
مرو زير باركناه أي: پسر | كه حمال عاجز بود در سفر

كما ورد خفف الحمل فإن العقبة كؤود:

پى نيك مردان ببايد شتافت | كه هركين سعادت طلب كرد يافت
وليكن تودنبال ديوخسى | ندانم كه در صالحان كى رسى

ثم إن سبب هلاك عاد بالريح اعتمادهم على قوتهم والريح أشد الأشياء قوة فاستأصلهم الله بها حتى يحصل الاعتبار لمن بعدهم من القرون فلا يعتمدوا على قواهم وفيه إشارة إلى أن الريح هو الهواء المتحرك فالخلاص من ذلك الهواء إنما هو بترك الهوى ومتابعة الهدى نسأل الله من فضله ذلك.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿**كذبت ثمود بالنذر**﴾ أي: الإنذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح عليه السلام أو بالرسل فإن تكذيب أحدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على الشرائع.

﴿**فقالوا أبشراً منا**﴾ أي: كائناً من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده فأداة الاستفهام داخلة على الفعل وإن كان تقديراً كما هو الأصل ﴿**واحداً**﴾ أي: منفرداً لا تبع له أو واحد من آحادهم لا من أشرافهم وتأخير هذه الصفة عن منا للتنبيه على أن كلاً من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدمت عليه لفاتت هذه النكتة ﴿**نتبعه**﴾ في أمره ﴿**إنا إذاً**﴾ أي: على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن أمة جمة وأيضاً ليس بملك لما كان في اعتقاد الكفرة من التنافي بين الرسالة والبشرية ﴿**لفي ضلال**﴾ عن الصواب ﴿**وسعر**﴾ أي: جنون فإن ذلك بمعزل عن مقتضى العقل وقيل: كان يقول لهم إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر أي: نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا: إن اتبعناك كنا إذن كما تقول:

﴿**أألقي الذكر**﴾ أي: الكتاب والوحي ﴿**عليه من بيننا**﴾ وفينا من هو أحق بذلك والاستفهام للإنكار ومن بيننا حال من ضمير عليه أي: أخص بالرسالة منفرداً من بين آل ثمود والحال أن فيهم من هو أكثر مالاً وأحسن حالاً ﴿**بل هو كذاب أشر**﴾ أي: ليس الأمر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وأشر اسم فاعل مثل فرح بمعنى خود پسند وستيزنده وسبكسار. وبابه علم والأشر التجبر والنشاط يقال فرس أشر إذا كان مرحاً نشيطاً.

﴿**سيعلمون غداً من**﴾ كيست. فهو استفهام ﴿**الكذاب الأشر**﴾ حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعداً له ووعيداً لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والغد اليوم

الذي يلي يومك الذي أنت فيه والمراد به وقت نزول العذاب في الزمان المستقبل لا يوم بعينه ولا يوم القيامة لأن قوله ﴿إنا مرسلو الناقة﴾ استئناف لبيان مبادي الموعود حتماً والمعنى: سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الأشر الذي حمله أشره وبطره على الترفع والتجبر أصالح أم من كذبه وفيه تشريف لصالح حيث إن الله تعالى سلب عنه بنفسه الوصف الذي أسنده إليه من الكذب والأشر فإن معناه لست أنت بكذاب أشر بل هم.

﴿إنا مرسلو الناقة﴾ مخرجوها من الهضبة التي سألوا والهضبة الجبل المنبسط على الأرض أو جبل خلق من صخرة واحدة أو الجبل الطويل الممتنع المنفرد ولا يكون إلا في حمر الجبال كما في «القاموس».

ـ روي ـ أنهم سألوه متعنتين أن يخرج من صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة ناقة حمراء جوفاء وبراء عشراء وهي التي أتت عليها عشرة أشهر من يوم أرسل عليها الفحل فأوحى الله إليه أنا مخرجو الناقة على ما وصفوا ﴿فتنة لهم﴾ أي: امتحاناً فإن المعجزة محنة واختبار إذ بها يتميز المثاب من المعذب ﴿فارتقبهم﴾ فانتظرهم وتبصر ما يصنعون ﴿واصطبر﴾ على أذيتهم صبراً بليغاً.

﴿ونبئهم﴾ أخبرهم ﴿أن الماء قسمة بينهم﴾ مقسوم لها يوم ولهم يوم فالماء قسمة من قبيل تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير وبينهم لتغليب العقلاء ﴿كل شرب﴾ أي: كل نصيب من الماء ونوبة الانتفاع منه ﴿محتضر﴾ يحضره صاحبه في نوبته فليس معنى كون الماء مقسوماً بين القوم والناقة أنه جعل قسمين: قسم لها وقسم لهم بل معناه جعل الشرب بينهم على طريق المناوبة يحضره القوم يوماً وتحضره الناقة يوماً وقسمة الماء إما لأن الناقة عظيمة الخلق ينفر منها حيواناتهم أو لقلة الماء.

﴿فنادوا﴾ پس بخواندند قوم ثمود ﴿صاحبهم﴾ هو قدار بن سالف بضم القاف والدال المهملة وهو مشؤوم آل ثمود ولذا كانت العرب تسمي الجزار قداراً تشبيهاً له بقدار بن سالف لأنه كان عاقر الناقة كما سيجيء وكان قصيراً شريراً أزرق أشقر أحمر وكان يلقب بأحيمر ثمود تصغير أحمر تحقيراً وفي «كشف الأسرار» يقال له أحمر ثمود وقيل أشأم عاد يعني عاداً الآخرة وهي إرم تشاءم به العرب إلى يوم القيامة ومن هذا يظهر الجواب عما قال السجاوندي في «عين المعاني» وقد ذكره زهير في شعره:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

قيل: هو غلط وهو أحمر ثمود انتهى ﴿فتعاطى فعقر﴾ التعاطي مجاز عن الاجتراء لأن التعاطي هو تناول الشيء بتكلف وما يتكلف فيه لا بد أن يكون أمراً هائلاً لا يباشره أحد إلا بالجراءة عليه وبهذا المجاز يظهر وجه التعقيب بالفاء في فعقر وإلا فالعقر لا يتفرع على نفس مباشرة القتل والخوض فيه والعقر بالفارسية پى كردن. يقال عقر البعير والفرس بالسيف فانعقر أي: ضرب به قوائمه وبابه ضرب والمعنى فاجترأ صاحبهم قدار على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة.

قال الكاشفي: محرك عقر ناقه دوزن بودند. عنيزة أم غنم وصدوق بنت المختار وفي التفاسير صدقة بدل صدوق وذلك لما كانت الناقة قد أضرب بمواشيها. پس صدوق ابن عم خود مصدع بن دهررا بوصال خود وعده داد وعنيزه يكى ازدختران خودرا نامزد قدار كرده

وهردو براه كذر ناقه كمين كردند چون ناقه از آب باز كشت اول بمصدع رسيده اوتيرى بيفكندكه پايهاى ناقه بهم دوخت قدار نيزاز كمين كاه بيرون آمده بشمشير ناقه راپى كرد فمعنى فنادوا صاحبهم فنبهوه على مجيئها وقربها من مكمنه أو أنه لما هم بها هابها فناداه أصحابه فشجعوه أو نادى مصدع بعدما رماها بسهم دونك الناقة فاضربها فضربها وچون ازپاى در آمداورا قطعه قطعه كردند وميان قوم منقسم ساختند وبچه او حنوبر آمده سه بانك كرد واز آنجابا سمان رفت وكفتند او نيز كشته شد وبعد ازسه روز عذاب ثمود نازل شد.

﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾ الكلام فيه كالذي مر في صدر قصة عاد.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿**إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة**﴾ هي صيحة جبريل عليه السلام وذلك لأنها هي الجزاء الوفاق لفعلهم فإنهم صاروا سبباً لصيحة الولد بقتل أمه وفي الحديث «لا توله والدة بولدها» أي: لا تجعل والهة وذلك في السبايا بأن يفرق بينها وبين ولدها وفي الحديث «من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة» كما في «المقاصد الحسنة» للسخاوي ﴿**فكانوا**﴾ أي: فصاروا لأجل تلك الصيحة بعد أن كانوا في نضارة وطيب عيش ﴿**كهشيم المحتظر**﴾ الهشم كسر الشيء الرخو كالنبات والهشيم بمعنى المهشوم أي: المكسور وهو اليابس المتكسر من الشجر وغيره والحظر جمع الشيء في حظيرة والمحظور الممنوع والمحتظر بكسر الظاء الذي يعمل الحظيرة ويتخذها قال الجوهري: الحظيرة التي تعمل للإبل من الشجر لتقيها البرد والريح والمعنى: كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة أو كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء.

﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾ وفي الآيات إشارة إلى ثمود النفس الأمارة بالسوء ومعاملتها مع نذير القلب فإنه يدعوها إلى الانسلاخ عن الصفات البشرية والتلبس بالصفات الروحانية وهي تدعي المجانسة معه إذ النفس والروح بل النفس أخت القلب من جانب أيسر البطن وكذا تدعي تقدم رتبتها على القلب وتصرفها في القالب وما يحتوي عليه من القوى البشرية والطبيعية وتأخر رتبة القلب لأنه حصل بعد ازدواج الروح مع النفس فبسبب تقدم رتبة النفس على القلب استنكفت النفس عن اتباعه وامتثال لأوامره وما عرفت أن تقدم الشرف والحسب أعلى وأفضل من تقدم الشرف والنسب ولذا قالت الحكماء توانكرى بهنرست نه بمال وبزركى بعقلست نه بسال وقال بعضهم:

وما ينفع الأصل من هاشم   إذا كانت النفس من باهله

وهي قبيلة عرفت بالدناءة والخساسة جداً فخطأت النفس نذير القلب مع أن الخاطئة نفسها وامتحنته بإخراج الناقة وذلك أن حقيقة النفس واحدة غير متعددة لكن بحسب توارد الصفات المختلفة عليها تسمى بالأسماء المختلفة فإذا توجهت إلى الحق توجهاً كلياً تسمى بالمطمئنة وإذا توجهت إلى الطبيعة البشرية توجهاً كلياً تسمى بالأمارة وإذا توجهت إلى الحق تارة وإلى الطبيعة أخرى تسمى اللوامة فثمود النفس الأمارة طلبت على جهة المكر والاستكبار من صالح رسول القلب المرسل من حضرة الروح أن يظهر ناقة النفس المطمئنة من شاهق جبل

النفس الأمارة بأن يبدل صفتها من الأمارية إلى الاطمئنان، فسأل صالح رسول القلب من حضرة الروح مسؤولها فأجابته إظهاراً للقدرة والحكمة حتى غلبت أنوار الروح وانطمست ظلمة النفس كما ينطمس عند طلوع الشمس ظلام الليل وكان للنفس المطمئنة شرب خاص من المعارف والحقائق كما كان للنفس الأمارة شرب خاص من المشارب الجسمانية فنادى الهوى وأعوانه بعضهم بعضاً باستخلاص النفس الأمارة من استيلاء نور الروح عليها مخافة أن ينغمس الهوى أيضاً تحت هذا النور فتعاطى بعض أصحاب الهوى ذلك وكانت النفس الأمارة ما تمكنت في مقام الاطمئنان تمكناً مستحكماً بحيث لا تتأثر بل كان لها بقية تلوين فقتلوها بإبطال طمأنينتها فرجعت القهقرى فانقهرت النفس والهوى تحت صيحة القهر وصارت متلاشية في حضرة القهر والخذلان محترقة بنار القطيعة والهجران كما قال ﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾ فمن كان أهل الذكر والقرآن أي: الشهود الجمعي يعتبر بهذا الفراق ويجتهد إلى أن يصل إلى نهاية الاطمئنان على الإطلاق فإن النفس وإن تبدلت صفتها الأمارية إلى المطمئنة لا يؤمن مكرها وتبدلها من المطمئنة إلى الأمارية ولو وكلت إلى نفسها طرفة عين لعادت المشؤومة إلى طبعها وجبلتها كما كان حال بلعام وبرصيصا ولذا قال عليه السلام: «لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك».

وقال الجنيد قدس سره: لا تألف النفس الحق أبداً ألا ترى أن الذمي وإن قبل الخراج فإنه لا يألف المسلم إلفة مسلم وفرخ الغراب وإن ربي من الصغر وعلم فإنه لا يخلو من التوحش فالنفس ليست بأهل الاصطناع والمعروف والملاطفة أبداً وإنما شأنها تضييقها ومجاهدتها ورياضتها إلى مفارقة الروح من الجسد. ولذا قال في «المثنوي»:

اندرين ره مى خراش ومى تراش تادم آخر دمى فارغ مباش

ومنه يعلم سر قولهم إن ورد الاستغفار لا يسقط بحال ولذا قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣] مع ظهور الفتح المطلق نسأل الله تعالى أن يجعلنا من العلماء العاملين والأدباء الكاملين بسر النبي الأمين.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿**كذبت قوم لوط بالنذر**﴾ أي: بالإنذارات أو بالمنذرين كما سبق ﴿**إنا أرسلنا عليهم حاصباً**﴾ أي: ريحاً تحصبهم أي: ترميهم بالحصباء وهي حجارة دون ملء الكف فالحصب الرمي بالحصى الصغار ومنه المحصب موضع الجمار وقول عمر رضي الله عنه «حصبوا المسجد» والحاصب اسم فاعل بمعنى رامي الحصباء وتذكيره مع إسناده إلى ضمير الريح وهي مؤنث سماعي لتأويلها بالعذاب.

يقول الفقير: لعل سر تعذيبهم بالحجارة لأنهم حجروا ومنعوا من اللواطة فلم يمتنعوا بل رموا نطفهم إلى غير محل الحرث فرماهم الله بالحجر ومن ثمة ذهب أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أن حكم اللوطي أن يرجم وإن كان غير محصن وأيضاً أنهم يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فإذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان أولى به وأما الريح فلأنهم كانوا يضرطون في مجالسهم علانية ولا يتحاشون وأما انقلاب قراهم فلأنهم كانوا

يقلبون المرد عند اللواطة فجازاهم الله بحسب أعمالهم وأيضاً قلبوا الحقيقة وعكسوها بأن تركوا محل الحرث وأتوا الأدبار ﴿**إلا آل لوط**﴾ وهم أهل بيته الذين نجوا من العذاب وكانوا ثلاثة عشر وقيل يعني لوطاً وابنتيه وفي «كشف الأسرار» يعني بناته ومن آمن به من أزواجهن ﴿**نجيناهم بسحر**﴾ أي: في سحر من الأسحار وهو آخر الليل أو السدس الأخير منه وفي «المفردات» السحر اختلاط ظلام آخر الليل بصفاء النهار وجعل أسماء لذلك الوقت ويجوز أن يكون حالاً أي: ملتبسين بسحر.

ـ روي ـ أن الله أمره حتى خرج بهم بقطع من الليل فجاء العذاب قومه وقت السحر والاستثناء منقطع لأنه مستثنى من الضمير في عليهم وهو للمكذبين من قوم لوط ولا يدخل فيهم آل لوط لأن المراد به من تبعه على دينه.

﴿**نعمة من عندنا**﴾ أي: إنعاماً كائناً منا وهو علة لنجينا ويجوز أن يكون مصدراً من فعله أو من معنى نجيناهم لأن تنجيتهم إنعام. ﴿**كذلك**﴾ أي: مثل ذلك الجزاء العجيب ﴿**نجزي من شكر**﴾ نعمتنا بالإيمان والطاعة يعني كذلك ننجي المؤمنين.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾.

﴿**ولقد أنذرهم**﴾ لوط ﴿**بطشتنا**﴾ أي: أخذتنا الشديدة بالعذاب ﴿**فتماروا**﴾ فكذبوا ﴿**بالنذر**﴾ متشاكين فتماروا ضمن معنى التكذيب فعدى تعديته من المرية وأصله تماريوا على وزن تفاعلوا.

﴿**ولقد راودوه عن ضيفه**﴾ المراودة أن تنازع غيرك في الإرادة فترود غير ما يروده وسبق تحقيقها في سورة يوسف والضيف بالفارسية مهمان والمعنى ولقد أرادوا من لوط تمكينهم ممن أتاه من أضيافه وهم الملائكة في صورة الشبان ومعهم جبريل وقصدوا الفجور بهم ظناً منهم أنهم بشر ﴿**فطمسنا أعينهم**﴾ الطمس المحو واستئصال أثر الشيء أي: فمسحناها وسويناها كسائر الوجه بحيث لم ير لها شق.

ـ روي ـ أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركتهم يترددون لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط والصفق الضرب الذي ليس له صوت ﴿**فذوقوا**﴾ أي: فقلنا لهم على ألسنة الملائكة ذوقوا ﴿**عذابي ونذر**﴾ والمراد به الطمس فإنه من جملة ما أنذروه من العذاب وفيه إشارة إلى أن طمس الأبصار كان من نتائج مسح الأبصار ولذا ورد في القرآن ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤] لأنه أعرض عن ذكر الله ولم يلتفت إليه أصلاً.

﴿**ولقد صبحهم بكرة**﴾ التصبيح بإمداد بنزديك كسى آمدن. أي: جاءهم وقت الصبح ﴿**عذاب**﴾ أي: الخسف والحجارة ﴿**مستقر**﴾ يستقر بهم ويثبت لا يفارقهم حتى يفضي بهم إلى النار يعني عذاب دائم متصل بعذاب الآخرة وفي وصفه بالاستقرار إيماء إلى أن ما قبله من عذاب الطمس ينتهي به والحاصل: أن العذاب الذي هو قلب قريتهم عليهم وجعل أعلاها أسفلها ورميهم بالحجارة غير العذاب الذي نزل بهم من طمس الأعين فإنه عذاب دنيوي غير موصول بعذاب الآخرة وأما عذاب الخسف والحجارة فموصول به لأنهم بهذا العذاب ينتقلون

إلى البرزخ الموصول بالآخرة كما أشار إليه قوله عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته» أي: من حيث اتصال زمان الموت بزمان القيامة كما أن أزمنة الدنيا يتصل بعضها ببعض.

﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾ حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديداً للعذاب.

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ مر ما فيه من الكلام وفيه استئناف للتنبيه والإيقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وكذا تكرير قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن: ١٣] و﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات: ١٥] ونحوهما من الأنباء والقصص والمواعيد والزواجر والقواطع فإن في التكرير تقريراً للمعاني في الأسماع والقلوب وتثبيتاً لها في الصدور وكلما زاد تكرير الشيء وترديده كان أقر له في القلب وأمكن في الصدر وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان وفي القصة إشارة إلى معاملة لوط الروح مع قوم النفس الأمارة ومعاملة الله بهم من إنجاء لوط الروح بسبب صفاته الروحانية وإهلاك قومه بسبب صفاتهم البشرية الطبيعية وكل من غلب عليه الشهوة البهيمية التي هي شهوة الجماع يجب عليه أن يقهر تلك الصفة ويكسرها بأحجار ذكر لا إله إلا الله ويعالج تلك الصفة بضدها وهو العفة التي هي هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة والخمود الذي هو تفريطها فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة بخلاف أهل الشهوة فإن الشهوة حركة للنفس طلباً للملائم وحال النفس إما إفراط أو تفريط فلا بد من إصلاحها من جميع القوى والصفات فإنها هي التي حملت الناس على الفجور وإيقاع الفتنة بينهم وتحريك الشرور:

نمى تازد اين نفس سركش چنان كه عقلش تواند كرفتن عنان

نسأل الله العون والتوفيق والثبات في طريق التحقيق.

﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بالنذر أي: وبالله لقد جاءهم الإنذارات من جهة موسى وهٰرون عليهما السلام كأنه قيل: فماذا فعلوا حينئذ؟ فقيل:

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ يعني الآيات التسع وهي اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وحل عقدة من لسانه وانفلاق البحر ﴿فأخذناهم﴾ بالعذاب عند التكذيب ﴿أخذ عزيز﴾ لا يغالب يعني كرفتن غالبي كه مغلوب نكردد در كرفتن ﴿مقتدر﴾ لا يعجزه شيء والمقصود أن الله تعالى هو العزيز المقتدر ولذا أخذهم بتكذيبهم ولم يمنعه من ذلك مانع والمراد بالعذاب هو الإغراق في بحر القلزم أو النيل.

يقول الفقير: لعل سر الغرق أن فرعون وصل إلى موسى بسبب الماء الذي ساقه إليه في تابوته فلم يشكر لا نعمة الماء ولا نعمة موسى فانقلب الحال عليه بضد ذلك حيث أهلكه الله وقومه بالماء الذي هو سبب الحياة لغيرهم ووجه إدخال الطمس في العذاب بالنسبة إلى قوم لوط ودرج الطوفان ونحوه في الآيات بالإضافة إلى آل لوط ظاهر لأن المقصود هو العذاب المتعلق بالوجود والطمس كذلك دون بعض آيات فرعون.

﴿أكفاركم﴾ يا معشر العرب ﴿خير﴾ عند الله قوة وشدة وعدد وعدة ﴿من أولئكم﴾ الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون والمعنى أنه أصابهم ما أصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الأمور فهل تطمعون أن لا يصيبكم مثل ذلك وأنتم شر منهم مكاناً وأسوء حالاً ﴿أم لكم براءة في الزبر﴾ إضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر إلى التبكيت بوجه آخر أي: بل ألكم براءة وأمن من عذاب الله بمقابلة كفركم ومعاصيكم نازلة في الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما أنتم عليه وتأمنون بتلك البراءة والمعنى به الإنكار يعني لم ينزل لكم في الكتب السماوية أن من كفر منكم فهو في أمن من عذاب الله.

﴿أم يقولون﴾ جهلاً منهم ﴿نحن جميع منتصر﴾ تبكيت والالتفات للإيذان باقتضاء حالهم للإعراض عنهم وإسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم يقال نصره من عدوه فانتصر أي: منعه فامتنع أي: بل أيقولون واثقين بشوكتهم نحن أولو حزم ورأي أمرنا مجتمع لا نرام ولا نضام أو منتصر من الأعداء منتقم لا نغلب أو متناصر بنصر بعضنا بعضاً على أن يكون افتعل بمعنى تفعل كاختصم والإفراد في منتصر باعتبار لفظ الجميع قال أبو جهل وقد ركب يوم بدر فرساً كميتاً كان يعلفه كل يوم فرقاً من ذرة وقد حلف أنه يقتل محمداً ﷺ نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فقتلوه يومئذ وجر رأسه إلى رسول الله ابن مسعود رضي الله عنه وفيه إشارة إلى كفار صفات النفس واختلاف أنواعها مثل البهيمية والسبعية والشيطانية والهوائية والحيوانية وتناصر بعضها بنصر بعض وتعاون بعض بمعاونة بعض.

﴿سيهزم الجمع﴾ رد وإبطال لذلك والسين للتأكيد أي: سيهزم جمع قريش البتة ﴿ويولون الدبر﴾ أي: الأدبار والتوحيد لإرادة الجنس يعني ينصرفون عن الحرب منهزمين وينصر الله رسوله والمؤمنين وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾: كنت لا أدري أي جمع فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله عليه السلام يلبس الدرع ويقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» فعرفت تأويلها وهذا من معجزات رسول الله عليه السلام لأنه أخبر عن غيب فكان كما أخبر قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين نزول هذه الآية وبين يوم بدر سبع سنين فالآية على هذا مكية.

﴿بل الساعة موعدهم﴾ أي: ليس هذا تمام عقوبتهم بل القيامة موعد أصل عذابهم وهذا من طلائعه ﴿والساعة﴾ إظهارها في موقع إضمارها لتربية تهويلها ﴿أدهى﴾ أعظم داهية وفي أقصى غاية من الفظاعة والداهية الأمر الفظيع لا يهتدى إلى الخلاص منه ﴿وأمر﴾ أشد مرارة وفي أقصى نهاية من المرارة وحاصله: أن موقف القيامة أهول من موقف بدر وعذابها أشد وأعظم من عذابه لأن عذاب الدنيا مثل الأسر والقتل والهزيمة ونحوها أنموذج من عذاب الآخرة كما أن نارها جزء من سبعين جزء من نارها.

﴿إن المجرمين﴾ أي: المشركين من الأولين والآخرين ﴿في ضلال وسعر﴾ أي: في هلاك ونيران مسعرة والتسعير آتش نيك آفروختن وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾﴾.

﴿يوم يسحبون﴾ منصوب إما بما يفهم من قوله في ضلال أي: كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون ﴿في النار على وجوههم﴾ وإما بقوله مقدر بعده أي: يوم يسحبون يقال لهم: ﴿ذوقوا مس سقر﴾ سقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف وقيل: اسم لطبقتها الخامسة من سقرته النار إذا بوخته أي: غيرته والمس كاللمس وهو إدراك بظاهر البشرة والمعنى قاسوا حرها وألمها فإن مسها سبب للتألم بها فمس سقر مجاز عن ألمها بعلاقة السببية وفي «القاموس» ذوقوا مس سقر أي: أول ما ينالكم منها كقولك وجد مس الحمى انتهى وعن النبي ﷺ: «أول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل استشهد أتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت في سبيلك حتى استشهدت قال: كذبت إنما أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل فأمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها فقال: تعلمت العلم وقرأت القرآن وعملت قال: كذبت إنما أردت فلان عالم وفلان قارىء فقد قيل، فأمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل آتاه الله تعالى من أنواع المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها؟ قال: ما تركت من شيء يجب أن ينفق فيه لك قال: كذبت إنما أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل فأمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار» وعن عطاء السلمي قال: خرجت يوماً مع أصحابي نستسقي فلقيني سعدون فقال: يا عطاء هل خرجتم بقلوب سماوية أو بقلوب أرضية قلت: بل بقلوب سماوية فقال: يا عطاء لا تتعوج فإن الناقد بصير فخجلت منه فلما دعونا ولم نمطر قلت له: ادع الله حتى يسقينا فرفع رأسه إلى السماء فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال: بحرمة ما كان بيني وبينك البارحة أن تسقينا فلم يفرغ من كلامه حتى مطرنا ثم بكى ورجع والكلام في تصحيح النية وتطهير القلب عن الغير والإخلاص لله تعالى ومن بقي في صفات نفسه وأعرض عن الحق وأقبل على الدنيا وشهواتها فهو يجر في نار جهنم البعد والطرد ويذوق حر نار الهجران والخذلان.

﴿إنا كل شيء﴾ من الأشياء وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده ﴿خلقناه﴾ حال كون ذلك الشيء ملتبساً ﴿بقدر﴾ متعين اقتضته الحكمة التي عليها يدور أمر التكوين فقدر بمعنى التقدير وهو تسوية صورته وشكله وصفاته الظاهرة والباطنة على مقدار مخصوص اقتضته الحكمة وترتبت عليه المنفعة المنوطة بخلقه أو خلقناه مقدراً مكتوباً في اللوح قبل وقوعه لا يغير ولا يبدل. مصرع:

قضى الله أمراً وجف القلم ... سر بر خط لوح ازلي دار وخموش

كز هرچه قلم رفته قلم در نكشند

فالمراد بالقدر: تقديره في علمه الأزلي وكتبه في اللوح المحفوظ وهو القدر المستعمل في جنب القضاء فالقضاء وجود جميع المخلوقات في اللوح المحفوظ مجتمعة والقدر وجودها في الأعيان بعد حصول شرائطها ولذا عبر بالخلق فإنه إنما يتعلق بالوجود الظاهري في الوقت المعين وفي الحديث: «كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء» وعنه عليه السلام: «كل شيء بقدر الله حتى العجز والكيس» وعنه عليه السلام: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره» أي: حلوه ومره قال في «كشف

الأسرار»: مذهب أهل سنت آنست كه نيكى وبدى هرچند فعل بنده است وبنده بدان مثاب ومعاقب است اما بخواست الله است وبقضا وتقدير أو چنانكه رب العزة كفت ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] وقال تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ وقال عليه السلام: «القدر خيره وشره من الله» ففي الآية رد على القدرية والمعتزلة والخوارج.

وفي «التأويلات النجمية»: خلقنا كل شيء أي: موجود علمي وعيني في الأزل بمقدار معين مثل ما قال ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] أي: كل شيء مخلوق على مقتضى استعداده الذاتي وقابليته الأصلية الأزلية لا زائد فيه ولا ناقص كما قال الغزالي رحمه الله: ليس في الإمكان أبدع من هذا الوجود لأنه لو كان ولم يظهر لكان بخيلاً وهو جواد ولكان عاجزاً وهو قادر.

﴿وما أمرنا﴾ لشيء نريد تكوينه ﴿إلا واحدة﴾ أي: كلمة واحدة لا تثنى سريعة التكوين وهو قوله تعالى: ﴿كُن﴾ [البقرة: ١١٧، وغيرها] أو إلا فعلة واحدة وهو الإيجاد بلا معالجة ومعاناة ﴿كلمح البصر﴾ في اليسر والسرعة فإن اللمح النظر بالعجلة فمعنى كلمح كنظر سريع قال في «القاموس» لمح إليه كمنع اختلس النظر كألمح وفي «المفردات» اللمح لمعان البرق ورأيته لمحة برق قال ابن الشيخ: لما اشتملت الآيات السابقة على وعيد كفار أهل مكة بالإهلاك عاجلاً وآجلاً والوعد للمؤمنين بالانتصار منهم جيء بقوله: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ تأكيداً للوعيد والوعد يعني أن هذا الوعيد والوعد حق وصدق والموعود مثبت في اللوح مقدر عند الله لا يزيد ولا ينقص وذلك على الله يسير لأن قضاءه في خلقه أسرع من لمح البصر وقيل: معنى الآية معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧] قال بعض الكبار: ليس المراد بكلمة كن حرف الكاف والنون إنما المراد بها المعنى الذي به كان ظهور الأشياء فكن حجاب للمعنى لمن فهم وكل إنسان له في باطنه قوة كن وما له في ظاهره إلا المعتاد وفي الآخرة يكون حكم كن منه في الظاهر وقد يعطي الله ذلك لبعض الرجال في هذه الدار بحكم الإرث لرسول الله ﷺ فإنه تصرف بها في عدة مواطن: منها قوله في غزوة تبوك «كن أبا ذر» فكان أبا ذر ثم لا يخفى أنه لم يعط أحد من الملائكة وغيرهم حرف كن إنما هي خاصة بالإنسان لما انطوى عليه من الخلافة والنيابة.

وفي «التأويلات النجمية» وما أمر تجلينا للأشياء كلها علويها وسفليها ألا تجعل واحد أي: واحداني الوصف لا كثرة فيه لكن يتكثر بحسب المتجلى له ويظهر فيه بحسبه ظهور الصورة الواحدة في المرائي المتكثرة يظهر في الكبير كبيراً وفي الصغير صغيراً وفي المستطيل مستطيلاً وفي مستدير مستديراً والصورة على حالتها المخلوقة عليها باقية لا تغير ولا تبدل بها كما يلمح الناظر ويرى في اللمحة الواحدة ما يحاذي بصره.

﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أي: أشباهكم في الكفر من الأمم جمع شيعة وهو من يتقوى به الإنسان وينشر عنه كما في «المفردات» وقال في «القاموس»: شيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره والفرقة على حدة ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ﴿فهل من مدكر﴾ متعظ يتعظ بذلك فيخاف وفيه إشارة إلى أنا بقدرتنا الأزلية وحكمتنا البالغة أهلكنا وأفنينا أشباهكم وأمثالكم يا أرباب النفوس الأمارة ويا أصحاب القلوب الجوالة إما بالموت الطبيعي وإما بالموت الإرادي فهل من معتبر يعتبر هذا وهذا يختار لنفسه الأليق والأحرى.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾.

﴿وكل شيء فعلوه﴾ من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل ﴿في الزبر﴾ أي: في ديوان الحفظة جمع زبور بمعنى الكتاب فهو بمعنى مزبور كالكتاب بمعنى مكتوب وقال الغزالي رحمه الله: كل شيء فعله الأمم في كتب أنبيائهم المنزلة عليهم كأفعال كفار زماننا في كتابنا.

﴿وكل صغير وكبير﴾ من الأعمال ﴿مستطر﴾ مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله يقال: استطره كتبه كما في «القاموس» قال يحيى بن معاذ رحمه الله: من علم أن أفعاله تعرض عليه في مشهد الصدق وأنه مجازى عليها اجتهد في إصلاح أفعاله وإخلاص أعماله ولزم الاستغفار لما سلف من إفراطه وقد روي أن النبي عليه السلام ضرب لصغائر الذنوب مثلاً فقال: إنما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض وحضر صنيع القوم فانطلق كل واحد منهم بحطب فجعل الرجل يجيء بالعود والآخر بالعود حتى جمعوا سواداً وأججوا ناراً فشووا خبزهم وإن الذنب الصغير يجتمع على صاحبه فيهلكه إلا أن يغفر الله اتقوا محقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً» ولقد أحسن من قال:

خل الذنوب صغيرها ... وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق را ... ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة ... إن الجبال من الحصى

﴿إن المتقين﴾ أي: من الكفر والمعاصي ﴿في جنات﴾ أي: بساتين عظيمة الشأن بحيث لا يوصف نعيمها وما أعد فيها لأهلها ﴿ونهر﴾ أي: أنهار كذلك يعني أنهار الماء والخمر والعسل واللبن والأفراد للأكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل ﴿في مقعد صدق﴾ خبر بعد خبر وهو من إضافة والصدق بمعنى الجودة والمعنى في مكان مرضي ومجلس حق سالم من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقلّ أن سلمت من ذلك ﴿عند مليك﴾ المراد من العندية قرب المنزلة والمكانة دون قرب المكان والمسافة والمليك أبلغ من المالك وهو بالفارسية پادشاه. والتنكير للتعظيم والمعنى حال كونهم مقربين عند عزيز الملك واسعه لا يقادر قدر ملكه فلا شيء إلا وهو تحت ملكوته فأي منزلة أكرم من تلك وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها ﴿مقتدر﴾ قادر لا يعجزه شيء عال أمره في الاقتدار.

وفي «التأويلات النجمية» يعني المتقين بالله عما سواه في جنات الوصلة وأنهار مياه المعرفة والحكمة ينغمسون فيها ويخرجون منها درر المعارف ولآلىء العوارف في مقعد صدق هو مقام الوحدة الذاتية في مقام العندية كما قال عليه السلام: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» ودر كشف الأسرار آورده كه كلمه عند رقم تقريب وتخصيص دارد يعني أهل قرب فردادران سرايدان اختصاص خواهند داشت وحضرت پيغمبر عليه السلام امروز درين سرا مخصوص بآن بوده كه «أبيت عند ربي» وچون رتبه كه فردا خواص بآن نازند امروز پاى ادناى وى بوده پس از مرتبه اعلاى فرداى اوكه نشان تواند داد:

أي محرم سر لا يزالي ... مرآت جمال ذي الجلالي
مهمان ابيت عند ربي ... صاحب دل لا ينام قلبي

از قـربـت حـضـرت الـهـي هـسـتـى بـمـشـابـه كـه خـواهـى
قـربـى عـبـارتـش نـسـنـجـد در حـوصـلـه خـرد نـكـنـجـد
كـم كـشـتـه بـود عـبـارت آنـجـا بـلـكـه نـرسـد عـبـارت آنـجـا

وفي الآية إشارة إلى أن التقوى توصل العبد إلى جنات الدرجات وأنهار العلوم والمعارف الحقيقية الإلهية ثم إلى مقام الصديقين ثم إلى مقام الوحدة الذاتية المشار إليها بالعندية قال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: مدح الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق وهو المقام الذي يصدق الله فيه وعده لأوليائه بأن يبيح لهم النظر إلى وجهه الكريم قيمت وعز آن بقعه نه بمرغ بريان وجوى روان وحيرات حسان است بلكه بديدار چنانكه قيمت صدف بدر شاهوار كما قيل:

ومـا عـهـدي بـحـب تـراب أرض ولـكـن مـن يـحـل بـهـا حـبـيـب

أي خوشا عيشا كه مؤمنا نراست دران مجلس انس وحظيره قدس باديه انتظار بريده بكعبه وصال رسيده خلعت رضا پوشيده شربت سرور ازچشمه وفانوشيده عيش بى عتاب ونعمت بي حساب وديدار بى حجاب يافته.

ـ روى ـ صالح بن حبان عن عبد الله بن بريدة أنه قال في هذه الآية: إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار تعالى فيقرؤون عليه القرآن وقد جلس كل امرىء منهم مجلسه الذي له ومجلسي على منابر الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة بأعمالهم فلم تقر أعينهم بشيء قط كما تقر أعينهم بذلك ولم يسمعوا شيئاً أعظم ولا أحسن منه ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد قال بعضهم: المراد بمن في الآية هم الذين لا تحجبهم الجنة ولا النعيم ولا شيء عنه تعالى قال البقلي: يا أخي هؤلاء غرباء الله في الدنيا والآخرة أدخلهم في أغرب المنازل وهو مقام المجالسة معه بحيث لا يطلع عليه إلا أهل الصدق في طلبه وهم فقراء المعرفة الذين قال عليه السلام فيهم «الفقراء جلساء الله». سئل أبو يزيد البسطامي قدس سره عن الغريب قال: الغريب من إذا طالبه الخلق في الدنيا لم يجدوه ولو طالبه مالك في النار لم يجده ولو طالبه رضوان في الجنة لم يجده فقيل: أين يكون يا أبا يزيد؟ فقال: إن المتقين في جنات الخ فلا بد من الصدق وخدمة الصادقين حتى يصل الإنسان إلى هذا المطلب الجليل وهو على وجوه ومراتب أما الصدق في القول فبصون اللسان عن الكذب الذي هو أقبح الذنوب قال عليه السلام: «التجار هم الكفار» فقيل: .أليس الله قد أحل البيع؟ قال: «نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون» وقال عليه السلام: «الكذب ينقص الرزق» وفي الحديث: «أربع من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر» وأما الصدق في الحال فبصون الحال عما ينقصه مثلاً إذا عزم على أمر وحال من التسليم والتوكل وغيرهما فصدقه بالاستمرار على عزيمته والاحتراز عن النقض وأهل السلوك يهتمون في صدق الحال أشد الاهتمام.

ـ روي ـ أن واحداً منهم كان كثير الوجد والزعقات فجاء يوماً وأودع خرقته عند الشيخ في الحرم الشريف وقال: إن صيحتي الآن لامرأة عشقتها فأنا لا أريد أن أكون كاذباً في حالي بأن ألبس لباس العشاق وأنا على تلك الحال ثم إنه بعد أيام جاء وأخذ خرقته وقال: الحمد لله الذي خلصني منها وعدت إلى حالي ومن قبيل الصدق في الحال صدق لمريد في إرادته فإنه إذا

وقع منه حركة مخالفة لإرادة الشيخ فهو كاذب في إرادته فإن المريد من أفنى إرادته في إرادة الشيخ ففي أي مرتبة من القال والحال وجد الصدق كان سبب النجاة وباعثاً لرفع الدرجات.

قال الشاعر:

سيعطي الصادقين بفضل صدق نجاة في الحياة وفي الممات

وسبب هذا الشعر أن ثلاثة إخوة من الشام كانوا يغزون فأسرهم الروم مرة فقال لهم الملك: إني أجعلكم ملوكاً وأزوجكم بناتي إن قبلتم النصرانية فأبوا وقالوا: يا محمداه فأدخل اثنين في الزيت المغلي وأخذ الثالث علج وسلط عليه ابنته وكانت من أجمل النساء فأخذ الشاب في صيام النهار وقيام الليل فآمنت البنت وخرجا إلى الشام فجاء أخواه الشهيدان مع الملائكة ليلة وزوجاه المرأة وسألهما أخوهما عن حالهما فقالا: ما كانت إلا التي رأيت حتى دخلنا في الفردوس وإن الله تعالى أرسلنا إليك نشهد تزويجك بهذه الفتاة وكانا مشهورين بالشام حتى قال الشعراء فيهما أبياتاً منها ما ذكرناه.

ـ وروى ـ جنيد البغدادي قدس سره عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال: الصوف ثلاثة أحرف فالصاد صدق وصبر وصفاء والواو ود وورد ووفاء والفاء فقر وفرد وفناء فإذا لم توجد هذه الصفات فيه لا يكون صوفياً قال سهل رحمه الله: أول خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم وسئل فتح الموصلي رحمه الله عن الصادق فأدخل يده في كير الحديد وأخرج حديدة محماة ووضعها في كفه وقال: هذا هو الصدق قال جنيد البغدادي رحمه الله: الصادق ينقلب في اليوم أربعين مرة والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة وذلك لأن مطلب العارفين من الله الصدق والعبودية والقيام بحق الربوبية من غير مراعاة حظ النفس وكل من عداهم من العابد والزاهد والعالم لا يفارقون الحظوظ والأغراض نسأل الله العافية.

تمت سورة القمر بعون خالق القوى والقدر في العشر الثالث من العشر الثالث من شوال المنتظم في سلك شهور سنة أربع عشرة ومائة وألف

٥٥ ـ سورة الرحمن

وتسمى عروس القرآن مكية أو مدنية وآيها ست أو سبع أو ثمان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ ﴾.

﴿**الرحمن**﴾ مبتدأ خبره ما بعده أي: الذي له الرحمة الكاملة كما جاء في بعض الدعاء رحمان الدنيا ورحيم الآخرة لأنه عم الرزق في الدنيا كما قيل:

أديم زمين سفره عام اوست   برين خوان يغما چه دشمن چه دوست

وخص المؤمنين بالعفو في الآخرة وبالفارسية خداوند بخشايش بسياركه رحمت او همه چيز را رسيده. والرحمة في الحقيقة العفو والحنو أعني الميل الروحاني ومنه الرحم لانعطافها الحسي على ما فيها وأريد بها بالنسبة إلى الله تعالى إرادة الخير أو الإنعام لأن عطف على أحد أصابه بأحدهما قال الإمام الغزالي رحمه الله: الرحمن هو العطوف على العباد بالإيجاد أولاً وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانياً والإسعاد بالآخرة ثالثاً والإنعام بالنظر إلى وجه الكريم رابعاً انتهى. ولما كانت هذه السورة الكاملة شاملة لتعداد النعم الدنيوية والأخروية والجسمانية والروحانية طرزها بطراز اسم الرحمن الذي هو اسم الذات المشتمل على جميع الأسماء والصفات ليسند إليه النعم المختلفة بعده ولما كان القرآن أعظم النعم شأناً لأنه مدار جميع السعادات ولذا قال عليه السلام: «أشراف أمتي حملة القرآن» أي: ملازمو قراءته وأصحاب الليل وقال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وفيه جميع حقائق الكتب السماوية وكان تعليمه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها بدأ به فقال:

﴿**علم**﴾ محمداً ﷺ ﴿**القرآن**﴾ بواسطة جبريل عليه السلام وبواسطة محمد عليه السلام غيره من الأمة. قال الكاشفي: يعني آسان كردانيده مراورا آموختن وديكر انرا آموزانيدن. قال ابن عطاء رحمه الله: لما قال الله تعالى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] أراد أن يخص أمة محمد بخاصة مثله فقال: ﴿**الرحمن علم القرآن**﴾ أي: الذي علم آدم الأسماء وفضله بها على الملائكة هو الذي علمكم القرآن وفضلكم به على سائر الأمم فقيل له: متى علمهم؟ قال: علمهم حقيقة في الأزل وأظهر لهم تعليمه وقت الإيجاد وفيه إشارة إلى أن تعليم القرآن وإن كان في الصورة بواسطة جبريل من الوجه العام لكنه كان بلا واسطة في المعنى من الوجه الخاص على ما سيزيد وضوحاً في محله إن شاء الله تعالى وقال بعضهم: ﴿**علم القرآن**﴾ أي: أعطى الاستعداد الكامل في الأزل لجميع المستعدين ولذلك قال: علم القرآن ولم يقل علم

الفرقان كما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الفرقان: ١] فإن الكلام الإلهي قرآن باعتبار الجمع والبداية وفرقان باعتبار الفرق والنهاية فهو بهذا المعنى لا يتوقف على خلق الإنسان وظهوره في هذا العالم وإنما الموقوف عليه تعليم البيان ولذا قدم تعليم القرآن على خلق الإنسان وخلقه على تعليم البيان انتهى وفي الآية إشارة إلى أن التعليم والتسهيل إنما هو من الله تعالى لا من المعلمين والحافظين وقد علم آدم الأسماء ووفقه لتعلمها وسهله بإذنه وعلم داود صنعة الدرع كما قال ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] وعلم عيسى علم الطب كما قال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ٤٨] وعلم الخضر العلم اللدني كما قال: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] وعلم نبينا عليه السلام القرآن وأسرار الألوهية كما قال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣] وعلم الإنسان البيان قال في «فتح الرحمن»: ومن الدليل على أن القرآن غير مخلوق إن الله تعالى ذكره في كتابه العزيز في أربعة وخمسين موضعاً ما فيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق ولا أشار إليه وذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعاً كلها يدل على خلقه وقد اقترنا في هذه السورة على هذا النحو قاله المولى أبو السعود رحمه الله ثم قال:

﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ تبييناً للمعلم وكيفية التعليم والمراد بخلق الإنسان إنشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير قال الراغب: البيان الكشف عن الشيء وهو أعم من النطق لأن النطق مختص بالإنسان وسمي الكلام بياناً لكشفه عن المعنى المقصود وإظهاره انتهى وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الإنسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره أيضاً إذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والمراد به جنس الإنسان الشامل لجميع أصنافه وأفراده وفي «بحر العلوم» ﴿خلق الإنسان﴾ أي: آدم وعلمه الأسماء واللغات كلها وكان آدم يتكلم بسبعمائة ألف لغة أفضلها العربية انتهى.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى أن الله تعالى قد تكلم بجميع اللغات سواء كان التعليم بواسطة أم لا فإن قلت: كيف يتكلم الله باللغات المختلفة والكلام النفسي عار عن جميع الأكسية قلت: نعم ولكنه في مراتب التنزلات والاسترسالات لا بد له من الكسوة فالعربية مثلاً كسوة عارضة بالنسبة إلى الكلام في نفسه وقد ذقنا في أنفسنا أنه يجيء الإلهام والخطاب تارة باللفظ العربي وأخرى بالفارسي وبالتركي مع كونه بلا واسطة ملك لأن الأخذ عن الله لا ينقطع إلا يوم القيامة وذلك بلا واسطة وإن كان الغالب وساطة الملك من حيث لا يرى فاعرف ذلك.

﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ مبتدأ وخبر والحسبان بالضم مصدر بمعنى الحساب كالغفران والرجحان يقال حسبه عده وبابه نصر حساباً بالكسر وحسباناً بالضم وأما الحسبان بالكسر فبمعنى الظن من حسب بالكسر بمعنى ظن والمعنى يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية ويختلف الفصول والأوقات ويعلم السنون والحساب فالسنة القمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً والشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم أو أقل وفيه إشارة إلى شمس فلك البروج وقمر كرة القلب سيرانهما في بروج التجليات الذاتية ومنازل التجليات الأسمائية والصفاتية وكل ذلك السيران بحسب استعداد كل واحد منهما بحساب معلوم وأمر مقسوم.

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠﴾

﴿والنجم﴾ أي: النبات الذي ينجم أي: يطلع من الأرض ولا ساق له مثل الكرم والقرع ونحو ذلك ﴿والشجر﴾ الذي له ساق وفي «المنتقى» كل نابت إذا ترك حتى يبرز انقطع فليس بشجر وكل شيء يبرز ولا ينقطع من سنته فهو شجر ﴿يسجدان﴾ أي: ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعاً انقياد الساجد من المكلفين طوعاً أو يسجد ظلهما على ما بين في قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ٤٨] وكفته اندمارا بر سجود ايشان وقوف نيست چنانچه بر تسبيح ايشان كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] ذكر في مقابلة النعمتين السماويتين اللتين هما الشمس والقمر نعمتين أرضيتين وهما النجم والشجر وكلاهما من قبيل النبات الذي هو أصل الرزق من الحبوب والثمار والحشيش للدواب وإخلاء الجمل الأولى عن العطف لورودها على منهاج التعديد تنبيهاً على تقاعده في الشكر كما في قولك زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد وأما عطف جملة والنجم على ما قبلها فلتناسبها من حيث التقابل لما أن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث إن كلاً من حال علويين وحال السفليين من باب الانقياد لأمر الله تعالى ولما كانت هذه الأربعة مغايرة لجنس الإنسان في ذاته وصفاته غير النظم بإيرادها في صورة الاسمية تحقيقاً للتغاير بينهما وضعاً وطبعاً صورة ومعنى وفيه إشارة إلى سجود نجم العقل الذي به يهتدي إلى معرفة الأشياء واستهلاكه وتلاشيه عند النظر إلى الحقائق الإلهية والمعارف الربانية لعدم قوة إدراكه إياها مستعداً بنفسه غير مستفيض من الفيض الإلهي بطريق الكشف والشهود وإلى سجود شجر الفكر المتشجر بالقوى الطبيعية والقوى الوهمية والخيالية وانحصاره في القوة المزاجية العنصرية وعدم تمكنه من إدراك الحقائق على ما هي عليه كما قيل العقل والفكر جالا حول سرادق الكون فإذا نظرا إلى المكون ذابا وكيف لا وهما مخلوقان محصوران تحت حصر الخلقية والحدوث وأنى للخلق المحدث معرفة الخالق القديم وما ﴿قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿والسماء رفعها﴾ انتصابه بمحذوف يفسره المذكور أي: خلقها مرفوعة محلاً كما هو محسوس مشاهد وكذا رتبة حيث جعلها منشأ أحكامه وقضاياه وتنزل أوامره ومحل ملائكته وقال بعضهم: رفعها من السفل إلى العلو سقفاً لمصالح العباد وجعل ما بينهما مسيرة خمسمائة عام وذلك لأن السماء دخان فار به موج الماء الذي كان في الأرض ﴿ووضع الميزان﴾ أي: شرع العدل وأمر به بأن وفر كل مستحق لما استحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به أمر العالم واستقام كما قال عليه السلام «بالعدل قامت السموات والأرض» قيل فعلى هذا الميزان هو القرآن وقيل هو ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان وميكال ونحوهما فالمعنى خلق كل ما توزن به الأشياء ويعرف مقاديرها موضوعاً مخفوضاً على الأرض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم قال سعدي المفتي: وأنت خبير بأن قوله ﴿أن لا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن﴾ أشد ملاءمة لهذا المعنى ولهذا اقتصر عليه الزمخشري. قال الكاشفي: ووضع الميزان وبيا فريد يا منزل كردانيد ترازورا يا الهام داد خلق را بكيفيت ايجادان. ليتوصل به إلى الإنصاف والانتصاف وكان ذلك في زمان نوح عليه

السلام إذ لم يكن قبله كيل ووزن وذراع قال قتادة في هذه الآية: اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك وأوف كما تحب أن يوفى لك فإن العدل صلاح الناس.

﴿**أن لا تطغوا في الميزان**﴾ أن ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بوضع الميزان أي: وضعه لئلا تطغوا فيه ولا تعتدوا ولا تتجاوزوا الإنصاف وبالفارسية ازحد نكذريد در ترازو بوقت داد وستد يعني از عدل تجاوز نكنيد وبراستى معامله نمايد. قال ابن الشيخ: الطغيان مجاوزة الحد فمن قال: الميزان العدل قال: طغيانه الجور ومن قال: إنه الميزان الذي هو آلة التسوية قال: طغيانه البخس أي: النقص.

چون ترازوى توكج بود ودغا راست چون جويى ترازوى جزا

﴿**وأقيموا الوزن بالقسط**﴾ قوموا وزنكم بالعدل أي: اجعلوه مستقيماً به وفي «المفردات» الوزن معرفة قدر الشيء والمتعارف في الوزن عند العامة ما يقدر بالقسطاس والقبان وقوله ﴿**وأقيموا الوزن بالقسط**﴾ إشارة إلى مراعاة المعدلة في جميع ما يتحراه الإنسان من الأفعال والأقوال ﴿**ولا تخسروا الميزان**﴾ يقال: خسرت الشيء بالفتح وأخسرته نقصته وبابه ضرب وأما خسر في البيع فبالكسر كما في «المختار» وقال في «القاموس»: خسر كفرح وضرب ضل والخسر والإخسار النقص أي: لا تنقصوه لأن من حقه أن يسوي لأنه المقصود من وضعه قال سعدي المفتي: المراد لا تنقصوا الموزون في الميزان لا الميزان نفسه أمر أولاً بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديداً للتوصية به وتأكيداً للأمر باستعماله والحث عليه. قال الكاشفي: أين همه تأكيد اهل ترازو راجهت آنست كه بوقت وضع ميزان قيامت شرمنده نشوند:

هرجو وهرحبه كه بازوى تو كم كند از كيد ترازوى تو
هست يكايك همه برجاى خويش روز جزا جمله بيارند پيش
باتو نمايند نهانيت را كم دهى وبيش ستانيت را

ـ روي ـ عن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على جار له احتضر فقال: يا مالك جبلان من نار بين يدي أكلف الصعود عليهما قال: فسألت أهله فقالوا: كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال: ما يزداد الأمر علي إلا عظماً وفي «المفردات» قوله: ﴿**ولا تخسروا الميزان**﴾ يجوز أن يكون إشارة إلى تحري العدالة في الوزن وترك الحيف فيما يتعاطاه في الوزن ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى تعاطي ما لا يكون ميزانه به يوم القيامة خاسراً فيكون ممن قال فيه﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٩] وكلا المعنيين يتلازمان وكل خسران ذكره الله في القرآن فهو على هذا المعنى الأخير دون الخسران المتعلق بالقنيات الدنيوية والتجارات البشرية.

يقول الفقير وجه توسيط الميزان بين رفع السماء ووضع الأرض هو الإشارة إلى أنه بالعدل قامت السموات والأرض كما ورد في الحديث وإلى أنه لا بد من ميزان العقل بين الروح والجسد حتى يعتدلا ولا يتجاوز أحدهما الآخر والاعتدال الحقيقي هو الوقوف بين طرفي الإفراط والتفريط المذمومين عقلاً وشرعاً وعرفاً والموزونات هي الأمور العلمية والعملية المعدلة بالعقل المبني على الاستعداد الذاتي.

﴿**والأرض وضعها**﴾ أي: خفضها مدحوة على الماء أي: مبسوطة ﴿**للأنام**﴾ أي: لمنافع

الأنام وهو جمع لا واحد له من لفظه بمعنى الخلق والجن والإنس مما على الأرض كما في «القاموس» فهي كالمهاد والفراش لهم يتقلبون عليها ويتصرفون فوقها وقال ابن عباس رضي الله عنهما رب الناس ويدل عليه قوله:

مبارك الوجه يستسقى الغمام به ما في الأنام له عدل ولا مثل

وقال قتادة: كل ذي روح لأنه ينام وقيل: من ونم الذباب همس وفيه إشارة إلى بسط أرض البشرية لتنتعش كل قبيلة بما يلائم طبعها أما انتعاش أهل النفوس البشرية فباستيفاء الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية وأما انتعاش أصحاب القلوب المعنوية فبالواردات القلبية والإلهامات الغيبية وأما انتعاش أرباب الأرواح العلوية فبالتجليات الروحانية والمحاضرات الربانية وأما انتعاش صناديد الأسرار اللاهوتية القدسية فبالتجليات الذاتية الأحدية المفنية لكل ما سواه.

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾.

﴿فيها فاكهة﴾ ضروب كثيرة مما يتفكه به ويتلذذ ففاكهة تشعر باختلاف الأنواع **﴿والنخل ذات الأكمام﴾** وهي أوعية الثمر وغلفها قبل التفتق. يعني خوشهاى آن درغلاف. جمع كم بالكسر وهو الغلاف الذي يكون فيه الثمر أول ظهوره. تا ما دامكه مغشق نشده درغلاف باشد ومعنى النخل بالفارسية يعني درخت خرما. أو هو أي: الكم كل ما يكم بضم الكاف من باب نصر أي: يغطي من ليف وسعف وكفرى فإنه مما ينتفع به كما ينتفع من المكموم من ثمره وجماره وجذوعه فالليف يغطي الجذع والسعف الجمار وهو كرمان شحم النخل بالفارسية دل درخت خرما. والكفرى الثمر.

﴿والحب﴾ ودر زمين دانه است. وهو كل ما يتغذى به ويقتات كالحنطة والشعير وغيرهما **﴿ذو العصف﴾** هو ورق الزرع أو ورق النبات اليابس كالتبن. قال الكاشفي: وعصف كياهيست كه ازو دانه جدا ميشود. وفي «المفردات»: العصف والعصيفة الذي يعصف من الزرع قال في «تاج المصادر»: العصف برك كشت ببريدن **﴿والريحان﴾** قال في «المفردات» الريحان ما له رائحة وقيل: الرزق ثم يقال للحب المأكول ريحان كما في قوله **﴿والحب ذو العصف﴾** وقيل لأعرابي إلى أين؟ قال: أطلب ريحان الله أي: رزقه والأصل ما ذكرنا انتهى قال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو الرزق بلغة حمير فالمراد بالريحان هنا إما الرزق أو المشموم كما قال الحسن الريحان هو ريحانكم هذا الذي يشم وهو كل ما طابت رائحته من النبات أو الشاهسفرم وعند الفقهاء الريحان ما لساقه رائحة طيبة كما لورقه كالآس والورد ما لورقه رائحة طيبة فقط كالياسمين كذا في «المغرب» قال ابن الشيخ: كل بقلة طيبة الرائحة سميت ريحاناً لأن الإنسان يراح لها رائحة طيبة أي: يشم يقال: راح الشيء يراحه ويريحه وأراح الشيء يريحه إذا وجد ريحه وفي الحديث: «من قتل نفساً معاهدة لم يرح رائحة الجنة» ويروى: لم يرح من راحه يريحه والريحان في الأصل ريوحان كفعيلان من روح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف بحذف عين الكلمة كما في ميت أو كفو علان قلبت واوه ياء للتخفيف أو للفرق بينه وبين الروحان وهو ما له روح.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للأنام لعمومه

لهما واشتماله عليهما وسينطق به قوله تعالى: ﴿أيه الثقلان﴾ وكذا في ذكر أبوي الفريقين بقوله: خلق الإنسان وخلق الجان إشعار بأن الخطاب لهما جميعاً والآلاء النعم واحدها إلى والى والو والى والى كما في «القاموس» قال في «بحر العلوم»: الآلاء النعم الظاهرة والباطنة الواصلة إلى الفريقين وبهذا يظهر فساد ما قيل من أن الآلاء هي النعم الظاهرة فحسب والنعماء هي النعم الباطنة والصواب أنهما من الألفاظ المترادفة كالأسود والليوث والفلك والسفن.

وفي «التأويلات النجمية»: الآلاء هي النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة والآيات المتوالية تدل على هذا لأنها نعمة ظاهرة بالنسبة إلى أهل الظاهر ومعنى تكذيبهم بالآلاء كفرهم بها والتعبير عن الكفر بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الإيمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة أي: فإذا كان الأمر كما فصل فبأي فرد من أفراد آلاء مالككما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع أن كلاً منها ناطق بالحق شاهد بالصدق فالاستفهام للتقرير أي: للحمل على الإقرار بتلك النعم ووجوب الشكر عليها.

ـ روي ـ عن جابر رضي الله عنه أنه قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها قال: «ما لي أراكم سكوتاً للجن كانوا أحسن منكم رداً ما قرأت عليهم هذه الآية مرة ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ إلا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» قال في «بحر العلوم»: وفيه دلالة بينة على أن الآلاء أراد بها النعم المطلقة الشاملة للظاهرة والباطنة لا المقيدة بالظاهرة كما سبق إليه بعض الأوهام انتهى قال في «آكام المرجان»: دلت الآية على أن الجن كلهم مكلفون ولا خلاف فيه بين أهل النظر وزعمت الحشوية أنهم مضطرون إلى أفعالهم وأنهم ليسوا مكلفين والدليل على أنهم مكلفون ما في القرآن من ذم الشياطين ولعنهم والتحذير من غوائلهم وشرهم وذكر ما أعده الله لهم من العذاب وهذه الخصال لا يفعلها الله إلا لمن خالف الأمر والنهي وارتكب الكبائر وهتك المحارم مع تمكنه من أن لا يفعل ذلك وقدرته على فعل خلافه ويدل على ذلك أيضاً أنه كان من دين النبي عليه السلام لعن الشياطين والبيان عن حالهم وأنهم يدعون إلى الشر والمعاصي ويوسوسون بذلك وتكرار هذه الآية في هذه الصورة لطرد الغفلة وتأكيد الحجة وتذكير النعمة وتقرير الكرامة من قولهم كم نعمة كانت لكم كم كم وكم وكقولك لرجل أحسنت إليه بأنواع الأيادي وهو ينكرها: ألم تكن فقيراً فأغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن عرياناً فكسوتك أفتنكر هذا ألم تكن خاملاً فعززتك أفتنكر هذا وقال الشاعر:

لا تقطعن الصديق ما طرفت عيناك من قول كاشح أشر
ولا تملن من زيارته زره وزره زر ثم زر وزر

وقال في «برهان القرآن»: تكررت الآية إحدى وثلاثين مرة ثمان منها ذكرها عقيب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبع منها عقيب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم وحسن ذكر الآلاء عقيبها لأن في خوفها ودفعها نعماً توازي النعم المذكورة أو لأنها حلت بالأعداء وذلك يعد من أكبر النعماء وبعد هذه السبع ثمان في وصف الجنات وأهلها على عدد أبواب الجنة وثمان أخرى بعدها للجنتين اللتين دونها فمن اعتقد الثماني الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله ووقاه الله السبع السابقة.

يقول الفقير من لطائف أسرار هذا المقام أن لفظ ال في اول اسم الرحمن المعنون به هذه السورة الجليلة دل على تلك الإحدى والثلاثين.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾

﴿**خلق الإنسان من صلصال كالفخار**﴾ بيافريد انسانرا از كل خشك مانند سفال پخته كه دست بروى زنى آواز كنده. الصلصال الطين اليابس الغير المطبوخ الذي له صلصلة أي: صوت يسمع من يبسه وصح عن رسول الله عليه السلام أنه قال: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات لصوته صلصلة كصلصلة الجرس على الصفوان والفخار والخزف» أي: الطين المطبوخ بالنار وتشبيهه بالفخار لصوته باليبس إذا نقر كأنه صور بصورة من يكثر التفاخر أو لأنه أجوف وقد خلق الله آدم عليه السلام من تراب جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالاً ثم صب عليه ماء الأحزان فلا ترى ابن آدم إلا يكابد حزناً فلا تنافي بين الآية الناطقة بأحدها وبين ما نطق بأحد الآخرين.

﴿**وخلق الجان**﴾ أي: الجن أو أبا الجن أو إبليس وبه قال الضحاك وفي «الكشف» الجان أبو الجن كما أن الإنسان أبو الإنس وإبليس أبو الشياطين ﴿**من مارج**﴾ أي: من لهب صاف من الدخان وقال مجاهد المارج هو المختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا وقدت من مرج أمر القوم إذا اختلط واضطرب فمعنى من مارج من لهب مختلط ﴿**من نار**﴾ بيان لمارج فإنه في الأصل للمضطرب من مرج إذا اضطرب وفي «كشف الأسرار» خلق الجن من مارج من نار والملائكة من نورها والشياطين من دخانها وقال بعضهم: من النار التي بين الكلة الرقيقة وبين السماء وفيها يكون البرق ولا ترى السماء إلا من وراء تلك الكلة. درباب نهم ازسفر نانىء فتوحات مذكور است كه مارج آتشست ممتزج بهواكه آنرا هواى مشتعل كويند پس جان مخلوقست اذ دو عنصر آتش وهو وآدم آفريده شده ازدو عنصر آب وخاك چون آب وخاك بهم شوند آنرا طين كويند وچون هوا وآتش مختلط كردد آنرا مارج خوانند وچنانكه تناسل دربشر بالقاء آبست در رحم تناسل درجن بالقاء هواست در رحم انثى وميان آفرينش جان وآدم شصت هزار سال بود.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ مما أفاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات وفيه إشارة إلى أن الحق سبحانه تجلى لحقيقة إنسان الروح بصورة صفة صلصال اللطف والجمال ولحقيقة إبليس النفس بصورة صفة مارج القهر والجلال فصار أحدهما مظهراً لصورة لطفه والآخر لصورة قهره فبأي آلاء ربكما تكذبان أيها الروح اللطيف والنفس الخبيثة لأن كل واحد منكما قد ذاق ما جبل عليه من اللطف والقهر والطيب والخبث.

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿**رب المشرقين ورب المغربين**﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: الذي فعل ما ذكر من الأفاعيل البديعة رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته أن يكون رب بينهما من الموجودات قاطبة يعني أن ذكر غاية ارتفاعهما وغاية انحطاطهما إشارة إلى أن الطرفين يتناولان ما بينهما كما إذا قلت في وصف ملك عظيم الملك له المشرق والمغرب فإنه يفهم منه أن له ما بينهما

أيضاً. قال في «كشف الأسرار»: أحد المشرقين هو الذي تطلع منه الشمس في أطول يوم من السنة والثاني الذي تطلع منه في أقصر يوم وبينهما مائة وثمانون مشرقاً وكذا الكلام في المغربين وقيل أحد المشرقين للشمس والثاني للقمر وكذا المغربان وأما قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما بين المشرق والمغرب قبلة يعني لأهل المشرق وهو أن تجعل مغرب الصيف على يمينك ومشرق الشتاء على يسارك فتكون مستقبل القبلة.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ مما في ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته إلى غير ذلك **﴿مرج البحرين﴾** أي: أرسلهما من مرجت الدابة إذا أرسلتها وخليتها للرعي والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب وبالفارسية راه داد دو دريا راكه يكى خوش وشيرين ويكى تلخ وشور **﴿يلتقيان﴾** حال من البحرين قريبة من الحال المقدرة أي: يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل في مرأى العين وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل أرسل بحر فارس والروم يلتقيان في المحيط لأنهما خليجان يتشعبان منه قال سعدي المفتي وعلى هذا فقوله يلتقيان إما حال مقدرة إن كان المراد إرسالهما إلى المحيط أو المعنى اتحاد أصليهما إن كان المراد إرسالهما منه فلكل وجه.

﴿بينهما برزخ﴾ أي: حاجز من قدرة الله أو من الأرض والبرزخ الحائل بين الشيئين ومنه سمي القبر برزخاً لأنه بين الدنيا والآخرة وقيل للوسوسة برزخ الإيمان لأنها طائفة بين الشك واليقين **﴿لا يبغيان﴾** أي: لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية مع أن شأنهما الاختلاط على الفور بل يبقيان على حالهما زماناً يسيراً مع أن شأنهما الاختلاط وانفعال كل واحد منهما عن الآخر على الفور أو لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما من الأرض لتكون الأرض بارزة يتخذها أهلها مسكناً ومهاداً فقوله **﴿لا يبغيان﴾** إما من الابتغاء وهو الطلب أي: لا يطلبان غير ما قدر لهما أو من البغي وهو مجاوزة كل واحد منهما ما حد له.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وليس من البحرين شيء يقبل التكذيب لما فيه من الفوائد والعبر **﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾** اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الأحمر المشهور يقال يلقيه الجن في البحر وقال في «خريدة العجائب» اللؤلؤ يتكون في بحر الهند وفارس والمرجان ينبت في البحر كالشجر وإذا كلس المرجان عقد الزئبق فمنه أبيض ومنه أحمر ومنه أسود وهو يقوي البصر كحلاً وينشف رطوبة العين انتهى وقيل: اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره.

واعلم أنه إن أريد بالبحرين هنا بحر فارس وبحر الروم فلا حاجة في قوله منهما إلى التأويل إذ اللؤلؤ والمرجان بمعنييه يخرجان منهما لأن كلاً منهما ملح ولا عذب في البحار السبعة إلا على قول من قال في الآية يخرج من مالح بحري فارس والروم ومن عذب بحر الصين وفي «بحر العلوم» أن اللؤلؤ يخرج من بحر فارس والمرجان من بحر الروم يعني لا من كليهما وإن أريد بهما البحر الملح والبحر العذب فنسبة خروجهما حينئذ إلى البحرين مع أنهما إنما يخرجان من البحر الملح أو مع أنهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه كما يقال يخرج الولد من الذكر والأنثى وإنما تلده الأنثى وهو الأظهر أو لأنهما لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب وهذا يحتمل معنيين أحدهما أن الملتقى اسم مكان والخروج بمعنى الانتقال من الباطن إلى الظاهر فإنه قال الجمهور يخرج من الأجاج من المواضع التي يقع فيها

الأنهار والمياه العذبة فناسب إسناد ذلك إليهما وهذا مشهور عند الغواصين والثاني أنه مصدر ميمي بمعنى الالتقاء والخرج بمعنى الحدوث والحدوث بمعنى الوجود فإنه يحدث ويتكون من التقائهما واجتماعهما كما قال الرازي يكون العذب كاللقاح للملح ونقل عن ابن عباس وعكرمة مولاه أن تكون هذه الأشياء في البحر بنزول المطر لأن الصدف تفتح أفواهها للمطر فيكون الأصداف كالأرحام للنطف وماء البحر كالجسد الغاذي ويدل على أنه من المطر ما اشتهر من أن السنة إذا أجدبت هزلت الحيتان وقلّت الأصداف والجواهر وعلى هذا فضمير منهما للبحرين باعتبار الجنس فتأمل.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ زيرا آن جوهرها كه بدان آرايش كنيد واز خريد وفروخت آن فوائد يابيد نعم ظاهره است پس بكدام ازين نعمتهاى پروردكار خود تكذيب مينماييد وكفته اند مراد بحر آسمان وبحر زمين است كه هرسال متلاقى شوند وابر حاجزست كه منع ميكند دريان آسمانرا از نزول ودرياي زمين را از صعود ودرياي فلك قطرات بردرياى زمين ريخته بدهان صدف درمى آيد وازان در منعقد كردد وقيل البحران علي وفاطمة رضي الله عنهما والبرزخ النبيّ ﷺ ويخرج منهما الحسن والحسين رضي الله عنهما وقيل: هما العقل والهوى والبرزخ بينهما لطف الله ويخرج منهما التوفيق والعصمة وقيل: هما المعرفة والمعصية والحاجز العصمة ويخرج منهما الشوق والتوبة لا يبغيان لا تؤثر المعصية في المعرفة وقيل هما الدنيا والآخرة والبرزخ القبر وقيل الحياة والوفاة والبرزخ الأجل وقيل الحجة والشبهة والبرزخ النظر ويخرج منهما الحق والصواب. إمام قشيري رحمه الله فرموده كه بحرين خوف ورجاست يا قبض وبسط وبرزخ قدرت بي علت ولؤلؤ أحوال صافيه ومرجان لطايف وافيه صاحب «كشف الأسرار» شرح ميكند كه بحر خوف ورجا عامه مسلمان راست وازان كوهر زهد وورع وطاعت وتقوى بيرون آيد وبحر قبض وبسط خواص مؤمنا نراست وازان جواهر فقر ووجد زايد وبحر انس وهيبت انبيا وصديقا نراكه ازان كوهر فنا روى نمايد تا صاحبش بمنزل بقا بياسايد:

زقعر بحر فنا كوهر فنا يابى   وكرنه غوطه خورى اين كهر كجا يابى

وقال بعض الكبار: يشير إلى مروج بحر الروح وحركته بالتجليات الذاتية وإلى مروج بحر القلب وحركته بالتجليات الصفاتية والتقائهما في مقام الوحدة مع بقاء برزخ معنوي بين هذين البحرين المشار بهما إلى ما ذكر بحيث لا يبغي بحر الروح على بحر القلب لعدم نزوله بالكلية لئلا يفنى خاصية بحر القلب ولا يغلب بحر القلب على بحر الروح لعدم عروجه بالكلية لئلا يفنى خاصية بحر الروح كما قال ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤] يخرج لؤلؤ التجليات الذاتية من باحة بحر الروح ومرجان التجليات الصفاتية من لجة بحر القلب ويجوز أن يخرجا مجتمعين من اتحاد بحر الروح وبحر القلب مع بقاء امتياز ما بينهما وقال بعضهم: يشير إلى بحر القدم والحدوث وبحر القدم عذب من حيث القدم وبحر الحدوث ملح من حيث علل الحدوثية وبينهما حاجز عزة وحدانيته بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر لأنه منزه عن الحلول في الأماكن والاستقرار في المواطن يخرج من بحر القدم القرآن والأسماء والنعوت ومن بحر الحدوث العلم والمعرفة والفطنة وأيضاً يشير إلى بحر القلب الذي هو بحر الأخلاق المحمودة

وبحر النفس الذي هو بحر الأخلاق المذمومة ولا يختلطان بحيث يصير القلب نفساً والنفس قلباً لأن بينهما العقل والعلم والشريعة والطريقة فإذا صارت النفس مطمئنة يخرج منها ومن القلب الإيمان والإيقان والصفاء والنور والطمأنينة وقال ابن عطاء رحمه الله بين العبد وبين الرب بحران عميقان أحدهما بحر النجاة وهو القرآن من تعلق به نجا لأن الله تعالى يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وبحر الهلاك وهو الدنيا من ركن إليها هلك انتهى.

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿**وله الجوار**﴾ هذه اللام لها معنيان أحدهما أنها لام الملك والثاني أنها لام الاستحسان والتعجب كقولهم لله أنت لله درك كما في «كشف الأسرار» والجوار بكسر الراء أصله الجواري بالياء بمعنى السفن جمع جارية أقيمت الصفة مقام الموصوف قال ابن الشيخ: اعلم أن الأركان أربعة: التراب والماء والهواء والنار فالله تعالى بيّن بقوله: ﴿**خلق الإنسان من صلصال**﴾ أن التراب أصل لمخلوق شريف مكرم عجيب الشان وبيّن بقوله ﴿**وخلق الجان من مارج من نار**﴾ أن النار أيضاً أصل لمخلوق آخر عجيب الشان وبيّن بقوله ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾ أن الماء أيضاً أصل لمخلوق آخر له قدر وقيمة ثم ذكر أن الهواء له تأثير عظيم في جري السفينة كالأعلام فقال: وله الجوار وخصها بالذكر لأن جريانها في البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك فيقولون: لك الفلك ولك الملك وإذا خافوا الغرق دعوا الله خاصة وسميت السفينة جارية لأن شأنها الجري في البحر وإن كانت واقفة في الساحل والمراسي كما تسمى المملوكة أيضاً جارية لأن شأنها الجري والسعي في حوائج سيدها ﴿**المنشآت**﴾ المرفوعات الشرع على أن يكون من أنشأه إذا رفعه والشرع بضمتين جمع شراع وهو الذي يسمى بالفارسية بادبان. ولا يبعد أن يكون المنشآت بمعنى المرفوعات على الماء فتكون جارية على ما هي له كما في «حاشية سعدي المفتي» والمعنى المنشآت المصنوعات أي: المخلوقات على أن يكون من أنشأه الله أي: خلقه ﴿**في البحر كالأعلام**﴾ جمع علم وهو الجبل الطويل أي: كالجبال الشاهقة عظماً وارتفاعاً وهو حال من ضمير المنشآت والسفن في البحر كالجبال في البر كما أن الإبل في البر كالسفن في البحر.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ من خلق مواد السفن و«الإرشاد» إلى أخذها وكيفية تركيبها وإجرائها في البحر يابسات لقطع المسافات الكثيرة في الأوقات القليلة وحصول المعاملات والتجارات لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه وفيه إشارة إلى جريان سفن الشريعة والطريقة المرفوعات الشرع بأحكام الشريعة وآداب الطريقة في بحر الوحدة الحقيقية كالجبال العظام مشحونات بمنافع كثيرة من الطاعات والعبادات على مقتضى علم الشريعة والواردات القلبية والإلهامات الغيبية على قانون أرباب الطريقة كما في «التأويلات النجمية».

﴿**كل من عليها فان**﴾ الهاء كناية عن غير مذكور كقولهم إذا نهى السفيه جرى إليه والمعنى كل من على الأرض من الحيوانات والمركبات ومن للتغليب على الوجهين أو من الثقلين فان أي هالك لا محالة يعني سر انجام كار فانى شوند. ولما نزلت هذه الآية قالت الملائكة: هلكت بنو آدم فلما نزلت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] أيقنوا بهلاك

أنفسهم فإن لهم أجساماً لطيفة وأرواحاً متعلقة بتلك الأجسام كأرواح الإنسان وأما الأرواح المجردة المهيمة العالية فلا تفنى.

﴿**ويبقى وجه ربك**﴾ أي: ذاته ومنه كرم الله وجهه أي: ذاته فالوجه العضو المعروف استعير للذات لأنه أشرف الأعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخشوع قال القاضي: لو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله الذي يلي جهته انتهى قال سعدي المفتي في حاشية هذا المحل: هذا إشارة إلى وجه آخر وهو أن يكون الوجه بمعنى القصد أي: ما يقصد وينوي به الله والجهات بمعنى المقاصد وفي العبارة نوع تسامح وقوله يلي جهته أي: مقصده والإضافة للبيان أي: يتوجه إليه انتهى وقال ابن الشيخ إشارة إلى أن الوجه يجوز أن يكون كناية عن الجهة بناء على أن كل جهة لا تخلو عن وجه يتوجه إليها كما ذكر في قوله ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] أي: كل من عليها من الثقلين وإما اكتسبوه من الأعمال هالك إلا ما توجهوا به جهة الله وعملوه ابتغاء لمرضاته انتهى وقال الشيخ ابن نور الدين رحمه الله الماهيات تنقسم إلى ثلاثة أقسام: واجب الوجود وممتنع الوجود وممكن الوجود أما الواجب فهو وجود بحت وأما الممتنع فهو عدم محض وأما الممكن فهو مركب منهما وذلك لأن له وجوداً وماهية عارضة على وجوده فماهيته أمر اعتباري معدوم في الخارج لا يقبل الوجود فيه من حيث هو هو ووجوده موجود لا يقبل العدم من حيث هو هو فكان الممكن موجوداً ومخلوقاً من وجود وعدم وهذه الجمعية تقبل الوجود والعدم ومن هذا ظهر حقيقة ما قال البيضاوي ولو استقريت الخ وما قاله الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] حيث قال الضمير راجع إلى الشيء انتهى ﴿**ذو الجلال والإكرام**﴾ صفة وجه أي: ذو الاستغناء المطلق أو العظمة في ذاته وصفاته وذو الفضل التام وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال عليه السلام: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام» يعني ملازم بكوييد يا ذا الجلال والإكرام وفي «تاج المصادر» الإلظاظ ملازم كرفتن ودائم شدن باران. والإلحاح أيضاً وفي «القاموس» اللظ اللزوم والإلحاح وعنه عليه السلام أنه مر برجل وهو يصلي ويقول: «يا ذا الجلال والإكرام فقال: استجيب لك الدعاء فالدعاء بهاتين الكلمتين مرجو الإجابة» وفي وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى إيذان بأنه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم أيضاً آثار لطفه وكرمه حسبما ينبىء عنه قوله تعالى:

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ فإن إحياءهم بالحياة الأبدية وإثابتهم بالنعيم المقيم أجل النعماء وأعظم الآلاء قال الطيبي: كيف أفرد الضمير في قوله: ﴿**وجه ربك**﴾ وثناه في ربكما والمخاطب واحد؟ قلت: اقتضى الأول تعميم الخطاب لكل من يصلح للخطاب لعظم الأمر وفخامته فيندرج فيه الثقلان اندراجاً أولياً ولا كذلك الثاني فتركه على ظاهره وفي قوله: ﴿**كل من عليها فان**﴾ إشارة إلى فناء كل من على الأرض البشرية إما بالموت الطبيعي منغمساً في بحر الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية وإما بالموت الإرادي منسلخاً عن الصفات البشرية ملتبساً بالصفات الروحانية وتغليب من إشارة إلى ذوي العقول السليمة عن آفات القوة الوهمية والخيالية فإنهم بذكاء فطرتهم وبقاء طينتهم يفنون عن الأحكام الطبيعية ويبقون بالتجليات الإلهية وبقوله: ﴿**ويبقى وجه**﴾ إلخ إشارة إلى فناء الكثرة النسبية الأسمائية وبقاء الوحدة الحقيقية الذاتية الموصوفة بالصفة الجلالية القهرية والجمالية اللطفية ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ مما ذكرنا من

إفناء الحياة المجازية وإبقاء الحياة الحقيقية وإظهار الصفة اللطفية في حق مستحقي اللطف وإظهار الصفة القهرية في حق مستحقي القهر لعلمه المحيط باستحقاقها وقال بعضهم: لو نظرت بنظر التحقيق في الكون وأهله لرأيت حقيقة فنائه وفناء أهله وإن كان في الظاهر على رسم الوجود لأن من يكون قيامه بغيره فهو فان في الحقيقة إذ لا يقوم بنفسه ولا نفس له في الحقيقة فإن الوجود الحقيقي وجود القدم لذلك أثنى على نفسه بقوله ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾. قال الشيخ المغربي:

سايه هستى مينمايد ليك اندر اصل نيست نيست را ازهست بشناختى يابى نجات

وقال المولى الجامي:

تو درميانه هيج نه هرچه هست اوست هم خود الست كويد وهم خود بلى كند

وفي ذكر وجهه الباقي تسلية لقلوب العشاق أي: أنا أبقى لكم أبداً لا تغتموا فإن لكم ما وجدتم في الدنيا من كشف جمالي ويتسرمد ذلك لكم بلا حجاب أبداً وفي ذكر الجلال تهييج لأهل المحبة والهيبة وفي كاف الوحدة إشارة إلى حبيبه عليه السلام يعني كشف الوجه باق لك أبداً أريتك وجهي خاصة ثم العشاق اتباع لك في النظر إلى وجهي فأول الكشف لك ثم للعموم.

واعلم أن وجود الباقي جميعه وجه وبين التجليات تفاوت وفي الحديث «أن الله يتجلى لأبي بكر خاصة ويتجلى للمؤمنين عامة.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿**يسأله**﴾ ميخواهند اورا يعني ميطلبند ازوى ﴿**من في السموات والأرض**﴾ قاطبة ما يحتاجون إليه في ذواتهم ووجوداتهم حدوثاً وبقاء وسائر أحوالهم سؤالاً مستمراً بلسان المقال وبلسان الحال فإنهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الإلهية من العلائق لم يشموا رائحة الوجود أصلاً فهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وعن ابن عباس رضي الله عنهما فأهل السماء يسألونه المغفرة وأهل الأرض يسألونه الرزق والمغفرة وفي «كشف الأسرار» مؤمنان دوكروه اند عابدان وعارفان هر سؤال بر يكى بر قدر همت او ونواخت هريكى سزاى حوصله او:

هركسى ازهمت والاى خويش سود برد درخور كالاى خويش

عابدهمه ازخواهد عارف خود اورا خواهد احمد بن أبي الجواري حق را بخواب ديد كفت. جل جلاله يا أحمد كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني:

فسرت إليك في طلب المعالي وسار سواي في طلب المعاش

﴿**كل يوم**﴾ أي: كل وقت من الأوقات وهو اليوم الإلهي الذي هو الآن الغير المنقسم وهو بطن الزمان في الحقيقة ﴿**هو**﴾ تعالى ﴿**في شأن**﴾ من الشؤون التي من جملتها إعطاء ما سألوا فإنه تعالى لا يزال ينشىء أشخاصاً ويفني آخرين ويأتي بأحوال ويذهب بأحوال من الغنى والفقر والعزة والذلة والنصب والعزل والصحة والمرض ونحو ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح البالغة وفي الحديث: «من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع

قوماً ويضع آخرين» قال الحسين بن الفضل: هو سوق المقادير إلى المواقيت وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: خلق الله تعالى لوحاً من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى ﴿كل يوم هو في شأن﴾ وهو مأخوذ من قوله عليه السلام: «إن الرب لينظر إلى عباده كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يبدىء ويعيد» وذلك من حبه خلقه ويدل على هذا الحب ما يقال من أن الله تعالى يحيي كل يوم ألفاً وواحداً يميت ألفاً فالحياة الفانية إذا كانت خيراً لتحصيل الحياة الباقية فما ظنك بفضيلة الحياة الباقية وعن عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهي والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب والثواب والعقاب قال مقاتل: نزلت الآية في اليهود حين قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً ففيها رد لهم وقوله كل ظرف لما دل عليه هو في شأن أي: يقلب الأمور كل يوم أو يحدثها كل يوم أو نحوه كما في «بحر العلوم».

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ مع مشاهدتكم لما ذكر من إحسانه وفي «بحر الحقائق» يشير إلى تجلي الحق في كل زمن فرد ونفس فرد على حسب المتجلى له واستعداده ولا نهاية للتجليات ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ من تجلي الحق بصور مطلوبكم وإيجاده من كتم العدم ووجود محبوبكم:

كل يوم في شأن چه شانست بدو هرزمان جلوه ديكر شود از پرده عيان
جلوة حسن ترا غايت وپاياني نيست يعني اوصاف كمال توانددرد پايان

قال البقلي: ﴿يسأله من في السموات﴾ من الملائكة كلهم على قدر مقاماتهم يسأله الخائف النجاة من البعد والحجاب ويسأله الراجي الوصول إلى محل الفرج ويسأله المطيع قوة عبادته وثواب طاعته ويسأله المحب أن يصل إليه ويسأله المشتاق أن يراه ويسأله العاشق أن يقرب منه ويسأله العارف أن يعرفه بمزيد المعرفة ويسأله الموحد أن يفنى فيه ويستغرق في بحر شهوده ويسأله الجاهل علم ما يحجبه عنه ويسأله العالم ما يعرفه به وكذا كل قوم على قدر مراتبهم ودرجاتهم وهو تعالى في كل يوم هو في شأن والشان الحال والأمر العظيم.

﴿سنفرغ لكم﴾ أي: سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار إليها بقوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فلا يبقى حينئذ إلا شأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم على المجاز المرسل فإن الفراغ يلزمه التجرد وإلا فليس المراد الفراغ من الشغل لأنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن وقيل هو مستعار من قول المهدد لصاحبه سأفرغ لك أي: سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه فالخطاب للمجرمين منهما بخلافه على الأول ﴿أيه الثقلان﴾ قال الراغب الثقل والخفة متقابلان وكل ما يترجح على ما يوزن به أو يقدر به يقال: هو ثقيل وأصله في الأجسام ثم يقال في المعاني: أثقله الغرم والوزر انتهى والمراد هنا الإنس والجن سميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض يعني أنهما شبها بثقلي الدابة وفي «حواشي ابن الشيخ»: شبه الأرض بالحمولة التي تحمل الأثقال والإنس والجن جعلا أثقالاً محمولة عليها وجعل ما سواهما كالعلاوة أو لرزانة آرائهما أو لأنهما مثقلان بالتكليف أو لعظم قدرهما في الأرض كما في الحديث: «إني خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» وقال الصادق رضي الله عنه سميا ثقلين لأنهما يثقلان بالذنوب

أو لما فيهما من الثقل وهو عين تأخرهما بالوجود لأن من عادة الثقيل الإبطاء كما أن من عادة الخفيف الإسراع والإنس أثقل من الجن للركن الأغلب عليهم ﴿**فبأي آلاء ربكما**﴾ التي من جملتها التنبيه على ما سيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدي إلى سوء الحساب ﴿**تكذبان**﴾ بأقوالكما وأعمالكما قال في «كشف الأسرار»: اعلم أن بعض هذه السورة ذكر فيه الشدائد والعذاب والنار والنعمة فيها من وجهين أحدهما في صرفها عن المؤمنين إلى الكفار وتلك النعمة عظيمة تقتضي شكراً عظيماً والثاني أن في التخويف منها والتنبيه عليها نعمة عظيمة لأن اجتهاد الإنسان رهبة مما يؤلمه أكثر من اجتهاده رغبة فيما ينعمه.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾

﴿**يا معشر الجن والإنس**﴾ هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولأن الجن مشهورون بالقدرة على الأفاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبىء عن ذلك لبيان أن قدرتهم لا تفي بما كلفوه والمعشر الجماعة العظيمة سميت به لبلوغه غاية الكثرة فإن العشر هو العدد الكامل الكثير الذي لا عدد بعده إلا بتركيبه بما فيه من الآحاد تقول أحد عشر واثنا عشر وعشرون وثلاثون أي: اثنتا عشرات وثلاث عشرات فإذا قيل معشر فكأنه قيل محل العشر الذي هو الكثرة الكاملة وقدم الجن على الإنس في هذه الآية لتقدم خلقه والإنس على الجن في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ [الإسراء: ٨٨] لفضله فإن التقديم يقتضي الأفضلية قال ابن الشيخ لما بين الله تعالى أنه سيجيء وقت يتجرد فيه لمحاسبتهم ومجازاتهم وهددهم بما يدل على شدة اهتمامه بها كان مظنة أن يقال فلم ذلك مع ما له من كمال الاهتمام به؟ فأشار إلى جوابه بما محصوله أنهم جميعاً في قبضة قدرته وتصرفه لا يفوته منهم أحد فلم يتحقق باعث يبعثه على الاستعجال لأن ما يبعث المستعجل إنما هو خوف الفوت وحيث لم يخف ذلك قسم الدهر كله إلى قسمين: أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة وجعل المدة الأولى أيام التكليف والابتلاء والمدة الثانية للحساب والجزاء وجعل كل واحدة من الدارين محل الرزايا والمصائب ومنبع البلايا والنوائب ولم يجعل لواحد من الثقلين سبيلاً للفرار منهما والهرب مما قضاه فيهما فقوله: يا معشر الجن متعلق بقوله ﴿**سنفرغ لكم**﴾ فكانا بمنزلة كلام واحد ﴿**إن استطعتم**﴾ لم يقل إن استطعتما لأن كل واحد منهما فريق كقولهم ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥] أي: كل فريق منهم يختصم فجمع الضمير هنا نظراً إلى معنى الثقلين وثناه في قوله ﴿**يرسل عليكما**﴾ كما سيأتي نظراً إلى اللفظ أي: إن قدرتم على ﴿**أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض**﴾ قال في «القاموس»: النفاذ جواز الشيء عن الشيء والخلوص منه كالنفوذ ومخالطة السهم جوف الرمية وخروج طرفه من الشق الآخر وسائره فيه كالنفذ ونفذهم جازهم وتخلفهم كأنفذهم والنافذ الماضي في جميع أموره انتهى والأقطار جمع قطر بالضم وهو الجانب والمعنى أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هاربين من الله فارين من قضائه ﴿**فانفذوا**﴾ فاخرجوا منها وخلصوا أنفسكم من عقابي وهو أمر تعجيز والمراد أنهم لا يفوتونه ولا يعجزونه حتى لا يقدر عليهم ﴿**لا تنفذون**﴾ لا تقدرون على النفوذ ﴿**إلا بسلطان**﴾ أي: بقوة وقهر وأنتم من ذلك بمعزل بعيد.

ـ روي ـ أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فيهرب الإنس والجن فلا يأتون وجهاً إلا وجدوا الملائكة أحاطت به فتقول لهم الملائكة ذلك فكما لا يقدر أحد على الفرار يوم القيامة كذلك لا يقدر في الدنيا فيدركه الموت والقضاء لا محالة.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي: من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿يرسل عليكما شواظ﴾ هو لهب خالص لا دخان فيه أو دخان النار وحرها كما في «القاموس» قال سعدي المفتي: والله أعلم أنها استئناف جواباً عن سؤال الداعي إلى الهرب والفرار وإن ذلك حين يساق إلى المحشر كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أي: يرسل عليكما لهب بلا دخان ليسوقكم إلى المحشر **﴿من نار﴾** متعلق بيرسل والتنوين فيهما للتفخيم **﴿ونحاس﴾** أي: دخان أو صفر مذاب يصب على رؤوسهم وفي «المفردات» النحاس اللهب بلا دخان وذلك تشبيه في اللون بالنحاس وفي «القاموس» النحاس مثلثة عن أبي العباس الكواشي: القطر والنار وما سقط من شرار الصفر أو الحديد إذا طرق **﴿فلا تنتصران﴾** أي: لا تمنعان من ذلك العذاب.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ من بيان عاقبة الكفر والمعاصي والتحذير عنها فإنها لطف ونعمة وأي لطف ونعمة.

﴿فإذا انشقت السماء﴾ أي: انصدعت يوم القيامة وانفك بعضها من بعض لقيام الساعة أو انفرجت فصارت أبواباً لنزول الملائكة كقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥] وفي الخبر من نار جهنم إذا كشف عنها **﴿فكانت وردة﴾** كوردة حمراء في اللون وهي الزهرة المعروفة التي تشم والغالب على الورد الحمرة قال:

ولو كنت ورداً لونه لعشقتني ولكن ربي شانني بسواديا

وقيل: لأن أصل لون السماء الحمرة وإنما ترى زرقاء للبعد والحوائل ولأن لون النار إذا خالط الأزرق كساه حمرة **﴿كالدهان﴾** خبر ثان لكانت أي: كدهن الزيت فكانت في حمرة الوردة وفي جريان الدهن أي: تذوب وتجري كذوبان الدهن وجريه فتصير حمراء من حرارة جهنم وتصير مثل الدهن في رقته وذوبانه وهو إما جمع دهن أو اسم لما يدهن به كالإدام لما يؤتدم به وجواب إذا محذوف أي: يكون من الأحوال والأهوال ما لا يحيط به دائرة المقال قال سعدي المفتي ناصب إذا محذوف أي: كان ما كان من الأمر الهائل الذي لا يحيط به نطاق العبارة أو رأيت أمراً عظيماً هائلاً وبهذا الاعتبار تتسبب هذه الجملة عما قبلها لأن إرسال الشواظ يكون سبباً لحدوث الأمر الهائل أو رؤيته في ذلك الوقت.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ مع عظم شأنها.

﴿فيومئذ﴾ أي: يوم إذ انشقت السماء حسب ما ذكر **﴿لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾** لأنهم يعرفون بسيماهم فلا يحتاج في تمييز المذنب عن غيره إلى أن يسأل عن ذنبه إن أراد أحد

أن يطلع على أحوال أهل المحشر وذلك أول ما يخرجون من القبور ويحشرون إلى الموقف فوجاً فوجاً على اختلاف مراتبهم وأما قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢] ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا فإنه أعلم بذلك منهم ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا وعنه أيضاً ويسألون سؤال شفاء وراحة وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ وضمير ذنبه للإنس لتقدمه رتبة وإفراده لما أن المراد فرد من الإنس كأنه قيل لا يسأل عن ذنبه إنسي ولا جني وأراد بالجان الجن كما يقال تميم ويراد ولده.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ مع كثرة منافعها فإن الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدي إليه وفيه إشارة إلى شعاشع أنوار الطاعة والعبادة على صفحات وجنات إنس الروح وإلى تراكم ظلمات المعصية والمتمرد وسلاسل الطغيان وأغلال العصيان على صفحات وجوه جن النفس المظلمة وأعناقهم المتمردة الآبية عن الطاعة والانقياد ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ مما أنعم الله على عباده المنقادين في هذا اليوم ومما انتقم من عباده المتمردين في ذلك اليوم فإن الانتقام من الأعداء نعمة على الأحباب ولذا ورد الحمد عقيبه كما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥] وكمال الانتقام بإفناء أوصاف النفس الأمارة بالكلية ﴿**يعرف المجرمون بسيماهم**﴾ السيما والسيماء بالكسر والقصر والمد العلامة والجملة استئناف يجري مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن كما يعرف الصالحون بأضداد ذلك ﴿**فيؤخذ بالنواصي والأقدام**﴾ النواصي جمع ناصية وهي مقدم الرأس والمراد هنا شعرها والجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال أخذه إذا كان المأخوذ مقصوداً بالأخذ ومنه قوله تعالى: ﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] ونحوه وأخذ به إذا كان المأخوذ شيئاً من ملابسات المقصود بالأخذ ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ [طه: ٩٤] وقول المستغيث خذ بيدي أخذ الله بيدك والمعنى تأخذ الملائكة بنواصيهم أي: بشعور مقدم رؤوسهم وأقدامهم فيقذفونهم في النار أو تسحبهم الملائكة إلى النار تارة تأخذ بالنواصي وتجرهم على وجوههم أو يجمع بين نواصيهم وأقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ من المواعظ والزواجر.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿**هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون**﴾ على إرادة القول أي: يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ ﴿**يطوفون بينها**﴾ أي: يدورون بين النار يحرقون بها ﴿**وبين حميم آن**﴾ أي: ماء بالغ من الحرارة أقصاها يصب عليهم أو يسقون منه أي: يطوفون من النار إلى الحميم ومن الحميم إلى النار دهشاً وعطشاً أبداً من أنى يأنى فهو آن مثل قضى يقضي فهو قاض إذا انتهى في الحر والفيح قال أبو الليث يسلط عليهم الجوع فيؤتى بهم إلى الزقوم الذي طلعها كرؤوس الشياطين فأكلوا منها فأخذت في حلوقهم فاستغاثوا بالماء فأوتوا به من الحميم فإذا قربوه إلى وجوههم

تناثر لحم وجوههم ويشربون فتغلي أجوافهم ويخرج جميع ما فيها ثم يلقى عليهم الجوع فمرة يذهب بهم إلى الحميم ومرة إلى الزقوم وقال كعب الأحبار: إن وادياً من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً فيلقون في النار.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وقد أشير إلى سر كون بيان أمثال هذه الأمور من قبيل الآلاء مراراً فالآلاء في أمثالها حكايتها فقط للانزجار مما يؤدي الابتلاء بها من الكفر والمعاصي بخلاف ما فصل في أول السورة إلى قوله: ﴿كل يوم﴾ الخ فإنها نعم واصلة إليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث إيجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدي إلى استدامتها وفي الآية إشارة إلى الكاسبين بقدم مخالفة الشرع وموافقة الطبع الصفات الذميمة وأخلاق الرذيلة وهم يطوفون بين نار المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية وبين حميم الجهل فإنه لا يقطع العطش ولا يروي الظمآن وإنما ينفع للإنسان في الدنيا والآخرة العلم القطعي والكشف الصحيح ألا ترى إلى علوم أهل الجدل فإنها في حكم الجهل لأن أهلها منغمسون في الشهوات واللذات مستغرقون في الأوهام والخيالات ولما نبه الله الإمام الغزالي رحمه الله وأيقظه ونظر فإذا علومه التي صرف شطراً من عمره في تعلمها وتعليمها لا تنقذه في الآخرة رجع إلى كتب الصوفية فتيقن أنه ليس أنفع من علومهم لكون معاملاتها ذات الله وصفاته وأفعاله وحقائق القرآن وأسراره فترك التدريس ببغداد وخرج إلى طلب أهل تلك العلوم حتى يكون منها على ذوق بسبب صحبتهم فوفقه الله فكان من أمره ما كان وقد قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت وقال الإمام فخر الدين للشيخ نجم الدين قدس سره: بم عرفت ربك؟ قال: بواردات ترد على القلوب فتعجز النفوس عن تكذيبها فالنفس كجهنم فيها نار الشهوات وحميم الجهالات فمن زكاها في الدنيا عن أوصافها نجا يوم القيامة من الاحتراق والافتراق نعوذ بالله من سوء الحال وسيئات الأعمال وقبائح الأحوال:

نمى تازد اين نفس سركش چنان ... كه عقلش تواند كرفتن عنان
كه بانفس وشيطان برآيد بزور ... مصلف پلنكان نيايد زمور

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ وبراى كسى كه بترسد از ايستادن پيش خداى تعالى وهو شروع في تعداد النعم الفائضة عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل إليهم في الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية والمقام اسم مكان ومقامه تعالى موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب كما قال ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٦] فالإضافة للاختصاص الملكي إذ لا ملك يومئذ إلا لله تعالى قال في «عين المعاني»: نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين شرب لبناً على ظمأ فأعجبه ثم أخبر أنه من غير حل فاستقاء فقال ﷺ لما سمعه: «رحمك الله لقد أنزلت فيك آية» ودخل فيه من يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله ﴿جنتان﴾ جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجني على طريق التوزيع فإن الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي أو جنة

يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد وقال في «الموضح»: دوباغ دهد ايشانرا دربهشت كه يكى از ايشان صد ساله راه طول وعرض داشته باشد ودرميان هرباغ سراهاى خوش وحوران دلكش. وقال الأستاذ القشيري رحمه الله جنة معجلة هي لذة المناجاة والتلذذ بحقائق المشاهدات وما يرد على قلوبهم من صدقه الواردات وجنة مؤجلة وهي الموعودة في الآخرة وفي «بحر العلوم» قيل جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجني لأن الخطاب للثقلين وفيه نظر لقوله عليه السلام: «إن مؤمن الجن لهم ثواب وعليهم عقاب وليسوا من أهل الجنة مع أمة محمد هم على الأعراف حائط الجنة تجري فيه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار».

يقول الفقير: قد سبق في أواخر الأحقاف أن المذهب أن الجن في حكم بني آدم ثواباً وعقاباً لأنهم مكلفون مثلهم وإن لم نعلم كيفية ثوابهم فارجع إلى التفصيل في تلك السورة.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ قال محمد بن الحسن رحمه الله: بينا كنت نائماً ذات ليلة إذا أنا بالباب يدق ويقرع فقلت: انظروا من هو فقالوا: رسول الخليفة يدعوك فخفت على روحي فقمت ومضيت إليه فلما دخلت عليه قال: دعوتك في مسألة أن أم محمد يعني زبيدة قلت لها إني إمام العدل وإمام العدل في الجنة فقالت: إنك ظالم عاص قد شهدت لنفسك بالجنة فكذبت بذلك على الله تعالى وحرمت عليك فقلت له: يا أمير المؤمنين إذا وقعت في معصية فهل تخاف الله في تلك الحال أو بعدها؟ فقال: أي: والله أخافه خوفاً شديداً فقلت له: أنا أشهد أن لك جنتين لا جنة واحدة قال تعالى: **﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾** فلاطفني وأمرني بالانصراف فلما رجعت إلى داري رأيت البدر متبادرة إلي قال بعضهم: هو المقام الذي يقوم بين يدي ربه يوم القيامة عند كشف الستور وظهور حقائق الأمور وسكوت الكل من الأنبياء والأولياء لظهور القدرة والجبروت فلا بد من الخوف من القيام في ذلك المقام الهائل. مالك بن دينار كفته دلى كه دروخوف نه همچون خانه كه در وخدا وندنه خانه كه درو خداوند نبود عنقريب آن خانه خراب شودودلى كه درو خوف بود علامتش آنست كه خاطر را از حرمت پركند واخلاق را مهذب كرداند وأطراف بادب دارد ابو القاسم حكيم كفته كه ترس از خالق ديكر است وترس از مخلوق ديكر هركه از مخلوق ترسد ازوى بكريزد وهركه از خالق ترسد باوى كريزد يقول الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] ترس از الله باشهوت ودينار نسازد هركه اسير شهوت كشت ترس ازدل وى رخت برداشت ودردست ديو افتاد تابهر درى كه ميخواهد اورامى كشت در آثار بيارندكه يحيى عليه السلام برابليس رسيده ودردست ابليس بند هاديد ازهر جنس وهررنك كفت اى شقى اين چه بند هاست كه دردست تومى بينم كفت اين انواع شهوات فرزند آدم است كه ايشانرا باين دربند آدم وبرمراد خويش مى دارم كفت يحيى راهيچ چيز شناسى كه بآن دروى طمع كنى كفت نه مكريك چيزكه هركه كه طعام سير خورد كرانى طعام اورا ساعتى ازنماز وذكر الله مشغول دارد يحيى كفت ازخداى عز وجل پذيرفتم وباوى عهد بستم كه هركز طعام سير نخورم بزركى راپر سيدندكه خداى تعالى با اندوه كنان وترسند كان چه خواهد كفت اكر اندوه براىٰ او دارند ومحمل ترس از بهرا او كشند هنوز نفس ايشان منقطع نشده باشدكه جام رحيق بردستشان نهندبران نبشته كه ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠]:

اندوه غريبان بسر آيد روزى درکار غريبان نظر آيد روزى

ترسند کانرا واندوه کنانرا چهار بهشت است دوبهشت سيمين ودو بهشت زرين. كما قال عليه السلام: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما».

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى من يخاف مقام الشهود إبقاء على نفسه لأن الشهود الحقيقي يفني الشاهد عن شاهديته في المشهود ويبقيه بالمشهود من آخر مراتب المشاهدة إذ لا لذة في أوائل المشاهدة وإليه أشار عليه السلام بقوله: اللهم ارزقنا لذة النظر إلى لقائك وبهذا المعنى كان يقول لعائشة رضي الله عنها حين يغيب عن حسه «كلميني يا حميراء» للتبليغ والإرشاد وقوله جنتان أي: جنة الفناء في نعمة المشهود وجنة البقاء بالمشهود قوله مقام ربه أي مقام شهود ربه بحذف المضاف فبأي آلاء ربكما تكذبان من نعمة الفناء في الله ونعمة البقاء بالله.

﴿**ذواتا أفنان**﴾ صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيهاً على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للإنكار والتوبيخ وذواتا تثنية ذات بمعنى صاحبة وفي تثنيتها لغتان الرد على الأصل فإن أصلها ذوية لأنها مؤنثة ذوي والتثنية على اللفظ أن يقال ذاتا والأفنان جمع فن أي: ذواتا أنواع من الأشجار والثمار أو جمع فنن وهو الغصن المستقيم طولاً أو الذي ينشعب من فروع الشجرة أي: ذواتا أغصان متشعبة من فروع الشجرة وتخصيصها بالذكر لأنها التي تورق وتثمر وتمد الظل وتجتني منها الثمار يعني أن في الوصف تذكيراً لها على سبيل الكناية كأنه قيل ذواتا أوراق وأثمار وأظلال.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ وليس فيها شيء يقبل التكذيب.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾﴾

﴿**فيهما عينان تجريان**﴾ صفة أخرى لجنتان فصل بينهما بقوله فبأي الخ مع أنه لم يفصل به بين الصفات الكائنة من قبيل العذاب حيث قال ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ [الرحمن: ٣٥] مع أن إرسال النحاس غير إرسال الشواظ أي: في كل واحدة منهما عين من ماء غير آسن تجري كيف يشاء صاحبها في الأعالي والأسافل لما علم من وصف أنهار الجنة لا من حذف المفعول وقيل تجريان من جبل من مسك عن ابن عباس والحسن رضي الله عنهم تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل وقال أبو بكر الوراق رحمه الله: فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله تعالى:

بران ازدوسر چشمه ديده جوى ورآ لا يشى دارى از خود بشوى

نريزد خدا آب روى كسى كه ريزد كناه آب چشمش بسى

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ وفيه إشارة إلى أن في جنة الفناء عينا يجري فيها ماء الحياة وهي البقاء بعد الفناء وفي جنة البقاء عيناً يجري فيها ماء العلم والمعرفة والحكمة والبقاء بعد الفناء يستلزم أنواع المعارف والحكم وأصناف الموائد والنعم ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ يا أصحاب السكر والغيبة ويا أرباب الصحور والحضور كما في «التأويلات النجمية».

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ صنفان معهود وغريب لم يره أحد ولم يسمع أو رطب ويابس أو حلو وحامض ويقال لونان وقيل في المنظر دون المطعم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما في الدنيا حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو وذلك لأن ما في الجنة خلق من حلاوة الطاعات فلا يوجد فيها المر المخلوق من مرارة السيئات كزقوم جهنم ونحوه ولكون الجنة دار الجمال لا يوجد فيها اللون الأسود أيضاً لأنه من آثار الجلال والجملة صفة أخرى لجنتان ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي: من هذه النعم اللذيذة.

﴿متكئين﴾ حال من الخائفين لأن من خاف في معنى الجمع والمعنى يحصل لهم جنتان متكئين أي: جالسين جلسة الملوك جلوس راحة ودعة معتمدين ﴿على فرش﴾ جمع فراش بالكسر وهو ما يفرش ويبسط ويستمهد للجلوس والنوم ﴿بطائنها﴾ جمع بطانة وهي بالكسر من الثوب خلاف ظهارته بالفارسية آستر ﴿من إستبرق﴾ قرأ ورش عن نافع ورويس عن يعقوب من استبرق بحذف الألف وكسر النون لإلقاء حركة الهمزة عليها والباقون بإسكان النون وكسر الألف وقطعها والإستبرق ما غلظ من الديباج قيل هو استفعل من البريق وهو الإضاءة وقيل من البرقة وهو اجتماع ألوان وجعل اسماً فأعرب إعرابه وقد سبق شرحه في الدخان والمعنى من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها يعني أن الظهارة كانت أشرف وأعلى كما قال عليه السلام لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذه الحلة فذكر المنديل دون غيره تنبيهاً بالأدنى على الأعلى وقيل ظهائرها من سندس أو من نور أو هو مما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] ﴿وجنى الجنتين دان﴾ جنى اسم بمعنى المجني كالقبض بمعنى المقبوض لقول علي رضي الله عنه:

هذا جناي وخياره فيه   وكل جان يده إلى فيه

ودان من الدنو وهو القرب أصله دانو مثل غازو أي: ما يجتنى من أشجارها من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع وبالفارسية وميوه درختان آن دوبهشت نزديكست كه دست قائم وقاعد ومضطجع بدان رسد وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تدنو الشجرة حتى يجتبيها ولي الله إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً وإن شاء مضطجعاً وقال قتادة: لا يرد يده بعد ولا شوك وكفته اندكسانى كه تكيه دارند وميوه آروز كنند شاخ درخت سرفرو دارد وآن ميوه كه خواهد بدهان وى درآيد.

يقول الفقير: إن البعد إنما نشأ من كثافة الجسم ولا كثافة في الجنة وأهلها أجسام لطيفة نورانية في صور الأرواح وقد قال من قال: «مصرع» بعد منزل نبود درسفر روحاني. وأيضاً إن الطاعات في الدنيا كانت في مشيئة المطيع فثمراتها أيضاً في الجنة تكون كذلك فيتناولها بلا مشقة بل لا تناول أصلاً فإن سهولة التناول تصوير لسهولة الأكل فتلك الثمار تقع في الفم بلا أخذ على ما قال البعض.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ من هذه الآلاء اللذيذة الباقية.

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾

﴿فيهن﴾ أي: في الجنان المدلول عليها بقوله جنتان لما عرفت أنهما لكل خائفين من الثقلين أو لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية في قوله متكئين ﴿قاصرات

الطرف﴾ من إضافة اسم الفاعل إلى منصوبه تخفيفاً ومتعلق القصر وهو على أزواجهن محذوف للعلم به والمعنى نساء يقصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم وتقول كل منهن لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجك وقصر الطرف أيضاً من الحياء والغنج. وچون قصر الطرف برمعناى حيا وعنج بود معنى قاصرات الطرف آنست كه كنير كان بهشتى نازنينان اندازناز فرو شكسته چشمان اند. وقد يقال المعنى قاصرات الطرف غيرهن عليهن أي: إذا رآهن أحد لم يتجاوز طرفه إلى غيرهن لكمال حسنهن.

﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ الجملة صفة لقاصرات الطرف لأن إضافتها لفظية يقال طمث المرأة من باب ضرب إذا افتضها بالتدمية أي: أخذ بكارتها فالطمث الجماع المؤدي إلى خروج دم البكر ثم أطلق على كل جماع طمث وإن لم يكن معه دم وفي «القاموس» الطمث المس والمعنى لم يمس الإنسيات أحد من الإنس ولا الجنيات أحد من الجن قبل أزواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف يعني حوران كه براى انس مقرر اند دست آدمى بدامن ايشان نرسيده باشد وآنانكه براى جن مقرراند جن نيز درايشان تصرف نكرده باشد. فهن كالرياض الأنف وهي التي لم ترعها الدواب قط وفيه ترغيب لتحصيلهن إذ الرغبة للابكار فوق الرغبة للثيبات ودليل على أن الجن من أهل الجنة وأنهم يطمثون كما يطمث الإنس فإن مقام الامتنان يقتضي ذلك إذ لو لم يطمثوا كمن قبلهم لم يحصل لهم الامتنان به ولكن ليس لهم ماء كماء الإنسان بل لهم هواء بدل الماء وبه يحصل العلوق في أرحام إناثهم كما في «الفتوحات المكية» وهذا يستدعي أن لا تصح المناكحة بين الإنس والجن وكذا العكس وقد ذهب إلى صحتها جم غفير من العلماء منهم صاحب «آكام المرجان».

وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما المخنثون أولاد الجن لأن الله ورسوله نهيا أن يأتي الرجل امرأته وهي حائض فإذا أتاها سبقه إليها الشيطان فحملت فجاءت بالمخنث وكذا قول مجاهد إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه فلا يدل دلالة قطعية على أن جماعهم كجماع الإنس وأن من جماعهم الإنس يحصل العلوق بل فيه دلالة على شركة الجن معه بسبب الحيض وعدم التسمية كشركة الشيطان في الطعام الذي لم يسم عليه ونحوه فهو إفساد بالخاصية وإضرار بما يليق بمقامه والعلم عند الله تعالى ثم إن هؤلاء أي: قاصرات من حور الجنة المخلوقات فيها ما يبتذلن ولم يمسسن وهذا قول الجمهور وقال الشعبي والكلبي من نساء الدنيا أي: لم يجامعهن بعد النشأة الثانية أحد سواء كن في الدنيا ثيبات أو أبكاراً.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ من هذه النعم التي هي لتمتع نفوسكم وفيه إشارة إلى أن في الجنات للفانين في الله الباقين به حوراً من التجليات الذاتية والمعارف الإلهية والحكم الربانية مستورات عن عيون الأغيار لا يتبرجن ولا يظهرن على غير أربابهن لم يطلع عليهن إنس الروح ولا جان النفس لبقائهم بهم وظلمة نفسهم وكثافة طينتهم.

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ صفة لقاصرات الطرف قد سبق بيان المرجان وأما الياقوت

فهو حجر صلب شديد اليبس رزين صاف منه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر وأزرق وهو حجر لا تعمل فيه النار لقلة دهنيته ولا يثقب لغلظة رطوبته ولا تعمل فيه المبارد لصلابته بل يزداد حسناً على مر الليالي والأيام وهو عزيز قليل الوجود سيما الأحمر وبعده الأصفر أصبر على النار من سائر أصنافه وأما الأخضر منه فلا صبر له على النار أصلاً وفي الطب أجود اليواقيت وأغلاها قيمة الياقوت الرماني وهو الذي يشابه النار في لونه ومن تختم بهذه الأصناف أمن من الطاعون وإن عم الناس وأمن أيضاً من إصابة الصاعقة والغرق ومن حمل شيئاً منها أو تختم به كان معظماً عند الناس وجيهاً عند الملوك وأكل معجون الياقوت يدفع ضرر السم ويزيد في القوة ومعنى الآية مشبهات بالياقوت في حمره الوجنة والمرجان أي: صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فإن صغار الدر أنصع بياضاً من كباره وقال قتادة في صفاء الياقوت وبياض المرجان.

- روي - عن أبي سعيد في صفة أهل الجنة عن رسول الله ﷺ «لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحمها ودمها وجلدها» وعنه عليه السلام: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على أثرهم كأشد كوكب إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرىء منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشياً لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووجور مجامرهم الألوة وريحهم المسك» وعنه عليه السلام: «أن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها» إن الله يقول ﴿**كأنهن الياقوت والمرجان**﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه وقال عمرو بن ميمون: إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من قدامها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ من النعم المتعلقة بالنظر والتمتع وفيه إشارة إلى أن هذه الحوراء العرفانية والحسناء الإحسانية ياقوت تجليات البسط والانشراح ومرجان تجليات الجمال والكمال من لطافة الوجنة كالياقوت الأحمر ومن طراوة الفطرة كالمرجان الأبيض ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ أبالمشبه أم بالمشبه به.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾﴾

﴿**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾هل يجيء على أربعة أوجه الأول بمعنى قد كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ [الإنسان: ١] والثاني بمعنى الأمر كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] أي: فانتهوا والثالث بمعنى الاستفهام كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤] والرابع بمعنى ما الجحد كما في هذه الآية أي: ما جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قرأ رسول الله عليه السلام: «هل جزاء الخ ثم قال: هل تدرون ما قال ربكم قالوا: الله ورسوله أعلم قال: يقوله: هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أن أسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي» قال الكاشفي: حاصل آيت

آنست جزاى نيكى نيكست پس جزا دهند طاعات را درجات ومكافات كنند شكرها بزياده ونفوس را بفرح وتوبه را بقبول ودعا راباجابت وسؤال بعطا واستغفاراً بمغفرت وخوف دنيارا بأمن آخرت وجزاء فنا في الله بقا بالله:

هركه درراه محبت شدفنا ... يافت از بحر لقا در بقا

هركرا شمشير شوقش سربريد ... ميوه وصل ازدرخت شوق چيد

فغاية الإحسان من العبد الفناء في الله والمولى إعطاء الوجود الحقاني إياه فعليك بالإحسان كل آن وحين فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

ـ حكي ـ أن ذا النون المصري قدس سره رأى عجوزاً كافرة تنفق الحبوب للطيور وقت الشتاء فقال: إنه لا يقبل من الجنبي فقالت: افعل قبل أو لم يقبل ثم إنه رآها في حرم الكعبة فقالت: يا ذا النون أحسن إلى نعمة الإسلام بقبضة من الحبة.

ـ وروي ـ أن مخلوقاً مهيباً اعترض في طريق الحج فمنع القافلة عن المرور فقال بعضهم: لعله عطشان فأخذ بيد سيفاً وبيد قربة ماء حتى دنا إليه فصب في فمه قربة الماء حتى ارتوى وغاب ثم إنه نام في الرجوع من الحج فلما استيقظ رأى القافلة قد ذهبت فبقي وحيداً في البرية وفي تلك الحيرة جاءه رجل معه راحلة وأمره بالقيام فركبها حتى لحق الحجاج فأقسم عليه من هو فقال: أنا الذي رفعت عطشي بقربة الماء.

ـ وروي ـ أن امرأة أعطت لقمة للسائل فأخذ ذئب ولدها في الصحراء فظهر شخص فأخرجه من فم الذئب وأعطاها إياه وقال: هذه اللقمة بتلك اللقمة قال الحسن: الإحسان أن يعم ولا يخص فيكون كالمطر والريح والشمس والقمر قال بعض أهل التحقيق: الجنة جزاء الأعمال وأما جزاء التوحيد فرؤية الملك المتعال فذكر الله تعالى أحسن صنوف الإحسان.

ـ يروى ـ أن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت أي هذه الكلمة إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار فقال عليه السلام: «إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فإنها بعشر أمثالها» فقال: يا رسول الله لا إله إلا الله من الحسنات فقال عليه السلام: «هي أحسن الحسنات» ويكفي في شرف التوحيد أن الإيمان الذي هو أصل الطاعات وتنوير القلب الذي هو محل نظر الحق وتصفية الباطن من أكدار السوى إنما يحصل به ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ من نعمه الواصلة في الدنيا والآخرة.

﴿**ومن دونهما جنتان**﴾ مبتدأ وخبر أي: ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان أخريان لا دونهم من أصحاب اليمين فالخائفون قسمان: المقربون وأصحاب اليمين وهم دون المقربين بحسب الفضائل العلمية والعملية فدون بمعنى الأدنى مرتبة ومنزلة لا بمعنى غير فالجنتان الأوليان أفضل من الأخريين كفضل المقربين على الأبرار وقيل ليس دون من الدناءة بل من الدنو وهو القرب أي: ومن دون هاتين الجنتين إلى العرش أي: أقرب إليه وأرفع منهما وحمله بعض المفسرين على معنى الغير. كما قال الكاشفي: ويجزاين بوستان كه مذكورشد دوبوستان ديكرست وكفته اندد وبوستان اول اززرست براى سابقان واين دوبوستان ازنقره براى اصحاب يمين. وأطلقهما صاحب «كشف الأسرار» حيث قال من دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما

ولكل رجل وامرأة من أهل الجنة جنتان إحداهما جزاء عمله والأخرى ورثوها عن الكفار وقيل لكل واحد منهم أربع جنان في الجهات الأربع ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة إلى جنة ويكون أمتع لأنه أبعد من الملل فيما طبع عليه البشر وجملة معاني من دونهما فوقهما أو من دون صفتيهما أو من دونهما في الدرج أو أمامهما أو قبلهما «وفلاة من دونها سفر طال وميل يفضي إلى أميال» ويؤيد معنى الأدنى مرتبة قول الشيخ نجم الدين في «تأويلاته» يشير إلى جنتي الأبرار القائمين بالأعمال الصحيحة والأقوال المستقيمة الناظرين إلى المراتب السنية الطالبين للمراتب والمقامات العلية يعني أن لهم جنتين من دون جنتي المذكورين أعني الفانين عن ناسوتيتهم والباقين بلاهوتيته.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ مما ذكر من الجنتين.

﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿مدهامتان﴾ صفة لجنتان يقال ادهام الشيء يدهام ادهيماما فهو مدهام اسود وفي «تاج المصادر» في باب الافعيلال الادهيمام سياه شدن لأن الدهمة بالضم السواد والأدهم الأسود ومنه قوله تعالى: **﴿مدهامتان﴾** أي: سوداوان يعني علا لونها دهمة وسواد من شدة الخضرة والري وإن شئت قلت خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الخضرة وبالفارسية دوبهشت سبزاز بسيارى سبزى بسياهى رسيده والنظر إلى الخضرة يجلو البصر كما قال عليه السلام: «ثلاث يجلون البصر: النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن» قال ابن عباس رضي الله عنهما: والإثمد عند النوم وهو الكحل الأسود وأجوده الأصفهاني وهو بارد يابس ينفع العين اكتحالاً ويقوي أعصابها ويمنع عنها كثيراً من الآفات والأوجاع سيما الشيوخ والعجائز وإن جعل معه شيء من المسك كان غاية في النفع وينفع من حرق النار طلاء مع الشحم ويقطع النزف ويمنع الرعاف إذا كان من أغشية الدماغ وفي الحديث: «خير أكحالكم الإثمد ينبت الشعر ويجلو البصر» كما في «خريدة العجائب» وفي قوله مدهامتان إشعار بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض وعلى الأوليين الأشجار والفواكه ودل هذا على فضل الأوليين على الأخريين.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير به إلى غلبة القوة النباتية على أصحاب هاتين الجنتين وهم أصحاب اليمين وإلى غلبة القوة الروحانية على أصحاب الجنتين الأوليين لأن فيهما كثرة الأشجار والفواكه وهم المقربون.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ حيث تتمتع أبصاركم بخضرة نباتات هاتين الجنتين وتنتفع أنوفكم بشم رياحينهما قال الفقهاء: إذا قرأ في الصلاة آية واحدة هي كلمة واحدة نحو قوله تعالى: **﴿مدهامتان﴾** أو حرف واحد نحو ق وص ون فإن كل حرف منها آية عند البعض فالأصح أنه لا يجزي عن فرض القراءة لأنه لا يسمى قارئاً لأن القراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾

﴿فيهما عينان نضاختان﴾ يقال نضخه كمنعه رشه ونضخ الماء اشتد فورانه من ينبوعه كما

في «القاموس» أي: فوارتان بالماء لا تنقطعان وبالفارسية جوشنده بآب يعني هرچندازوير دارند ديكرجوشد. وهذا يدل أيضاً على فضل الأوليين على الأخريين لأنه تعالى قال في الأوليين عينان تجريان وفي الأخريين نضاختان والنضخ دون الجري لأن النضخ هو الفوران وهو يتحقق بأن يكون الماء بحيث كلما أخذ منه شيء فار آخر مكانه ولا يكفي هذا القدر في جريانه فلا شك أن الجري أبلغ منه وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نضاختان بالمسك والعنبر وقال الكلبي بالخير والبركة.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ حيث يحصل لكم الري من شراب تينك العينين.

﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ عطف الأخيرين على الفاكهة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة بياناً لفضلهما فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان بالفارسية انار. فاكهة ودواء يعني بحسب حال الدنيا وإلا فالكل في الجنة للتفكه ومن هذا قال أبو حنيفة رحمه الله: من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رماناً أو رطباً لم يحنث خلافاً لصاحبيه يعني أن أبا حنيفة لا يجعلهما من الفاكهة بخلاف صاحبيه وغيرهما فلا يحنث من حلف أن لا يأكل فاكهة فأكل تمراً أو رماناً عنده وكذا الحكم عنده في العنب ومن جعلهما من الفاكهة حملهما على التخصيص بذكرهما بياناً لفضلهما كما مر آنفاً وقد سبق بيان النخل مفصلاً قال ابن عباس رضي الله عنهما: نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال أو الدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وأنهارها تجري في غير أخدود والرمان من الأشجار التي لا تقوى إلا بالبلاد الحارة.

ـ روي ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما ما لقحت رمانة قط إلا بحبة من الجنة وقال الإمام علي رضي الله عنه: إذا أكلتم الرمان فكلوه ببعض شحمه فإنه دباغ للمعدة وما من حبة منه تقيم في جوف مؤمن إلا أنارت قلبه وأخرجت شيطان الوسوسة منه أربعين يوماً وفي الحديث «من أكل رماناً أنار الله قلبه أربعين يوماً» ولا يخفى ما في جمع الرمان مع النار من اللطافة وأجوده الكبار الحلو المليس وهو حار رطب يلين الصدر والحلق ويجلو المعدة وينفع من الخفقان ويزيد في الباءة وقشره تهرب منه الهوام.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى ضعف استعداد أصحاب اليمين بالنسبة إلى المقربين لأن الرمان للدواء لا للتفكه وتهيئة الدواء في البيت تدل على ضعف مزاج ساكن البيت.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ حيث هيأ لكم ما به تتلذذون من الفواكه.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿فيهن خيرات حسان﴾ صفة أخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جمع الضمير كالذي مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات جمع خيرة لأن خير الذي بمعنى أخير لا يجمع فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات ومعناها بالفارسية زنان بركزيده. وقيل في تفسير الخيرات أي: لسن بذمرات ولا بخرات الدمر النتن والبخر بالتحريك النتن في الفم والإبط وغيرهما ولا متطلعات التطلع چشم داشتن. وقولهم عافى الله من لم يتطلع في فمك أي: لم يتعقب كلامك

«ولا متشوفات» التشوف خويشتن آراستن وچشم داشتن. ويعدى بإلى وفي «القاموس» شفته شوفاً جلوته وشيفت الجارية تشاف زينت وتشوف تزين وإلى الخير تطلع ومن السطح تطاول ونظر وأشرف «ولا ذربات» يقال ذرب كفرح ذربا وذرابة فهو ذرب حد والذربة بالكسر السليطة اللسان «ولا سليطات» السلط والسليط الشديد والطويل اللسان «ولا طماحات» يقال طمح بصره إليه كمنع ارتفع والمرأة طمحت فهي طامح وككتاب النشوز «ولا طوافات في الطرق» أي: دوارات «حسان» جمع حسنة وحسناء أي: حسان الخلق والخلق يعني نيكو رويان ونيكو خويان. وهن من الحور وقيل من المؤمنات الخيرات ويدل على الأول ما بعد الآية وفي الحديث «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على السموات والأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً ولعصابتها على رأسها خير من الدنيا وما فيها». وروي لو أن حوراء بزقت في بحر لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها.

- وروي - أنهن يقلن نحن الناعمات فلا نبأس يعني ماييم بانعمت كه درويش نمى شويم «الراضيات فلا نسخط» يعني ماييم راضى كه غضب نمى كنيم «نحن الخالدات فلا نبيد» يعني ماييم جاويدكه هلاك نمى شويم «طوبى لمن كنا له وكان لنا» وفي الأثر إذا قلن هذه المقالة أجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن فغلبنهن والله غلبنهن وفيه بيان أن هاتين الجنتين دون الأوليين لأنه تعالى قال في الأوليين في صفة الحور العين كأنهن الياقوت والمرجان وفي الأخريين فيهن خيرات حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿**فيهن خيرات حسان**﴾ من المعاملات الفاضلات والمكاشفات العاليات وهذا الوصف أيضاً يدل على أن جنة المقربين أفضل من جنة الأبرار وأصحاب اليمين لأن ثمرة تلك الجنة الفناء والبقاء وثمرة هذه الجنة المعاملات وتحسين الأخلاق.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ وقد أنعم عليكم بما به تستمعون من النساء.

﴿**حور**﴾ بدل من خيرات جمع حوراء وهي البيضاء ووصفت في غير هذه الآية بالعين وهي جمع عيناء بمعنى عظيمة العين وقال بعضهم: شديدة سواد العين يعني سياه چشمان اند ﴿**مقصورات في الخيام**﴾ قصرن في خدورهن وحبسن. قال الكاشفي: ازچشمهاى بيكانكان نكاه داشته ودرخيمها بداشته. وفيه إشارة إلى أنهن لا يظهرن لغير المحارم وإن لم تكن الجنة دار التكليف وذلك لأنهن من قبيل الإسرار وهي تصان عن الأغيار غيرة عليها يقال امرأة قصيرة وقصورة أي: مخدرة مستورة لا تخرج ومقصورات الطرف على أزواجهن لا يبغين بهم بدلاً والأخيام جمع خيمة وهي القبة المضروبة على الأعواد هكذا جمع خيام الدنيا وهي لا تشبه خيام الجنة إلا بالاسم فإنه قد قيل: إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها اهلون ما يرون إلا حين يطوف عليهم المؤمنون وقال ابن مسعود: لكل زوجة خيمة طولها ستون ميلاً. وكفته اندمراد خانهاست يعني مستورات في الحجال. وحجله خانه بود براى داماد وعروس. قال في «القاموس»: الحجلة محركة كالقبة موضع يزين بالثياب والستور للعروس والجمع حجل وحجال قال البقلي رحمه الله وصف الله جواري جنانه التي خلقهن لخدمة أوليائه وألبسهن لباس نوره وأجلسهن على سرير أنسه في حجال قدسه وضرب

عليهن خيام الدر والياقوت ينتظرن أزواجهن من العارفين والمؤمنين المتقين لا يصرفن أبصارهن في انتظارهن عن مسلك الأولياء من أزواجهن إلى غيره وفي الآية إشارة إلى أن الأسماء تنقسم بالقسمة الأولى قسمين بعضها كونية أي: لها مظاهر في الكون وبعضها غير كونية أي: ليس لها مظاهر في الكون بل هي من المستأثرات الغيبية كما جاء في دعاء النبي عليه السلام: «اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً أو استأثرت به في علم غيبك المكنون» وقوله: ﴿**حور مقصورات**﴾ يعني أن من خصائص هاتين الجنتين أن فيهما معاني وحقائق ما ظهرت مظاهرها في هذا العالم بل بعد في خيام الغيب المكنون في جنة السر.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ وقد خلق من النعم ما هي مقصورة ومحبوسة لكم ﴿**لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان**﴾ كالذي مر في نظيره في جميع الوجوه وقال بعضهم: أي: قبل أصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين قال في «كشف الأسرار»: كرر ذلك زيادة في التشويق وتأكيداً للرغبة وفيه أنه ليس بتكرير لأن الأول في أزواج المقربين وهذا في أزواج الأبرار قال محمد بن كعب: إن المؤمن يزوج ألف ثيب وألف بكر وألف حوراء.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ مع أنها ليست كنعم الدنيا إذ قد تطمث المرأة في الدنيا ثم يتزوجها آخر ثيباً فهن نعم باكورة فيا لها من طيب وصالها ويا لها من حسنها وبراعة جمالها لا يقدر أحد على حكايتها ولا يبلغ وصف إلى نهايتها والعقول فيها حيارى والقلوب سكارى.

﴿**متكئين**﴾ حال صاحبه محذوف يدل عليه الضمير في قبلهم ﴿**على رفرف**﴾ إما اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما تدلى من الأسرة من عالي الثياب أو ضرب من البسط أو الوسائد قال في «المفردات»: الرفرف ضرب من الثياب مشبه بالرياض انتهى ومن معاني الرفرف الرياض وكان بساط انوشروان ستين ذراعاً في ستين ذراعاً يبسط له في إيوانه منظوماً باللؤلؤ والجواهر الملونة على ألوان زهر الربيع وينشر إذا عدمت الزهور وفي «القاموس» الرفرف ثياب خضر تتخذ منها المحابس وتبسط وفضول المحابس والفرش وكل ما فضل فثنى والفراش والرقيق من الديباج ﴿**خضر**﴾ نعت لرفرف جمع أخضر والخضرة أحد الألوان بين البياض والسواد وهو إلى السواد أقرب فلهذا أسمى الأسود أخضر والأخضر أسود ﴿**وعبقري**﴾ عطف على رفرف والمراد الجنس ولذا وصف بالجمع وهو قوله: ﴿**حسان**﴾ حملاً على المعنى وهو جمع حسن والعبقري منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد كثير الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب وقال قطرب: ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسي وبختى قال في «القاموس»: عبقر موضع كثير الجن وقرية ثيابها في غاية الحسن والعبقري ضرب من البسط كالعباقرى انتهى وفي «المفردات»: قيل هو موضع للجن ينسب إليه كل نادر من إنسان وحيوان وثوب قال الله تعالى ﴿**وعبقري حسان**﴾ وهو ضرب من الفرش جعله الله مثلاً لفرش الجنة وفي «التكملة» عبقر اسم موضع يصنع فيه الوشي كانت العرب إذا رأت شيئاً نسبته إليه فخاطبهم الله على عادتهم وفي «فتح الرحمن» العبقري بسط حسان فيها صور وغير ذلك

والعرب إذا استحسنت شيئاً واستجادته قالت عبقري قال ابن عطية ومنه قول النبي عليه السلام: «رأيت عمر بن الخطاب في المنام يستقي من بئر فلم أر عبقرياً يفري فريه» أي: سيداً يعمل عمله وقيل: عبقر اسم رجل كان بمكة يتخذ الزرابي ويجيدها فنسب إليه كل شيء جيد حسن وبالفارسية وبساطي قيمتي درغايت نيكويى قوله تعالى في الأولبين ﴿**متكئين على فرش بطائنها من إستبرق**﴾ وترك ذكر الظهارة لرفعة شأنها وخروجها عن كونها مدركة بالعقول والافهام وفي الأخريين متكئين على رفرف خضر وعبقري وبه يعلم تفاوت ما بينهما وقيل الاستبرق ديباج والعبقري موشى والديباج أعلى من الموشى قال ابن الشيخ الرفرف فراش إذا استقر عليه الولي طار به من فرحه وشوقه إليه يميناً وشمالاً وحيثما يريده الولي.

ـ وروي ـ في حديث المعراج أن رسول الله عليه السلام لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى سيد العرش فذكر عليه السلام أنه طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي ولما حان الانصراف تناوله فطار به خفضاً ورفعاً يهوي به حتى أداه إلى جبريل» فالرفرف خادم بين يدي الله من جملة الخدم مختص بخواص الأمور في محل الدنو والقربة كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء مخصوصة بذلك فهذا الرفرف الذي سخره لأهل الجنتين هو متكأهم وفرشهم يرفرف بالولي ويطير به على حافات تلك الأنهار وحيث يشاء من خيامه وأزواجه وقصوره انتهى وهذا التقرير على تقدير أن يكون دون من الدنو ومعنى من دونهما أرفع منهما كما لا يخفى ويدل عليه أن الرفرف أعظم خضرة من الفرش المذكورة في قوله ﴿**متكئين على فرش**﴾.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ وقد هيأ لكم ما تتكئون عليه فتستريحون.

﴿**تبارك اسم ربك**﴾ تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من آلائه الفائضة على الأنام أي: تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبىء عن إفاضة الآلاء المفصلة وارتفع عما يليق بشأنه من الأمور التي من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها وإذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه كذلك فما ظنك بذاته الأقدس الأعلى وقيل: الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم مثل ثم اسم السلام عليكما أي: ثم السلام عليكما قال في «فتح الرحمن»: وهذا الموضع مما أريد فيه بالاسم مسماه.

وفي «التأويلات النجمية» هذا يدل على أن الاسم هو المسمى لأن المتعالي هو المسمى في ذاته لا الاسم وإن كان فتبعيته وكذا الموصوف بالقهر واللطف والجلال والإكرام هو المسمى فحسبه انتهى وفي «الأمالي» وليس الاسم غير المسمى وفي «شرح الأسماء الحسنى» للزروقي الصحيح أن الاسم غير المسمى وأباه قوم وفصل آخرون وتوقف آخرون امتناعاً لكن السلف لم يتكلموا في الاسم والمسمى ولا في الصفة والموصوف ولا في التلاوة والمتلو طلباً للسلامة وحذراً على الغير وهو ﴿**ذي الجلال والإكرام**﴾ وصف به الرب تكميلاً لما ذكر من التنزيه والتقرير. كفته انداول چيزى كه ازقرآن درمكه برقريش آشكارا خواندند بعضي آيات ازأول اين سوره بود روايت كردند از عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كفت صحابه رسول عليه السلام محتمع شدند كفتندتا اين غايت مردم قريش از قرآن هيچ نشنيدند درميان ما كيست كه ايشانرا قرأن بشنواند آشكارا عبد الله بن مسعود كفت آنكس من باشم كه قرأن آشكارا برايشان خوانم اكرچه از ان رنج وكزند آيدپس بيامد ودر انجمن قريش بيستاد وابتداء سوره رحمن در

كرفت ولختى ازان آيات برخواند قريش چون آن بشنيدند ازسر غيظ وعداوت اورا زخمها كردند ورنجانيدند پس چون بعضي خوانده اورافرا كذاشتند وبنزديك اصحاب باز كذشت. فقالوا: هذا الذي خشينا عليك يا ابن مسعود وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا سلم من الصلاة لم يقعد إلا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» كما في «كشف الأسرار» قال الزروقي ذو الجلال والإكرام هو الذي له العظمة والكبرياء والإفضال التام المطلق من عرف أنه ذو الجلال والإكرام هابه لمكان الجلال وأنس به لمكان الإكرام فكان بين خوف ورجاء وهو اسم الله الأعظم وقال بعضهم: أسماء الله تعالى كلها أعظم لدلالتها على العظيم فإنه إذا عظم الذات والمسمى عظم الأسماء والصفات وإنما الكلام في ذكرها بالحضور والشهود والاستغراق في بحر الجود وهو ذكر الكمل من أفراد الإنسان نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذاكرين له ظاهراً وباطناً أولاً وآخراً:

تمت سورة الرحمن بعون الملك المنان في أواخر ذي القعدة الشريف
من شهور سنة أربع عشرة ومائة وألف

٥٦ ـ سورة الواقعة

مكية وآيها ست وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾.

﴿إذا وقعت الواقعة﴾ انتصاب إذا بمضمر أي: إذا قامت القيامة وحدثت وذلك عند النفخة الثانية يكون من الأهوال ما لا يفي به المقال سماها واقعة مع أن دلالة اسم الفاعل على الحال والقيامة مما سيقع في الاستقبال لتحقق وقوعها ولذا اختير إذا وصيغة الماضي فالواقعة من أسماء القيامة كالصاخة والطامة والآزفة.

﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ قال الراغب يكنى عن الحرب بالوقعة وكل سقوط شديد يعبر عنه بذلك قال أبو الليث سميت القيامة الواقعة لصوتها والمعنى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله وتفتري بالشريك والولد والصاحبة وبأنه لا يبعث الموتى لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كاذبة مكذبة فاللام للتوقيت والكاذبة اسم فاعل أوليس لأجل وقعتها أو في حقها كذب بل كل ما ورد في شأنها من الإخبار حق صادق لا ريب فيه فاللام للتعليل والكاذبة مصدر كالعاقبة.

﴿خافضة﴾ أي: هي خافضة لأقوام **﴿رافعة﴾** لآخرين وهو تقرير لعظمتها على سبيل الكناية فإن الوقائع العظام يرتفع فيها أناس إلى مراتب ويتضع أناس وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل قال بعضهم: خافضة لأعداء الله إلى النار رافعة لأولياء الله إلى الجنة أو تخفض أقواماً بالعدل وترفع أقواماً بالفضل أو تخفض أقواماً بالدعاوي وترفع أقواماً بالحقائق وعن ابن عباس رضي الله عنهما تخفض أقواماً كانوا مرتفعين في الدنيا وترفع أقواماً كانوا متضعين فيها. آن روز بلال درويش را رضي الله عنه مى آرند باتاج وحله ومركب بردابرد ميزنند تا بفردوس أعلى برند وخواجه اورا امية بن خلف با اغلال وانكال وسلاسل بروى مى كشند تابدرك اسفل برند آن طيلسان پوش منافق راباتش مى برند وآن قبابسته مخلص رابه ببهشب مى فرستندان پير مباحاتي مبتدع را بآتش قهر مى سوزند وآن جوان خراباتى معتقدرا برتخت بخت مى نشانند:

بساپير مباحاتى كه بى مركب فروماند   بسارند خراباتى كه زين بر شير نربندد

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾

﴿إذا رجت الأرض رجاً﴾ الرج تحريك الشيء وإزعاجه والرجرجة الاضطراب أي: خافضة رافعة إذا حركت الأرض تحريكاً شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل ولا تسكن

زلزلتها حتى تلقي جميع ما في بطنها على ظهرها.

﴿**وبست الجبال بساً**﴾ أي: فتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق إذا لته والبسيسة سويق يلت فيتخذ زاداً أو سيقت وسيرت من أماكنها من بس الغنم إذا ساقها.

﴿**فكانت**﴾ أي: فصارت بسبب ذلك ﴿**هباء**﴾ أي: غباراً وهو ما يسطع من سنابك الخيل أو الذي يرى في شعاع الكوة أو الهباء ما يتطاير من شرر النار أو ما ذرته الريح من الأوراق ﴿**منبثاً**﴾ أي: منتشراً متفرقاً وفي التفسير أن الله تعالى يبعث ريحاً من تحت الجنة فتحمل الأرض والجبال وتضرب بعضها ببعض ولا تزال كذلك حتى تصير غباراً ويسقط ذلك الغبار على وجوه الكفار كقوله تعالى ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠] وقال بعضهم: إن هذه الغبرة هي التراب الذي أشار إليه تعالى بقوله: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠] وسيجيء تحقيقه في محله وفي الآية إشارة إلى قيامة العارفين وهي قيامة العشق وسطوته وجذبة التوحيد وصدمته وهي تخفض القوى الجسمانية البشرية المقتضية لأحكام الكثرة وترفع القوى الروحانية الإلهية المستدعية لأنوار الوحدة وصرصر هذه القيامة إذا ضربت على أرض البشرية ومرت على جبال الأنانية الإنسانية جعلت تعينهما متلاشياً فانياً في ذاتهما وصفاتهما لا اسم لهما ولا رسم ولا أثر ولا عين بل هباء منبثاً لا حقيقة له في الجود كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده وإليه الإشارة بقولهم إذا تم الفقر فهو إليه ولا بد في سلوك طريق الحق من إرشاد أستاذ حاذق وتسليك شيخ كامل مكمل حتى تظهر حقيقة التوحيد بتغليب القوى الروحانية على القوى الجسمانية كما قال العارف الرباني أبو سعيد الخراز قدس سره حين سئل عن التوحيد أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩﴾.

﴿**وكنتم**﴾ إما خطاب للأمة الحاضرة والأمم السالفة تغليباً. أو للحاضرة فقط ﴿**أزواجاً**﴾ أي: أصنافاً ﴿**ثلاثة**﴾ اثنان في الجنة وواحد في النار وكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود أو في الذكر فهو زوج فرداً كان أو شفعاً ﴿**فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة**﴾ تقسيم للأزواج الثلاثة فأصحاب الميمنة مبتدأ خبره ﴿**ما أصحاب الميمنة**﴾ على أن ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والأصل ما هم أي: أي شيء هم في حالهم وصفتهم والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة كأنه قيل ما عرفت حالهم أي: شيء فاعرفها وتعجب منها فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال نحو زيد وما زيد حيث لا يقال إلا في موضع التعظيم والتعجب وأصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية أخذاً من تيمنهم بالميامن أي: بطرف اليمين وتشؤمهم بالشمائل أي: بجانب الشمال كما تقول فلان مني باليمين والشمال إذا وصفته عندك بالرفعة والضعة تريد ما يلزم من جهتي اليمين والشمال من رفعة القدر وانحطاطه أو الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم أو الذي يكونون يوم القيامة على يمين العرش فيأخذون طريق الجنة والذين يكونون على شمال العرش فيفضي بهم إلى النار أو أصحاب اليمن وأصحاب الشؤم فإن السعداء ميامين على

أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم أو أصحاب الميمنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق قال الله تعالى في حقهم هؤلاء من أهل الجنة ولا أبالي وأصحاب المشأمة الذين كانوا على شماله وقال الله تعالى فيهم هؤلاء من أهل النار ولا أبالي وفي «القاموس» اليمن البركة كالميمنة يمن فهو ميمون وأيمن والجمع ميامين وأيامن واليمين ضد اليسار والجمع أيمن وأيمان وأيامن وأيامين والبركة والقوة والشؤم ضد اليمن والمشأمة ضد الميمنة.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾

﴿والسابقون السابقون﴾ هم القسم الثالث من الأزواج الثلاثة أخر ذكرهم ليقترن ببيان محاسن أحوالهم وأصل السبق التقدم في السير ثم تجوز به في غيره من التقدم والجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقوله أنا أبو النجم وشعري شعري أو السابقون الأول مبتدأ والثاني تأكيد له كرر تعظيماً لهم والخبر جملة قوله أولئك إلخ، وفي «البرهان» التقدير عند بعضهم السابقون ما السابقون فحذف ما لدلالة ما قبله عليه وهم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان فالمراد بالسبق هو السبق بالزمان أو الذين سبقوا في حيازة الكمالات الدينية والفضائل اليقينية فالمراد بالسبق هو السبق بالشرف ما قال الراغب يستعار السبق لإحراز الفضل وعلى ذلك **﴿والسابقون السابقون﴾** أي: المتقدمون إلى ثواب الله وجنته بالأعمال الصالحة.

﴿أولئك﴾ الموصوفون بذلك النعت الجليل وهو مبتدأ خبره قوله: **﴿المقربون﴾** أي: الذين قربت إلى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقيت إلى حظائر القدس نفوسهم الزكية.

يقول الفقير: عرف هذا المعنى من قوله عليه السلام: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن» فإنه يظهر منه أن الفردوس مقام المقربين لقربه من العرش الذي هو سقف الجنة ولم يقل أولئك المتقربون لأنهم بتقريب ربهم سبقوا لا بتقرب أنفسهم ففيه إشارة إلى الفضل العظيم في حق هؤلاء يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

﴿في جنات النعيم﴾ متعلق بالمقربون أو بمضمر هو حال من ضميره أي: كائنين في جنات النعيم يعني در بوستانهاى مشتمل بر أنواع نعمت. قيل السابقون أربعة سابق أمة موسى عليه السلام وهو خربيل مؤمن آل فرعون وسابق أمة عيسى وهو حبيب النجار صاحب أنطاكية وسابقا أمة محمد عليه السلام وهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقال كعب: هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة فإنهم كادوا أن يكونوا أنبياء إلا أنه لا يوحى إليهم والمراد بأهل القرآن الملازمون لقراءته والعاملون به وكان خلق النبي عليه السلام القرآن وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال وقال حضرة شيخي وسندي قدس سره في بعض تحريراته العباد ثلاثة أصناف: صنف هم أهل النسيان وصنف هم أهل الذكر وصنف هم أهل الإحسان والصنف الأول أهل الفتور مطلقاً وليس فيه بوجه من الحضور شيء أصلاً وهم أهل البعد قطعاً وليس لهم من القرب شيء جداً وهم أصحاب المشأمة وأصحاب

المشأمة ما أصحاب المشأمة وهم أرباب الغضب والقهر والجلال ولهم في نار الجحيم عذاب اليم وماء حميم والصنف الثاني أهل الفتور من وجه وأهل الحضور من وجه وهم أهل البعد بوجه وأهل القرب بوجه وهم أصحاب الميمنة ﴿**وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة**﴾ وهم أرباب الرحمة واللطف والجمال ولهم في نور النعيم ثواب عظيم وسرور مقيم والصنف الثالث أهل الحضور مطلقاً وليس فيهم بوجه من الفتور شيء أصلاً وهم أهل القرب مطلقاً وليس لهم من البعد شيء أصلاً وهم السابقون ﴿**والسابقون السابقون أولئك المقربون**﴾ وهم أصحاب كمال الرضى والاجتباء والاصطفاء ولهم في سر نعيم جنة الوصال دوام الصحبة والمشاهدة والمعاينة وبقاء تجلي الوجه الحق والجمال المطلق وهم أرباب الكمال المتوجه بوجه الجمال والجلال والصنف الأول قفا بلا وجه في الظاهر والباطن والثاني وجه بلا قفا في الظاهر وقفاً بلا وجه في الباطن والثالث وجه بلا قفا في الظاهر والباطن لكونهم على تعين الوجه المطلق وفي «رسالته العرفانية» أصحاب اليمين ممن سوى المقربين وجه بلا قفا في الظاهر لحصول الرؤية لهم وقفا بلا وجه في الباطن أي: لعدم انكشاف البصيرة لهم وأصحاب الشمال قفا بلا وجه في الظاهر أي: باعتبار البداية ووجه بلا قفا في الباطن أي: باعتبار النهاية وقال في «اللائحات البرقيات» له ذكر بعضهم بمجرد اللسان فقط وهم فريق الغافلين من الفجار ولهم رد مطلقاً فإنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل فقط وهم فريق المتيقظين من الأبرار ولهم قبول بالنسبة إلى من تحتهم لا بالنسبة إلى من فوقهم وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل والقلب فقط وهم فريق أهل البداية من المقربين وقبولهم نسبي أيضاً وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل والقلب والروح فقط وهم أهل الوسط من المقربين وقبولهم إضافي أيضاً وذكر بعضهم كان مطلقاً حيث تحقق لهم ذكر اللسان وفكر المذكور ومطالعة الآثار بالعقل وحضور المذكور ومكاشفة الأطوار بالقلب وأنس المذكور ومشاهدة الأنوار بالروح والفناء في المذكور ومعاينة الأسرار بالسر فلهم قبول مطلقاً وليس لهم رد أصلاً لأن كمالهم وتمامهم كان حقيقياً جداً وهم أرباب النهاية من المقربين من الأنبياء والمرسلين وأولياء الكاملين الأكملين وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى مراتب أعاظم المملكة الإنسانية ومقامات أكابرها وصناديدها وهم الروح السابق المقرب وجوداً ورتبة والقلب المتوسط صاحب الميمنة والنفس الأخيرة صاحبة المشأمة أما تسمية الروح بالسابق فلسبقه بالتجليات الذاتية الرحمانية والتنزلات الربانية وبقاء طهارته ونزاهته ابتداء وانتهاء ووصف القلب بصاحب الميمنة ليمنه والتيمن به وغلبة التجليات الصفاتية والأسمائية عليه ووصف النفس بصاحبة المشأمة لشؤمها وميشوميتها وتلعثمها عند إجابة دواعي الحق بالانقياد من غير عناد واعتناد وأما تقديم القلب والنفس على الروح فلسعة الرحمانية الواسعة كل شيء كما قال ورحمتي وسعت كل شيء وقال رحمتي سبقت غضبي إذ جعل النفس برزخاً بين القلب والروح لتستفيد برحمته مرة من هذا وتارة من هذا وتصير منصبغة بنورانيتهما وتؤمن بهما إن شاء الله تعالى كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] وبقوله ﴿**في جنات النعيم**﴾ يشير إلى جنة الذات وجنة الصفات وجنة الأفعال لأن السابقين المقربين هم الفانون في الله بالذات والصفات والأفعال والباقون بالله بالذات والصفات والأفعال ولصاحب كل مقام من هذه المقامات الثلاثة جنة مختصة به جزاء وفاقاً هذه الجنات كلها شاملة

للنعيم الدنيوي وأخروي إن فهمت الرموز الإلهية فزت بالكنوز الرحمانية.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾.

﴿**ثلة من الأولين**﴾ أي: هم أمم كثيرة من الأولين غير محصورة العدد وهم الأمم السالفة من لدن آدم إلى نبينا عليهما السلام وعلى من بينهما من الأنبياء العظام وهذا التفسير مبني على أن يراد بالسابقين غير الأنبياء واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر وجماعة السابقين مع كثرتهم مقطوعة مكسورة من جملة بني آدم وقال الراغب: الثلة قطعة مجتمعة من الصوف ولذلك قيل للغنم ثلة ولاعتبار الاجتماع قيل ﴿**ثلة من الأولين**﴾ أي: جماعة ﴿**وقليل من الآخرين**﴾ أي: من هذه الأمة ولا يخالفه قوله عليه السلام: «إن أمتي يكثرون سائر الأمم» أي: يغلبونهم بالكثرة فإن أكثرية سابقي الأمم السالفة من سابقي هذه الأمة لا تمنع أكثرية تابعي هؤلاء من تابعي أولئك مثل أن يكون سابقوهم ألفين وتابعوهم ألفاً فالمجموع ثلاثة آلاف ويكون سابقو هذه الأمة ألفاً وتابعوهم ثلاثة آلاف فالمجموع أربعة آلاف فرضاً وهذا المجموع أكثر من المجموع الأول وفي الحديث: «أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة» ولا يرده قوله تعالى في أصحاب اليمين ﴿**ثلة من الأولين وثلة من الآخرين**﴾ لأن كثرة كل من الفريقين في أنفسهما لا تنافي أكثرية أحدهما من الآخر وسيأتي أن الثلتين من هذه الأمة وقد روي مرفوعاً أن الأولين والآخرين ها هنا أيضاً متقدمو هذه الأمة ومتأخروهم وهو المختار كما في بحر العلوم فالمتقدمون مثل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ولما نزلت بكى عمر رضي الله عنه فنزل قوله ثلة من الأولين وثلة من الآخرين يعني كريان شد وكفت يا نبي الله ما بانو كرويديم وتصديق كرديم وازما اهل نجات نيامد مكر اندك اين آيت آمدكه وثلة من الآخرين حضرت ﷺ آيت بروى خواند وعمر فرمودكه رضينا من ربنا وفي الحديث «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة يعني كونكم نصف أهلها بسبب أنها لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود وكالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر» أي: فلا يستبعد دخول كلهم الجنة وقد ترقى عليه السلام في حديث آخر من النصف إلى الثلثين وقال: «إن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً وهذه الأمة منها ثمانون» قال السهيلي رحمه الله في كتاب التعريف والأعلام قال عليه السلام: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة» فهم إذاً محمد ﷺ وأمته وأول سابق إلى باب الجنة محمد عليه السلام وفي الحديث «أنا أول من يقرع باب الجنة فأدخل ومعي فقراء المهاجرين» وأما آخر من يدخل الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها رجل اسمه جهينة فيقول أهل الجنة: تعالوا نسأل جهينة فعنده الخبر اليقين فيسألونه هل بقي أحد في النار ممن يقول لا إله إلا الله:

نماند بزندان دوزخ اسير ... كسى راكه باشد چنين دستكير

يقول الفقير: هذه خلاصة ما أورده أهل التفسير في هذا المقام والذي يلوح لي أن المقربين وإن كانوا داخلين في أصحاب اليمين إلا أن المراد بقوله تعالى: ﴿**وثلة من الآخرين**﴾ هي الثلة التي من أصحاب اليمين وهم هنا غير المقربين بقرينة تقسيم الأزواج وتبيين كل فريق

منهم على حدة وكلامنا في المقربين خصوصاً أعني السابقين من هذه الأمة هل هم أقل من سابقي الأمم كما يدل عليه ظاهر قوله تعالى ﴿**وقليل من الآخرين**﴾ أو هم أكثر كما يدل عليه بعض الشواهد والظاهر أنهم أكثر مثل أصحاب اليمين والآية محمولة على مقدمي هذه الأمة ومتأخريها كما أشير إليه سابقاً وذلك لأن النبي عليه السلام شبه علماء هذه الأمة بأنبياء بني إسرائيل ولا شك أن الأنبياء كلهم من المقربين وعلماء هذه الأمة لا نهاية لهم دل عليه أن أولياء في كل عصر من أعصار هذه الأمة عدد الأنبياء وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وقد يزيد عددهم على عدد الأنبياء بحسب نورانية الزمان وقد ثبت أن كل أربعين مؤمناً في قوة ولي عرفي فإذا كان صفوف هذه الأمة يوم القيامة ثمانين فظاهر أن عددهم يزيد على عدد الأولين وبزيادة العدد يزيد الأولياء أصحاب اليمين وبزيادتهم يزيد الأولياء المقربين السابقون فإن في العدد المذكور منهم الغوث والأقطاب والكمل فاعرف.

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله: ﴿**ثلة من الأولين**﴾ إلى كثرة أرباب القلوب صواحب التجليات الجزئية الصفاتية والأسمائية وكثرة أصحاب اللذات النفسانية الظلمانية وبقوله ﴿**وقليل من الآخرين**﴾ المحمديين يشير إلى أرباب الأرواح الظاهرة صواحب التجليات الذاتية المقدسة عن كثرة الأسماء والصفات الاعتبارية.

﴿**على سرر موضونة**﴾ حال أخرى من المقربين والسرر جمع سرير بالفارسية تحت. والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت أو المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع ثم استعير لكل نسج محكم.

﴿**متكئين عليها متقابلين**﴾ حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر والتقابل أن يقبل بعضهم على بعض إما بالذات وإما بالعناية والمودة أي: مستقرين على سرر متكئين عليها أي: قاعدين قعود الملك للاستراحة متقابلين لا ينظر بعضهم من إقفاء بعض وهو وصف لهم بحسب العشرة وتهذيب الأخلاق والآداب وقال أبو الليث متقابلين في الزيارة. وقال الكاشفي: برابر يكديكر يعني روى باروى تابديدان يكديكر مستأنس ومسرور باشند.

﴿**يطوف عليهم**﴾ أي: يدور حولهم للخدمة حال الشرب وغيره ﴿**ولدان**﴾ جمع وليد وخدمة الوليد أمتع من خدمة الكبير يعني خدمت كودك زيبا ترست از خدمت كبار ﴿**مخلدون**﴾ مبقون أبداً على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها لأنهم خلقوا للبقاء ومن خلق للبقاء لا يتغير قال في «الأسئلة المقحمة»: هؤلاء هل يدخلون تحت قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥] والجواب أنهم لا يموتون فيها بل يلقى عليهم بين النفختين نوم انتهى. وازين معلوم شدكه اين كودكان را حق تعالى بمحض كرم خود آفريده باشد براى خدمت بهشتيان. فهم للخدمة لا غير والحور العين للخدمة والمتعة وقيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها ولا سيئات فيعاقبون عليها وفي الحديث: «أولاد الكفار خدام أهل الجنة» ولفظ الولدان يشهد لأبي حنيفة رحمه الله في أن أطفال المشركين خدم أهل الجنة لأن الجنة لا ولادة فيها ويجوز أن يكون معنى مخلدون مقرطون. يعني آراستكان بكو شوار هاى زرين. والخلد السوار والقرط كالخلدة محركة والجمع كقردة وولدان مخلدون مقرطون أو مسورون أو لا يهرمون أبداً ولا يجاوزون حد الوصافة كما في «القاموس» وقال في «كشف الأسرار»: الخلادة لغة قحطانية.

﴿بأكواب﴾ من الذهب والجواهر أي: بآنية لا عرى لها ولا خراطيم وهي الأباريق الواسعة الرأس لا خرطوم لها ولا يعوق الشارب منها عائق عن شرب من أي: موضع أراد منها فلا يحتاج أن يحول الإناء من الحالة التي تناوله بها ليشرب ﴿وأباريق﴾ جمع إبريق وهو الذي له عروة وخرطوم يبرق لونه من صفائه وقيل إنها أعجمية معربة آبريز. أي: بآنية ذات عرى وخراطيم ويقال الكوب للماء وغيره والإبريق لغسل الأيدي والكأس لشرب الخمر كما قال: ﴿وكأس من معين﴾ أي: وبكأس من خمر جارية من العيون أخبر أن خمر الآخرة ليست كخمر الدنيا تستخرج بتكلف وعلاج وتكون في أوعية بل هي كثيرة جارية كما قال ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾ [محمد: ١٥] والكأس القدح إذا كان فيها شراب وإلا فهو قدح يقال معن الماء إذا جرى فهو فعيل بمعنى الفاعل أو ظاهرة تراها العيون في الأنهار كالماء المعين وهو الظاهر الجاري فيكون بمعنى مفعول من المعاينة من عانه إذا شخصه وميزه بعينه قال في «القاموس»: المعن الماء الظاهر ومعن الماء أساله وأمعن الماء جرى والمعنان بالضم مجاري الماء في الوادي فإن قلت كيف جمع الأكواب والأباريق وأفرد الكأس فالجواب أن ذلك على عادة أهل الشرب فإنهم يعدون الخمر في الأواني المتعددة ويشربون بكأس واحدة.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿لا يصدعون عنها﴾ الصدع شق في الأجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما ومنه استعير الصداع وهو الانشقاق في الرأس من الوجع ومنه الصديع للفجر أي: لا ينالهم بسبب شربها صداع كما ينالهم ذلك من خمر الدنيا وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها قال ابن عباس رضي الله عنهما: في الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقيء والبول وليست في خمر الجنة بل هي لذة بلا أذى ﴿ولا ينزفون﴾ أي: لا يسكرون يعني لا تذهب عقولهم أو ينفد شرابهم من أنزف الشارب إذا نفد عقله أو شرابه فالنفاد إما للعقل وهو من عيوب خمر الدنيا أو للشراب فإن بنفادها تختل الصحبة ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ يقال تخيرت الشيء أخذت خيره أي: يختارونه ويأخذون خيره وأفضله من ألوانها وكلها خيار وهو عطف على بأكواب أي: يطوف عليها ولدان بفاكهة وهو ما يؤكل من الثمار تلذذاً لا لحفظ الصحة لاستغنائهم عن حفظ الصحة بالغذاء في الجنة وليس ذلك كقوت الدنيا الذي يتناوله من يضطر إليه ويضيق عليه لتأخره عنه وهو إشارة إلى أنه يتناول المأكولات التي يتنعم بها ثم ذكر اللحم الذي هو سيد الأدام وكانت العرب يتوسعون بلحمان الإبل ويعز عندهم لحم الطير الذي هو أطيب اللحوم ويسمعون بها عند الملوك فوعدوها فقيل: ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ أي: يتمنون مشوياً أو مطبوخاً يتناولونها مشتهين لها لا مضطرين ولا كارهين وآن آن بود كه مؤمنان برخوان نشسته باشند مرغ بيايد ودرپيش ايشان برشاخ طوبى نشيند وآوازدهدكه من آنم كه هيج چشمه نيست دربهشت كه ازان نچشيده ام وهيج درختى نيست كه من از ميوه آن نخورده ام كوشت من خوشترين همه كوشتهاست پس بهشتى كوشت ويرا آرزو كند مرغ ازان شاخ طوبى در كرددو برسرخوان افتدسه قسمت شوديكى پخته ويكى قديدويكى بريان پس بهشتى چندانكه خواهد بخورد ديكر باره بقدرت حق زنده شود وبرپرد. وفي «الأسئلة المقحمة» إنما قال ﴿وفاكهة مما

يتخيرون ولحم طير مما يشتهون﴾ فغاير بين اللفظين والجواب لأن الفواكه كما تكون للأكل تكون أيضاً للنظر والشم وأما لحم الطير فمختلف الشهوات في أكل بعض أجزائه دون البعض ولما لم يكن بعد الأكل والشرب أشهى من الجماع قال:

﴿وحور عين﴾ عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أي: وفيها أولهم حور عين أي: نساء وحور جمع حوراء وهي البيضاء أو الشديدة بياض العين والشديدة سوادها وعين جمع عيناء وهي الواسعة الحسنة العين وهن خلقن من تسبيح الملائكة كما في «عين المعاني».

﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ صفة لحور أو حال أي: الدر المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي ولم تره الأعين أو المصون عما يضربه ويدنسه في الصفاء والنقاء ولما بالغ في وصف جزائهم بالحسن والصفاء دل على أن أعمالهم كانت كذلك لأن الجزاء من جنس العمل فقال: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ مفعول له أي: يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم الصالحة في الدنيا فما جزاء الإحسان إلا الإحسان فالمنازل منقسمة على قدر الأعمال وأما نفس دخول الجنة فبفضل الله ورحمته لا يعمل عامل فمن طمع في أن يدخل الجنة ويأكل من اللحم اللذيذ ويشرب من الشراب الهنيء ويستمتع بالحور العين آثر وجه زواجها.

ـ ويروى ـ أن الحوراء إذا مشت سمع تقديس الجلاجل من ساقيها وتمجيد الأسورة من ساعديها وإن عقد الياقوت يضحك في نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ تصران أي: تصوتان بالتسبيح على كل امرأة سبعون حلة ليست منها حلة على لون الأخرى وسبعون لوناً من الطيب ليس منها لون على لون الآخر لكل امرأة سبعون سريراً من ياقوت أحمر منسوجة بالدر على كل سرير سبعون فراشاً بطائنها من استبرق وفوق السبعين فراشاً سبعون أريكة لكل امرأة منهن سبعون وصيفة بيد كل وصيفة صحفتان من ذهب فيهما لون من طعام يجد لآخر لقمة منه لذة لا يجدها لأولها ويعطي زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سواران من ذهب موشح بياقوت أحمر وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول: اخطب زوجة لا تسلبها منك المنايا وأعرس بها في دار لا يخربها دوران البلايا واسبك لها حجلة لا تحرقها نيران الرزايا.

ـ وروي ـ أنهن خلقن من الزعفران كما في «كشف الأسرار».

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾.

﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾ أي: باطلاً قال في «القاموس»: اللغو واللغا السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره وفي «المفردات» اللغو من الكلام ما لا يعتد به هو الذي يورد لا عن روية وفكر فيجري مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور ﴿ولا تأثيماً﴾ ولا نسبة إلى الإثم أي: لا يقال لهم اثمتم أي: لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع والإثم اسم للأفعال المبطئة عن الثواب والجمع آثام.

﴿إلا قيلا﴾ أي: قولا ﴿سلاما سلاما﴾ بدل من قيلا والاستثناء منقطع أي: لكنهم يسمعون فيها قولاً سلاماً سلاماً أو هو من باب ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] في أنه من التعليق بالمحال ومعنى سماعهم السلام أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاماً بعد سلام أو لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه إلا سلام الآخر بدأ أو رداً وفي الآية إشارة إلى أن

جنات السابقين المقربين صافية عن الكدورات المنغصة لساكنيها فارغة عن العاملات المعبسة لقاطنيها لا يقول أهلها إلا مع الحق ولا يسمعون إلا من الحق تجلي الحق لهم عن اسمه السلام المشتمل على السلامة من النقائص والآفات المتضمن للقربات والكرمات.

اعلم أن أعز السلام سلام الله على عباده كما قال ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨] ثم سلام الأرواح العالية كما حكي عن بعض الصالحين أنه قال: كان لي ابن استشهد فلم أره في المنام إلا ليلة توفي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو سابع الخلفاء الاثني عشر تراءى لي تلك الليلة فقلت: يا بني ألم تكن ميتاً؟ فقال: لا ولكني استشهدت وأنا حي عند الله أرزق فقلت له: ما جاء بك؟ فقال: نودي في أهل السماء ألا لا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد إلا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لأشهد الصلاة ثم جئتكم لأسلم عليكم.

يقول الفقير: شاهدت في الحرمين الشريفين حضور الأرواح للصلوات والطواف وسلام بعضهم على بعض حتى سلمت أنا في السحر الأعلى عند مقام جبرائيل على الخلفاء الأربعة والملائكة أربعة ولله الحمد على ذلك:

سلام من الرحمن نحو جنابه لأن سلامي لا يليق ببابه

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿**وأصحاب اليمين**﴾ شروع في تفصيل ما أجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة إثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدأ خبره جملة قوله: ﴿**ما أصحاب اليمين**﴾ أي: لا ندري ما لهم من الخير والبركة بسبب فواضل صفاتهم وكوامل محاسنهم.

﴿**في سدر**﴾ أي: هم في سدر ﴿**مخضود**﴾ أي: غير ذي شوك لا كسدر الدنيا فإن سدر الدنيا مخلوق بشوك وسدر الجنة بلا شوك كأنه خضد شوكه أي: قطع ونزع عنه فقوله ﴿**سدر مخضود**﴾ إما من باب المبالغة في التشبيه أو مجاز بعلاقة السببية فإن الخضد سبب لانقطاع الشوك وقيل مخضود أي: مثنى أغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب فمخضود على هذا الوجه من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه والسدر شجر النبق وهو ثمر معروف محبوب عند العرب يتخذون من ورقة الحرض وفي «المفردات» السدر شجر قليل الغذاء عند الأكل وقد يخضد ويستظل به فجعل ذلك مثل لظل الجنة ونعيمها قال بعضهم: ليس شيء من ثمر الجنة في غلف كما يكون في الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور إليه.

﴿**وطلح منضود**﴾ قد نضد حمله وتراكب بعضه على بعض من أسفله إلى أعلاه ليست له سوق بارزة وهو شجر الموز وهو شجر له أوراق كبار وظل بارد كما أن أوراق السدر صغار أو هو أم غيلان وله أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة يقصد العرب منه النزهة والزينة وإن كان لا يؤكل منه شيء وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن مجاهد كان لأهل الطائف واد معجب فيه الطلح والسدر فقالوا: يا ليت لنا في الجنة مثل هذا الوادي فنزلت هذه الآية وقد قال تعالى: وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين فذكر لكل قوم ما يعجبهم ويحبون مثله وفضل طلح الجنة وسدرها على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا.

﴿**وظل ممدود**﴾ ممتد لا ينتقص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس والعرب تقول للشيء الذي لا ينقطع ممدود وفي الحديث «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها» وعن ابن عباس رضي الله عنهما شجرة في الجنة على ساق يخرج إليها أهل الجنة فيتحدثون في أصلها ويتذكر بعضهم ويشتهي لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا وقال في «كشف الأسرار» ويحتمل أن الظل عبارة عن الحفظ تقول فلان في ظل فلان أي: في كنفه لأنه لا شمس هناك انتهى.

يقول الفقير: بل المراد منه الراحة كما في قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧] لأنه إنما يجلس المرء في الظل للاستراحة وكانت العرب يرغبون فيه لقلته في بلادهم وغلبة حرارة الشمس ومنه قوله عليه السلام: «السلطان ظل الله في أرضه يأوي إليه كل مظلوم» أي: يستريح عند عدله ومنه قولهم مد الله ظلاله أي: ظلال عدله ورأفته حتى يصل أثر الاستراحة إلى الناس كلهم.

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾.

﴿**وماء مسكوب**﴾ يسكب لهم ويصب أينما شاؤوا وكيفما أرادوا بلا تعب أو مصبوب سائل يجري على الأرض في غير أخدود لا ينقطع يعني كون الماء مسكوباً كثيراً إما عبارة عن كونه ظاهراً مكشوفاً غير مختص ببعض الأماكن والكيفيات أو عن كونه جارياً وأكثر ماء العرب من الآبار والبرك فلا ينسكب فلا يصلون إلى الماء إلا بالدلو والرشاء فوعدوا بالماء الكثير الجاري حتى يجري في الهواء على حسب الاشتهاء كأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لأهل المدن وحال أصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لأهل البواد إيذاناً بالتفاوت بين الحالين فكما أن بينهما تفاوتاً فكذا بين حاليهما.

﴿**وفاكهة كثيرة**﴾ بحسب الأنواع والأجناس ﴿**لا مقطوعة**﴾ في وقت من الأوقات كفواكه الدنيا ﴿**ولا ممنوعة**﴾ عن متناوليها بوجه من الوجوه كبعد المتناول وانعدام ثمن يشترى به وشوك في الشجر يؤذي من يقصد تناولها وحائط يمنع الدخول ونحوها من المحظورات وفي الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا أبدل الله مكانها ضعفين» ﴿**وفرش**﴾ جمع فراش وهو ما يبسط ويفرش أي: هم في بسط ﴿**مرفوعة**﴾ أي: رفيعة القدر أو مرتفعة وارتفاعها كما بين السماء والأرض وهو مسيرة خمسمائة عام أو مرفوعة على الأسرة وقيل الفرش هي النساء حيث يكنى بالفراش وباللباس والإزار عن المرأة وفي الحديث: «الولد للفراش» فسمى المرأة فراشاً وارتفاعها كونهن على الأرائك دل عليه قوله تعالى:

﴿**إنا أنشأناهن إنشاء**﴾ وعلى الأول أضمرهن لدلالة ذكر الفرش التي هي المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديداً من غير ولاد ابداء وإعادة أما الإبداء فكما في الحور لأنهن أنشأهن الله في الجنة من غير ولادة وأما الإعادة فكما في نساء الدنيا المقبوضة عجائز وفي الحديث «هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا» جمع شمطاء والشمط بياض شعر الرأس يخالطه سواد «رمصا» جمع رمصاء والرمص بالتحريك وسخ يجتمع في الموق جعلهن الله تعالى بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن

وجدوهن أبكاراً فلما سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك قالت: واوجعاه فقال عليه السلام: «ليس هناك وجع» وقد فعل الله في الدنيا بزكريا عليه السلام فقال تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠] سئل الحسن عن ذلك الصلاح فقال: جعلها شابة بعد أن كانت عجوزاً وولوداً بعد أن كانت عقيماً وذلك قوله تعالى:

﴿فجعلناهن﴾ بعد أن كن عجائز ﴿أبكاراً﴾ أي: عذارى جمع بكر والمصدر البكارة بالفتح قال الراغب البكرة أول النهار وتصور منها معنى التعجيل لتقدمها على سائر أوقات النهار فقيل لكل متعجل بكر وسميت التي لم تفتض بكراً اعتباراً بالثيب لتقدمها عليها فيما يراد له النساء قال سعدي المفتي: إن أريد بالإنشاء معنى الإبداء فالجعل بمعنى الخلق وقوله أبكاراً حال وإن أريد به الإعادة فهو بمعنى التصيير وأبكاراً مفعوله الثاني قال بعضهم: دل قوله ﴿فجعلناهن أبكاراً﴾ على أن المراد بهن نساء الدنيا لأن المخلوقة ابتداء معلوم أنها بكر وهن أفضل وأحسن من حور الجنة لأنهن عملن الصالحات في الدنيا بخلاف الحور وعن الحسن رضي الله عنه قالت عجوز عند عائشة رضي الله عنها من بني عامر يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال: «يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز فولت وهي تبكي فقال عليه السلام: أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية».

﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿عرباً﴾ جمع عروب كرسل جمع رسول وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة التنقل واشتقاقه من أعرب إذا بين والعرب تبين محبتها لزوجها بشكل وغنج وحسن وفي «المفردات» امرأة عروبة معربة بحالها عن عفتها ومحبة زوجها وفي بعض التفاسير عرباً كلامهن عربي ﴿أتراباً﴾ جمع ترب بالكسر وهي اللدة والسن ومن ولد معك وهي تربى أي: مستويات في سن بنت ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن والقامة ستون ذراعاً في سبعة أذرع على قامة أبيهم آدم شباب جرد مكحولون أحسنهم كالقمر ليلة البدر وآخرهم كالكوكب الدري في السماء يبصر وجه في وجهها وتبصر وجهها في وجهه لا يبزقون ولا يتمخطون وما كان فوق ذلك من الأذى فهو أبعد وفي الحديث «إن الرجل ليفتض في الغداة سبعين عذراء ثم ينشئهن الله أبكاراً» وقال عليه السلام: «إن الرجل من أهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف ثيب وثمانية آلاف بكر يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا» ودر تبيان آورده كه جمله راببهشت آرند بدين سن سازند وبشو هرد هند وعجوزه را نيزرد كنند بدين سن اكر شوهر نداشته باشد دردنيا ببعضي ازاهل بهشت دهند واكر شوهر داشته باشد اما شوهر اواز اهل بهشت نبوده چون امرأة فرعون اورابيكى از بهشتيان دهند واكر زوج او بهشتى بود بازبدو ارزانى دارند واكر زياده ازيك شوهر داشته باشد وهمه بهشتى باشند بزوج اخرين نامزد كنند وفي الحديث «أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء» الجابية بالجيم بلد بالشام وصنعاء بلد باليمن كثيرة الأشجار والمياه تشبه دمشق وفي الحديث «تقول الحوراء لولي الله كم من مجلس من مجالس ذكر الله قد أكرمك به العزيز أشرفت عليك بدلالي وغنجي وأترابي وأنت قاعد بين أصحابك تخطبني إلى الله فترى

شوقك كان يعدل شوقي أو جدك كان يعدل جدي والذي أكرمني بك وأكرمك بي ما خطبتني إلى الله مرة إلا خطبتك إلى الله سبعين مرة فالحمد لله الذي أكرمني بك وأكرمك بي».

﴿لأصحاب اليمين﴾ متعلقة بأنشأنا **﴿ثلة من الأولين﴾**.

﴿وثلة من الآخرين﴾ أي: هم أمة من الأولين وأمة من الآخرين وفي الحديث «هم جميعاً من أمتي» أي: الثلثان من أمتي فعلى هذا التابعون بإحسان ومن جرى مجراهم ثلة أولى وسائر الأمة ثلة أخرى في آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال: عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان معه الرهط والنبي ليس معه رهط والنبي ليس معه أحد ورأيت سواداً كثيراً سد الأفق فقيل لي: انظر هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق فقيل لي: هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» وفي رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: عرضت علي الأنبياء الليلة بأتباعها حتى أتى علي موسى في كبكبة من بني إسرائيل أي: في جماعة منهم فلما رأيتهم أعجبوني فقلت: أي: رب من هؤلاء قيل هذا أخوك موسى ومن معه من بني إسرائيل فقلت: فأين أمتي قيل: انظر عن يمينك فإذا ظراب مكة قد سدت بوجوه الرجال» وهو جمع ظرب ككتف وهو ما نتأ من الحجارة وحد طرفه والجبل المنبسط أو الصغير كما في «القاموس» قيل هؤلاء أمتك أرضيت قلت رب رضيت رب رضيت قيل انظر عن يسارك فإذا الأفق سد بوجوه الرجال قيل هؤلاء أمتك أرضيت قلت رب رضيت رب رضيت فقيل: إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب عليهم فقال نبي الله ﷺ إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا وإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب وإن عجزتم فكونوا من الأفق فإني قد رأيت ثمة أناساً يتهاوشون كثيراً» يعني اكر عاجز آييد پس باشيد از اهل افق كه من ديدم آنجا مردم بسيار مختلط بودند.

قال في «القاموس»: الهوش العدد الكثير والهوشة الاختلاط والهويشة الجماعة المختلطة والهواشات بالضم الجماعات من الناس والتهاوش في الحديث جمع تهواش مقصور من التهاويش تفعال من الهوش وتهوشوا اختلطوا كتهاوشوا وعليه اجتمعوا وهاوشهم وخالطهم.

ـ وروي ـ أنه قال ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ثم تلا **﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾**».

يقول الفقير: الذي يتحصل من هذا أن الأبرار كثير من هذه الأمة في أوائلها وأواخرها وكذا من الأمم السابقة وأما السابقون فكثير من هذه الأمة في أوائلها دون أواخرها كما دلت عليه الآية المتقدمة وكذا قول الحسن البصري رحمه الله حيث قال: رأيت سبعين بدرياً كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم وكانوا بالبلاء أشد منكم فرحاً بالرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا أخياركم قالوا: ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا أشراركم حكموا بأنهم لا يؤمنون بيوم الحساب إن عرض عليهم الحلال من المال تركوه خوفاً من فساد قلوبهم انتهى وأما السابقون من الأمم السالفة فإن انضم إليهم الأنبياء فهم أكثر من سابقي هذه الأمة وإلا فلا كما حققناه سابقاً وذلك أن زهاد الأمم وإن كانوا أكثر من زهاد هذه الأمة لكنهم لعدم استقرار أكثرهم على اليقين قلوا وأما هذه الأمة فمن قلتهم بالنسبة إليهم كثروا لثباتهم على اليقين والاعتقاد والاعتصام بالقرآن كما ورد في بعض الأخبار.

﴿وأصحاب الشمال﴾ شروع في تفصيل أحوالهم وهم الكفار لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البلد: ١٩، ٢٠] ﴿ما أصحاب الشمال﴾ أي: لا تدري ما لهم من الشر وشدة الحال يوم القيامة.

﴿في سموم﴾ أي هم في حر نار تنفذ في المسام وهي ثقب البدن وتحرق الأجساد والأكباد قال في «القاموس»: السموم الريح الحارة تكون غالباً في النهار والحرور الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار ﴿وحميم﴾ وهو الماء المتناهي في الحرارة.

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿وظل من يحموم﴾ من دخان أسود بهيم فإن اليحموم الدخان والأسود من كل شيء كما في «القاموس» يفعول من الحمة بالضم وهو الفحم تقول العرب: أسود يحموم إذا كان شديد السود قال الضحاك: النار سوداء وأهلها سود وكل شيء فيها أسود ولذا لا يكون في الجنة الأسود إلا الخال وأشفار العين والحاجب.

يقول الفقير: فيه تحذير عن شرب الدخان الشائع في هذه الأعصار فإنه يرتفع حين شربه ويكون كالظل فوق شاربه مع ما لشربه من الغوائل الكثيرة ليس هذا موضع ذكرها فنسأل الله العافية لمن ابتلي به إذ هو مما يستخبثه الطباع السليمة وهو حرام كما عرف في التفاسير.

﴿لا بارد﴾ كسائر الظلال ﴿ولا كريم﴾ ولا نافع من أذى الحر لمن يأوي إليه نفى بذلك ما أوهم الظل من الاسترواح، يعني أنه سماه ظلاً ثم نفى عنه وصيفة البرد والكرم الذي عبر به عن دفع أذى الحر لتحقيق أنه ليس بظل والكرم صفة لكل ما يرضي ويجري في بابه والظل يقصد لفائدتين لبرودته ودفع أذى الحر وإن لم تحصل الاستراحة بالبرد لعدمه كمن في البيوت المسدودة الأطراف بحيث لا يتحرك فيها الهواء فإن من يأوي إليها يتخلص بها من أذى حر الشمس وإن لم يستروح ببردها وفيه تهكم بأصحاب المشأمة وأنهم لا يستأهلون للظل البارد والكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة.

﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب يقال ترف كفرح تنعم وأترفته النعمة أطغته وأنعمته وفلان أصر على البغي والمترف كمكرم المتروك يصنع ما يشاء فلا يمنع كما في «القاموس» أي إنهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بأنواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها.

﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾ أي: الذنب العظيم الذي هو الشرك ومنه قولهم: بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف برّ فيها وقال بعضهم: الحنث هنا الكذب لأنهم كانوا يحلفون بالله مع شركهم لا يبعث الله من يموت.

يقول الفقير: يدل على هذا ما يأتي من قوله ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الواقعة: ٥١] والحكمة في ذكر سبب عذابهم مع أنه لم يذكر في أصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل: إنهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين التنبيه على أن ذلك الثواب منه تعالى فضل لا تستوجبه

طاعة مطيع وشكر شاكر وإن العقاب منه تعالى عدل، فإذا لم يعلم سبب العقاب يظن أن هناك ظلماً وفي الآية إشارة إلى سموم نار البعد والحجاب وحميم القهر والغضب وظل شجرة الجهل ما فيه برد اليقين كسائر الظلال ولا يسكن حرارة عطشهم من طلب الدنيا ولذاتها وما فيه كرم الهمة أيضاً حتى يعينهم على ترك الدنيا وزينتها وزخارفها بل لا يزالون يطلبون من الدنيا ما ليس فيها من الاستراحة والاسترواح إنهم كانوا قبل ذلك مترفين يعني ما كان استظلالهم بشجرة الجهل المركب التي ليس فيها برد اليقين ولا كرم الهمة إلا بسبب استعداداتهم الذاتية المجبولة على حب الشهوات واللذات قبل دخولهم في الوجود العيني وأيضاً كان استظلالهم بشجرة الجهل لأنهم كانوا في محبة النفس والدنيا متمكنين في الأزل إذ الحنث العظيم هو حب النفس وحب الدنيا كما قال ﷺ: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»:

مر اطاعت نفس شهوت برست — كه هر ساعتش قبله ديكر است

برمرد هشيار دنيا خست — كه هر مدتي جاى ديكر كسست

﴿وكانوا﴾ مع شركهم ﴿يقولون﴾ لغاية عتوهم وعنادهم ﴿أئذا متنا﴾ آيا وقتى كه بميريم ﴿وكنا تراباً وعظاماً﴾ أي كان بعض أجزائنا من اللحم والجلد تراباً وبعضها عظاماً نخرة وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية وإذا ممحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى: ﴿أئنا لمبعوثون﴾ لا نفسه لأن ما بعد إن واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو البعث وهو المرجع للإنكار وتقييدها بالوقت المذكور ليس لتخصيص إنكاره به فإنهم منكرون للأحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له بالكلية وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم تراباً وعظاماً بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه إلى إنكار البعث بعد تلك الحالة.

﴿أو آباؤنا الأولون﴾ الواو للعطف على المستكن في لمبعوثون. يعني آيا ما دران وپدران پيشين مانيز مبعوث شوند.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَـَٔاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿قل﴾ رداً لإنكارهم وتحقيقاً للحق ﴿إن الأولين والآخرين﴾ من الأمم الذين من جملتهم أنتم وآباؤكم. وبالفارسية بدرستى كه پيشينيان از آباى شما وغير آن وپيشينيان از شما وغير شما. وفي تقديم الأولين مبالغة في الرد حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشد من إنكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي.

﴿لمجموعون﴾ بعد الموت وكأنه ضمن الجمع معنى السوق فعدى تعديته بإلى ولذا قال: ﴿إلى ميقات يوم معلوم﴾ إلى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معلوم لله معين عنده وهو يوم القيامة والإضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات هو الوقت المضروب للشيء ينتهي عنده أو يبتدأ فيه ويوم القيامة ميقات تنتهي الدنيا عنده وأول جزء منه فالميقات الوقت المحدود وقد يستعار للمكان ومنه مواقيت الإحرام للحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرماً.

﴿ثم إنكم﴾ الخطاب لأهل مكة وأضرابهم عطف على أن الأولين داخل تحت القول وثم للتراخي زماناً أو رتبة ﴿أيها الضالون﴾ عن الحق والهدى ﴿المكذبون﴾ أي: البعث.

﴿لآكلون﴾ بعد البعث والجمع ودخول جهنم ﴿من شجر من زقوم﴾ من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أي مبتدئون الأكل من شجر هو الزقوم وهو شجر كريه المنظر والطعم حار في اللمس منتن في الرائحة وهي الشجرة الملعونة في القرآن قال أهل الحقيقة: سدرة المنتهى أغصانها نعيم لأهل الجنة وأصولها زقوم لأهل النار فهي مبدأ اللطف والقهر والجمال والجلال.

﴿فمالئون﴾ پس پركنند كان باشيد. يقال ملأ الإناء فهو مملوء من باب قطع والمليء بالكسر مقدار ما يأخذه الإناء إذا امتلأ ﴿منها﴾ أي من ذلك الشجر والتأنيث باعتبار المعنى ﴿البطون﴾ أي بطونكم من شدة الجوع أو بالقسر وفيه بيان لزيادة العذاب وكماله أي لا يكتفي منكم بنفس الأكل كما لا يكتفي من يأكل الشيء تحلة القسم بل تلزمون بأن تملؤوا منها البطون أي يملأ كل واحد منكم بطنه أو بطون الأمعاء والأول أظهر والثاني أدخل في التعذيب ﴿فشاربون عليه﴾ أي على شجر الزقوم أي عقيب ذلك بلا ريٍّ لعطشكم الغالب وتذكير ضمير الشجر باعتبار اللفظ. ﴿من الحميم﴾ أي الماء الحار في الغاية.

﴿فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿فشاربون شرب الهيم﴾ كالتفسير لما قبله أي لا يكون شربكم شرباً معتاداً بل يكون مثل شرب الهيم وهي الإبل التي بها الهيام وهو داء يصيبها يشبه الاستسقاء فتشرب ولا تروى إلى أن تموت أو تسقم سقماً شديداً جمع أهيم وهيماء فأصله هيم كأحمر وحمر فقلبت الضمة كسرة لتصح الياء والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في أحشائهم ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فإذا ملؤوا منه بطونهم وهو في غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الإبل العطاش وفيه بيان لزيادة العذاب أيضاً أي لا يكون شربكم أيها الضالون كشرب من يشرب ماء حاراً منتناً فإنه يمسك عنه إذا وجده مؤلماً معذباً بخلاف شربكم فإنكم تلزمون بأن تشربوا منه مثل ما يشرب الجمل الأهيم فإنه يشرب ولا يروى وفي الآية إشارة إلى إفراط النفس والهوى في شرب ماء حميم الجهل والضلال وفي أكل زقوم المشتهيات المورثة للوبال ولغاية حرصها لا تزيد إلا جوعاً وعطشاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب.

كجا ذكر كنجد در انبان آز بسختى نفس ميكند پا دراز

﴿هذا﴾ الذي ذكر من الزقوم والحميم أول ما يلقونه من العذاب. ﴿نزلهم﴾ أي رزقهم المعد لهم أي كالنزل الذي يعد للنازل مما حضر مكرمة له ﴿يوم الدين﴾ أي: يوم الجزاء فإذا كان ذلك نزلهم فما ظنك بحالهم بعدما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم ما لا يخفى كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] لأن ما يعد لهم في جهنم ليس مكرمة لهم والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول. ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون﴾ أي فهلا تصدقون أيها الكفرة بالخلق فإن ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبىء عن خلافه ليس من التصديق في شيء أو بالبعث فإن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة.

اعلم أن الله تعالى إذا أخبر عن نفسه بلفظ الجميع يشير به إلى ذاته وصفاته وأسمائه كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] وكما قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ [يوسف: ٢] وإذا أخبر عن نفسه بلفظ المفرد يشير إلى ذاته المطلقة كما قال: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] هذا إذا كان القائل المخبر هو الله تعالى وأما إذا كان العبد فينبغي أن يقول: أنت يا رب لا أنتم لإيهامه الشرك المنافي لتوحيد القائل ولذا يقال أشهد أن لا إله إلا الله ليدل على شهادته بخصوصه فيتعين توحيده ويظهر تصديقه.

﴿**أفرأيتم ما تمنون**﴾ أي تقذفونه وتصبونه في أرحام النساء من النطف التي يكون منها الولد فقوله: ﴿**أفرأيتم**﴾ بمعنى أخبروني وما تمنون مفعوله الأول والجملة الاستفهامية مفعوله الثاني يقال: أمنى الرجل يمني لا غير ومنيت الشيء أمنيه إذا قضيته وسمي المني منياً لأن الخلق منه يقضى.

﴿**ءأنتم تخلقونه**﴾ أي تقدرونه وتصورونه بشراً سوياً في بطون النساء ذكراً أو أنثى. ﴿**أم نحن الخالقون**﴾ له من غير دخل شيء فيه وأم قيل منقطعة لأن ما بعدها جملة فالمعنى بل أنحن الخالقون على أن الاستفهام للتقرير وقيل: متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة وفيه إشارة إلى معنى أن وقوع نطف الأعمال والأفعال وموادها في أرحام قلوبكم ونفوسكم بخلقي وإرادتي لا بخلقكم وإرادتكم ففيه تخصيص مواد لخواطر المقتضية للأفعال والأعمال والأقوال إلى نفسه وقدرته وسلبها عن الخلق.

﴿**نحن قدرنا بينكم الموت**﴾ أي قسمناه عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة فمنهم من يموت صغيراً ومنهم من يموت كبيراً.

يقول الفقير: قيل لي في بعض الأسحار اصبر ولا يكون إلا ما قدر الله تعالى فمرضت بعد أيام ابنتي أمة الله حتى ماتت جعلها الله فرطاً وذخراً وشافعة ومشفعة. وقد ثبت أن إبراهيم عليه السلام تعلق بإسماعيل فابتلي بذبحه وكذا يعقوب عليه السلام تعلق بيوسف فابتلي بالفراق فهذه كلها مقادير يجب الرضى بها ﴿**وما نحن بمسبوقين**﴾ أي إنا قادرون.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦﴾.

﴿**على أن نبدل**﴾ منكم ﴿**أمثالكم**﴾ لا يغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتي مكانكم بأشباهكم من الخلق يقال سبقته على كذا أي غلبته عليه وغلب فلان فلاناً على الشيء إذا أخذه منه بالغلبة. ﴿**وننشئكم فيما لا تعلمون**﴾ من الخلق والأطوار لا تعهدون بمثلها وقال الحسن البصري رحمه الله: أي نجعلكم قردة وخنازير كمن مسخ قبلكم إن لم تؤمنوا برسلنا يعني لسنا عاجزين عن خلق أمثالكم بدلاً منكم ومسخكم من صوركم إلى غيرها ويحتمل أن الآية تنحو إلى الوعيد فالمراد إما إنشاؤهم في خلق لا يعلمونها أو صفات لا يعلمونها يعني كيفيات من الألوان والأشكال وغيرها وفي الحديث: «إن أهل الجنة جرد مرد» «وإن الجهنمي ضرسه مثل أحد» وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى ليس بعاجز عن تبديل الصفات البشرية بالصفات الملكية وجعل السالكين مظهر الصفات غير صفاتهم التي هم عليها إذ توارد الصفات المختلفة المتباينة

على نفس واحدة على مقتضى الحكمة البالغة ليس من المحال ألا ترى إلى الجوهر الواحد فإنه يصير تارة فضة وأخرى ذهباً بطرح الإكسير.

﴿ولقد علمتم النشأة﴾ أي الخلقة ﴿الأولى﴾ هي خلقتهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل: هي فطرة آدم من التراب. ﴿فلولا تذكرون﴾ فهلا تتذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى حتماً فإنها أقل صنعاً لحصول المواد وتخصص الأجزاء وسبق المثال.

آنكه مارا زخلوت نابود مى كشد تابجلوه كاه وجود
بار ديكركه از سموم هلاك روى پوشيم زير پرده خاك
هم نواند با مركن فيكون كارد از كوشه لحد بيرون

وفي الخبر: «عجباً كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى وعجباً للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور» وفي الآية دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى وترك القياس إذا كان جهلاً كان القياس علماً وكل ما كان من قبيل العلم فهو صحيح. وفي «المثنوي»:

مجتهد هركه كه باشد نص شناس اندر آن صورت نينديشد قياس
چون نيايد نص اندر صورتى از قياس آنجا نمايد عبرتى
اين قياسات وتحرى روز ابر تابشت مر قبله را كردست حبر
ليك با خورشيد وكعبه پيش رو اين قياس واين تحرى مجو

ومنه يعلم بطلان قياس إبليس فإنه قياس على خلاف الأمر عنده وروده. كما قال في «المثنوي»:

أول آنكس كين قياسكها نمود پيش انوار خدا ابليس بود
كفت نار ازخاك بى شك بهترست من ز نار واوز خاك اكدرست
پس قياس فرع براصلش كنيم اوز ظلمت ما زنور روشنيم
كفت حق نى بلكه لا انساب شد زهد وتقوى فضل را محراب شد

وفيه إشارة إلى أنا إذا قدرنا على إنشاء النشأة الأولى البشرية الطبيعية الدنيوية مع عدم مادة من المواد الصفاتية فمن استعجز قدرة الله فقد كفر ألا ترى إلى محرومي البداية مرزوقي النهاية مثل إبراهيم بن أدهم وفضيل بن عياض ومالك بن دينار وغيرهم قدس الله أسرارهم فإن الله تعالى أنشأهم نشأة أخرى ولو بعد حين.

﴿أفرأيتم﴾ أخبروني وبالفارسية إخبار كنيد ﴿ما تحرثون﴾ أي: تبذرونه من الحب وتعملون في أرضه بالسقي ونحوه والحراثة إلقاء البذر في الأرض وتهيئتها للزرع.

﴿ءأنتم تزرعونه﴾ تنبتونه وتردونه نباتاً يربو وينمو إلى أن يبلغ الغاية ﴿أم نحن الزارعون﴾ أي المنبتون لا أنتم والزرع الإنبات وحقيقة ذلك يكون بالأمور الإلهية دون البشرية ولذا نسب الحرث إليهم ونفى عنهم الزرع ونسبه إلى نفسه وفي الحديث: «لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت فإن الزارع هو الله» والحاصل أن الحرث فعلهم من حيث إن اختيارهم له مدخل في الحرث والزرع خالص فعل الله فإن إنبات السنبل والحب لا مدخل فيه لاختيار العبد أصلاً وإذا نسب الزرع إلى العبد فلكونه فاعلاً للأسباب التي هي سبب الزرع والإنبات في «الأسئلة المقحمة» الأصح أن الحرث والزرع واحد كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ [البقرة: ٧١] فهلا

أضاف الحرث إلى نفسه أيضاً والجواب أن إضافة الحرث إلينا إضافة الاكتساب وإضافته إلى نفسه إضافة الخلق والاختراع كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: ١٧] قال الحليمي: يستحب لكل من ألقى في الأرض بذراً أن يقرأ بعد الاستعاذة: **﴿أفرأيتم﴾** إلى قوله: **﴿بل نحن محرومون﴾** ثم يقول: الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ويقال: إن هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات الدود والجراد وغير ذلك وفي الآية امتنان ليشكروا على نعمة الزرع واستدلال بأن من قدر على الإنبات قدر على الإعادة فكما أنه ينبت الحب في الأرض وينبت بذر النطفة في الرحم فكذا ينبت من حب عجب الذنب في القبر فإن كلها حب وذلك لأن بذر النطفة وكذا عظم عجب الذنب شيء كخردلة كما أسلفناه.

﴿لو نشاء﴾ لو للمضي وإن دخل على المضارع ولذا لا يجزمه فهو شرط غير جازم أي لو أردنا **﴿لجعلناه﴾** أي الزرع بمعنى المزروع **﴿حطاماً﴾** الحطم كسر الشيء مثل الهشم ونحوه ثم استعمل لكل كسر متناه والمعنى هشيماً أي يابساً متكسراً متفتتاً بعدما أنبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازة غلاله وجمعها. **﴿فظلتم﴾** أي: فصرتم بسبب ذلك **﴿تفكهون﴾** تتعجبون من سوء حاله أثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ما فعلتم فيه من الاجتهاد وأنفقتم عليه أو تندمون على ما أصبتم لأجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرىء تفكنون بالنون والتفكن التعجب والتفكر والتندم ومنه الحديث: «مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبينا هم إذ غار ماؤها فانتفع بها قوم يتفكنون» أي يتندمون والحمة العين الحارة من الحميم وهو الماء الحار يستشفي به الأعلاء والمرضى **﴿إنا لمغرمون﴾** حال من فاعل تفكهون أي قائلين: إنا لملزمون غرامة ما أنفقنا والغرامة أن يلزم الإنسان ما ليس في ذمته وعليه كما في «المغرب» أو مهلكون بهلاك رزقنا أو بشؤم معاصينا من الغرام وهو الهلاك.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿بل نحن محرومون﴾ حرمنا رزقنا أو محدودون لا مجدودون أي ممنوعون من الحد وهو المنع لا حظ لنا ولا جد ولا بخت ولو كنا مجدودين لما فسد علينا هذا.

- روي - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مرّ رسول الله ﷺ بأرض الأنصار فقال: ما يمنعكم من الحرث قالوا: الجدوبة قال: أفلا تفعلون فإن الله تعالى يقول: أنا الزارع إن شئت زرعت بالماء وإن شئت زرعت بالريح وإن شئت زرعت بالبذر ثم تلا رسول الله عليه السلام **﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾** الآية» ففي الحديث إشارة إلى أن الله تعالى هو الذي يعطي ويمنع بأسباب وبغيرها فالتوحيد هو أن يعتقد أن التأثير من الله تعالى لا من غيره كالكوكب ونحوه فإنه يتهم النفس بالمعصية القاطعة للرزق وفي الحديث: «ما سنة بأمطر من أخرى ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار» وفي الحديث: «دم على الطهارة يوسع عليك الرزق» فإذا كان توسيع الرزق في الطهارة فتضييقه في خلافها والرزق ظاهر وباطن وكذا الطهارة والنجاسة فلا بد لطالب الرزق مطلقاً أن يكون

على طهارة مطلقة دائماً فإن قلت: فما حال أكثر السلف فإنهم كانوا فقراء مع دوام الطهارة؟ قلت: كان السلف في الرزق المعنوي أكثر من الخلف وهو المقصود الأصلي من الرزق وإنما كانوا فقراء في الظاهر لكمال افتقارهم الحقيقي كما قال عليه السلام: «اللهم أغنني بالافتقار إليك» فمنعوا عن الغنى الصوري تطبيقاً لكل من الظاهر والباطن بالآخر فهم أغنى الأغنياء في صورة الفقراء وما عداهم ممن ليس على صفتهم أفقر الفقراء في صورة الأغنياء فالمرزوق من رزق غذاء الروح من الواردات والعلوم والفيوض والمحروم من حرمه فاعرفه. وفي «المثنوي»:

فهم نان كردن نه حكمت اى رهى زانكه حق كفت كلوا من رزقه

رزق حق حكمت بود در مرتبت كان كلو كيرت نباشد عاقبت

آن دهان بستى دهانى بازشد كه خورنده لقمهاى راز شد

كرز شير ديوتن را پرورى در فطام او بسى نعمت خورى

﴿أفرأيتم﴾ خبر نماييد ﴿الماء الذي تشربون﴾ عذباً فراتاً وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به.

﴿ءأنتم أنزلتموه من المزن﴾ أي من السحاب واحده مزنة وقيل: هو السّحاب الأبيض وماؤه أعذب ﴿أم نحن المنزلون﴾ له بقدرتنا والرؤية إن كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام وإن كانت بمعنى الإبصار أو المعرفة فالجملة الاستفهامية استئناف وهذا هو اختيار الرضي.

﴿لو نشاء جعلناه أجاجاً﴾ ملحاً زعاقاً لا يمكن شربه وحذف اللام في الشرطية الأولى للفرق بين المطعوم والمشروب في الأهمية وصعوبة الفقد، يعني أن أمر المطعوم هاهنا مع إثباتها مقدم على أمر المشروب وإن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعاً للمطعوم. ﴿فلولا تشكرون﴾ فهلا تشكرون ما ذكر جميعاً من المطعوم والمشروب بتوحيد منعمه وإطاعة أمره أو ﴿فلولا تشكرون﴾ على أن جعلناه عذباً وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن تحت العرش بحراً تنزل منه أرزاق الحيوانات يوحي الله إليه فيمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى سماء الدنيا ويوحي إلى السماء أن غربليه فتغربله فليس من قطرة تقطر إلا معها ملك يضعها موضعها ولا ينزل من السماء قطرة إلا بكيل معلوم ووزن معلوم إلا ما كان من يوم الطوفان فإنه نزل بغير كيل ولا وزن وقال بعض الحكماء: إن المطر يأخذه قوس الله من البحر إلى السحاب ثم ينزل من السحاب إلى الأرض قال بعضهم: هو أدخل في القدرة لأن ماء البحر مرّ فيصعد ملحاً وينزل عذباً، وفي الآية إشارة إلى أن بعض بلاد العرب ليس لها آبار ولا أنهار جارية فلا يشرب أهلها إلا من المطر في المصانع فمنها القدس الشريف وينبع وجدة المحروسة ونحوها وللماء العذب مزيد فضل في هذه البلاد ولذا امتن الله به على العباد وفيها إشارة إلى ماء معرفة والعلم الإلهي فإنه ليس بالكسب والاجتهاد بل بمحض عطاء الله تعالى ولو شاء الله لجعل الماء العذب الجاري من مشرب الكشف والشهود ماء ملحاً جارياً من مشرب الحجاب والاحتجاب والجهالة والضلالة فلا بد من الشكر على نعم المعارف والحقائق والحكم.

واعلم أن من حفر بئراً فإما أن يصل إلى الماء أو لا فإن وصل فإما أن يكون ذلك الماء مالحاً أو عذباً فعلى تقدير كونه عذباً ليس كالمطر الحاصل بلا أسباب فإنه طيب طاهر خالص فهذا مثل علم علماء الرسوم ومثل علم علماء الحقيقة فإن الأنبياء والأولياء ملهمون من عند الله

تعالى ولا خطأ في الوحي والإلهام أصلاً ولذا نقول: إن علم الصوفية هو العلم الصواب كله فعلمهم تذكري ليس لهم احتياج إلى ترتيب المقدمات بخلاف علماء الرسوم فإن علمهم تفكري يحتاج إلى ذلك ولا بد لطالب الفيض من تهيئة المحل قبل وروده ألا ترى إلى صاحب الحرث فإنه يشتغل بتهيئة الأرض وإلقاء البذر ولا يدري من ينزل المطر فإذا نزل أصاب محزه.

ثم اعلم أن الروح ينزل بالمطر وله تعين في كل نشأة بما يناسبه فعند تمام الخلقة في الرحم ينفخ الله تعالى الروح وهو عبارة عن تعين الروح وظهوره لكن عبر عنه بالنفخ لأن العقل قاصر عن دركه وكان عليه السلام يكشف رأسه عند نزول المطر ويقول: «حديث عهد بربه» فالروح أي روح كان سبب للحياة مطلقاً فينبغي تلقي التجليات الواردة من قبل الحق بتهيئة المحل كما أن النبي عليه السلام كشف رأسه وهيأ محل نزول المطر وذلك لأن المطر ينزل من العلو فيلقى على أعلى شيء في الإنسان وهو الرأس.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ الإيراء آتش از آتش زنه بيرون كردن. أي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى الزند والأسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة يقال: ناقة طروقة أي بلغت أن يضربها الفحل لأن الطرق الضرب.

﴿ءأنتم أنشأتم شجرتها﴾ التي منها الزناد وهي المرخ والعفار كما مر في سورة يس. **﴿أم نحن المنشئون﴾** لها بقدرتنا.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ استئناف مبين لمنافعها أي جعلنا نار الزناد تذكيراً لنار جهنم من حيث عقلنا بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا ما أوعدوا به من نار جهنم أو تذكرة وموعظة وأنموذجاً من جهنم لما روي عن النبي عليه السلام: «ناركم هذه التي يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم» وقيل: تبصرة في أمر البعث فإنه ليس أبدع من إخراج النار من الشيء الرطب وفي «عين المعاني»: وهو حجة على منكري عذاب القبر حيث تضمن النار ما لا يحرق ظاهره. **﴿ومتاعاً﴾** ومنفعة وبلغة لأن حمل النار يشق **﴿للمقوين﴾** للذين ينزلون القواء بالفتح وهو القفر الخالي عن الماء والكلاء والعمارة وهم المسافرون وتخصيصهم بذلك لأنهم أحوج إليها ليهرب منها السباع ويسطلوا من البرد ويجففوا ثيابهم ويصلحوا طعامهم فإن المقيمين أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزناد وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على أن الأهم هو النفع الأخروي يقال: أقوى الرجل إذا نزل في الأرض القواء كأصحر إذا دخل في الصحراء، وفي الحديث: «قال النبي عليه السلام لجبريل ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط؟ قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار» وعن أنس رضي الله عنه يرفعه «أن أدنى أهل النار عذاباً الذي يجعل له نعلان يغلي منهما دماغه في رأسه» وفيه بيان شدة نار جهنم وأنها ليست كنار الدنيا وقانا الله وإياكم منها، وفي الآية إشارة إلى نار المحبة المشتعلة الموقدة بمقدح الطلب في إحراقة قلب المحب الصادق في سلوك طريق الحق وشجرتها هي العناية

الإلهية السرمدية يدل هذا التأويل قول العارف أبي الحسين المنصور قدس سره حين سئل عن حقيقة المحبة؛ هي العناية الإلهية السرمدية لولاها ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان نحن جعلناها تذكرة لأرباب النفوس البشرية ليهتدوا بنورها إلى سلوك طرق الحق ومتاعاً للمقوين أي غذاء لأرواح المحبين الطاوين أياماً وليالي عن الطعام والشراب. كما حكي عن سهل التستري رحمه الله أنه كان يطوي ثلاثين يوماً وعن أبي عقيل المغربي قدس سره أنه ما أكل سنتين وهو مجاور بمكة وعن كثير من المرتاضين السالكين وإنما رفع إدريس عليه السلام إلى السماء الرابعة لمبالغته في التجريد والترويح حتى أن الروحانية غلبت عليه فخلع بدنه وخالط الملائكة واتصل بروحانية الأفلاك وترقى إلى عالم القدس وقد أقامه ستة عشر عاماً لم ينم ولم يطعم شيئاً ولم يتزوج قط لزوال الشهوة بالكلية حتى صار عقلاً مجرداً من كثرة الرياضة ورفع إلى أعلى الأمكنة وهو المكان الذي يدور عليه رحى عالم الأفلاك وهو فلك الشمس ثم إن نار المحبة أشد النيران قال الجنيد قدس سره: قالت النار: يا رب لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء هو أشد مني؟ قال: نعم كنت أسلط عليك ناري الكبرى قالت: هل نار أعظم مني؟ قال: نعم نار محبتي أسكنها قلوب أوليائي المؤمنين. كما في «فتح القريب»:

مهرجانان آتش است عشاق را ... مى بسوزد هستى مشتاق را

﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ لم يقل: فسبح ربك لأن سبح منزل منزلة اللازم ولم يعتبر تعلقه بالمفعول ومعناه فأحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى إضمار المضاف شكراً على تلك النعم وإن جحدها الجاحدون أو بذكره على المجاز فإن إطلاق الاسم للشيء ذكر له والباء للاستعانة أو الملابسة والمراد بذكر ربه هنا تلاوة القرآن والعظيم صفة للاسم أو الرب قال ابن عطاء رحمه الله: سبحه إن الله أعظم من أن يلحقه تسبيحك أو يحتاج إلى شيء منك لكنه شرف عبيده بأن أمرهم أن يسبحوه ليطهروا أنفسهم بما ينزهونه به.

﴿فلا أقسم﴾ أي فأقسم ولا مزيدة للتأكيد وتقوية الكلام كما في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩] وما قيل إن المعنى فلا أقسم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم خصوصاً إلى مثل هذا القسم العظيم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن المقسم به. ﴿بمواقع النجوم﴾ أي بمساقطها وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير أو لأن ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم أو بمنازلها ومجاريها فإن له تعالى في ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل: النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وإليه ذهب ابن عباس رضي الله عنهما وقيل: النجوم الصحابة والعلماء الهادون بعدهم ومواقعهم القبور وقيل غير ذلك.

﴿وإنه﴾ أي القسم بالمذكور ﴿لقسم لو تعلمون عظيم﴾ لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى بغير كتاب قوله: لو تعلمون اعتراض بين الصفة والموصوف لتأكيد تعظيم المحلوف به وجوابه متروك أريد به نفي علمهم أو محذوف ثقة بظهوره أي لعظمتموه أو لعملتم بموجبه ففيه تنبيه على تقصير المخاطبين في الأمر وعظيم صفة قسم وهذه الجملة أيضاً اعتراض بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿إنه لقرآن كريم﴾ هو المقسم عليه أي لكتاب كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة في صلاح المعاش والمعاد على أن يستعار الكرم ممن يقوم به الكرم من ذوي العقول إلى غيرهم أو حسن مرضي في جنسه من الكتب أو كريم عند الله وقال بعضهم: كريم لأنه يدل على مكارم الأخلاق ومعالي الأمور وشرائف الأفعال وقيل: كريم لنزوله من عند كريم بواسطة الكرام إلى أكرم الخلق.

﴿في كتاب مكنون﴾ أي مصون عن غير المقربين من الملائكة أي لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح المحفوظ.

﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ إما صفة أخرى للكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية وأوضار الأوزار أو للقرآن فالمراد المطهرون من الأحداث مطلقاً فيكون نفياً بمعنى النهي أي لا ينبغي أن يمسه إلا من كان على طهارة من الأدناس كالحدث والجنابة ونحوهما على طريقة قوله عليه السلام: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» أي لا ينبغي له أن يظلمه أو يسلمه إلى من يظلمه فالمراد من القرآن المصحف سماه قرآناً على قرب الجوار والاتساع كما روي أن رسول الله ﷺ «نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو» وأراد به المصحف وفي الفقه: لا يجوز لمحدث بالحدث الأصغر وهو ما يوجب الوضوء مس المصحف إلا بغلافه المنفصل الغير المشرز كالخريطة ونحوها لأن مسه ليس مس القرآن حقيقة لا المتصل في الصحيح وهو الجلد المشرز لأنه من المصحف يعني تبع له حتى يدخل في بيعه بلا ذكر وهذا أقرب إلى التعظيم وكره المس بالكم لأنه تابع للحامل فلا يكون حائلاً ولهذا لو حلف: لا يجلس على الأرض فجلس وذيله بينه وبين الأرض حنث وإنما منع الأصغر عن مس المصحف دون تلاوته لأنه حل اليد دون الفم ولهذا لم يجب غسله في الوضوء. والجنابة كانت حالة كليهما ولا يرد العين لأن الجنب حل نظره إلى مصحف بلا قراءة وكذا لا يجوز المحدث مس درهم فيه سورة إلا بصرته ولا لجنب دخول المسجد إلا لضرورة فإن احتاج إلى الدخول تيمم ودخل لأنه طهارة عند عدم الماء ولا قراءة القرآن ولو دون آية لأن ما دونها شيء من القرآن أيضاً إلا على وجه الدعاء أو الثناء كالبسملة والحمدلة، وفي «الأشباه» لو قرأ الفاتحة في صلاته على الجنازة إن قصد الدعاء والثناء لم يكره وإن قصد التلاوة كره، وفيه إشارة إلى أن حكم القراءة يتغير بالقصد ويجوز للجنب الذكر والتسبيح والدعاء. والحائض والنفساء كالجنب في الأحكام المذكورة ويدفع المصحف إلى الصبي إذ في الأمر بالوضوء حرج بهم وفي المنع تضيع حفظ القرآن إذ الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر، وفي «الأشباه» ويمنع الصبي من مس المصحف انتهى والتوفيق ظاهر وفي «كشف الأسرار»: وأما الصبيان فلأصحابنا فيهم وجهان: أحدهما أنهم يمنعون منه كالبالغين والثاني أنهم لا يمنعون لمعنيين أحدهما أن الصبي لو منع ذلك أدى إلى أن لا يتعلم القرآن ولا يحفظه لأن وقت تعلمه وحفظه حال الصغر، والثاني أن الصبي وإن كانت له طهارة فليست بكاملة لأن النية لا تصح منه فإذا جاز أن يحمله على غير طهر كامل جاز أن يحمله محدثاً ودر انوار مذكور است كه جنب وحائض را بقول أبي

يوسف جائزست كتابت قرآن وقتى كه لوح برزمين بودنه بركنار ونزد محمد بهيج وجه روانيست ومحمد بن فضل رحمه الله فرموده كه مراد ازين طهارت توحيدست يعني بايدكه از غير موحدان كسى قرآن نخواند وابن عباس رضي الله عنه نهى ميكرد ازانكه يهود ونصارى را تمكين دهند از قرآءت قرآن. وقال بعضهم: يجوز للمؤمن تعليم القرآن للكافر رجاء هدايته إلى الإسلام. ومحققان كفته اند مراد ازمس اعتقادست يعني معتقد نباشد قرآنرا اكر پاكيزه دلان كه مؤمنانند ويا تفسير وتأويل آن ندانند الا آنها كه سر ايشان پاك باشد از ما سوى الله:

جمال حضرت قرآن نقاب انكه براندازد   كه دار الملك معنى را مجرد بيند از غوغا

ودر «بحر الحقائق» فرموده كه مكاشف نشود باسرار قرآن مكر كسى كه پاكيزه كردد ازلوث توهم غير وبرسد بمقام شهود حق درمر آى خلق واين معنى ميسر نشود جز بفناى مشاهد وشهود در مشهود:

چون تجلى كردد اوصاف قديم   پس بسوزد وصف حادث راكليم

وتحقيقه أن الهاء إشارة إلى الهوية الإلهية فإنه لا يمس سرها إلا المطهرون عن جنابة كل مقام من المقامات الوجودية وهي التعلق به والبعد بواسطته عن الحق المطلق والمطهر بالفتح لا بد له من المطهر بالكسر وهو الله تعالى فالعبد لا يطهر نفسه ولا يزكيها وإنما يطهره الله ويزكيه فإذا طهره الله وزكاه فهم مراد القرآن ولذا قال بعض الكبراء: إن القرآن بكر أي بالنسبة إلى علماء الظاهر والرسم فإن الذي فهموه من القرآن إنما هو ظاهره ومزاياه المتعلقة به وإنما حل عقدته علماء الباطن والحقيقة لأن الله تعالى قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فهم أهل التقوى الحقيقي ولذا علمهم الله ما لم يعلم أحداً من العالمين وإن كان القرآن لا تنقضي عجائبه وقس عليه الحديث فإن مراد رسول الله عليه السلام على الحقيقة لا يفهمه إلا أهل الحقيقة ومن ثمة اقتصر علماء الحديث وشراحه على بيان الإعراب والمفهوم الظاهري من غير أن يتعرضوا لحقائقه فأين شرح النووي والكرماني وابن حجر ونحوهم من شرح الصدر القنوي ونحوه رضي الله عنهم؟!.

﴿تنزيل من رب العالمين﴾ صفة أخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه يعني أن التنزيل بمعنى المنزل سمي المنزل تنزيلاً على اتساع اللغة كما يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق على قول من يجيزه.

﴿أفبهذا الحديث﴾ الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لإعظامه وإجلاله وهو القرآن الكريم وسماه حديثاً لأن فيه حوادث الأمور كما في «كشف الأسرار» وهو متعلق بقوله: ﴿مدهنون﴾ وجاز تقديمه على المبتدأ لأن عامله يجوز فيه ذلك والأصل أفأنتم مدهنون بهذا الحديث ﴿أنتم﴾ يا أهل مكة ﴿مدهنون﴾ الإدهان في الأصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة وترك الجد والمعنى متهاونون به ومستحقرون كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به، وفي «تاج المصادر»: الإدهان مداهنت كردن وغسل كردن. قال في «الإحياء»: الفرق بين المداهنة والمداراة بالغرض الباعث على الإغضاء فإن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من إصلاح أخيك بالإغضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إنّا لنبش في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو منع شر من يخاف شره.

﴿وتجعلون رزقكم﴾ أي شكر رزقكم بتقدير المضاف ليصح المعنى والرزق في الأصل مصدر سمي به ما يرزق والمراد نعمة القرآن ﴿أنكم تكذبون﴾ أي تضعون التكذيب لرازقه موضع الشكر أو تجعلون شكر رزقكم الصوري أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى الأنواء وكان عليه السلام يقول: «لو حبس الله القطر عن أمتي عشر سنين ثم أنزل لأصبحت طائفة منهم يقولون: سقينا بنوء كذا» وقال عليه السلام: «أخوف ما أخاف على أمتي حيف الأئمة والتكذيب بالقدر والإيمان بالنجوم».

ـ روي ـ «أنه عليه السلام صلى صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال: مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب» وفي الحديث: «ثلاث من أمر الجاهلية: الطعن في الأنساب والنياحة والأنواء» فالطعن معروف والنياحة البكاء على الميت مع تعديد محاسنه والأنواء جمع نوء المنازل الثماني والعشرون للقمر والعرب كانت تعتقد أن الأمطار والخير كله يجيء منها وفي «حواشي ابن الشيخ» في سورة الفرقان: الأنواء النجوم التي يسقط واحد منها في جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه في جانب المشرق من ساعته والعرب كانت تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها وقيل: إلى الطالع منها انتهى وفي «القاموس»: النوء النجم مال للغروب أو سقوط النجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق انتهى فظهر أن التأثير من الله تعالى في الأشياء فيجب على المؤمن أن يعتقده منه تعالى لا من الأفلاك والنجم والدهر ونحوها، وفي «هدية المهديين»: لو صاحت الهامة أو طير آخر فقال رجل: يموت المريض يكفر ولو خرج إلى السفر ورجع فقال: أرجع لصياح العقعق كفر عند بعضهم وقيل: لا ولو قال عند صياح الطير: غله كران مى خواهد شد. فقد اختلف المشايخ في كفره وجه الكفر ظاهر لأنه ادعى الغيب انتهى والناس يتشاءمون بأصوات بعض الطيور كالهامة والبوم، كما قال الشيخ سعدي:

بلبلا مژده بهار بيار   خبرى بدببوم باز كذار

فإن يكن هناك اعتقاد التأثر منها فذلك كفر وإلا فمجرد التشاؤم لا يوجب الكفر خصوصاً إذا كان القول بطريق الاستدلال من الأمارات والأليق بحال المؤمن حمل مثل ذلك على التنبيهات الإلهية فإن لله في كل شيء حكمة لا القطع على المقدورات والجزم فيما لا يبلغ علمه كنهه فإن الله يحيي ويميت ويوقظ وينيم بأسباب وبغيرها.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿فلولا﴾ پس چرا ﴿إذا بلغت الحلقوم﴾ لولا للتحضيض لإظهار عجزهم وإذا ظرفية والحلقوم مجرى الطعام، وفي «كشف الأسرار»: مجرى النفس والبلعوم مجرى الطعام أي فهلا إذا بلغت النفس أي الروح أو نفس أحدكم وروحه الحلقوم وتداعت إلى الخروج وهو كناية عن غير مذكور، وفي الحديث: «إن ملك الموت له أعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئاً فشيئاً حتى ينتهي بها إلى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت» ﴿وأنتم﴾ الواو للحال من فاعل بلغت

أي والحال أنتم أيها الحاضرون حول صاحبها. ﴿حينئذ﴾ آن هنكام ﴿تنظرون﴾ إلى ما هو فيه من الغمرات ولكم تعطف عليه ووفور رغبة في إنجائه من المهالك.

﴿ونحن أقرب إليه﴾ أي إلى المحتضر علماً وقدرة وتصرفاً قال بعضهم: عبر عن العلم بالقرب الذي هو أقوى سبب الاطلاع ﴿منكم﴾ حيث لا تعرفون حاله إلا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها ولا أن تقدروا على دفع أدنى شيء منها ونحن المتولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت الذين يقبضون روحه. ﴿ولكن لا تبصرون﴾ لا تدركون كنه ما يجري عليه لجهلكم بشؤوننا فقوله: لا تبصرون من البصيرة لا من البصر والأقرب تفسيره بقوله: لا تدركون كوننا أعلم به منكم كما في «حواشي سعدي المفتي». قال البقلي رحمه الله: قرب الله بالتفاوت قرب بالعلم وقرب بالإحاطة وقرب بالفعل وقرب بالصفة وقرب بالقهر وقرب باللطف والمسافة والمكان منفي على ذاته وصفاته ولكن يتجلى لقلوب من عين العظمة لإذابتها برؤية القهر ولقلوب من عين الجمال ليعرفها الاصطفائية وذلك القرب لا يبصره إلا أهل القرب وشواهده ظاهرة لأهل المعرفة وفي الخطاب تحذير وترهيب ﴿فلولا﴾ بمعنى هلا ﴿إن كنتم غير مدينين﴾ أي: غير مربوبين مملوكين أذلاء من دان السلطان رعيته إذا ساسهم واستعبدهم، وفي «المفردات»: أو غير مجزيين فإن الدين الجزاء أيضاً وهو ناظر إلى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الواقعة: ٥٧] فإن التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه حتماً ﴿ترجعونها﴾ أي: النفس إلى مقرها وتردون روح ميتكم إلى بدنه من الرجع وهو الرد العامل في إذا والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية مكررة للتأكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى إن كنتم غير مربوبين كما ينبىء عنه عدم تصديقكم بخلقنا إياكم فهلا ترجعون النفس إلى مقرها عند بلوغها الحلقوم. ﴿إن كنتم صادقين﴾ في اعتقادكم فإن عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم أي فإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به وهو تكرير للتأكيد لا من اعتراض الشرط إذ لا معنى له هنا.

﴿فأما إن كان من المقربين﴾ هو قرب درجاتهم من العرش لا من الله من حيث الجهة حسبما قال به الحشوية وهو شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات إثر بيان حاله عند الوفاة أي فأما إن كان المتوفى من المقربين وهم أجل الأزواج الثلاثة.

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾.

﴿فروح﴾ أي فله استراحة وقرىء بضم الراء وفسر بالرحمة لأنها سبب لحياة المرحوم فإطلاقه على الرحمة استعارة تصريحية وبالحياة الدائمة التي لا موت فيها، قال بعضهم: الروح يعبر به عن معان فالروح روح الأجسام الذي يقبض عند الممات وفيه حياة النفس والروح جبرائيل لأنه كان يأتي الأنبياء بما فيه حياة القلوب وعيسى روح الله لأنه كان من نفخ جبرائيل وأضيف إلى الله تعظيماً وكلام الله روح لأنه حياة من الجهل وموت الكفر ورحمة الله روح كقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] أي برحمة والروح الرزق لأنه حياة الأجساد وفي «القاموس»: الروح بالضم ما فيه الروح ما به حياة الأنفس وبالفتح الراحة والرحمة ونسيم

الريح ومكان روحاني طيب والروحاني بالضم ما فيه الروح وفي كتاب «الملل والنحل». الروحاني بالضم من الروح والروحاني بالفتح من الروح والروح متقاربان فكأن الروح جوهر والروح حالته الخاصة به انتهى. ﴿وريحان﴾ ورزق أو هو ما يشم وعن أبي العالية: لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى ببعض من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض روحه. وقال الزجاج: الريحان هنا التحية لأهل الجنة. يكى از بزركان دين كفته است كه روح وريحان هم در دنياست هم در عقبى روح در دنياست وريحان در عقبى روح آنست كه دل بنده مؤمن را بنظر خويش بيار ايدتا حق ازباطل واشناسد انكه بعلم فراخ كند تا قدرت دران جاى يابد آنكه بينا كند تابنور منت مى بيند شنوا كند تاپند ازلى مى شنود پاك كند تاهمه صحبت او جويد بعطر وصال خوش كند تادران مهر دوست رويد بنور خويش روشن كند تا از وبار ديكر بصيقل عنايت بزد ايد تادر هرچه نكرد اورا بيند بنده چوں بدين صفت بسراى سعادت رود آنجا ريحان كرامت بيند نسيم انس ازباغ قدس دميده زير درخت وجود تخت رضا نهاده بساط انس كسترده شمع عطف افروخته وبر فلك نشسته ودوست ازلى پرده بر كرفته بسمع بنده سلام رسانيده وديدار ذو الجلال نموده. ﴿وجنة نعيم﴾ أي: ذات تنعم فالإضافة لأدنى الملابسة. وقال الكاشفي: بوستان پرنعمت. قال بعض أهل الحقيقة: فله روح الوصال وريحان الجمال وجنة الجلال لروحه روح الإنس ولقلبه ريحان القدس ولنفسه جنة الفردوس أو الروح النظر إلى وجه الجبار والريحان الاستماع لكلامه وجنة النعيم هو أن لا يحجب العبد فيها عن مولاه إذا قصد زيارته وللمقربين ذلك في دار الدنيا وروحهم المشاهدة وريحانهم سرور الخدمة وجنة النعيم السرور بذكره، وقال بعضهم: الروح للعابدين والريحان للعارفين وجنة النعيم لعوام المؤمنين أو فله روح الشهود الذاتي وريحان السرور وجنة نعيم اللذات بالوصول إليها والدخول فيها.

يقول الفقير: الروح للنفوس والأجساد لأنها تستريح بعد الموت برفع التكاليف عنها وإن كان أهل الله على نشاط دائم في باب الخدمة لأن التعب يرتفع بالوصول إلى الله لكونه من آثار النفس والطبيعة ولا نفس ولا طبيعة بعد الوصول والريحان للقلوب والأرواح ولذا حبب إلى النبي عليه السلام الطيب لأنه يوجد فيه ذوق الإنس والمحاضرة وجعل عليه السلام الولد من الريحان لأنه يشم كما يشم المشموم وأنه من تنزلات أبيه كما أن القلوب من تنزلات الأرواح والأرواح من تنزلات الأسرار ووجد عليه السلام نفس الرحمن من قبل اليمن وإنما وجده قلبه وروحه وكان ذلك النفس عصام الدين عم أويس القرني وكان حينئذ قطب الأبدال وكان عليه السلام يستنشق بحس شمه أيضاً روائح الجنة ونحوها وجنة نعيم للأسرار وهي الجنة المضافة إلى الله تعالى في قوله: ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٣٠] وعند دخولهم هذه الجنة لا يراهم أحد أبداً لعلو طبقتهم ورفعة درجتهم فلا يعرفهم أحد لا في الدنيا ولا في العقبى فهم من قبيل المعلوم المجهول.

﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين﴾ عبر عن السابقين بالمقربين لكونه أجل أوصافهم وعبر عن أصحاب اليمين بالعنوان السابق إذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبىء عن شأنهم سواه كما ذكر للفريقين الآخرين واستعير اليمين للتيمن والسعادة قاله الراغب.

﴿فسلام لك﴾ يا صاحب اليمين ﴿من أصحاب اليمين﴾ من إخوانك يسلمون عليك عند الموت وبعده فيكون السلام إشارة له أنه من أهل الجنة قال في «الإرشاد»: هذا إخبار من جهته

تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية لإنشاء سلام بعضهم على بعض وإلا لقيل عليك والالتفات إلى خطاب كل واحد منهم للتشريف. قال سهل رحمه الله: أصحاب اليمين هم الموحدون أي العاقبة لهم بالسلامة لأنهم أمناء الله قد أدوا الأمانة يعني أمره ونهيه لم يحدثوا شيئاً من المعاصي والزلات قد أمنوا الخوف والهول الذي ينال غيرهم وحقيقته أن المقربين أصحاب الشهود الذاتي وأصحاب اليمين أصحاب الشهود الأسمائي والصفاتي فله السلامة من اسمه السلام على لسان إخوانه الأسمائية نسأل الله لي ولكم السلامة والنجاة والأنس والحضور والشهود في أعلى المقامات والدرجات ﴿**وأما إن كان من المكذبين الضالين**﴾ وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الواقعة: ٥١] ذماً لهم بذلك وإشعاراً بسبب ما ابتلوا به من العذاب وهو تكذيب البعث ونحوه والضلال عن الحق والهدى.

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

﴿**فنزل**﴾ أي فله نزل كائن ﴿**من حميم**﴾ يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل وبالفارسية پس مراوراست پيشكش درقبر ازاب كرم كرده دردوزخ بادود آتش دوزخ.

﴿**وتصلية جحيم**﴾ أي: إدخال في النار وقيل: إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل: ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها يقال: أصلاه النار وصلاه أي جعله يصلاها والمصدر هنا مضاف إلى المفعول.

﴿**إن هذا**﴾ أي الذي ذكر في هذه السورة الكريمة. ﴿**لهو حق اليقين**﴾ أي حق الخبر اليقين فهو من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة على الاتساع والمجاز وقيل: الحق الثابت من اليقين أي الحق الثابت الذي لا يطرأ عليه التبدل والتغير وقال أبو الليث: أي يقين حق اليقين انتهى واليقين علم يحصل به ثلج الصدور ويسمى برد اليقين فهو العلم الذي يحصل به اطمئنان النفس ويزول ارتيابها واضطرابها والمراد هنا المعلوم المتيقن به لأن المبتدأ عبارة عن المعلوم فيجب أن يكون الخبر أيضاً كذلك. التقدير: إن هذا لهو ثابت الخبر المتيقن به أي الثابت منه على أن الإضافة بمعنى من، وفي «فتح الرحمن»: هذه عبارة فيها مبالغة لأنها بمعنى واحد كما تقول في أمر تريد توكده: هذا يقين اليقين وصواب الصواب بمعنى أنه نهاية الصواب فهي عبارة مبالغة وتأكيدٌ معناه أن هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته انتهى.

قال ابن الملك: إضافة العلم إلى اليقين إضافة الشيء إلى مرادفه كما فعلوا مثل ذلك في العطف وفي «شرح النصوص» بالنون العلم اليقيني هو العلم الحاصل بالإدراك الباطني بالفكر الصائب والاستدلال وهذا للعلماء الذين يوقنون بالغيب ولا تزيد هذه المرتبة العلمية إلا بمناسبة الأرواح القدسية فإذاً يكون العلم عيناً ولا مرتبة للعين إلا اليقين الحاصل من مشاهدة المعلوم ولا تزيد هذه المرتبة إلا بزوال حجاب الاثنينية فإذاً يكون العين حقاً ولا مرتبة للحق إلا الإدراك بأحدية جمعك، أي بحقيقتك المشتملة على المدركات الظاهرة والباطنة والجامعة بين روحانيتك وجسمانيتك أي يدركها بها إدراكاً يستوعب معرفة كل ما اشتملت عليه حقيقة المدرك من الأمور الظاهرة والباطنة وهو حال الكامل وصفة من صار قلبه مستوي الحق الذي قد وسعه كما أخبره لأنه حال جمع الجمع وزيادة هذه المرتبة أي حق اليقين عدم ورود الحجاب بعده

وعينه للأولياء وحقه للأنبياء. وأما حقيقة اليقين وهو باطن حق اليقين فهو لنبينا عليه السلام وهذه الدرجات والمراتب لا تحصل إلا بالمجاهدة مثل دوام الوضوء وقلة الأكل والذكر والسكوت بالفكر في ملكوت السموات والأرض وبأداء السنن والفرائض وترك ما سوى الحق والغرض وتقليل المنام والعرض وأكل الحلال وصدق المقال والمراقبة بقلبه إلى الله تعالى فهذه مفاتيح المعاينة والمشاهدة انتهى. وقال ابن عطاء رحمه الله: إن هذا القرآن لحق ثابت في صدور الموقنين وأهل اليقين وهو الحق من عند الحق فلذلك تحقق في قلوب المحققين واليقين ما استقر في قلوب أوليائه، وقد قال سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً.

حال خلد وجحيم دانستم بيقين انچنانكه مى بايد
كر حجاب ازميانه بركيرند آن يقين ذره نيفزا يد

يعني اكر احوال آخرت منكشف شود وجمله را معاينه كنم يك ذره در يقين من زياده نشود كه علم اليقين من امروز چوعين اليقين منست در فردا. وقال عليه السلام: «اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً ليس بعده كفر» وهو اليقين الحاصل بالعيان وظهور الحقيقة ولذا نقول: أهل علم اليقين ذو خطر لا يحصل منه الإرشاد بخلاف أهل عين اليقين فإنه قطب إرشاد وبخلاف أهل حق اليقين فإنه قطب الأقطاب فالتجليات ثلاثة: تجلي علمي وتجلي عيني وتجلي حقي فالأول كعلم الكعبة علماً ضرورياً من غير رؤية والثاني مثل رؤيتها من بعيد والثالث كدخولها قال قتادة: إن الله ليس تاركاً أحداً من الناس حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن أما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه. قال المولى الجامي:

سيراب كن زبحر يقين جان تشنه را زين بيش خشك لب منشين برسراب ريب

﴿فسبح﴾ يا محمد ﴿باسم ربك العظيم﴾ الفاء لترتيب التسبيح أو الأمر به على ما قبلها فإن حقية ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الأمور التي من جملتها الإشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق وقال أبو عثمان قدس سره: فسبح شكراً لما وقفنا أمتك إليه من التمسك بسنتك، وفي «فتح الرحمن»: هذه عبارة تقتضي الأمر بالإعراض عن أقوال الكفار وسائر أمور الدنيا المختصة بها وبالإقبال على أمور الآخرة وعبادة الله والدعاء إليه.

ـ روي ـ أنه لما نزل: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ قال عليه السلام: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزل ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] قال: «اجعلوها في سجودكم» وكان عليه السلام يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم» وفي سجوده «سبحان ربي الأعلى» وسر اختصاص سبحان ربي العظيم بالركوع والأعلى بالسجود أن الأول إشارة إلى مرتبة الحيوان والثاني إشارة إلى مرتبة النبات والجماد فلا بد من الترقي في التنزيه والحق سبحانه فوق التحت كما أنه فوق الفوق ونسبة الجهات إليه على السواء لنزاهته عن التقيد بالجهات فلهذا شرع التسبيح في الهبوط واختلف الأئمة في التسبيح المذكور في الصلاة فقال أحمد: هو واجب تبطل الصلاة بتركه عمداً ويسجد لتركه سهواً، والواجب عنده مرة واحدة وأدنى الكمال ثلاث وقال أبو حنيفة والشافعي: هو سنة وقال مالك: يكره لزوم ذلك لئلا يعد واجباً فرضاً، والاسم

هنا بمعنى الجنس أي بأسماء ربك والعظيم صفة ربك. در خبرست كه عثمان بن عفان رضي الله عنه عيادت كرد عبدالله بن مسعود را رضي الله عنه در بيمارى مرك كفت يا عبد الله أين ساعت ازچه مى نالى كفت اشتكى ذنوبي يعني بر كناهان خود مى نالم عثمان كفت چه آرزوست ترا درين وقت كفت رحمة ربي يعني آرزوى من آنست كه الله تعالى برمن رحمت كند وبر ضعف وعجز من ببخشايد عثمان كفت أفلا ندعو الطبيب يعني طبيب را خوانيم تادرد ترا مداوات كند كفت الطبيب امرضني يعني طبيب مرا بروز بيمارى افكند كفت خواهى تاترا عطايى فرمايم كه ببعضي حاجتهاى خود صرف كنى كفت لا حاجة لي به يعني وقتي مرا باين حاجت نيست وهيچ درbايست نيست كفت دستورى هست تابدخترانت دهم ناچار ايشانرا حاجت بود كفت نه كه ايشانرا حاجت نيست واكر حاجت بود به ازين من ايشانرا عطايى داده ام كفته ام كه بوقت حاجت وضرورت سورة الواقعة برخوانيدكه من از رسول خدا شنيدم كه عليه السلام: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» قال سعدي المفتي: هو حديث صحيح وفي حديث آخر: «من داوم على قراءة سورة الواقعة لم يفتقر أبداً» قال ابن عطية: فيها ذكر القيامة وحظوظ الناس في الآخرة وفهم ذلك غنى لا فقر معه ومن فهمه يشتغل بالاستعداد قال الغزالي رحمه الله في «منهاج العابدين» قراءة هذه السورة عند الشدة في أمر الرزق والخصاصة شيء وردت به الأخبار المأثورة عن النبي عليه السلام وعن الصحابة رضي الله عنهم حتى ابن مسعود رضي الله عنه حين عوتب في أمر ولده إذ لم يترك لهم الدنيا قال: لقد خلفت لهم سورة الواقعة فإن قلت: إرادة متاع الدنيا بعمل الآخرة لا تصح قلت مراده أن يرزقهم الله تعالى قناعة أو قوتاً يكون لهم عدة على عبادة الله تعالى وقوة على درس العلم وهذه من جملة إرادة الخير دون الدنيا فلا رياء انتهى كلامه. وعن هلال بن يساف عن مسروق قال: من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين ونبأ أهل الجنة وأهل النار ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة فليقرأ سورة الواقعة.

تمت سورة الواقعة بعون الله تعالى في أوائل صفر الخير
من سنة خمس عشرة ومائة وألف

٥٧ ـ سورة الحديد

مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ۝٢﴾.

﴿سبح لله ما في السموات والأرض﴾ التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولاً وعملاً عما لا يليق بجنابه سبحانه، بدأ الله بالمصدر في الإسراء لأنه الأصل ثم بالماضي في الحديد والحشر والصف لأنه أسبق الزمانين ثم بالمستقبل في الجمعة والتغابن ثم بالأمر في الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها، ففيه تعليم عباده استمرار وجود التسبيح منهم في جميع الأزمنة والأوقات والحاصل أن كلاً من صيغتي الماضي والمضارع جردت عن الدلالة على مدلولها من الزمان المخصوص فأشعر باستمراره في الأزمنة لعدم ترجيح البعض على البعض فالمكونات من لدن إخراجها من العدم إلى الوجود مسبحة في كل الأوقات لا يختص تسبيحها بوقت دون وقت بل هي مسبحة أبداً في الماضي وتكون مسبحة أبداً في المستقبل وفي الحديث: «أفضل الكلام أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت» وسئل علي رضي الله عنه عن سبحان فقال: كلمة رضي الله لنفسه، وسبح متعد بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩] واللام إما مزيدة للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له في نصحته وشكرته أو للتعليل والفعل منزل منزلة اللازم أي فعل التسبيح وأوقعه وأحدثه لأجل الله تعالى وخالصاً لوجهه والمراد بما في السموات والأرض جميع المخلوقات من حي وجماد وجاء بما تغليباً للأكثر مع أن أكثر العلماء على أن ما يعم العقلاء وغيرهم والمراد بتسبيح الكل تسبيح عبادة ومقال كما قال بعض الكبار: قد أخذ الله بأبصار الإنس والجن عن إدراك حياة الجماد إلا من شاء الله والأشياء كلها إنما خلقت له سبحانه لتسبح بحمده وأما انتفاعنا بها إنما هو بحكم التبعية لا بالقصد الأول.

قال الحسن البصري رحمه الله: لولا ما يخفى عليكم من تسبيح من معكم في البيوت ما تقاررتم ثم، وقال بعضهم: لا يصدر عن الحي إلا حي ولو وجد من العالم موجود غير حي لكان غير مستند إلى حقيقة إلهية وذلك محال فالجماد ميت في نظر المحجوب حي في نفس الأمر لا ميت لأن حقيقة الموت مفارقة حي مدبر لحي مدبر والمدبر والمدبر حي والمفارقة نسبة عدمية لا وجودية فإن الشأن إنما هو عزل عن ولاية وانتقال من دار إلى دار وليس من شرط الحي أن يحس لأن الإحساس والحواس أمر معقول زائد على كونه حياً وإنما هما من شرط العلم وقد لا يحس وقد لا

يحس وتأمل صاحب الآكلة إذا أكل ما يغيب به إحساسه كيف يقطع عضوه ولا يحس به مع أنه حي ليس بميت وقال بعضهم: كل شيء في العالم يسبح الله بحمده الذي أطلعه الله على أنه حمد به نفسه ويختلف ذلك باختلافهم إلا الإنسان خاصة فإن بعضه يسبح بغير حمده ولا يقبل من الحق بعض ما أثنى به على نفسه فهو يؤمن ببعض وهو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ويكفر ببعض وهو تنزيه الله عما أضافه إلى نفسه ووصف نفسه به من التشبيه بالمحدثات فقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٧] أي بالثناء الذي أثنى به الحق على نفسه وأنزله على ألسنة رسله لا بما ولده العقل فإن الله تعالى قال في حق من سبح الحق بعقله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠] أعلا ما لنا أنه وراء كل ثناء وأهل الله تعالى لا بد لهم في سلوكهم من سماع تسبيح كل شيء بلسان طلق لا لسان حال كما يعتقده بعضهم ثم إن الله تعالى من رحمته يأخذ أسماعهم بعد تحققهم ذلك ويبقى معهم العلم لأنه لو أسمعهم ذلك على الدوام لطاشت عقولهم وفي الحديث: «إن كل شيء من الجماد والحيوان يسمع عذاب القبر إلا الثقلين» فثبت أن السموات والأرض بجميع أجزائهما وما فيهما من الملك والشمس والقمر والنجوم والإنس والجن والحيوان والنبات والجماد لها حياة وفهم وإدراك وتسبيح وحمد كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ١٧] واعلم أن الله تعالى هو المسبح اسم مفعول في مقام التفصيل والمسبح اسم فاعل في مقام الجمع فالتسبيح تنزيه الحق بحسب مقام الجمع والتفصيل من النقائص الإمكانية ومن الكمالات الإنسانية المختصة من حيث التقيد والتعين. ﴿وهو العزيز﴾ بقدرته وسلطانه لا يمانعه ولا ينازعه شيء. ﴿الحكيم﴾ بلطفه وتدبيره لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة وفيه إشعار بعلية الحكم فإن العزة وهي الغلبة على كل شيء تدل على كمال القدرة والحكمة تدل على كمال العلم والعقل يحكم بأن الموصوف بهما يكون منزهاً عن كل نقص كالعجز والجهل ونحوهما ولذا كان الأمن كفراً لأن فيه نسبة العجز إلى الله تعالى وكذا اليأس لأن فيه نسبة البخل إلى الله الجواد.

﴿له ملك السموات والأرض﴾ أي التصرف الكلي ونفوذ الأمر فيهما وما فيهما من الموجودات من حيث الإيجاد والإعدام وسائر التصرفات مما نعلم وما لا نعلم.

يقول الفقير: فإن قلت: كيف أضاف الملك إلى ما هو متناه وكمال ملكه تعالى غير متناه؟ قلت: إن للسموات والأرض ظاهراً وهو ما كان حاضراً ومرئياً من عالم الملك وهو متناه لأنه من قبيل الأجسام والصور وباطناً وهو ما كان غائباً غير محسوس من أسرارهما وحقائقهما وهو غير متناه لأنه من عالم الملكوت والمعاني فإضافة الملك إلى الله تعالى إضافة مطلقة يندرج تحتها الملك والملكوت وهما غير متناهيين في الحقيقة ألا ترى أن القرآن لا تنقضي عجائبه فهو بحر لا ساحل له من حيث أسراره ومن حيث إن المتكلم به هو الذي لا نهاية له وإن كان أي القرآن متناهياً في الظاهر والحس فالمراد بالملك هو الملك الحقيقي لأن ملك البشر مجاز كما سيتضح بياناً في هذه السورة. ﴿يحيي ويميت﴾ استئناف مبين لبعض أحكام الملك أي يحيي الموتى والنطف والبيض ويميت الأحياء ومعنى الإحياء والإماتة جعل الشيء حياً وجعله ميتاً وقد يستعاران للهداية والإضلال في نحو قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وهو يحيي القلوب بتجلي اسم المحيي ويميت النفوس بتجلي اسم المميت أو

يحيي النفوس بموت القلوب ويميت القلوب بحياة النفوس على طريق المغالبة، وقال ابن عطاء رحمه الله: هو مالك الكل وله الملك أجمع يميت من يشاء بالاشتغال بالملك ويحيي من يشاء بالإقبال على الملك. ﴿وهو على كل شيء﴾ من الأشياء التي من جملتها ما ذكر من الإحياء والإماتة على مقتضى الحكمة والإرادة ﴿قدير﴾ تام القدرة فإن الصيغة للمبالغة.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾

﴿هو الأول﴾ السابق على سائر الموجودات بالذات والصفات لما أنه مبدئها ومبدعها فالمراد بالسبق والأولية هو الذاتي لا الزماني فإن الزمان من جملة الحوادث أيضاً. ﴿والآخر﴾ الباقي بعد فنائها حقيقة أو نظراً إلى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فإن جميع الموجودات الممكنة إذا قطع النظر عن علتها فهي فانية.

أول أو أول بـــي ابـــتـــداء ... آخـــر أو آخـــر بـــي انـــتـــهـــا
بـود ونـبـود اين چـه بـلـنـدسـت وپـسـت ... بـاشـد وايـن نـيـز نـبـاشـد كـه هـسـت

﴿والظاهر﴾ وجود الكثرة دلائله الواضحة. ﴿والباطن﴾ حقيقة فلا يحوم العقل حول إدراك كنهه وليس يعرف الله إلا الله وتلك الباطنية سواء في الدنيا والآخرة فاضمحل ما في «الكشاف» من أن فيه حجة على من جوز إدراكه في الآخرة بالحاسة وذلك فإن كونه باطناً بكنه حقيقته لا ينافي كونه مرئياً في الآخرة من حيث صفاته. ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي فإن عليم صيغة مبالغة تدل على أنه تعالى تام العلم بكل شيء جليه وخفيه وفي هذا المقام معان أخر هو الأول الذي تبتدأ منه الأسباب والآخر الذي تنتهي إليه المسببات، أي إذا نظرت إلى سلسلة الموجودات المتكونة بعضها من بعض وجدت الله مبدأ تلك السلسلة ومنتهاها تبتدىء منه سلسلة الأسباب وتنتهي إليه سلسلة المسببات ولذا قالوا: لا تعتمد على الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا شرك في توحيد الأفعال وجهل بحقائق الأمور ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح لا يتحرك بنفسه بل له محرك إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا يتحرك هو في نفسه أيضاً بل هو منزه عن ذلك وعما يضاهيه والظاهر أي الغالب على كل شيء والباطن أي العالم بباطن كل شيء على أن يكون الظاهر من ظهر عليه إذا علاه وغلب والباطن من بطنه إذا علم باطنه ولم يرتضه الزمخشري لفوات المطابقة بين الظاهر والباطن حينئذ.

ـ وروي ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فسألته خادماً فقال لها عليه السلام: «ألا أدلك على ما هو خير لك من ذلك أن تقولي: اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والإنجيل والفرقان فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر» عنى بالظاهر الغالب والباطن العالم ببواطن الأشياء يعني: أنه الغالب الذي يغلب كل شيء ولا يغلب عليه فيتصرف في المكونات على سبيل الغلبة

والاستيلاء إذ ليس فوقه أحد يمنعه والعالم ببواطن الأشياء فهو الملجأ والمنجي يلتجىء إليه كل ملتجىء لا ملجأ ولا منجى دونه أي غيره وقال الإمام: احتج كثير من العلماء في إثبات أن الإله واحد بقوله: ﴿هو الأول﴾ قالوا: الأول هو الفرد السابق ولهذا لو قال أحد: أول مملوك اشتريته فهو حر ثم اشترى عبدين لم يعتقا لأن شرط كونه أولاً حصول الفردية وهنا لم تحصل فلو اشترى بعد ذلك عبداً واحداً لم يعتق لأن شرط الأولية كونه سابقاً وهاهنا لم يحصل فثبت أن الشرط في كونه أولاً أن يكون فرداً فكانت الآية دالة على أن صانع العالم واحد فرد وأيضاً هو الأول خارجاً لأنه موجد الكل والآخر ذهناً كما يدل عليه براهين إثبات الصانع أو بحسب ترتيب سلوك العارفين فإذا نظرت إلى ترتيب السلوك ولاحظت منازل السالكين السائرين إليه تعالى فهو آخر ما يرتقي إليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهي مرقاة إلى معرفته والمنزل الأقصى هو معرفة الله فهو آخر بالإضافة إلى السلوك في درجات الارتقاء في باب المعارف وأول بالإضافة إلى الوجود الخارجي فمنه المبتدأ أولاً وإليه المرجع آخراً، وقال بعض الكمل: هو الأول باعتبار بدء السير نزولاً والآخر باعتبار ختم السير عروجاً والظاهر بحسب النظر إلى وجود الحق والباطن بحسب النظر إلى وجود الخلق وهذا ما قالوا إن ظاهر الحق باطن الخلق وباطن الخلق ظاهر الحق لأن الهوية برزخ بينهما لا يبغيان وبالنظر إلى الحق هوية إلهية وبالنظر إلى الخلق هوية كونية وهذه مرتبة قاب قوسين وفوقها مرتبة أو أدنى وتكلم يوماً عند الشبلي رحمه الله في الصفات فقال: اسكتوا فإن ثمة متاهات لا يخرقها الأوهام ولا تحويها الأفهام وكيف يمكن الكلام في صفات من تجتمع فيه الأضداد من قوله: ﴿**هو الأول والآخر والظاهر والباطن**﴾ خاطبنا على قدر أفهامنا وقال الراغب: الأول هو الذي يترتب عليه غيره ويستعمل على أوجه أولها: المتقدم بالزمان كقولك: عبد الملك أولاً ثم منصور والثاني: المتقدم بالرياسة في الشيء وكون غيره محتذياً به نحو الأمير أولاً ثم الوزير والثالث: المتقدم بالوضع والنسبة كقولك للخارج من العراق: القادسية أولاً ثم فيد وهي قرية في البادية على طريق الحاج وللخارج من مكة فيد أولاً ثم القادسية والرابع: المتقدم بالنظام الصناعي نحو أن يقال: الأساس أولاً ثم البناء وإذا قيل في صفة الله هو الأول فمعناه: الذي لم يسبقه في الوجود شيء وإلى هذا يرجع قول من قال: هو الذي لا يحتاج إلى غيره ومن قال: هو المستغني بنفسه والظاهر والباطن في صفة الله لا يقال: مزدوجين كالأول والآخر فالظاهر قيل: إشارة إلى معرفتنا البديهية فإن الفطرة تقضي في كل ما نظر إليه الإنسان أنه تعالى موجود كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] ولذلك قال بعض الحكماء: مثل طالب معرفته مثل من طوف الآفاق في طلب ما هو معه والباطن إشارة إلى معرفته الحقيقية وهي التي أشار إليها أبو بكر الصديق رضي الله عنه بقوله: يا من غاية معرفته القصور عن معرفته وقيل: ظاهر بآياته باطن بذاته وقيل: ظاهر بأنه محيط بالأشياء مدرك لها باطن في أن يحاط به كما قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وهو يدرك الأبصار وقد روي عن أمير المؤمنين ما دل على تفسير اللفظين حيث قال: تجلى لعباده من غير أن يروه وأراهم نفسه من غير أن تجلى لهم ومعرفة ذلك تحتاج إلى فهم ثاقب وعقل واقد كما في «المفردات» وأيضاً هو الأول في عين آخريته والآخر في عين أوليته والظاهر في عين باطنيته والباطن في عين ظاهريته من حيثية واحدة وباعتبار واحد في آن واحد لاقتضاء ذاته المطلقة عن هذه الاعتبارات المختلفة

والحيثيات المتنافرة المتباينة لإحاطته بالكل واستغنائه عن الكل قيل للعارف الرباني أبي سعيد الخراز قدس سره: بم عرفت الله؟ قال: بجمعه بين الأضداد فتلا: **﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾** ولا يتصور الجمع بين الأضداد إلا من حيثية واحدة واعتبار واحد في آن واحد وهو بكل شيء من الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية عليم إذ علمه عين ذاته وذاته محيط بالأشياء كما قال: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤] كما في «التأويلات النجمية» وقال الواسطي رحمه الله: لم يدع للخلق نفساً بعدما أخبر عن نفسه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وقال أيضاً: من كان حظه من اسمه الأول كان شغله بما سبق ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مربوطاً بما يستقبل ومن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في السر من أنواره وقال أيضاً: حظوظ الأنبياء عليهم السلام مع تباينها من أربعة أسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها فمن جمعها كلها فهو أوسطهم ومن فني عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام وهي قوله **﴿هو الأول﴾** الخ وقال أيضاً: من ألبسه الأولية فالتجلي له في الآخرية محال لأنه لا يتجلى إلا لمن فقده أو كان بعيداً عنه فقربه وقال الجنيد قدس سره: نفي القدم عن كل أول بأوليته ونفي البقاء عن كل آخر بآخريته واضطر الخلق إلى الإقرار بربوبيته بظاهريته وحجب الأفهام عن إدراك كنهه وكيفيته بباطنيته. وقال السدي: هو الأول ببره إذ عرفك بتوحيده والآخر بجوده إذ عرفك التوبة عن ما جنيت والظاهر بتوفيقه إذ وفقك للسجود له والباطن بستره إذا عصيته يستر عليك. وقال ابن عمر رضي الله عنه: هو الأول بالخلق والآخر بالرزق والظاهر بالإحياء والباطن بالإماتة وأيضاً الأول بلا تأويل أحد والآخر بلا تأخير أحد والظاهر بلا إظهار أحد والباطن بلا إبطال أحد والأول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحليم والباطن العليم والأول يكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبوا فيها والآخر يكشف أحوال العقبى حتى لا يشكوا فيها والظاهر على قلوب أوليائه حتى يعرفوه والباطن على قلوب أعدائه حتى ينكروه والأول بالأزلية والآخر بالأبدية والظاهر بالأحدية والباطن بالصمدية والأول بالهيبة والآخر بالرحمة والظاهر بالحجة والباطن بالنعمة والأول بالعطاء والآخر بالجزاء والظاهر بالثناء والباطن بالوفاء والأول بالهداية والآخر بالكفاية والظاهر بالولاية والباطن بالرعاية. صاحب «كشف الأسرار» فرموده كه زبان رحمت ازروى اشارت ميكويد اى فرزند آدم خلق درحق توچهار كروه اند اول كروهى كه در اول حال ترابكار آيند چون پدر ومادر دوم جمعى كه در آخر زندكانى دست كيرند چون اولاد وأحفاد سوم زمره كه آشكارا باتو باشند چون دوستان وياران. چهارم فرفه كه پنهان باتو معاش كنند چون زنان وكنيزان. رب العالمين ميفرمايد كه اعتماد برينها مكن وكار ساز خود ايشانرا مپنداركه اول منم كه ترا از عدم بوجود آوردم آخر منم كه باز كشت توبمن خواهد بود ظاهر منم كه صورت توبخوبتر وجهي بيار استم باطن منم كه اسرار وحقايق درسينه تووديعت نهادم:

اول وآخر تويى كيست حدوث وقدم ظاهر وباطن تويى چيست وجود وعدم
اول بى انتقال آخر بي ارتحال ظاهر بي چند وچون باطن بى كيف وكم

ويقال: هو الأول خالق الأولين والآخر خالق الآخرين والظاهر خالق الآدميين وهم ظاهرون والباطن خالق الجن والشياطين وهم لا يظهرون وقال الترمذي: هو الأول بالتأليف والآخر بالتكليف والظاهر بالتصريف والباطن بالتعريف والأول بالإنعام والآخر بالإتمام والظاهر

بالإكرام والباطن بالإلهام وقال بعض المحققين من أهل الأصول: هذا مبالغة في نفي التشبيه لأن كل من كان أولاً لا يكون آخراً وكل من كان ظاهراً لا يكون باطناً فأخبر أنه الأول الآخر الظاهر الباطن ليعلم أنه لا يشبه شيئاً من المخلوقات والمصنوعات وقال بعض المكاشفين: هو الأول إذ كان هو ولم تكن صور العالم كما قال عليه السلام: «كان الله ولا شيء معه» فهو متقدم عليها وهذا التقدم هو المراد بالأولية وهو الآخر إذ كان عين صور العالم عند ظهورها ولها التأخر فهو باعتبار ظهوره بها له الآخرية فالآخر عين الظاهر والباطن عين الأول هذا باعتبار التنزل من الحق إلى الخلق وأما باعتبار الترقي من الخلق إلى الحق فالآخر عين الباطن والظاهر عين الأول وقال الإمام الغزالي رحمه الله: لا تعجبن من هذا في صفات الله فإن المعنى الذي به الإنسان إنسان ظاهر باطن فإنه ظاهر إن استدل عليه بأفعاله المرئية المحكمة باطن إن طلب من إدراك الحس فإن الحس إنما يتعلق بظاهر بشريته وليس الإنسان إنساناً ببشريته المرئية منه بل لو تبدلت تلك البشرية بل سائر أجزائه فهو هو والأجزاء متبدلة ولعل أجزاء كل إنسان بعد كبره غير الأجزاء التي كانت فيه عند صغره، فإنها تحللت بطول الزمان وتبدلت بأمثالها بطريق الاغتذاء وهويته لم تتبدل فتلك الهوية باطنة عن الحواس ظاهرة للعقل بطريق الاستدلال عليها بآثارها وأفعالها.

وقال الزروقي: الأول الآخر هو الذي لا مفتتح لوجوده لا مختتم له بثبوت قدمه واستحالة عدمه وكل شيء منه بدأ وإليه يعود وإنما عطف بالواو لتباعد ما بين موقعي معناهما ومن عرف أنه الأول غاب عن كل شيء به ومن عرف أنه الآخر رجع بكل شيء إليه. وخاصية الأول جمع الشمل فإذا واظب عليه المسافر في كل يوم جمعة انجمع شمله. وخاصية الآخر صفاء الباطن عما سواه تعالى فإذا واظب عليه إنسان في كل يوم مائة مرة خرج من قلبه سوى الحق والظاهر الباطن هو الواضح الربوبية بالدلائل المحتجب عن الكيفية والأوهام فهو الظاهر من جهة التعريف الباطن من جهة التكييف ومجراهما في العطف مجرى الاسمين السابقين ومن عرف أنه الظاهر لم يستدل بشيء عليه ورجع بكل شيء إليه ومن عرف أنه الباطن استدل بكل شيء عليه ورجع به إليه وخاصية الظاهر إظهار نور الولاية على قلب قارئه إذا قرأه عند الإشراق وخاصية الباطن وجود النفس لمن قرأه في اليوم ثلاث مرات في كل ساعة زمانية ومن قال بعد صلاة ركعتين خمساً وأربعين مرة **﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾** حصل له ما طلبه أياً كان وقال بعض الكبار: حقيقة الأول هو الذي افتتح وجوده عن عدم وهذا منتف في حق الحق بلا شك فهو الأول لا بأولية تحكم عليه ولأجل ذلك سمى نفسه الآخر ولو كانت أوليته مثل أولية الموجودات لم يصح أن يكون آخراً إذ الآخر عبارة عن انتهاء الموجودات المقيدة فهو الآخر لا بآخرية تحكم عليه إذ آخريته عبارة عن فناء الموجودات كلها ذاتاً وصفة وفعلاً في ذاته وصفاته وأفعاله تعالى بظهور القيامة وأما غير الحق فله أولية تحكم عليه مثل قوله عليه السلام: «أول ما خلق الله العقل» أي أول ما افتتح به من العدم إلى الوجود العقل الذي هو نور محمد ﷺ وله آخرية تحكم عليه مثل قوله عليه السلام: «نحن الآخرون الأولون» وفي رواية «السابقون» يعني الآخرون في الظهور من حيث النشأة العنصرية الجسمانية الأولون في العلم الإلهي من حيث الظهور في النشأة الروحانية ومن صلى في أول الوقت من حيث أولية الحق المنزهة عن أن يتقدمها أولية الشيء فهو المصلي الصلاة لأول وقتها فتنسب

عبادة هذا المصلي من هناك إلى وقت وجود هذا المصلي فمن بادر لأول هذا الوقت فقد حاز الخير بكلتي يديه وهو مشهد نفيس أشاروا فيه بتلك الأولية إلى معنى اصطلحوا عليه لا إلى ما يتبادر لذهن غيرهم كما في كتاب «الجواهر» للشعراني رحمه الله.

يقول الفقير: عمل الشافعي رحمه الله بقوله عليه السلام: «أول الوقت رضوان الله» فصلى الفجر في أول وقته وعمل أبو حنيفة رضي الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ۝٤٠﴾ [ق: ٤٠] وفي الأولية الآخرية وبالعكس ولكل وجهة بحسب الفناء والبقاء وقد أشير إلي في بعض الأسحار أن الكعبة وضعت عند الفجرة، أي: عند انفجار الصبح الصادق على ما بينت وجهه في كتاب «الواردات الحقية» نسأل الله النور.

﴿هو الذي خلق السموات والأرض﴾ بقدرته الكاملة وحكمته البالغة **﴿في ستة أيام﴾** من أيام الآخرة أو من أيام الدنيا قال ابن عطية: هو الأصوب أولها الأحد وآخرها الجمعة. تاملائكه مشاهده كنند حدوث انهارا چيزى پس ازچيزى وسنت تدريج وتأنى درهركار حاصل آيد. وكذا وقع الاختلاف في الأربعين التي خمر الله فيها طينة آدم هل هي بأيام الدنيا أو بأيام الآخرة وفيه إشارة إلى مراتب الصفات الست وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر أي هو الذي تجلى للأشياء كلها بذاته الموصوفة بالصفات الست إذ تجلي الوجود لا يكون إلا مع لوازمه ولواحقه كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] والتسبيح يستلزم الحياة وما يترتب عليها من العلم بالتسبيح وبالمسبح ومن القدرة على التسبيح والإرادة بتخصيص المسبح ومن السمع إذ كل مسبح لا بد له من استماع تسبيحه ومن البصر إذ لا بد لكل مسبح أن يشاهد المسبح في بعض مراتب الشهود كما في «التأويلات النجمية». **﴿ثم استوى﴾** أي استولى **﴿على العرش﴾** المحيط بجميع الأجسام برحمانيته لأن استوى متى عدي بعلى اقتضى معنى الاستيلاء وإذا عدي بإلى اقتضى معنى الانتهاء إليه إما بالذات أو بالتدبير قال بعض الكبار: هو محمول على التمثيل وقد سبق بيانه مراراً. قال الكاشفي: پس قصد كرد بتدبير عرش واجراء امور متعلقه بد وبر وفق ارادت.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني استتم وتمكن تجليه على عرش استعدادات المظاهر السماوية الروحانية والمظاهر الأرضية الجسمانية ما تجلى لعرش استعداد شيء إلا بحسب قابليته وقبوله لا زائد ولا ناقص كما قال العارف:

يكى مومى ازين كم نبايد همى وكر بيش باشد نشايد همى

﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ كالكنوز والدفائن والموتى والبذور وكالغيث ينفد في موضع وينبع في الآخر ولولوج الدخول في مضيق وفي المناسبات الدخول في الساتر لجملة الداخل **﴿وما يخرج منها﴾** كالجواهر من الذهب والفضة والنحاس وغيرها والزروع والحيوانات والماء وكالكنوز والموتى يوم القيامة. وفي «التأويلات النجمية» يعني يعلم بعلمه المحيط ما يدخل في أرض البشرية من بذور النباتات النفسانية مثل مخالفات الشرع وموافقات الطبع وزروع الأحوال القلبية من مخالفات الطبع وموافقات الشرع والواردات القلبية والإلهامات الغيبية وزروع الأذواق والوجدانيات من التجليات الرحمانية التنزلات الربانية لترتب الأعمال على النيات كما قال عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات». وقال أيضاً: «لكل امرىء ما نوى» إذ النية بمرتبة البذر والعمل بمرتبة الزرع والقلب والنفس والروح بمنزلة الأرض المستعدة لكل نوع من البذر وقال بعضهم:

يعلم ما يلج في أرض قلب المؤمن من الإخلاص والتوحيد وفي أرض قلب الكافر من الشك والشرك وما يخرج منها بحسب حالهما. ﴿وما ينزل من السماء﴾ كالكتب والملائكة والأقضية والصواعق والأمطار والثلوج ﴿وما يعرج فيها﴾ كالملائكة الذين يكتبون الأعمال والدعوات والأعمال والأرواح السعيدة والأبخرة والأدخنة وقال بعضهم: وما ينزل من السماء على قلوب أوليائه من الألطاف والكشوف وفنون الأحوال العزيزة وما يعرج من أنفاس الأولياء المشتاقين إذا تصاعدت حسراتهم وعلت زفراتهم. ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ في الأرض وهو تمثيل لإحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا وفي الحديث: «أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان»:

يار باتست هركجا هستى   جاى ديكر چه خواهى اي اوباش
باتودر زيرك كليم چواوست   پس بر واى حريف خود راباش

قال موسى عليه السلام: أين أجدك يا رب؟ قال: يا موسى إذا قصدت إلي فقد وصلت إلي. في «التأويلات النجمية»: وهو معكم لا بالمعية المفهومة للعوام والخواص أيضاً:

أين معيت مى نكنجد در بيان   نى زمان دارد خبر زونى مكان

بل بالمعية المذوقة بالذوق الكشفي الشهودي أي: أنا معكم بحسب مراتب شهوداتكم إن كنتم في مشهد الفعلي فأنا معكم بالتجلي الذاتي ما أتقدم ولا أتأخر عنكم وقال بعض الكبار: تلك المعية ليست هي مثل ما يتصور بالعقل حساً أو ذهناً أو خيالاً أو وهماً تعالى شأنه عن ذلك علواً كبيراً وإنما هي معية تفرد الحق سبحانه بعينها وتحققها وعلمها لا يعلم سرها إلا الله ومن أطلعه عليه من الكمل ويحرم كشفها ترحماً على العقول القاصرة عن درك الأسرار الخفية كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: أبهموا ما أبهم الله وبينوا ما بين الله. يعني إذا اقتضى المقام الإبهام كما إذا طلب بيان المبهم على ما هو عليه في نفسه وعقل الطالب قاصر عن دركه فلا جرم أنه حرام لما فيه من هلاكه وأما إذا طلب بيان المبهم لا على ما هو عليه في نفسه بل على وجه يدركه عقله بضرب تأويل يستحسنه الشرع ففيه رخصة شرعية اعتبرها المتأخرون دفعاً لانقلاب قلب الطالب وترسيخاً على عقيدته حتى تندفع عن صدره الوساوس والهواجس والمراد على هذا إما معية حفظه أو معية أمره أو غير ذلك مما لا اضطراب فيه لا شرعاً ولا عقلاً ولا خارجاً والأين المذكور في الآية متناول لجميع الأينات الأزلية والأبدية من المعنوية والروحانية والمثالية والحسية والدنيوية والبرزخية والنشرية والحشرية والنيرانية والجنانية والغيبية والشادية مطلقاً كلية كانت أو جزئية وهذه الأينية كالمعية من المبهمات والمتشابهات وما يعلم تأويلها إلا الله وما يتذكر سرها إلا أولو الألباب قال بعضهم: في هذه الآية بشارة للعاشقين حيث هو معهم أينما كانوا وتوفيق للمتوكلين وسكينة للعارفين وبهجة للمحبين ويقين للمراقبين ورعاية للمقبلين وإشارة إلى سر الوحدة للموحدين قال الحسين رحمه الله: ما قارب الحق الأكوان ولا فارقها كيف يفارقها وهو موجدها وحافظها وكيف يقارب القدم الحدوث به قوام الكل وهو بائن عن الكل انتهى. ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم عليه ثواباً وعقاباً وهو عبارة عن إحاطته بأعمالهم فتأخيره عن الخلق لما أن المراد ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من أن الخلق دليل على العلم فبالخلق يستدل على العلم والدليل يتقدم على المدلول وفي الآية إيقاظ للغافلين وتنشيط للمتيقظين ودلالة لهم على الخشية والحياء من رب

العالمين وإشارة لهم إلى أن أعمالهم محفوظة وأنهم مجزيون بها إن خيراً فخير وإن شراً فشر قال بعض الكبار: ﴿**والله بما تعملون بصير**﴾ لأنه العامل بكم وفيكم ولا بد لكل عامل أن يبصر عمله وما يتعلق به.

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾.

﴿**له ملك السموات والأرض**﴾ تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى: ﴿**وإلى الله ترجع الأمور**﴾ على البناء للمفعول من رجع رجعاً أي رد رداً وقرىء على البناء للفاعل من رجع رجوعاً والمعنى إليه تعالى وحده لا إلى غيره استقلالاً واشتراكاً ترد جميع الأمور فاستعدوا للقائه باختيار أرشد الأمور وأحسنها عند الله. پس تكرير كلام جهت آنست كه اول تعلق بابداء دارد وثاني باعاده. ولذا قرن بالأول يحيي ويميت وبالثاني ما يكون في الآخرة من رد الخلق إليه وجزائه إياهم بالثواب والعقاب وفيه إشارة إلى أنه له ملك علوم السموات الروحانية وهي العلوم الكشفية اللدنية الموهوبة بالاسم الوهاب من غير تحصيل الأسباب لعباده المخلصين بإفاضته عليهم وله أيضاً ملك العلوم الرسمية الكسبية الأرضية بالسعي والاجتهاد للعلماء بإفاضة توفيق الكسب والاجتهاد فأمور العلوم الكشفية والكسبية ترجع إلى عناية الله الأزلية والأبدية.

﴿**يولج الليل في النهار**﴾ الإيلاج الإدخال يعني از زمان شب درروز افزايد. حتى يصير النهار أطول ما يكون خمس عشرة ساعة والليل أقصر ما يكون تسع ساعات ﴿**ويولج النهار في الليل**﴾ يعني از زمان روز بشب زياده كند باختلاف الفصول وبحسب مطالع الشمس ومغاربها حتى يصير الليل أطول ما يكون خمس عشرة ساعة والنهار أقصر ما يكون تسع ساعات والليل والنهار أبداً أربع وعشرون ساعة، قال في «فتح الرحمن»: فيه تنبيه على العبرة فيما يجاذبه الليل والنهار من الطول والقصر وذلك متشعب مختلف حسب اختلاف الأقطار والأزمان الأربعة وذلك بحر من بحار الكفرة لمن تأمله. ﴿**وهو عليم**﴾ أي: مبالغ في العلم ﴿**بذات الصدور**﴾ أي: بمكنوناتها اللازمة لها من الأسرار والمعتقدات وذلك أغمض ما يكون وهو بيان لإحاطة علمه تعالى بما يضمرونه في نياتهم بعد بيان إحاطته بأعمالهم التي يظهرونها وفي الآية إشارة إلى أنه يستهلك ظلمة ليل البشرية والطبيعة في نور نهار الروح بطريق تغليب نور نهار الروح وهو تعالى عالم بكل ما يصدر من أصحاب ليل النفوس من السيئات ومن أرباب نهار الأرواح من الحسنات لا يفوته منهما شيء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: اسم الله الأعظم في أول سورة الحديد في ست آيات من أولها فإذا علقت على المقاتل في الصف لم ينفذ إليه حديد كما في «فتح الرحمن».

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾

﴿**آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**﴾ روي أن الآية نزلت في غزوة ذي العشيرة وهي غزوة تبوك وفي «عين المعاني»: يحتمل الزكاة والنفقة في سبيل الله والمعنى

جعلكم الله خلفاء في التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة عبر عما بأيديهم من الأموال والأرزاق بذلك تحقيقاً للحق وترغيباً لهم في الإنفاق فإن من علم أنها لله وأنه بمنزلة الوكيل والنائب بحيث يصرفها إلى ما عينه الله من المصارف هان عليه الإنفاق أو جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بأيديهم بتوريثه إياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم وسينتقل منكم إلى من بعدكم فلا تبخلوا به قال الشاعر:

ويكفيك قول الناس فيما ملكته لقد كان هذا مرة لفلان

فلا بد من إنفاق الأموال التي هي للغير وستعود إلى الغير فكما أن الإنفاق من مال الغير يهون على النفس إذا أذن فيه صاحبه فكذا من المال الذي على شرف الزوال.

مكن تكيه بر ملك وجاه وحشم كه پيش ازتو بودست وبعد ازتوهم
خوروپوش وبخشاى وراحت رسان نكه مى چه دارى زبهر كسان
بخيل توانكر بدينار وسيم طلسم است بالاى كنجى مقيم
از ان سالهامى بماند زرش كه لرزد طلسم چنين بر سرش
بسنك اجل ناكها بشكنند بآسودكى كنج قسمت كنند

﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا﴾ حسبما أمروا به. وقال الكاشفي: ونفقه كردندمال خودرا بزكاة وجهاد وسائر خيرات. ﴿لهم﴾ بسبب ذلك ﴿أجر كبير﴾ مزدى بزرك وثوابي عظيم كه جنت ونعيم است. قال في «فتح الرحمن»: الإشارة فيه إلى عثمان رضي الله عنه وحكمها باق يندب إلى هذه الأفعال بقية الدهر.

وفي «التأويلات النجمية»: يخاطب كل واحد من المشايخ والعلماء ويأمرهم بالإيمان بالله وبرسوله إيماناً كلياً جامعاً شرائط الإيمان الحقيقي الشهودي العياني ويوصيهم بإفاضة علوم الوهب على مستحقيها وتعليم علوم الدراسة المستعد بها إذ العلماء في العلوم الكسبية والمشايخ في المعرفة والحكمة الوهبية خلفاء فيهما فعليهم أن ينفقوا على الطالبين المستحقين الذين ينفق الله ورسوله عليهم كما قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى: «أَنفِقْ أُنفِقْ عليك» وقال عليه السلام «لا توك فيوكى عليك» وفي الحديث: «من كتم علماً يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» ويشمل هذا الوعيد حبس الكتب عمن يطلبها للانتفاع بها لا سيما مع عدم التعدد لنسخها الذي هو أعظم أسباب المنع وكون المالك لا يهدي لراجيه منها والابتلاء بهذا كثير كما في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي رحمه الله فالذين آمنوا من روح القلب والإيمان الشهودي وأنفقوا من تلك العلوم الوهبية والكسبية على النفس وصفاتها بالإرشاد إلى موافقات الشرع ومخالفات الطبع وفي التسليك في طريق السير والسلوك بالاتصاف بصفات الروحانية والانسلاخ عن صفات البشرية النفسانية لهم أجر كبير كما قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

﴿وما لكم لا تؤمنون بالله﴾ لا تؤمنون حال من الضمير في لكم لما فيه من معنى الفعل أي: أي شيء ثبت لكم وحصل حال كونكم غير مؤمنين وحقيقته: ما سبب عدم إيمانكم بالله على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب فقط مع تحقق المسبب. ﴿والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم﴾ حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه أي: وأي عذر في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه بالحجج والآيات فإن الدعوة المجردة لا تفيد فلو لم يجب الداعي دعوة مجردة وترك ما

دعاه إليه لم يستحق الملامة والتوبيخ فلام لتؤمنوا بمعنى إلى ولا يبعد حملها على التعليلية أي يدعوكم إلى الإيمان لأجل أن تؤمنوا. ﴿وقد أخذ ميثاقكم﴾ حال من مفعول يدعوكم والميثاق عقد يؤكد بيمين وعهد والموثق الاسم منه أي وقد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان من قبل دعوة الرسول إياكم إليه وذلك بنصب الأدلة والتمكين من النظر وحمله بعض العلماء على المأخوذ يوم الذر أي حين أخرجهم من صلب آدم في صورة الذر وهي النمل الصغير. ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ لموجب ما فإن هذا موجب لا موجب وراءه، وفي «عين المعاني»: أي إن كنتم مصدقين بالميثاق وفي «فتح الرحمن»: أي إن دمتم على ما بدأتم به.

﴿هو الذي ينزل﴾ بواسطة جبرائيل عليه السلام ﴿على عبده﴾ المطلق محمد عليه السلام ﴿آيات بينات﴾ واضحات من الأمر والنهي والحلال والحرام. ﴿ليخرجكم﴾ الله يا قوم محمد أو العبد بسبب تلك الآيات ﴿من الظلمات إلى النور﴾ من ظلمات الكفر والشرك والشك والجهل والمخالفة والحجاب إلى نور الإيمان والتوحيد واليقين والعلم والموافقة والتجلي. ﴿وإن الله بكم لرؤوف رحيم﴾ حيث يهديكم إلى سعادة الدارين بإرسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية. وقال الكاشفي: مهر بانست كه قرآن ميفرستد بخشاينده است كه رسول را بدعوت ميفر مايد. وقال بعضهم: لرؤوف بإفاضة نور الوحي رحيم بإزالة ظلمة النفس البشرية.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وما لكم أن لا تنفقوا في سبيل الله﴾ أي: وأي شيء لكم من أن تنفقوا فيما هو قربة إلى الله ما هو له في الحقيقة وإنما أنتم خلفاؤه في صرفه إلى ما عينه من المصارف فقوله: في سبيل الله مستعار لما يكون قربة إليه وقال بعضهم: معناه لأجل الله. ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ حال من فاعل لا تنفقوا أو مفعوله المحذوف، أي وما لكم في ترك إنفاقها في سبيل الله والحال أنه لا يبقى لكم منها شيء بل تبقى كلها لله بعد فناء الخلق وإذا كان كذلك فإنفاقها بحيث تستخلف عوضاً يبقى وهو الثواب كان أولى من الإمساك لأنها إذا تخرج من أيديكم مجاناً بلا عوض وفائدة. قال الراغب: وصف الله نفسه بأنه الوارث من حيث إن الأشياء كلها صائرة إليه وقال أبو الليث: إنما ذكر لفظ الميراث لأن العرب تعرف أن ما ترك الإنسان يكون ميراثاً فخاطبهم بما يعرفون فيما بينهم قال بعض الكبار: أولاً إن القلوب مجبولة على حب المال ما فرضت الزكاة، ومن هنا قال بعضهم: إن العارف لا زكاة عليه والحق إن عليه الزكاة كما أن عليه الصلاة والطهارة من الجنابة ونحوهما لأنه يعلم أن نفسه مجموع العالم ففيها من يحب المال فيوفيه حقه من ذلك الوجه بإخراجها فهو زاهد من وجه وراغب من وجه آخر وقد أخرج رسول الله عليه السلام صدقة ماله فالكامل من جمع بين الوجهين إذ الوجوب حقيقة في المال لا على المكلف لأنه إنما كلف بإخراج الزكاة من المال لكون المال لا يخرج بنفسه فللعارفين المحبة في جميع العالم كله وإن تفاضلت وجوهها، فيحبون جميع ما في العالم بحب الله تعالى في إيجاد ذلك لا من جهة عين ذلك الموجود فلا بد للعارف أن يكون فيه جزء

يطلب مناسبة العالم ولولا ذلك الجزء ما كانت محبة ولا محبوب ولا تصور وجودها وفي كلام عيسى عليه السلام: قلب كل إنسان حيث ماله فاجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء فحث أصحابه على الصدقة لما علم أن الصدقة تقع بيد الرحمن وهو يقول: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] فانظر ما أعجب كلام النبوة وما أدقه وأحلاه وكذلك لما علم السامري أن حب المال ملصق بالقلوب صاغ لهم العجل من حليهم بمرأى منهم لعلمه أن قلوبهم تابعة لأموالهم ولذلك لما سارعوا إلى عبادة العجل دعاهم إليها فعلم أن العارف من حيث سره الرباني مستخلف فيما بيده من المال كالوصي على مال المحجور عليه يخرج عنه الزكاة وليس له فيه شيء ولكن لما كان المؤمن لحجابه يخرجها بحكم الملك فرضت عليه الزكاة لينال بركات ثواب من رزىء في محبوبه والعارف لا يخرج شيئاً بحكم الملك والمحبة كالمؤمن إنما يخرج امتثالاً للأمر ولا تؤثر محبة المال في محبة الله تعالى لأنه ما أحب المال إلا بتحبيب الله ومن هنا قال سليمان عليه السلام: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٣٥﴾ [ص: ٣٥] فما طلب إلا من نسبة فاقة فقير إلى غني.

ثم اعلم أن المال إنما سمي مالاً لميل النفوس إليه فإن الله تعالى قد أشهد النفوس ما في المال من قضاء الحاجات المجبول عليها الإنسان؛ إذ هو فقير بالذات ولذلك مال إلى المال بالطبع الذي لا ينفك عنه ولو كان الزهد في المال حقيقة لم يكن مالاً ولكان الزهد في الآخرة أتم مقاماً من الزهد في الدنيا وليس الأمر كذلك، فإن الله تعالى قد وعد بتضعيف الجزاء الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فلو كان القليل منه حجاباً لكان الكثير منه أعظم حجاباً فالدنيا للعارف صفة سليمانية كمالية وما أليق قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨، ص: ٣٥] أتراه عليه السلام سأل ما يحجبه عن الله تعالى أو سأل ما يبعده من الله تعالى كلا ثم انظر إلى تتميم النعمة عليه بدار التكليف بقوله تعالى له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩﴾ [ص: ٣٩] فرفع عنه الحرج في التصرف بالاسم المانع والمعطي واختصه بجنة معجلة في الدنيا وما حجبه ذلك المال عن ربه فانظر إلى درجة العارف كيف جمع بين الجنتين وتحقق بالحقيقتين وأخرج زكاة المال الذي بيده عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] فجعله مالكاً للإنفاق من حقيقة إلهية فيه في مال هو ملك لحقيقة أخرى فيه هو وليها من حيث الحقيقة الإلهية. ﴿**لا يستوي منكم**﴾ يا معشر المؤمنين.

ـ روي ـ أن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنفقوا نفقات كثيرة حتى قال ناس: هؤلاء أعظم أجراً من كل من أنفق قديماً فنزلت الآية مبينة أن النفقة قبل فتح مكة أعظم أجراً ﴿**من أنفق من قبل الفتح**﴾ أي فتح مكة الذي أزال الهجرة وقال عليه السلام فيه: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» وهذا قول الجمهور وقال الشعبي: هو صلح الحديبية فإنه فتح كما سبق في سورة الفتح. ﴿**وقاتل**﴾ العدو تحت لواء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والاستواء يقتضي شيئين فقسيم من أنفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه أي لا يستوي في الفضل من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعده وقاتل والظاهر أن من أنفق فاعل لا يستوي وقيل: من مبتدأ ولا يستوي خبره ومنكم حال من ضمير لا يستوي لا من ضمير أنفق لضعف تقديم ما في الصلة على الموصول أو الصفة على الموصوف ولضعف تقديم الخبر على منكم لأن حقه أن يقع بعده ثم في أنفق إشارة إلى إنفاق المال وما يقدر عليه من القوى وفي قاتل

إشارة إلى إنفاق النفس فإن الجهاد سعي في بذل الوجود ليحصل بالفناء كمال الشهود ولذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤] فهذه الحياة حياة أخروية باقية عندية فكيف تساويها الحياة الدنيوية الفانية الخلقية مع أن رزق الحياة الفانية ينفد وما عند الله باق ولذا قال: أكلها دائم وظلها أي راحتها فالإنسان العاقل بترك الراحة الدنيوية اليسيرة لله تعالى يصل إلى الراحة الكثيرة الأخروية فشأنه يقتضي الجهاد والقتال. **﴿أولئك﴾** المنفقون المقاتلون قبل الفتح وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. **﴿أعظم درجة﴾** وأرفع منزلة عند الله وبعظم الدرجة يكون عظم صاحبها فالدرجة بمعنى المرتبة والطبقة وجمعها درجات وإذا كانت بمعنى المرقاة فجمعها درج. **﴿من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾** لأنهم إنما فعلوا من الإنفاق والقتال قبل عزة الإسلام وقوة أهله عند كمال الحاجة إلى النصرة بالنفس والمال وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه أفواجاً وقلة الحاجة إلى الإنفاق والقتال وقد صرح عليه السلام أيضاً بفضل الأولين بقوله: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» قال في «القاموس»: المد بالضم مكيال وهو رطلان أو رطل وثلث أو ملء كفي الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومد يده بهما وبه سمي مداً وقد جربت ذلك فوجدته صحيحاً والنصيف والنصف واحد وهو أحد شقي الشيء والضمير في نصيفه راجع إلى أحدهم لا إلى المد والمعنى أن أحدكم أيها الصحابة الحاضرون لا يدرك بإنفاق مثل جبل أحد ذهباً من الفضيلة ما أدرك أحدهم بإنفاق مد من الطعام أو نصيف له. وفيه إشارة إلى أن صحبة السابقين الأولين كاملة بالنسبة إلى صحبة اللاحقين الآخرين لسبقهم وتقدمهم وفي الحديث: «سيأتي قوم بعدكم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم قالوا: يا رسول الله نحن أفضل أم هم؟ قال: لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك فضل أحدكم ولا نصفه فرقت هذه الآية بينكم وبين الناس **﴿لا يستوي منكم﴾** الآية» ذكره أبو الليث في «تفسيره»، وفيه إشارة إلى أن الصحابة متفاوتون في الدرجة بالنسبة إلى التقدم والتأخر وإحراز الفضائل فكذا الصحابة ومن بعدهم فالصحابة مطلقاً أفضل ممن جاء بعدهم مطلقاً فإنهم السابقون من كل وجه. **﴿وكلاً﴾** أي كل واحد من الفريقين وهو مفعول أول لقوله: **﴿وعد الله الحسنى﴾** أي: المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الأولين فقط ولكن الدرجات متفاوتة. **﴿والله بما تعملون خبير﴾** بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه قال في «المناسبات»: لما كان زكاء الأعمال إنما هو بالنيات وكان التفضيل مناط العلم قال مرغباً في حسن النيات مرهباً من التقصير فيها والله بما تعملون أي تجددون عمله على ممر الأوقات خبير أي عالم بباطنه وظاهره علماً لا مزيد عليه بوجه فهو يجعل جزاء الأعمال على قدر النيات التي هي أرواح صورها:

عبادت بإخلاص نيت نكوست وكرنه چه آيد زبى مغز پوست

وقال الكلبي: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفيها دلالة ظاهرة وحجة باهرة على تفضيل أبي بكر وتقديمه فإنه أول من أسلم وذلك فيما روي أن أبا أمامة قال لعمر بن عيينة: بأي شيء تدعي أنك ربع الإسلام؟ قال: إني كنت أرى الناس على الضلالة ولا أرى للأوثان شيئاً ثم سمعت عن رجل يخبر عن أخبار مكة فركبت راحلتي حتى قدمت عليه فقلت: من أنت؟ قال: أنا نبي قلت: وما نبي؟ قال: رسول الله قلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: أوحد الله لا أشرك به شيئاً وأكسر الأوثان وأصل الأرحام قلت: من معك على هذا؟

قال: حر وعبد وإذا معه أبو بكر وبلال فأسلمت عند ذلك فرأيتني ربع الإسلام يعني پس دانستم خودرا ربع اسلام. وإنه أي أبا بكر أول من أظهر الإسلام على ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان أول من أظهر الإسلام رسول الله عليه السلام وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد وإنه أول من قاتل على الإسلام وخاصم الكفار حتى ضرب ضرباً أشرف به على الهلاك على ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه، أول من أظهر الإسلام بسيفه النبي عليه السلام وأبو بكر رضي الله عنه وأنه أول من أنفق على رسول الله وفي سبيل الله قال ابن عمر رضي الله عنهما: كنت عند النبي عليه السلام وعنده أبو بكر وعليه عباءة فدكية قد خللها في صدره بخلال، يعني: بروى كليمى بودكه استوار كرده ويرا در سينه خود بخلال.

قال في «القاموس»: خل الكساء شده بخلال وذو الخلال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأنه تصدق بجميع ماله وخل كساءه بخلال انتهى فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال: ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فقال: أنفق ماله علي قبل الفتح قال: فإن الله تعالى يقول: اقرأ عليه السلام وقل له: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر: أسخط على ربي إني عن ربي راض إني عن ربي راض ولهذا قدمه الصحابة رضي الله عنهم على أنفسهم وأقروا له بالتقدم والسبق وذلك فيما روى عبد الله بن سلمة عن علي رضي الله عنه قال: سبق رسول الله عليه السلام وثنى أبو بكر وثلث عمر يعني سابقست رسول الله ودر پى وى ابو بكر است وسوم عمر است. فلا أؤتى برجل فضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفتري واطرح شهادته يعني طرح شهادت وى كنم ودر صفت وى كفته اند:

صاحب قدم مقام تجريد ... سر دفتر جمله اهل توحيد

در جمع مقربان سابق ... حقا كه چواو نبود صادق

وفي الآية إشارة إلى أن من تقدمت مجاهدته على مشاهدته وهو المريد المراد والسالك المجذوب والمحب المحبوب أعلى وأجل وأسبق درجة ومرتبة من درجات المشاهدة ومراتبها ممن تقدمت مشاهدته على مجاهدته وحين يقعد أرباب المشاهدة في مقعد صدق عند مليك مقتدر لمشاهدة وجهه ورؤية جماله في جنة وصاله يفوقه ويسبقه ويتقدمه وهو المراد المريد والمجذوب السالك والمحبوب المحب فإن المجاهدة قدمت على المشاهدة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فيصير سلوك الأول واقعاً على وفق العادة الإلهية والسنة الربانية وسلوك الثاني على خارقها والمعتبر في الترتيب الإلهي تقدماً وتأخراً باعتبار الأكمل إنما هو وفق العادة والسنة الإلهية وهما وإن كانا متحدين باعتبار أصل حسن المشاهدة لكنهما متفاوتان باعتبار قدرها ودرجتها فإنهم الصافون وما منا إلا له مقام معلوم كذا في كتاب «اللائحات البرقيات» لحضرة شيخي وسندي روح الله روحه.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾

﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ من مبتدأ خبره ذا والذي صفة ذا أو بدله

والإقراض حقيقة إعطاء العين على وجه يطلب بدله وقرضاً حسناً مفعول مطلق له بمعنى إقراضاً حسناً وهو الإخلاص في الإنفاق أي الإعطاء لله وتحري أكرم المال وأفضل الجهات. والمعنى من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله رجاء أن يعوضه فإنه كمن يقرضه، وقال في «كشف الأسرار»: كل من قدم عملاً صالحاً يستحق به مثوبة فقد أقرض ومنه قولهم: الأيادي قروض وكذلك كل من قدم عملاً سيئاً يستوجب به عقوبة فقد أقرض فلذلك قال تعالى: ﴿قرضاً حسناً﴾ لأن المعصية قرض سيىء قال أمية:

لا تخلطن خبيثات بطيبة واخلع ثيابك منها وانج عريانا
كل امرىء سوف يجزى قرضه حسناً او سيئاً ومدين مثل ما دانا

وقيل: المراد بالقرض الصدقة انتهى وهاهنا وجه آخر وهو أن القرض في الأصل القطع من قرض الثوب بالمقراض إذا قطعه به ثم سمي به ما يقطعه الرجل من أمواله فيعطيه عيناً بشرط رد بدله فعلى هذا يكون قرضاً حسناً مفعولاً به والمعنى من ذا الذي يقرض الله مالاً حسناً أي حلالاً طيباً فإنه تعالى لا يقبل إلا الحلال الطيب. ﴿فيضاعفه له﴾ بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قيل: أيقرض الله أحد فيضاعفه له أي فيعطيه أجره أضعافاً من فضله وإنما قلنا: باعتبار المعنى لأن الفاء إنما تنصب فعلاً مردوداً على فعل مستفهم عنه كما قاله أبو علي الفارسي وهاهنا السؤال لم يقع عن القرض بل عن فاعله. ﴿وله أجر كريم﴾ أي وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم حسن مرضي في نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون وإن لم يضاعف فكيف وقد ضوعف أضعافاً كثيرة.

ـ وروي ـ أنه لما نزلت هذه الآية جعل أبو الدحداح يتصدق بنصف كل شيء يملكه في سبيل الله حتى أنه خلع إحدى نعليه ثم جاء إلى أم الدحداح فقال: إني بايعت ربي فقالت: ربح بيعك فقال النبي عليه السلام: «كم من نخلة مدلاة عذوقها في الجنة لأبي الدحداح» قال بعضهم: سأل الله منهم القرض ولو كانوا على نعت المروءة لخرجوا من وجودهم قبل سؤاله فضلاً عن المال فإن العبد وما يملكه لمولاه فإذا بذلوا الوجود المجازي وجدوا من الله بدله الوجود الحقيقي وله أجر كريم بحسب الاجتهاد في السير إلى الله والتوجه إلى عتبة بابه الكريم:

هركسى از همت والاي خويش سود برد درخور كالاى خويش

وفي الآية إشارة إلى القرض الشرعي لمن يستقرض كما دل عليه قوله تعالى: «عبدي استطعمتك فلم تطعمني» فإعطاء القرض للعبد إعطاء الله تعالى والقرض أفضل من الصدقة لأنه ربما سأل سائل وعنده ما يكفيه وأما المستقرض فلا يستقرض إلا من حاجة وقال بعضهم: هذا القرض هو أن يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وهو أفضل الأذكار. وعن الحسن: هو التطوعات وفي المرفوع: «النافلة هدية المؤمن إلى ربه فليحسن أحدكم هديته وليطيبها» والحاصل أن الكريم يرد القرض بأحسن ما يكون من الرد ويحسن أيضاً في مقابلة الهدية.

﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات﴾ منصوب بإضمار اذكر تفخيماً لذلك اليوم أي اذكر وقت رؤيتهم يوم القيامة على الصراط. ﴿يسعى نورهم﴾ حال من مفعول ترى أي نور إيمانهم وطاعتهم والسعي المشي السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الأمر خيراً كان أو شراً وأكثر ما يستعمل في الأفعال المحمودة. ﴿بين أيديهم وبأيمانهم﴾ جمع يمين بمعنى الجارحة

والمراد جهة اليمين وبين ظرف للسعي قال أبو الليث: يكون النور بين أيديهم وبأيمانهم وعن شمائلهم إلا أن ذكر الشمال مضمر، وقال في «فتح الرحمن»: وخص بين الأيدي بالذكر لأنه موضع حاجة الإنسان إلى النور وخص ذكر جهة اليمين تشريفاً وناب ذلك مناب أن يقول: وفي جميع جهاتهم وفي «كشف الأسرار»: لأن طريق الجنة يمنة وتجاههم وطريق أهل النار يسرة ذات شمال وفي الحديث: «بينما أنا على حوضي أنادي هلم إذا أناس أخذتهم ذات الشمال فاختلجوا دوني فأنادي ألا هلم فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً».

يقول الفقير: ذكر بين الأيدي إشارة إلى المقربين الذين هم وجه بلا قفا ظاهراً وباطناً فلهم نور مطلق يضيء من جميع الجهات وذكر الإيمان إشارة إلى أصحاب اليمين الذين هم وجه من وجه وقفا من وجه آخر فنورهم نور مقيد بأيمانهم وأما أصحاب الشمال فلا نور لهم أصلاً لأنهم الكفرة الفجرة فلذا طوى ذكر الشمال من البين از ابن مسعود منقولست كه نورهركسى بقدر عمل وى بود نور يكى از صنعا باشد تابعدن وادنى نورى آن بود كه صاحبش قدم خود را بيند بارى هيچ مؤمن بى نور نباشد. وقال: منهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نوراً يؤتى نوره على إبهام قدميهٔ فيطفأ مرة ويتقد أخرى فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسعى نورهم جنيباً لهم ومتقدماً ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي أعطى نوره على إبهام قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه ويقف مرة ويمشي أخرى وتصيب جوارحه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص وكما أن لهم يوم القيامة نوراً يسعى بين أيديهم وبأيمانهم فاليوم لهم في قلوبهم نور يهتدون به في جميع الأحوال ويبدو أيضاً في بشرتهم فمن ظهر له ذلك النور انقاد له وخضع وكان من المقربين ومن لم يظهر له ذلك تكبر عليه ولم يستسلم وكان من المنكرين وحين تعلق نظر عبد الله بن سلام إلى وجه النبي عليه السلام آمن به وقال: ما هو بوجه كذا وكذاب أضرابه بخلاف أبي جهل وأحزابه قال بعض الكبار: نور الإيمان كناية عن تمكن اجتهادهم وسعيهم إلى الله بالسير والسلوك وذلك لأن قوة الإنسان في يمينه وبها يعرف اليمين من الشمال. **﴿بشراكم اليوم جنات﴾** أي تقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم: بشراكم، أي ما تبشرون به اليوم جنات أو بشراكم دخول جنات فحذف المضاف وأقيم مقامه المضاف إليه في الإعراب. **﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك﴾** أي ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة. **﴿هو الفوز العظيم﴾** الذي لا غاية وراءه لكونهم ظفروا بكل ما أرادوا. قال الكاشفي: رستكارىء بزركست چه از همه اهوال قيامت ايمن شده بدار الجلال ميرسند وديدار ملك متعال مى بينند «مصراع» هزار جان مقدس فداى ديدارت.

﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات﴾ بدل من يوم ترى **﴿للذين آمنوا﴾** أي أخلصوا الإيمان بكل ما يجب الإيمان به **﴿انظرونا﴾** أي: انتظرونا يقولون ذلك لما أن المؤمنين يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا إلينا فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذي بين أيديهم فانظرونا على هذا الوجه من باب الحذف والإيصال لأن النظر بمعنى الإبصار لا يتعدى بنفسه وإنما يتعدى بإلى وقرأ حمزة أنظرونا من النظرة وهي الإمهال على أن تأنيهم في المضي ليلحقوا بهم إنظار لهم وإمهال.

﴿نقتبس من نوركم﴾ أي: نستضيء منه ونمش فيه معكم وأصله اتخاذ القبس وهو محركة شعلة نار تقتبس من معظم النار كالمقباس قال الراغب: القبس المتناول من الشعلة والاقتباس طلب ذلك ثم يستعار لطلب العلم والهداية. قال بعضهم: النار والنور من أصل واحد وهو الضوء المنتشر يعين على الإبصار وكثيراً ما يتلازمان لكن النار متاع للمقوين في الدنيا والنور متاع لهم في الدنيا والآخرة ولأجل ذلك استعمل في النور الاقتباس وقيل: نقتبس من نوركم أي نأخذ من نوركم قبساً سراجاً وشعلة وقيل: إن الله يعطي المؤمنين نوراً على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين أيضاً نوراً خديعة لهم وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] فبينما هم يمشون إذ بعث الله ريحاً وظلمة فأطفأ نور المنافقين فذلك قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨] مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب المنافقون وقال الكلبي: بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾. ﴿قيل﴾ طرداً لهم وتهكماً بهم من جهة المؤمنين أو من جهة الملائكة. ﴿ارجعوا وراءكم﴾ أي: إلى الموقف ﴿فالتمسوا نوراً﴾ أي: فاطلبوا نوراً فإنه من ثمة يقتبس أو إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الإيمان والأعمال الصالحة:

كالا انيجاكن كه تشويشست در محشر بسى   آب ازيجابركه در عقبى بسى شور وشرست

وروي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال: «بينا العباد يوم القيامة عند الصراط إذ غشيهم ظلمة يقسم الله النور بين عباده فيعطي الله المؤمن نوراً ويبقى المنافق والكافر لا يعطيان نوراً فكما لا يستضيء الأعمى بنور البصير لا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن فيقولون: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ فيقولون لهم: ارجعوا حيث قسم النور فيرجعون فلا يجدون شيئاً فيرجعون وقد ضرب بينهم بسور أو ارجعوا خائبين خاسئين وتنحوا عنا فالتمسوا نوراً آخر وقد علموا أن لا نور وراءهم وإنما قالوه تخييباً لهم أو أرادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكماً بهم» وقال بعض أهل الإشارة: كأن استعداداتهم الفطرية الفائتة عنهم تقول بلسان الحال: ارجعوا إلى استعداداتكم الفطرية التي أفسدتم بحب الدنيا ولذاتها وشهواتها واقتبسوا منها نوراً إذا ما تصلون إلى مطلوباتكم إلا بحسب استعداداتكم وهي فائتة عنكم باشتغالكم بالأمور الدنيوية وإعراضكم عن الأحكام الأخروية والتوجهات المعنوية ﴿فضرب بينهم﴾ أي بين الفريقين وهم المؤمنون والمنافقون يعني ملائكة بحكم الهي بزنند. ولما كان البناء مما يحتاج إلى ضرب باليد ونحوها من الآلات عبر عنه بالضرب ومثله ضرب الخيمة لضرب أوتادها بالمطرقة. ﴿بسور﴾ أي: حائط بين شق الجنة وشق النار فإن سور المدينة حائطها المشتمل عليها والباء زائدة وبالفارسية ديوارى نزديك چون باره شهرى. قال بعضهم: هو سور بين أهل الجنة والنار يقف عليه أصحاب الأعراف يشرفون على أهل الجنة وأهل النار وهو السور الذي يذبح عليه الموت يراه الفريقان معاً. ﴿له﴾ أي: لذلك السور ﴿باب﴾ يدخل فيه المؤمنون فيكون السور بينهم باعتبار ثاني الحال أعني بعد الدخول لا حين الضرب. ﴿باطنه﴾ أي باطن السور أو الباب ﴿فيه الرحمة﴾ لأنه يلي الجنة. ﴿وظاهره من قبله﴾ أي: من جهته وعنده ﴿العذاب﴾ لأنه يلي النار وقال بعضهم: هو سور بيت القدس الشرقي باطنه فيه المسجد الأقصى وظاهره من قبله العذاب وهو واد يقال له: وادي جهنم وكان كعب يقول في

الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس أنه الباب الذي قال الله ﴿فضرب بينهم بسور له﴾ باب الآية يعني إن هذا الموضع المعروف بوادي جهنم موضع السور. قال ابن عطية: وهذا القول في السور بعيد يعني بل المراد بالسور الأعراف.

يقول الفقير لا بعد فيه بالنسبة إلى من يعرف الإشارة وقد روي أن عبادة قام على سور بيت المقدس الشرقي فبكى فقال بعضهم: ما يبكيك يا أبا الوليد؟ فقال: هاهنا أخبرنا رسول الله عليه السلام أنه رأى جهنم، وفي الحديث: «بيت المقدس أرض المحشر والمنشر» فيجوز أن يكون الموضع المعروف بوادي جهنم موضع السور على أنه سور الأعراف بعينه لكن على كيفية لا يعرفها إلا الله لأنه تبدل الأرض غير الأرض يوم القيامة وقد صح أن مواضع العبادات تلتحق بأرض الجنة فلا بعد في أن يكون المسجد الأقصى من الجنة وخارجه من النار وبينهما السور.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

﴿ينادونهم﴾ كأنه قيل: فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب؟ فقيل: ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور. وقال الكاشفي: منافقون چون باز پس نكرند ونورى نه بينند باز متوجه مؤمنان شوند ديوارى بينند ميان حود وايشان حاجز شده اذان در بنكرند مؤمنا نرا مشاهده نمايندكه خرامان متوجه رياض شدند بخوانند ايشانرا بزارى كويند اى مؤمنان. ﴿ألم نكن﴾ في الدنيا ﴿معكم﴾ يريدون به موافقتهم لهم في الأمور الظاهرة كالصلاة والصوم أو المناكحة والموارثة ونحوها. ﴿قالوا بلى﴾ كنتم معنا بحسب الظاهر ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ محنتموها بالنفاق وأهلكتموها. إضافة الفتنة إلى النفس إضافة الميل والشهوة وإلى الشيطان في قوله: لا يفتننكم الشيطان إضافة الوسوسة وإلى الله تعالى في قوله قال: فإنا قد فتنا قومك إضافة الخلق لأنه خلق الضلال فيه في ليفتنن. ﴿وتربصتم﴾ بالمؤمنين الدوائر والتربص الانتظار وقال مقاتل: وتربصتم بمحمد عليه السلام الموت وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه وهو وصف قبيح لأن انتظار موت وسائل الخير ووسائط الحق من عظيم الجرم والقباحة إذ شأنهم أن يرجى طول حياتهم ليستفاد منهم ويغتنم بمجالستهم. ﴿وارتبتم﴾ وشككتم في أمر الدين أو في النبوة أو في هذا اليوم. ﴿وغرتكم الأماني﴾ الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس أمر الإسلام جمع أمنية كأضحية بالفارسية آرزو. وفي «عين المعاني»: وغرتكم خدع الشيطان وقال أبو الليث: أباطيل الدنيا. ﴿حتى جاء أمر الله﴾ أي: الموت ﴿وغركم بالله﴾ الكريم ﴿الغرور﴾ أي: غركم الشيطان بأنه عفو كريم لا يعذبكم قال قتادة: ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار قال الزجاج: الغرور على ميزان فعول وهو من أسماء المبالغة يقال: فلان أكول كثير الأكل وكذا الشيطان الغرور لأنه يغر ابن آدم كثيراً قال في «المفردات»: الغرور كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وقد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين بالدنيا لما قيل: الدنيا تغر وتضر وتمر.

﴿فاليوم لا يؤخذ منكم﴾ أيها المنافقون ﴿فدية﴾ أي فداء تدفعون به العذاب عن أنفسكم يعني چيزى كه فداى خود كنيدتا از عذاب برهيد. والفداء حفظ الإنسان من النائبة بما يبذله عنه

من مال أو نفس أي لا يؤخذ منكم دية ولا نفس أخرى مكان أنفسكم ﴿ولا من الذين كفروا﴾ أي ظاهراً وباطناً وفيه دلالة على أن الناس ثلاثة أقسام: مؤمن ظاهراً وباطناً وهو المخلص ومؤمن ظاهراً لا باطناً وهو المنافق وكافر ظاهراً وباطناً ﴿مأواكم﴾ مرجعكم ﴿النار﴾ لا ترجعون إلى غيرها أبداً. ﴿هي﴾ أي: النار ﴿مولاكم﴾ تتصرف فيكم تصرف المولى في عبيده لما أسلفتم من المعاصي أو أولى بكم فالمولى مشتق من الأولى بحذف الزوائد وحقيقته مكانكم الذي يقال فيه: هو أولى بكم كما يقال: هو مئنة الكرم أي مكان لقول القائل: إنه كريم فهو مفعل من أولى كما أن مئنة مفعلة من أن التي للتأكيد والتحقيق غير مشتقة من لفظها لأن الحروف لا يشتق منها بل ربما تتضمن الكلمة حروفها دلالة على أن معناها فيها أو ناصركم على طريقة قوله: (تحية بينهم ضرب وجيع) فإن مقصوده نفي التحية فيما بينهم قطعاً لأن الضرب الوجيع ليس بتحية فيلزم أن لا تحية بينهم البتة فكذا إذا قيل لأهل النار: هي ناصركم يراد به أن لا ناصر لكم البتة أو متوليكم، أي المتصرف فيكم تتولاكم كما توليتم في الدنيا موجباتها ﴿وبئس المصير﴾ أي: المرجع النار.

وفي «التأويلات النجمية»: أي نار القطيعة والهجران مولاكم ومتسلطة عليكم وبئس الرجوع إلى تلك النار وعن الشبلي قدس سره أنه رأى غصناً طرياً قد قطع عن أصله فبكى فقال أصحابه: ما يبكيك؟ فقال: هذا الفرع قد قطع عن أصله وهو طري بعد ولا يدري أن مآله إلى الذبول واليبس. شبلي ديده زنى راكه ميكريد وميكويد يا ويلاه من فراق ولدى شبلي كريست وكفت يا ويلاه من فراق الأخدان زن كفت چرا چنين ميكويى شبلى كفت توكريه ميكنى بر مخلوقى كه هراينه فانى خواهد شد من چرا كريه نكنم برفراق خالقى كه باقى باشد:

فرزند وريار چونكه بميرند عاقبت   أي دوست دل مبند بجز حي لا يموت

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ من أنى الأمر يأني أنياً وإناء وأناء إذا جاء أناه أي وقته وحان حينه وأدرك والخشوع ضراعة وذل أي ألم يجيء وقت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا إلى طاعته بالامتثال لأوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور قال بعضهم: الذكر إن كان غير القرآن يكون المعنى أن ترق وتلين قلوبهم إذا ذكر الله فإن ذكر الله سبب لخشوع القلوب أي سبب فالذكر مضاف إلى مفعوله واللام بمعنى الوقت وإن كان القرآن فهو مضاف إلى الفاعل واللام للعلة لمواعظ الله تعالى التي ذكرها في القرآن ولآياته التي تتلى فيه وبالفارسية آيا وقت نيايد مر آنانرا كه كرويده اند آنكه بترسد ونرم شود دلهاى ايشان براى ياد كردن خداى. ﴿وما نزل من الحق﴾ أي: القرآن وهو عطف على ذكر الله فإن كان هو المراد به أيضاً فالعطف لتغاير العنوانين فإنه ذكر وموعظة كأنه حق نازل من السماء وإلا فالعطف كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢] ومعنى الخشوع له: الانقياد التام لأوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الأحكام التي من جملتها ما سبق وما لحق من الإنفاق في سبيل الله. روي أن المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا

الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه من الخشوع فنزلت. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية أربع سنين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن. وعن الحسن رحمه الله: والله لقد استبطأهم وهم يقرؤون من القرآن أقل مما تقرؤون فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق. وقولي آنست كه مزاح ومضاحك درميان اصحاب بسيار شد آيت نازل. كشت كما قال الإمام الغزالي رحمه الله في «منهاج العابدين»، ثم الصحابة الذين هم خير قرن كان يبدو منهم شيء من المزاح فنزل قوله تعالى: ﴿ألم يأن﴾ إلخ وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديداً فنظر إليهم فقال: هكذا كنا قست القلوب قال السهروردي في «العوارف»: حتى قست القلوب أي تصلبت وأدمنت سماع القرآن وألفت أنواره فما استغربته حتى تتغير والواجد كالمستغرب ولهذا قال بعضهم: حالي قبل الصلاة كحالي في الصلاة إشارة منه إلى استمرار حال الشهود انتهى. فقوله: حتى قست القلوب ظاهره تقبيح للقلوب بالقسوة والتلوين وحقيقته تحسين لها بالشهود والتمكين، قال البقلي رحمه الله، في الآية: هذا في حق قوم من ضعفاء المريدين الذين في نفوسهم بقايا الميل إلى الحظوظ حتى يحتاجوا إلى الخشوع عند ذكر الله وأهل الصفوة احترقوا في الله بنيران محبة الله ولو كان هذا الخطاب للأكابر لقال: أن تخشع قلوبهم لله لأن الخشوع لله موضع فناء العارف في المعروف وإرادة الحق بنعت الشوق إليه فناؤهم في بقائه بنعت الوله والهيمان والخشوع للذكر موضع الرقة من القلب فإذا رق القلب خشع بنور ذكر الله لله كأنه تعالى دعاهم بلطفه إلى سماع ذكره بنعت الخشوع والخضوع والمتابعة لقوله والاستلذاذ بذكره حتى لا يبقى في قلوبهم لذة فوق لذة ذكره قال أبو الدرداء رضي الله عنه: أستعيذ بالله من خشوع النفاق قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع.

ور آوازه خواهى در اقليم فاش ... برون حله كن كو درون حشو باش
اكر بيخ اخلاص در يوم نيست ... ازين در كسى چون تو محروم نيست
زر اندود كانرا بآتش برند ... پديد آيد آنكه كه مس يا زرند

﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ عطف على تخشع والمراد النهي عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله: ﴿فطال عليهم الأمد﴾ أي: الأجل والزمان الذي بينهم وبين أنبيائهم أو الأعمار والآمال وغلبهم الجفاء والقسوة وزالت عنهم الروعة التي كانت تأتيهم من التوراة والإنجيل إذا تلوهما وسمعوهما. ﴿فقست قلوبهم﴾ فهي كالحجارة أو أشد قسوة والقسوة غلظ القلب وإنما تحصل من اتباع الشهوة فإن الشهوة والصفوة لا تجتمعان. ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ أي: خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية لفرط الجفاء والقسوة ففيه إشارة إلى أن عدم الخشوع في أول الأمر يفضي إلى الفسق في آخر الأمر. وكفته اند نتيجه سختى دل غفلت است ونشأه نرمى دل توجه بطاعت.

دلى كزنور معنى نيست روشن ... مخو انش دل كه آن سنكست وآهن
دلى كز كرد غفلت ژنك دارد ... ازان دل سنك وآهن ننك دارد

روي أن عيسى عليه السلام قال: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم فإن القلب

القاسي بعيد من الله ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد فإنما الناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

﴿**اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها**﴾ تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة بإحياء الأرض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة. وقال الكاشفي: بدانيد أي منكران بعث إن الله يحيي الأرض بعد موتها وبهمان منوال زنده خواهد ساخت امواترا ﴿**قد بينا لكم الآيات**﴾ التي من جملتها هذه الآيات. ﴿**لعلكم تعقلون**﴾ كي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين. سبب توبة فضيل بن عياض رحمه الله ميكويندكه سماع اين آيت يعني ألم يأن الخ بود دربدء كار مردانه راه زدند وبر ناشايسته قدم نهادند وقتى سوداى عشق صاحب جمال درسروى افتاد باوى ميعادى نهاد درميانه شب بسرآن وعده باز شد بديوار برمى شدكه كوينده كفت ﴿**ألم يأن للذين**﴾ الخ أين آيت تيروار درنشانه دل وى نشست دردى وسوزى ازدرون وى سر برزد كمين عنايت برو كشادند اسير كمند توفيق كشت از آنجا بازكشت وهمى كفت بلى والله قد آن بلى والله قد آن از آنجا بركشت ودر خرابه شد جماعتى كاروانيان آنجا بودند وبا يكديكر ميكفتند فضيل در راهست اكر برويم راه برمازند ورخت ببرد فضيل خودرا ملامت كرد كفت اى بد مرداكه منم اين چه شقاوتست كه روى بمن نهاده درميانه شب بقصد معصيت ازخانه بدر آمده وقومى مسلمانان ازبيم من درين كنج كريخته روى سوى آسمان كرد واز دلى صافى توبت نصوح كرد كفت اللهم انى تبت اليك وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام الهي ازبد سزاييء خود بدردم وازناكسيء خود بفغان دردمرا درمان سازاى درمان ساز همه درد مندان اى پاك صفت از عيب اي عالى صفت زآشوب اى بى نياز از خدمت من اى بى نقصان از خيانت من من بجاى رحمتم ببخشاى برمن اسير بند هواى خويشم بكشاى مرا ازين بند الله تعالى دعاء ويرا مستجاب كرد وبوى كرامتها كرد از آنجا بركشت وروى بخانه كعبه نهاد سالها آنجا مجاور شد واز جمله اوليا كشت:

كداى كوى تواز هشت خلد مستغنيست اسير عشق توازهر دون آزادست

وقال ابن المبارك رحمه الله: كنت يوماً في بستان وأنا شاب وكان معي أصحابي فأكلنا وشربنا وكنت مولعاً بضرب العود فأخذت العود في الليل لأضرب به فنطق العود وقال: ﴿**ألم يأن للذين**﴾ إلخ فضربته بالأرض وكسرته وتركت الأمور الشاغلة عن الله تعالى. وعن مالك بن دينار رحمه الله أنه سئل عن سبب توبته فقال: كنت شرطياً وكنت منهمكاً عن شرب الخمر ثم إني اشتريت جارية نفيسة ووقعت مني أحسن موقع فولدت لي بنتاً فشغفت بها فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حباً وألفتني وألفتها فكنت إذا وضعت المسكر جاءت إلي وجاذبتني إياه وأراقته على ثوبي فلما تم لها سنتان ماتت فأكمدني الحزن عليها فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة جمعة بت ثملاً من الخمر ولم أصل صلاة العشاء فرأيت كأن أهل القبور قد خرجوا وحشر الخلائق وأنا معهم فسمعت حساً من ورائي فالتفت فإذا أنا بتنين عظيم أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعاً نحوي فمررت بين يديه هارباً فزعاً مرعوباً فمررت في

طريق بشيخ نقي الثياب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له: أجرني وأغثني فقال: أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه ولكن مر وأسرع فلعل الله يسبب لك ما ينجيك منه فوليت هارباً على وجهي فصعدت على شرف من شرف القيامة فأشرفت على طبقات النيران فنظرت إلى أهلها فكدت أهوى فيها من فزع التنين وهو في طلبي فصاح بي صائح ارجع فلست من أهلها فاطمأننت إلى قوله ورجعت ورجع التنين في طلبي فأتيت الشيخ فقلت: يا شيخ سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل فبكى الشيخ وقال: أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل فإن فيه ودائع للمسلمين فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك فنظرت إلى جبل مستدير فيه كوى مخرقة وستور معلقة على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر مفصلان باليواقيت مكللان بالدر وعلى كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت إلى الجبل هربت إليه والتنين ورائي حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحواالمصاريع وأشرفوا فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه وإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت فأشرف علي أطفال بوجوه كالأقمار وقرب التنين مني فتحيرت في أمري فصاح بعض الأطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه فأشرفوا فوجاً بعد فوج فإذا بابنتي التي ماتت قد أشرفت علي معهم فلما رأتني بكت وقالت: أبي والله ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى مثلت بين يدي فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى فولى هارباً ثم أجلستني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي وقالت: يا أبت ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله**﴾ فبكيت وقلت: يا بنية وأنتم تعرفون القرآن؟ فقالت: يا أبت نحن أعرف به منكم قلت: فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني قالت: ذلك عملك السوء قويته فأراد أن يغرقك في نار جهنم قلت: فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي قالت: يا أبت ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء قلت: يا بنية وما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت: نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم فانتبهت فزعاً فلما أصبحت فارقت ما كنت عليه وتبت إلى الله تعالى وهذا سبب توبتي.

سر از جيب غفلت بر آرر كنون	كه فردا نماند بحجلت نكون
كنون بايد اى خفته بيدار بود	چو مرك اندر آردز خوابت چه سود
زهجران طفلى كه درخاك رفت	چه نالى كه پاك آمد وپاك رفت
توپاك آمدى بزحذر باش وپاك	كه ننكست ناپاك رفتن بخاك

﴿**إن المصدقين والمصدقات**﴾ أي: المتصدقين والمتصدقات ﴿**وأقرضوا الله قرضاً حسناً**﴾ عطف على الصلة من حيث المعنى أي إن الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا الله قرضاً حسناً وأقرضن والإقراض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة ففيه دلالة على أن المعتبر هو التصدق المقرون بالإخلاص فيندفع توهم التكرار لأن هذا تصدق مقيد وما قبله تصدق مطلق وفي الحديث: «يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار» وفيه إشارة إلى زيادة احتياجهن إلى التصدق.

ـ وروى ـ مسلم عن جابر رضي الله عنه أنه قال: «شهدت مع رسول الله عليه السلام صلاة العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ثم قام متوكئاً على بلال رضي الله عنه

فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى إلى النساء فوعظهن وذكرهن فقال: تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم قالت امرأة: لِمَ يا رسول الله؟ فقال: لأنكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير» أي المعاشر وهو الزوج فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقين في ثوب بلال حتى اجتمع فيه شيء كثير قسمه على فقراء المسلمين. ﴿يضاعف لهم﴾ على البناء للمفعول مسند إلى ما بعده من الجار والمجرور وقيل: إلى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف أي ثواب التصدق ﴿ولهم أجر كريم﴾ وهو الذي يقترن به رضى وإقبال:

بدنيا توانى كه عقبى خرى بخرجان من ورنه حسرت خورى

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

﴿والذين آمنوا بالله ورسله﴾ كافة وهو مبتدأ ﴿أولئك﴾ مبتدأ ثان ﴿هم﴾ مبتدأ ثالث خبره قوله ﴿الصديقون والشهداء﴾ وهو مع خبره خبر للأول أو هم ضمير الفصل وما بعده خبر لأولئك والجملة خبر للموصول، أي: أولئك ﴿عند ربهم﴾ بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو المرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله، قال في «فتح الرحمن»: الصديق نعت لمن كثر منه الصدق وهم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ألحقه الله بهم وإن تم به الأربعون لما عرف من صدق نيته وقيل: الشهداء على ثلاث درجات الدرجة الأولى الشهيد بين الصفين وهو أكبرهم درجة ثم كل من قضى بقارعة أو بلية وهي الدرجة الثانية مثل الغرق والحرق والهالك في الهدم والمطعون والمبطون والغريب والميتة بالوضع والميت يوم الجمعة وليلة الجمعة والميت على الطهارة والدرجة الثالثة ما نطقت به هذه الآية العامة للمؤمنين.

وقال بعضهم في معنى الآية: هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع أخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله بالوحدانية ولهم بالإيمان أو على الأمم يوم القيامة وقال بعض الكبار: يعني الذين آمنوا بالله إيماناً حقيقياً شهودياً عيانياً لا علمياً بيانياً وذلك بطريق الفناء في الله نفساً وقلباً وسراً وروحاً والبقاء به وآمنوا برسله بفناء صفات القلب والبقاء بصفات الروح أولئك هم المتحققون بصفة الصديقية البالغون أقصى مراتب الصدق والشهداء على نفوسهم بالصدق والوفاء بالعهد لترشح رشحات الصدق عنهم لا جرم لهم أجر الصديقين ونور الشهداء مختص بهم لا بمن آمن بالتقليد وصدق وشهد باللسان من غير العيان والعيان يترتب على الفناء وفرقوا بين الصادق والصديق بأن الصادق كالمخلص بالكسر من تخلص من شوائب الصفات النفسانية مطلقاً والصديق كالمخلص بالفتح من تخلص أيضاً عن شوائب الغيرية والثاني أوسع فلكاً وأكثر إحاطة فكل صديق ومخلص بالفتح صادق ومخلص بالكسر من غير عكس قال أبو علي الجرجاني قدس سره: قلوب الأبرار متعلقة بالكون مقبلين ومدبرين وقلوب الصديقين معلقة بالعرش مقبلين بالله لله. ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ مبتدأ وخبر والجملة خبر ثانٍ للموصول والضمير الأول على الوجه الأول للموصول والأخيران للصديقين والشهداء ولا بأس بالفك عند الأمن أي لهم مثل أجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف أداة التشبيه

تنبيهاً على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل: هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق الأول من الأجر والنور وبين تمام ما للأخيرين من الأصل بدون الإضعاف ليحصل التفاوت وأما على الوجه الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى: لهم الأجر والنور الموعودان لهم.

قال بعض الكبار: لا يكون الأجر إلا مكتسباً فإن أعطاك الحق تعالى ما هو خارج عن الكسب فهو نور وهبات ولا يقال له أجر ولهذا قال تعالى: ﴿**لهم أجرهم ونورهم**﴾ فإن أجرهم ما اكتسبوه ونورهم ما وهبه الحق لهم من ذلك حتى لا ينفرد الأجر من غير أن يختلط به الوهب لأن الأجر فيه شائبة الاستحقاق؛ إذ هو معاوضة عن عمل متقدم يضاف إلى العبد فما تم أجر إلا ويخالطه نور وذلك لتكون المنة الإلهية مصاحبة للعبد حيث كان فإن تسمية العبد أجيراً مشعر بأن له نسبة في الطاعات والأعمال الصادرة عنه فتكون الإجارة من تلك النسبة ولذلك طلب العبد العون على خدمة سيده فإن قلت: من أي جهة قبل العبد الأجرة والعبد واجب عليه الخدمة لسيده من غير أن يأخذ أجرة وإن جعلناه أجنبياً فمن أي جهة تعين الفرض عليه ابتداء قبل الأجرة والأجير لا يفترض عليه إلا حين يؤجر نفسه؟ قلت: الإنسان مع الحق تعالى على حالتين حالة عبودية وحالة إجارة فمن كونه عبداً فهو مكلف بالفرض كالصلاة والزكاة وجميع الفرائض ولا أجر له على ذلك جملة واحدة ومن كونه أجيراً له الأجرة بحكم الوعد الإلهي ولكن ذلك مخصوص بالأعمال المندوبة لا المفروضة فعلى تلك الأعمال التي ندب الحق إليها فرضت الأجور فإن تقرب العبد بها إلى سيده أعطاه إجارته وإن لم يتقرب لم يطلب بها ولا عوتب عليها ومن هنا كان العبد حكمه حكم الأجنبي في الإجارة للفرض الذي يقابله الجزاء إذ هو العهد الذي بين الله وبين عباده وأما النوافل فلها الأجور المنتجة للمحبة الإلهية كما قال: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» والحكمة في ذلك أن المتنفل عبد اختياري كالأجير فإذا اختار الإنسان أن يكون عبداً لله لا عبد هواه فقد آثر الله على هواه وهو في الفرائض عبد اضطرار لا عبد اختيار وبين عبودية الاضطرار وعبودية الاختيار ما بين الأجير والعبد المملوك إذ العبد الأصلي ما له على سيده استحقاقاً إلا ما لا بد منه من مأكل وملبس ثم يقوم بواجبات مقام سيده ولا يزال في دار سيده لا يبرح ليلاً ولا نهاراً إلا إذا وجهه في شغل آخر فهو في الدنيا مع الله وفي القيامة مع الله وفي الجنة مع الله لأنها جميعاً ملك لسيده فيتصرف فيها تصرف الملاك والأجير ما له سوى ما عين له من الأجرة منها نفقته وكسوته وما له دخول على حرم سيده ومؤجره ولا له اطلاع على أسراره ولا تصريف في ملكه إلا بقدر ما استؤجر عليه فإذا انقضت مدة إجارته وأخذ أجرته فارق مؤجره واشتغل بأهله وليس له من هذا الوجه حقية ولا نسبة تطلب ممن استأجره إلا أن يمن عليه رب المال بأن يبعث خلفه ويجالسه ويخلع عليه فذلك من باب المنة وقد ارتفعت عنه في الآخرة عبودية الاختيار فإن تفطنت لهذا نبهك على مقام جليل تعرف منه من أي مقام قالت الأنبياء عليهم السلام مع كونهم عبيداً خلصاً لم يملكهم هوى نفوسهم ولا أحد من خلق الله ومع هذا قالوا: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢، وغيرها] وذلك لأن قولهم هذا راجع إلى تحققهم بدخولهم تحت حكم الأسماء الإلهية بخلاف غيرهم ومن هناك وقعت الإجارة فهم في حال الاضطرار والاختيار عبيد للذات وهم لها ملك فإن الأسماء الإلهية تطلبهم لتظهر آثارها فيهم وهم مخيرون في الدخول تحت أي اسم

إلهي شاؤوا وقد علمت الأسماء الإلهية ذلك فعينت لهم الأجور وكل اسم يناديهم ادخلوا تحت أمري وأنا أعطيكم كذا وكذا فلا يزال أحدهم في خدمة ذلك الاسم حتى يناديه السيد من حيث عبودية الذات فيترك كل اسم إلهي ويقوم لدعوة سيده فإذا فعل ما أمر به حينئذ رجع إلى أي اسم شاء ولهذا يتنفل الإنسان ويتعبد بما شاء حتى يسمع إقامة الصلاة المفروضة فيؤمر بها ويترك النافلة فهو دائماً مع سيده بحكم عبودية الاضطرار كذا في كتاب «الجواهر» للإمام الشعراني قدس سره. ﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك**﴾ الموصوفون بالصفات القبيحة. ﴿**أصحاب الجحيم**﴾ بحيث لا يفارقونها أبداً وفيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث إن التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفاً وأراد بالكفر الكفر بالله فهو في مقابلة الإيمان بالله وبتكذيب الآيات تكذيب ما بأيدي الرسل من الآيات الإلهية وتكذيبها تكذيبهم فهو في مقابلة الإيمان والتصديق بالرسل وفيه وصف لهم بالوصفين القبيحين اللذين هما الكفر والتكذيب وفيه إشارة إلى أن الذين كفروا بذاتنا وكذبوا بصفاتنا الكبرى كفراً صريحاً بيناً قلباً وسراً وروحاً أولئك أصحاب جحيم البعد والطرد واللعن المخصوص بالخلود وعبر عن الصفات بالآيات لأن الكتب الإلهية صفات الله تعالى وأيضاً الأنبياء عليهم السلام صفات الله من حيث إنهم مظاهر أسمائه الحسنى وصفاته العليا وقست عليهم سائر المجالي والمرائي لكنهم متفاوتون في الظهور بالكمال وإذا كان تكذيب الأنبياء وآياتهم مما يوجب الوعيد فكذا تكذيب الأولياء وآياتهم فإن العلماء العاملين ورثة الأنبياء والمرسلين، والمراد بآيات الأولياء الكرامات العلمية والكونية فالذين من معاصريهم وغير معاصريهم صدقوهم أولئك أصحاب النعيم والذين كذبوهم أولئك أصحاب الجحيم وهذه الآيات وأصحابها لا تنقطع إلى قيام الساعة فإن باب الولاية مفتوح نسأل الله سبحانه أن يتولانا بعميم أفضاله بحرمة النبي وآله.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿**اعلموا**﴾ بدانيد أي طالبان دنيا. ﴿**أنما الحياة الدنيا**﴾ لفظ الحياة زائد والمضاف مضمر أي أمور الدنيا ويجوز أن تجعل الحياة الدنيا مجازاً عن أمورها بعلاقة اللزوم وفي «كشف الأسرار»: الحياة القربى في الدار الأولى وبالفارسية زندكانىء اين سراى. وما صلة فإن المقصود الحياة في هذه الدار فكل ما قبل الموت دنيا وكل ما تأخر عنه أخرى. ﴿**لعب**﴾ أي عمل باطل تتعبون فيه أنفسكم إتعاب اللاعب بلا فائدة.

باز بچه ايست طفل فريب اين متاع دهر   بى عقل مرد مانكه بد ومبتلا شوند

﴿**ولهو**﴾ تلهون به أنفسكم وتشغلونها عما يهمكم من أعمال الآخرة. ﴿**وزينة**﴾ من الملابس والمراكب والمنازل الحسنة تزينون بها. ﴿**وتفاخر بينكم**﴾ بالأنساب والاحساب تتفاخرون بها والفخر المباهاة في الأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه ويعبر عن كل نفيس بالفاخر كما في «المفردات».

﴿**وتكاثر في الأموال والأولاد**﴾ بالعدد والعدد يعني ومباهاتست بكثرت أموال وأولاد لا سيما التطاول بها على أولياء الله. وبدانيد كه در اندك زمانى آن بازى برطرف شود ولهو وفرح

بغم وترح مبدل كردد وريشها از همه فرو ريزد وتفاخر وتكاثر چون شراره آتش نابود شود. وقيل: لعب كلعب الصبيان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الأقران وتكاثر كتكاثر الدهقان قال علي لعمار رضي الله عنهما: لا تحزن على الدنيا فإن الدنيا ستة أشياء: مطعوم ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فأكبر طعامها العسل وهو ريقة ذبابة وأكبر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان وأكبر الملبوس الديباج وهو نسج دودة وأكبر المشموم المسك وهو دم ظبية وأكبر المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال وأكبر المنكوح النساء وهو مبال في مبال وفي الحديث: «ما لي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قام في ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها».

جهان اى پسر ملك جاويد نيست زدنيا وفادار اميد نيست

﴿كمثل غيث﴾ محل الكاف النصب على الحالية من الضمير في لعب لأن فيه معنى الوصف أي تثبت لها هذه الأوصاف مشبهة غيثاً أو خبر مبتدأ محذوف، أي هي كمثل أو خبر بعد خبر للحياة الدنيا والغيث مطر محتاج إليه بغيث الناس من الجدب عند قلة المياه فهو مخصوص بالمطر النافع بخلاف المطر فإنه عام. ﴿أعجب الكفار﴾ أي: الحراث قال الأزهري: العرب تقول للزراع كافر لأنه يكفر أي يستر بذره بتراب الأرض والكفر في اللغة التغطية ولهذا يسمى الكافر كافراً لأنه يغطي الحق بالباطل والكفر القبر لسترها الناس وفي الحديث «أهل الكفور أهل القبور» والليل كافر لستره الأشخاص. ﴿نباته﴾ أي النبات الحاصل منه، والمراد الكافرون بالله لأنهم أشد إعجاباً بزينة الدنيا ولأن المؤمن إذا رأى معجباً انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما أحسن به فيستغرق فيه إعجاباً وقد منع في بعض المواضع عن إظهار الزينة صوناً لقلوب الضعفاء كما في الأعراس ونحوها. ﴿ثم يهيج﴾ أي: يجف بعد خضرته ونضارته بآفة سماوية أو أرضية يقال: هاج النبت يهيج هيجاً وهيجاناً وهياجاً بالكسر يبس والهائجة أرض يبس بقلها أو اصفر وأهاجه أيبسه وأهيجها وجدها هائجة للنبات. ﴿فتراه مصفراً﴾ بعدما رأيته ناضراً مونقاً وإنما لم يقل فيصفر إيذاناً بأن اصفراره مقارن لجفافه وإنما المرتب عليه رؤيته كذلك ﴿ثم يكون﴾ پس كردد بعد از زردى ﴿حطاماً﴾ درهم شكسته وكوفته وريزه ريزه شده. قال في «القاموس»: الحطم الكسر أو خاص باليابس فالآية تحقير لأمور الدنيا أعني ما لا يتوصل به إلى الفوز الآجل ومنه المثل وبيان أنها أمور خيالية أي باطلة لا حقيقة لها وعن علي رضي الله عنه: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا قليلة النفع سريعة الزوال لا يركن إليها العقلاء فضلاً عن الاطمئنان بها وتمثيل لحالها في سرعة تقضيها وقلة نفعها بحال النبات المذكور زينة الحياة الدنيا هي زينة الله إلا أنها تختلف بالقصد وهي محبوبة بالطبع فإذا تحرك العبد إليها بطبعه كانت زينة الحياة الدنيا فذم بذلك وإن كانت غير محرمة شرعاً وإذا تحرك إليها بأمر من ربه كانت زينة الله وحمد بها وذلك لأن أمر الله وكل ما يرجع إليه جد كله والحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر وفخر الإنسان على مثله إنما هو من جهله بحقيقته فهذا سبب الذم قال بعض الكبار: الشهوات سبع وهي ما ذكر في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤] وقد أنزلها الله إلى خمس في هذه الآية وهي ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا﴾ إلخ ثم

أنزل هذه الخمس إلى أمرين في آية أخرى كما قال في سورة محمد ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦] ثم جعل هذين الأمرين أمراً واحداً في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النازعات: ٤٠] فالهوى جامع لأنواع الشهوات فمن تخلص من الهوى من كل قيد وبرزخ بلغ مسالك الوصول إلى المطلب الأعلى والمقصد الأقصى ﴿**وفي الآخرة عذاب شديد**﴾ لمن أقبل عليها ولم يطلب بها الآخرة وقدم ذكر العذاب لأنه من نتائج الانهماك فيما فصل من أحوال الحياة الدنيا. ﴿**ومغفرة**﴾ عظيمة كائنة ﴿**من الله ورضوان**﴾ كثير لا يقادر قدره لمن أعرض عنها وقصد بها الآخرة بل الله تعالى فإن الدنيا والآخرة حرامان على أهل الله:

أي طالب دنيا توبسى مغروري وى مائل عقبى تويكى مزدوري

وى آنكه زميل هردو عالم دوري تو طالب نور بلكه عين نوري

وفيه إشارة إلى فضل النية الحسنة وأنها تحيل المباح ونحوه طاعة، قال بعض الكبار: من استقامت سريرته وصلحت نيته أدرك جميع ما تمناه من الأعمال الصالحة وفي الخبر: «من نام على طهارة وفي عزمه أنه يقوم من الليل فأخذ الله بنفسه إلى الصباح كتب الله له قيام ليله» وورد مثل ذلك فيمن خرج لجهاد أو حج وتأمل الطباخ والخباز يقوم من الليل يهيىء الطعام والخبز للآكلين وهم نائمون وهو طالب للربح ناسياً حاجة الناس ولو كان ذا بصيرة لفعل ذلك بقصد مصالح العباد وجعل ربحه ونفعه بحكم البيع والحاصل أن أهل الكسب سواء كانوا من أهل السوق أو من غيرهم ينبغي أن تكون نيتهم السعي في مصالح العباد والتقوى بكسبهم على طاعة الله حتى يكونوا مأجورين في ذلك ومن استرقه الكون بحكم مشروع كالسعي في مصالح العباد والشكر لأحد من المخلوقين من جهة نعمة أسداها إليه فهو لم يبرح عن عبوديته لله تعالى؛ لأنه في أداء واجب أوجبه الحق عليه وتعبد العبد لمخلوق عن أمر الله لا يقدح في العبودية بخلاف من استرقه الكون لغرض نفسي ليس للحق فيه رائحة أمر فإن ذلك يقدح في عبوديته لله ويجب عليه الرجوع إلى الحق تعالى. قال بعض الكبار: من ذم الدنيا فقد عق أمه لأن جميع الأنكاد والشرور التي ينسبها الناس إلى الدنيا ليس هو فعلها وإنما هو فعل أولادها لأن الشر فعل المكلف لا فعل الدنيا فهي مطية العبد عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فهي تحب أن لا يشقى أحد من أولادها لأنها كثيرة الحنو عليهم وتخاف أن تأخذهم الضرة الأخرى على غير أهبة مع كونها ما ولدتهم ولا تعبث في تربيتهم فمن عقوق أولادها كونهم ينسبون جميع أفعال الخير إلى الآخرة ويقولون أعمال الآخرة والحال أنهم ما عملوا تلك الأعمال إلا في الدنيا فللدنيا أجر المصيبة التي في أولادها ومن أولادها فمن أنصف من ذمها بل هو جاهل بحق أمه ومن كان كذلك فهو بحق الآخرة أجهل، وفي الحديث: «إذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه» وقال بعضهم: طلب الثواب على الأعمال بحسن النيات والرغبة فيه لا يختص بالعامة بل لا يتحاشى عنه الكمل لعلمهم أن الله تعالى أنشأهم على أمور طبيعية وروحانية فهم يطلبون ثواب ما وعد الله به ويرغبون فيه إثباتاً للحكم الإلهي فإن المكابرة بالربوبية غير جائزة فهم مشاركون للعامة في طلب الرغبة ويتميزون في الباعث على ذلك فكان طلب العارفين ذلك لإعطاء كل ذي حق حقه ليخرجوا عن ظلم أنفسهم إذا وفوها حقها فمن لم يوف نفسه حقها فقد نزل عن درجة الكمال وكان غاشاً لنفسه. ﴿**وما الحياة الدنيا إلا متاع**

﴿الغرور﴾ أي كالمتاع الذي يتخذ من نحو الزجاج والخزف مما يسرع فناؤه يميل إليه الطبع أول ما رآه فإذا أخذه وأراد أن ينتفع به ينكسر ويفنى.

ـ حكي ـ أنه حمل إلى بعض الملوك قدح فيروزج مرصعاً بالجواهر لم ير له نظير وفرح به الملك فرحاً شديداً فقال لمن عنده من الحكماء: كيف ترى هذا؟ قال: أراه فقراً حاضراً ومصيبة عاجلة قال: وكيف ذلك؟ قال: إن انكسر فهو مصيبة لا جبر لها وإن سرق صرت فقيراً إليه وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر فاتفق أنه انكسر القدح يوماً فعظمت المصيبة على الملك وقال: صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا ثم كونها متاع الغرور والخدعة إنما هو لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة إلى الآخرة وأما من اشتغل فيها بطلب الآخرة فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منها وهي الجنة فالدنيا غير مقصودة لذاتها بل لأجر الآخرة وفي الحديث: «نعم المال الصالح للرجل الصالح». وفي «المثنوي»:

مال راكذ بهر حق باشى حمول نعم مال صالح كفتش رسول

فما شغل العبد عن الآخرة فهو من الدنيا وما لا فهو من الآخرة قال بعض الكبار: ورد خطاب إلهي يقول فيه: خلقت الخلق لينظروا إلى مفاتيح الدنيا ومحاسن الناس فيؤديهم النظر في مفاتيح الدنيا إلى الزهد فيها ويؤديهم النظر في محاسن الناس إلى حسن الظن بهم فعكسوا القضية فنظروا إلى محاسن الدنيا فرغبوا فيها ونظروا إلى مساوي الناس فاغتابوهم.

ـ حكي ـ أن الشيخ أبا الفوارس شاهين بن شجاع الكرماني رحمه الله خرج للصيد وهو ملك كرمان فأمعن في الطلب حتى وقع في برية مقفرة وحده فإذا هو بشاب راكب على سبع وحوله سباع فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب عنه فلما دنا إليه سلم عليه وقال له: يا شاه ما هذه الغفلة عن الله اشتغلت بدنياك عن آخرتك وبلذتك وهواك عن خدمة مولاك إنما أعطاك الله الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة إلى الاشتغال عنه فبينما الشاب يحدثه إذ خرجت عجوز وبيدها شربة ماء فناولتها الشاب فشرب ودفع باقيه إلى الشاه فشربه فقال: ما شربت شيئاً ألذ منه ولا أبرد ولا أعذب ثم غابت العجوز فقال الشاب: هذه الدنيا وكلها الله إلى خدمتي فما احتجت إلى شيء إلا أحضرته إلى حين يخطر ببالي أما بلغك أن الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها: يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه فلما رأى ذلك تاب واجتهد إلى أن كان من أهل الله تعالى فإن قلت إن الله تعالى خلق للإنسان جميع ما في الأرض ولا ينبغي للعروس أن تجمع ما نثر عليها بطريق الإعزاز والإكرام فمن عرف شأنه الجليل ما نظر إلى الأمر الحقير القليل بل كان من أهل المروءة والهمة العالية في الإعراض عما سوى الله تعالى والإقبال والتوجه إلى الله تعالى.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

﴿سابقوا﴾ أي: سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم في المضمار وهو الميدان ﴿إلى مغفرة﴾ عظيمة كائنة. ﴿من ربكم﴾ أي: إلى أسبابها وموجباتها كالاستغفار وسائر الأعمال الصالحة أي بحسب وعد الله وإلا فالعمل نفسه غير موجب وفي دعائه عليه السلام: «أسألك عزائم مغفرتك» أي: أن توفقني للأعمال التي تغفر لصاحبها لا محالة ويدخل فيها لمسابقة إلى

التكبيرة الأولى مع الإمام ونحوها. سلمى قدس سره كفت كه وسيله معفرت حضرت رسالت است عليه السلام پس حق سبحانه وتعالى ميفرمايدكه شتاب نماييد بمتابعت اوكه سبب آمرزش است:

پيمبركسى را شفاعت كرست كه بر جاده شرع پيغمبرست

قال الشيخ الشهير بأفتاده قدس سره: إن الله تعالى أرسلنا من عالم الأمر إلى عالم الأرواح ثم منه إلى عالم الأجسام وخلقنا في أحسن تقويم وأعطانا اختياراً جزئياً وقال: إن كنتم صرفتم ذلك الاختيار إلى جانب العبادات والطاعات وإلى طريق الوصول إلى الحسنات أدخلكم الجنة وأيسر لكم الوصال ورؤية الجمال وأمرنا بالإسراع إلى تلك الطريق على وجه المبالغة فإن صيغة المفاعلة للمبالغة وإنما أمر بمبالغة الإسراع لقلة عمر الدنيا وقد ذهب الأنبياء والأولياء ونحن نذهب أيضاً فينبغي أن نسرع في طريق الحق لئلا يفوت الوصول إلى الدرجات العالية بالإهمال والتكاسل وطريق الإسراع في مرتبة الطبيعة الامتثال بالأوامر والاجتناب عن النواهي وفي مرتبة النفس تزكيتها عن الأخلاق الرديئة كالكبر والرياء والعجب والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه وتحليتها بالأخلاق المحمودة كالتواضع والإخلاص ورؤية التوفيق من الله والحلم والصبر والرضى والتسليم والعشق والإرادة ونحوها وفي مرتبة الروح بتحصيل معرفة الله تعالى وفي مرتبة السر بنفي ما سوى الله تعالى وقال البقلي قدس سره: دعا المريدين إلى مغفرته بنعت الإسراع ودعا المشتاقين إلى جماله بنعت الاشتياق وقد دخل الكل في مظنة الخطاب لأن الكل قد وقعوا في بحار الذنوب حين لم يعرفوه حق معرفته ولم يعبدوه حق عبادته فدعاهم جميعاً إلى التطهير في بحر رحمته حتى صاروا متطهرين من غرورهم بأنهم عرفوه فإذا وصلوا إلى الله عرفوا أنهم لم يعرفوه فيأخذ الله بأيديهم بعد ذلك ويكرمهم بأنواع ألطافه ثم إن المسابقة إنما تكون بعد القصد والطلب. وفي «المثنوي»:

كر كران وكر شتابنده بود آنكه كوينده است يا بنده بود

﴿وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ أي: كعرض سبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض على أن يكون اللام في السماء والأرض للاستغراق وإذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها فإن طول كل شيء أكثر من عرضه، قال إسماعيل السدي رحمه الله: لو كسرت السموات والأرض وصرن خردلاً فبكل خردلة لله جنة عرضها كعرض السموات والأرض ويقال: هذا التشبيه تمثيل للعباد بما يعقلون ويقع في نفوسهم مقدار السموات والأرض وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية. **﴿أعدت﴾** هيئت **﴿للذين آمنوا بالله ورسله﴾** فيه دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل كما هو مذهب أهل السنة وأن الإيمان وحده كاف في استحقاقها إذ لم يذكر مع الإيمان شيء آخر ولكن الدرجات بأعمال وفيه شيء فإن الإيمان بالرسل إنما يكمل بالإيمان بما في أيديهم من الكتب الإلهية والعمل بما فيها.

﴿ذلك﴾ الذي وعد من المغفرة والجنة **﴿فضل الله﴾** وعطاؤه وهو ابتداء لطف بلا علة.

﴿يؤتيه﴾ تفضلاً وإحساناً. **﴿من يشاء﴾** إيتاءه إياه من غير إيجاب لا كما زعمه أهل الاعتزال.

﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ ولذلك يؤتي من يشاء مثل ذلك الفضل الذي لا غاية وراءه والمراد منه التنبيه على عطاء أن العظيم عظيم والإشارة إلى أن أحداً لا يدخل الجنة إلا بفضل الله نبياً أو ولياً قال عليه السلام: «خرج منه عندي خليلي جبرائيل عليه السلام آنفاً فقال: يا محمد

والذي بعثك بالحق إن عبداً من عباد الله عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل يحيط به بحر فأخرج الله له عيناً عذبة في أسفل الجبل وشجرة رمان كل يوم تخرج رمانة فإذا أمسى نزل وأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام للصلاة فسأل ربه أن يقبض روحه ساجداً وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء على جسده سبيلاً على أن يبعثه الله وهو ساجد ففعل ونحن ونمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا وهو على حاله في السجود قال جبريل: فنحن نجد في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله فيقول له الرب: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول العبد: بل بعملي فيقول الله قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت عليه النعم الباقية بلا عبادة في مقابلتها فيقول الله: أدخلوا عبدي النار فيجر إلى النار فينادي ويقول: برحمتك أدخلني الجنة فيقول الله: ردوه إلي فيوقف بين يديه فيقول عبدي: من خلقك ولم تك شيئاً؟ فيقول أنت يا ربّ فيقول: أكان ذلك بعملك أو برحمتي؟ فيقول: بل برحمتك فيقول: من قواك على عبادة خمسمائة سنة؟ فيقول: أنت يا رب فيقول: من أنزلك في جبل وسط البحر وأخرج الماء العذب من بين المالح وأخرج لك رمانة كل ليلة وإنما تخرج في السنة مرة واحدة وسألتني أن أقبضك ساجداً من فعل بك ذلك كله؟ فيقول: أنت يا رب قال: فذلك كله برحمتي وبرحمتي أدخلك الجنة»:

چورويى بخدمت نهى بر زمين خدارا ثنا كوى وخودرا مبين
اميدى كه دارم بفضل خداست كه برسعى خود تكيه كردن خطاست
همين اعتمادم بيارىء حق اميدم بآمر زكارىء حق

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض﴾ ما نافية والمصيبة أصلها في الرمية يقال: أصاب السهم إذا وصل إلى المرمى بالصواب ثم اختص بالنائبة أي ما حدث من حادثة كائنة في الأرض كجدب وعاهة في الزروع والثمار. **﴿ولا في أنفسكم﴾** كمرض وآفة وموت ولد وخوف عدو وجوع **﴿إلا في كتاب﴾** أي: إلا مكتوبة مثبتة في علم الله أو في اللوح المحفوظ. **﴿من قبل أن نبرأها﴾** نخلق الأنفس أو المصائب أو الأرض فإن البرء في اللغة هو الخلق والبارىء الخالق وذكر ربيع بن صالح الأسلمي قال: دخلت على سعيد بن جبير حين جيء به إلى الحجاج حين أراد قتله فبكى رجل من قومه فقال سعيد: ما يبكيك؟ قال: ما أصابك قال: فلا تبكِ قد كان في علم الله أن يكون هذا ألم تسمع قول الله تعالى: **﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾**. قال في «الروضة»: رؤي الحجاج في المنام بعد وفاته فقيل: ما فعل الله بك؟ فقال: قتلني بكل قتيل قتلة وبسعيد بن جبير سبعين قتلة. وفي الآية دليل على أن جميع الحوادث الأرضية قبل دخولها في الوجود وكذا جميع أعمال الخلق بتفاصيلها مكتوبة في اللوح المحفوظ ليستدل الملائكة بذلك المكتوب على كونه تعالى عالماً بجميع الأشياء قبل وجودها وليعرفوا حلمه فإنه تعالى مع علمه أنهم يقومون على المعاصي خلقهم ورزقهم وأملهم وليحذروا من أمثال تلك المعاصي وليشكروا الله على توفيقه

إياهم للطاعات وعصمته إياهم من المعاصي وفيها دليل أيضاً أنه تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها لأن إثباتها في الكتاب محال ولو سأل سائل أن الله تعالى هل يعلم عدد أنفاس أهل الجنة؟ يقال له: إن الله يعلم أنه لا عدد لأنفاسهم. ﴿إن ذلك﴾ أي إثباتها في كتاب مع كثرتها. ﴿على الله﴾ متعلق بقوله: ﴿يسير﴾ لاستغنائه فيه عن العدة والمدة وإن كان عسيراً على العباد قال الجنيد قدس سره: من عرف الله بالربوبية وافتقر إليه في إقامة العبودية وشهد بسره ما كشف الله له من آثار القدرة بقوله: ﴿ما أصاب﴾ إلخ فسمع هذا من ربه وشهد بقلبه وقع في الروح والراحة وانشرح صدره وهان عليه ما يصيبه فإن قلت: كان الله قادراً على أن يوصل العباد إليه بلا تعب ولا مصيبة فكيف أوقعهم في المحن والبلايا؟ قلت: أراد أن يعرفهم بامتحان القهر حقائق الربوبية وغرائب الطرق إليه حتى يصلوا إليه من طريق الجلال والجمال ففي الآية توطين للنفوس على الرضى بالقضاء والصبر على البلاء وحمل لها على شهود المبتلى في عين البلايا فإن به يسهل التحمل وإلا فمن كان غافلاً عن مبدأ اللطف والقهر فهو غافل في اللطف والقهر ولذا تعظم عليه المصيبة بخلاف حال أهل الحضور فإنهم يلتذون بالبلاء التذاذهم بالعافية بل ولذة البلاء فوق لذة العافية:

ازدست تومشت بردهانم خوردن خوشتركه بدست خويش نانم خوردن

ومن أمثال العرب: ضرب الحبيب زبيب أي لذيذ.

﴿لكيلا تأسوا﴾ يقال: أسى على مصيبته يأسى أسى من باب علم أي حزن أي أخبرناكم بإثباتها وكتابتها في كتاب كيلا يحصل لكم الحزن والألم. ﴿على ما فاتكم﴾ من نعم الدنيا كالمال والخصب والصحة والعافية. ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ أي: أعطاكم الله منها فإن من علم أن كلاً من المصيبة والنعمة مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر إتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت إذ يجوز أن يقدر ذهابه عن قريب وقيل لبرزجمهر: أيها الحكيم ما لك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو آت قال: لأن الفائت لا يتلافى بالعبرة والآتي لا يستدام بالحبرة، أي بالحبور والسرور لا التأسف يرد فائتاً ولا الفرح يقرب معدوماً. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لأن أمس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلي من أن أقول لشيء لم يكن ليته كان.

قال الكاشفي: اخبارست بمعنى نهى يعني ازادبار دنيا ملول واز اقبال او مسرور مشويد كه نه آنرا قراريست ونه اين را اعتبارى كردست:

دهد كراى شادى نكند ورفوت شود نير نيرزد بغمى

واز مرتضى رضي الله عنه منقولست كه هركه بدين آيت كار كند هر آيينه فرا كيردزهد اورا بهردو طرف او يعني زاهدي تمام باشد وچه زيبا كفته اند:

پندست پسنديده بكن ياد ازان تادني ودينت شود آباد ازان

والمراد بالآية نفي الأسى المانع عن التسليم لأمر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذا عقب بقوله تعالى: ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ فإن من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة والمختال المتكبر المعجب وهو من الخيلاء وهو التكبر من تخيل فضيلة تتراءى للإنسان من نفسه ومنها يتأول لفظ الخيل لما قيل: إنه لا يركب أحد فرساً إلا وجد في نفسه نخوة وبالفارسية وخداى تعالى دوست ندارد هر متكبري راكه بر

نعمت دنيا برديكرى تطاول كند فخور نازنده بدنيا وفخر كننده بدان برا كفاء واقران. قال في «بحر العلوم»: المختال ذو الخيلاء والكبر وهو من العام المخصوص بدليل قول النبي عليه السلام: «إن من الخيلاء ما يحبها الله ومنها ما يبغضها الله أما الخيلاء التي يحبها الله فالاختيال عند الصدقة واختيال الرجل بنفسه عند اللقاء وأما الخيلاء التي يبغضها الله فالاختيال في البغي والفجور» أي لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا فخور مبالغ في الفخر به على الناس انتهى وصف بعض البلغاء متكبراً فقال: كأن كسرى حامل غاشيته وقارون وكيل نفقته وبلقيس إحدى داياته وكأن يوسف لم ينظر إلا بمقلته ولقمان لم ينطق إلا بحكمته وكأن الخضراء له عرشت والغبراء باسمه فرشت وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح المذكور إيذان بأنه أقبح من الأسى وفي الآية إشارة إلا أنه يلزم أن يثبت الإنسان على حال في السراء والضراء فإن كان لا بد له من فرح فليفرح شكراً على عطائه لا بطراً وإن كان لا بد من حزن فليحزن صبراً على قضائه لا ضجراً قال قتيبة بن سعيد: دخلت على بعض أحياء العرب فإذا أنا بفضاء مملوء من الإبل الميتة بحيث لا تحصى ورأيت شخصاً على تل يغزل صوفاً فسألته فقال: كانت باسمي فارتجعها من أعطاها ثم أنشأ يقول:

لا والـذي أنـا عـبـد مـن خـلائـقـه   والمرء في الدهر نصب الرزء والمحن
مـا سـرنـي أن أبـلـى فـي مـبـاركـهـا   ومـا جـرى مـن قـضـاء الله لـم يـكـن

قال البقلي قدس سره: طالب الله بهذه الآية أهل معرفته بالاستقامة والاتصاف بصفاته أي كونوا في المعرفة بأن لا يؤثر فيكم الفقدان والوجدان والقهر واللطف والاتصال والانفصال والفراق والوصال لأن من شرط الاتصاف أن لا يجري عليه أحكام التلوين والاضطراب في اليقين والاعوجاج في التمكين. قال القاسم رحمه الله: ولا تأسوا على ما فاتكم من أوقاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم من توبتكم وطاعتكم فإنك لا تدري ما قدر الله فيك وقضى وقال الواسطي رحمه الله: الفرح بالكرامات من الاغترارات والتلذذ بالأفضال نوع من الإغفال والخمود تحت جريان الأمور زين لكل مأمور. وقال شيخي وسندي رحمه الله في كتاب «اللائحات والبرقيات»: لا تحزنوا بما فاتكم مما سوى الله ولا تفرحوا بما آتاكم مما عدا الله حتى لا تظلموا الحزن والفرح بوضعهما في غير موضعهما واحزنوا بما فاتكم من الله وافرحوا بما آتاكم من الله حتى تعدلوا فيهما بوضعهما في موضعهما لأن الله تعالى حق وما خلاه باطل فكما أن الحزن والفرح بالحق حق وعدل لهما والفاعل للحق محق وعادل فكذلك إن الحزن والفرح بالباطل باطل وظلم لهما والفاعل بالباطل مبطل وظالم ولا يفرح ولا يحزن بالله إلا المهاجرون إلى الله ولا يحزن ولا يفرح بما سوى الله إلا المعرضون عن الله فعليك بسبيل العادلين في جميع أحوالك وإياك وطريق الظالمين ومما سوى الله المال والملك قال الحسن رضي الله عنه: لصاحب المال في ماله مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما يسلب عن كله ويسأل عن كله.

هـمـه تـخـت ومـلـكـى پـذيـرد زوال   بـجـز مـلـك فـرمـان ده لا يـزال
هـنـر بـايـد وفـضـل وديـن وكـمـال   كـه كـاه آيـدوكـه رود جـاه ومـال

ـ حكي ـ أن طيراً في عهد سليمان عليه السلام كان له صورة حسنة وصوت حسن اشتراه رجل بألف درهم وجاء طير آخر فصاح صيحة فوق قفصه وطار فسكت الطير وشكا الرجل إلى

سليمان فقال: أحضروه فلما أحضروه وقال سليمان: لصاحبك عليك حق فقد اشتراك بثمن غالٍ فلم سكت؟ قال: يا نبي الله قل له حتى يرفع قلبه عني إني لا أصيح أبداً ما دمت في القفص قال: لم؟ قال: لأن صياحي كان من الجزع إلى الوطن والأولاد وقد قال لي ذلك الطير: إنما حبسك لأجل صوتك فاسكت حتى تنجو فقال سليمان للرجل ما قال الطير فقال الرجل: أرسله يا نبي الله فإني كنت أحبه لصوته فأعطاه سليمان ألف درهم ثم أرسل الطير فطار وصاح سبحان من صورني وفي الهواء طيرني ثم في القفص صيرني ثم قال سليمان: إن الطير ما دام في الجزع لم يفرج عنه فلما صبر فرج عنه وبسببه خلص الرجل من التعلق به ففيه إشارة إلى الفناء عن أوصاف النفس فإذا فني العبد عنها تخلص من الاضطراب وجاز إلى عالم السكون ومعرفة سر القدر وفي الحديث: «الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن» قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم قدس سره: ولقد مرضت في سالف أيامي مرضة فلما شفاني الله منها مثلت نفسي بين ما دبر الله لي من هذه العلة في مقدار هذه المدة وبين عبادة الثقلين في مقدار أيام علتي فقلت: لو خيرت بين هذه العلة وبين أن تكون لي عبادة الثقلين في مقدار مدتها إلى أيهما تميل اختياراً فصح عزمي ودام يقيني ووقعت بصيرتي على أن مختار الله تعالى لي أكثر شرفاً وأعظم خطراً وأنفع عاقبة وهي العلة التي دبرها لي ولا شوب فيه إذ كان فعله فشتان بين فعله بك لتنجو به وبين فعلك لتنجو به فلما رأيت هذا دق في عيني عبادة الثقلين مقدار تلك المدة في جنب ما آتاني الله فصارت العلة عندي نعمة وصارت النعمة منة وصارت المنة أملاً وصار الأمل عطفاً فقلت في نفسي: بهذا كانوا يستمرون في البلاء على طيب النفوس مع الحق وبهذا الذي انكشف كانوا يفرحون بالبلاء انتهى.

قال الصائب:

تـرك هـسـتـى كـن كـه	آسـودسـت از تـاراج سـيـل
هـركـه پـيـش از سـيـل	رخت خود برون از خانه ريخت

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾﴾

﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ بدل من كل مختال فإن المختال بالمال يضن به غالباً ويأمر غيره به وهذا غاية الذم أنه يبخل الإنسان ويأمر غيره بالبخل والمعنى يمسكون أموالهم ولا يخرجون منها حق الله فإن البخل إمساك المقتنيات عما يحق إخراجها فيه ويقابله الجود يقال: بخل فهو باخل وأما البخيل فالذي يكثر منه البخل كالرحيم من الراحم والبخل ضربان بخل بقنيات نفسه وبخل بقنيات غيره وهو أكثرهما وعلى ذلك قوله تعالى: **﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾** كما في «المفردات» وبالفارسية: مختال وفخور آنانند كه باوجود دنيا داری وجمع أسباب آن بخل كنند ومال خود در راه خدا صرف ننمايند وبا وجود بخل خود امر نمايند مرد ما نرا به بخيلي كردن. وعن النبي عليه السلام: «أنه قال لبني سلمة: من سيدكم؟ قالوا: الجد بن قيس وإنا لنبخله فقال: وأي داء أدوأ من البخل بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح» وفي الحديث: «أربعة لا يجدون ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من

مسيرة خمسمائة عام البخيل والمنان ومدمن الخمر والعاق للوالدين» **﴿ومن﴾** وهركه **﴿يتول﴾** يعرض عن الإنفاق **﴿فإن الله هو الغني﴾** عنه وعن إنفاقه **﴿الحميد﴾** المحمود في ذاته لا يضره الإعراض عن شكره ولا ينفعه التقرب إليه بشيء من نعمه وفيه تهديد وإشعار بأن الأمر بالإنفاق لمصلحة المنفق وإشارة إلى أن من أعرض عن الإقبال على الله والإدبار عن الإنفاق فإن الله غني بحسب ذاته عن إقباله وبحسب صفاته عن إدباره بل هو حميد في ذاته وصفاته لا ينفعه إقباله ولا يضره إدباره؛ إذ الضار النافع هو لا غيره وأيضاً إلى النفوس البشرية الأمارة بالسوء بالتقاعد عن الإقدام على الطاعة والعبادة ودعوة القلوب والأرواح إلى الارتكاب للمعاصي والاجتناب عن الطاعات بحسب الغلبة في بعض الأوقات لاستهلاك القوى الروحانية بحسب ظلمات القوى الجسمانية قال بعض الكبار: الإنسان من حيث نشأته الطبيعية سعيد وكذلك من حيث نفسه الناطقة ما دامت كل نشأة منفردة عن صاحبتها فما ظهرت المخالفة إلا بالمجموع ولما جبل الإنسان على الإمساك لأن أصله التراب وفيه يبس وقبض لم يرض بذهاب مال نفسه وغيره فلذا بخل وأمر بالبخل.

زر از بـهـر خـوردن بـود اي پـدر زبـهـر نـهـادن چـه سـنـك وچـه زر

﴿لقد أرسلنا رسلنا﴾ أي: الملائكة إلى الأنبياء أو الأنبياء إلى الأمم وهو الأظهر كما في «الإرشاد» **﴿بالبينات﴾** بحجتهاى روشن كه معجز اتست باشريعتهاى واضحه. فإن قلت: المعجزات يخلقها الله على يدي مدعي النبوة كإحياء الموتى وقلب العصا واليد البيضاء وشق القمر من غير نزول الملك بها نعم معجزة القرآن نزل بها الملك ولكن نزوله بها على كل رسول غير ثابت قلت: معنى نزول الملك بها أن الله يخبره على لسانه بوقوع تلك المعجزة على يده. **﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾** أي: جنس الكتب الشامل للكل لتبيين الحق وتمييز صواب العمل أي لتكميل القوة النظرية والعملية. قوله: معهم يجعل على تفسير الرسل بالأنبياء حالاً مقدرة من الكتاب أي مقدراً كونه معهم وإلا فالأنبياء لم ينزلوا حتى ينزل معهم الكتاب فالنزول مع الكتاب شأن الملائكة والإنزال إليهم شأن الأنبياء ولذا قدم الوجه الأول إذ لو كان المعنى لقد أرسلنا الأنبياء إلى الأمم لكان الظاهر أن يقال: وأنزلنا إليهم الكتاب. **﴿والميزان﴾** بالفارسية ترازو **﴿ليقوم الناس بالقسط﴾** ليتعاملوا بينهم بالعدل ايفاء واستيفاء ولا يظلم أحد أحداً في ذلك وإنزاله إنزال أسبابه والأمر بإعداده وإلا فالميزان من مصنوعات البشر وليس بمنزل من السماء.

ـ وروي ـ أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان نفسه فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال: مر قومك يزنوا به يعني تاتسويه حقوق كنند بدان درميان يكديكر بوقت معاملات. وقال الإمام الغزالي رحمه الله: أتظن أن الميزان المقرون بالكتاب هو ميزان البر والشعير والذهب والفضة أم تتوهم أنه هو الطيار والقبان ما أبعد هذا الحسبان وأعظم هذا البهتان فاتق الله ولا تتعسف في التأويل. واعلم يقيناً أن هذا الميزان هو ميزان معرفة الله ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته ليتعلم كيفية الوزن به من أنبيائه كما تعلموا من ملائكته فالله هو المعلم الأول والثاني جبرائيل والثالث الرسول والخلق كلهم يتعلمون من الرسول ما لهم طريق في المعرفة سواه والكل عبارته بلا تغيير وليت شعري ما دليله على ما ذهب إليه من العدول عن الظاهر كذا في «بحر العلوم».

يقول الفقير: لعل دليله قوله تعالى: **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾**

﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [آل عمران: ١٨] أي حاكماً بالعدل أو مقيماً للعدل في جميع أموره فإذا كان الله قائماً بالعدل في جميع الأمور كان الواجب على العباد أن يقوموا به أيضاً ولن يقوموا به حقيقة إلا بعد العلم الشامل والمعرفة الكاملة وهي معرفة الله فهي الميزان الكلي وما عداه من جميع الأمور مبني عليه وموزون به. ﴿وأنزلنا الحديد﴾ قيل: نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد: الأول السندان وهو سندان الحداد بالفتح كما في «القاموس» وإياه عنى الشيخ سعدي في قوله:

چو سندان كسى سخت رويى تبرد كه خايسك تأديب بر سر نخورد

والثاني: الكلبتان وهو ما يأخذ به الحداد الحديد المحمي كما في «القاموس» والثالث الميقعة بكسر الميم بعدها ياء مثناة تحتانية أصله موقعة. قال في «القاموس» الميقعة خشبة القصار يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل وقد وقعته بالميقعة فهو وقيع حددته بها والرابع المطرقة وهي آلة الطرق أي الضرب والخامس الإبرة وهي مسلة الحديد وروي ومعه المر والمسحاة، قال في «القاموس»: المر بالفتح المسحاة وهي ما سحى به أي قشر وجرف وفي الحديث: «أن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد والنار والماء والملح» وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم عليه السلام الحجر الأسود وكان أشد بياضاً من الثلج وعصا موسى وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع والحديد. وعن الحسن رحمه الله: وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ [الزمر: ٦] وذلك أن أوامره وقضاياه وأحكامه تنزل من السماء قال بعضهم: وأخرجنا الحديد من المعادن لأن العدل إنما يكون بالسياسة والسياسة مفتقرة إلى العدة والعدة مفتقرة إلى الحديد وأصل الحديد ماء وهو منزل من السماء. ﴿فيه﴾ أي: في الحديد ﴿بأس شديد﴾ وهو القتال به أو قوة شديدة يعني السلاح للحرب لأن آلات الحرب إنما تتخذ منه وبالفارسية كارزار سخت است يعني آلتها كه دركار زار بكار آيداز وسازند خواه از براى دفع دشمن چون سنان ونيزه وشمشبر وپيكان وخنچر وامثال آن وخواه براى حفظ نفس خود چون زره وخود وجوشن وغير آن. وفيه إشارة إلى أن تمشية قوانين الكتاب واستعمال آلة التسوية يتوقفان على دال صاحب سيف ليحصل القيام بالقسط وإن الظلم من شيم النفوس والسيف حجة الله على من عنده ظلم. ﴿ومنافع للناس﴾ كالسكين والفأس والمر والإبرة ونحوها وما من صنعة إلا والحديد أو ما يعمل بالحديد آلتها وفيه إشارة إلى أن القيام بالقسط كما يحتاج إلى القائم بالسيف يحتاج أيضاً إلى ما به قوام التعايش من الصنائع وآلات المحترقة وإلى سيف الجذبة المتخذ من حديد القهر إذ لا بد لكل تجلي جلالي من كون التجلي الجمالي فيه وبالعكس وهم الأولياء وهم يميلون إلى الحق بكثرة الألطاف والأعطاف الربانية كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾ [البقرة: ٤٧] ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله﴾ عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فإنه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل: ليستعملوه وليعلم الله علماً يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الأسلحة في مجاهدة أعدائه ﴿بالغيب﴾ حال من فاعل ينصر أي غائبين عنه تعالى كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: ينصرونه ولا يبصرونه وإنما يحمد ويثاب من أطاع بالغيب من غير معاينة للمطاع أو من مفعوله أي حال كونه تعالى غائباً عنهم غير مرئي لهم. ﴿إن الله قوي﴾ على إهلاك من أراد إهلاكه. ﴿عزيز﴾ لا يفتقر إلى

نصرة الغير وإنما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه والقوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف وهي في حق الله بمعنى القدرة وهي الصفة التي يتمكن بها الحي من الفعل وتركه بالإرادة والعزة الغلبة على كل شيء قال الزروقي رحمه الله: القوي هو الذي لا يلحقه ضعف في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فلا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز في نقض ولا إبرام وخاصية هذا الاسم ظهور القوة في الوجود فما تلاه ذو همة ضعيفة إلا وجد القوة ولا ذو جسم ضعيف إلا كان له ذلك ولو ذكره مظلوم بقصد إهلاك الظالم ألف مرة كان له ذلك وكفى أمره وخاصية الاسم العزيز وجود الغنى والعز صورة أو معنى فمن ذكره أربعين يوماً في كل يوم أربعين مرة أعانه الله وأعزه فلم يحوجه لأحد من خلقه وفي «الأربعين الإدريسية»: يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شيء يعادله قال السهروردي رحمه الله: من قرأ سبعة أيام متواليات كل يوم ألفاً أهلك خصمه وإن ذكره في وجه العسكر سبعين مرة ويشير إليهم بيده فإنهم ينهزمون.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴿٢٦﴾﴾.

﴿ولقد أرسلنا﴾ أي: وبالله قد بعثنا ﴿نوحاً﴾ إلى قومه وهم بنو قابيل وهو الأب الثاني ﴿وإبراهيم﴾ إلى قومه أيضاً وهم نمرود ومن تبعه ذكر الله رسالتهما تشريفاً لهما بالذكر ولأنهما من أول الرسل وأبوان للأنبياء عليهم السلام فالبشر كلهم من ولد نوح والعرب والعبرانيون كلهم من ولد إبراهيم. ﴿وجعلنا في ذريتهما﴾ أي: في نسلهما ﴿النبوة والكتاب﴾ بأن استنبأنا بعض ذريتهما وأوحينا إليهما الكتب مثل هود وصالح وموسى وهارون وداود وغيرهم فلا يوجد نبي ولا كتاب إلا وهو مدلٍ إليهما بأمتن الأسباب وأعظم الإنسان ﴿فمنهم﴾ أي فمن ذرية هذين الصنفين أو من المرسل إليهم المدلول عليهم بذكر الإرسال والمرسلين يعني پس بعضي از انهاكه أنبياء برايشان آمدند ﴿مهتد﴾ أي: الحق يعني إيمان آورده بكتاب ونبي وثابت شد بردين خود ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ خارجون عن الطريق المستقيم فيكونون ضالين لا محالة.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا﴾ أي: ثم أرسلنا بعدهم رسلنا والضمير لنوح وإبراهيم ومن أرسلا إليهم من الأمم يعني بعد از نوح وهود وصالح را وبعد از إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف را. أو من عاصرهما من الرسل ولا يعود إلى الذرية فإن الرسل المقفى بهم من الذرية يقال: قفا أثره اتبعه وقفى على أثره بفلان أي اتبعه إياه وجاء به بعده والآثار جمع أثر بالكسر تقول: خرجت على أثره أي عقبه فالمعنى اتبعنا من بعدهم واحداً بعد واحد من الرسل قال الحريري في «درة الغواص»: يقال: شفعت الرسول بآخر أي جعلتهما اثنين فإذا بعثت بالثالث فوجه الكلام أن يقال: عززت بثالث أي قويت كما قال تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤] فإن واترت الرسل فالأحسن أن يقال: قفيت بالرسل كما قال تعالى: ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا﴾ ﴿وقفينا بعيسى ابن مريم﴾ أي: أرسلنا رسولاً بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى ابن

مريم فأتينا به بعدهم يعني وازپى در آورديم اين رسل راوتمام كرديم انبياء بني إسرائيل را بعيسى ابن مريم. فأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى. ﴿**وآتيناه الإنجيل**﴾ دفعة واحدة ﴿**وجعلنا في قلوب**﴾ المؤمنين ﴿**الذين اتبعوه**﴾ أي: عيسى في دينه كالحواريين وأتباعهم ﴿**رأفة**﴾ وهي اللين ﴿**ورحمة**﴾ وهي الشفقة أي وقفينا رأفة أي أشد رقة على من كان يتسبب إلى الاتصال بهم ورحمة، أي رقة وعطفاً على من لم يكن له سبب في الصلة بهم كما كان الصحابة رضي الله عنهم: رحماء بينهم حتى كانوا أذلة على المؤمنين مع أن قلوبهم في غاية الصلابة فهم أعزة على الكافرين قيل: امروا في الإنجيل بالصفح والإعراض عن مكافأة الناس على الأذى:

بدى را بدى سهل باشد جزا اكر مردى احسن إلى من اسا

وقيل لهم من لطم خدك الأيمن قوله خدك الأيسر ومن سلب رداءك فأعطه قميصك ولم يكن لهم قصاص على جناية في نفس أو طرف فاتبعوا هذه الأوامر وأطاعوا الله وكانوا متوادين ومتراحمين ووصفوا بالرحمة خلاف اليهود الذين وصفوا بالقسوة. ﴿**ورهبانية**﴾ منصوب إما بفعل مضمر يفسره الظاهر أي وابتدعوا أي أتباع عيسى رهبانية. ﴿**ابتدعوها**﴾ أي حملوا أنفسهم على العمل بها وإما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صلة لها أي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم أي وقفيناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها قال في «فتح الرحمن»: المعتزلة تعرب رهبانية على أنها نصب بإضمار فعل يفسره ابتدعوها وليست بمعطوفة على رأفة ورحمة ويذهبون في ذلك إلى أن الإنسان يخلق أفعاله فيعربون الآية على مذهبهم انتهى والرهبانية المبالغة في العبادة بمواصلة الصوم ولبس المسوح وترك أكل اللحم والامتناع عن المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبد في الغيران ومعناها العفلة المنسوبة إلى الرهبان بالفتح وهو الخائف فإن الرهبة مخافة مع تحزن واضطراب كما في «المفردات» فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرىء بضم الراء كأنها نسبة إلى الرهبان جمع راهب كراكب وركبان ولعل التردد لاحتمال كون النسبة إلى المفتوح والضم من التغيير النسب يعني أن الرهبان لما كان اسماً لطائفة مخصوصة صار بمنزلة العلم وإن كان جمعاً في نفسه فالتحق بأنصار وأعراب وفرائض فقيل: رهباني كما قيل: أنصاري وأعرابي وفرائضي بدون رد الجمع إلى واحده في النسبة وقال الراغب في «المفردات»: الرهبان يكون واحداً وجمعاً فمن جعله واحداً جمعه على رهابين ورهبانية بالجمع أليق انتهى وهي الخصال المنسوبة إلى الرهبان وسبب ابتداعهم إياها أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى فقاتلوا ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم إلا قليل فخافوا أن يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين أنفسهم للعبادة منتظرين البعثة النبوية التي وعدها لهم عيسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] الآية.

ـ وروي ـ أن الله لما أغرق فرعون وجنوده استأذن الذين كانوا آمنوا من السحرة موسى عليه السلام في الرجوع إلى الأهل والمال بمصر فأذن لهم ودعا لهم فترهبوا في رؤوس الجبال فكانوا أول من ترهب وبقيت طائفة منهم مع موسى عليه السلام حتى توفاه الله ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتى ابتدعها بعد ذلك أصحاب المسيح عليه السلام. ﴿**ما كتبناها عليهم**﴾ جملة مستأنفة والنفي متوجه إلى أصل الفعل أي ما فرضنا عليهم تلك الرهبانية في كتابهم ولا

على لسان رسولهم. ﴿إلا﴾ استثناء منقطع، أي لكن ابتدعوها. ﴿ابتغاء رضوان الله﴾ أي لطلب رضاه تعالى ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ أي: فما رعوا جميعاً حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه السلام ونحوها إليه قال عليه السلام: «من آمن بي وصدقني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون» قال مقاتل: لما استضعفوا بعد عيسى التزموا الغيران فما صبروا وأكلوا الخنازير وشربوا الخمور ودخلوا مع الفساق وفي المناسبات فما رعوها أي لم يحفظها المقتدون بهم بعدهم كما أوجبوا على أنفسهم حق رعايتها أي بكمالها بل قصروا فيها ورجعوا عنها ودخلوا في دين ملوكهم ولم يبق على دين عيسى عليه السلام إلا قليل ذمهم الله بذلك من حيث إن النذر عهد مع الله لا يحل نكثه سيما إذا قصد رضاه تعالى. ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم﴾ أي: من العيسيين إيماناً صحيحاً وهو الإيمان برسول الله عليه السلام بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فإنها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وأنى لها استتباع الأجر قال في «كشف الأسرار»: لما بعث النبي عليه السلام ولم يبق منهم إلا قليل حط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير وديره فآمنوا به، والصومعة كل بناء متصومع الرأس أي متلاصقه والدير خان النصارى وصاحبه ديار. ﴿أجرهم﴾ أي: ما يحسن ويليق بهم من الأجر وهو الرضوان ﴿وكثير منهم﴾ أي: من العيسيين وهم الذين ابتدعوا فضيعوا وكفروا بمحمد عليه السلام ﴿فاسقون﴾ خارجون عن حد الاتباع وهم الذين تهودوا وتنصروا، قال في «تفسير المناسبات»: وكذلك كان في هذه الأمة فإنه لما توفي رسول الله تبعه خلفاؤه بإحسان فلما مضت الخلافة الراشدة وتراكمت الفتن كما أخبر عليه السلام واشتد البلاء على المتمسكين بصريح الإيمان ورجم البيت بحجارة المنجنيق وهدم، وقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه واستبيحت مدينة رسول الله عليه السلام ثلاثة أيام وقتل فيها خيار المسلمين رأى المؤمنون العزلة واجبة فلزموا الزوايا والمساجد وبنوا الربط على سواحل البحر وأخذوا في الجهاد للعدو والنفوس وعالجوا تصفية أخلاقهم ولزموا الفقر أخذاً من أحوال أهل الصفة وتسموا بالصوفية وتكلموا على الورع والصدق والمنازل والأحوال والمقامات فهؤلاء وزان أولئك انتهى. وفي الحديث: «يا ابن أم معبد أتدري ما رهبانية أمتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع».

ـ روي ـ أن نفراً من الصحابة رضي الله عنهم أخذهم الخوف والخشية حتى أراد بعضهم أن يعتزل عن النساء، وبعضهم الإقامة في رؤوس الجبال وبعضهم ترك الأكل والشرب وبعضهم غير ذلك فنهاهم عليه السلام عن ذلك كله وقال: «لا رهبانية في الإسلام» وقال: «رهبانية أمتي في المسجد» يعني المتعبدون من أمتي لا يأخذون مأخذ النصارى بل يعتكفون في المساجد دون رؤوس الجبال وقال في نفي صوم الوصال: «إني لست كهيئتكم إني أبيت لي مطعم يطعمني وساق يسقيني». وفي «المثنوي»:

هين مكن خودرا خصى رهبان مشو ... زانكه عفت هست شهوت راكرو
بى هوا نهى از هوا ممكن نبود ... فازيى بر مردكان نتوان نمود
پس كلوا از بهر دام شهوتست ... بعد ازان لا تسرفوا آن عفتست
چونكه رنج صبر نبود مرترا ... شرط نبود پس فرونايد جزا

حـــبـــذا آن شـــرط وشـــادا آن جـــزا آن جـــزاى دلـــنـــواز جـــان فـــزا

قال الشافعي رحمه الله: أربعة لا يعبأ الله بهم يوم القيامة: زهد خصي وتقوى جندي وأمانة امرأة وعبادة صبي وهو محمول على الغالب كما في «المقاصد الحسنة»، ثم ذكر: لا تنبغي الخلوة والعزلة. قال في الإحياء: لما بنى عروة قصره بالعقيق وهو كأمير موضع بالمدينة لزمه فقيل له: لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله فقال: رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية ومما هنا لكم عما أنتم فيه عافية.

ـ وحكي ـ أن جماعة من السلف مثل مالك وغيره تركوا إجابة الدعوات وعيادة المرضى والجنائز بل كانوا أحلاس بيوتهم لا يخرجون إلا إلى الجمعة وزيارة القبور وبعضهم فارق الأمصار وانحاز إلى قلل الجبال تفرغاً للعبادة وفراراً من الشواغل واختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الأسواق والأعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجرة. وفي الآية دليل على أن الشروع في نفل العبادة ملزم وأن من شرع فيما ليس عليه ثم تركه استحق اسم الفسق والوعيد فيجب على الناذر رعاية نذره لأنه عهد مع الله لا يحل نكثه.

ـ وروي ـ عن بعض الصحابة رضي الله عنهم عليكم بإتمام هذه التراويح لأنها لم تكن واجبة عليكم وقد أوجبتموها على أنفسكم فإنكم إن تركتم صرتم فاسقين ثم قرأ هذه الآية ﴿وكثير منهم فاسقون﴾.

يقول الفقير: وهكذا شأن الصلاة المعروفة بالرغائب والبراءة والقدر فإنها ملحقة بالتراويح لكونها من صلاة الليل وقد كانت سنة مسلوكة للعلماء بالله فلا تترك أبداً عند من اعتقد اعتقادهم قال في «فتح الرحمن»: واختلف الأئمة فيما إذا أنشأ صوماً أو صلاة تطوعاً فقال أبو حنيفة: لم يجز له الخروج منه فإن أفسده فعليه القضاء لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣] وقال مالك رحمه الله: كذلك إلا أنه اعتبر العذر فقال: إن خرج منه لعذر فلا قضاء وإلا وجب وقال الشافعي وأحمد رحمهما الله: متى أنشأ واحداً منهما استحب إتمامه فإن خرج منه لم يجب عليه قضاء على الإطلاق وأما إذا كان التطوع حجاً أو عمرة فيلزم إتمامه أفسده وجب قضاؤه لوجوب المضي في فاسده انتهى. قال بعض الكبار: جميع ما ابتدع من السنة الحسنة على طريق القربة إلى الله تعالى داخل في الشريعة التي جاءت بها الرسل عن أمر الله قال تعالى: ﴿ورهبانية﴾ إلخ فأقرهم تعالى عليها ولم يعب عليهم فعلها إنما عاب عليهم عدم رعايتهم لها في دوام العمل فقط وخلع عليها اسم البدعة في حقهم بخلاف هذه الأمة خلع على ما استحسنوه اسم السنة تشريفاً لهم كما قال عليه السلام: «من سن سنة حسنة» وما قال من ابتدع بدعة حسنة فافهم فأجاز لنا ابتداع ما هو حسن وسماه سنة وجعل فيه أجراً لمن ابتدعه ولمن عمل به وأخبر أن العابد لله تعالى بما يعطيه نظره إذا لم يكن على شرع من الله معين أنه يحشر أمة وحده بغير إمام يتبعه كما قال تعالى في إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠] وذلك لنظره في الأدلة قبل أن يوحى إليه وقال عليه السلام: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فمن كان عليها فهو على شرع من ربه وإن لم يعلم وقال بعضهم: جميع ما ابتدعه العلماء والعارفون مما لم تصرح الشريعة بالأمر به لا يكون بدعة إلا إن خالف صريح السنة فإن لم يخالفها فهو محمود وذلك كحلق الرأس ولبس المرقعات والرياضة بقلة الطعام والمنام

والمواظبة على الذكر والجهر به على الهيئة المشهورة ونحو ذلك من جميع أوصافهم فإنها كلها نواميس حكمية لم يجيء بها رسول الله عليه السلام في عموم الناس من عند الله لكونها طريقة أهل الخصوص السالكين طريق الحق وهذه الطريق لا تحتمل العامة الأمر بها ولا تجب هي عليهم فقد علمت أن طريق القوم صادرة عن الله ولكن من غير الطريق الصريح النبوي ولولا أنه عليه السلام فتح لأمته باب الاستنان ما اجترأ أحد منهم على أن يزيد حكماً ولا وضعاً ففي الصحيح: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» وقال بعضهم: المقصود بالوضع الشرعي الإلهي هو تكميل النفوس علماً أو عملاً وهم أتوا بأمور زائدة على الطريقة النبوية موافقة لها في الغاية والغرض كالأمور التي التزمها الصوفية في هذه الأمة بغير إيجاب من الله كتقليل الطعام وكثرة الصيام والاجتناب عن مخالطة الأنام وقلة المنام والذكر على الدوام وقال بعضهم: ما يصدر عن الواصل من الأفعال شريعة وكذا الباقي فلا بد من الاعتدال ولذلك قال عليه السلام: «الشريعة أقوالي، والطريقة أطواري، والمعرفة رأس مالي والحقيقة نقد حالي» وقال بعضهم: لا تبتدع فيوجب الله ذلك الابتداع عليك وفي شرعنا: من سن سنة حسنة فما سماها بدعة فإن شرعنا قد قررها فليشكر الله صاحب هذه البدعة وليلزمها حيث ألحقه تعالى بأنبيائه ورسله وأباح له أن يسن ما سنته الرسل مما يقرب إلى الله تعالى ولا يخفى أن الكامل من عباد الله من سد باب الابتداع ولم يزد في التكاليف حكماً واحداً موافقة لمراد الله ومراد رسول الله من طلب الرفق والرحمة، وقال بعضهم: لا تجعل وردك غير ما ورد في الكتاب والسنة تكن من العلماء الأدباء لأنك حينئذ تجمع بين الذكر والتلاوة فيحصل لك أجر التالين والذاكرين فما ترك الكتاب والسنة مرتبة يطلبها الإنسان من خير الدنيا والآخرة إلا وقد ذكرها فمن وضع من الفقراء ورداً من غير الوارد في السنة فقد أساء الأدب مع الله ورسوله إلا أن يكون ذلك بتعريف من الله فيعرفه خصائص كلمات يجمعها فيكون حينئذ ممتثلاً لا مخترعاً وذلك مثل حزب البحر للشاذلي رحمه الله ونحوه فإنه رحمه الله صرح بأنه ما وضع حرفاً منه إلا بإذن الله ورسوله وقال: من دعا بغير ما دعا به رسول الله فهو مبتدع، وقال بعضهم: العبد في أداء الفرائض عبد اضطرار وفي فعل النوافل عبد اختيار وعبودية الاضطرار أشرف وأسلم في حقه من عبودية الاختيار لما قد يخطر بباله في عبودية الاختيار من شائبة الامتنان ومن هاهنا ترك أكابر الرجال من الملامية فعل النوافل واقتصروا على أداء الفرائض خوفاً من خطور ذلك على قلوبهم فيجرح عبوديتهم، وفي «الحكم العطائية»: من علامة اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بحقوق الواجبات وهذا حال غالب الخلق إلا من عصمه الله ترى الواحد منهم يقوم بالنوافل الكثيرة ولا يقوم بفرض أحد على وجهه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي: بالرسل المتقدمة **﴿اتقوا الله﴾** فيما نهاكم عنه **﴿وآمنوا برسوله﴾** أي: بمحمد عليه السلام وفي إطلاقه إيذان بأنه علم فرد الرسالة لا يذهب الوهم إلى غيره. **﴿يؤتكم كفلين﴾** نصيبين وأجرين نقل عن الراغب: الكفل الحظ الذي فيه الكفالة كأنه تكفل بأمره والكفلان هما النصيبان المرغوب فيهما بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾ [البقرة: ٢٠١] ﴿من رحمته﴾ از بخشايش خود. وذلك لإيمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل لكن لا على أن شريعتهم باقية بعد البعثة بل على أنها كانت حقاً قبل النسخ وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: الرجل يكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها يؤدبها فيحسن تأديبها ثم يعتقها ويتزوجها فله أجران ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمناً ثم آمن بالنبي فله أجران والعبد الذي يؤدي حق الله وينصح لسيده» ولذا بكى بعض العبيد حين أعتق لأنه ذهب أجر النصح لسيده وبقي أجر أداء حق الله.

تادلت هست اسير عشق سليم   مسند تخت سلطنت مطلب

وقال الشيخ سعدي:

اسيرش نخواهد رهايى زبند   شكارش نجويد خلاص از كمند

وقال المولى الجامي:

مريض عشق توچون مائل شفا كردد   اسير قيد توكى طالب نجات شود

﴿ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾ يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢] فهو الضياء الذي يمشون به على الصراط إلى أن يصلوا إلى الجنة وذلك لأن جهنم خلقت من الظلمة إذ هي صورة النفس الأمارة وهي ظلمانية فنور الإيمان والتقوى يدفعها ويزيلها ﴿ويغفر لكم﴾ ما أسلفتم من الكفر والمعاصي فأما حسنات الكفار فمقبولة بعد إسلامهم على ما ورد في الحديث الصحيح. ﴿والله غفور رحيم﴾ أي مبالغ في المغفرة والرحمة وفيه إشارة إلى مغفرة الذنب الذي هو ملاحظة النفس فإنه من أكبر الذنوب والمعاصي كما قالوا: وجودك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر «مصراع» چومرد راه شدى بكذراز سر ودستار.

﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ متعلق بمضموم الجملة الطلبية المتضمنة معنى الشرط إذ التقدير إن تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من أهل الكتاب أي ليعلموا ولا مزيدة كهي في ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] كما ينبىء عنه قراءة ليعلم ولكي يعلم ولأن يعلم بإدغام النون في الياء قال في «كشف الأسرار»: وإنما يحسن إدخالها في كلام يدخل في أواخره أو أوائله جحد ﴿أن لا يقدرون على شيء من فضل الله﴾ أن مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة في حيز النصب على أنها مفعول يعلم أي ليعلمون أنهم لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذي هو الإيمان برسوله. ﴿وأن الفضل بيد الله﴾ عطف على أن لا يقدرون يعني آفزوني ثواب وجزاء وأمثال آن بدست قدرت خداست. ﴿يؤتيه﴾ عطا كند ﴿من يشاء﴾ هركرا خواهد. وهو خبر ثان لأن ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ والعظيم لا بد أن يكون إحسانه عظيماً. قال الكاشفي: وخداى تعالى خداوند فضل بزركست يعني نعمتي تمام كه خواص وعوام را فرا رسيده.

فيض كرم رسانده از شرق تا بغرب   خوان نعم نهادة ازقاف تابقاف

هستند بيش وكم زنوال تو بهره مند   دارند نيك وبد بعطاء تو اعتراف

وقد جوز أن يكون الأمر بالتقوى والإيمان لغير أهل الكتاب، فالمعنى: اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤] ولا ينقصكم من مثل أجرهم لأنكم مثلهم في الإيمانين لا تفرقون بين أحد من رسله.

ـ وروي ـ أن مؤمني أهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وفي الحديث: «إنما مثلنا ومثل الذين أوتوا الكتاب من قبلنا مثل رجل استأجر أجراء فقال: من يعمل إلى آخر النهار على قيراط قيراط فعمل قوم ثم تركوا العمل نصف النهار ثم قال: من يعمل نصف النهار إلى آخر النهار على قيراط قيراط فعمل قوم إلى العصر على قيراط قيراط ثم تركوا العمل ثم قال: من يعمل إلى الليل على قيراطين قيراطين فعمل قوم إلى الليل على قيراطين قيراطين فقال الطائفتان الأوليان: ما لنا أكثر عملاً وأقل أجراً؟ فقال: هل نقصتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا قال: ذلك فضلي أوتيه من أشاء» ففيه إشارة إلى أن أهل الكتاب أطول زماناً وعمراً وأكثر اجتهاداً وأقل أجراً وهذه الأمة أقصر مدة وأقل سعياً وأعظم أجراً وإلى أن الثواب على الأعمال ليس من جهة الاستحقاق لأن العبد لا يستحق على مولاه بخدمته أجرة بل من جهة الفضل ولله أن يتفضل على من يشاء بما يشاء، قال البقلي رحمه الله: أخرج فضله من الاكتساب وعلل الجهد والطلب يؤتى كراماته من يشاء من عباده المصطفين وهو ذو العطاء في الأزل إلى الأبد والفضل العظيم ما لا ينقطع عن المنعم عليه أبداً.

ـ روي ـ: «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ويقول: إن فيهن آية أفضل من ألف آية» ويعني بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن.

يقول الفقير: إنما أخفى عليه السلام تلك الآية ولم يصرح بها لتجتهد الأمة بتلاوة جميع السور كما أخفى الله ساعة الإجابة وليلة القدر ونحوهما بعثاً للعباد على الاجتهاد وإحياء الليالي. قال الشيخ سعدي:

چوهر كوشه تير تياز افكنى ... اميدست نا كه كه صيدى زنى
همه سنكها پاس دار اى پسر ... كه لعل از ميانش نباشد بدر
غم جمله خور در هواى يكى ... مراعات صدكن براى يكى

تمت سورة الحديد بعون الملك المجيد في أواخر شهر ربيع الأول
من سنة خمس عشرة ومائة وألف من الهجرة

٥٨ ـ سورة المجادلة

اثنتان وعشرون آية مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ سمع مجاز مرسل عن أجاب بعلاقة السببية والمجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة يعني كار براندن باكسى بر سبيل نزاع. وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه والمراد هنا المكالمة ومراجعة الكلام أي معاودته والمعنى قد أجاب الله دعاء المرأة التي تكالمك في حق زوجها استفتاء وتراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من ظهاره إياها بغير وجه مشروع وسبب مقبول. **﴿وتشتكي إلى الله﴾** عطف على تجادلك أي تتضرع إلى الله تعالى وتظهر ما بها من المكروه قال في «المفردات»: الشكاية والشكاة والشكوى إظهار البث يقال: شكوت واشتكيت وأصل الشكوى فتح الشكوة وإظهار ما فيها وهي سقاء صغير يجعل فيه الماء وكان في الأصل استعارة كقولك: بثثت له ما في وعائي ونفضت ما في جرابي إذا أظهرت ما في قلبك وفي «كشف الأسرار»: الاشتكاء إظهار ما يقع بالإنسان من المكروه والشكوى إظهار ما يصنعه غيره به وفي «تاج المصادر»: الاشتكاء كله كردن وشكوه كرفتن. وهي قربة صغيرة والمجادلة هي خولة بنت ثعلب بن مالك بن خزاعة الخزرجية وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة روي أنها كانت حسنة البدن رآها أوس وهي تصلي فاشتهى مواقعتها فلما سلمت راودها فأبت وكان به خفة فغضب عليها بمقتضى البشرية وقال: أنت علي كظهر أمي وكان أول ظهار وقع في الإسلام ثم ندم على ما قال بناء على أن الظهار والإيلاء كانا من طلاق الجاهلية فقال لها: ما أظنك إلي وقد حرمت علي فشق ذلك عليها فأتت رسول الله ﷺ وعائشة رضي الله عنها تغسل شق رأسه فقالت: «يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت أبو ولدي وابن عمي وأحب الناس إلي ظاهر مني وما ذكر طلاقاً وقد ندم على فعله فهل من شيء يجمعني وإياه فقال عليه السلام: ما أراك إلا وقد حرمت عليه فقالت: لا تقل ذلك يا رسول الله وذكرت فاقتها ووحدتها بتفاني أهلها وأن لها صبية صغاراً فقالت إن ضممتهم إلي جاعوا وإن ضممتهم إلى أبيهم ضاعوا فأعاد النبي عليه السلام قوله الأول وهو حرمت عليه فجعلت تراجع رسول الله مقالتها الأولى وكلما قال لها رسول الله حرمت عليه هتفت وقالت: أشكو إلى الله مما لقيت من زوجي حال فاقتي ووحدتي وقد طالت معه صحبتي ونفضت له بطني تريد بذلك

أني قد بلغت عنده سن الكبر وصرت عقيماً لا ألد بعد وكانت في كل ذلك ترفع رأسها إلى السماء على ما هو عادة الناس استنزالاً للأمر الإلهي من جانب العرش وتقول: اللهم أنزل على لسان نبيك فقامت عائشة تغسل الشق الآخر من رأسه عليه السلام وهي ما زالت في مراجعة الكلام مع رسول الله وبث الشكوى إلى الله حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات الأربع سمعاً لدعائها وقبولاً لشكواها فكانت سبباً لظهور أمر الظهار» وفي قد إشعار بأن الرسول والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله حكم الحادثة ويفرج عنها كربها لأنها إنما تدخل على ماض متوقع. ﴿**والله يسمع تحاوركما**﴾ أي يعلم تراجعكما الكلام وتخاطبكما وتجاوبكما في أمر الظهار فإن التحاور بمعنى التجاوب وهو رجع الكلام وجوابه يعني يكديكر را جواب دادن. من الحور بمعنى الرجوع وذلك كان برجوع الرسول إلى الحكم بالحرمة مرة بعد أخرى ورجوع المجادلة إلى طلب التحليل كذلك ومثله المحاورة في البحث ومنه قولهم في الدعاء: نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي الرجوع إلى النقصان بعد الوصول إلى الزيادة أو إلى الوحشة بعد الأنس، وقال الراغب: الحور التردد إما بالذات وإما بالتفكر وقيل: نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي من التردد في الأمر بعد المضي فيه أو من نقصان وتردد في الحال بعد الزيادة فيها وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب مع أفضل البريات تغليب إذ القياس تحاورها وتحاورك تشريفاً لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فإن إلحافها في المسألة ومبالغتها في التضرع إلى الله ومدافعته عليه السلام إياها بجواب منبىء عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الإجابة، وفي «كشف الأسرار»: ليس هذا تكراراً لأن الأول لما حكته عن زوجها والثاني لما كان يجري بينها وبين رسول الله لأن الأول ماض والثاني مستقبل ﴿**إن الله سميع بصير**﴾ مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته أن يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع رأسها إلى السماء وسائر آثار التضرع:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... ولئن رددت فأي باب أقرع
حاشى للطفك أن تقنط عاصياً ... الفضل أجزل والمواهب أوسع

وفي الآية دليل على أن من انقطع رجاؤه عن الخلق ولم يبق له في مهمه أحد سوى ربه وصدق في دعائه وشكواه كفاه الله ذلك ومن كان أضعف فالرب به ألطف:

دعاى ضعيفان اميد وار ... زبازوى مردى به آيد بكار

وفيها أن من استمع الله ورسوله والورثة إلى كلامه فسائر الناس أولى.

ـ روي ـ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بهذه المرأة في خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلاً ووعظته وقالت: يا عمر قد كنت تدعى عميراً ثم قيل لك عمر ثم قيل لك أمير المؤمنين فاتقِ الله يا عمر فإنه من أيقن الموت خاف الفوت ومن أيقن الحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له: يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف الطويل؟ فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره ما زلت إلا للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلب سمع الله قولها من فوق سبع سموات أيسمع

رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وهذه الفوقية لا يلزم منها الجهة لأن الله هو العلي المتعال فاعرف ثم إنه من أكبر الذنوب أن يقول الرجل لأخيه اتقِ الله فيقول في جوابه عليك نفسك أي الزم نفسك أنت تأمرني بهذا وذلك لأنه إذا ذكر اسم الله يلزم التعظيم له سواء صدر من مسلم أو كافر وأعلم الناس لا يستغني عن تنبيه وإيقاظ:

بكوى آنچه دانى سخن سود مند وكر هيچ كس رانيايد پسند

يقال: اللائق بالعاقل أن يكون كالنحل يأخذ من كل شيء ثم يخرجه عسلاً فيه شفاء من كل داء وشمعاً له منافع لا سيما الضياء فطالب الحكمة يأخذها من كل مقام سواء قعد أو قام «المرء لولا عُرفه فهو الدمى. والمسك لولا عَرفه فهو الدم» العرف الأول بالضم بمعنى المعروف والثاني بالفتح الرائحة والدمى بضم الدال وفتح الميم جمع دمية وهي الصورة المنقشة من رخام أو عاج.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾

﴿**الذين يظاهرون منكم**﴾ أيها المؤمنون فلا يلحق بهم الذمي لأنه ليس من أهل الكفارة لغلبة جهة العبادة فيها فلا يصح ظهاره ﴿**من نسائهم**﴾ هذا شروع في بيان الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعاً بطريق الاستئناف والظهار لغة مصدر ظاهر الرجل أي قال لزوجته: أنت علي كظهر أمي والظهر العضو والجارحة ويعبر عن البطن بالظهر أي أنت علي حرام كبطن أمي فكنى عن البطن بالظهر الذي هو عمود البطن لئلا يذكر ما يقارب الفرج تأدباً ثم قيل ظاهر من امرأته فعدي بمن لتضمين معنى التجنب لاجتناب أهل الجاهلية من المرأة المظاهر منها إذ الظهار طلاق عندهم كما مر في قولهم: آلى منها لما ضمنه من معنى التباعد من الألية بمعنى الحلف وفي القرآن: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] أي بعدني وإياهم من عبادة الأصنام فمعنى البعد إنما هو في الاجتناب ونحوه المتعدي بمن لأن معنى الابتداء الذي هو معنى من لا يخلو عن البعد فإن من معاني عن لا من ثم إنه ألحق الفقهاء بالظهر نحو البطن والفخذ والفرج مما يحرم النظر إليها من الأم فمن قال أنت علي كبطن أمي أو فخذها أو فرجها كان ظهاراً بخلاف مثل اليد أو الرجل وكذا ألحقوا بالأم سائر المحارم فلو وضع المظاهر مكان الأم ذات رحم محرم منه من نسب كالخالة والعمة أو رضاع أو صهر كان ظهاراً مثل أن يقول: أنت عليه كظهر خالتي أو عمتي أو أختي نسباً أو رضاعاً أو كظهر امرأة ابني أو أبي ولو شبهها بالخمر والخنزير أو الدم أو الميتة أو قتل المسلم أو الغيبة أو النميمة أو الزنى أو الربا أو الرشوة فإنه ظهار إذا نوى وفي أنت علي كأمي صح نية الكرامة أي استحقاق البر فلا يقع طلاق ولا ظهار وصح نية الظهار بأن يقصد التشبيه بالأم في الحرمة فيترتب عليه أحكام الظهار لا غير ونية الطلاق بأن يقصد إيجاب الحرمة فإن لم ينو شيئاً لغا وأنت علي حرام كأمي صح فيه ما نوى من ظهار أو طلاق أو إيلاء ولو قال أنت أمي أو أختي أو بنتي بدون التشبيه فهو ليس بظهار يعني إن قال: إن فعلت كذا فأنت أمي وفعلته فهو باطل وإن نوى التحريم ولو قالت لزوجها: أنت علي كظهر أمي فإنه ليس بشيء وقال الحسن إنه يمين وفي إيراد منكم مع كفاية من نسائهم

مزيد توبيخ للعرب وتقبيح لعادتهم في الظهار فإنه كان من أيمان جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم فلا يليق بهم بعد الإسلام أن يراعوا تلك العادة المستهجنة فكأنه قيل منكم على عادتكم القبيحة المستنكرة ويحتمل أن يكون لتخصيص نفع الحكم الشرعي للمؤمنين بالقبول والاقتداء به أي منكم أيها المؤمنون المصدقون بكلام الله المؤتمرون بأمر الله إذ الكافرون لا يستمعون الخطاب ولا يعملون بالصواب وفي من نسائهم إشارة إلى أن الظهار لا يكون في الأمة ومن ذلك قالوا: إن للظهار ركناً وهو التشبيه المذكور وشرطاً وهو أن يكون المشبه منكوحة حتى لا يصح من الأمة وأهلاً وهو من كان من أهل الكفارة حتى لا يصح للذمي والصبي والمجنون وحكماً وهو حرمة الوطء حتى يكفر مع بقاء أصل الملك. ﴿**ما هن أمهاتهم**﴾ خبر للموصول أي ما نساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت يعني أن من يقول لامرأته أنت علي كظهر أمي ملحق في كلامه هذا للزوج بالأم وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين وكانوا يريدون بالتشبيه الحرمة في المظاهر منها كالحرمة في الأم تغليظاً وتشديداً فإن قيل فحاصل الظهار مثلاً أنت محرمة علي كما حرمت علي أمي وليس فيه دعوى الأمومة حتى تنفي وتثبت للوالدات يقال: إن ذلك التحريم في حكم دعوى الأمومة أو أن المراد نفي المشابهة لكن نفي الأمومة للمبالغة فيه. ﴿**إن**﴾ نافية بمعنى ما ﴿**أمهاتهم**﴾ في الحقيقة والصدق. ﴿**إلا اللائي**﴾ جمع التي أي النساء اللاتي ﴿**ولدنهم**﴾ أي: ولدن المظاهرين فلا تشبه بهن في الحرمة إلا من ألحقها الشرع بهن من أزواج النبي عليه السلام والمرضعات ومنكوحات الآباء لكرامتهن وحرمتهن فدخلن بذلك في حكم الأمهات وأما الزوجات فأبعد شيء من الأمومة فلا تلحق بهن بوجه من الوجوه. ﴿**وإنهم**﴾ أي: وإن المظاهرين منكم ﴿**ليقولون**﴾ بقولهم ذلك. ﴿**منكراً من القول**﴾ على أن مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فإن أمر محقق بل كونه منكراً أي عند الشرع وعند العقل والطبع أيضاً كما يشعر به تنكيره وذلك لأن زوجته ليست بأمه حقيقة ولا ممن ألحقه الشرع بها فكان التشبيه بها إلحاقاً لأحد المتباينين بالآخر فكان منكراً مطلقاً غير معروف. ﴿**وزوراً**﴾ أي: كذباً باطلاً منحرفاً عن الحق فإن الزور بالتحريك الميل فقيل للكذب زور بالضم لكونه مائلاً عن الحق قال بعضهم: ولعل قوله وزوراً من قبيل عطف السبب على المسبب فإن قلت قوله أنت علي كظهر أمي إنشاء لتحريم الاستمتاع بها وليس بخبر والإنشاء لا يوصف بالكذب قلت هذا الإنشاء يتضمن إلحاق الزوجة المحللة بالأم المحرمة أبداً وهذا إلحاق مناف لمقتضى الزوجية فيكون كاذباً وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت» رواه البخاري قال بعضهم: لما كان مبنى طلاق الجاهلية الأمر المنكر الزور لم يجعله الله طلاقاً ولم تبق الحرمة إلا إلى وقت التكفير وقال: الظهار الذي هو من طلاق الجاهلية إن كان في الشرع بمقدار من الزمان أولاً طلاقاً كانت الآية ناسخة وإلا فلا لأن النسخ إنما يدخل في الشرائع وما قال عليه السلام إنها حرمت فلا يعين شيئاً من الطرفين إلا أن بعض المفسرين جعله مؤيداً للوجه الأول. ﴿**وإن الله لعفو غفور**﴾ أي مبالغ في العفو والمغفرة لما سلف منه على الإطلاق على المذهب الحق أو بالمناب عنه على مذهب الاعتزال وذلك أن ما دون الشرك حكمه موكول إلى مشيئة

الله إن شاء يغفره وإن لم يتب العبد عنه وإن شاء يغفره بعد التوبة وأما إذا لم يتب عنه فعذبه عليه فإنما يعذبه على حسب ذنبه لكن الظاهر هنا الحث على التوبة لكون الكلام في ذم الظهار وإنكاره.

﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ اللام وإلى يتعاقبان كثيراً نحو يهدي للحق وإلى الحق فالمعنى والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون إلى ما قالوا وإلى ما فات عنهم بسببه من الاستمتاع بالتدارك والتلافي بالتقرر والتكرر، ومنه قولهم عاد الغيث على ما أفسد أي تداركه بإصلاح فإفساده إمساكه وإصلاحه إحياؤه ففيه إطلاق اسم السبب على المسبب فإن العود إلى الشيء من أسباب التدارك والوصول إليه فيكون مجازاً مرسلاً، قال ابن الشيخ: العود يستعمل على معنيين أحدهما أن يصير إلى شيء قد كان عليه قبل ذلك فتركه فيكون بمعنى الرجوع إلى ما فارق عنه والآخر أن يصير ويتحول إلى شيء وإن لم يكن على ذلك قبل والعود بهذا المعنى لا يلزم أن يكون رجوعاً إلى ما فارق عنه والعود الذي هو سبب للتدارك والوصول هو العود بهذا المعنى وهو العود إلى شيء مطلقاً فحاصل المعنى، ثم يعودون إلى تدارك ما قالوا ودفع ما لزم عليهم به من الفساد من حرمة الحلال ويجوز أن يكون المعنى ثم يريدون العود إلى ما حرموا على أنفسهم بلفظ الظهار من الاستمتاع ففيه تنزيل للقول منزلة المقول فيه. **﴿فتحرير رقبة﴾** التحرير جعل الإنسان حراً وهو خلاف العبد والرقبة ذات مرقوق مملوك سواء كان مؤمناً أو كافراً ذكراً أو أنثى صغيراً أو كبيراً هندياً أو رومياً فالمعنى فتداركه أو فالواجب إعتاق رقبة أي رقبة كانت وإن كان تحرير المؤمن أولى والصالح أحسن فيعتقها مقروناً بالنية وإن كان محتاجاً إلى خدمتها فلو نوى بعد العتق أو لم ينو لم يجزىء وإن وجد ثمن الرقبة وهو محتاج إليه فله الصيام كما في «الكواشي» ولا يجزىء أم الولد والمدبر والمكاتب الذي أدى شيئاً فإن لم يؤد جاز ويجب أن تكون سليمة من العيوب الفاحشة بالإنفاق وعند الشافعي يشترط الإيمان قياساً على كفارة القتل كما قال تعالى ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] قلنا حمل المطلق على المقيد إنما هو عند اتحاد الحادثتين واتحاد الحكم أيضاً وهنا ليس كذلك والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار لأن تكرر السبب يوجب تكرر المسبب كقراءة آية السجدة في موضعين فلو ظاهر من امرأته مرتين أو ثلاثاً في مجلس واحد أو مجالس متفرقة لزمه بكل ظهار كفارة. **﴿من قبل أن يتماسا﴾** أي من قبل أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعاً وتقبيلاً ولمساً ونظراً إلى الفرج بشهوة وذلك لأن اسم التماس يتناول الكل وإن وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه أن يستغفر لأنه ارتكب الحرام ولا يعود حتى يكفر وليس عليه سوى الكفارة الأولى بالإنفاق وإن أعتق بعض الرقبة، ثم مس عليه أن يستأنف عند أبي حنيفة رحمه الله ولا تسقط الكفارة بل يأتي بها على وجه القضاء كما لو أخر الصلاة عن وقتها فإنه لا يسقط عنه إتيانها بل يلزمه قضاؤها وفي الآية دليل على أن المرأة لا يسعها أن تدع الزوج أن يقربها قبل الكفارة لأنه نهاهما جميعاً عن المسيس قبل الكفارة، قال القهستاني: لها مطالبة التكفير والحاكم يجبر عليه بالحبس ثم بالضرب فالنكاح باق والحرمة لا تزول إلا بالتكفير وكذا لو طلقها ثم تزوجها بعد العدة أو زوج آخر حرم وطأها قبل التكفير ثم العود الموجب لكفارة الظهار عند أبي حنيفة رحمه الله هو العزم على جماعها فمتى عزم على ذلك لم تحل له حتى يكفر ولو ماتت بعد مدة قبل أن يكفر

سقطت عنه الكفارة لفوت العزم على جماعها. ﴿**ذلكم**﴾ أي: الحكم بالكفارة أيها المؤمنون ﴿**توعظون به**﴾ الوعظ زجر يقترن بتخويف، أي تزجرون به من ارتكاب المنكر المذكور فإن الغرامات مزاجر من تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان أن المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والحاصل أن في المؤاخذة الدنيوية نفعاً لكل من المظاهر وغير المظاهر بأن يحصل للمظاهر الكفارة والتدارك ولغير المظاهر الاحتياط والاجتناب كما قيل:

نرود مرغ سوى دانه فراز   چون دكر مرغ بيند اندر بند

﴿**والله بما تعملون**﴾ من جناية الظهار والتكفير ونحو ذلك من قليل وكثير. ﴿**خبير**﴾ أي: عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

﴿**فمن لم يجد**﴾ أي: فالمظاهر الذي لم يجد الرقبة وعجز عنها بأن كان فقيراً وقت التكفير وهو من حين العزم إلى أن تقرب الشمس من الغروب من اليوم الأخير مما صام فيه من الشهرين فلا يتحقق العجز الحقيقي إلا به والاعتبار بالمسكن والثياب التي لا بد منها فإن المعتبر في ذلك هو الفضل والذي غاب ماله فهو واجد: ﴿**فصيام شهرين**﴾ أي: فعليه صيام شهرين ﴿**متتابعين**﴾ ليس فيهما رمضان ولا الأيام الخمسة المحرم صومها أي يوما العيد وأيام التشريق فيصلهما بحيث لا يفصل يوماً عن يوم ولا شهراً عن شهر بالإفطار فإن أفطر فيهما يوماً أو أكثر بعذر أو بغير عذر استأنف ولم يحسب ما صام إلا بالحيض كما سيجيء. ﴿**من قبل أن يتماسا**﴾ ليلاً أو نهاراً عمداً أو خطأ ولو جامع زوجة أخرى ناسياً لا يستأنف ولو أفطرت المرأة للحيض في كفارة القتل أو الفطر في رمضان لا تستأنف لكنها تصل صومها بأيام حيضها ثم إنه إن صام بالأهلة أجزأه وإن صام ثمانية وخمسين بأن كان كل من الشهرين ناقصاً وإن صامها بغيرها فلا بد من ستين يوماً حتى لو أفطر صبيحة تسعة وخمسين وجب عليه الاستئناف.
﴿**فمن لم يستطع**﴾ أي الصيام بسبب من الأسباب كالهرم والمرض المزمن أي الممتد الغير المرجو برؤه فإنه بمنزلة العاجز من كبر السن وإن كان يرجى برؤه واشتدت حاجته إلى وطء امرأته فالمختار أن ينتظر البرء حتى يقدر على الصيام ولو كفر بالإطعام ولم ينتظر القدرة على الصيام أجزأه ومن الأعذار الشبق المفرط وهو أن لا يصبر على الجماع فإنه عليه السلام رخص للأعرابي أن يعطي الفدية لأجله. ﴿**فإطعام ستين مسكيناً**﴾ الإطعام جعله الغير طاعماً ففيه رمز إلى جواز التمليك والإباحة في الكفارة والمسكين ويفتح ميمه من لا شيء له أو له ما لا يكفيه وأسكنه الفقر أي قلل حركته والذليل والضعيف كما في «القاموس» قال القهستاني في «شرح مختصر الوقاية»: قيد المسكين اتفاقي لجواز صرفه إلى غيره من مصارف الزكاة.

يقول الفقير: إنما خص المسكين بالذكر لكونه أحق بالصدقة من سائر مصارف الزكاة كما ينبىء عنه ما سبق آنفاً من تفسير «القاموس» وإطعام ستين مسكيناً يشمل ما كان حقيقياً وحكمياً بأن يطعم واحداً ستين يوماً فإنه في حكم ستين مسكيناً وإن أعطاه في يوم واحد وبدفعات لا

يجوز على الصحيح فيطعم لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاعاً من غيره كما في الفطرة والصاع أربعة أمداد ونصفه مدان ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف إن مس في خلال الإطعام لأن الله تعالى لم يذكر التماس مع الإطعام هذا عند أبي حنيفة رحمه الله وأما عند الآخرين فالإطعام محمول على المقيد في العتق والصيام ويجوز دفع الكفارة لكافر وإخراج القيمة عند أبي حنيفة رحمه الله خلافاً للثلاثة وفي الفقه هذا إذا كان المظاهر حراً فلو كان عبداً كفر بالصوم وإن أعطاه المولى المال وليس له منعه عن الصوم فإن أعتق وأيسر قبل التكفير كفر بالمال ﴿**ذلك**﴾ أي ذلك البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها واقع أو فعلنا ذلك. ﴿**لتؤمنوا بالله ورسوله**﴾ وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم. إن قيل إذا كان ترك الظهار مفروضاً فما بال الفقهاء يجعلونه باباً في الفقه، أجيب بأن الله وإن أنكر الظهار وشنع على من تعود به من الجاهلين إلا أنه تعالى وضع له أحكاماً يعمل بها من ابتلي به من الغافلين فبهذا الاعتبار جعلوه باباً ليبينوا تلك الأحكام وزادوا قدر ما يحتاج إليه مع أن المحققين قالوا: إن أكثر الأحكام الشرعية للجهال فإن الناس لو احترزوا عن سوء المقال والفعال لما احتيج إلى تكثير القيل والقال، ودلت الآية على أن الظهار أكثر خطأ من الحنث في اليمين لكون كفارته أغلظ من كفارة الحنث واللام في لتؤمنوا للحكمة والمصلحة لأنها إذا قارنت فعل الله تكون للمصلحة لأنه الغني المطلق وإذا قارنت فعل العبد تكون للغرض لأنه المحتاج المطلق فأهل السنة لا يقولون لتلك المصلحة غرضاً إذ الغرض في العرف ما يستكمل به طالبه استدفاعاً لنقصان فيه يتنفر عنه طبعه والله منزه عن هذا بلا خلاف، والمعتزلة يقولون بناء على أنه هو الشيء الذي لأجله يراد المراد ويفعل عندهم ولو قلنا بهذا المعنى لكنا قائلين بالغرض وهم لو قالوا بالمعنى لما كنا قائلين به. ﴿**وتلك**﴾ إشارة الأحكام المذكورة من تحريم الظهار وإيجاب العتق للواجد وإيجاب الصوم لغير الواجد إن استطاع وإيجاب الإطعام لمن لم يستطع. ﴿**حدود الله**﴾ التي لا يجوز تعديها وشرائعه الموضوعة لعباده التي لا يصح تجاوزها إلى ما يخالفها جمع حد وهو في اللغة المنع والحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وحد الزنى وحد الخمر سمي بذلك لكونه مانعاً لمتعاطيه عن المعاودة لمثله وجميع حدود الله على أربعة أضرب إما شيء لا يجوز أن يتعدى بالزيادة عليه وإلا القصور عنه كأعداد ركعات صلاة الفرض وإما شيء يجوز الزيادة عليه ولا يجوز النقصان منه وإما شيء يجوز النقصان منه ولا يجوز الزيادة عليه وإما شيء يجوز الزيادة عليه والنقصان منه كما في «المفردات». ﴿**وللكافرين**﴾ أي الذين لا يعملون بها ولا يقبلونها ﴿**عذاب أليم**﴾ عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] يعني أن إطلاق الكفر لتأكيد الوجوب والتغليظ على تارك العمل لا لأنه كفر حقيقة كما يزعمه الخوارج قال بعضهم في قوله عليه السلام: «من ترك الصلاة فقد كفر» أي قارب الكفر يقال: دخل البلدة لمن قاربها قال في «برهان القرآن» قوله: ﴿**وللكافرين عذاب أليم**﴾ وبعده ﴿**وللكافرين عذاب مهين**﴾ لأن الأول متصل بضده وهو الإيمان فتوعدهم على الكفر العذاب الأليم هو جزاء الكافرين والثاني متصل بقوله: ﴿**كبتوا**﴾ وهو الإذلال والإهانة فوصف العذاب مثل ذلك فقال: ﴿**وللكافرين عذاب مهين**﴾ انتهى والأليم بمعنى المؤلم أي الموجع كالبديع بمعنى المبدع أو بمعنى المتألم لكن أسند مجازاً إلى العذاب مبالغة كأنه في الشدة بدرجة تتألم بها

نفسه وفي إثبات العذاب للكافرين حث للمؤمنين على قبول الطاعة ولما نزلت هذه الآيات الأربع تلاها عليه السلام فقال لأوس بن الصامت رضي الله عنه: «هل تستطيع عتق رقبة قال: إذن يذهب جل مالي. قال: فصيام شهرين متتابعين قال: يا رسول الله إذا لم آكل اليوم ثلاث مرات كَلَّ بصري وخشيت أن تعشو عيني قال: فإطعام ستين مسكيناً قال: لا إلا أن تعينني عليه قال: أعينك بخمسة عشر صاعاً وأنا داع لك بالبركة وتلك البركة بقيت في آله» كما في «عين المعاني».

يقول الفقير: في وجوه الأحكام المذكورة إما وجه العتق فلأن العاصي استحق النار بعصيانه العظيم فجعل عتق المملوك فداء لنفسه من النار كما قال عليه السلام: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب منها إرباً منه من النار» ودل تقييد الرقبة بالمؤمنة على أفضلية إعتاق المؤمن وأيضاً أن ثمن العبد أكثر غالباً من فدية الإطعام والمال يعد من النفس لشدة علاقة النفس به ففي بذله تخليص لها من رذيلة البخل وتنحية لها عن النار وأما الوجه في الصيام فلأن الأصل فيه صيام شهر رمضان وهو ثلاثون يوماً ففي صيام ستين يوماً تضعيف المشقة وتشديد المحنة على النفس، وأما الوجه في إطعام المساكين أما في نفس الإطعام فلأن الصوم التخلق بوصف الصمدية فإذا فات عنه ذلك لزوم المعالجة بضده وهو الإطعام لأن في بذل المال إذابة النفس كما في الصوم ومن هذا يعرف سر التنزيل من الرقبة إلى الصوم، ثم منه إلى الإطعام وأما في عدد المساكين فلأن الإطعام بدل من الصيام وخلف له فروعي فيه من العدد ما روعي في الصيام ويجوز أن يقال إن الله تعالى خلق آدم عليه السلام من ستين نوعاً من طبقات الأرض فأمر بإطعام ستين مسكيناً من أولاد آدم حتى تقع المكافأة لجميع أولاده لأنه لا يخرج أحد منهم عن هذه الستين نوعاً وأيضاً سر العدد كون عمر هذه الأمة بين الستين والسبعين فمن راعى العدد فكأنما عبد الله ستين سنة التي هي مبلغ عمره ومنتهى أمده بحسب الغالب فيتخلص من النار ولكن فيه إشارة إلى فضيلة الوقت فإنه إذا فات العمل من محله لا ينجبر بالقضاء بكماله الأولى بل يصير ساقطاً عن درجة الكمال الأولى بستين درجة ولذا وجب صيام ستين وإطعامها. قال المولى الجامي:

هردم از عمر كرامى هست كنج بي بدل   ميرود كنجى چنين هر لحظه برباد آخ آخ

وقال الشيخ سعدي:

مكن عمر ضايع بافسوس وحيف   كه فرصت عزيز ست والوقت سيف

وفي الآية إشارة إلى أن النفس مطية الروح وزوجته فإذا ظاهر زوج الروح من زوجة النفس بقطع الاستمتاع عنها لغلبة الروحانية عليها ثم بحسب الحكمة الإلهية المقتضية لتعلق زوج الروح مع زوجة النفس أراد أن يستمتع منها فعلى زوج الروح يجب من طريق الكفارة تحرير رقبة عن ذلك الاستمتاع والتصرف فيها بأن لا يستمتع ولا يتصرف فيها إلا بأمر الحق ومقتضى حكمته لا بمقتضى طبعه ومشتهيات هواه فإنه لا يجوز له وعلى تقدير شدة اشتباك زوج الروح بزوجة النفس وقوة ارتباطهما الذاتية ارتباط الراكب بالمركوب وارتباط ربان السفينة بالسفينة إن لم يقدر على تحرير رقبة عن هذا الارتباط فيجب على زوج الروح أن يصوم شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا يعني أن يمسك نفسه عن الالتفات إلى الكونين على الدوام والاستمرار من غير تخلل التفات وإن لم يتمكن من قطع هذا التفات لبقاء بقية من بقايا أنانيته

فيه فيجب عليه إطعام ستين مسكيناً من مساكين القوى الروحانية المستهلكة تحت سلطنة النفس وصفاتها ليقيمهم على التخلق بالأخلاق الإلهية والتحقق بالصفات الروحانية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾

﴿**إن الذين يحادون الله ورسوله**﴾ أي: يعادونهما ويشاقونهما وكذا أولياء الله فإن من عادى أولياء الله فقد عادى الله وذلك لأن كلاً من المتعاديين كما أنه يكون في عدوة وشق غيره عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير أن لورود المحادة في أثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه وبالفارسية مخالفت ميكنند باخدا ورسول او از حدود امر ونهي تجاوز مينمايند. وقال بعضهم: المحادة مفاعلة من لفظ الحديد والمراد المقابلة بالحديد سواء كان في ذلك حديد حقيقة أو كان ذلك منازعة شديدة شبيهة بالخصومة بالحديد وقال بعضهم في معنى الآية يحادون أي يضعون أو يختارون حدوداً غير حدودهما ففيه وعيد عظيم للملوك والأمراء السوء الذين وضعوا أموراً خلاف ما حده الشرع وسموها القانون ونحوه:

پادشاهى كه طرح ظلم افكند   پاى ديوار ملك خويش بكند

﴿**كبتوا**﴾ أي أخزوا يعني خوار ونكو نسار كرده شوند. وفي «المفردات»: الكبت الرد بعنف وتذليل وفي «القاموس»: كبته يكبته صرعه وأخزاه وصرفه وكسره ورد العدو بغيظه وأذله قال ابن الشيخ وهو يصلح لأن يكون دعاء عليهم وإخباراً عما سيكون بالماضي لتحققه أي سيكبتون ويدخل فيهم المنافقون والكافرون جميعاً أما الكافرون فمحادتهم في الظاهر والباطن وأما المنافقون ففي الباطن فقط. ﴿**كما كبت الذين من قبلهم**﴾ من كفار الأمم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام مثل أقوام نوح وهود وصالح وغيرهم. وكان السري رحمه الله يقول: عجبت من ضعيف عصى قوياً فيقال له: كيف ذلك ويقول ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] ﴿**وقد أنزلنا آيات بينات**﴾ حال من واو كبتوا أي كبتوا لمحادتهم والحال إنا قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الأمم وفيما فعلنا بهم أو آيات بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به والسؤال بأن الإنزال نقل الشيء من الأعلى إلى الأسفل وهو إنما يتصور في الأجسام والآيات التي هي من الكلام من الإعراض الغير القارة فكيف يتصور الإنزال فيها مجاب عنه بأن المراد منه إنزال من يتلقف من الله ويرسل إلى عباده تعالى فيسند إليها مجازاً لكونها المقصودة منه أو المراد منه الإيصال والإعلام على الاستعارة. ﴿**وللكافرين**﴾ بتلك الآيات أو بكل ما يجب الإيمان به. ﴿**عذاب مهين**﴾ يذهب بعزهم وكبرهم من الإهانة بمعنى التحقير والمراد عذاب الكبت الذي هو في الدنيا فيكون ابتداء كلام أو عذاب الآخرة فيكون للعطف بمعنى أن لهم الكبت في الدنيا ولهم عذاب مهين في الآخرة فهم معذبون في الدارين قال بعضهم: وصف الله العذاب الملحق بالكافرين أولاً بالإيلام وثانياً بالإهانة لأن الإيلام يلحق بهم أولاً ثم يهانون به وإذا كانت الإهانة ما في الآخرة فالتقديم ظاهر وقد سبق غير هذا، وفي الآية إشارة إلى أن من يعادون مظاهر الله وهم الأولياء المتحققون بالله

المجتمعون بأسماء الله ويشاققون مظاهر رسوله وهم العلماء القائمون بأحكام الشرائع حجوا وأفحموا بأبلغ الحجج وأظهر البراهين من الكرامات الظاهرة ونشر العلوم الباهرة وكيف لا وقد أنزلنا بصحة ولايتهم وآثار وراثتهم آيات بينات فمن سترها بستائر ظلمات إنكاره فله عذاب القطيعة الفظيعة والإهانة من غير إبانة.

﴿**يوم يبعثهم الله**﴾ منصوب باذكر المقدر تعظيماً لليوم وتهويلاً له والمراد يوم القيامة أي يحييهم الله بعد الموت للجزاء ﴿**جميعاً**﴾ أي: كلهم بحيث لا يبقى منهم أحد غير مبعوث فيكون تأكيداً للضمير أو مجتمعين في حالة واحدة فيكون حالاً منه. ﴿**فينبئهم بما عملوا**﴾ من القبائح ببيان صدورها منهم أو بتصويرها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد وتخجيلاً لهم وتشهيراً لحالهم وتشديداً لعذابهم وإلا فلا فائدة في نفس الإنباء لينبهوا على ما صدر منهم. ﴿**أحصاه الله**﴾ كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهي أعراض منقضية متلاشية فقيل: أحصاه الله أي أحاط به عدداً وحفظه كما عمله لم يفت منه شيء ولم يغب، قال الراغب: الإحصاء التحصيل بالعدد يقال أحصيت كذا وذلك من لفظ الحصى واستعمال ذلك فيه لأنهم كانوا يعتمدون اعتمادنا فيه على الأصابع، وقال بعضهم: الإحصاء عد بإحاطة وضبط إذ أصله العدد بآحاد الحصى للتقوى في الضبط فهو أخص من العد لعدم لزوم الإحاطة فيه ﴿**ونسوه**﴾ أي والحال أنهم قد نسوه لكثرته أو لتهاونهم حين ارتكبوه لعدم اعتقادهم ﴿**والله على كل شيء شهيد**﴾ لا يغيب عنه أمر من الأمور فالشهيد بمعنى الشاهد من الشهود بمعنى الحضور وكفته اندكواهست ومناسب آن مكافات خواهد فرمود وكسى كواهى اورد نتواند كرد.

حاكم ز حكم دم نزندكر كواه نيست حاكم كه خود كواه بود قصه مشكلست

فلا بد من استحضار الذنوب والبكاء عليها وطلب التوبة من الله الذي يحصي كل شيء ولا ينساه قبل أن يجيء يوم يفتضح فيه المصر على رؤوس الأشهاد ولا يقبل الدعاء والمعذرة من العباد.

واعلم أن القول بأنه تعالى شهيد قول بأنه حاضر لكن بالحضور العلمي لا بالحضور الجسماني فإنه منزه عن ذلك فقول من قال الله حاضر محمول على الحضور العلمي فلا وجه لإكفار قائله مع وجوده في القرآن.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

﴿**ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض**﴾ استشهاد على شمول شهوده تعالى والهمزة للإنكار المقرر بالرؤية لما أن الإنكار نفي معنى ونفي النفي يقرر الإثبات فتكون الرؤية ثابتة مقررة والخطاب للرسول عليه السلام أو لكل من يستحق الخطاب والمعنى ألم تعلم علماً يقينياً بمرتبة المشاهدة أنه تعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما.

ـ روي ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوماً يتحدثون فقال أحدهم: أترى الله يعلم ما نقول؟ فقال الآخر يعلم

بعضاً وقال الثالث إن كان يعلم بعضه فهو يعلم كله وصدق لأن من علم بعض الأشياء بغير سبب فقط علمها كلها لأن كونه عالماً بغير سبب ثابت له مع كل معلوم فنزلت الآية. **﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾** ما نافية ويكون تامة بمعنى يوجع ويقع ومن مقحم ونجوى فاعله وهو مصدر بمعنى التناجي كالشكوى بمعنى الشكاية يقال: نجاه نجوى ونجوى ساره كناجاه مناجاة والنجوى السر الذي يكتم اسم ومصدر كما في «القاموس» وأصله أن تخلو في نجوة من الأرض، أي مكان مرتفع منفصل بارتفاعه عما حوله كأن المتناجي بنجوة من الأرض لئلا يطلع عليه أحد والمعنى ما يقع من تناجي ثلاثة نفر ومسارتهم فالنجوى مصدر مضاف إلى فاعله. **﴿إلا هو﴾** أي الله تعالى **﴿رابعهم﴾** أي جاعلهم أربعة من حيث إنه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها كما قال الحسين النوري قدس سره: إلا هو رابعهم علماً وحكماً لا نفساً وذاتاً وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي ما يوجد في حال ما إلا في هذه الحال وفي الكلام اعتبار التصيير قال النصر أبادي: من شهد معية الحق معه زجره عن كل مخالفة وعن ارتكاب كل محذور ومن لا يشاهد معيته فإنه متخط إلى الشبهات والمحارم. **﴿ولا خمسة﴾** أي: ولا نجوى خمسة نفر **﴿إلا هو سادسهم﴾** أي: إلا وهو تعالى جاعلهم ستة في الاطلاع على ما وقع بينهم وتخصيص العددين بالذكر لخصوص الواقعة لأن المنافقين المجتمعين في النجوى كانوا مرة ثلاثة وأخرى خمسة ويقال: إن التشاور غالباً إنما يكون من ثلاثة إلى ستة ليكونوا أقل لفظاً وأجدر رأياً وأكتم سراً ولذا ترك عمر رضي الله عنه حين علم بالموت أمر الخلافة شورى بين ستة أي على أن يكون أمر الخلافة بين ستة ومشاورتهم واتفاق رأيهم وفي الثلاثة إشارة إلى الروح والسر والقلب وفي الخمسة إليها بإضافة النفس والهوى ثم عمم الحكم فقال: **﴿ولا أدنى من ذلك﴾** أي أقل مما ذكر كالاثنين والواحد فإن الواحد أيضاً يناجي نفسه وبالفارسية: ونه كمتر باشد ازسه عدد **﴿ولا أكثر﴾** كالستة وما فوقها **﴿إلا هو معهم﴾** أي الله مع المتناجين بالعلم والسماع يعلم ما يجري بينهم ولا يخفى عليه ما هم فيه فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المشاهدة والحضور معهم حضوراً جسمانياً **﴿أينما كانوا﴾** أي في أي مكان كانوا من الأماكن ولو كانوا تحت الأرض فإن علمه تعالى بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة قرباً وبعداً:

أين معيت درنيابد عقل وهوش   زين معيت دم مزن بنشين خموش
قرب حق بابنده دورست از قياس   بر قياس خود منه آنرا اساس

قال بعض العارفين: اكر مؤمنان امت احمدرا خود اين تشريف يودى كه رب العالمين درين سوره ميكويد كه **﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾** إلى قوله **﴿هو معهم﴾** تمام بودى أصحاب كهف را باجلال رتبت ايشان وكمال منزلت ميكويد. **﴿ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾** [الكهف: ٢٢] فانظر كم من فرق بين من كان الله رابعهم وسادسهم وبين من كان أخس الحيوانات رابعهم وسادسهم وحظية المؤمن من المعية أن يعلم أن الخير في أن يكون جليسه صالحاً وكلامه نافعاً ولا يتكلم بما لا طائل تحته فيكون عيباً في صحيفته وعبثاً في صحبته ومعية الله تعالى على العموم كما صرح به قوله تعالى: **﴿وهو معكم أينما كنتم﴾** ثم إنه قد يكون له تعالى معية مخصوصة ببعض عباده بحسب فيضه وإيصال لطفه إليه ونحو ذلك **﴿ثم ينبئهم بما عملوا﴾** أي يخبرهم بالذي عملوه في الدنيا. **﴿يوم القيامة﴾**

تفضيحاً لهم وإظهاراً لما يوجب عذابهم ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ لأن نسبة ذاته المقتضية للعلم إلى الكل سواء يعني نسبت علم أو باهمه معلومات يكسانست حالات أهل آسمانرا چنان داندكه حالات اهل زمين را وعلم أو بمخفيات أمور بدان وجه احاطه كندكه بجليات:

نهان وآشكارا هردو يكسانست بر علمت نه اين رازود تربينى نه آنرا ديد تردانى

من عرف أنه العالم بكل شيء راقبه في كل شيء واكتفى بعلمه في كل شيء فكان واثقاً به عند كل شيء ومتوجهاً له بكل شيء قال ابن عطاء الله: متى علمت عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم الله فيك فإن كان لا يقنعك علمه فيك فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم انتهى والتخلق بهذا الاسم تحصيل العلم وإفادته للمحتاجين إليه ومن أدمن ذكر يا علام الغيوب بصيغة النداء إلى أن يغلب عليه منه حال فإنه يتكلم بالمغيبات ويكشف ما في الضمائر وترقى روحه إلى أن يرقى في العالم العلوي ويتحدث بأمور الكائنات والحوادث قال الفقهاء: من قال بأن الله عالم بذاته أي لا عالم بعلمه قادر بذاته أي لا قادر بقدرته يعني لا يثبت له صفة العلم القائمة بذاته ولا صفة القدرة كالمعتزلة والجهمية يحكم بكفره لأن نفي الصفات الإلهية كفر قال الرهاوي: من أقر بوحدانية الله وأنكر الصفات كالفلاسفة والمعتزلة لا يكون إيمانه معتبراً كذا قالوا وفيه شيء بالنسبة إلى المعتزلة فإنهم من أهل القبلة ومن ثمة، قال في «شرح العقائد» والجمع بين قولهم لا يكفر أحد من أهل القبلة وقولهم بكفر من قال بخلق القرآن واستحالة الرؤية وسب الشيخين وأمثال ذلك مشكل انتهى.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿**ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه**﴾ نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتحلقون ثلاثة وخمسة ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم فنهاهم رسول الله عليه السلام ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة قال الخدري رضي الله عنه: «خرج عليه السلام ذات ليلة ونحن نتحدث فقال: هذه النجوى ألم تنهوا عن النجوى فقلنا: تبنا إلى الله إنا كنا في حديث الدجال قال: ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم منه هو الشرك الخفي» يعني المراءاة. ﴿**ويتناجون**﴾ وراز ميكويند ﴿**بالإثم والعدوان ومعصية الرسول**﴾ عطف على قوله: يعودون داخل في حكمه وبيان لما نهوا عنه لضرره في الدين أي بما هو إثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول والعدوان الظلم والجور والمعصية خلاف الطاعة. ﴿**وإذا جاؤوك**﴾ وچون برتو آنيد. يعني أهل النجوى ﴿**حيوك**﴾ ترا تحيت وسلام كنند والتحية في الأصل مصدر حياك على الإخبار من الحياة فمعنى حياك الله جعل لك حياة ثم استعمل للدعاء بها ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام فكل دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول حياة أو سبب حياة إما في الدنيا وإما في الآخرة.

﴿**بما لم يحيك به الله**﴾ أي بشيء لم يقع من الله أن يحييك به فيقولون السام عليك والسام بلغة اليهود. مرك است ياقتل بشمشير. وهم يوهمون أنهم يقولون: السلام عليك وكان عليه السلام يرد عليهم فيقول: عليكم بدون الواو ورواية وعليكم بالواو خطأ كذا في «عين المعاني» أو يقولون: أنعم صباحاً وهو تحية الجاهلية من النعومة أي ليصر صباحك ناعماً ليناً لا بؤس فيه والله سبحانه يقول: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصافات: ١٨١] واختلفوا في رد السلام على أهل الذمة فقال ابن عباس والشعبي وقتادة: هو واجب لظاهر الأمر بذلك وقال مالك: ليس بواجب فإن رددت فقل: عليك وقال بعضهم: يقول في الرد علاك السلام أي ارتفع عنك وقال بعض المالكية: يقول في الرد: السلام عليك بكسر السين يعني الحجارة. ﴿**ويقولون في أنفسهم**﴾ أي: فيما بينهم إذا خرجوا من عندك. ﴿**لولا يعذبنا الله بما نقول**﴾ لولا تحضيضية بمعنى هلا أي هلا يعذبنا الله ويغضب علينا ويقهرنا بجراءتنا على الدعاء بالشر على محمد لو كان نبياً حقاً ﴿**حسبهم**﴾ پس است ايشانرا ﴿**جهنم**﴾ عذاباً مبتدأ وخبر أي محسبهم وكافيهم جهنم في التعذيب من أحسبه إذا كفاه. ﴿**يصلونها**﴾ يدخلونها ويقاسون حرها لا محالة وإن لم يعجل تعذيبهم لحكمة والمراد الاستهزاء بهم والاستخفاف بشأنهم لكفرهم وعدم إيمانهم. ﴿**فبئس المصير**﴾ أي: جهنم قال في «برهان القرآن»: الفاء لما فيه من معنى التعقيب، أي فبئس المصير ما صاروا إليه وهو جهنم انتهى قال بعض المفسرين: وقولهم ذلك من جملة ما غفلوا عما عندهم من العلم فإنهم كانوا أهل كتاب يعلمون أن بعض الأنبياء قد عصاه أمته وآذوه ولم يعجل تعذيبهم لحكمة ومصلحة علمها عند الله تعالى انتهى. ثم إن الله يستجيب دعاء رسول الله عليه السلام كما روي أن عائشة رضي الله عنها سمعت قول اليهود فقالت: عليكم السام والذام واللعن فقال عليه السلام: «يا عائشة ارفقي فإن الله يحب الرفق في كل شيء ولا يحب الفحش والتفحش إلا سمعت ما رددت عليهم فقلت عليكم فيستجاب لي فيهم» وقس عليه حال الورثة الكاملين فإن أنفاسهم مؤثرة فمن تعرض لواحد منهم بالسوء فقد تعرض لسوء نفسه وفي «البستان»:

كزيرى بچاهى در افتاده بود ... كه از هول او شير نرماده بود
همه شب زفرياد وزراى نخفت ... يكى بر سرش كوفت سنكى وكفت
توهر كز رسيدى بفرياد كس ... كه ميخواهى امروز فرياد رس
كه بر جان ريشت نهد مرهمى ... كه جانها بنالد زدستت همى
تومارا همى چاه كندى براه ... بسر لا جرم بر فتادى بچاه

﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ بألسنتهم وقلوبهم ﴿**إذا تناجيتم**﴾ چون راز كوييد بايكديكره يعني في أنديتكم وخلواتكم. ﴿**فلا تتناجوا بالإثم والعدوان**﴾ كما يفعله المنافقون واليهود ﴿**وتناجوا بالبر والتقوى**﴾ أي: بما يتضمن خبر المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول قال سهل رحمه الله بذكر الله وقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ﴿**واتقوا الله الذي إليه تحشرون**﴾ وحده لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً فيجازيكم بكل ما تأتون وما تذرون. يعني بسوى أو جمع كرده خواهيد شد پس از موت. دلت الآية على أن التناجي ليس بمنهي عنه مطلقاً بل مأمور به في بعض الوجوه إيجاباً واستحباباً وإباحة على مقتضى المقام إن قيل كيف يأمر الله بالاتقاء عنه وهو المولى الرحيم والقرب منه ألذ المطالب والأنس به أقصى المآرب فالتقوى

توجب الاجتناب والحشر إليه يستدعي الإقبال إليه؟ يجاب بأن في الكلام مضافاً إذا التقدير واتقوا عذاب الله أو قهر الله أو غيرهما فإن قيل إن العبد لو قدر على الخلاص من العذاب والقهر لأسرع إليه لكنه ليس بقادر عليه كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧] والأمر إنما يكون بالمقدور لا يكلف الله نفساً إلا وسعها أجيب بأن المراد الاتقاء عن السبب من الذنوب والمعاصي الصادرة عن العبد العاصي، فالمراد واتقوا ما يفضي إلى عذاب الله ويقتضي قهره في الدارين من الإثم والعدوان ومعصية الرسول التي هي السبب الموجب لذلك فالمراد النهي عن مباشرة الأسباب والأمر بالاجتناب عنها إن قيل إن ذلك الاتقاء إنما يكون بتوفيق الله له فإن وفق العبد له فلا حاجة إلى الأمر به وإن لم يوفقه فلا قدرة له عليه والأمر إنما يحسن في المقدور أجيب بأنه تعالى علمه الحق أولاً ووهب له إرادة جزئية يقدر بها على اختيار شيء فله الاختيار السابق على إرادة الله تعالى ووجود الاختيار في الفاعل المختار أمر يطلع عليه كل أحد حتى الصبيان.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿**إنما النجوى**﴾ المعهودة التي هي التناجي بالإثم والعدوان بقرينة ليحزن. ﴿**من الشيطان**﴾ لا من غيره فإنه المزين لها والحامل عليها فكأنها منه ﴿**ليحزن الذين آمنوا**﴾ خبر آخر من الحزن بالضم بعده السكون متعد من الباب الأول لا من الحزن بفتحتين لازماً من الرابع كقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٦٨] فيكون الموصول مفعوله وفي «القاموس» الحزن بالضم ويحرك الهم والجمع أحزان وحزن كفرح وحزنه الأمر حزناً بالضم وأحزنه جعله حزيناً وحزنه جعل فيه حزناً وقال الراغب: الحزن والحزن خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيها من الغم ويضاده الفرح ولاعتبار الخشونة بالغم قيل: خشنت بصدره إذا أحزنته والمعنى إنما هي ليجعل الشيطان المؤمنين محزونين بتوهمهم أنها في نكبة أصابهم في سيرتهم يعني أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا متألمين بذلك فاترين في تدبير الغزو إلى غير ذلك مما يشوش قلوب المؤمنين وفي الحديث: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه» ﴿**وليس**﴾ أي الشيطان أو التناجي ﴿**بضارهم**﴾ بالذي يضر المؤمنين ﴿**شيئاً**﴾ من الأشياء أو شيئاً من الضرر. يعني ضرر رسانند مؤمنان بچيزى ﴿**إلا بإذن الله**﴾ أي بمشيئته وإرادته أي ما أراده من حزن أو وسوسة كما روي «أن فاطمة رضي الله عنها رأت كأن الحسن والحسين رضي الله عنهما أكلا من أطيب جزور بعثه رسول الله إليهما فماتا فلما غدت سألته عليه السلام وسأل هو جبريل ملك الرؤيا فقال: لا علم لي به فعلم أنه من الشيطان» وفي «الكشاف»: إلا بإذن الله أي بمشيئته وهو أن يقضي الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة قال في «الأسئلة المقحمة»: أين ضرر الحزن؟ قلت: إن الحزن إذا سلمت عاقبته لا يكون حزناً في الحقيقة وهذه نكتة أصولية إذ الضرر إذا كانت عاقبته الثواب لا يكون ضرراً في الحقيقة وهذه نكتة أصولية إذ الضرر إذا كانت عاقبته الثواب لا يكون ضرراً في الحقيقة والنفع إذا كانت عاقبته العذاب لا يكون نفعاً في الحقيقة. ﴿**وعلى الله**﴾ خاصة ﴿**فليتوكل المؤمنون**﴾ ليفوضوا أمورهم إليه وليثقوا به ولا يبالوا بنجواهم فإنه تعالى

يعصمهم من شرها وضررها. دكر بما سخن خصم تندخوى مكوى كه اهل مجلس مارا ازان حسابي نيست، وفي الآية إشارة إلى أن الشيطان يناجي النفس الأمارة ويزين لها المعارضات ونحوها ليقع القلب والروح في الحزن والاضطراب وضيق الصدر ويتقاعدان من شؤم المعارضة عن السير والطير في عالم الملكوت ويحرمان من مناجاة الله تعالى في عالم السر لكنهما محروسان برعاية الحق وتأييده ومنه يعلم أن كل مخالفة فهي في النفس والطبيعة والشيطان لأنها ظلمانية وأن كل موافقة فهي في القلب والروح والسر لأنها نورانية إلا أن يغلب عليها ظلمة أهل الظلمة وتختفي أنوارها تحت تلك الظلمة اختفاء نور الشمس تحت ظلمة السحاب الكثيف فليكن العبد على المعالجة دائماً لكن ينبغي له التوكل التام فإن المؤثر في كل شيء هو الله تعالى.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يعني المخلصين **﴿إذا قيل لكم﴾** من أي قائل كان من الإخوان. **﴿تفسحوا﴾** التفسح جاى فراخ كردن وفراخ نشتن در مجلس. وكذا الفسح لكن التفسح يعدى بفي والفسح باللام أي توسعوا ليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح أعني أي تنح وأنت في فسحة من دينك أي في وسعة ورخصة وفلان فسيح الخلق أي واسع الخلق. **﴿في المجالس﴾** قال في «الإرشاد» متعلق بقيل.

يقول الفقير: الظاهر أنه متعلق بقوله: تفسحوا لأن البيهقي صرح في «تاج المصادر» بأن التفسح يعدى بفي على ما أشرنا إليه آنفاً. **﴿فافسحوا﴾** پس جاى كشاده كنيد بر مردم **﴿يفسح الله لكم﴾** أي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها فإن الجزاء من جنس العمل والآية عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر سواء كان مجلس رسول الله ﷺ وكانوا يتضامون تنافساً في القرب منه عليه السلام وحصراً على استماع كلامه أو مجلس حرب وكانوا يتضامون في مراكز الغزاة ويأتي الرجل الصف ويقول: تفسحوا ويأبون لحرصهم على الشهادة أو مجلس ذكر أو مجلس يوم الجمعة وإن كل واحد وإن كان أحق بمكان الذي سبق إليه لكنه يوسع لأخيه ما لم يتأذ لذلك فيخرجه الضيق من موضعه وفي الحديث: «لا يقيمن أحدكم الرجل من مجلسه ثم يخلفه فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا» وفي رواية: «لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل: افسحوا» وقيل: «إن رجلاً من الفقراء دخل المسجد وأراد أن يجلس بجنب واحد من الأغنياء فلما قرب منه قبض الغني إليه ثوبه فرأى رسول الله عليه السلام ذلك فقال للغني: أخشيت أن يعديه غناك ويعديك فقره» وفيه حث على التواضع والجلوس مع الفقراء والتوسعة لهم في المجالس وإن كانوا شعثاً غبراً. **﴿وإذا قيل انشزوا﴾** يقال نشز الرجل إذا نهض وارتفع في المكان نشزاً والنشز كالفلس وكذا النشز بفتحتين المكان المرتفع من الأرض ونشز فلان إذا قصد نشزاً ومنه فلان عن مقره وقلب ناشز ارتفع عن مكانه رعباً والمعنى وإذا قيل لكم قوموا للتوسعة على المقبلين أي على من جاء بعدكم.

﴿فانشزوا﴾ فارتفعوا وقوموا يعني إذا كثرت المزاحمة وكانت بحيث لا تحصل التوسعة بتنحي أحد الشخصين عن الآخر حال قعود الجماعة وقيل: قوموا جميعاً تفسحوا حال القيام فانشزوا ولا تثاقلوا عن القيام أو إذا قيل لكم قوموا عن مواضعكم فانتقلوا منها إلى موضع آخر لضرورة داعية إليه أطيعوا من أمركم به وقوموا من مجالسكم وتوسعوا لإخوانكم ويؤيده أنه عليه السلام كان يكرم أهل بدر فأقبلت جماعة منهم فلم يوسعوا لهم فقال عليه السلام: «قم يا فلان ويا فلان» فأقام من المجلس بعدد المقبلين من أهل بدر فتغامز به المنافقون أنه ليس من العدل أن يقيم أحداً من مجلسه وشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف رسول الله عليه السلام الكراهية في وجوههم فأنزل الله الآية» فالقائل هو الرسول عليه السلام ويقال وإذا قيل انشزوا أي انهضوا عن مجلس رسول الله إذا أمرتم بالنهوض عنه فانهضوا ولا تملوا رسول الله بالارتكان فيه أو انهضوا إلى الصلاة أو إلى الجهاد أو الشهادة أو غير ذلك من أعمال الخير فانهضوا ولا تتنبطوا ولا تفرطوا فالقائل يعم الرسول وغيره. ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾ جواب للأمر، أي من فعل ذلك طاعة للأمر وتوسعة للإخوان يرفعهم الله بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والإيواء إلى غرف الجنان في الآخرة لأن من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه فالمراد الرفعة المطلقة الشاملة للرفعة الصورية والمعنوية. ﴿والذين أوتوا العلم﴾ أي ويرفع العلماء منهم خاصة فهو من عطف الخاص على العام للدلالة على علو شأنهم وسمو مكانهم حتى كأنهم جنس آخر. ﴿درجات﴾ أي طبقات عالية ومراتب مرتفعة بسبب ما جمعوا من العلم والعمل فإن العلم لعلو درجته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه وإن كان في غاية الصلاح ولذا يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره فعلم من هذا التقرير أنه لا شركة للمعطوف عليه في الدرجات كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ثم الكلام عند قوله منكم وينتصب الذين أوتوا العلم بفعل مضمر أي ويرفعهم درجات وانتصاب درجات إما على إسقاط الخافض أي إلى درجات أو على المصدرية أي رفع درجات فحذف المضاف أو على الحالية من الموصول، أي ذوي درجات. ﴿والله بما تعملون﴾ أي: بعملكم أو بالذي تعملونه ﴿خبير﴾ عالم لا يخفى عليه شيء منه لا ذاته جنساً أو نوعاً ولا كيفيته إخلاصاً أو نفاقاً أو رياء أو سمعة ولا كميته قلة أو كثرة فهو خبير بتفسحكم ونشزكم ونيتكم فيهما فلا تضيع عند الله وجعله بعضهم تهديداً لمن يمتثل لم بالأمر أو استكرهه فلا بد من التفسح والطاعة وطلب العلم الشريف ويعلم من الآية سر تقدم العالم على غيره في المجالس والمحاضر لأن الله تعالى قدمه وأعلاه حيث جعل درجاته عالية وفي الحديث: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» أي فضل العالم الباقي بالله على العابد الفاني في الله كما في «التأويلات النجمية» وقال في «عين المعاني»: المراد علم المكاشفة في ما ورد «فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي» إذ غيره وهو علم المعاملة تبع للعمل لثبوته شرطاً له إذ العمل إنما يتعد به إذا كان مقروناً بعلم المعاملة قال بعضهم: المتعبد بغير علم كحمار الطاحونة يدور ولا يقطع المسافة.

علم چندانكه بيشترى خوانى چون عمل در تو نيست نادانى

وحيث يمدح العلم فالمراد به العلم المقرون بالعمل.

رفعت آدمى بعلم بود هركرا علم بيش رفعت بيش

قيمت هركسى بدانش اوست سازدا فزون بعلم قيمت خويش

وقال بعضهم:

مرا بتجربه معلوم كشت آخر حال   كه عزمرد بعلم است وعز علم بمال

وعن بعض الحكماء: ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فات من أدرك العلم وكل علم لم يوطد بعمل فإلى ذل يصير وعن الزهري رضي الله عنه: العلم ذكر فلا يحبه إلا ذكورة الرجال قال مقاتل: إذا انتهى المؤمن إلى باب الجنة يقال له: لست بعالم ادخل الجنة بعملك ويقال للعالم: قف على باب الجنة واشفع للناس وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لأن أعلم مسألة أحب إلي من أن أصلي مائة ركعة ولأن أعلم مسألة أحب إلي من أن أصلي ألف ركعة قال أبو هريرة وأبو ذر رضي الله عنهما: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إذا جاء الموت طالب العلم على هذه الحال مات وهو شهيد». واعلم أن جميع الدرجات إما باعتبار تعدد أصحابها فإن لكل عالم رباني درجة عالية أو باعتبار تعددها لقوله عليه السلام: «بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجة حضر الجواد المضمر سبعين سنة» الحضر بضم الحاء المهملة ارتفاع الفرس في عدوه والجواد الفرس السريع السير وتضمير الفرس أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده إلى القوت وذلك في أربعين يوماً والمضمار الموضع يضمر فيه الخيل وغاية الفرس في السباق.

﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ بالإيمان الخالص ﴿**إذا ناجيتم الرسول**﴾ المناجاة باكسى راز كفتن. أي إذا كالمتموه سراً في بعض شؤونكم المهمة الداعية إلى مناجاته عليه السلام ومكالمته سراً بالفارسية: چون خواهيدكه راز كوييد با رسول وفي بعض التفاسير: إذا كالمتموه سراً استفسار الحال ما يرى لكم من الرؤيا ففيه إرشاد للمقتدين إلى عرضها على المقتدى بهم ليعبروها لهم ومن ذلك عظم اعتبار الواقعات وتعبيرها بين أرباب السلوك حتى قيل: إن على المريد أن يعرض واقعته على شيخه سواء عبر الشيخ أو لم يعبر فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وهي من جملة الأمانة عند المريد لا بد أن يؤديها إلى الشيخ لما فيها من فائدة جليلة له وقوة لسلوكه وفي التعبير أثر قوي على ما قال عليه السلام: «الرؤيا على ما أولت» ﴿**فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**﴾ أي: فتصدقوا قبلها على المستحق كقول عمر رضي الله عنه: أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته فهو مستعار ممن له يدان على سبيل التخييل فقوله: نجواكم استعارة بالكناية وبين يدي تخييلية، وفي بعض التفاسير: إذا أردتم عرض رؤياكم عليه ليعبرها لكم فتصدقوا قبل ذلك بشيء ليكون ذلك قوة لكم ونفعاً في أموركم والآية نزلت حين أكثر الناس عليه السؤال حتى أسأموه وأملوه فأمرهم الله بتقديم الصدقة عند المناجاة فكف كثير من الناس أما الفقير فلعسرته وأما الغني فلشحه وفي هذا الأمر تعظيم الرسول ونفع الفقراء والزجر عن الإفراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في أنه للندب أو للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى: ﴿**ءأشفقتم**﴾ الآية وهو وإن كان متصلاً به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولاً على ما هو شأن الناسخ واختلف في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ فقيل: كان ساعة من النهار والظاهر أنه عشرة أيام لما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فصرفته، وفي رواية فاشتريت به عشرة دراهم فكنت إذا ناجيته عليه السلام تصدقت بدرهم

يعني كنت أقدم بين يدي نجواي كل يوم درهماً إلى عشرة أيام وأسأله خصلة من الخصال الحسنة كما قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سألهن رسول الله عليه السلام وهو على القول بالوجوب محمول على أنه لم يتفق للأغنياء مناجاة في مدته وهي عشرة أيام في بعض الروايات إما لعدم المحوج إليها أو الإشفاق وعلى التقديرين لا يلزم مخالفة الأمر وإن كان للإشفاق وفي بعض التفاسير: ولا يظن ظان أن عدم عمل غيره من الصحابة رضي الله عنهم بهذا لعدم الإقدام على التصدق كلا كيف ومن المشهور صدقة أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما بألوف من الدراهم والدنانير مرة واحدة فهلا يقدم من هذا شأنه على تصدق دينار أو دينارين وكذا غيرهما فلعله لم يقع حال اقتضت النجوى حينئذ وهذا لا ينافي الجلوس في مجلسه المبارك والتكلم معه لمصلحة دينية أو دنيوية بدون النجوى إذ المناجاة تكلم خاص وعدم الخاص لا يقتضي عدم العام كما لا يخفى وعن علي رضي الله عنه قال: «لما نزلت الآية دعاني رسول الله فقال: ما تقول في دينار؟ قلت: لا يطيقونه قال: فنصف دينار قلت: لا يطيقونه قال: فكم قلت حبة أو شعيرة؟ قال: إنك لزهيد» أي رجل قليل المال لزهدك فيه فقدرت على حالك وما في بالك من الشفقة على المؤمنين وقوله حبة أو شعيرة أي مقدارها من ذهب وعن ابن عمر رضي الله عنه كان لعلي رضي الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم: تزويجه فاطمة رضي الله عنها وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قوله: حمر النعم بسكون ميم الحمر وهي من أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وإنه ليس هناك أعظم منه قال بعضهم: إن رسم النثارات للملوك والرؤساء مأخوذ من أدب الله تعالى في شأن رسوله حيث قال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**﴾ ﴿**ذلك**﴾ التصدق ﴿**خير لكم**﴾ أيها المؤمنون من إمساكه وبالفارسية بهترست مرشمارا زيراكه طاعت بيفزايد ﴿**وأطهر**﴾ لأنفسكم من دنس الريبة ودرن البخل الناشىء من حب المال الذي هو من أعظم حب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبالفارسية وپاكيزه تر براى آنكه كناهان محو كند. وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى: ﴿**فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم**﴾ منبىء عن الوجوب لأنه ترخيص لمن لم يجد في المناجاة بلا تصدق والمعنى بالفارسية پس اكر نيابيد چيزى كه صدقه دهيد پس خداى تعالى آمر زنده است مركسى راكه اين كناه كند مهر بانست بنده راكه تكليف ما لا يطاق ننمايد. قال بعض أهل الإشارة: إن الله تعالى أدب أهل الإرادة بهذه الآية أن لا يناجوا شيوخهم في تفسير الإلهام واستفهام علم المكاشفة والأسرار إلا بعد بذل وجودهم لهم والإيمان بهم بشرط المحبة والإرادة فإن الصحة بهذه الصفة خير لقلوبهم وأطهر لنفوسهم فإن ضعفوا عن بعض القيام بحقوقهم ومعهم الإيمان والإرادة وعلموا قصورهم في الحقيقة فإن الله تعالى يتجاوز عن ذلك التقصير وهو رحيم بهم يبلغهم إلى درجة الأكابر. قال المولى الجامي:

چه سود اى شيخ هرساعت فزون خرمن طاعت
چو نتوانى كه يك جواز وجود خويشتن كاهى

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿**أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات**﴾ الإشفاق الخوف من المكروه ومعنى الاستفهام التقرير كان بعضهم ترك المناجاة للإشفاق ولا مخالفة للأمر وجمع صدقات لجمع المخاطبين قال في بعض التفاسير: أفرد الصدقة أولاً لكفاية شيء منها وجمع ثانياً نظراً إلى كثرة التناجي والمناجى والمعنى أخفتم الفقر يا أهل الغنى من تقديم الصدقات فيكون المفعول محذوفاً للاختصار وأن تقدموا في تقدير لأن تقدموا أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر قال الشاعر:

هـون عـلـيـك ولا تـولـع بـإشـفـاق   فـإنـمـا مـالـنـا لـلـوارث الـبـاقـي

﴿**فإذ لم تفعلوا**﴾ ما أمرتم به وشق عليكم ذلك وبالفارسية پس چون نكر ديد اين كاررا ﴿**وتاب الله عليكم**﴾ بأن رخص لكم في أن لا تفعلوه وأسقط عنكم تقديم الصدقة وذلك لأنه لا وجه لحملها على قبول التوبة حقيقة إذ لم يقع منهم التقصير في حق هذا الحكم بأن وقعت المناجاة بلا تصدق، وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم وإذ على بابها يعني الظرفية والمضي بمعنى إنكم تركتم ذلك فيما مضى وتجاوز الله عنكم بفضله فتداركوه بما تؤمرون به بعد هذا وقيل بمعنى إذا للمستقبل كما في قوله ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ [غافر: ٧١] ومعنى إن الشرطية وهو قريب مما قبله إلا أن يستعمل فيما يحتمل وقوعه واللاوقوعه. ﴿**فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ مسبب عن قوله ﴿**فإذ لم تفعلوا**﴾ أي فإذ فرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمواظبة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة المفروضة. ﴿**وأطيعوا الله ورسوله**﴾ في سائر الأوامر فإن القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط وهو تعميم بعد التخصيص لتتميم النفع. ﴿**والله خبير بما تعملون**﴾ عالم بالذي تعملون من الأعمال الظاهرة والباطنة لا يخفى عليه خافية فيجازيكم عليه فاعملوا ما أمركم به ابتغاء لمرضاته لا لرياء وسمعة وتضرعوا إليه خوفاً من عقوباته خصوصاً بالجماعة يوم الجمعة ومن الأدعية النبوية: «اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» وفي تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر من بين العبادات المرادة بالأمر بالإطاعة العامة إشارة إلى علو شأنهما وإنافة قدرهما فإن الصلاة رئيس الأعمال البدنية جامعة لجميع أنواع العبادات من القيام والركوع والسجود والقعود ومن التعوذ والبسملة والقراءة والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة على النبي عليه السلام ومن الدعاء الذي هو مخ العبادة، ومن ذلك سميت صلاة وهي الدعاء لغة فهي عبادة من عبد الله تعالى بها فهو محفوظ بعبادة العابدين من أهل السموات والأرضين ومن تركها فهو محروم منها فطوبى لأهل الصلاة وويل لتاركها، وإن الزكاة هي أم الأعمال المالية بها يطهر القلب من دنس البخل والمال من خبث الحرمة فعلى هذا هي بمعنى الطهارة وبها ينمو المال في الدنيا بنفسه لأنه يمحق الله الربا ويربي الصدقات وفي الآخرة بأجره لأنه تعالى يضاعف لمن يشاء وفي الحديث: «من تصدق بقدر تمرة من كسب حلال ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل» فعلى هذا هي من الزكاء بمعنى النماء أي الزيادة وفي «البستان»:

بـدنـيـا تـوانـى كـه عـقـبـى خـرى   بـخـرجـان مـن ورنـه حـسـرت خـورى

زر ونـعـمـت آيـدكـسـى رابـكـار   كـه ديـوار عـقـبـى كـنـد زر نـكـار

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿**ألم تر**﴾ تعجيب من حال المنافقين الذين يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين والخطاب للرسول عليه السلام أو لكل من يسمع ويعقل وتعدية الرؤية بإلى لكونها بمعنى النظر أي ألم تنظر يعني آيانمى نكرى. ﴿**إلى الذين تولوا**﴾ من التولي بمعنى الموالاة لا بمعنى الإعراض أي والوا يعني دوست كرفتند. ﴿**قوماً غضب الله عليهم**﴾ وهم اليهود كما أنبأ عنه قوله تعالى ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] والغضب حركة للنفس مبدؤها إرادة الانتقام وهو بالنسبة إليه تعالى نقيض الرضى أو إرادة الانتقام أو تحقيق الوعيد أو الأخذ الأليم والبطش الشديد أو هتك الأسرار والتعذيب بالنار أو تغيير النعمة. ﴿**ما هم**﴾ أي: الذين تولوا ﴿**منكم**﴾ في الحقيقة ﴿**ولا منهم**﴾ أي: من القوم المغضوب عليهم لأنهم منافقون مذبذبون بين ذلك فهم وإن كانوا كفاراً في الواقع لكنهم ليسوا من اليهود حالاً لعدم اعتقادهم بما اعتقدوا وعدم وفائهم لهم ومآلاً لأن المنافقين في الدرك الأسفل من النار والجملة مستأنفة ﴿**ويحلفون على الكذب**﴾ الحلف العهد بين القوم والمحالفة المعاهدة والحلف أصله اليمين التي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد ثم عبر به عن كل يمين أي يقولون والله إنا لمسلمون فالكذب المحلوف عليه هو ادعاء الإسلام وهو عطف على تولوا وأدخل في حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه ﴿**وهم يعلمون**﴾ أن المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وهو الحلف على فعل أو ترك ماض كاذباً عمداً سمي بالغموس لأنه يغمس صاحبه في الإثم ثم في النار ولم يجعل حلفهم غموساً لأن الغموس حلف على الماضي وحلفهم هذا على الحال والجملة حال من فاعل يحلفون مقيدة لكمال شناعة ما فعلوا فإن الحلف على ما يعلم أنه كذب في غاية القبح وفي هذه التقييد دلالة على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه فيكون حجة على النظام والجاحظ.

ـ وروي ـ «أنه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال: يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق ـ بتقديم النون على الباء الموحدة كجعفر ـ وكان أزرق فقال له عليه السلام: علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام: فعلت فانطلق بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت» فالكذب المحلوف عليه على هذه الرواية هو عدم شتمهم.

﴿**أعد الله لهم**﴾ بسبب ذلك ﴿**عذاباً شديداً**﴾ در دنيا بخوارى ورسوايى ودر آخرت بآتش دوزخ والمراد نوع من العذاب عظيم فالنوعية مستفادة من تنكير عذاباً والعظيم من توصيفه بالشدة. ﴿**إنهم ساء ما كانوا يعملون**﴾ أي: تمرنوا عليه وأصروا وتمرنهم، أي اعتيادهم واستمرارهم على مثل ما عملوه في الحال من العمل السوء مستفاد من كان الدالة على الزمان الماضي أي العمل السيىء دأبهم.

﴿**اتخذوا أيمانهم**﴾ الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة واليمين في الحلف مستعار من

اليد اعتباراً بما يفعله المحالف والمعاهد عنده. ﴿جنة﴾ وهي الترس الذي يجن صاحبه أي يستره والمعنى وقاية وسترة يسترون بها من المؤمنين ومن قتلهم ونهب أموالهم يعني پناهى كه خون ومال ايشان دراماں ماند. فالاتخاذ عبارة عن إعدادهم لإيمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فإن ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضاً كما تعرب عنه الفاء في قوله ﴿فصدوا﴾ أي منعوا الناس وصرفوهم. ﴿عن سبيل الله﴾ أي: عن دينه في خلال أمنهم وسلامتهم وتثبيط من لقوا عن الدخول في الإسلام وتضعيف أمر المسلمين عندهم. ﴿فلهم﴾ بسبب كفرهم وصدهم ﴿عذاب مهين﴾ مخزٍ بين أهل المحشر وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الأول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة.

﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله﴾ أي: من عذابه تعالى ﴿شيئاً﴾ قليلاً من الإغناء يقال: أغنى عنه كذا إذا كفاه يعني أنهم يحلفون كاذبين للوقاية المذكورة ولا تنفعهم إذا دخلوا النار أموالهم ولا أولادهم التي صانوها وافتخروا بها في الدنيا أو يقولون: إن كان ما يقول محمد حقاً لندفعن العذاب عن أنفسنا بأموالنا وأولادنا فأكذبهم الله بهذه الآية فإن يوم القيامة يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يكفي أحد أحداً في شأن من الشؤون. ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة، قال في «برهان القرآن»: بغير واو موافقة للجمل التي قبلها ولقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾ [المجادلة: ٢٢] ﴿أصحاب النار﴾ أي ملازموها ومقارنوها أو مالكوها لكونها حاصلهم وكسبهم الذي اكتسبوه في الدنيا بالسيئة المردية المؤدية إلى التعذيب. ﴿هم فيها خالدون﴾ لا يخرجون منها أبداً وضميرهم لتقوية الإسناد ورعاية الفاصلة لا للحصر لخلود غير المنافقين فيها من الكفار.

﴿يوم يبعثهم الله جميعاً﴾ يا دكن روزى راكه برانكيزد خداى تعالى همه منافقان ازقبور وزنده كند پس ازمرك. وجميعاً حال من ضمير المفعول بمعنى مجموعين. ﴿فيحلفون﴾ في ذلك اليوم وهو يوم القيامة. ﴿له﴾ أي: لله تعالى على أنهم مسلمون مخلصون كما قالوا ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿كما يحلفون لكم﴾ في الدنيا ﴿ويحسبون﴾ في الآخرة مصدره الحسبان وهو أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله فيحسبه ويعقد عليه الأصبع ويكون بعرض أن يعتريه فيه شك ويقاربه الظن لكن الظن أن يخطر النقيضين بباله فيغلب أحدهما الآخر. ﴿أنهم﴾ بتلك الأيمان الكاذبة ﴿على شيء﴾ من جلب منفعة أو دفع مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية ﴿ألا إنهم هم الكاذبون﴾ المبالغون في الكذب إلى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدي علام الغيوب وزعموا أن أيمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين وألا حرف تنبيه والمراد التنبيه على توغلهم في النفاق وتعودهم به بحيث لا

ينفكون عنه موتاً ولا حياة ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

﴿**استحوذ عليهم الشيطان**﴾ من حذت الإبل إذا استوليت عليها وجمعتها وسقتها سوقاً عنيفاً أي استولى عليهم الشيطان وملكهم لطاعتهم له في كل ما يريد منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه وهو مما جاء على الأصل كاستصوب واستنوق أي على خلاف قياس فإن القياس أن يقال: استحاذ فهو فصيح استعمالاً وشاذ قياساً.

ـ وحكي ـ أن عمر رضي الله عنه قرأ استحاذ ﴿**فأنساهم ذكر الله**﴾ المصدر مضاف إلى المفعول أي كان سبباً بالاستيلاء لنسيانه تعالى فلم يذكره بقلوبهم ولا بألسنتهم ﴿**أولئك**﴾ المنافقون الموصوفون بما ذكر من القبائح ﴿**حزب الشيطان**﴾ أي جنوده وأتباعه الساعون فيما أمرهم به والحزب الفريق الذي يجمعه مذهب واحد ﴿**ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**﴾ أي الموصوفون بالخسران الذي لا غاية وراءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا بدله العذاب الأليم قال بعض المشايخ: بوأه الله الدرجات الشوامخ علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء الله ونعمه عليه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب واللغو والغيبة والبهتان وسمعه عن الحق بسماع اللهو والهذيان قال بعض أهل الإشارة: إذا أراد الشيطان أن ينبت في سبخة أرض النفس الأمارة حنظل الشهوة يثب إليها ويغريها على إنفاذ مرادها فتكون النفس مركبة فيهجم إلى بلد القلب ويخربه بأن يدخل فيه ظلمة الطبيعة فلا ترى عين القلب مسلك الذكر وصفاته فلما احتجب عن الذكر صار وطن إبليس وجنوده وغلب الملعون عليه وهذا يكون بإرادة الله تعالى وسببه استحواذ غرور الملعون وتزيينه بأن يلبس أمر الدين بأمر الدنيا ويغويه من طريق العلم فإذا لم يعرف دقائقه صار قرينه والشيطان دون الملك والرحمن إذ لا يجتمع الحق مع الباطل.

نظر دوست نادر كند سوى تو ... چو در روى دشمن بود روى تو

ندانى كه كمتر نهد دوست پاي ... چو بيند كه دشمن بود در سراى

﴿**إن الذين يحادون الله ورسوله**﴾ أي: يعادونهما ويخالفون أمرهما ويتعدون حدودهما ويفعلون معهما فعل من ينازع آخر في أرض فيغلب على طائفة منها فيجعل لها حداً لا يتعداه خصمه ولما كانوا لا يفعلون ذلك إلا لكثرة أعوانهم وأتباعهم فيظن من رآهم أنهم الأعزاء الذين لا أحد أعز منهم قال تعالى نفياً لهذا الغرور الظاهر: ﴿**أولئك**﴾ الأباعد والأسافل بما فعلوا من المحادة. ﴿**في الأذلين**﴾ أي: في جملة من هو أذل خلق الله من الأولين والآخرين لا ترى أحداً أذل منهم لأن ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك وذلك بالسبي والقتل في الدنيا وعذاب النار في الآخرة سواء كانوا فارس والروم أو أعظم منهم سوقة كانوا أو ملوكاً كفرة كانوا أو فسقة.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿كتب الله﴾ استئناف وارد لتعليل كونهم في الأذلين أي قضى وأثبت في اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم أجيب بما يجاب به. ﴿لأغلبن أنا وَرُسُلي﴾ أكده لما لهم من ظن الغلبة بالكثرة والقوة والمراد الغلبة بالحجة والسيف أو بأحدهما والغلبة بالحجة ثابتة لجميع الرسل لأنهم الفائزون بالعاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة وأما الغلبة بالسيف فهي ليست بثابتة للجميع لأن منهم من لم يأمر بالحرب قال الزجاج: غلبة الرسل على نوعين: من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة وإذا انضم إلى الغلبة بالحجة الغلبة بالسيف كان أقوى.

محالست چون دوست دارد ترا كه دردست دشمن كذارد ترا

وعن مقاتل أنه قال المؤمنون: لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا أن يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال رئيس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول: أتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله إنهم لأكثر عدداً وأشد بطشاً من أن تظنوا فيهم ذلك فنزل قوله تعالى: ﴿كتب الله﴾ الآية قال البقلي رحمه الله: كتب الله على نفسه في الأزل أن ينصر أولياءه على أعدائه من شياطين الظاهر والباطن ويعطيهم رايات نصرة الولاية فحيث تبدو راياتهم التي هي سطوع نور هيبة الحق من وجوههم صار الأعداء مغلوبين بتأييد الله ونصرته قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله: أهل الحق لهم الغلبة أبداً ورايات الحق تسبق رايات غيره جميعاً لأن الله تعالى جعلهم أعلاماً في خلقه وأوتاداً في أرضه ومفزعاً لعباده وعمارة لبلاده فمن قصدهم بسوء كبه الله لوجهه وأذله في ظاهر عزه. ﴿إن الله﴾ تعليل للقهر والغلبة أكده لأن أفعالهم مع أوليائه أفعال من يظن ضعفه. ﴿قوي﴾ على نصر أنبيائه قال بعضهم: القوي هو الذي لا يلحقه ضعف في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز نقض ولا إبرام والقوة في الأصل عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف ويراد بها القدرة بالنسبة إلى الله تعالى. ﴿عزيز﴾ لا يغلب عليه في مراده:

حكمي كه آن زباركه كبريا بود كس را دران مجال تصرف كجا بود

فإن قلت: فإذا كان الله قوياً عزيزاً غير عاجز فما وجه انهزام المسلمين في بعض الأحيان وقد وعد النصرة؟ قلت: إن النصرة والغلبة منصب شريف فلا يليق بالكافر لكن الله تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين لأنه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الأوقات وأزالها عن المؤمنين في جميع الأوقات لحصل العلم الضروري بأن الإيمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على أهل الإيمان وأخرى على أهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الإسلام فيعظم ثوابه عند الله ولأن المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي فيكون تشدد المحنة عليه في الدنيا تمحيصاً لذنوبه وتطهيراً لقلبه وأما تشديد المحنة على الكافر فهو من قبيل الغضب ألا ترى أن الطاعون مثلاً رحمة للمؤمنين ورجز للكافرين وما من سابق عدل إلا له لاحق فضل ولا سابق فضل إلا له لاحق عدل غير أن أثري العدل والفضل قد يتعلقان بالبواطن خاصة وقد يتعلق أحدهما بالظاهر والآخر بالباطن وقد يكون اختلاف تعلقهما في حالة واحدة وقد يكون على البدل وعلى قدر تعلق الأثر السابق يكون تعلق الأثر اللاحق وقد أجرى الله سبحانه آثار عدله على ظواهر أصفيائه دون بواطنهم ثم عقب ذلك

بإيراد آثار فضله على بواطنهم وظواهرهم حتى صار من قاعدة الحكمة الإلهية تفويض ممالك الأرض للمستضعفين فيها كالنجاشي حيث بيع في صغره وذلك كثير موجود باستقراء فمن كمال تربية الحكيم لمن يريد إعلاء شأنهم أن يجري على ظاهرهم من آثار العدل ما فيه تكميل لهم وتنوير لمداركهم وتطهير لوجودهم وتهذيب وتأديب إلى غير ذلك من فوائد التربية ومن تتبع أحوال الأكابر من آدم عليه السلام وهلم جرا رأى من أحسن بلاء الله ما يشهد لما قرر بالصحة والمبتلى به يصبر على ذلك بل يتلذذ كما هو شأن الكبار:

هرچه از دست تو آيد خوش بود كرهمه درياى پر آتش بود

وفي الآية إشارة إلى أعداء النفوس الكافرة فإنها تحمل القلوب والأرواح على مخالفات الشريعة وموافقات الطبيعة وتمحو الذكر من ألواحها بغلبة محبة الدنيا وشهواتها لكن الله تعالى ينصرها ويؤيدها حتى تغلب على النفوس الكافرة بسطوات الذكر فيحصل لها غاية الذلة كأهل الذمة في بلدة المسلمين وذلك لأن الله تعالى كتب في صحائف الاستعدادات غلبتها على النفوس وذلك من باب الفضل والكرم.

﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ الخطاب للنبي عليه السلام أو لكل أحد وتجد إما متعد إلى اثنين فقوله تعالى: **﴿يوادون من حاد الله ورسوله﴾** مفعوله الثاني أو إلى واحد بأن كان بمنى صادف فهو حال من مفعوله لتخصيصه بالصفة وهو يؤمنون والموادة المحابة مفاعلة من المودة بمعنى المحبة وهي حالة تكون في القلب أولاً ويظهر آثارها في القالب ثانياً والمراد بمن حاد الله ورسوله المنافقون واليهود والفساق والظلمة والمبتدعة والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وإن جد في طلبه كل أحد وجعل ما لا ينبغي وجوده غير موجود لشركته في فقد الخير ويجوز أن يقال: لا تجد قوماً كاملي الإيمان على ما يدل عليه سياق النظم فعدم الوجدان على حقيقته، قال في «كشف الأسرار»: أخبر أن الإيمان يفسد بموادة الكفار وكذا بموادة من في حكمهم، وعن سهل بن عبد الله التستري قدس سره: من صحح إيمانه وأخلص توحيده فإنه لا يأنس إلى مبتدع ولا يجالسه ولا يؤاكله ولا يشاربه ولا يصاحبه ويظهر من نفسه العداوة والبغضاء ومن داهن مبتدعاً سلبه الله حلاوة السنن ومن تحبب إلى مبتدع لطلب عز في الدنيا أو عرض منها أذله الله بتلك العزة وأفقره الله بذلك الغنى ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب وأما المعاملة للمبايعة العادية أو للمجاورة أو للمرافقة بحيث لا تضر بالدين فليست بمحرمة بل قد تكون مستحبة في مواضعها.

قال ابن الشيخ: المعنى لا يجتمع الإيمان مع ودادة أعداء الله فإن قيل: اجتمعت الأمة على أن يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه الموادة المحرمة فالجواب أن الموادة المحرمة هي إرادة منافعه ديناً ودنيا مع كونه كافراً وما سوى ذلك جائز.

ـ روي ـ عن رسول الله ﷺ «أنه كان يقول: اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فإني وجدت فيما أوحي إلي لا تجد قوماً» إلخ فعلم منه أن الفساق وأهل الظلم داخلون فيمن حاد الله ورسوله أي خالفهما وعاداهما واستدل مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم وهم القائلون بنفي كون الخير والشر كله بتقدير الله ومشيئته يعني هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله وسموا بذلك لمبالغتهم في نفيه وكثرة

مدافعتهم إياه وقيل لإثباتهم للعبد قدرة الإيجاد وليس بشيء لأن المناسب حينئذ القدري بضم القاف. ﴿ولو كانوا﴾ أي من حاد الله ورسوله وبالفارسية: واكر چه باشند از مخالفان خدا ورسول. والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد فيما قبله باعتبار لفظها. ﴿آباءهم﴾ أي: آباء الموادين ﴿أو أبناءهم﴾ قدم الأقدم حرمة ثم الأحكم محبة. ﴿أو إخوانهم﴾ نسباً ﴿أو عشيرتهم﴾ العشيرة أهل الرجل الذين يتكثر بهم أي يصيرون بمنزلة العدد الكامل وذلك أن العشرة هو العدد الكامل فصار العشيرة لكل جماعة من أقارب الرجل يتكثر بهم والعشير المعاشر قريباً أو معارفاً، وفي «القاموس»: عشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون أو قبيلته انتهى يعني أن المؤمنين المتصلبين في الدين لا يوالون هؤلاء الأقرباء بعد أن كانوا محادين الله ورسوله فكيف بغيرهم فإن قضية الإيمان بالله أن يهجر الجميع بالكلية بل أن يقتلهم ويقصدهم بالسوء كما روي «أن أبا عبيدة قتل أباه الجراح يوم بدر وأن عبد الله بن أبي ابن سلول جلس إلى جنب رسول الله عليه السلام فشرب رسول الله الماء فقال عبد الله رضي الله عنه: يا رسول الله ابق فضلة من شرابك قال: فما تصنع بها فقال: أسقيها أبي لعل الله يطهر قلبه ففعل فآتاها أباه فقال: ما هذا؟ قال: فضلة من شراب رسول الله جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك فقال له أبوه: هلا جئتني ببول أمك» فرجع إلى النبي عليه السلام فقال: يا رسول الله ائذن لي في قتل أبي فقال عليه السلام: «بل ترفق به وتحسن إليه» وأن أبا قحافة قبل أن أسلم سب النبي عليه السلام فصكه أبو بكر رضي الله عنه صكة أي ضربه ضربة سقط منها فقال عليه السلام: أوفعلته قال: نعم قال: فلا تعد إليه قال: «والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته» قال في «التكملة»: في هذه الرواية نظر لأن هذه السورة مدنية أبو بكر مع أبيه الآن بمكة انتهى.

يقول الفقير: لعله على قول من قال: إن العشر الأول من هذه السورة مدني والباقي مكي «وإن أبا بكر رضي الله عنه دعا ابنه عبد الرحمٰن إلى البراز يوم بدر فأمره عليه السلام أن يقعد قال: يا رسول الله دعني أكن في الرعلة الأولى ـ وهي القطعة من الفرسان ـ فقال عليه السلام: «متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك بمنزلة سمعي وبصري».

يقول الفقير: يعلم منه فضل أبي بكر على علي رضي الله عنهما فإن هذا فوق قوله عليه السلام لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» فتفطن لذلك. وإن مصعباً رضي الله عنه قتل أخاه عبيد بن عمير بأحد وإن عمر رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وإن علياً وحمزة وعبيد بن الحارث رضي الله عنهم قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وكانوا من عشيرتهم وقرابتهم وكل ذلك من باب الغيرة والصلابة كما قال عليه السلام: «الغيرة من الإيمان والمنية من النفاق ومن لا غيرة له لا دين له».

ـ وروي ـ عن الثوري أنه قال: كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان ففيه زجر عن مصاحبتهم وعن عبد العزيز بن أبي دؤاد أنه لقيه المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وفي الحديث: «من مشى خلف ظالم سبع خطوات فقد أجرم» وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢] ﴿أولئك﴾ إشارة إلى الذين لا يوادونهم وإن كانوا أقرب الناس إليهم وأمسهم رحماً. ﴿كتب﴾ الله سبحانه ﴿في قلوبهم الإيمان﴾ أي: أثبته فيها وهو الإيمان الوهبي الذي وهبه الله لهم قبل خلق الأصلاب والأرحام إذ لا يزال بحال أبداً كالإيمان المستعار وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الإيمان فإن الجزء الثابت في القلب ثابت فيه

قطعاً ولا شيء من أعمال الجوارح يثبت فيه وهو حجة ظاهرة على القدرية حيث زعموا أن الإيمان والكفر يستقل بعملهما العبد. ﴿**وأيدهم**﴾ أي: قواهم وأصله قوى يدهم. ﴿**بروح منه**﴾ أي من عند الله فمن لابتداء الغاية وهو نور القرآن أو النصر على العدو أو نور القلب وهو بإدراك حقيقة الحال والرغبة في الارتقاء إلى المدارج الرفيعة الروحانية والخلاص من درك عالم الطبيعة الدنية وكل ذلك سمي روحاً لكونه سبباً للحياة.

قال سهل رحمه الله: حياة الروح بالتأييد وحياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة الذكر بالذاكر وحياة الذاكر بالمذكور. ﴿**ويدخلهم**﴾ في الآخرة ﴿**جنات تجري من تحتها**﴾ أي من تحت أشجارها أو قصورها ﴿**الأنهار**﴾ الأربعة يعني جويها أزاب وشير وخمر وعسل ﴿**خالدين فيها**﴾ أبد الآباد لا يقرب منهم زوال ولا موت ولا مرض ولا فقر كما قال عليه السلام: «ينادي مناد آن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وآن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وآن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وآن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً» ﴿**رضي الله عنهم**﴾ خشنود شد خداى ازايشان بطاعتي كه دردنيا كردند. وفي الإرشاد استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة والرضى ترك السخط ﴿**ورضوا عنه**﴾ وخشنود شدند ايشان ازخداى بكرامتى كه وعده كرده ايشانرا در عقبى.

وفي «الإرشاد»: بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلاً وآجلاً ﴿**أولئك حزب الله**﴾ تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل أي جنده وأنصار دينه قال سهل رضي الله عنه: الحزب الشيعة وهم الأبدال وأرفع منهم الصديقون. ﴿**ألا إن حزب الله هم المفلحون**﴾ الناجون من المكروه والفائزون بالمحبوب دون غيرهم المقابلين لهم من حزب الشيطان المخصوصين بالخذلان والخسران وهو بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين وخير الدارين، وقال بعض أهل الإشارة: حزب الله أهل معرفته ومحبته وأهل توحيده هم الفائزون بنصرة الله من مهالك القهريات ومصارع الامتحانات وجدوا الله بالله إذا ظهر واحد منهم ينهزم المبطلون ويتفرق المغالطون لأن الله تعالى أسبل على وجوههم نور هيبته وأعطى لهم أعلام عظمته يفر منهم الأسود ويخضع لهم الشامخات كلأهم الله بحسن رعايته ونورهم بسنا قدرته ورفع لهم أذكارهم في العالمين وعظم أقدارهم وكتم أسرادهم. وإمام ثعلبي ازجرجاني كه اواز مشايخ خود شنيده كه داود عليه السلام ازحق تعالى پرسيد كه حزب توكيست خطاب آمد از حضرت عزت كه الغاضة أبصارهم والسليمة أكفهم والنقية قلوبهم أولئك حزبي وحول عرشي هركه چشم اواز محارم فروبسته بود ودست او از آزار خلق وأخذ حرام كوتاه باشد ودل حود ازما سوى پاكيزه كرده از جمله حزب حضرت الله است ودرين باب كفته اند.

ازهرچه نار واست برو ديدها ببند　　وزهر چه ناپسند بود دست بازدار
لوح دل ازغبار تعلق بشوى پاك　　تابا شدت بحلقه أهل قلوب بار

وفي الآية إشارة إلى أبوة الروح بالنسبة إلى السر والخفي والقلب والنفس والهوى وصفاتها لولادة الكل عن مادة ازدواج الروح مع القالب وإلى نبوة الكل إلى الروح وإلى أخوة السر مع النفس وأخوة القلب مع الهوى وعشيرة صفاتهما مع الخفي لكون الكل من واد واحد وأصل متحد هو الروح فمن قطع ارتباط التعلق مع النفس والهوى وصفاتهما الظلمانية الشيطانية بالتوجه الكلي الروحي والسري والقلبي والخلفي إلى الحضرة الإلهية فهم الذين كتب الله في

ألواح قلوبهم وصفاح أسرارهم الإيمان الحقيقي الشهودي العياني وأيدهم بروح الشهود الكلي الجمعي الجامع بين شهود الوحدة الذاتية الحقيقية وبين شهود الكثرة الأسمائية النسبية والجمع بين الشهودين دفعة واحدة من غير تخلل بينهما ومن غير احتجاب أحدهما عن الآخر ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار مياه التجليات الذاتية والصفاتية والأسمائية المشتملة على العلوم والمعارف والحقائق والحكم على الدوام والاستمرار رضي الله عنهم بفنائهم عن الناسوتية ورضوا عنه ببقائهم بلاهوتيته **﴿أولئك حزب الله﴾** أي مظاهر ذاته وصفاته وأسمائه **﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾** لقيامهم بقيومية الحق تعالى.

واعلم أنه كائن الدنيا والآخرة يومان متعاقبان متلاصقان فمن ذلك يعبر عن الدنيا باليوم وعن الآخرة بغد ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإنكم اليوم في دار العمل ولا حساب وأنتم غداً في دار الآخرة ولا عمل ونعيم الدنيا منقطع دون نعيم الآخرة ثم إن هذا شأن الأبرار وأما المقربون فهم أهل الله لا أهل الدارين ونعيمهم ما ذكر من التجليات فهم حزب الله حقيقة لكمال نصرتهم في الدين ظاهراً وباطناً.

تمت سورة المجادلة بعون الله تعالى في أواخر جمادى الأولى
من شهور سنة خمس عشرة ومائة وألف

٥٩ ــ سورة الحشر

مدنية وآيها أربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ①﴾.

﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ التسبيح تبعيد الله عن السوء وتطهيره عما لا يليق بشأن ألوهيته ويكون بالجنان واللسان والحال، والأول اعتقاد العبد بتعاليه عما لا يليق بالألوهية وذلك لأن من معاني التفعيل الاعتقاد بشيء والحكم به مثل التوحيد والتمجيد والتعظيم بمعنى الاعتقاد بالوحدة والمجد والعظمة والحكم بها وعلى هذا المعنى مثل التكفير والتضليل ومثل التجويز والترجيح، والثاني القول بما يدل على تعاليه مثل التكبير والتهليل والتأمين بمعنى أن يقول: الله أكبر ولا إله إلا الله وآمين وهو المشهور عند الناس، والثالث دلالة المصنوعات على أن صانعها متصف بنعوت الجلال متقدس عن الإمكان وما يتبعه والمفسرون فسروا ما في القرآن من أمثال الآية الكريمة على كل من الثاني والثالث ليعم تسبيح الكل كذا في بعض التفاسير وجمهور المحققين على أن هذا التسبيح تسبيح بلسان العبارة والإشارة لا بلسان الإشارة فقط فجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم سبحه تعالى يعني تسبيح ميكويد كه وبه پاكى مستأنس ميكند مرخدايرا كه مستحق ثناست. كما سبق تحقيقه في أول سورة الحديد وفي مواضع أخر من القرآن:

بذكرش هرچه بيني در خروش است   دلى داند درين معنى كه كوش است

نه بلبل بر كلش تسبيح خوانست   كه هر خاري به توحيدش زبانست

وفي الحديث: «إني لأعرف حجراً بمكة كان سلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن» وعن ابن مسعود رضي الله عنه ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل على أن شهادة الجوارح والجلود مما نطق به القرآن الكريم، وقال مجاهد: كل الأشياء تسبح لله حياً كان أو جماداً وتسبيحها سبحان الله وبحمده وهذا على الإطلاق وأما بالنسبة إلى كل موجود فالتسابيح مختلفة فلكل موجود تسبيح مخصوص به من حيث ما يقتضيه نشأته كما قال بعض الكبار فإذا رأيت هؤلاء العوالم مشتغلين بالذكر الذي أنت عليه فكشفك خيالي غير صحيح لا حقيقي وإنما ذلك خيالك أقيم لك في الموجودات فإذا شهدت في هؤلاء تنوعات الأذكار فهو الكشف الصحيح انتهى. **﴿وهو العزيز﴾** ذو العزة القاهرة. **﴿الحكيم﴾** ذو الحكمة الباهرة وفي إيراد الوصفين بعد التسبيح إشارة إلى الباعث له والداعي إليه لأن العزة أثر الجلال والحكمة أثر الجمال فله الاتصاف بصفات الكمال.

وفي «التأويلات النجمية»: سبح لله ما في السماوات العقول عن معقولاتهم المقتنصة بشبكة الفكر بطريق ترتيب المقدمات وتركيب القياسات وإقامة البراهين القطعية والأدلة الفكرية لعدم جدواها في تحصيل المطلوب فإن ذاته منزهة عن التنزيهات العقلية المؤدية إلى التعليل وما في السماوات النفوس من التشبيه بل ذاته المطلقة جامعة للتنزيه العقلي والتشبيه النفسي كما قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وهو التنزيه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وهو التشبيه فجمعت ذاته المطلقة بأحدية الجمعية بين التنزيه والتشبيه دفعة واحدة بحيث يكون التنزيه عين التشبيه والتشبيه عين التنزيه كما قال العارف المحقق قدس سره: «فإن قلت بالأمرين كنت مسدداً. وكنت إماماً في المعارف سيدا» فإن التنزيه نتيجة اسمه الباطن والتشبيه نتيجة اسمه الظاهر فافهم جداً وهو العزيز المنيع جنابه أن ينزه من غير التشبيه الحكيم الذي تقتضي حكمته أن لا يشبه من غير التنزيه.

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة صالح بن النضير كأمير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون أخي موسى عليه السلام قال السهيلي رحمه الله: ونسبتهم إلى هارون صحيحة لأن النبي عليه السلام قال لصفية رضي الله عنها بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير وقد وجدها تبكي لكلام قيل لها: «أبوك هارون وعمك موسى وبعلك محمد عليهم السلام» والحديث معروف مشهور وفي بعض الكتب من أولاد الكاهن بن هارون ونزلوا قريباً من المدينة في فتن بني إسرائيل انتظاراً لبعثة النبي عليه السلام وكان يقال لهم ولبني قريظة الكاهنان لأنهم من أولاده أيضاً وكان بنو النضير وقريظة وبنو قينقاع في وسط أرض العرب من الحجاز وإن كانوا يهوداً والسبب في ذلك أن بني إسرائيل كانت تغير عليهم العماليق في أرض الحجاز وكانت منازلهم يثرب والجحفة إلى مكة فشكت بنو إسرائيل ذلك إلى موسى عليه السلام فوجه إليهم جيشاً وأمرهم أن يقتلوهم ولا يبقوا منهم أحداً ففعلوا ذلك وترك منهم ابن ملك لهم كان غلاماً حسناً فرقوا له ثم رجعوا إلى الشأم وموسى قد مات فقالت بنو إسرائيل: قد عصيتم وخالفتم فلا نؤويكم فقالوا: نرجع إلى البلاد التي غلبنا عليها ونكون بها فرجعوا إلى يثرب فاستوطنوها وتناسلوا بها إلى أن نزل عليهم الأوس والخزرج بعد سيل العرم فكانوا معهم إلى الإسلام فلما هاجر عليه السلام عاهد بني النضير على أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام أي غلب يوم بدر قالوا فيما بينهم: النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية يعني نتوان بودكه كسى بروى ظفر يابد يارايت اقبال وى كسى بيفكند. فلما كان يوم أحد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكة فحالفوا قريشاً عند الكعبة على قتاله عليه السلام وعاهدوا على الإضرار به ناقضين العهد. كعب أشرف باقوم خود بمدينه باز آمد وجبريل امين رسول را خبرداد ازان عهد وپيمان كه درميان ايشان رفت. فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة الأنصاري بفتح الميم وكان أخا كعب من الرضاعة فقتل كعباً غيلة بالكسر أي خديعة فإن الغيلة أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فإذا صار إليه قتله وذلك أنه أتاه ليلاً فاستخرجه من بيته بقوله: إني أتيتك لأستقرض منك شيئاً من التمر فخرج إليه فقتله ورجع إلى النبي عليه السلام وأخبره ففرح به لأنه أضعف قلوبهم وسلب قوتهم وفي بعض الأخبار «أنه عليه السلام ذهب إلى بني النضير لاستعانة في دية في نفر من أصحابه أي دون العشرة فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فقالوا له: نعم يا أبا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك وكان

عليه السلام جالساً إلى جنب جدار من بيوتهم فخلا بعضهم ببعض وقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فهل من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فقال أحد ساداتهم وهو عمرو بن جحاش: أنا لذلك فقال لهم أحد ساداتهم وهو سلام بن مشكم: لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به إنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه فلما صعد الرجل ليلقي الصخرة أتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم فقام عليه السلام مظهراً أنه يقضي حاجته وترك أصحابه في مجالسهم ورجع مسرعاً إلى المدينة ولم يعلم من كان معه من أصحابه فقاموا في طلبه لما استبطؤوه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه فقال: رأيته داخل المدينة فأقبل أصحابه حتى انتهوا إليه فأخبرهم بما أرادت بنو النضير فندم اليهود وقالوا: قد أخبر بأمرنا فأرسل عليه السلام إليهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه أن اخرجوا من بلدي أي لأن قريتهم زاهرة كانت من أعمال المدينة فلا تساكنوني بها فلقد هممتم بما هممتم من الغدر فسكتوا ولم يقولوا حرفاً فأرسل إليهم المنافقون أن أقيموا في حصونكم فإنا نمدكم فأرسلوا إلى رسول الله أنا لا نخرج من ديارنا فافعل ما بدا لك وكان المتولي أمر ذلك سيد بني النضير حيي بن أخطب والد صفية أم المؤمنين فاغتر بقول المنافقين فسار رسول الله عليه السلام مع المؤمنين وهو على حمار مخطوم بليف وحمل رايته علي رضي الله عنه حتى نزل بهم وصلى العصر بفنائهم وقد تحصنوا وقاموا على حصنهم يرمون النبل والحجارة وزربوا على الأزقة وحصنوها فحاصرهم النبي عليه السلام إحدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم إلا السلاح». پس ششنصد شتربار خودرا بر آراستند وإظهار جلادت نموده دفعها ميزدند وسرور كويان از بازار مدينه كذشتند. فجاؤوا الشام إلى أريحا من فلسطين وإلى اذرعات من دمشق إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة وهي بالكسرة بلد بقرب الكوفة ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان أحدهما سفيان بن عمير بن وهب والثاني سعد بن وهب أسلما على أموالهم فأحرزاها فأنزل الله تعالى: ﴿**سبح لله**﴾ إلى قوله: ﴿**والله على كل شيء قدير**﴾ قال محمد: جلاء بني النضير كان مرجع النبي عليه السلام من أحد سنة ثلاث من الهجرة وكان فتح بني قريظة مرجعه من الأحزاب في سنة خمس من الهجرة وبينهما سنتان، وفي «إنسان العيون»: كانت غزوة بني النضير في ربيع الأول من السنة الرابعة والجلاء بالفتح الخروج من البلد والتفرق منه يقال: أجليت القوم عن منازلهم وجلوتهم فأجلوا عنها وجلوا أي أبرزتهم عنها فإن أصل الجلو الكشف الظاهر ومنه الطريقة الجلوتية بالجيم فإنها الجلاء والظهور بالصفات الإلهية كما عرف في محله والجلاء أخص من الخروج؛ لأنه لا يقال الجلاء إلا لخروج الجماعة أو لإخراجهم والخروج والإخراج يكون للجماعة والواحد وقيل في الفرق بينهما أن الجلاء كان مع الأهل والولد بخلاف الخروج فإنه لا يستلزم ذلك قال العلماء: مصالحة أهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شيء لا يجوز الآن وإنما كان ذلك في أول الإسلام ثم نسخ والآن لا بد من قتالهم أو سبيهم أو ضرب الجزية عليهم.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِى ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾

﴿هو الذي﴾ اوست خداوندى كه ازروى إذلال **﴿أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب﴾** بيان لبعض آثار عزته وأحكام حكمته أي أمر بإخراج أهل التوراة يعني: بني النضير. **﴿من ديارهم﴾** جمع دار والفرق بين الدار والبيت أن الدار دار وإن زالت حوائطها والبيت ليس ببيت بعدما انهدم لأن البيت اسم مبني مسقف مدخله من جانب واحد بني للبيتوتة سواء كان حيطانه أربعة أو ثلاثة وهذا المعنى موجود في الصفة إلا أن مدخلها واسع فيتناولها اسم البيت والبيوت بالمسكن اسم أخص والأبيات بالشعر كما في «المفردات». **﴿لأول الحشر﴾** اللام تتعلق بأخرج وهي للتوقيت أي عند أول حشرهم إلى الشأم وفي «كشف الأسرار»: اللام لام العلة أي أخرجوا ليكون حشرهم الشام أول الحشر والحشر إخراج جمع من مكان إلى آخر وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط إذ كان انتقالهم من بلاد الشام إلى جانب المدينة عن اختيار منهم وهم أول من أخرج به من جزيرة العرب إلى الشام فعلى هذا الوجه ليس الأول مقابلاً للآخر وسميت جزيرة لأنه أحاط بها بحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات قال الخليل بن أحمد: مبدأ الجزيرة من حفر أبي موسى إلى اليمن في الطول ومن رمل يبرين وهو موضع بحذاء الاحساء إلى منقطع السماوة في العرض والسماوة بالفتح موضع بين الكوفة والشأم أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم إجلاء عمر رضي الله عنه إياهم من خيبر إلى الشام وذلك حين بلغه الخبر عن النبي عليه السلام لا يبقين دينان في جزيرة العرب وقيل: آخر حشرهم حشر يوم القيامة لأن المحشر يكون بالشأم. **﴿ما ظننتم﴾** أيها المسلمون **﴿أن يخرجوا﴾** من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعددهم **﴿وظنوا﴾** أي: هؤلاء الكافرون ظناً قوياً هو بمرتبة اليقين فإنه لا يقع إلا بعد فعل اليقين أو ما نزل منزلته. **﴿أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾** الحصون جمع حصن بالكسر وهو كل موضع حصين لا يوصل إلى جوفه والقلعة الحصن الممتنع على الجبل، فالأول أعم من الثاني وتحصن إذا اتخذ الحصن مسكناً ثم تجوز به فقيل درع حصينة لكونها حصناً للبدن وفرس حصان لكونه حصناً لراكبه والمعنى ظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله وقهره وقدم الخبر وأسند الجملة إلى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي بسببها فتقديم المسند يفيد قصر المسند إليه على المسند فإن معنى قائم زيد أن زيداً مقصور على القيام لا يتجاوزه إلى القعود وكذا معنى الآية أن حصونهم ليس لها صفة غير المانعية ويجوز أن يكون مانعتهم خبراً لأن وحصونهم مرتفعاً على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ فإن قيل: ما المانع من جعل مانعتهم مبتدأ وحصونهم خبراً فإن كليهما معرفة قلت كون مانعتهم نكرة لأن إضافتها غير مخصصة وأن القصد إلى الإخبار عن الحصون **﴿فأتاهم الله﴾** أي أمر الله وقدره المقدور لهم. **﴿من حيث لم يحتسبوا﴾** ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غرة على يد أخيه فإنه مما أضعف قوتهم وقل شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة بما قذف فيها من

الرعب والفاء إما للتعقيب إشارة إلى أن البأس لم يكن متراخياً عن ظنهم أو للسبب إشارة إلى أنهم إنما أخذوا بسبب إعجابهم بأنفسهم وقطعهم النظر إلى قدرة الله وقوته. **﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾** القذف الرمي البعيد والمراد هنا الإلقاء، قال في «الكشاف»: قذف الرعب إثباته وركزه ومنه قالوا في صفة الأسد مقذف لما أن قذف باللحم قذفاً لاكتنازه وتداخل أجزائه والرعب الانقطاع من امتلاء الخوف ولتصور الامتلاء منه قيل رعبت الحوض أي ملأته وباعتبار القطع قيل رعبت السنام أي قطعته، قال بعضهم: الرعب خوف يملأ القلب فيغير العقل ويعجز النفس ويشوش الرأي ويفرق التدبير ويضر البدن والمعنى أثبت فيها الخوف الذي يرعبها ويملؤها لأن المعتبر هو الثابت وما هو سريع الزوال فهو كغير الواقع وقال بعضهم: فلا يلزم التكرار لأن الرعب الذي اشتمله قوله **﴿فأتاهم الله﴾** هو أصل الرعب وفرق بين حصول أصله وبين ثباته ودلت الآية على أن وقوع ذلك الرعب صار سبباً في إقدامهم على بعض الأفعال وبالجملة فالفعل لا يحصل إلا عند حصول داعية متأكدة في القلب وحصول تلك الداعية لا يكون إلا من الله فكانت الأفعال بأسرها مستندة إلى الله بهذا الطريق كذا في «اللباب».

﴿يخربون بيوتهم بأيديهم﴾ الجملة استئناف لبيان حالهم عند الرعب أي يخربونها بأيديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة أفواه الأزقة ولئلا تبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل. والإخراب والتخريب واحد يقال خرب المكان خراباً وهو ضد العمارة وقد أخربه وخربه أي أفسده بالنقض والهدم غير أن في التشديد مبالغة من حيث التكثير لكثرة البيوت وهو قراءة أبي عمرو وفرق أبو عمرو بين الإخراب والتخريب فقال: خرب بالتشديد بمعنى هدم ونقض وأفسد وأخرب بالهمزة ترك الوضع وقال أي أبو عمرو: وإنما اخترت التشديد لأن الإخراب ترك الشيء خراباً بغير ساكن وبنو النضير لم يتركوها خراباً وإنما خربوها بالهدم كما يدل عليه قوله: **﴿بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾** إن قيل البيوت هي الديار فلم لم يقل يخربون ديارهم على وفق ما سبق وأيضاً كيف ما كان الإخراج من ديارهم وهي مخربة أجيب بأن الدار ما له بيوت فيجوز إخراب بعضها وإبقاء بعضها على مقتضى الرأي فيكون الخروج من الباقي على أن الإخراج لا يقتضي العمارة إذ يجوز أن يكون بإخراب المساكن والطرح منها قال سهل رحمه الله: يخربون بيوتهم بأيديهم أي قلوبهم بالبدع، وفي «كشف الأسرار»: نخست دين ودل خويش ازروى باطن خراب كردند تا خرابي باطن بظاهر سرايت كرد وخانه خود نيز خراب كردند **﴿وأيدي المؤمنين﴾** حيث كانوا يخربونها إزالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعاً لمجال القتال وإضراراً بهم وإسناد هذا إليهم لما أنهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم إياه وأمروهم به وهذا كما في قوله عليه السلام: «لعن الله من لعن والديه» وهو كقوله عليه السلام: «من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه فقالوا: وكيف يسب الرجل والديه؟ فقال: يساب الرجل فيسب أباه فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه».

يقول الفقير: فيه إشارة إلى أن استناد الكفار إلى الحصون والأحجار وأن اعتماد المؤمنين على الله الملك الغفار ولا شك أن من اعتمد على المأمن الحقيقي ظفر بمراده فيه دنياه وآخرته ومن استند إلى ما سوى الله تعالى خسر خسراناً مبيناً في تجارته وأن الإنسان بنيان الرب فربما قتل المرء نفسه وتسبب له فهدم بنيان الله فصار ملعوناً وقس على هذا حال القلب فإنه بيت الله واجتهد حتى لا يغلب عليه النفس والشيطان. قال الحافظ:

من آن نكين سليمان بهيج نستانم كه كاه كاه بروودست اهر من باشد

﴿فاعتبروا﴾ پس عبرت كيريد ﴿يا أولي الأبصار﴾ أي يا أولي الألباب والعقول والبصائر يعني اتعظوا بما جرى عليهم من الأمور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدي إليه الأفكار واتقوا مباشرة ما أداهم إليه من الكفر والمعاصي وانتقلوا من حال الفريقين إلى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الأسباب كبني النضير الذين اعتمدوا على حصونهم ونحوها بل توكلوا على الله تعالى، وفي «عين المعاني»: فاعتبروا بها خراب جميع الدنيا:

جهان اي پسر ملك جاويد نيست ز دنيا وفادارى اميد نيست

والاعتبار مأخوذ من العبور وهو المجاوزة من شيء إلى شيء ولهذا سميت العبرة عبرة لأنها تنتقل من العين إلى الخد وسمي أهل التعبير لأن صاحبه ينتقل من المتخيل إلى المعقول وسميت الألفاظ عبارات؛ لأنها تنقل المعاني من لسان القائل إلى عقل المستمع ويقال: السعيد من اعتبر بغيره لأنه ينتقل عقله من حال ذلك الغير إلى حاله نفسه:

چو بركشته بختى در افتد ببند ازونيك بختان بكيرند پند

والبصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة التي فيها ويقال القلب المدركة بصيرة وبصر ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة كما في «المفردات»، قال بعض التفاسير: الأبصار جمع بصر وهو ما يكون في الرأس وبه يشاهد عالم الملك وهو عالم الشهادة حتى لو كان بين الرائي والمرئي مقدار عدة آلاف سنة يشاهده في طرفة عين بوصول نور من حدقة العين إلى المرئي حكاية للرائي والبصيرة في القلب كالبصر في الرأس وبها يشاهد عالم الملكوت وهو عالم الغيب حتى لو كان المشاهد في العالم الأعلى وفي اللوح المحفوظ بل في علم الله تعالى مما تتعلق مشيئة الله بمشاهدة أحد إياه من عباده لشاهده في آن واحد وقد يشاهد الممتنع والمحال وغير المتناهي بنوع مشاهدة كما نجده في وجداننا وكل ذلك من غرائب صنع الله وجعل البعض البصر هٰهنا مجازاً عن المشاهدة لأنه كثيراً ما يكون آلة لمشاهدتها ويكون هو معتبراً باعتبارها حتى لولاها يكون هو في حكم المفقود وبهذا الاعتبار أورد الأبصار في مقام البصائر، فقال في «تفسيره»: فاتعظوا وانظروا فيما نزل بهم يا ذوي العقول والبصائر وهذا هو الأليق بشأن الاتعاظ والأوفق لقوله تعالى ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الطلاق: ١٠] إذ اللب وهو العقل الخالص عن الكدورات البشرية والبصيرة التي هي عين القلب حين ما كانت مجلوة خاصة بالعقلاء اللائقين للخطاب بالأمر بالاعتبار وأما البصر فيوجد في البهائم والبصيرة الغير المجلوة فتوجد في العوام وجعله البعض الآخر على حقيقته فقال في «تفسيره»: فاعتبر يا من عاين تلك الوقائع لكن مآل القولين واحد إذ مجرد البصر المعاين لا يفيد الاعتبار بلا بصيرة صحيحة، وفي «الوسيط» معنى الاعتبار النظر في الأمور ليعرف بها شيء آخر من جنسها قال يحيى بن معاذ رحمه الله: من لم يعتبر بالمعاينة استغنى عن الموعظة وقد استدل بالآية على حجية القياس من حيث إنه أمر بالمجاوزة من حال إلى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له كما فصل في الكتب الأصولية وأشار بأهل الكتاب إلى يهودي النفس ونصراني الهوى وإنما نسبنا التنصر إلى الهوى والتهود إلى النفس لغلبة عطلة النفس فإن الهوى بالنسبة إلى النفس كالروح بالنسبة إلى الجسم البدني ولهذا المعنى قيل: الهوى روح النفس ينفخ فيها هوى الشهوات الحيوانية ويهوى إلى هاوية الجحيم والله تعالى يستأصلها من ديار صفاتها الظلمانية بالصدمة

الأولى من قتال الحشر الأول وظنوا أن حصون طباعهم الرديئة تمنعهم عن الانسلاخ من صفاتهم الخسيسة فأتاهم الله بالتجلي القهري وقذف في قلوب النفس والهوى رعب المفارقة بينهما فإن كل واحد منهما كان متمسكاً بالآخر تمسك الروح بالبدن وقيام البدن بالروح يخربون بيوت صفاتهم بأيدي أهوائهم المضلة وبقوة أيدي الروح والسر والقلب لغلبة نوريتهم عليها ﴿**فاعتبروا يا أولي الأبصار**﴾ الذين صار الحق تعالى بصرهم كما قال: «فبي يبصر وبي يسمع وبي يبطش» الحديث بطوله.

﴿**ولولا أن كتب الله**﴾ حكم ﴿**عليهم**﴾ أي: على بني النضير ﴿**الجلاء**﴾ أي: الخروج من أوطانهم على ذلك الوجه الفظيع وقد سبق الكلام في الجلاء ولولا امتناعية وما بعدها مبتدأ فإن أن مخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشأن المقدر أي ولولا أنه وكتب الله خبرها والجملة في محل الرفع بالابتداء بمعنى ولولا كتاب الله عليهم الجلاء واقع في علمه أو في لوحه ﴿**لعذبهم في الدنيا**﴾ بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة من اليهود قال بعضهم: لما استحقوا بجرمهم العظيم قهراً عظيماً أخذوا بالجلاء الذي جعل عديلاً لقتل النفس لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦] مع أن فيه احتمال إيمان بعضهم بعد مدة وإيمان من يتولد منهم. ﴿**ولهم في الآخرة عذاب النار**﴾ استئناف غير متعلق بجواب لولا إذ لو كان معطوفاً عليه لزم أن ينجو من عذاب الآخرة أيضاً لأن لولا تقتضي انتفاء الجزاء لحصول الشرط وإنما جيء به لبيان أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة.

يقول الفقير: لا يلزم من نجاتهم من عذاب الدنيا أن لا يكون جلاؤهم من قبيل العذاب وإنما لم يكن منه بالنسبة إلى عذاب الاستئصال والوجه في جلائهم أنهم قصدوا قتل النبي عليه السلام وقتله شر من ألف قتل فأخذوا بالجلاء ليموتوا كل يوم ألف مرة لأن انقطاع النفس عن مألوفاتها بمنزلة موتها فجاء الجزاء من جنس العمل قال بعض أهل الإشارة: ولولا أن كتب الله على يهودي النفس ونصراني الهوى جلاء الانسلاخ من ديار وجوداتهم لعذبهم في طلب الدنيا ومحبتها ولهم في آخر الآمر عذاب نار القطيعة عن مألوفاتهم الطبيعية ومستحسناتهم الحسية.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾.

﴿**ذلك**﴾ أي: ما حاق بهم وسيحيق ﴿**بأنهم**﴾ أي بسبب أنهم ﴿**شاقوا الله ورسوله**﴾ خالفوا أمرهما وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح والمشاقة كون الإنسان في شق ومخالفه في شق ﴿**ومن يشاق الله**﴾ كائناً من كان. ﴿**فإن الله شديد العقاب**﴾ له فهو نفس الجزاء بحذف العائد أو تعليل للجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب فإذا لهم عقاب شديد أيضاً لكونهم من المشاقين وأياً ما كان فالشرطية تحقيق للسببية بالطريق البرهاني وفيه إشعار بأن المخالفة تقتضي المؤاخذة بقدر قوتها وضعفها فليحذر المؤمنون من العصيان مطلقاً.

همينست بسندست اكر بشنوى كه كر خار كارى سمن ندروى

اعلم أن الله الذي هو الاسم الأعظم جامع لجميع الأسماء الإلهية المنقسمة إلى الأسماء الجلالية القهرية والجمالية اللطفية والتشاقق فيه استدعاء أحد الشقين من التجليين الجمالي والجلالي بأن يطلب الطالب منه اللطف والجمال وهو ممن يستحق القهر والجلال لا ممن

يستحق اللطف والجمال فهو يستدعي من الحق شيئاً لا تقتضي حكمته البالغة إعطاءه إياه وهو من قبيل التحكم الذي لا يجوز بالنسبة إلى الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحج: ١١]. قال الحافظ:

درين چمن نكنم سرزنش بخود رويى چنانكه پرورشم ميدهند مى رويم

والمشاقة مع الرسول عليه السلام المنازعة في حكمة أمره ونهيه مثل أسرار الصلوات الخمس واختلاف أعدادها وقراءتها جهراً وسراً ومثل أسرار الزكاة واختلاف أحكامها ومثل أحكام الحج ومناسكه ونحن أمرنا بمحض الامتثال والانقياد وما كلفنا بمعرفة أسرارها وحقائقها والنبي عليه السلام مع كمال عرفانه وجلال برهانه يقول: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام: ٥٠] وقال: «نحن نحكم بالظواهر والله يعلم السرائر» قوله ﴿**فإن الله شديد العقاب**﴾ ومن شدة عقابه ابتلاء عبده بامتثال هذه الأشياء مع عدم تكليفه إياه بمعرفة حقائقها والمراد بالعقاب الإتعاب وإلا فالأحكام من قبيل الرحمة لا العذاب ولذا من قال هذه الطاعات جعلها الله علينا عذاباً من غير تأويل كفر.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾

﴿**ما قطعتم من لينة**﴾ ما شرطية نصب بقطعتم واللينة فعلة نحو حنطة من اللون على أن أصلها لونة فياؤها مقلوبة عن واو لكسرة ما قبلها نحو ديمة وفيمة وتجمع على ألوان وهي ضروب النخل كلها وقيل من اللين وتجمع على لين وأليان وهي النخلة الكريمة الشجرة بكونها قريبة من الأرض والطيبة الثمرة، قال الراغب في «المفردات»: اللين ضد الخشونة ويستعمل ذلك في الأجسام ثم يستعار للخلق ولغيره من المعاني فيقال: فلان لين وفلان خشن وكل واحد منهما يمدح به طوراً ويذم به طوراً بحسب اختلاف المواضع وقوله ﴿**ما قطعتم من لينة**﴾ أي من نخلة ناعمة ومخرجه مخرج فعلة نحو حنطة ولا يختص بنوع منه دون نوع انتهى والمعنى أي شيء قطعتم من نخلة من نخيلهم بأنواعها وقيل: اللينة ضروب النخلة كلها ما خلا العجوة والبرنية وهما أجود النخل. ﴿**أو تركتموها**﴾ الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ﴾ [فاطر: ٢] ﴿**قائمة**﴾ حال من ضمير المفعول. ﴿**على أصولها**﴾ كما كانت من غير أن تتعرضوا لها بشيء من القطع جمع أصل وهو ما يتشعب منه الفرع. ﴿**فبإذن الله**﴾ فذاك أي قطعها وتركها بأمر الله فلا جناح عليكم فيه فإن في كل من القطع والترك حكمة ومصلحة. ﴿**وليخزي الفاسقين**﴾ أي: وليذل اليهود الخارجين عن دائرة الإسلام إذن في قطعها وتركها فهو علة لمحذوف يقال: خزي الرجل لحقه انكسار إما من نفسه وهو الحياء المفرط ومصدره الخزاية وإما من غيره وهو ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزي أذن الله في قطعها وتركها لأنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤوا من القطع والترك يزدادون غيظاً ويتضاعفون حسرة وذلك أن رسول الله عليه السلام حين أمر أن تقطع نخيلهم وتحرق قالت اليهود وهم بنو النضير: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخيل وإحراقها فشق ذلك على النبي عليه السلام وكان في أنفس المؤمنين أيضاً من ذلك شيء فنزلت وجعل أمر رسول الله أمره تعالى لأنه عليه السلام ما ينطق عن الهوى واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع أشجارهم مثمرة كانت أو غير مثمرة وإحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع إن كانت من

الألوان ليستبقوا لأنفسهم العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وإن كانت هي الكرام ليكون غيظهم أشد ويقال إن العتيق والعجوة كانتا مع نوح في السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة أصل الإناث كلها فلذا شق على اليهود قطعها وظهر من هذا أن اللون هو ما عدا العجوة والبرني من أنواع التمر بالمدينة والبرني بالفارسية حمل مبارك أو جيد لأن أصله برنيك فعرب ومن أنواع تمر المدينة الصيحاني، وفي «شرح مسلم للنووي» أن أنواع التمر مائة وعشرون وفي «تاريخ المدينة الكبير» للسيد السمنودي أن أنواع التمر بالمدينة التي أمكن جمعها بلغت مائة وبضعاً وثلاثين ويوافقه قول بعضهم اختبرناها فوجدنا أكثر مما ذكره النووي قال: ولعل ما زاد على ما ذكر حدث بعد ذلك وأما أنواع التمر بغير المدينة كالمغرب فلا تكاد تنحصر فقد نقل أن عالم فاس محمد بن غازي أرسل إلى عالم سجلماسة إبراهيم بن هلال يسأله عن حصر أنواع التمر بتلك البلدة فأرسل إليه حملاً أو حملين من كل نوع تمرة واحدة فأرسل إليه هذا ما تعلق به علم الفقير ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وفي «نسق الأزهار» أن بهذه البلدة رطباً يسمى البتوني وهو أخضر اللون وأحلى من عسل النحل ونواه في غاية الصغر وكانت العجوة خير أموال بني النضير لأنهم كانوا يقتاتونها وفي الحديث: «العجوة من الجنة وتمرها يغذي أحسن الغذاء». روي أن آدم عليه السلام نزل بالعجوة من الجنة، وفي «البخاري»: «من تصبح كل يوم على سبع تمرات عجوة لم يصبه في ذلك اليوم سم ولا سحر» وقد جاء في العجوة العالية شفاء وإنها ترياق أول البكرة وفي كلام بعضهم: العجوة ضرب من التمر أكبر من الصيحاني تضرب إلى السواد وهي مما غرسه النبي عليه السلام بيده الشريفة وقد علمت أنها في نخل بني النضير وعن ابن عباس رضي الله عنهما هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء بالآسة وهي سيدة ريحان الدنيا والسنبلة وهي سيدة طعام الدنيا والعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا وفي الحديث: «إن العجوة من غرس الجنة وفيها شفاء وإنها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر البرني فكلوه فإنه يسبح في شجره ويستغفر لآكله وإنه من خير تمركم وإنه دواء وليس بداء» وجاء: «بيت لا تمر فيه جياع أهله» قال ذلك مرتين ولما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل كما في «إنسان العيون» قال بعض أهل الإشارة: يشير إلى من قطع نخلة محبة الدنيا من أرض قلبه بأمر الله وحكمته المقتضية لذلك الأمر بالقطع وهم المحرمون المنقطعون عن الدنيا ومحبتها وشهواتها ولذاتها المتوجهون إلى طريق السلوك إلى الله بتزكية النفس وتصفية القلب وتخلية السر وتحلية الروح وإلى من ترك الدنيا في أرض قلبه قائمة على أصولها على حالها بإذن الله وحكمته البالغة المقتضية لإبقائها وهم الكاملون المكملون الواصلون المواصلون الذين ليس للدنيا ولا للآخرة عندهم قدر ومقدار ما زاغ نظر ظاهرهم ولا بصر باطنهم إليهما لاشتغالهم بذكر الله أي بذكر ذاته وصفاته وأسمائه كما قال في حقهم: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] **﴿وليخزي الفاسقين﴾** الذين خرجوا من مقام المعرفة والعرفان وما عرفوا أن للحق عباداً ليس للدنيا والآخرة عندهم قدر ومقدار وما زاغ بصر ظاهرهم ولا نظر باطنهم إليهما وطعنوا فيهم بمحبة الدنيا ونسبوا إليهم حب الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية فأخزاهم الله بشؤم هذا الطعن والله يشهد إنهم لكاذبون. قال الحافظ:

پس تجربه كرديم درين دير مكافات   بادرد كشان هركه در افتاد بر افتاد

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾

﴿وما أفاء الله على رسوله﴾ شروع في بيان حال ما أخذ من أموالهم بعد بيان ما حل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع وما موصولة مبتدأ وقوله: **﴿فما أوجفتم﴾** خبره ويجوز جعلها شرطية وقوله: **﴿فما أوجفتم﴾** جواباً والفيء في الأصل بمعنى الرجوع وأفاء أعاد وأرجع فهو على أصل معناه هنا والمعنى ما أعاده إليه من مالهم أي جعله عائداً ففيه إشعار بأنه كان حقيقاً بأن يكون له عليه السلام وإنما وقع في أيديهم بغير حق فرجعه الله إلى مستحقه لأنه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به إلى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين وهو عليه السلام رأسهم ورئيسهم وبه أطاع من أطاع فكان أحق به فالعود على هذا بمعنى أن يتحول الشيء إلى ما فارق عنه وهو الأشهر ويجوز أن يكون معناه صيره له فالعود على هذا بمعنى أن يتحول الشيء إلى ما فارق عنه وإن لم يكن ذلك التحول مسبوقاً بالحصول له والحمل هنا على هذا المعنى لا يحوج إلى تكلف توجيه بخلاف الأول وكلمة على تؤيد الثاني، وقال بعضهم: أفاء الله مبني على أن الفيء الغنيمة فمعنى أفاء الله على رسوله جعله فيئاً له خاصة وقال الراغب: الفيء والفيئة الرجوع إلى حالة محمودة وقيل للغنيمة التي لا يلحق فيها مشقة فيء قال بعضهم: سمي ذلك بالفيء تشبيهاً بالفيء الذي هو الظل تنبيهاً على أن أشرف أعراض الدنيا يجري مجرى ظل زائل والفئة الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد وقال المطرزي في «المغرب» في الفرق بين الغنيمة والفيء والنفل أن الغنيمة عن أبي عبيد ما نيل من أهل الشرك عنوة والحرب قائمة وحكمها أن تخمس وسائرها بعد الخمس للغانمين خاصة والفيء ما نيل منهم بعدما تضع الحرب أوزارها وتصير الدار دار إسلام وحكمه أن يكون لكافة المسلمين ولا يخمس والنفل ما ينفله الغازي أي يعطاه زائداً على سهمه، وهو أن يقول الإمام أو الأمير: من قتل قتيلاً فله سلبه أو قال للسرية: ما أصبتم فلكم ربعه أو نصفه ولا يخمس وعلى الإمام الوفاء به، وعن علي بن عيسى الغنيمة أعم من النفل والفيء أعم من الغنيمة لأنه اسم لكل ما صار للمسلمين من أموال أهل الشرك قال أبو بكر الرازي: فالغنيمة فيء والجزية فيء ومال أهل الصلح فيء والخراج فيء لأن ذلك كله مما أفاه الله على المسلمين من المشركين وعند الفقهاء كل ما يحل أخذه من أموالهم فهو فيء. **﴿منهم﴾** أي بني النضير. **﴿فما﴾** نافية **﴿أوجفتم عليه﴾** أي فما أجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير يقال أوجفت البعير أسرعته وفي «القاموس» الوجيف ضرب من سير الخيل والإبل وقيل: أوجف فأعجف **﴿من خيل﴾** من زائدة بعد النفي أي خيلاً وهو جماعة الأفراس لا واحد له أو واحده خائل لأنه يختال والجمع أخيال وخيول كما في «القاموس» وقال الراغب: الخيلاء التكبر من تخيل فضيلة تترا أي للإنسان من نفسه ومنها تتأول لفظة الخيل لما قيل: إنه لا يركب أحد فرساً إلا وجد في نفسه نخوة والخيل في الأصل اسم للأفراس والفرسان جميعاً قال تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] ويستعمل في كل واحد منهما منفرداً نحو ما روي: يا خيل الله اركبي فهذا للفرسان وقوله عليه السلام: «عفوت لكم عن صدقة الخيل» يعني: الأفراس انتهى.

والخيل نوعان: عتيق وهجين فالعتيق ما أبواه عربيان سمي بذلك لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه بالأمور المنقصة وسميت الكعبة بالبيت العتيق لسلامتها من عيب الرق لأنه لم يملكها ملك قط وإذا ربط الفرس العتيق في بيت لم يدخله شيطان والهجين الذي أبوه عربي وأمه عجمية والفرق أن عظم البرذونة أعظم من عظم الفرس وعظم الفرس أصلب وأثقل والبرذونة أحمل من الفرس والفرس أسرع منه والعتيق بمنزلة الغزال والبرذونة بمنزلة الشاة والفرس يرى المنامات كبني آدم ولا طحال له وهو مثل لسرعته وحركته كما يقال للبعير لامرارة له، أي له جسارة. ﴿**ولا ركاب**﴾ هي ما يركب من الإبل خاصة كما أن الراكب عندهم راكبها لا غير وأما راكب الفرس فإنهم يسمونه فارساً ولا واحد لها من لفظها وإنما الواحدة منها راحلة، قال في «المفردات»: الركوب في الأصل كون الإنسان على ظهر حيوان وقد يستعمل في السفينة والراكب اختص في التعارف بممتطي البعير جمعه رَكب وركبان وركوب واختص الركاب بالمركوب والمعنى ما قطعتم ولها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالاً شديداً وذلك أنه كانت قرى بني النضير على ميلين من المدينة وهي ساعة واحدة بحساب الساعات النجومية فذهبوا إليها مشياً وما كان فيهم راكب إلا النبي عليه السلام وكان يركب حماراً مخطوماً بليف على ما سبق أو جملاً على ما قاله البعض فافتتحها صلحاً من غير أن يجري بينهم مسايفة كأنه قال ﴿**وما أفاء الله على رسوله**﴾ منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين. ﴿**ولكن الله يسلط رسله على من يشاء**﴾ أي: سنته تعالى جارية على أن يسلطهم على من يشاء من أعدائهم تسليطاً خاصاً وقد سلط النبي عليه السلام على هؤلاء تسليطاً غير معتاد من غير أن تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في أموالهم يعني أن الأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء فلا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها وأخذت عنوة وقهراً وذلك أنهم طلبوا القسمة كخيبر فنزلت ﴿**والله على كل شيء قدير**﴾ فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة وأخرى على غيرها:

تيغى كه آسمانش از فيض خود دهد آب ... تنها جهان بكيرد بى منت سپاهى

اعلم أن الفيض الإلهي الفائض من الله على ساحة قلب السالك على قسمين: إما بالوهب المحض من خزانة اسمه الوهاب من غير تعمل من العامل فيه من ركض خيل النية الصالحة ومن سوق ركاب العمل الصالح من الفرائض والنوافل فهو مقطوع الروابط من جانب السالك العامل فليس للسالك أن يضيف ذلك الفيض والوارد القلبي إلى نفسه بوجه من الوجوه ولا إلى الأعمال الصادرة منه بسبب الأعضاء والجوارح بل يتركه على صرافة الوهب الرباني وطراوة العطاء الامتناني والآية الكريمة دالة هذا القسم وإما مشوب بتعمله فهو من خزانة اسمه الجواد فله أن يضيفه إلى نفسه وأعضائه وجوارحه ليظهر أثره عليها كلها والآية الثالثة الآتية تشير إلى القسم الثاني وقد جمع بينهما قوله تعالى: ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] فإن الأول إشارة إلى الأول والثاني إلى الثاني وأراد برسوله رسول القلب وإنما سمي القلب بالرسول لأن الرسالة من حضرة الروح إلى النفس الكافرة والهوى الظالم بدعوتهما إلى الحق تعالى بالإيمان والهدى.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾.

﴿**ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى**﴾ بيان لمصارف الفيء بعد بيان إفاءته عليه ﷺ من غير أن يكون للمقاتلة فيه حق ولذا لم يعطف عليه كأنه لما قيل ما أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة فلا يقسم قسمة الغنائم فكأنه قيل فكيف يقسم فقيل: ما أفاء الله إلخ. قال في «برهان القرآن»: قوله ﴿**وما أفاء الله**﴾ وبعده ما أفاء الله بغير واو لأن الأول معطوف على قوله ﴿**ما قطعتم من لينة**﴾ والثاني استئناف وليس له به تعلق وقول من قال بدل من الأول مزيف عند أكثر المفسرين انتهى وإعادة عين العبارة الأولى لزيادة التقرير ووضع أهل القرى موضع ضميرهم للإشعار بشمول ما لعقاراتهم أيضاً فالمراد بالقرى قرى بني النضير. وقال الكاشفي: من أهل القرى از اموال وأملاك أهل دهها وشهرها بحرب كرفته نشود وفي «عين المعاني»: أي قريظة والنضير بالمدينة وفدك وخيبر، وفي «إنسان العيون» وفسرت القرى بالصغرى ووادي القرى أي بثلث ذلك كما في «الإمتاع» وينبع وفسرت بني النضير وخيبر أي بثلاثة حصون منها وهي الكيتية والوطيح والسلالم كما في «الإمتاع» وفدك، أي نصفها. قال العلماء: كانت الغنائم في شرع من قبلنا لله خاصة لا يحل منها شيء لأحد وإذا غنمت الأنبياء عليهم السلام جمعوها فتنزل نار من السماء فتأخذها فخص نبينا عليه السلام من بينهم بأن أحلت له الغنائم قال عليه السلام: «أحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي» ﴿**فلله وللرسول**﴾ يأمران ما أحبا وقيل ذكر الله للتشريف والتعظيم والتبرك وسهم النبي عليه السلام سقط بموته.

ـ روي ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن أموال بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه فكانت لرسول الله خالصة وكان ينفق على أهله منها نفقة سنة وما بقي جعله في الخيل والسلاح عدة في سبيل الله. ﴿**ولذي القربى**﴾ وهم بنو هاشم وبنو المطلب الفقراء منهم لما حرموا الصدقة، أي الزكاة وروى أبو عصمة عن أبي حنيفة رحمه الله أنه يجوز دفع الزكاة إلى الهاشمي وإنما كان لا يجوز في ذلك الوقت ويجوز النفل بالإجماع وكذا يجوز النفل للغني كذا في «فتاوي العتابي» وذكر في «المحيط» بعدما ذكر هذه الرواية:

ـ وروى ـ ابن ساعدة عن أبي يوسف رحمه الله أنه لا بأس بصدقة بني هاشم بعضهم على بعض ولا أرى الصدقة عليهم وعلى مواليهم من غيرهم كذا في «النهاية» وقال في «شرح الآثار»: عن أبي حنيفة رحمه الله أن الصدقات كلها جائزة على بني هاشم والحرمة كانت في عهد النبي عليه السلام لوصول خمس الخمس إليهم فلما سقط ذلك بموته حلت لهم الصدقة قال الطحاوي وبالجواز نأخذ كذا في «شرح الوقاية» لابن الملك. ﴿**واليتامى**﴾ جمع يتيم واليتم انقطاع الصبي عن أبيه قبل بلوغه وفي سائر الحيوانات من قبل أمه. ﴿**والمساكين**﴾ جمع مسكين ويفتح ميمه وهو من لا شيء له أو له ما لا يكفيه أو أسكنه الفقر أي قلل حركته والذليل الضعيف كما في «القاموس» وهو من السكون فنونه أصلية لا نون جمع ولذلك تجري عليه الأعاريب الثلاثة. ﴿**وابن السبيل**﴾ أي المسافر البعيد عن ماله وسمي به لملازمة له كما تقول

للص القاطع ابن الطريق وللمعمر ابن الليالي ولطير الماء ابن الماء وللغراب ابن دأية بإضافة الابن إلى دأية البعير لكثرة وقوعه عليها إذا دبرت والدأية الجنب. قال أهل التفسير: اختلف في قسمة الفيء قيل: يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله إلى عمارة الكعبة وسائر المساجد ويصرف ما بقي وهي خمسة أسداس الستة إلى المصارف الخمسة التي يصرف إليها خمس الغنيمة وقيل: يخمس لأن ذكر الله للتعظيم ويصرف كل خمس إلى مصارف خمس الغنيمة ويصرف الآن سهم الرسول عليه السلام إلى الإمام علي قول وإلى العساكر والثغور على قول وهو الأصح عند الشافعية وإلى مصالح المسلمين على قول وقيل: يخمس خمسه كالغنيمة فإنه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الأخماس الأربعة كما يشاء أي كان يقسم الفيء أخماساً ويصرف الأخماس الأربعة لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ويخمس الخمس الباقي ويختار خمس الخمس لنفسه ويصرف الأخماس الأربعة الباقية كما يشاء والآن على الخلاف المذكور من صرف سهمه عليه السلام إلى الإمام أو العساكر والثغور أو مصالح المسلمين.

وفي «التأويلات النجمية»: ذوو القربى الروح والقلب والسر والخفي وهم مقربو الحق تعالى بقرب الحسب والنسب واليتامى المتولدات من النفس الحيوانية الباقية بعد فناء النفس بحسب سطوات تجليات القهر والمساكين هم الأعضاء والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس المسافرون إلى عوالم المعقولات والمتخيلات والموهومات والمحسوسات بقدم العقل والخيال والوهم والحس وقال بعض أهل الإشارة: ذوو القربى هم الذين شاركوه في بعض مقاماته عليه السلام واليتامى هم الذين انقطعوا عما دون الحق إلى الحق فبقوا بين الفقدان والوجدان طلاب الوصول والمساكين هم الذين ليس لهم بلغة المقامات وليسوا بمتمكنين في الحالات وابن السبيل هم الذين سافروا من الحدثان إلى القدم ﴿**كيلا يكون**﴾ علة لقوله: ﴿**فلله وللرسول**﴾ أي تولى الله قسمة الفيء وبين قسمته لئلا يكون أي الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء يعيشون به. ﴿**دولة**﴾ بضم الدال وقرىء بفتحها وهي ما يدول للإنسان أي يدور من الغنى والجد والغلبة أي كيلا يكون جدا. ﴿**بين الأغنياء منكم**﴾ يتكاثرون به والخطاب للأنصار لأنه لم يكن في المهاجرين في ذلك الوقت غنى كما في «فتح الرحمن» أو كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فإن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز أي من غلب سلب فيجعلون الاستقلال بمال الغنيمة والانفراد به منوطاً بالغلبة عليه فكل من غلب على شيء منه يستقل به ولا يعطي الفقراء والضعفاء شيئاً منه. قال الكاشفي: در معالم آورده كه اهل جاهليت چون غنيمتي كرفتندى مهتر ايشان ربعى بر داشتى وازباقى نيز بر اى خود تحفه اختيار كردى وانرا صفى كفتندى وباقي را باقوم كذا شتى وتوانكران قوم بردرويشان دران قسمت حيف كردندى جمعى از رؤساى أهل إيمان درغنايم بني النضير همين خيال بسته كفتند يا رسول الله شما ربعي ونصفي مغنم را برداريد وبكذا ريد تاباقي را قسمت كنيم حق سبحانه وتعالى آنرا خاصه حضرت پيغمبر عليه السلام كردانيد وقسمت آنرا بر وجهي كه مذكور شد مقرر ساخت وفرمودكه حكم فيء پيدا كرديم تانباشد آن فيء كردان دست بدست ميان توانكران از شماكه زياده از حق خود بردارند وفقرارا اندك دهند يا محروم سازند چنانكه در زمان جاهليت بوده. وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف أي إن الدولة اسم للشيء

الذي يتداوله القوم بينهم فيكون مرة لهذا ومرة لهذا والتداول بالفارسية: از يكديكر فرا كرفتن. وتداول القوم كذا وداول الله بينهم كذا فالمعنى كيلا يكون الفيء شيئاً يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح مصدر بمعنى التداول وفيه إضمار محذوف فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون إمساكه وأخذه تداولاً لا يخرجونه إلى الفقراء وقيل: هي بالفتح بمعنى انتقال حالة سارة إلى قوم عن قوم وتستعمل في نفس الحالة السارة التي تحدث للإنسان يقال: هذه دولة فلان وقيل: الضم للأغنياء والفتح للفقراء وفي الحديث «اغتنموا دولة الفقراء» كما في «الكواشي» وفي الآية إشارة إلى إعطاء كل ذي حق حقه كيلا يحصل بين الأغنياء والفقراء نوع من الجور والدولة الجاهلية يقال: كان الفقراء في مجلس سفيان الثوري أمراء أي كالأمراء في التقديم والإكرام والعزة. ﴿**وما آتاكم الرسول**﴾ ما موصولة والعائد محذوف والإيتاء الإعطاء والمناولة أي ما أعطاكموه أيها المؤمنون من الفيء. ﴿**فخذوه**﴾ فإنه حقكم ﴿**وما نهاكم عنه**﴾ أي: عن أخذه ﴿**فانتهوا**﴾ عنه ﴿**واتقوا الله**﴾ في مخالفته عليه السلام. ﴿**إن الله شديد العقاب**﴾ فيعاقب من يخالف أمره ونهيه والأولى حمل الآية على العموم فالمعنى وما آتاكم الرسول من الأمر مطلقاً فيئاً أو غيره أصولاً اعتقادية أو فروعاً عملية فخذوه أي فتمسكوا به فإنه واجب عليكم. هرشربتي ازدست او درآيد بستانيد كه حيات شما درآنست وآن لوح راخوانيدكه نويسد زيرا ضروريات شما در صفحه او بيانست وما نهاكم عن تعاطيه أياً كان فانتهوا عنه زيراً أمر ونهى أو بحق است هركه ممتثل امر أو كردد نجات يابد وهركه از نهى أو اجتناب ننمايد در ورطه هلاك افتد:

آنكس كه شد متابع امر توقد نجا   وانكو خلاف راى تووزريد قد هلك

وفيه دليل على أن كل ما أمر به النبي عليه السلام أمر من الله تعالى قال العلماء: اتباع الرسول عليه السلام في الفرائض العينية فرض عين وفرض كفاية في الفروض على سبيل الكفاية وواجب في الواجبات وسنة في السنن فما علمنا من أفعاله واقعاً على جهة نقتدي به في اتباعه على تلك الجهة وما لم نعلم على أي جهة فعله فلنا فعله على أدنى منازل أفعاله وهو الإباحة.

ـ روي ـ أن ابن مسعود رضي الله عنه لقي رجلاً محرماً وعليه ثيابه فقال: انزع عنك هذا فقال الرجل: أتقرأ علي بهذا آية من كتاب الله قال: نعم ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾.

ـ وروي ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لعن الله الواشمات» أي: فاعلات الوشم وهو ما يوشم به اليد من نؤور أو نيلج قال في «القاموس»: الوشم كالوعد غرز الإبرة في البدن وذر النيلج عليه والنؤور كصبور النيلج ودخان الشحم وحصاة كالإثمد تدق فيسفها اللثة «والمستوشمات» يقال استوشمت الجارية طلبت أن يوشم بها «والمتنمصات للحسن» وهي أي المتنمصة التي تنتف شعرها يعني بركننده موى از براي حسن. قال في «القاموس»: النمص نتف الشعر ولعنت النامصة وهي مزينة النساء بالنمص والمتنمصة وهي مزينة به «المغيرات خلق الله» آن زنانى كه تغيير كنند آفريده خدارا. ويدخل فيه تحديد الأسنان وإصلاحها ببعض الآلات وثقب الأنف وأما ثقب الأذن فمباح للنساء لأجل التزيين بالقرط وحرام على الرجال كحلق اللحية «فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت» پس آمدآن زن نزد «ابن مسعود

رضي الله عنه فقالت: قد بلغني أنك قلت كيت وكيت» يعني مرا رسيده است كه توكفته چنين وچنين «فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ومن هو في كتاب الله» يعني ابن مسعود كفت چكونه لعنت نكنم آنراكه لعنت كرده است رسول الله وآنراكه در كتاب الله است «فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحتين فما وجدت فيه ما تقول قال: لئن كنت قرأته لقد وجدته أما قرأت **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** قالت: بلى قال: فإنه عليه السلام قد نهى عنه» ولذلك قرأ ابن عباس رضي الله عنه هذه الآية للنهي عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت والدباء بالضم والمد القرعة والحنتم بفتح الحاء والتاء وسكون النون قبلها جرة خضراء والنقير ما نقب من حجر وخشب ونحوهما والمزفت بالضم والتشديد جرة أو خابية طليت ولطخت بالزفت بالكسر أي القار وحل عند الإمام الأعظم اتخاذ نبيذ التمر والذرة ونحوه بأن يلقى في هذه الأوعية وإن حصل الاشتداد بسببها وفي الحديث: «القرآن صعب عسر على من كرهه ميسر على من تبعه وحديثي صعب مستصعب وهو الحكمة فمن استمسك بحديثي وحفظه كان مع القرآن ومن تهاون بحديثي خسر الدنيا والآخرة وأمرتم أن تأخذوا بقولي وتتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن ومن استهزأ بقولي فقد استهزأ بالقرآن قال الله تعالى **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** وسئل سهل رحمه الله عن شرائع الإسلام فقال: ما آتاكم الرسول من خبر الغيب ومكاشفة الرب فخذوه باليقين وما نهاكم عنه من النظر إلى غير الله فانتهوا عنه.

وفي «التأويلات النجمية»: يخاطب به ذوي الحقوق من المراتب الأربع ويقال لهم: ما أعطاكم رسول القلب من الفيض الذي حصل له بمددكم الصوري ومعونتكم المعنوية من قبل قتل النفس الكافرة والهوى الظالم فاقبلوه منه بحسن التلقي ولطف القبول وإنه أعطاكم على حسب استعدادكم وما منع عنه فامتنعوا عن الاعتراض عليه **﴿واتقوا الله﴾** في الاعتراض فـ **﴿إن الله شديد العقاب﴾** بحرمانكم من حسن التوجه إليه ولطف الاستفاضة عنه.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿للفقراء المهاجرين﴾ بدل من لذي القربى وما عطف عليه لا من الله والرسول وإلا يلزم دخول الرسول في زمرة الفقراء وهو لا يسمى فقيراً لأنه يوهم الذم والنقصان لأن أصل الفقر كسر فقار الظهر من قولهم: فقرته ولهذا سميت الحاجة والداهية فاقرة لأنهما تغلبان الإنسان وتكسران فقار ظهره وإذا لم يصح تسمية الرسول فقيراً فلأن لا يصح تسميته تعالى فقيراً أولى مع أن الله تعالى أخرجه عليه السلام من الفقراء هنا بقوله: **﴿وينصرون الله ورسوله﴾** بقي أن ابن السبيل الذي له مال في وطنه لا يسمى فقيراً نص عليه في «التلويح» وغيره ومن أعطى أغنياء ذوي القربى كالشافعي خص الإبدال بما بعده بخلاف أبي حنيفة رحمه الله فإن استحقاق ذوي القربى الفيء مشروط عنده بالفقر وأما تخصيص اعتبار الفقر بفيء بني النضير فتعسف ظاهر كما قال في «الإرشاد» **﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾** از سراهاى ايشان كه درمكه داشتند.

﴿وأموالهم﴾ ودور افتاده انداز مالهاى خود. حيث اضطرهم كفار مكة إلى الخروج وأخذوا أموالهم وكانوا مائة رجل فخرجوا منها وإلا فهم هاجروا باختيارهم حباً لله ورسوله واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من الشدة حتى كان الرجل يعصب الحجر على بطنه ليقيم صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دار غيرها وصح عن رسول الله عليه السلام أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين وقال عليه السلام: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة عام» ﴿يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾ أي حال كونهم طالبين منه تعالى رزقاً في الدنيا ومرضاة في الآخرة وصفوا أولاً بما يدل على استحقاقهم للفيء من الإخراج من الديار وقد أعاد ذلك ثانياً بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده فهو حال من واو أخرجوا وفي ذكر حالهم ترق من العالي إلى الأعلى فإن رضوان الله أكبر من عطاء الدنيا. ﴿وينصرون الله ورسوله﴾ عطف على يبتغون فهي حال مقدرة أي ناوين نصرة الله بإعلاء دينه ونصرة رسوله ببذل وجودهم في طاعته أو مقارنة فإن خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين إلى المدينة نصرة وأي نصرة ﴿أولئك﴾ المهاجرون الموصوفون بما ذكر من الصفات الحميدة. ﴿هم الصادقون﴾ الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهوراً بيناً كأن الصدق مقصور عليهم لكمال آثاره الصدق صدقة السر يعني صدقه ملك سراست وصداق الجنة يعني صداق سراى سرورست وصديق الحق يعني صديق پادشاه حق است:

راست كارى پيشه كن كاندر مصاف رستخيز نيستند از خشم حق جزر استكاران رستكار

مصطفى عليه السلام كفت ما مهتر كليت عالم ايم وبهتر ذريت آدم ومارا بدين فخرنه شربتهاى كرم بردست ما نهادند وهديتهاى شريف بحجره ما فرستادند ولباسهاى نفيس در ما پوشيدند وطراز اعزاز براستين ما كشيدند ومارا بدان هيچ فخرنه كفتند مهترا پس اختيار توچيست وافتخار توبچيست كفت اختيار ما آنست وافتخار ما بدانست كه روزى ساعتى جوييم وبا اين فقراى مهاجرين چون بلال وصهيب وسلمان وعمار ساعتى حديث اوكييم:

بـردل ذكـر امـتـش نـشارسـت مـرا وز فـقـر لـبـاس اخـتـيـارسـت مـرا

ديـنـار ودرم بـچـه كـارسـت مـرا باحق همـه كـارچـون بـكـارسـت مـرا

بدانكه فقر دواست يكى آنست كه رسول خدا ازان استعاذه كرده وكفته أعوذ بك من الفقر وديكر آنست كه رسول خدا كفته الفقر فخرى آن يكى نزديك بكفر واين يكى نزديك بحق إما آن فقركه بكفر نزديك است فقر دلست كه علم وحكمت وإخلاص وصبر ورضا وتسليم وتوكل ازدل ببرد تادل ازين ولايتها درويش كردد وچون زمين خراب شود دل خراب شود منزل شيطان كردد آنكه چون شيطان فرود آمد سپاه شيطان روى بوى نهند شهوت وغضب وحسد وشرك وشك وشبه ونفاق ونشان اين فقرآن بودكه هرچه بيند همه كژ بيند سمع او همه مجاز شنود زبان همه دروغ وغيبت كويد قدم بكوى همه ناشايست نهد اين آن فقرست كه رسول خدا كفت كاد الفقر أن يكون كفراً اللهم إني أعوذ بك من الفقر والكفر أما آن فقركه كفت الفقر فخرى آنست كه مرداز دنيا برهنه كردد ودرين برهنكى بدين نزديك كردد وفي الخبر الإيمان عريان ولباسه التقوى همانست كه متصوفه آنرا تجريد كويندكه مرد مجرد شوداز رسوم انسانيت چنانكه تيغ مجرد شوداز نيام خويش وتيغ ما دامكه درنيام باشد هنرش آشكارا نكردد وفعل او

پيدا نيايد همچنين دل تادر غلاف انسانيت است هنروى آشكارا نكردد وازوى كارى نكشايد چون از غلاف انسانيت برهنه كردد صورتها وصفتها درو بنمايد. وقال الشيخ نجم الدين الكاشفي رحمه الله: الافتقار على ثلاثة أقسام: افتقار إلى الله دون الغير وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «الفقر سواد الوجه في الدارين» انتهى وفي كل من الأحاديث المذكورة معانٍ أخر جلية على أولي الألباب وطعن أهل الحديث في قوله: «الفقر فخري» لكن معناه صحيح اللهم أغنني بالافتقار إليك وسئل الحسين رحمه الله من الفقراء؟ قال: الذين وقفوا مع الحق راضين على جريان إرادته فيهم وقال بعضهم: هم الذين تركوا كل سبب وعلاقة ولم يلتفتوا من الكونين إلى شيء سوى ربهم فجعلهم الله ملوكاً وخدمهم الأغنياء تشريفاً لهم.

وفي «التأويلات النجمية»: أبدل الله من ذوي القربى المهاجرين إلى الله أي ذوو القربى هم المهاجرون من قرية النفس إلى مدينة الروح والقلب بالسير والسلوك وقطع المفاوز النفسانية والبواد الحيوانية المخرجون من ديار وجوداتهم وأموال صفاتهم وأخلاقهم إلى حضرة خالقهم ورازقهم طالبين من فضله وجوده ونور رضوان صفاته ونعوته ناصرين الله بمظهريتهم لله الاسم الجامع ورسوله بمظهريتهم لأحكامه وشرائعه الظاهرة أولئك هم الصادقون في مقام الفناء عنهم في ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم والبقاء به أي بذاته وصفاته وأفعاله جعلنا الله وإياكم هكذا بفضله.

﴿والذين تبوأوا الدار والإيمان﴾ كلام مستأنف مسوق لمدح الأنصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم أحسن رضى وأكمله والأنصار بنو الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نيت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، قال في «القاموس»: قحطان بن عامر بن شالخ أبو حي انتهى وهو أصل العرب العرباء ومن الأنصار غسان كشداد ماء قرب الجحفة نزل عليه قوم من ولد الأزد فشربوا منه فنسبوا إليه وأصل البواء مساواة الأجزاء في المكان خلاف النبو الذي هو منافاة الأجزاء يقال: مكان بواء إذا لم يكن نابياً بنازله وبوأت له مكاناً سويت.

ـ وروي ـ «أنه عليه السلام كان يتبوأ لبوله كما يتبوأ لمنزله» وتبوء المنزل اتخاذه منزلاً والتمكن والاستقرار فيه فالمتبوأ فيه لا بد أن يكون من قبيل المنازل والأمكنة والدار هي المدينة وتسمى قديماً يثرب وحديثاً طيبة وطابة كذلك بخلاف الإيمان فإنه ليس من هذا القبيل فمعنى تبوئهم الدار والإيمان أنهم اتخذوا المدينة والإيمان مباءة وتمكنوا فيهما أشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل: ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوؤوا الدار وأخلصوا الإيمان أو قبلوه أو آثروه كقول من قال علفتها تبناً وماء بارداً. أي وسقيتها ماء بارداً فاختصر الكلام وقيل غير ذلك.

يقول الفقير: لعل أصل الكلام والذين تبوؤوا دار الإيمان فإن المدينة يقال لها دار الإيمان لكونها مظهره ومأوى أصله كما يقال لها دار الهجرة وإنما عدل إلى ما ذكر من صورة العطف تنصيصاً على إيمانهم إذ مجرد التبوء لا يكفي في المدح. **﴿من قبلهم﴾** أي: من قبل هجرة المهاجرين فقدر المضاف لأن الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين بل منهم من آمن قبل الهجرة ومنهم من آمن بعدها قال بعضهم: مراد أنصار ندكه درديار خود ايمان آوردند وبد وسال پيش

ازقدوم حضرت مساجد ساختند. وربوا الإسلام كما يربي الطير الفرخ قال في «الإرشاد»: يجوز أن يجعل اتخاذ الإيمان مباءة ولزومه وإخلاصه عبارة عن إقامة كافة حقوقه التي من جملتها إظهار عامة شعائره وأحكامه ولا ريب في تقدم الأنصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن إظهار بعضها لا عن إخلاصه قلباً واعتقاداً إذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك وفي الآية إشارة إلى دار القلب التي هي دار الصدق والإخلاص وإلى الإيمان الاختصاصي الوهبي بتحقيقه وتثبيته. ﴿**يحبون من هاجر إليهم**﴾ خبر للموصول أي يحبونهم من حيث مهاجرتهم إليهم لمحبتهم الإيمان ولأن الله وحبيبه أحباهم وحبيب الحبيب حبيب وفي «كشف الأسرار» كنايتست از مهمان دوستى أنصار. ﴿**ولا يجدون في صدورهم**﴾ أي: في نفوسهم ﴿**حاجة**﴾ أي شيئاً محتاجاً إليه ﴿**مما أوتوا**﴾ أي: مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره ومن بيانية يقال: خذ منه حاجتك أي ما تحتاج إليه والمراد من نفي الوجدان نفي العلم لأن الوجدان في النفس إدراك علمي وفيه من المبالغة ما ليس في يعلمون وقال بعضهم: طلب محتاج إليه يعني أن نفوسهم لم تبتغ ما أوتوا ولم تطمح إلى شيء منه يحتاج إليه وقيل وجداً على تقديمهم عليهم وغيظاً وحسداً ونحو ذلك قال الراغب: الحاجة إلى الشيء الفقر إليه مع محبته.

﴿**ويؤثرون**﴾ أي: يقدمون المهاجرين فالمفعول محذوف ﴿**على أنفسهم**﴾ في كل شيء من أسباب المعاش جوداً وكرماً حتى أن من كان عنده امرأتان كان ينزل عن إحداهما ويزوجها واحداً منهم والإيثار عطاؤك ما أنت تحتاج إليه وفي الخبر: «لم يجتمع في الدنيا قوم قط إلا وفيهم أسخياء وبخلاء إلا في الأنصار فإن كلهم أسخياء ما فيهم من بخيل» ﴿**ولو كان بهم خصاصة**﴾ أي: حاجة وخلة وأصلها خصاص البيت وهي فرجة شبه حالة الفقر والحاجة ببيت ذي فرج في الاشتمال على مواضع الحاجة، قال الراغب: عبر عن الفقر الذي لا يسد بالخصاصة كما عبر عنه بالخلة والخص بيت من قصب وشجر وذلك لما يرى منه من الخصاصة وكان عليه السلام قسم أموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر محتاجين: أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة رضي الله عنهم وروي لم يعط إلا رجلين: سهلاً وأبا دجانة فإن الحارث بن الصمة قتل في بئر معونة وقال لهم: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها» فنزلت وكان عليه السلام أعطى بعض الأراضي وأبقى بعضها يزرع له ولما أعطى المهاجرين أمرهم برد ما كان للأنصار لاستغنائهم عنهم ولأنهم لم يكونوا ملكوهم وإنما كانوا دفعوا لهم تلك النخيل لينتفعوا بثمرها ويدخل في إيثارهم المهاجرين بالفيء سائر الإيثارات وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: أهدي لرجل من الأنصار رأس شاة وكان مجهوداً فوجه به إلى جار له زاعماً أنه أحوج إليه منه فوجه جاره أيضاً إلى آخر فلم يزل يبعث به واحداً إلى آخر حتى تداول ذلك الرأس سبعة بيوت إلى أن رجع إلى المجهود الأول قال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من الماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته فإذا أنا به فقلت: أسقيك فأشار برأسه أن نعم فإذا برجل يقول: آه آه فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إليه فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك فأشار أن نعم فسمع آخر يقول آه آه فأشار هشام أن انطلق إليه فجئت إليه فإذا هو قد مات فرجعت

إلى هشام فإذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات وهذا من قبيل الإيثار بالنفس وهو فوق الإيثار بالمال:

فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

وقال في «التكملة»: الصحيح أن الآية نزلت في أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه حين نزل برسول الله عليه السلام ضيف ولم يكن عنده ما يضيفه به فقال: «ألا رجلاً يضيف هذا رحمه الله فقام أبو طلحة فانطلق به إلى رحله وقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله فنومت الصبية وأطفأت السراج وجعل الضيف يأكل وهما يريان أنهما يأكلان معه ولا يفعلان فنزلت الآية» وكان قناعة السلف أوفر ونفوسهم أقنع وبركتهم أكثر ونحن نؤثر أنفسنا على الغير فإذا وضعت مائدة بين أيدينا يريد كل منا أن يأكل قبل الآخر ويأخذ أكثر مما يأخذ الرفيق ولذلك لم توجد بركة الطعام وينفد سريعاً ويروى أنه وقع بين ملك ووزيره أنه قال الملك إن العلماء أحسن حالاً وأصلح بالاً من الفقراء وقال الوزير بخلاف ذلك ثم قال الوزير نمتحنهما في أمرين فبعث أحداً بعدة آلاف درهم إلى أهل المدرسة فقال: اذهب وقل لهم إن الملك أمرني أن أعطي هذه الدراهم أفضلكم وأكملكم فمن هو فقال واحد منهم أنا وقال الآخر: كذب بل هو أنا وهكذا ادعى كل منهم الأفضلية فقال الرسول: لم يتميز الأفضل عندي ولم أعرفه ولم يعط شيئاً فعاد وأخبر بما وقع ثم أرسل الوزير تلك الدراهم إلى أهل الخانقاه ففعلوا عكس ما فعله العلماء وأعطى بيده سيفاً فقال: اذهب فقل لهم: إن الملك أمرني أن أضرب عنق رئيسكم فمن هو فقال واحد منهم أنا وقال الآخر بل أنا وهكذا قال كل منهم إيثار إبقاء أخيه واختيار فداء رفيقه بنفسه فقال الرسول: لم يتميز ما هو الواقع عندي فرجع وأخبر بما وقع فأرسل السيف إلى العلماء ففعلوا عكس ما فعله الفقراء فحج بذلك الوزير على الأمير وأنت تشاهد أن فقراء زماننا على عكس هؤلاء الفقراء في البلاد والممالك قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: غلبني رجل شاب من أهل بلخ حيث قال لي ما حد الزهد عندكم؟ فقلت: إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا فقال: هذا فعل كلاب بلخ عندنا بل إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا:

كريم كامل آنرامى شناسم اندرين دوران كه كرنانى رسد از آسياى چرخ كردانش

زاستنغناى همت با وجود فقر وبى بركى زخود واكير دوسازد نثار بى نوا يانش

وفي «العوارف»: من أخلاق الصوفية الإيثار والمواساة وحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعاً وقوة اليقين شرعاً لأنهم يؤثرون الموجود ويصبرون على المفقود قال يوسف بن الحسين رحمه الله: من رأى لنفسه ملكاً لا يصح له الإيثار لأنه يرى نفسه أحق بالشيء برؤية ملكه إنما الإيثار لمن يرى الأشياء للحق فمن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل شيء من ذلك إليه يرى نفسه ويده فيه يد غصب أو يد أمانة يوصلها إلى صاحبها ويؤديها إليه. معاذ بن جبل راديدندكه دربازار مكه ميكر ديد وزيره تره ميجيد وميكفت هذا ملكك مع رضاك وملك الدنيا مع سخطك:

خيز يارا تابميخانه زمانى دم زنيم آتش اندر ملكت آل بني آدم زنيم

هرچه اسبابست جمع آيم وبس جمع آوريم پس بحكم حال بيزارى همه برهم زنيم

﴿ومن يوق شح نفسه﴾ وهركه نكاه داشته شود ازبخل نفس أو يعني منع كند نفس را از حب مال وبغض انفاق، والوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره والشح بالضم والكسر بخل مع

حرص فيكون جامعاً بين ذميمتين من صفات النفس وإضافته إلى النفس لأنه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل، أي ومن يوق بتوفيق الله شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الإنفاق. ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه والفلاح اسم لسعادة الدارين والجملة اعتراض وارد لمدح الأنصار والثناء عليهم فإن الفتوة هي الأوصاف المذكورة في حقهم فلهم جلائل الصفات ودقائق الأحوال ولذا قال عليه السلام: «آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار» وقال عليه السلام: «اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار» قال السهروردي في «العوارف»: السخاء صفة غريزية في مقابلة الشح والشح من لوازم صفة النفس حكم الله بالفلاح لمن يوقى الشح أي لمن أنفق وبذل والنبي عليه السلام نبه بقوله: «ثلاث مهلكات وثلاث منجيات» فجعل إحدى المهلكات شحاً مطاعاً ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكاً بل إنما يكون مهلكاً إذا كان مطاعاً فأما كونه موجوداً في النفس غير مطاع لا ينكر ذلك لأنه من لوازم النفس مستمد من أصل جبلتها الترابي وفي التراب قبض وإمساك وليس ذلك بالعجب من الآدمي وهو جبلي فيه وإنما العجب وجود السخاء في الغريزة وهو في نفوس الصوفية الداعي لهم إلى البذل والإيثار والسخاء أتم وأكمل من الجود وفي مقابلة الجود البخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق إليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء إذ كانا من ضرورة الغريزة، وكل سخي جواد وليس كل جواد سخياً والحق تعالى لا يوصف بالسخاء لأن السخاء من نتيجة الغرائز والله تعالى منزه عن الغريزة والجود يتطرق إليه الرياء ويأتي به الإنسان متطلعاً إلى عوض من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لا يتطرق إليه الرياء لأنه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الأعواض دنيا وآخرة لأن العوض مشعر بالبخل لكونه معلولاً بالعوض فما تمحض سخاء فالسخاء لأهل الصفاء والإيثار لأهل الأنوار وقال الحسن رحمه الله: الشح هو العمل بالمعاصي كأنه يشح بالطاعة فدخل فيه ما قيل: الشح أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له وقال عليه السلام: «من الشح نظرك إلى امرأة غيرك» وذلك فإن الناظر يشح بالغض والعفة فلا يفلح.

ـ وروي ـ أن رجلاً قال لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إني أخاف أن أكون قد هلكت قال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله: ليس المراد بالشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً ولكن ذاك البخل وبئس الشيء البخل وفسر الشح بغير ذلك وعن الحكيم الترمذي قدس سره: الشح أضر من الفقر لأن الفقير يتسع إذا وجد بخلاف الشحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله عليه السلام يقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً» وقال عليه السلام: «من أدى الزكاة المفروضة وقرى الضيف وأعطى في النائبة فقد بريء من الشح والشح أقبح البخل» وقال عليه السلام: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم». قال الحافظ:

أحوال كنج قارون كايام داد بر باد   با غنچه باز كويد تا زر نهان ندارد

وقال المولى الجامي في ذم الخسيس الشحيح:

هرچند زندلاف كرم مرد درم دوست دريوزه احسان زدرا ونتوان كرد
ديرين مثلى هست كه از فضله حيوان نار نج توان ساخت ولى بونتوان كرد

﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾.

﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ هم الذين هاجروا بعدما قوي الإسلام فالمراد جاؤوا إلى المدينة أو التابعون بإحسان وهم الذين بعد الفريقين إلى يوم القيامة ولذلك قيل إن الآية قد استوعبت جميع المؤمنين فالمراد حينئذ جاؤوا إلى فضاء الوجود وفي الحديث: «مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره» يعني: در منفعت وراحت همچون باران بهارانند بارانرا ندانندكه اول آن بهترست يا آخر نفعي است عامر او عامه خلق را حال امت من همچنين است همان درويشان آخر الزمان آن شكستكان سرافكنده وهمين عزيزان وبزركواران صحابه همه برادرانند ودر مقام منفعت وراحت همه يكدست ويكسانند هم كالقطر حيث ما وقع نفع بر مثال بارانند باران هركجاكه رسد نفع رساندهم در بوستان هم در خارستان هم بريحان وهم برام غيلان همچنين اهل اسلام درراحت يكديكرورأفت بريكديكر يكسانند ويك نشانند **﴿يقولون﴾** خبر للموصول والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الآخرة في الدين والسبق بالإيمان أي يدعون لهم قائلين. **﴿ربنا اغفر لنا﴾** ما فرط منا **﴿ولإخواننا﴾** أي: في الدين الذي هو أعز وأشرف عندهم من النسب. **﴿الذين سبقونا بالإيمان﴾** وصفوهم بذلك اعترافاً بفضلهم:

چو خواهى كه نامت بود جاودان مكن نام نيك بزركان نهان

قدموا أنفسهم في طلب المغفرة لما في المشهور من أن العبد لا بد أن يكون مغفوراً له حتى يستجاب دعاؤه لغيره وفيه حكم بعدم قبول دعاء العاصين قبل أن يغفر لهم وليس كذلك كما دلت عليه الأخبار فلعل الوجه أن تقديم النفس كونها أقرب النفوس مع أن في الاستغفار إقراراً بالذنب فالأحسن للعبد أن يرى أولاً ذنب نفسه كذا في بعض التفاسير.

يقول الفقير: نفس المرء أقرب إليه من نفس غيره فكل جلب أو دفع فهو إنما يطلبه أولاً لنفسه لإعطاء حق الأقدم وأما غيره فهو بعده ومتأخر عنه وأيضاً إن ذنب نفسه مقطوع بالنسبة إليه وأما ذنب غيره فمحتمل فلعل الله قد غفر له وهو لا يدري وأيضاً تقديمهم في مثل هذا المقام لا يخلو عن سوء أدب وسوء ظن في حق السلف. **﴿ولا تجعل في قلوبنا غلاً﴾** أي: حقداً وهو ذميمة فاحشة فورد: «المؤمن ليس بحقود» يعني كينه كش. قال الراغب: الغل والغلول تدرع الخيانة والعداوة لأن الغلالة اسم ما يلبس بين الشعار والدثار وتستعار للدرع كما تستعار الدرع لها **﴿للذين آمنوا﴾** على إطلاق صحابة أو تابعين وفيه إشارة إلى أن الحقد على غيرهم لائق لغيرة الدين وإن لم يكن الحسد لائقاً. قال الشيخ سعدي:

دلم خانه مهريارست وبس ازان مى نكنجد درو كين كس

﴿ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ أي مبالغ في الرأفة والرحمة فحقيق بأن تجيب دعاءنا وفي الآية دليل على أن الترحم والاستغفار واجب على المؤمنين الآخرين للسابقين منهم لا سيما لآبائهم ولمعلمهم أمور الدين قالت عائشة رضي الله عنها: أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم وفي

الحديث: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها» وعن عطاء قال: قال عليه السلام: «من حفظني في أصحابي كنت له يوم القيامة حافظاً ومن شتم أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» فالرافضة والخوارج ونحوهم شر الخلائق خارجون من أقسام المؤمنين لأن الله تعالى رتبهم على ثلاثة منازل: المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر الله فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجاً من أقسامهم.

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله: يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين رضي الله عنه وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فإنه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة فلعل ذلك الخطأ في الاجتهاد لا لطلب الرياسة أو الدنيا كما لا يخفى، وقال في «شرح الترغيب والترهيب» المسمى «بفتح القريب». والحذر ثم الحذر من التعرض لما شجر بين الصحابة فإنهم كلهم عدول خير القرون مجتهدون مصيبهم له أجران ومخطئهم له أجر واحد وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في فصل آفات اللسان: الخوض في الباطل هو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال الوقاع ومجالس الخمور وتجبر الظلمة وحكاية مذاهب أهل الأهواء وكذا حكاية ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم:

أي دل از من اكر بچويى پند ... رو بأصحاب مصطفى دل بند

همه ايشان آمده ذيشان ... خواهشى كن شفاعتى زيشان

وقال بعض أهل الإشارة: ﴿ربنا اغفر لنا﴾ أي استر ظلمة وجودنا بنور وجودك واستر وجودات إخواننا الذين سبقونا بالإيمان وهم الروح والسر والقلب السابقون في السلوك من قرية النفس إلى مدينة الروح المؤمنين بأن الفناء الوجودي الإمكاني يستلزم الوجود الواجبي الحقاني ولا تجعل في قلوبنا شك الاثنينية والغيرية للذين آمنوا بإخوانية المؤمنين لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] إنك رؤوف بمن شاهد الكثرة قائمة بالوحدة رحيم بمن شاهد الوحدة ظاهرة بالكثرة وفي تكرير ربنا إظهار لكمال الضراعة وفي الأثر: «من حزبه أمر فقال خمس مرات: ربنا، أنجاه الله مما يخاف» قال الإمام الرازي: اعلم أن العقل يدل على تقديم ذكر الله في الدعاء لأن ذكر الله تعالى بالثناء والتعظيم بالنسبة إلى جوهر الروح كالإكسير الأعظم بالنسبة إلى النحاس فكما أن ذرة من الإكسير إذا وقعت على عالم النحاس انقلب الكل ذهباً ابريزاً فكذا إذا وقعت ذرة من إكسير معرفة جلال الله تعالى على جوهر الروح قوي صفاء وكمل إشراقاً ومتى صار كذلك كانت قوته أقوى وتأثيره أكمل وكان حضور الشيء المطلوب عنده أقوى وأكمل وهذا هو السبب في تقديم الدعاء بالثناء انتهى. والوارد في القرآن من الدعاء مذكور غالباً بلفظ الرب فإن على العبد أن يذكر أولاً إيجاد الله وإخراجه من العدم إلى الوجود الذي هو أصل المواهب ويتفكر في تربية الله إياه ساعة فساعة وأما دعوات رسول الله عليه السلام فأكثرها الابتداء بقوله: اللهم، لأنه مظهر الاسم الجامع وقد كان يجمع بينهما ويقول: اللهم ربنا كما جمع عيسى عليه السلام وقال: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٤] والله سميع الدعاء وقابل الرجاء.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿ألم تر﴾ استئناف لبيان التعجب مما جرى بين الكفرة والمنافقين من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة والمعنى آيا نكاه نكرده يا محمد أويا من له حظ من الخطاب. **﴿إلى الذين نافقوا﴾** من أهل المدينة قال الراغب: النفق الطريق النافذ والسرب في الأرض النافذ ومنه نافقاء اليربوع وقد نافق اليربوع ونفق ومنه النفاق وهو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب على هذا نبه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧] أي الخارجون عن الشرع. **﴿يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾** اللام للتبليغ والمراد بالإخوان بنو النضير وبإخوتهم إما توافقهم في الكفر فإن الكفر ملة واحدة أو صداقتهم وموالاتهم. **﴿لئن أخرجتم﴾** اللام موطئة للقسم وهي اللام الداخلة على حرف الشرط بعد تمام القسم ظاهراً أو مقدراً ليؤذن أن الجواب له لا للشرط وقد تدخل على غير الشرط والمعنى والله لئن أخرجتم أيها الإخوان من دياركم وقراكم قسراً بإخراج محمد وأصحابه إياكم منها. **﴿لنخرجن معكم﴾** البتة ونذهبن في صحبتكم أينما ذهبتم لتمام المحبة بيننا وبينكم وهو جواب للقسم وجواب الشرط مضمر ولما كان جواب القسم وجواب الشرط متماثلين اقتصر على جواب القسم وأضمر جواب الشرط وجعل المذكور جواباً للقسم بسعة وكذا قوله: لا يخرجون معهم وقوله: لا ينصرونهم كل واحد منهما جواب القسم ولذلك رفعت الأفعال ولم تجزم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه. **﴿ولا نطيع فيكم﴾** أي في شأنكم **﴿أحداً﴾** يمنعنا من الخروج معكم **﴿أبداً﴾** وإن طال الزمان ونصبه على الظرفية وهو لاستغراق المستقبل كما أن الأزل لاستغراق الماضي ولاستعمالهما في طول الزمانين جداً قد يضافان إلى جمعهما فيقال: أبد الآباد وأزل الآزال وأما السرمد فلاستغراق الماضي والمستقبل يعني لاستمرار الوجود لا إلى نهاية في جانبهما. ومنه قول المولى الجامي:

دردت زازل آيد تاروز أبد پايد چوق شكر كزار دكس اين دولت سرمدرا

﴿وإن قوتلتم﴾ أي قاتلكم محمد وأصحابه حذفت منه اللام الموطئة **﴿لننصرنكم﴾** أي لنعاوننكم على عدوكم ولا نخذلكم **﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾** في مواعيدهم المؤكدة بالأيمان الفاجرة.

﴿لئن أخرجوا﴾ قهراً وإذلالاً **﴿لا يخرجون معهم﴾** إلخ تكذيب لهم في كل واحد من أقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على الإجمال **﴿ولئن قوتلوا لا ينصرونهم﴾** وكان الأمر كذلك فإن ابن أبي وأصحابه أرسلوا إلى بني النضير وذلك سراً ثم أخلفوهم يعني أن ابن أبي أرسل إليهم لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصونكم فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون حصنكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع بنو النضير فيما قاله اللعين وهو جالس في بيته حتى قال أحد سادات بني النضير وهو سلام بن مشكم لحيي بن أخطب الذي كان هو المتولي لأمر بني

النضير: والله يا حيي إن قول ابن أبي لباطل وليس بشيء وإنما يريد أن يورطك في الهلكة حتى تحارب محمداً فيجلس في بيته ويتركك فقال حيي: نأبى إلا عداوة محمد وإلا قتاله فقال سلام: فهو والله جلاؤنا من أرضنا وذهاب أموالنا وشرفنا وسبي ذرارينا مع قتل مقاتلينا فكان ما كان كما سبق في أول السورة وفيه حجة بينة لصحة النبوة وإعجاز القرآن أما الأول فلأنه أخبر عما سيقع فوقع كما أخبر وذلك لأن نزول الآية مقدم على الواقعة وعليه يدل النظم فإن كلمة أن للاستقبال وأما الثاني فمن حيث الإخبار عن الغيب. ﴿**ولئن نصروهم**﴾ على الفرض والتقدير ﴿**ليولن الأدبار**﴾ فراراً وانهزاماً جمع دبر ودبر الشيء خلاف القبل أي الخلف وتولية الأدبار كناية عن الانهزام الملزوم لتولية الأدبار قال في «تاج المصادر»: التولية روى فرا كردن وپشت بكردانيدن. وهي من الأضداد ﴿**ثم لا ينصرون**﴾ أي: المنافقون بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم بنصرهم اليهود أو لينهزمن اليهود ثم لا تنفعهم نصرة المنافقين، وفي الآية تنبيه على أن من عصى الله ورسوله وخالف الأمر فهو مقهور في الدنيا والآخرة وإن كان سلطاناً ذا منعة وما يقع أحياناً من الفرصة فاستدراج وغايته إلى الخذلان.

صعوه كوبا عقاب سازد جنك دهد از خون خود پرش رارنك

وإشارة إلى أن الهوى وصفاته كالمنافقين والنفس الكافرة وأتباعها كاليهود وبينهما أخوة وهي الظلمة الذاتية والصفاتية وبين حقائقهما وحقائق الروح والسر والقلب تنافر كتنافر النور والظلمة فالهوى وصفاته يقولون للنفس وصفاتها لإن أخرجكم الروح والسر والقلب من ديار وجوداتكم وأنانيتكم بسبب غلبة أنوارهم على ظلمات وجوداتكم لنخرجن معكم ولا نخالفكم وإن قتلتم بسيف الرياضة ورمح المجاهدة نقويكم بالقوى الشهوانية الحيوانية البهيمية السبعية وهم لا يقدرون على شيء بغير إذن الله فهو كاذبون في قولهم ولا يخرج الهوى وصفاته معهم لأن الهوى والنفس وإن كانا متحدين بالذات لكنهما مختلفان بالصفات كاختلاف زيد وعمرو في الصفات واتحادهما في الذات وهو الإنسانية وارتفاع أحدهما لا يستلزم ارتفاع الآخر والهوى بسبب غلبة روحانية القالب عليه يميل إلى الروح تارة وبسبب غلظته أيضاً يميل إلى النفس أخرى فلا ينصر النفس دائماً ولئن نصرها بنفخ نار الظلمة في حطب وجودها لينهزم بسبب سطوات أشعة أنوار الروح والسر والقلب انهزام النور من الظلمة ونفار الليل من النهار ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿**لأنتم**﴾ يا معشر المسلمين وبالفارسية هرآينه شماكه مؤمنانيد. ﴿**أشد رهبة**﴾ الرهبة مخافة مع تحزن واضطراب وهي هنا مصدر من المبني للمفعول وهو رهب أي أشد مرهوبية وذلك لأن أنتم خطاب للمسلمين والخوف ليس واقعاً منهم بل من المنافقين فالمخاطبون مرهوبون غير خائفين. ﴿**في صدورهم**﴾ أي: صدور المنافقين. ﴿**من الله**﴾ أي: من رهبة الله بمعنى مرهوبيته قال في «الكشاف»: قوله: في صدورهم دال على نفاقهم يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله فإن قلت: كأنهم كانوا يرهبون من

الله حتى يكون رهبتهم منه أشد قلت: معناه أن رهبتهم في السر منكم أشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون رهبة شديدة من الله.

يقول الفقير: إنما رهبوا من المؤمنين لظهور نور الله فيهم فكما أن الظلمة تنفر من النور ولا تقاومه فكذا أهل الظلمة ينفر من أهل النور ولا يقوم معه ومرادنا بالظلمة ظلمة الشرك والكفر والرياء والنفاق وبالنور نور التوحيد والإيمان والإخلاص والتقوى ولذلك قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] حيث إن الله تعالى أثبت معيته لأهل التقوى فنصرهم على مخالفيهم. **﴿ذلك﴾** أي ما ذكر من كون رهبتهم منكم أشد من رهبة الله. **﴿بأنهم﴾** أي: بسبب أنهم **﴿قوم لا يفقهون﴾** أي شيئاً حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته قال بعض الكبار: ليس العظمة بصفة للحق تعالى على التحقيق وإنما هي صفة للقلوب العارفة به فهي عليها كالرداء على لابسه ولو كانت العظمة وصفاً للعظيم لعظم كل من رآه ولم يعرفه، وفي الحديث: «إن الله يتجلى يوم القيامة لهذه الأمة وفيها منافقوها فيقول: أنا ربكم فيستعيذون به منه ولا يجدون له تعظيماً وينكرونه لجهلهم به فإذا تجلى لهم في العلامة التي يعرفونه بها وجدوا عظمته في قلوبهم وخروا له ساجدين» والحق إذا تجلى لقلب عبد ذهب منه أخطار الأكوان وما بقي إلا عظمة الحق وجلاله وفيه تنبيه على أن من علامات الفقه أن يكون خوف العبد من الله أشد من خوفه من الغير وتقبيح لحال أكثر الناس على ما ترى وتشاهد قال عليه السلام: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» قال بعض العارفين: الفقيه عند أهل الله هو الذي لا يخاف إلا من مولاه ولا يراقب إلا إياه ولا يلتفت إلى ما سواه ولا يرجو الخير من الغير ويطير في طلبه طيران الطير قال بعض الكبار: لا ينقص الكمل من الرجال خوفهم من سبع أو ظالم أو نحو ذلك لأن الجزع في النشأة الإنسانية أصلي فالنفوس أبداً مجبولة على الخوف ولذة الوجود بعد العدم لا يعدلها لذة وتوهم العدم العيني له ألم شديد في النفوس لا يعرف قدره إلا العلماء بالله فكل نفس تجزع من العدم أن يلحق بها أو بما يقاربها وتهرب منه وترتاع وتخاف على ذهاب عينها فالكامل أضعف الخلق في نفسه لما يشهده من الضعف في تألمه بقرصة برغوث فهو آدم ملآن بذله وفقره مع شهوده أصله علماً وحالاً وكشفاً ولذلك لم يصدر قط من رسول ولا نبي ولا ولي كامل في وقت حضوره أنه ادعى دعوى تناقض العبودية أبداً.

﴿لا يقاتلونكم﴾ أي: اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم ولا يجترئون عليه **﴿جميعاً﴾** أي: مجتمعين متفقين في موطن من المواطن. **﴿إلا في قرى﴾** جمع قرية وهي مجتمع الناس للتوطن. **﴿محصنة﴾** محكمة بالدروب والخنادق وما أشبه ذلك قال الراغب: أي مجعولة بالإحكام كالحصون. **﴿أو من وراء جدر﴾** دون أن يحضروا لكم ويبارزوكم أي يشافهوكم بالمحاربة لفرط رهبتهم جمع جدار وهو كالحائط إلا أن الحائط يقال اعتباراً بالإحاطة بالمكان والجدار يقال اعتباراً بالنتو والارتفاع، ولذا قيل جدر الشجر إذا خرج ورقه كأنه حمص وجدر الصبي إذا خرج جدريه تشبيهاً بجدر الشجر. **﴿بأسهم بينهم شديد﴾** استئناف سيق لبيان أن ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في أنفسهم فإن بأسهم وحربهم بالنسبة إلى أقرانهم شديد وإنما ضعفهم وجبنهم بالنسبة إليكم بما قذف الله في قلوبهم من الرعب وأيضاً أن الشجاع يجبن والعزيز يذل إذا حارب الله ورسوله قال في «كشف الأسرار»: إذا أراد الله نصرة قوم استأسد أرنبهم وإذا أراد الله قهر قوم استرنب أسدهم:

اكـر مـردى از مـردى خـود مـكـوى نـه هـرشـهـسـوارى بـدر بـرد كـوى

إن قيل: إن البأس شدة الحرب فما الحاجة إلى الحكم عليه بشديد أجيب بأنه أريد من البأس هنا مطلق الحرب فأخبر بشدته لتصريح الشدة أو أريد المبالغة في إثبات الشدة لبأسهم مبالغة في شدة بأس المؤمنين لغلبته على بأسهم بتأييد الله ونصرته لهم عليهم والظرف متعلق بشديد والتقديم للحصر ويجوز أن يكون متعلقاً بمقدر صفة أو حالاً أي بأسهم الواقع بينهم أو واقعاً بينهم فقولهم الظرف الواقع بعد المعرفة يكون حالاً البتة ليس بمرضي فإن الأمرين جائزان بل قد ترجح الصفة. ﴿تحسبهم﴾ يا محمد أو يأكل من يسمع ويعقل ﴿جميعاً﴾ مجتمعين متفقين ذوي إلفة واتحاد ﴿وقلوبهم شتى﴾ أي والحال أن قلوبهم متفرقة لا إلفة بينها فهم بخلاف من وصفهم بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] جمع شتيت كمرضى ومريض وبالفارسية پرا كنده وپريشان. يقال: شت يشت شتاً وشتاتاً وشتيتاً فرق وافترق كانشت وتشتت وجاؤوا أشتاتاً أي متفرقين في النظام وفي الآية تشجيع لقلوب المؤمنين على قتالهم وتجسير لهم وإن اللائق بالمؤمن الاتفاق والاتحاد صورة ومعنى كما كان المؤمنون متفقين في عهد النبي عليه السلام ويقال: الاتفاق قوة والافتراق هلكة والعدو إبليس يظفر في الافتراق بمراده قال سهل: أهل الحق مجتمعون أبداً موافقون وإن تفرقوا بالأبدان وتباينوا بالظواهر وأهل الباطل متفرقون أبداً وإن اجتمعوا بالأبدان وتوافقوا بالظواهر لأن الله تعالى يقول: ﴿تحسبهم﴾ إلخ. ﴿ذلك بأنهم﴾ أي: ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب أنهم ﴿قوم لا يعقلون﴾ أي: لا يعقلون شيئاً حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون في تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه وتشتت القلوب يوهن قواهم لأن صلاح القلب يؤدي إلى صلاح الجسد وفساده إلى فساده كما قالوا: كل إناء يترشح بما فيه.

اعلم أن الله تعالى ذم الكفار في القرآن بكل من عدم الفقه والعلم والعقل قال الراغب: الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم والعلم إدراك الشيء بحقيقته وهو نظري وعملي وأيضاً عقلي وسمعي والعقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ولهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: وأن العقل عقلان، فمسموع ومطبوع، ولا ينفع مطبوع، إذا لم يك مسموع. كما لا تنفع الشمس، وضوء العين ممنوع. وإلى الأول أشار عليه السلام بقوله: «ما خلق الله شيئاً أكرم عليه من العقل» وإلى الثاني أشار بقوله: «ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردى» وهذا العقل هو المعني بقوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وكل موضع ذم الكفار بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأول وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى الأول انتهى. وفي الحديث: «العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل» وعن أنس رضي الله عنه قيل: «يا رسول الله الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب قال: وما من آدمي إلا وله ذنوب وخطايا يقترفها فمن كان سجيته العقل وغريزته اليقين لم تضره ذنوبه قيل: كيف ذلك يا رسول الله قال: لأنه كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة وندامة على ما كان منه فيمحو ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة» وعنه أيضاً رضي الله عنه: «أثنى قوم على رجل عند رسول الله حتى بالغوا في الثناء بخصال الخير فقال رسول الله: كيف عقل

الرجل فقالوا: يا رسول الله نخبرك عنه باجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله؟ فقال نبي الله: إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم» قال علي بن عبيدة: العقل ملك والخصال رعية فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها فسمعه أعرابي فقال: هذا الكلام يقطر عسله وقال بعضهم: إذا كمل العقول نقص الفضول، أي لأن العقل يعقله ويمنعه عما لا يعنيه كل شيء إذا كثر رخص غير العقل فإنه إذا كثر غلا وقال أعرابي: لو صور العقل لأظلمت معه الشمس ولو صور الحمق لأضاء معه الليل فالعقل أنور شيء والحمق أظلمه وقيل: العاقل يعيش بعقله حيث كان كما يعيش الأسد بقوته أي ففي العقل قوة شجاعة الأسد ويعلم منه بالمقايسة أن في الحمق ضعف حال الأرنب ونحوه.

كشتى بى لنكر آمد مردشر كه زباد كژ نيابد او حذر
لنكر عقلست عاقل را امان لنكرى در يوزه كن از عاقلان

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦﴾

﴿كمثل الذين من قبلهم﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم، أي مثل المذكورين من اليهود والمنافقين وصفتهم العجيبة وحالهم الغريبة كمثل أهل بدر وهم مشركو أهل مكة أو كمثل بني قينقاع على ما قيل إنهم أخرجوا قبل بني النضير وبنو قينقاع مثلثة النون والضم أشهر كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالاً فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد كبني النضير فأخرجهم رسول الله من المدينة إلى الشام، أي لأن قريتهم كانت من أعمالها ودعا عليهم فلم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعون وقد عرفت قصتهم في الجلد الأول. ﴿قريباً﴾ انتصابه بمثل إذ التقدير كوقوع مثل الذين إلخ يعني بدلالة المقام لا لاقتضاء الأقرب أي في زمان قريب قال مجاهد: كانت وقعة بدر قبل غزوة بني النضير بستة أشهر فلذلك قال قريباً فتكون قبل وقعة أحد وقيل بسنتين فتكون تلك الغزوة في السنة الرابعة لأن غزوة بني النضير كانت بعد أحد وهي كانت بعد بدر بسنة. ﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ قال الراغب: الوبل والوابل المطر الثقيل القطار ولمراعاة الثقل قيل للأمر الذي يخاف ضرره وبال وطعام وبيل والأمر واحد الأمور لا الأوامر أي ذاقوا سوء عاقبة كفرهم في الدنيا وهو عذاب القتل ببدر وكانت غزوة بدر في رمضان من السنة الثانية من الهجرة قبل غزوة بني النضير. ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ مؤلم لا يقادر قدره حيث يكون ما في الدنيا بالنسبة إليه كالذوق بالنسبة إلى الأكل والمعنى أن حال هؤلاء كحال أولئك في الدنيا والآخرة لكن لا على أن حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك وأما حال المنافقين فهو ما نطق به قوله تعالى.

﴿كمثل الشيطان﴾ فإنه خبر ثانٍ للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال أخرى لليهود وهي اغترارهم بمقالة المنافقين أوله وخيبتهم آخراً وقد أجمل في النظم الكريم حيث أسند كل من الخبرين إلى المقدر المضاف إلى ضمير الفريقين من غير تعيين ما أسند إليه بخصوصه ثقة بأن السامع يرد كلاً من المثلين إلى ما يماثله كأنه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين في إغرائهم إياهم على القتال حسبما حكي عنهم كمثل

الشيطان. ﴿**إذ قال للإنسان اكفر**﴾ قول الشيطان مجاز عن الإغواء والإغراء أي أغراه على الكفر إغراء الآمر المأمور على المأمور به. ﴿**فلما كفر**﴾ الإنسان المذكور إطاعة لإغوائه وتبعاً لأهوائه. ﴿**قال**﴾ الشيطان ﴿**إني بريء منك**﴾ أي: بعيد عن عملك وأملك غير راض بكفرك وشركك وبالفارسية من بيزارم ازتو. يقال: برىء يبرأ فهو بريء وأصل البرء والبراءة والتبري التفصي مما يكره مجاورته قال العلماء إن أريد بالإنسان الجنس فهذا التبري من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿**إني أخاف الله رب العالمين**﴾ وإن أريد أبو جهل على أن يكون اللام للعهد فقوله تعالى: ﴿**اكفر**﴾ أي دم على الكفر. پس چون برآن ثبات ورزيد ونهال شرك درزمين دل أو استحكام يافت. قال: ﴿**إني**﴾ إلخ عبارة عن قول إبليس له يوم بــدر: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨] يعني لما قاتلوا ورأى إبليس جبرائيل مع محمد عليهما السلام خافه فتبرأ منهم وانهزم قال بعضهم: هذا من كذبات اللعين وإنه لو خاف حقيقة وقال صدقاً لما استمر على ما أدى إلى الخوف بعد ذلك كيف وقد طلب الإنظار إلى البعث للإغواء وقال أبو الليث قال ذلك على وجه الاستهزاء ولا بعد أن يقول له ليوقعه في الحسرة والحرقة انتهى.

يقول الفقير: الظاهر أن الشيطان يستشعر في بعض المواد جلال الله تعالى وعظمته فيخافه حذراً من المؤاخذة العاجلة وإن كان منظراً ولا شك أن كل أحد يخاف السطوة الإلهية عند ظهور أماراتها ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [يونس: ٢٢] على أن نحو قاطع الطريق وقاتل النفس ربما فعل ما فعل وهو خائف من الأخذ.

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿**فكان عاقبتهما**﴾ أي عاقبة الشيطان وذلك الإنسان وهو بالنصب على أنه خبر كان واسمها قوله: ﴿**أنهما في النار**﴾ وقرىء بالعكس وهو أوضح. ﴿**خالدين فيها**﴾ مقيمين لا يبرحان وهو حال من الضمير المقدر في الجار والمجرور المستقر وروي خالدان على أنه خبر أن وفي النار لغو لتعلقه بخالدان. ﴿**وذلك**﴾ أي: الخلود في النار ﴿**جزاء الظالمين**﴾ على الإطلاق دون هؤلاء خاصة وقال بعض أهل التفسير المراد بالإنسان برصيصا الراهب من بني إسرائيل. در روز كار فترت صومعه ساخته بود هفتاد سال دران صومعه مجاور كشته وخدايرا پرستيده وابليس دركار وى فرومانده روزى مرده شياطين راجمع كرد وكفت من يكفيني أمر هذا الرجل يكى كفت من اين كار كفايت كنم ومراد تو ازوى حاصل كنم بدر صومعه وى رفت برزى راهبان ومتعبدان كفت مرد راهم عزلت وخلوت مى طلبم تراچه زيان اكر من بصحبت توبيايم ودر خلوت خدايرا عبادت كنم برصيصا بصحبت وى تن درنداد وكفت اني لفي شغل عنك يعني مرادر عبادت الله چندان شغلست كه پرواى صحبت تونيست وعادت برصيصا آن بودكه چون درنمازشدى ده روز از نماز بيرون نيامدى وروزه دار بودوهرده روز افطار كردى شيطان برابر صومعه وى درنماز يستاد وجهد وعبادت خود برجهد وعبادت برصيصا بيفزود چنانكه بچهل روز ازنماز بيرون نيامدى وبهر چهل روز افطار كردى آخر برصيصا اورا بخود

راه داد چون آن عبادت وجهد فراوان وی دید وخودرا در جنب وی قاصر دیدآنکه شیطان بعدازیك سال كفت مرا رفيقي ديكر است وظن من چنان بودكه تعبد واجتهاد توازوی زيادتست اكنون كه ترا ديدم نه چنانست كه می پنداشتم وبا نزديك وی ميروم برصيصا مفارقت وی كراهيت داشت وبصحبت وی رغبتي تمام می نمود شيطان كفت مرانا چارست رفتن اماترا دعايی آموزم كه بيمار ومبتلی وديوانه كه بروی خوانی در وقت الله تعالى اورا شفادهد وترا اين به باشد ازهزار عبادت كه كنی كه خلق خدا يرا ازتو نفع بودو راحت برصيصا كفت اين نه كار منست كه آنكه از وقت ورد خود بازمانم وسيرت وسريرت من در شغل مردم شود شيطان تا آنكه ميكوشيدكه آن دعا ويرا درآموخت واورا برسرآن شغل داشت شيطان ازوی باز كشت وبا ابليس كفت والله لقد أهلكت الرجل پس برفت ومردی راتحنيق كرد چنانكه ديو بامردم كند آنكه بصورت طبيبي برآمد بردر آن خانه كفت ان بصاحبكم جنونا فأعالجه چون اورادید كفت انی لا أقوى على جنه يعني من باديو او برنيايم لكن شمارا رشاد كنم بكسی كه اورا دعا كند در وقت شفايابد واو برصيصای راهب است كه درصومعه نشيند اورا بروی بردند ودعا كرد وآن ديو ازوی باشد وصحت يافت پس اين شيطان برفت وزنی را از دختران ملوك بني إسرائيل رنجه وديوانه كرد وآن زن جمال باكمال داشت واوراسه برادر بودند شيطان بصورت طبيب پيش ايشان رفت وآن دخterرا بوی نمودند كفت ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم إلى من يدعو له يعني بران راهب شويدكه دعا كند وشفايابد كفتند ترسيم كه فرمان مانبرد كفت صومعه سازيد در جنب صومعه وی وزن را دران صومعه بخابابيد وباوی كوييد اين امانت است بنزديك تونهاديم وما رفتيم ازبهر خدا واميد ثواب نظر ازوی بازمكير ودعايی كن تاشفايابد ايشان همچنان كردند وراهب از صومعه خود بزير آمد واورا ديد زنی بغايت جمال واز جمال وی درفتنه افتاد شيطان او را از آن ساعت وسوسه كردكه واقعها ثم تب زيراكه درتوبه كشاده ورحمت خدا فراوانست راهب بفرمان شيطان كام خود ازوی برداشت وزن بار كرفت راهب پشيمان كشت واز فضيحت ترسيد همان شيطان دردل وی افكندكه اين زن را بايد كشت وپنهان بايد كرد چون برادران آيند كويم كه ديواورا ببرد وايشان مرا براست دارند واز فضيحت ايمن كردم آنكه از زنا وازقتل توبه كنم برصيصا اورا كشت ودفن كرد چون برادران آمدند وخواهررا نديدند كفت جاء شيطانها فذهب بها ولم أقو عليه ايشان اوراراست داشتند وباز كشتند شيطان آن برادر انرا بخواب نمودكه راهب خواهر شما كشت ودر فلان جايكه دفن كرد سه شب پياپی ايشانرا چنين خواب می نمودتا ايشان رفتند وخواهر را كشته از خاك برداشتند برادران اورا ازصومعه بزير آوردند وصومعه خراب كردند واورا پيش پادشاه وقت بردند تا بفعل وكناه خود مقر آمد وپادشاه بفرمود تا اورا بردار كنند آن ساعت شيطان برابروی آمد وكفت اين همه ساخته وآراسته منست اكر آنچه من فرمايم بجای آری ترانجات وخلاص پديد آيد كفت هرچه فرمايی ترا اطاعت كنم كفت مراسجده بكن آن بدبخت اورا سجده كرد وكافر كشت واورا در كفر بردار كردند وشيطان آنكه كفت انی بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما يعني الشيطان وبرصيصا العابد كان آخر أمرهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين.

خيالات نادان خلوت نشين بهم بركند عاقبت كفر ودين

كزودست بايدكزو برخوري نبايد كه فرمان دشمن بري
پي نيك مردان ببايد شتافت كه هركين سعادت طلب كردبافت
وليكن تو دنبال ديو خسي ندانم كه در صالحان كي رسي

والمراد من هذا الشيطان هو الشيطان الأبيض الذي يأتي الصلحاء في صورة الحق. قال الكاشفي: آن بى سعادت بعد از عبادت هفتاد سال بورطه شقاوت ابدى كرفتاركشت. غافل مشوكه مركب مردان مردرا. درسنكلاخ وسوسه پيها بريد اند وفي «زهرة الرياض»: غير الله الإيمان على برصيصا بعدما عبد الله مائتين وعشرين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وكان ستون ألفاً من تلامذته يمشون في الهواء ببركته وعبد الله حتى تعجبت الملائكة من عبادته قال الله تعالى لهم: لماذا تتعجبون منه إني لأعلم ما لا تعلمون ففي علمي أنه يكفر ويدخل النار أبداً فسمع إبليس وعلم أن هلاكه على يده فجاء إلى صومعته على شبه عابد وقد لبس المسح فناداه فقال له برصيصا من أنت وما تريد؟ قال: أنا عابد أكون لك عوناً على عبادة الله قال له برصيصا: من أراد عبادة الله فالله يكفيه صاحباً فقام إبليس يعبد الله ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب قال برصيصا: أنا أفطر وأنام وآكل وأشرب وأنت لا تأكل ثم قال: إني عبدت الله مائتين وعشرين سنة فلا أقدر على ترك الأكل والشرب قال إبليس: أنا أذنبت ذنباً فمتى ذكرته يتنغص علي النوم والأكل والشرب قال برصيصا ما حيلتي حتى أصير مثلك؟ قال: اذهب واعص الله ثم تب إليه فإنه رحيم حتى تجد حلاوة الطاعة قال: كيف أعصيه بعدما عبدته كذا وكذا سنة قال إبليس: الإنسان إذا أذنب يحتاج إلى المعذرة قال: أي ذنب تشير به؟ قال: الزنى قال: لا أفعله قال: أن تقتل مؤمناً قال: لا أفعله قال: اشرب الخمر المسكر فإنه أهون وخصمك الله قال أين أجده؟ قال: اذهب إلى قرية كذا فذهب فرأى امرأة جميلة تبيع خمراً فاشترى منها الخمر وشربها وسكر وزنى بها فدخل عليهما زوجها فضربه وقتله ثم إن إبليس تمثل في صورة الإنسان وسعى به إلى السلطان فأخذه وجلده للخمر ثمانين جلدة وللزنى مائة وأمر بالصلب لأجل الدم فلما صلب جاء إليه إبليس في تلك الصورة قال: كيف ترى حالك؟ قال: من أطاع قرين السوء فجزاؤه هكذا قال إبليس كنت في بلائك مائتين وعشرين سنة حتى صلبتك فلو أردت النزول أنزلتك قال: أريد وأعطيك ما تريد قال: اسجد لي مرة واحدة قال: كيف أسجد على الخشب؟ قال: اسجد بالإيماء فسجد وكفر فذلك قوله تعالى: ﴿**كمثل الشيطان**﴾ الخ قال ابن عطية: هذا أي يكون المراد بالإنسان برصيصا العابد ضعيف والتأويل الأول هو وجه الكلام وفي القصة تحذير عن فتنة النساء.

ـ روي ـ «أنه عليه السلام كان يصلي في بيت أم سلمة رضي الله عنها فقام عمر ابن أم سلمة ليمر بين يديه فأشار إليه أن قف فوقف ثم قامت زينب بنت أم سلمة لتمر بين يديه فأشار إليها أن قفي فأبت ومرت فلما فرغ من صلاته نظر إليها وقال: ناقصات العقل ناقصات الدين صواحب يوسف صواحب كرسف يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام» قال الخبازي في «حواشي الهداية»: قال مولانا حميد الدين رحمه الله: كرسف اسم زاهد وقع في الفتنة بسبب امرأة وقال المطرزي في «المغرب» كرسف رجل من زهاد بني إسرائيل كان يقوم الليل ويصوم النهار فكفر بسبب امرأة عشقها ثم تداركه الله بما سلف منه فتاب عليه هكذا في «الفردوس» ومنه الحديث: «صاحبات يوسف صاحبات كرسف» انتهى. قال ابن عباس رضي الله عنهما وكانت الرهبان في

بني إسرائيل لا يمشون إلا بالتقية والكتمان وطمع أهل الفجور والفسق في الأخبار فرموهم بالبهتان والقبيح حتى كان أمر جريج الراهب فلما برأه الله مما رموه به انبسطت بعدها الرهبان وظهروا للناس وفي الحديث: «كان جريج رجلاً عابداً فاتخذ صومعة وكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج فقال ـ أي بقلبه ـ أي رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جريج فقال: أي رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان الغد أتته فقالت: يا جريج فقال: أي رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها فقالت: إن شئتم لأفتنه لكم قال ـ أي النبي عليه السلام ـ: فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت: هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال: أين الصبي فجاؤوا به فقال: دعوني حتى أصلي فصلى فلما انصرف أتى بالصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام من أبوك فقال: فلان الراعي قال ـ أي النبي عليه السلام ـ: فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له: نبني لك صومعتك من ذهب قال: لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبي يرضع من أمه فمر رجل راكباً على دابة فارهة وهيئته حسنة فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي وأقبل عليه فنظر إليه فقال: اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع ـ قال أي الراوي وهو أبو هريرة رضي الله عنه ـ: فكأني أنظر إلى رسول الله عليه السلام وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها قال ـ أي النبي عليه السلام ـ: ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر إليها فقال: اللهم اجعلني مثلها فهناك تراجعا الحديث فقالت أمه: قد مر رجل حسن الهيئة فقلت: اللهم اجعل ابني مثله فقلت: اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: زنيت سرقت فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت: اللهم اجعلني مثلها قال ـ أي الرضيع ـ: إن ذاك الرجل كان جباراً فقلت: اللهم لا تجعلني مثله وإن هذه يقولون لها: زنيت سرقت ولم تزن ولم تسرق فقلت: اللهم اجعلني مثلها انتهى الحديث» وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للمؤمن أن لا يمد عينيه إلى زخارف الدنيا ولا يدعو الله فيما لا يدري أهو خير له أم شر بل ينبغي له أن يطلب منه البراءة من السوء وخير الدارين كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] نسأل الله سبحانه العفو والعافية مطلقاً. ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ إيماناً خالصاً. ﴿**اتقوا الله**﴾ في كل ما تأتون وما تذرون فتحرزوا عن العصيان بالطاعة وتجنبوا عن الكفران بالشكر وتوقوا عن النسيان بالذكر واحذروا عن الاحتجاب عنه بأفعالكم وصفاتكم بشهود أفعاله وصفاته. ﴿**ولتنظر نفس ما قدمت لغد**﴾ ما شرطية، أي أي شيء قدمت من الأعمال ليوم القيامة. تا اكر تقديم خيرات وطاعات كند شكر كزاري نمايد ودرزيادتى آن كوشد واكر معاصى فرستاده توبه كندوپشيمان شوده عبر عن يوم القيامة بالغد لدنوه لأن كل آت قريب يعني سماه باليوم الذي يلي يومك تقريباً له وعن الحسن رحمه الله: لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤] يريد تقريب الزمان الماضي أو

عبر عنه به لأن الدنيا أي زمانها كيوم والآخرة كغده لاختصاص كل منهما بأحوال وأحكام متشابهة وتعقيب الثاني الأول فقوله: لغد استعارة.

يقول الفقير: إنما كانت الآخرة كالغد لأن الناس في الدنيا نيام ولا انتباه إلا عند الموت الذي هو مقدمة القيامة كما ورد به الخبر فكل من الموت والقيامة كالصباح بالنسبة إلى الغافل كما أن الغد صباح بالنسبة إلى النائم في الليل، ودل هذا على أن الدنيا ظلمانية والآخرة نورانية وتنكيره لتفخيمه وتهويله كأنه قيل: لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه وأصله غدو حذفوا الواو بلا عوض واستشهد عليه بقول لبيد:

وما الناس إلا كالديار وأهلها ... بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

إذ جاء به على أصله والبيت من أبيات العبرة وأما تنكير نفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كأنه قيل: ولتنظر نفس واحدة في ذلك قال بعضهم: الاستقلال يكون بمعنى عد الشيء قليلاً وبمعنى الإنفراد في الأمر فعلى الأول يكون المراد استقلال الله النفوس الناطقة كما قال تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٣٦] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١] فكأنه أقيم الأكثر مقام الكل مبالغة فأمر على الوحدة فلا يضره وجود النفس الكاملة العاقلة الناظرة إلى العواقب بالنظر الصائب والرأس الثاقب وعلى الثاني يكون المراد انفراد النفوس في النظر واكتفاءها فيه بدون انضمام نظر الأخرى في الاطلاع على ما قدمت خيراً أو شراً قليلاً أو كثيراً وجوداً أو عدماً وفيه حث عظيم.

جهل من وعلم توفلك راچه تفاوت ... آنجاكه بصر نيست چه خوبى وچه زشتى

﴿**واتقوا الله**﴾ تكرير للتأكيد والاهتمام في شأن التقوى وإشارة إلى أن اللائق بالعبد أن يكون كل أمره مسبوقاً بالتقوى ومختوماً بها أو الأول في أداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الأمر بالعمل والثاني في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله سبحانه. ﴿**إن الله خبير بما تعملون**﴾ أي: عالم بما تعملونه من المعاصي فيجزيكم يوم الجزاء عليها. ودر كشف الأسرار فرمه ده كه اول اشارتست باصل تقوى ودوم بكمال آن يا اول تقواى عوامست وآن پرهيز كرده باشد از محرمات وسوم تقواى خواص وآن اجتناب بود از هرچه ما دون حقست.

اصل تقوى كه زاد اين راهست ... ترك مجموع ما سوى اللهست

والتقوى هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك وقال بعض الكبار: التقوى وقاية النفس في الدنيا عن ترتب الضرر في الآخرة فتقوى العامة عن ضرر الأفعال وتقوى الخاصة عن ضرر الصفات وتقوى أخص الخواص عن جميع ما سوى الله تعالى. عزيزي كفته است كه دنيا سفالى است وآن نيز در خواب وآخرت نيز جوهري است يافته دربيدارى مردنه آنست كه درسفال بخواب ديده متقى شود مرد مردان آنست كه در كوهر دربيدارى يافته متقى شود فلا بد من التقوى مع وجود العمل. قال الصائب:

بي عمل دامن تقوى زمناهى چيدن ... احتراز سك مسلخ بود از شاشه خويش

وفي الآية ترغيب في الأعمال الصالحة وفي الأثر أن ابن آدم إذا مات قالت الناس: ما خلف وقالت الملائكة: ما قدم. وعن مالك بن دينار رحمه الله: مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا.

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلى سهر الليالي

ـ وحكي ـ عن مالك بن دينار رحمه الله أيضاً أنه قال: دخلت جبانة البصرة فإذا أنا بسعدون المجنون فقلت له: كيف حالك وكيف أنت؟ فقال: يا مالك كيف حال من أصبح وأمسى يريد سفراً بعيداً بلا أهبة ولا زاد ويقدم على رب عدل حاكم بين العباد ثم بكى بكاء شديداً فقلت: ما يبكيك؟ قال: والله ما بكيت حرصاً على الدنيا ولا جزعاً من الموت والبلى لكن بكيت ليوم مضى من عمري ولم يحسن فيه عملي أبكاني والله قلة الزاد وبعد المسافة والعقبة الكؤود ولا أدري بعد ذلك أصير إلى الجنة أم إلى النار فقلت: إن الناس يزعمون إنك مجنون فقال: وأنت اغتررت بما اغتر به بنو الدنيا زعم الناس أني مجنون وما بي جنة لكن حب مولاي قد خالط قلبي وجرى بين لحمي ودمي فأنا من حبه هائم مشغوف فقلت: يا سعدون فلم لا تجالس الناس ولا تخالطهم فأنشد:

كـن مـن الـنـاس جـانـبـاً وارض بـالله صـاحـبـا

قـلّـب الـنـاس كـيـف شـئـ ـت تـجـدهـم عـقـاربـا

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** بالإيمان الحقيقي الشهودي الوجودي اجعلوا الله وقاية نفوسكم في إضافة الكمالات إليه ولتنظر نفس كاملة عارفة بذات الله وصفاته ما هيأت لغد يوم الشهود و**﴿اتقوا الله﴾** عن الالتفات إلى غيره **﴿إن الله خبير بما تعملون﴾** من الإقبال على الله والإدبار عن الدنيا ومن الإدبار عن الله والإقبال على الدنيا انتهى ويدخل في قوله نفس النفوس الجنية لأنهم من المكلفين فلهم من التقوى والعمل ما للإنس كما عرف في مواضع كثيرة.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿ولا تكونوا﴾ أيها المؤمنون **﴿كالذين﴾** أي: كاليهود والمنافقين فالمراد بالموصول المعهودون بمعونة المقام أو الجنس كائناً من كان من الكفار أمواتاً أو أحياء. **﴿نسوا الله﴾** فيه حذف المضاف أي نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب أموره ونواهيه حق رعايتها **﴿فأنساهم﴾** بسبب ذلك **﴿أنفسهم﴾** أي جعلهم ناسين لها فلم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها فالمضي على أصله أو أراهم يوم القيامة من الأهوال ما أنساهم أنفسهم فالمضي باعتبار التحقق قال الراغب: النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه وإما عن غفلة أو عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره وكل نسيان من الإنسان ذمه الله به فهو ما كان أصله من تعمد وما عذر فيه نحو ما روي عن النبي عليه السلام: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» فهو ما لم يكن سببه منه فقوله ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَآ﴾ [السجدة: ١٤] هو ما كان سببه عن تعمد منهم وتركه على طريق الإهانة وإذا نسب ذلك إلى الله فهو تركه إياهم استهانة بهم ومجازاة لما تركوه كما قال في «اللباب»: قد يطلق النسيان على الترك ومنه: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ﴾ [التوبة: ٦٧] أي تركوا طاعة الله ترك الناسي فتركهم الله وقال بعض المفسرين: إن قيل: النسيان يكون بعد الذكر وهو ضد الذكر لأنه السهو الحاصل بعد حصول العلم فهل كان الكفار يذكرون حق الله ويعترفون بربوبيته حتى ينسوا بعد؟ أجيب بأنهم اعترفوا وقالوا بلى يوم الميثاق ثم نسوا ذلك بعدما خلقوا والمؤمنون اعترفوا بها بعد الخلق كما اعترفوا قبله بهداية الله

وراعوا حقها قل أو كثر جل أو صغر سئل ذو النون المصري قدس سره عن سر ميثاق مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] هل تذكره فقال: كأنه الآن في أذني. ودرنفخات مذكورست كه على سهل اصفهاني را كفتندكه روز بلى را ياد دارى كفت چون ندارم كويى دى بود شيخ الإسلام خواجه انصاري فرمود كه درين سخن نقص است صوفى رادى وفردا چه بود آن روز را هنوز شب درنيامده وصوفى درهمان روزست. ويدل عليه قوله الآن أنه على ما كان عليه ثم إن قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا﴾ إلخ تنبيه على أن الإنسان بمعرفته لنفسه يعرف الله فنسيانه هو من نسيانه لنفسه كما قال في «فتح الرحمٰن» لفظ هذه الآية يدل على أنه من عرف نفسه ولم ينسها عرف ربه وقد قال علي رضي الله عنه: اعرف نفسك تعرف ربك. وقال سهل رحمه الله: نسوا الله عند الذنوب فأنساهم الله أنفسهم عند الاعتذار وطلب التوبة. ومن لطائف العرفي.

مالب آلوده بهر توبه بكشاييم ليك بانك عصيان ميزند ناقوس استغفار ما

﴿أولئك﴾ الناسون المخذولون بالإنساء ﴿هم الفاسقون﴾ الكاملون في الفسوق والخروج عن طريق الطاعة وهم للحصر فأفاد أن فسقهم كان بحيث إن فسق الغير كأنه ليس بفسق بالنسبة إليه فالمراد هنا الكافرون لكن على المؤمن الغافل عن رعاية حق ربوبية الله ومراعاة حظ نفسه من السعادة الأبدية والقربة من الحضرة الأحدية خوف شديد وخطر عظيم وفيه إشارة إلى أن الذين نسوا الله هم الخارجون عن شهود الحق في بيع المظاهر الجمالية والجلالية وحضوره الداخلون في مقام شهود أنفسهم فمن اشتغل بقضاء حظوظ نفسه نسي طيب العيش مع الله وكان من الغافلين عن اللذات الحقيقية ومن فني عن شهوات نفسه بقي مع تجليات ربه.

﴿لا يستوي أصحاب النار﴾ الذين نسوا الله فاستحقوا الخلود في النار والنار باللام من أعلام جهنم كالساعة للقيامة ولذا كثيراً ما تذكر في مقابلة الجنة كما في هذا المقام وجاء في الشعر:

الجنة الدار فاعلم إن عملت بما يرضي الإله وإن فرطت فالنار
هما محلان ما للناس غيرهما فانظر لنفسك ماذا أنت تختار

والصحبة في الأصل اقتران الشيء بالشيء في زمان ما قل أو كثر وبذلك يكون كل منهما صاحب الآخر وإن كانت على المداومة والملازمة يكون كمال الصحبة ويكون الصاحب المصاحب عرفاً وقد يطلق على الطرفين حينئذ صاحب ومصاحب أيضاً ومن ذلك يكنى عن زوجة بالصاحبة وقد يقال للمالك لكثرة صحبته بمملوكه كما قيل له الرب لوقوع تربية المالك على مملوكه فيقال صاحب المال كما يقال رب المال فإطلاق أصحاب النار وأصحاب الجنة على أهلهما إما باعتبار الصحبة الأبدية والاقتران الدائم حتى لا يقال للعصاة المعذبين بالنار مقدار ما شاء الله أصحاب النار أو باعتبار الملك مبالغة ورمزاً إلى أنهما جزاء لأهلهما باعتبار كسبهما بأعمالهم الحسنة أو السيئة ﴿وأصحاب الجنة﴾ الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة قال في «الإرشاد»: لعل تقديم أصحاب النار في الذكر للإيذان من أول الأمر بأن القصور الذي ينبىء عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصاناً وإن جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦] إلى غير ذلك من المواضع وأما قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا

﴿يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] فلعل تقديم الفاضل فيه لأن صلته ملكة والإعدام مسبوقة بملكاتها وقال بعضهم: قدم أصحاب النار لذكر الذين نسوا الله قبله ولكثرة أهلها ولأن أول طاعة أكثر الناس بالخوف ثم بالرجاء ثم بالمحبة في البعض ولا دلالة في الآية الكريمة على أن المسلم لا يقتص بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر كما هو مذهب الشافعي لأن المراد عدم الاستواء في الأحوال الأخروية كما ينبىء عنه التفسير من الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ فإنه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين فالفوز الظفر مع حصول السلامة أي هم الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه فهم أهل الكرامة في الدارين وأصحاب النار أهل الهوان فيهما وفيه تنبيه للناس بأنهم لفرط غفلتهم ومحبتهم العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار وبين أصحابهما حتى احتاجوا إلى الإخبار بعدم الاستواء كما تقول لمن يعق أباه: هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبه بذلك على حق الأبوة الذي يقتضي البر والتعطف فكذا نبه الله تعالى الناس بتذكير سوء حال أهل النار وحسن حال أهل الجنة على الاعتبار والاحتراز عن الغفلة ورفع الرأس عن المعاصي والتحاشي من عدم المبالاة قال عليه السلام: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾» [القيامة: ٢٢، ٢٣] وقال عليه السلام: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً» ورؤي الشيخ الحجازي ليلة يردد قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ويبكي فقيل له: قد أبكتك آية ما يبكي عند مثلها فقال: فما ينفعني عرضها إذا لم يكن لي فيها موضع قدم. وخرج على سهل الصعلوكي من مسخن حمام يهودي في طمر أسود من دخانه فقال: ألستم ترون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر؟ فقال سهل على البداهة: إذا صرت إلى عذاب الله كانت هذه جنتك وإذا صرت إلى نعيم الله كانت هذه سجني فتعجبوا من كلامه. قال الشيخ سعدي:

چومارا بدنياتو كردى عزيز ... بعقبي همان چشم داريم نيز
عزيزي وخوارى توبخشى وبس ... عزيز تو خواري نه بيند زكس
خدايا بعزت كه خوارم مكن ... بذل كنه شرمسارم مكن

قال بعض أهل الإشارة أصحاب النار في الحقيقة أصحاب المجاهدات الذين احترقوا بنيرانها وأصحاب الجنة أصحاب المواصلات الذين وقعوا في روح المشاهدات وفي الظاهر أصحاب النار أصحاب النفوس والأهواء الذين أقبلوا على الدنيا وأصحاب الجنة أصحاب القلوب والمراقبات قال الحسين النوري قدس سره: أصحاب النار أصحاب الرسوم والعادات وأصحاب الجنة أصحاب الحقائق والمشاهدات والمعاينات.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿لو أنزلنا هذا القرآن﴾ العظيم الشأن المنزل عليكم أيها الناس المنطوي على فنون

القوارع أو المنزل عليك يا محمد أو على محمد بحسب الالتفات في الخطاب قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن السماء اطت يعني آوازداد من ثقل الألواح لما وضعها الله عليها في وقت موسى فبعث الله لكل حرف منها ملكاً فلم يطيقوا حملها فخففها على موسى وكذلك الإنجيل على عيسى والفرقان على محمد عليهم السلام ثم إنه لا يلزم في الإشارة وجود جملة المشار إليه ذي الأبعاض المترتبة وجوداً بل يكفي وجود بعض الإشارة حقيقة ووجود بعض آخر حكماً ويحتمل أن يكون المشار إليه هنا الآية السابقة من قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ إلخ فإن لفظ القرآن كما يطلق على المجموع يطلق على البعض منه حقيقة بالاشتراك أو باللغة أو مجازاً بالعلاقة فيكون التذكير باعتبار تذكير المشار إليه. ﴿**على جبل**﴾ من الجبال وهي ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلاً سوى التلول كما في «زهرة الرياض» وهي محركة كل وتد للأرض عظم وطال فإن انفرد فأكمة وقنة بضم القاف واعتبر معانيه فاستعير واشتق منه بحسبه فقيل فلان جبل لا يتدحرج تصور المعنى الثبات وجبله الله على كذا إشارة إلى ما ركب فيه من الطبع الذي يأبى على الناقل نقله. ﴿**لرأيته**﴾ يا من من شأنه الرؤية أو يا محمد مع كونه علماً في القسوة وعدم التأثر مما يصادمه ﴿**خاشعاً**﴾ خاضعاً ذليلاً وهو حال من الضمير المنصوب في قوله: ﴿**لرأيته**﴾ لأنه من الرؤية البصرية قال بعضهم: الخشوع انقياد الباطن للحق والخضوع انقياد الظاهر له وقال بعضهم: الخضوع في البدن والخشوع في الصوت والبصر قال الراغب: الخشوع ضراعة وأكثر ما يستعمل فيما يوجد في الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روي: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح ﴿**متصدعاً من خشية الله**﴾ أي: متشققاً منها أن يصيبه فيعاقبه والصدع شق في الأجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما ومنه استعير الصداع وهو الانشقاق في الرأس من الوجع قال العلماء: هذا بيان وتصوير لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ أريد به توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه والمعنى لو ركب في الجبل عقل وشعور كما ركب فيكم أيها الناس ثم أنزل عليه القرآن ووعد وأوعد حسب حالكم لخشع وخضع وتصدع من خشية الله حذراً من أن لا يؤدي حق الله تعالى في تعظيم القرآن والامتثال لما فيه من أمره ونهيه والكافر المنكر أقسى منه ولذا لا يتأثر أصلاً «مصراع» أي دل سنكين تويك ذره سوهان كيرنيست. وهو كما تقول لمن تعظه ولا ينجع فيه وعظك: لو كلمت هذا الحجر لأثر فيه. ونظيره قول الإمام مالك للشافعي: لو رأيت أبا حنيفة رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقامت حجته:

دلرا اثر روى توكل پوش كند ... جانرا سخن خوب تو مدهوش كند

آتش كه شراب وصل تونوش كند ... از لطف توسوختن فراموش كند

يقول الفقير: فيه ذهول عن أن الله تعالى خلق الأشياء كلها ذات حياة وإدراك في الحقيقة وإلا لما اندك الجبل عند التجلي ولما شهد للمؤذن كل رطب ويابس سمع صوته ونحو ذلك وقد كاشف عن هذه الحياة أهل الله وغفل عنها المحجوبون على ما حقق مراراً نعم فرق بين الجبل عند التجلي وعندما أنزل عليه القرآن وبينه عند الاستتار وعدم الإنزال فإن أثر الحياة في الصورة الأولى محسوس مشاهد للعامة والخاصة وأما في الصورة الثانية فمحسوس للخاصة فقط فاعرف ﴿**وتلك الأمثال**﴾ إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله في مواضع من التنزيل أي هذا

القول الغريب في عظمة القرآن ودناءة حال الإنسان وبيان صفتهما العجيبة وسائر الأمثال الواقعة في القرآن فإن لفظ المثل حقيقة عرفية في القول السائر ثم يستعار لكل أمر غريب وصفة عجيبة الشأن تشبيهاً له بالقول السائر في الغرابة لأنه لا يخلو عن غرابة. ﴿نضربها للناس﴾ بيان ميكنيم مرانسانرا قد جاء في سورة الزمر: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الزمر: ٢٧] بالإخبار على المضي مع أنها مكية وقال هنا ﴿نضربها﴾ بالاستقبال مع أن السورة مدنية فلعل الأول من قبيل عد ما سيحقق مما حقق لتحققه بلا خلف والثاني من قبيل التعبير عن الماضي بالمضارع لإحضار الحال أو لإرادة الاستمرار على الأحوال بمعنى أن شأننا أن نضرب الأمثال للناس. ﴿لعلهم يتفكرون﴾ أي: لمصلحة التفكر ومنفعة التذكر. يعني شايدكه انديشه كنند دران وبهره بردارند ازان بإيمان. ولا يقتضي كون الفعل معللاً بالحكمة والمصلحة أن يكون معللاً بالغرض حتى تكون أفعاله تعالى معلة بالأغراض إذ الغرض من الاحتياج والحكمة اللطف بالمحتاج وعن بعض العلماء أنه قال: من عجز عن ثمانية فعليه بثمانية أخرى لينال فضلها من أراد فضل صلاة الليل وهو نائم فلا يعص بالنهار ومن أراد فضل صيام التطوع وهو مفطر فليحفظ لسانه عما لا يعنيه ومن أراد فضل العلماء فعليه بالتفكر ومن أراد فضل المجاهدين والغزاة وهو قاعد في بيته فليجاهد الشيطان ومن أراد فضل الصدقة وهو عاجز فليعلم الناس ما سمع من العلم ومن أراد فضل الحج وهو عاجز فليلتزم الجمعة ومن أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس ولا يوقع العداوة ومن أراد فضل الأبدال فليضع يده على صدره ويرضى لأخيه ما يرضى لنفسه قال عليه السلام: «أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا: ما حظها من العبادة يا رسول الله؟ قال: النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه».

وفي «المثنوي»:

خوش بيان كرد آن حكيم غزنوى ... بهر محجوبان مثال معنوي
كه ز قرآن كرنه بيند غير قال ... اين عجب نيودز اصحاب ضلال
كز شعاع آفتاب پرز نور ... غير كرمى مى نيابد چشم كور

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وعن الحسن البصري رحمه الله من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو ومن لم يكن نظره عبرة فهو لهو. وعن أبي سليمان رحمه الله: الفكرة في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكرة في الآخرة تورث الحكمة وتحيي القلب وكثيراً ما ينشد سفيان بن عيينة ويقول:

إذا المرء كانت له فكره ... ففي كل شيء له عبره

والتفكر إما أن يكون في الخالق أو الخلق والأول إما في ذاته أو في صفاته أو في أفعاله أما في ذاته فممنوع لأنه لا يعرف الله إلا الله إلا أن يكون التفكر في ذاته باعتبار عظمته وجلاله وكبريائه من حيث وجوب الوجود ودوام البقاء وامتناع الإمكان والفناء والصمدية التي هي الاستغناء عن الكل وأما في صفاته فهو فيها باعتبار كمالها بحيث يحيط علمه بجميع المعلومات وقدرته بجميع الأشياء وإرادته بجميع الكائنات وسمعه بجميع المسموعات وبصره بجميع المبصرات ونحو ذلك وأما في أفعاله فهو فيها بحسب شمولها وكثرتها ومتانتها ووقوعها على الوجه الأتم كل يوم هو في شأن والثاني إما أن يكون فيما كان من العلويات والسفليات أو فيما

سيكون من أهوال القيامة وأحوال الآخرة إلى أبد الآباد قال بعض العارفين: الفكر إما في آيات الله وصنائعه فيتولد منه المعرفة وإما في عظمة الله وقدرته فيتولد منه الحياة وإما في نعم الله ومنته فيتولد منه المحبة وإما في وعد الله بالثواب فيتولد منه الرغبة في الطاعة وإما في وعيد الله بالعقاب فيتولد منه الرهبة من المعصية وإما في تفريط العبد في جنب الله فيتولد منه الحياء والندامة والتوبة. ومن مهمات التفكر أن يتفكر المتفكر في أمر نفسه من مبدئه ومعاشه ومن إطاعته لربه ببدنه ولسانه وفؤاده ولو صرف عمره في فكر نفسه نظراً إلى أول أمره وأوسطه وآخره لما أتم وفي الآية إشارة إلى أن الله لو تجلى بصورة القرآن الجمعي المشتمل على حروف الموجودات العلوية وكلمات المخلوقات السفلية على جبل الوجود الإنساني لتلاشى من سطوة التجلي وإلى أن العارف ينبغي أن يذوب تحت الخطاب الإلهي من شدة التأثير وإلى أن هذه الأمة حملوا بهمتهم ما لم تحمله الجبال بقوتها كما قال تعالى: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾ هو في أصل وضعه كناية عن المفرد المذكر الغائب وهي كناية عن المفردة المؤنثة الغائبة وكثيراً ما يكنى به عمن لا يتصور فيه الذكورة والأنوثة كما هو ههنا فإنه راجع إلى الله تعالى للعلم به ولك أن تقول: هو موضوع لمفرد ليس فيه تأنيث حقيقة وحكماً وهو لمفرد يكون فيه ذلك وهو مبتدأ خبره لفظة الله بمعنى هو المعبود بالحق المسمى بهذا الاسم الأعظم الدال على جلال الذات وكمال الصفات فلا يلزم أن يتحد المبتدأ والخبر بأن يكون التقدير الله الله، إذ لا فائدة فيه أو الله بدل من هو والموصول مع صلته خبر المبتدأ أو هو إشارة إلى الشأن والله مبتدأ والذي لا إله إلا هو خبره والجملة خبر ضمير الشأن ولا في كلمة التوحيد لنفي أفراد الجنس على الشمول والاستغراق وإله مبني على الفتح بها مرفوع المحل على الابتداء والمراد به جنس المعبود بالحق لا مطلق جنس المعبود حقاً أو باطلاً وإلا فلا يصح في نفسه لتعدد الآلهة الباطلة ولا يفيد التوحيد الحق وإلا هو مرفوع على البدلية من محل المنفي أو من ضمير الخبر المقدر للا والخبر قد يقدر موجود فيتوهم أن التوحيد يكون باعتبار الوجود لا الإمكان فإن نفي وجود إله غير الله لا يستلزم نفي إمكانه وقد يقدر ممكن فيتوهم أن إثبات الإمكان لا يقتضي الوقوع فكم من شيء ممكن لم يقع وقد يقدر لنا فيتوهم أنه لا بد من مقدر فيعود الكلام والجواب أنه إذا كان المراد بالإله المعبود بالحق كما ذكر فهو لا يكون إلا رب العالمين مستحقاً لعبادة المكلفين فإذا نفيت الألوهية على هذا المعنى عن غيره تعالى وأثبتت له سبحانه يندفع التوهم على التقادير كلها إن قيل: إن أراد القائل لا إله إلا الله شمول النفي له تعالى ولغيره فهو مشكل نعوذ بالله مع أن الاستثناء يكون كاذباً وإن أراد شموله لغيره فقط فلا حاجة إلى الاستثناء أجيب بأن مراده في قلبه هو الثاني إلا أنه يرى التعميم ظاهراً في أول الأمر ليكون الإثبات بالاستثناء آكد في آخر الأمر فالمعنى لا إله غيره وهذا حال الاستثناء مطلقاً قال الشيخ أبو القاسم: هذا القول وإن كان ابتداؤه النفي لكن المراد به الإثبات. ونهاية التحقيق فإن قول القائل: لا أخ لي سواك ولا معين لي غيرك آكد من قوله: أنت أخي ومعيني وكل من لا إله إلا الله ولا إله إلا هو كلمة توحيد لوروده في القرآن بخلاف لا إله إلا الرحمن فإنه ليس بتوحيد مع أن إطلاق الرحمٰن على غيره تعالى غير جائز وإطلاق هو جائز نعم إن الأولى كونه توحيداً إلا أنه لم يشتهر به التوحيد أصالة بخلافهما.

اعلم أن هو من أسماء الذات عند أهل المعرفة لأنه بانفراده عن انضمام لفظ آخر إشارة إلى الله مستجمع لجميع الصفات المدلول عليها بالأسماء الحسنى فهو من جملة الأذكار عند الأبرار قال الإمام القشيري رحمه الله: هو للإشارة وهو عند هذه الطائفة إخبار عن نهاية التحقيق فإذا قلت: هو لا يسبق إلى قلوبهم غيره تعالى فيكتفون به عن كل بيان يتلوه لاستهلاكهم في حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم وقال الإمام الفاضل محمد بن أبي بكر الرازي رحمه الله في «شرح الأسماء الحسنى».

اعلم أن هذا الاسم عند أهل الظاهر مبتدأ يحتاج إلى خبر ليتم الكلام وعند أهل الطريق لا يحتاج بل هو مفيد وكلام تام بدون شيء آخر يتصل به أو يضم له لاستهلاكهم في حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم. وقال الشيخ العارف أحمد الغزالي أخو الإمام محمد الغزالي رحمه الله كاشف القلوب بقوله: لا إله إلا الله وكاشف الأرواح بقول: الله وكاشف الأسرار بقول: هو هو لا إله إلا الله قوت القلوب والله قوت الأرواح وهو قوت الأسرار فلا إله إلا الله مغناطيس القلوب والله مغناطيس الأرواح وهو مغناطيس الأسرار والقلب والروح والسر بمنزلة درة في صدفة في حقة فانظر أنه رحمه الله في أي درجة وضع هو. وعن بعض المشايخ: رأيت بعض الوالهين فقلت له: ما اسمك؟ فقال: هو قلت من أنت؟ قال هو قلت: من أين تجيء؟ قال: هو قلت: من تعني بقولك هو؟ قال: هو. فما سألته عن شيء إلا قال هو فقلت: لعلك تريد الله فصاح وخرجت روحه، فكن من الذاكرين بهو ولا تلتفت إلى المخالفين فإنهم من أهل الأهواء ولكل من العقل والنفس والقلب والروح معنيان أما العقل فيطلق على قوة دراكة توجد في الإنسان بها يدرك مدركاته وعلى لطيفة ربانية هي حقيقة الإنسان المستخدمة للبدن في الأمور الدنيوية والأخروية وهي العالم والعارف والعاقل وهي الجاهل والقاصر والغافل إلى غير ذلك وكذا النفس تطلق على صفة كائنة في الإنسان جامعة للأخلاق المذمومة داعية إلى الشهوات باعثة على الأهواء والآفات وتطلق على تلك اللطيفة المذكورة كما قال بعض الأفاضل:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وكذا القلب يطلق على قطعة لحم صنوبرية تكون في جوف الإنسان وعلى تلك اللطيفة وكذا الروح يطلق على جسم لطيف وعلى اللطيفة الربانية المذكورة فكل من الألفاظ الأربعة يطلق على نفس الإنسان الذي هو المتكلم والمخاطب والمثاب والمعاقب بالأصالة وبتبعيتها يقع الثواب والعقاب للجسد الذي هو القفص لها فالتغاير على هذا اعتباري فإن النفس نفس باعتبار أنها نفس الشيء وذاته وعقل باعتبار إدراكها وقلب باعتبار انقلابها من شيء إلى شيء وروح باعتبار استراحتها بما يلائمها وتستلذ به وعلى المعاني الأخر لهن حقيقي ثم إن النفس إما أن تكون تابعة للهوى فهي الأمارة لمبالغة أمرها للأعضاء بالسيئات فذكر دائرة النفس لا إله إلا الله وإما أن يهب الله له الإنصاف والندامة على تقصيراتها والميل إلى التدارك لما فات من المهمات فهي اللوامة للومها صاحبها بل نفسها على سوء عملها فذكر هذه الدائرة الله الله ويقال لها دائرة القلب لانقلابها إلى جانب الحق وإما أن تطمئن إلى الحق وتستقر في الطاعة وتتلذذ بالعبادة فهي المطمئنة لاطمئنانها تحت أمر الله بحب الله ويقال لهذه الدائرة دائرة الروح

لاستراحتها بعبادة الله وذكره وتلذذها بشكره وذكر هذه الدائرة هو هو وأما ما قال بعض الكبار من أن الذكر بلا إله إلا الله أفضل من الذكر بكلمة الله الله وهو هو من حيث إنها جامعة بين النفي والإثبات ومحتوية على زيادة العلم والمعرفة فبالنسبة إلى حال المبتدي فكلمة التوحيد تظهر مرآة النفس بنارها فتوصل السالك إلى دائرة القلب وكلمة الله تنور القلب بنورها فتوصل إلى دائرة الروح وكلمة هو تجلي الروح فتوصل من شاء الله إلى دائرة السر والسر لفظ استأثره المشايخ للحقيقة التي هي ثمرة الطريقة التي هي خلاصة الشريعة التي هي لازمة القبول لكل مؤمن إما أخذاً مما روي عن النبي عليه السلام أنه قال حكاية عن الله: «بيني وبين عبدي سر لا يسعه ملك مقرب ولا نبي مرسل» وأما لكونه مستوراً عن أكثر الناس ليس من لوازم الشريعة والطريقة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يشهد الله أينما يبدو أنه لا إله إلا هو:

هست هر ذره بو حدت خويش ... پيش عارف كواه وحدت او
پاك كن جامى از غبار دويى ... لوح خاطر كه حق يكيست نه دو

﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾ اللام للاستغراق فيعلم كل غيب وكل شهادة أي ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها وما حضر له من الأجرام وأعراضها ومن المعدوم والموجود فالمراد بالغيب حينئذ ما غاب عن الوجود ومن السر والعلانية ومن الآخرة والأولى ونحو ذلك قال الراغب: ما غاب عن حواس الناس وبصائرهم وما شهدوه بهما والمعلومات إما معدومات يمتنع وجودها أو معدومات يمكن وجودها وإما موجودات يمتنع عدمها أو موجودات لا يمتنع عدمها ولكل من هذه الأقسام الأربعة أحكام وخواص والكل معلوم لله تعالى وقدم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به من حيث كونه موجوداً.

واعلم أن ما ورد من إسناد علم الغيب إلى الله فهو الغيب بالنسبة إلينا لا بالنسبة إليه تعالى لأنه لا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء وإذا انتفى الغيب بالنسبة إليه انتفى العلم به أيضاً وأيضاً لما سقطت جميع النسب والإضافات في مرتبة الذات البحت والهوية الصرفة انتفت النسبة العلمية مطلقاً فانتفى العلم بالغيب فافهم. ﴿**هو الرحمن الرحيم**﴾ كرر هو لأن له شأناً شريفاً ومقاماً منيفاً من اشتغل به ملك من أعرض عنه هلك والله تعالى رحمته الدنيوية عامة لكل إنسي وجني مؤمناً كان أو كافراً:

اديم زمين سفره عام اوست ... برين خان يغما چه دشمن چه دوست

على ما قال عليه السلام: «أيها الناس إن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر يحق فيها الحق ويبطل الباطل كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل أم يتبعها ولدها» ولذلك يقال يا رحمن الدنيا لأن ما فيه زيادة حرف يراد به زيادة في المعنى ورحمته الأخروية خاصة بالمؤمنين ولذا يقال يا رحيم الآخرة فعلى هذا في معنى الرحمن زيادة باعتبار المنعم عليه ونقصان باعتبار الأنواع والأفراد وفي تخصيص هذين الاسمين المنبئين عن وفور رحمته في الدارين تنبيه على سبق رحمته وتبشير للعاصين أن لا يقنطوا من رحمة الله وتنشيط للمطيعين بأنه يقبل القليل ويعطي الجزيل وحظ العبد من اسم الرحمن الرحيم أن يكون كثير الرحمة بأن يرحم نفسه أولاً ظاهراً وباطناً ثم يرحم غيره بتحصيل مراده وإرشاده والنظر إليه بعين الرحمة كما قال بعض المشايخ:

وارحم بني جميع الخلق كلهمو وانظر إليهم بعين اللطف والشفقه
وقّر كبيرهمو وارحم صغيرهمو وراع في كل خلق حق من خلقه

قال الزروقي رحمه الله كل الأسماء يصح التخلق بمعانيها إلا الاسم الله فإنه للتعلق فقط وكل الأسماء راجعة إليه فالمعرفة به معرفة بها ولا بد للعبد من قلب مفرد فيه توحيد مجرد وسر مفرد وبه يحصل جميع المقاصد. سئل الجنيد قدس سره كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله تعالى؟ قال: بتوبة تزيل الإصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل وإهانة النفس بقربها من الأجل وبعدها من الأمل قيل له بماذا يصل العبد إلى هذا؟ قال: بقلب مفرد فيه توحيد مجرد انتهى وهو عجيب.

وفي «التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى هويته الجامعة عالم غيب الوجود المسمى باسم الباطن وعالم شهادة الوجود المسمى باسم الظاهر هو﴿الرحمٰن الرحيم﴾ أي هو المتجلي بالتجلي الرحماني العام وهو المتجلي بالتجلي الرحيمي الخاص وهو المطلق عن العموم والخصوص في عين العموم والخصوص غير اعتباراته وحيثياته.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾ كرر هو لإبراز الاعتناء بأمر التوحيد يعني اوست خداى كه بهيچ وجه نيست خداى سزاى پرستش مكروى﴿الملك﴾ پادشاهى كه جلال ذاتش ازوجه احتياج مصونست وكمال صفاتش باستغناء مطلق مقرون فمعناه ذو الملك والسلطان والملك بالضم هو التصرف بالأمر والنهي في الجمهور وذلك يختص بسياسة الناطقين ولهذا يقال ملك الناس ولا يقال: ملك الأشياء فقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤] تقديره الملك في يوم الدين كما في «المفردات» وعبد الملك هو الذي يملك نفسه وغيره بالتصرف فيه بما شاء الله وأمره به فهو أشد الخلق على خليقته قال الإمام الغزالي قدس سره: مملكة العبد الخاصة به قلبه وقالبه وجنده شهوته وغضبه وهواه ورعيته لسانه وعيناه ويداه وسائر أعضائه فإذا ملكها ولم يطعها فقد نال تملكه درجة الملك في عالمه. قال الشيخ سعدي:

وجود توشهريست پرنيك وبد توسلطان ودستور دانا خرد
هما ناكه دونان كردن فراز درين شهر كبرست وسودا وآز
چو سلطان عنايت كند بابدان كجا ماند آسايش بخردان

فإن انضم إليه استغناؤه عن كل الناس واحتاج الناس كلهم إليه في حياتهم العاجلة والآجلة فهو الملك في العالم العرضي وتلك رتبة الأنبياء عليهم السلام فإنهم استغنوا في الهداية إلى الحياة الآخرة عن كل أحد إلا عن الله تعالى واحتاج إليهم كل أحد ويليهم في هذا الملك العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وإنما ملكهم بقدر مقدرتهم على إرشاد العباد واستغنائهم عن الاسترشاد وهذا الملك عطية للعبد من الملك الحق الذي لا مثنوية في ملكه وإلا فلا ملك للعبد كما قيل لبعض العارفين: ألك ملك؟ فقال: أنا عبد لمولاي فليس لي نملة فمن أنا حتى أقول: لي شيء هذا كلام من استغرق في ملاحظة ملكية الله ومالكيته فما حكي أن بعض

الأمراء قال لبعض الصلحاء: سلني حاجتك قال: أو لي تقول هذا ولي عبدان هما سيداك؟ قال: من هما؟ قال: الشهوة والغضب وفي بعض الرواية الحرص والهوى غلبتهما وغلباك وملكتهما وملكاك فهو إخبار عن لطف الله وتمليكه من ضبط نفسه واستخدمها فيما يرضاه الله نصحاً لذلك الأمير ولغيره من السامعين شاهدين أو غائبين قال بعضهم لبعض الشيوخ: أوصني فقال: كن ملكاً في الدنيا تكن ملكاً في الآخرة معناه: اقطع طمعك وشهوتك في الدنيا فإن الملك في الحرية والاستغناء ومن مقالات أبي يزيد البسطامي قدس سره في مناجاته: إلهي ملكي أعظم من ملكك وذلك لأن الله تعالى ملك أبا يزيد وهو متناه وأبا يزيد ملك الله وهو باق غير متناه وخاصية اسم الملك صفاء القلب وحصول الفناء والإمرة ونحوها فمن واظب عليه وقت الزوال كل يوم مائة مرة صفا قلبه وزال كدره ومن قرأه بعد الفجر مائة وإحدى وعشرين مرة أغناه الله من فضله إما بأسباب أو بغيرها. ﴿**القدوس**﴾ هو من صيغ المبالغة من القدس وهو النزاهة والطهارة أي البليغ في النزاهة عما يوجب نقصاناً ما وعن كل عيب وهو بالعبري قديساً ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة: سبوح قدوس رب الملائكة والروح.

قال الزمخشري: إن الضفادع تقول في نقيقها: سبحان الملك القدوس قال ثعلب: كل اسم على فعول فهو مفتوح الأول إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيهما أكثر وقد يفتحان وقال بعضهم: المفتوح قليل في الصفات كثير في الأسماء مثل التنور والسمور والسفود وغيرها قال بعض المشايخ: حقيقة القدس الاعتلاء عن قبول التغير ومنه الأرض المقدسة لأنها لا تتغير بملك الكافر كما يتغير غيرها من الأرضين واتبع هذا الاسم اسم الملك لما يعرض للملوك من تغير أحوالهم بالجور والظلم والاعتداء في الأحكام وفيما يترتب عليها فإن ملكه تعالى لا يعرض له ما يغيره لاستحالة ذلك في وصفه.

وقال بعضهم: التقديس التطهير وروح القدس جبريل عليه السلام لأنه ينزل بالقدس من الله أي ما يطهر به نفوسنا من القرآن والحكمة والفيض الإلهي والبيت المقدس هو المطهر من النجاسة أي الشرك أو لأنه يتطهر فيه من الذنوب وكذلك الأرض المقدسة وحظيرة القدس الجنة. قال الكاشفي: قدوس يعني پاك از شوائب مناقص ومعايب ومنزه از طرق آفات ونوايب. وقال الإمام الغزالي رحمه الله: هو المنزه عن كل وصف يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق إليه وهم أو يختلج به ضمير أو يفضي به تفكر ولست أقول: منزه عن العيوب والنقائض فإن ذلك يكاد يقرب من ترك الأدب فليس من الأدب أن يقول القائل: ملك البلد ليس بحائك ولا حجام ولا حذاء فإن نفي الوجود يكاد يوهم إمكان الوجود وفي ذلك الإيهام نقص بل أقول: القدوس هو المنزه عن كل وصف من أوصاف الكمال الذي يظنه أكثر الخلق كمالاً قال الزروقي رحمه الله كل تنزيه توجه الخلق به إلى الخالق فهو عائد إليهم لأن الحق سبحانه في جلاله لا يقبل ما يحتاج للتنزيه منه لاتصافه بعلي الصفات وكريم الأسماء وجميل الأفعال على الإطلاق فليس لنا من تقدسه إلا معرفة أنه القدوس فافهم وعبد القدوس هو الذي قدسه الله عن الاحتجاب فلا يسع قلبه غير الله وهو الذي يسع قلبه الحق كما قال: «لا يسعني أرضي وسمائي ويسعني قلب عبدي» ومن وسع الحق قدس عن الغير إذا لا يبقى عند تجلي الحق شيء غيره فلا يسع القدوس إلا القلب المقدس من الأكوان قال بعضهم: حظ العارف منه أن يتحقق أنه لا يحق الوصول إلا بعد العروج من عالم الشهادة إلى عالم الغيب وتنزيه السر

عن المتخيلات والمحسوسات والتطواف حول العلوم الإلهية والمعارف الزكية عن تعلقات الحس والخيال وتطهير القصد عن أن يحوم حول الحظوظ الحيوانية واللذائذ الجسمانية فيقبل بشراشره على الله سبحانه شوقاً إلى لقائه مقصور الهم على معارفه ومطالعة جماله حتى يصل إلى جناب العز وينزل بحبوحة القدس وخاصية هذا الاسم أنه إذا كتب: سبوح قدوس رب الملائكة والروح على خبز إثر صلاة الجمعة وأكله يفتح الله له العبادة ويسلمه من الآفات وذلك بعد ذكر عدد ما وقع عليه، وفي «الأربعين الإدريسية»: يا قدوس الطاهر من كل آفة فلا شيء يعادله من خلقه قال السهروردي: من قرأه كل يوم ألف مرة في خلوة أربعين يوماً شمله بما يريد وظهرت له قوة التأثير في العالم ﴿**السلام**﴾ ذو السلامة من كل آفة ونقص وبالفارسية سالم از عيوب وعلل ومبرا از ضعف وعجز وخلل وهو مصدر بمعنى السلامة وصف به للمبالغة لكونه سليماً من النقائص أو في إعطائه السلامة فيكون بمعنى التسليم كالكلام بمعنى التكليم فما ورد من قوله: «أنت السلام» معناه: أنت الذي سلم من كل عيب وبريء من كل نقص وقوله: «ومنك السلام» أي الذي يعطي السلامة فيسلم العاجز من المكاره ويخلصه من الشدائد في الدارين ويستر ذنوب المؤمنين وعيوبهم فيسلمون من الخزي يوم القيامة أو يسلم على المؤمنين في الجنة لقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨] وقوله: «وإليك يرجع السلام» إشارة إلى أن ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧، ٢٨] وقوله: وحينا ربنا بالسلام طلب السلامة منه في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال الإمام الغزالي رحمه الله: هو الذي يسلم ذاته من العيب وصفاته من النقص وأفعاله من الشر يعني ليس في فعله شر محض بل في ضمنه خير أعظم منه فالمقضي بالأصالة هو الخير وهو والقدوس من الأسماء الذاتية السلبية إلا أن يكون بمعنى المسلم.

قال الراغب: السلام والسلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة قيل: وصف الله بالسلام من حيث لا تلحقه العيوب والآفات التي تلحق الخلق انتهى. وعبد السلام هو الذي تجلى له اسم السلام فسلمه من كل نقص وآفة وعيب فكل عبد سلم من الغش والحقد والحسد وإرادة الشر قلبه وسلم من الآثام والمحظورات جوارحه وسلم من الانتكاس والانعكاس صفاته فهو الذي يأتي الله بقلب سليم وهو السلام من العباد القريب في وصفه من السلام المطلق الحق الذي لا مثنوية في صفاته وأعني بالانتكاس في صفاته أن يكون عقله أسير شهوته وغضبه إذ الحق عكسه وهو أن تكون الشهوة والغضب أسيري العقل وطوعه فإذا انعكس فقد انتكس ولا سلامة حيث يصير الأمير مأموراً والملك عبداً ولن يوصف بالسلام والإسلام إلا من سلم المسلمون من لسانه ويده وخاصية هذا الاسم صرف المصائب والآلام حتى أنه إذا قرىء على مريض مائة وإحدى عشرة مرة برىء بفضل الله ما لم يحضر أجله أو يخفف عنه. ﴿**المؤمن**﴾ أي: الموحد نفسه بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] قاله الزجاج أو واهب الأمن وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الذي آمن الناس من ظلمه وآمن من آمن من عذابه وهو من الإيمان الذي هو ضد التخويف كما في قوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤] وعنه أيضاً أنه قال: إذا كان يوم القيامة أخرج أهل التوحيد من النار وأول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي حتى إذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبي قال الله لباقيهم: أنتم المسلمون وأنا السلام وأنتم المؤمنون وأنا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة

هذين الاسمين. قال الكاشفي: ايمن كننده مؤمنان ازعقوبت نيران يا داعي خلق بإيمان وأمان يا مصدق رسل باظهار معجزه وبرهان.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: المؤمن المطلق هو الذي لا يتصور أمن وأمان إلا ويكون مستفاداً من جهته وهو الله تعالى وليس يخفى أن الأعمى يخاف أن يناله هلاك من حيث لا يرى فعينه البصيرة تفيد أمناً منه والأقطع يخاف آفة لا تندفع إلا باليد واليد السليمة أمان منها وهكذا جميع الحواس والأطراف والمؤمن خالقها ومصورها ومقومها ولو قدرنا إنساناً وحده مطلوباً من جهة أعدائه وهو ملقى في مضيق لا تتحرك عليه أعضاؤه لضعفه وإن تحركت فلا سلاح معه وإن كان معه سلاح لم يقاوم أعداءه وحده وإن كانت له جنود لم يأمن أن تنكسر جنوده ولا يجد حصناً يأوي إليه فجاء من عالج ضعفه فقواه وأمده بجنود وأسلحة وبنى حوله حصناً فقد أفاده أمناً وأماناً فبالحري أن يسمى مؤمناً في حقه والعبد ضعيف في أصل فطرته وهو عرضة الأمراض والجوع والعطش من باطنه وعرضة الآفات المحرقة والمغرقة والجارحة والكاسرة من ظاهره ولم يؤمنه من هذه المخاوف إلا الذي أعد الأدوية دافعة لأمراضه والأطعمة مزيلة لجوعه والأشربة مميطة لعطشة والأعضاء دافعة عن بدنه والحواس جواسيس منذرة بما يقرب من مهلكاته ثم خوفه الأعظم من هلاك الآخرة ولا يحصنه منها إلا كلمة التوحيد والله هاديه إليها ومرغبه فيها حيث قال: «لا إله إلا الله حصني فمن دخله أمن من عذابي» فلا أمن في العالم إلا وهو مستفاد من أسباب هو منفرد بخلقها والهداية إلى استعمالها وعبد المؤمن هو الذي آمنه الله من العقاب وآمنه الناس على ذواتهم وأموالهم وأعراضهم من المصطلحات فحظ العبد من هذا الوصف أن يأمن الخلق كلهم جانبه بل يرجو كل خائف الاعتضاد به في دفع الهلاك عن نفسه في دينه ودنياه كما قال عليه السلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليؤمن جاره بوائقه» وفي ترجمة وصايا «الفتوحات» واكر خواهى كه از هيچكس نترسى هيچ كس را مترسان تا ازهمه آمن باشى چون همه كس ازتو آمن باشند شيخ اكبر قدس سره الأطهر فرموده كه در عنفوان شباب كه هنوز بدين طريق رجوع نكرده بودم در صحبت والده وجمعى در سفر بودم ناكاه ديدم كله كور خردر مرعى ومن برصيد ايشان عظيم حريص بودم وكو دكان من پاره دوربودند در نفس من اين فكر افتادكه ايشانرا نر نجانم ودل بران نهادم وخاطررا برترك تعرض وايذاى ايشان تسكين كردم وحصانى كه بروى سوار بودم بجانب ايشان ميل ميكرد سر او محكم كردم ونيزه بدست من بود چون بديشان رسيدم ودرميانه ايشان در آمدم وقت بودكه سنان نيزه ببعضى ميرسيد واودر چرا كردن خود بود والله هيچ يكى سر بر نداشت تامن از ميان ايشان كذشتم بعد ازان كود كان وغلامان رسيدند وآن جماعات حمر وحش از ايشان رميدند ومتفرق شدند ومن سبب آن نمى دانستم تا وقتى كه بطريق الله رجوع كردم ومرا در معامله نظر افتاد دانستم كه آن امان كه در نفس من بود در نفوس ايشان سرايت كرد وأحق العباد باسم المؤمن من كان سبباً لأمن الخلق من عذاب الله بالهداية إلى طريق الله والإرشاد إلى سبيل النجاة وهذه حرفة الأنبياء والعلماء ولذلك قال عليه السلام: «إنكم تتهافتون في النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم» لعلك تقول: الخوف من الله على الحقيقة فلا مخوف إلا هو فهو الذي خوف عباده وهو الذي خلق أسباب الخوف فكيف ينسب إليه الأمن فجوابك أن الخوف منه والأمن منه وهو خالق سبب الأمن والخوف جميعاً وكونه مخوفاً لا يمنع كونه مؤمناً كما أن كونه مذلاً لم يمنع كونه

معزاً بل هو المعز والمذل وكونه خافضاً لم يمنع كونه رافعاً بل هو الرافع والخافض فكذلك هو المؤمن المخيف لكن المؤمن ورد التوقيف به خاصة دون المخوف وخاصية هذا الاسم وجود التأمين وحصول الصدق والتصديق وقوة الإيمان في العموم لذاكره ومن ذلك أن يذكره الخائف ستاً وثلاثين مرة فإنه يأمن على نفسه وماله ويزاد في ذلك بحسب القوة والضعف. ﴿المهيمن﴾ قال بعض المشايخ هذا الاسم من أسمائه التي علت بعلو معناها عن مجاري الاشتقاق فلا يعلم تأويله إلا الله تعالى وقال بعضهم: هو المبالغ في الحفظ والصيانة عن المضار من قولهم: هيمن الطائر إذا نشر جناحه على فرخه حماية له، وفي «الإرشاد»: الرقيب الحافظ لكل شيء وقال الزروقي: هو لغة الشاهد ومنه قوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] يعني شاهداً عالماً وقال بعضهم: مفيعل من الأمن ضد الخوف وأصله مؤأمن بهمزتين فقلبت الهمزة الثانية ياء لكراهة اجتماعهما فصار مؤيمن ثم صيرت الأولى هاء كما قالوا في أراق الماء هراقه فيكون في معنى المؤمن.

ـ حكي ـ أن ابن قتيبة لما قال في المهيمن إنه مصغر من مؤمن والأصل مؤيمن فأبدلت الهمزة هاء قيل له: هذا يقرب من الكفر فليتق الله قائله وذلك لأن فيه ترك التعظيم وقال الإمام الغزالي رحمه الله: معنى المهيمن في حق الله أنه القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم وإنما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه وكل مشرف على كنه الأمر مستول عليه حافظ له فهو مهيمن عليه والإشراف يرجع إلى العلم والاستيلاء إلى كمال القدرة والحفظ إلى الفعل فالجامع بين هذه المعاني اسمه المهيمن ولن يجمع ذلك على الإطلاق والكمال إلا الله تعالى ولذلك قيل: إنه من أسماء الله تعالى في الكتب القديمة وعبد المهيمن هو الذي شاهد كون الحق رقيباً شهيداً على كل شيء فهو يرقب نفسه وغيره بإيفاء حق كل ذي حق عليه لكونه مظهر الاسم المهيمن يعني حظ العارف منه أن يراقب قلبه ويحفظ قواه وجوارحه ويأخذ حذره من الشيطان ويقوم بمراقبة عباد الله وحفظهم فمن عرف أنه المهيمن خضع تحت جلاله وراقبه في كل أحواله واستحيا من اطلاعه عليه فقام بمقام المراقبة لديه.

ـ حكي ـ أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله كان يصلي قاعداً فجلس ومد رجليه فهتف به هاتف هكذا تجالس الملوك وأن الحريري كان لا يمد رجليه في الخلوة فقيل له: ليس يراك أحد فقال: حفظ الأدب مع الله أحق.

يقول الفقير: يقرب من هذا ما وقع لي عند الكعبة فإني بعدما طفت بالبيت استندت إلى مقام إبراهيم حباً له فقيل لي من قبل الله تعالى ما هذا البعد في عين القرب فعلمت أن ذلك من ترك الأدب في مجالسة الله معي فلم أزل ألازم باب الكعبة في الصف الأول مدة مجاورتي بمكة وخاصية هذا الاسم الإشراف على البواطن والأسرار ومن قرأه مائة مرة بعد الغسل والصلاة في خلوة بجمع خاطر نال ما أراد ومن نسبته المعنوية علام الغيوب عن التأمل وفي «الأربعين الإدريسية»: يا علام الغيوب فلا يفوت شيء من علمه ولا يؤوده قال السهرودي: من داوم عليه قوي حفظه وذهب نسيانه ﴿العزيز﴾ غالب در حكم يا بخشنده عزت. قال بعضهم: من عز إذا غلب فمرجعه القدرة المتعالية عن المعارضة والممانعة أو من عز عزازة إذا قل فالمراد عديم المثل كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقال الإمام الغزالي رحمه الله: العزيز هو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه فما لم يجمع هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه العزيز فكم من شيء يقل وجوده ولكن إذا لم

يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزاً وكم من شيء يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره ولكن إذا لم يصعب الوصول إليه لم يسم عزيزاً كالشمس مثلاً فإنها لا نظير لها والأرض كذلك والنفع عظيم في كل واحدة منهما والحاجة شديدة إليهما ولكن لا توصفان بالعزة لأنه لا يصعب الوصول إلى مشاتهما فلا بد من اجتماع المعاني الثلاثة ثم في كل واحد من المعاني الثلاثة كمال ونقصان فالكمال في قلة الوجود أن يرجع إلى الواحد إذ لا أقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله وليس هذا إلا الله تعالى فإن الشمس وإن كانت واحدة في الوجود فليست واحدة في الإمكان فيمكن وجود مثلها والكمال في النفاسة وشدة الحاجة أن يحتاج إليه كل شيء في كل شيء حتى في وجوده وبقائه وصفاته وليس ذلك الكمال إلا لله تعالى وعبد العزيز هو الذي أعزه الله بتجلي عزته فلا يغلبه شيء من أيدي الحدثان والأكوان وهو يغلب كل شيء قال الغزالي رحمه الله: العزيز من العباد من يحتاج إليه عباد الله في مهام أمورهم وهي الحياة الأخروية والسعادة الأبدية وذلك مما يقل لا محالة وجوده ويصعب إدراكه وهذه رتبة الأنبياء عليهم السلام ويشاركهم في العز من يتفرد بالقرب منهم أي من درجتهم في عصرهم كالخلفاء وورثتهم من العلماء وعزة كل واحد بقدر علو رتبته عن سهولة النيل والمشاركة وبقدر غنائه في إرشاد الخلق وقال بعضهم: حظ العبد من هذا الاسم أن يعز نفسه فلا يستهينها بالمطامع الدنية ولا يدنيها بالسؤال من الناس والافتقار إليهم قيل: إنما يعرف عزيزاً من أعز أمر الله بطاعته فأما من استهان بأوامره فمن المحال أن يكون متحققاً بعزته وقال الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله: والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن المخلوقين فمن عرف أنه العزيز لا يعتقد لمخلوق جلالاً دون جلال الله تعالى فالعزيز بين الناس في المشهور من جعله الله ذا قدر ومنزلة بنوع شرف باق أو فانٍ فمنهم من يكون عزيزاً بطاعة الله تعالى ومنهم من يكون بالجاه ومنهم من يكون عزيزاً بالعلم والمعرفة والكمال ومنهم من يكون بالسطوة والشوكة والمال ثم منهم من يكون عزيزاً في الدارين ومنهم من يكون في الدنيا لا في العقبى ومنهم من يكون على العكس فكم من ذليل عند الناس عزيز عند الله وكم من عزيز عند الناس ذليل عند الله والعزيز عند المولى هو الأصل والأولى قال في «أبكار الأفكار»: غير رسول الله عليه السلام اسم العزيز لأن العزة لله وشعار العبد الذلة والاستكانة وخاصية هذا الاسم وجود الغنى والعز صورة أو حقيقة أو معنى فمن ذكره أربعين يوماً في كل يوم أربعين مرة أعانه الله وأعزه فلم يحوجه إلى أحد من خلقه وفي «الأربعين الإدريسية»: يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شيء يعادله قال السهروردي رحمه الله: من قرأه سبعة أيام متواليات كل يوم ألفاً أهلك خصمه وإن ذكره في وجه العسكر سبعين مرة ويشير إليهم بيده فإنهم ينهزمون. ﴿**الجبار**﴾ الذي جبر خلقه على ما أراد أي قهرهم وأكرههم عليه أو جبر أحوالهم أي أصلحها فعلى هذا يكون الجبار من الثلاثي لا من الأفعال وجبر بمعنى أجبر لغة تميم وكثير من الحجازيين واستدل بورود الجبار من يقول إن أمثلة مبالغة تأتي من المزيد عن الثلاثي فإنه من أجبره على كذا أي قهره وقال الفراء: لم أسمع فعال من أفعل إلا في جبار ودراك فإنهما من أجبر وأدرك.

قال الراغب: أصل الجبر إصلاح الشيء بضرب من القهر وقد يقال في إصلاح المجرد نحو قول علي رضي الله عنه: يا جابر كل كسير ومسهل كل عسير والإجبار في الأصل حمل الغير على أن يجبر الأمور لكن تعورف في الإكراه المجرد وسمي الذين يدعون أن الله تعالى

يكره العباد على المعاصي في تعارف المتكلمين مجبرة وفي قول المتقدمين جبرية والجبار في صفة الإنسان يقال لمن يجبر نقيصته بادعاء منزلة من المعالي لا يستحقها وهذا لا يقال إلا على طريقة الذم وفي وصف الله لأنه الذي يجبر الناس بفائض نعمه أو يقهرهم على ما يريده من مرض وموت وبعث ونحوها وهو لا يقهر إلا على ما تقتضي الحكمة أن يقهر عليه فالجبار المطلق هو الذي ينفذ مشيئته على سبيل الإجبار في كل أحد ولا ينفذ فيه مشيئة أحد.

ـ روي ـ أن في بعض الكتب الإلهية «عبدي تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد فإن رضيت بما أريد كفيتك ما تريد وإن لم ترض بما أريد أبقيتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد» وعبد الجبار هو الذي يجبر كسر كل شيء ونقصه لأن الحق جبر حاله وجعله بتجلي هذا الاسم جابر الحال كل شيء مستعلياً عليه ومن علم أنه الجبار دق في عينه كل جبار وكان راجعاً إليه في كل أمر بوصف الافتقار بجبر المكسور من أعماله وترك الناقص من آماله فتم له الإسلام والاستسلام وارتفعت همته عن الأكوان فيكون جباراً على نفسه جابراً لكسر عباده وقال بعضهم: حظ العارف من هذا الاسم أن يقبل على النفس ويجبر نقائصها باستكمال الفضائل ويحملها على ملازمة التقوى والمواظبة على الطاعة ويكسر منها الهوى والشهوات بأنواع الرياضات ويترفع عما سوى الحق غير ملتفت إلى الخلق فيتحلى بحلي السكينة والوقار بحيث لا يزلزله تعاور الحوادث ولا يؤثر فيه تعاقب النوافل بل يقوى على التأثير في الأنفس والآفاق بالإرشاد والإصلاح وقال الإمام الغزالي رحمه الله: الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء وبمتابعته في سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد ويؤثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع ولا يشاهده أحد إلى ويفنى عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفى الهم غير ملتفت إلى ذاته ولا يطمع أحد في استدراجه واستتباعه وإنما حظي بهذا الوصف سيد الأولين والآخرين عليه السلام حيث قال: «لو كان موسى بن عمران حياً ما وسعه إلا اتباعي وأنا سيد ولد آدم ولا فخر» وخاصية هذا الاسم الحفظ من ظلم الجبابرة والمعتدين في السفر والإقامة يذكر بعد قراءة المسبعات عشر صباحاً ومساء إحدى وعشرين مرة ذكره الزروقي في «شرح الأسماء الحسنى». ﴿**المتكبر**﴾ الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصاناً أو البليغ الكبرياء والعظمة يعني أن صيغة التفعل للتكلف بما لم يكن فإذا قيل: تكبر وتسخى دل على أنه يرى ويظهر الكبر والسخاء وليس بكبير ولا سخي والتكلف بما لم يكن كان مستحيلاً في حق الله تعالى حمل على لازمه وهو أن يكون ما قام به من الفعل على أتم ما يكون وأكمله من غير أن يكون هناك تكلف واعتمال حقيقة ومنه ترحمت على إبراهيم بمعنى رحمته كمال الرحمة وأتممتها عليه فإذا قيل: إنه تعالى متكبر كان المعنى إنه البالغ في الكبر أقصى المراتب.

ـ روي ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله عليه السلام قائماً على هذا المنبر يعني منبر رسول الله في المدينة وهو يحكي عن ربه تعالى فقال: «إن الله عز وجل إذا كان يوم القيامة جمع السماوات والأرضين في قبضته تبارك وتعالى ثم قال هكذا وشد قبضته ثم بسطها ثم يقول: أنا الله أنا الرحمن أنا الرحيم أنا الملك أنا القدوس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن أنا العزيز أنا الجبار أنا المتكبر أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً أنا الذي أعدتها أين الملوك أين الجبابرة»:

قهار بي منازع وغفار بي ملال ديان بي معادل وسلطان بي سپاه
باغير اوضافت شاهى بود چنان بريك دو چوب پاره زشطرنج نام شاه

قال الراغب: التكبر يقال على وجهين أحدهما أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره وعلى هذا وصف الله بالمتكبر وهو ممدوح والثاني أن يكون متكلفاً لذلك متشبعاً وذلك في وصف عامة الناس والموصوف به مذموم وفي الحديث: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في شيء منهما قصمته» قال بعضهم: الفرق بين المتكبر والمستكبر أن المتكبر عام لإظهار الكبر الحق كما في أوصاف الحق تعالى ولإظهار الكبر الباطل كما في قوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] والكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك كما في «العوارف» والاستكبار باطلاً كما في قوله تعالى في حق إبليس ﴿ٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤] وغير ذلك كما تجده في موارد استعمالاته في القرآن والحديث وقال في «الأسئلة المقحمة» ما معنى المتكبر من أسماء الله فإن التكبر مذموم في حق الخلق والجواب معناه هو المتعظم عما لا يليق به سبحانه وهو من الكبرياء لا من التكبر ومعناه المبالغة في العظمة والكبرياء في الله وهو الامتناع عن الانقياد فلهذا كان مذموماً في حق الخلق وهو صفة مدح في حق الله تعالى انتهى فإن قلت: ما تقول في قوله عليه السلام حين قال له عمه أبو طالب: ما أطوعك ربك يا محمد وأنت يا عم لو أطعته أطاعك؟ قلت: هذه الإطاعة والانقياد للمطيع لا للخارج عن أمره فلا ينافي عدم انقياده لغيره فهو المتكبر للمتكبر كما أنه المطيع للمطيع قال بعضهم: المتكبر هو الذي يرى غيره حقيراً بالإضافة إلى ذاته فينظر إلى الغير نظر المالك إلى عبده وهو على الإطلاق لا يتصور إلا لله تعالى فإنه المتفرد بالعظمة والكبرياء بالنسبة إلى كل شيء من كل وجه ولذلك لا يطلق على غيره تعالى إلا في معرض الذم لما أنه يفيد التكلف في إظهار ما لا يكون قال عليه السلام: «تحاجت النار والجنة فقالت هذه: يدخلني الجبارون المتكبرون وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين فقال الله لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشاء وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها» ومن عرف علوه تعالى وكبرياءه لازم طريق التواضع وسلك سبيل التذلل. قيل: الفقير في خلقه أحسن منه في جديد غيره فلا شيء أحسن على الخدم من لباس التواضع بحضرة السادة قال بعض الحكماء: ما أعز الله عبداً بمثل ما يدل على ذل نفسه وما أذله بمثل ما يدل على عز نفسه.

ـ حكي ـ أن بعضهم قال: رأيت رجلاً في الطواف وبين يديه خادمان يطردان الناس ثم بعد ذلك رأيته يتكفف على جسر فسألته عن ذلك فقال: إني تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله في موضع يترفع فيه الناس وعبد المتكبر هو الذي فني تكبره بتذلله للحق حتى قام كبرياء الله مقام كبره فيتكبر بالحق على ما سواه فلا يتذلل للغير قال الإمام الغزالي قدس سره: المتكبر من العباد هو الزاهد ومعنى زهد العارف أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتكبر في كل شيء سوى الله تعالى فيكون مستقراً للدنيا والآخرة مرتفعاً عن أن يشغله كلتاهما عن الحق وزهد العارف معاملة ومعاوضة فهو إنما يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة فيترك الشيء عاجلاً طمعاً في أضعافه آجلاً وإنما هو سلم ومبايعة ومن استعبدته شهوته المطعم والمنكح فهو حقير وإنما المتكبر من يستحقر كل شهوة وحظ بتصور أن تشاركه فيها البهائم وخاصية هذا

الاسم الجلالة ظهور الخير والبركة حتى أن من ذكره ليلة دخوله بزوجته عند دخوله عليها وقرأه قبل جماعها عشراً رزق منها ولداً صالحاً ذكراً، وفي «الأربعين الإدريسية»: يا جليل المتكبر على كل شيء فالعدل أمره والصدق وعده قال السهروردي رحمه الله مداومه بلا فترة يجل قدره ويعز أمره ولا يقدر أحد على معارضته بوجه ولا بحال. ﴿**سبحان الله عما يشركون**﴾ تنزيه له تعالى عما يشركون به تعالى أو عن إشراكهم به إثر تعداد صفات لا يمكن أن يشاركه تعالى في شيء منها شيء ما أصلاً أي سبحوا الله تسبيحاً ونزهوه تنزيهاً عما يشركه الكفار به من المخلوقات فالله تعالى أورده لإظهار كمال كبريائه أو للتعجب من إثبات الشرك بعدما عاينوا آثار اتصافه بجلال الكبرياء وكمال العظمة.

وفي «التأويلات النجمية»: قوله سبحانه: ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو الملك**﴾ إلخ يشير إلى وحدانية ذاته وفردانية صفاته وتصرفه في الأشياء على مقتضى حكمته الأزلية وإلى نزاهته عن النقائص الإمكانية ووصف الأمن بين العدم المحض بسبب التحقق بالوجود المطلق وإلى حفظ الأشياء في عين شيئيته وإعزازه أوليائه وقهره وإذلاله أعدائه وإلى كمال كبريائه بظهوره في جميع المظاهر وإلى نزاهة ذاته عما يشركون معنى في ذاته وفي صفاته وفي «عرائس البقلي»: سبحان الله عما يشركون إليه بالنواظر والخواطر انتهى.

﴿**هو الله الخالق**﴾ أي: المقدر للأشياء على مقتضى حكمته ووفق مشيئته فإن أصل معنى الخلق التقدير كما يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها بمقياس وإن شاع في معنى الإيجاد على تقدير واستواء وسواء كان من مادة كخلق الإنسان من نطفة ونحوه أو من غير مادة كخلق السماوات والأرض وعبد الخالق هو الذي يقدر الأشياء على وفق مراد الحق لتجليه له بوصف الخلق والتقدير فلا يقدر إلا بتقديره تعالى وخاصية هذا الاسم أن يذكر في جوف الليل ساعة فما فوقها فيتنور قلب ذاكره ووجهه وفي «الأربعين الإدريسية»: خالق من في السماوات ومن في الأرض وكل إليه معاده قال السهروردي: يذكر لجمع الضائع والغائب البعيد الغيبة خمسة آلاف مرة. ﴿**البارىء**﴾ الموجد للأشياء بريئة من التفاوت فإن البرء الإيجاد على وجه يكون الموجد بريئاً من التفاوت والنقصان عما يقتضيه التقدير على الحكمة البالغة والمصلحة الكاملة وعبد البارىء هو الذي يبرأ عمله من التفاوت والاختلاف فلا يفعل إلا ما يناسب حضرة الاسم البارىء متعادلاً متناسباً بريئاً من التفاوت كقوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۢ﴾ [الملك: ٣] وخاصية هذا الاسم أن يذكره سبعة أيام متوالية كل يوم مائة مرة للسلامة من الآفات حتى من تعدى التراب عليه في القبر، وفي «الأربعين الإدريسية»: يا بارىء النفوس بلا مثال خلا من غيره قال السهروردي: يفتح لذاكره أبواب الغنى والعز والسلامة من الآفات وإذا كتب في لوح من قير وعلق على المجنون نفعه وكذلك أصحاب الأمراض الصعبة ﴿**المصور**﴾ الموجد لصور الأشياء وكيفياتها كما أراد يعني بحشنده صورت هر مخلوق. كما يصور الأولاد في الأرحام بالشكل واللون المخصوص فإن معنى التصوير تخصيص الخلق بالصور المتميزة والأشكال المتعينة قال الراغب: الصورة ما تتميز به الأعيان عن غيرها وهي محسوسة كصورة الإنسان ومعقولة كالعقل وغيره من المعاني وقوله عليه السلام: «إن الله خلق آدم على صورته» أراد بالصورة ما خص الإنسان به من الهيئة المدركة بالبصر وبالبصيرة وبها فضله على كثير من

خلقه وإضافته إلى الله على سبيل الملك لا على سبيل البعضية والتشبيه بل على سبيل التشريف له كقوله: بيت الله وناقة الله وروح الله.

يقول الفقير: الضمير المجرور في صورته يرجع إلى الله لا إلى آدم والصورة الإلهية عبارة عن الصفات السبع المرتبة وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وآدم مظهر هذه الصفات بالفعل بخلاف سائر الموجودات وإطلاق الصورة على الله تعالى مجاز عند أهل الظاهر إذ لا تستعمل في الحقيقة إلا في المحسوسات وأما عند أهل الحقيقة فحقيقة لأن العالم الكبير بأسره صورة الحضرة الإلهية فرقاً وتفصيلاً وآدم صورته جمعاً وإجمالاً:

أي زهمه صورت خوب تو به — صورك الله على صورته
روى تو آينه حق بيني است — در نظر مردم خود بين منه
بلكه حق آينه وتو صورتي — وهم توى رابميان ره مده
صورت از آينه نباشد جدا — انت به متحد فانتبه
هركه سر رشته وحدت نيافت — پيش وى اين نكته بود مشتبه
رشته يكى دان وكره صد هزار — كيست كزين نكته كشايد كره
هركه چو جامى بكره بند شد — كر بسر رشته رود بازبه

والحاصل أن الخالق هنا المقدر على الحكمة الملائمة لنظام العالم والبارىء الموجد على ذلك التقدير والمصور المبدع لصور الكائنات وأشكال المحدثات بحيث يترتب عليها خواصهم ويتم بها كمالهم وبهذا ظهر وجه الترتيب بينهما واستلزام التصوير البرء والبرء الخلق استلزام الموقوف للموقوف عليه كما قال الإمام الغزالي رحمه الله وقدس سره: قد يظن أن هذه الأسماء مترادفة وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع ولا ينبغي أن يكون كذلك بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود يفتقر إلى التقدير أولاً وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانياً وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثاً والله تعالى خالق من حيث إنه مقدر وبارىء من حيث إنه مخترع موجد ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب وهذا كالبناء مثلاً فإنه محتاج إلى مقدر يقدر ما لا بد منه من الخشب واللبن ومساحة الأرض وعدد الأبنية وطولها وعرضها وهذا يتولاه المهندس فيرسمه ويصوره ثم يحتاج إلى بناء يتولى الأعمال التي عندها تحدث وتحصل أصول الأبنية ثم يحتاج إلى مزين ينقش ظاهره ويزين صورته فيتولاه غير البناء هذه هي العادة في التقدير والبناء والتصوير وليس كذلك في أفعال الله تعالى بل هو المقدر والموجد والمزين فهو الخالق البارىء المصور فقدم ذكر الخالق على البارىء لأن الإرادة والتقدير مقدمة على تأثير القدرة وقدم البارىء على المصور لأن إيجاد الذات متقدم على إيجاد الصفات. وعن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه أنه قرأ البارىء المصور بفتح الواو ونصب الراء الذي يبرأ المصور أي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات واختلاف الأشكال وعبد المصور هو الذي لا يتصور ولا يصور إلا ما طابق الحق ووافق تصويره لأن فعله يصدر عن مصوريته تعالى ولذا قال بعضهم: حظ العارف من هذه الأسماء أن لا يرى شيئاً ولا يتصور أمراً إلا ويتأمل فيما فيه من باهر القدرة وعجائب الصنع فيترقى من المخلوق إلى الخالق وينتقل من ملاحظة المصنوع إلى ملاحظة الصانع حتى يصير بحيث كلما نظر إلى شيء وجد الله عنده وخاصية الاسم المصور الإعانة على الصنائع العجيبة وظهور الثمار ونحوها حتى أن العاقر إذا ذكرته في كل يوم إحدى

وعشرين مرة على صوم بعد الغروب وقبل الإفطار سبعة أيام زال عقمها وتصور الولد في رحمها بإذن الله تعالى ﴿**له الأسماء الحسنى**﴾ لدلالتها على المعاني الحسنة كما سبق في سورة طه. قال الكاشفي: مر اوراست نامهاى نيكى كه در شرع وعقل پسنديده ومستحسن باشد والحسنى صيغة تفضيل لأنها تأنيث الأحسن كالعليا في تأنيث الأعلى وتوصيف الأسماء بها للزيادة المطلقة إذ لا نسبة لأسمائه إلى غير الأسماء من أسماء الغير كما لا نسبة لذاته المتعالية إلى غير الذوات من ذوات الغير وأسماء الله تسعة وتسعون على ما جاء في الحديث ونقل صاحب «اللباب» عن الإمام الرازي أنه قال: رأيت في بعض كتب الذكر أن لله تعالى أربعة آلاف اسم ألف منها في القرآن والأخبار الصحيحة وألف في التوراة وألف في الإنجيل وألف في الزبور.

ـ روي ـ أن من دعاء رسول الله عليه السلام: «أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب» فلعل كونها تسعة وتسعين بالنظر إلى الأشهر الأشرف الأجمع وتعدد الأسماء لا يدل على تعدد المسمى لأن الواحد يسمى أباً من وجه وجداً من وجه وخالاً من وجه وعالماً من وجه وذاته متحدة قال عبد الرحمٰن البسطامي قدس سره في «ترويح القلوب»: اعلم أن من السر المكتوم في الدعاء أن تأخذ حروف الأسماء التي تذكر بها مثل قولك: الكبير المتعال ولا تأخذ الألف واللام بل تأخذ كبير متعال وتنظر كم لها من الأعداد بالجمل الكبير فتذكر ذلك العدد في موضع خال من الأصوات بالشرائط المعتبرة عند أهل الخلوة لا تزيد على العدد ولا تنقص منه فإنه يستجاب لك بالوقت وهو الكبريت الأحمر بإذن الله تعالى فإن الزيادة على العدد المطلوب إسراف والنقص منه إخلال والعدد في الذكر بالأسماء كأسنان المفتاح لأنها إن زادت وأنقصت لا تفتح الباب وقس عليه باب الإجابة فافهم السر وصن الدر.

ثم اعلم أن العارفين يلاحظون في الأسماء آلة التعريف وأصل الكلمة والملامية يطرحون منها آلة التعريف لأنها زائدة على أصل الكلمة قال العلماء: الاسم هو اللفظ الدال على المعنى بالوضع والمسمى هو المعنى الموضع له والتسمية وضع اللفظ له أو إطلاقه عليه وإطلاق الاسم على الله تعالى توقيفي عند البعض بحيث لا يصح إطلاق شيء منه عليه إلا بعد أن كان وارداً في القرآن أو الحديث الصحيح وقال آخرون: كل لفظ دل على معنى يليق بجلال الله وشأنه فهو جائز الإطلاق وإلا فلا ومن أدلة الأولين أن الله عالم بلا مرية فيقال له: عالم وعليم وعلام لوروده في الشرع ولا يقال له: عارف أو فقيه أو متيقن إلى غير ذلك مما يفيد معنى العلم ومن أدلة الآخرين أن الأسماء لله وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية والهندية وغيرها مع أنها لم ترد في القرآن والحديث ولا في الأخبار وأن المسلمين أجمعوا على جواز إطلاقها ومنها أن الله تعالى قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] والاسم لا يحسن إلا لدلالته على صفات الكمال ونعوت الجلال فكل اسم دل على هذه المعاني كان اسماً حسناً وأنه لا فائدة في الألفاظ إلا رعاية المعاني فإذا كانت المعاني صحيحة كان المنع من إطلاق اللفظ المفيد غير لائق. غاية ما في الباب أن يكون وضع الاسم علماً له مستحدثاً وذكر ما يوهم معنى غير لائق به تعالى ليس بأدب أما ذكر ما هو دال على معنى حسن ليس فيه إيهام معنى مستنكر مستنفر فليس فيه من سوء الأدب شيء. ﴿**يسبح له ما في السموات والأرض**﴾ ينطق بتنزهه عن جميع النقائص تنزهاً ظاهراً قال في «كشف الأسرار»: يسبح له جميع الأشياء إما بياناً ونطقاً وإما

برهاناً وخلقاً وقد مر الكلام في هذا التسبيح مراراً وجمهور المحققين على أنه تسبيح عبارة وهو لا ينافي تسبيح الإشارة وكذا العكس ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ الجامع للكمالات كافة فإنها مع تكثرها وتشعبها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الحكيم ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأجل العلوم وأجل الأشياء هو الله تعالى وأجل العلوم هو العلم الأزلي الدائم الذي لا يتصور زواله فليس يعلم الله حقيقة إلا الله ومن عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله بقدر الطاقة البشرية لم يستحق أن يسمى حكيماً فمن عرف الله فهو حكيم وإن كان ضعيف القوة في العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها إلا أن نسبة حكمة العبد إلى حكمة الله كنسبة معرفته إلى معرفته بذاته وشتان بين المعرفتين فشتان بين الحكمتين ولكنه مع بعده عنه هو أنفس المعارف وأكثرها خيراً ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وعبد الحكيم هو الذي بصره الله بمواقع الحكمة في الأشياء ووفقه للسداد في القول والصواب في العمل وهو لا يرى خللاً في شيء إلا يسده ولا فساداً إلا يصلحه وخاصية هذا الاسم دفع الدواهي وفتح باب الحكمة فمن أكثر ذكره صرف الله عنه ما يخشاه من الدواهي وفتح الله باب الحكمة وإنما مدح الله نفسه بهذه الصفات العظام تعليماً لعباده المدح بصفاته العلى بعد فهم معانيها ومعرفة استحقاقه بذلك طلباً لزيادة تقربهم إليه.

قال أبو الليث في «تفسيره» فإن قال قائل: قد قال الله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢] فما الحكمة في أن الله تعالى نهى عباده عن مدح أنفسهم ومدح نفسه؟ قيل له: عن هذا السؤال جوابان أحدهما أن العبد وإن كان فيه خصال الخير فهو ناقص وإذا كان ناقصاً لا يجوز له أن يمدح نفسه والله تعالى تام الملك والقدرة فيستوجب بهما المدح فمدح نفسه ليعلم عباده فيمدحوه. والجواب الآخر أن العبد وإن كان فيه خصال الخير فتلك إفضال من الله تعالى ولم يكن ذلك بقوة العبد فلهذا لا يجوز أن يمدح نفسه. ونظير هذا أن الله تعالى نهى عباده أن يمنوا على أحد بالمعروف وقد منّ على عباده للمعنى الذي ذكر في المدح قال بعض الكبار: تزكية الإنسان لنفسه سم قاتل وهي من باب شهادة الزور لجهله بمقامه عند الله إلا أن يترتب على ذلك مصلحة دينية فللإنسان ذلك كما قال عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر» أي لا أفتخر عليكم بالسيادة إنما الفخر بالعبودية والفخر بالذات لا يكون إلا لله وحده وأما الفخر في عباده فإنما هو للرتب فيقال: صفة العلم أفضل من صفة الجهل ونحو ذلك ولا يخفى أن الرتب نسبة عدمية فما افتخر من افتخر إلا بالعدم ولذلك أمر الله نبيه أن يقول ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [فصلت: ٦] فلم ير لذاته فضلاً على غيره ثم ذكر شرف الرتبة بقوله ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [فصلت: ٦].

اعلم أن الأولى لك أن تسكت عن بحثين وتكل العلم فيهما إلى الله العليم الخبير أحدهما ما يكون بين العلماء من أن صفات الله الثابتة هل هي موجودات بوجودات مستقلة غير وجوده تعالى أو لا بعد الإيمان باتصافه تعالى بها وكمالها ودوامها والثاني ما يكون بين المشايخ من أن الوجود هل هو واحد والله سبحانه وتعالى هو ذلك الوجود وسائر الموجودات مظاهر له لا وجود لها بالاستقلال أو له تعالى وجود زائد على ذاته واجب لها مقتضية هي إياه ولغيره تعالى من الموجودات وجودات أخر غير الوجود الواجب على ما هو البحث الطويل بينهم وإلى ذلك يرشدك ما قالوا من أن ما اتصف الله به فهو واجب لا يتغير أصلاً وما لم يتصف به فهو

ممتنع لا يكون قطعاً فإذا اختلف اثنان في ذاته وصفاته تعالى فلا جرم أن واحداً منهما إما ينفي الواجب أو يثبت الممتنع وكلاهما مشكل وأن ما أبهم علمه فالأدب فيه السكوت بعد الإيمان بما ظهر من القرآن والحديث واتفاق الصحابة رضي الله عنهم فإن المرء لا يسأل إلا عن علم لزمه في إقامة الطاعة وإدامة العبادة لمولاه قال صاحب «الشرعة»: ولا يناظر أحد في ذات الله وصفاته المتعالي عن القياس والأشباه والأوهام والخطرات، وفي الحديث «إن هلاك هذه الأمة إذا نطقوا في ربهم» وإن ذلك من أشراط الساعة فقد كان عليه السلام يخر ساجداً لله تعالى متى ما سمع ما يتعالى عنه رب العزة ولا يجيب السائل عن الله إلا بمثل ما جاء به القرآن في آخر سورة الحشر من ذكر أفعاله وصفاته ولا يدقق الكلام فيه تدقيقاً فإن ذلك من الشيطان وضرر ذلك وفساده أكثر من نفعه.

قال بعض الكبار: ما في الفرق الإسلامية أسوء حالاً من المتكلمين لأنهم ادعوا معرفة الله بالعقل على حسب ما أعطاهم نظرهم القاصر فإن الحق منزه عن أن يدرك أو يعلم بأوصاف خلقه عقلاً كان أو علماً روحاً كان أو سراً فإن الله ما جعل الحواس الظاهرة والباطنة طريقاً إلا إلى معرفة المحسوسات لا غير والعقل بلا شك منها فلا يدرك الحق بها لأنه تعالى ليس بمحسوس ولا بمعلوم معقول وقد تبين لك بهذا خطأ جميع من تكلم في الحق وصفاته بما لم يعلمه من الحق ولا من رسله عليه السلام وقال بعض العارفين: سبب توقف العقول في قبول ما جاء في الكتاب والسنة من آيات الصفات وأخبارها حتى يؤول ضعفها وعدم ذوقها فلو ذاقوا كإذاقة الأنبياء وعملوا على ذلك بالإيمان كما عملت الطائفة لأعطاهم الكشف ما أجاله العقل من حيث فكره ولم يتوقفوا في نسبة تلك الأوصاف إلى الحق فاعلم ذلك واعمل به تعرف أن علم القوم هو الفلك المحيط الحاوي على جميع العلوم.

ـ حكي ـ أن الفاضل محمد الشهرستاني صاحب كتاب «الملل والنحل» كان من كبار المتكلمين وفحولهم وكان له بحث كثير في علم الكلام ربما لم يسبق إليه سواه حتى جمع في ذلك الكتاب تلك المباحث القطعية ثم انتهى أمره إلى العجز فيه والتحير في ذاته حتى رجع إلى مذهب العجائز فقال عليكم بدين العجائز فإنه من أسنى الجوائز وأنشد:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر ... على ذقن أو قارعاً سن نادم

ثم قال: والوجه أن يعتقد العبد الدين الذي جاء به محمد عليه السلام ودعا إليه وإليه أناب ولا يدخل في ذلك شيئاً من نظر عقله لا في تنزيه ولا في تشبيه بل يؤمن بكل آية جاءت في ذات الله وصفاته على بابها ويكل علمها إلى الله الذي وصف ذاته بها هذا هو طريق السلامة والدين الصحيح وعلى ذلك كانت الصحابة والسلف الصالحون رضي الله عنهم وإليه ينتهي الراسخون في العلم والعقلاء المحققون عند آخر أمرهم ومن وفقه الله كان عليه وآل نظره إليه ومن بقي على ما أعطاه نظره واجتهاده فليس ذلك بمتبع محمداً عليه السلام فيما جاء به مطلقاً لأنه أدخل فيه حاصل نظره وتأويله واتكل على رأيه وعقله وهذه وصيتي إليكم إن أردتم السلامة وعدم المطالبة ومن أراد غير ذلك لم ينج من السؤال وكان على خطر في المآل لأن القطع بما أراد الله عسير فإنا رأينا العقلاء اختلفت أدلتهم في الله فالمعتزلي يخالف الأشعري وبالعكس وهم يخالفون الحكماء وبالعكس كل طائفة تجهل الأخرى وتكفرها فعلمنا أن سبب

ذلك هو اختلاف نظرهم وعدم عثورهم على الدليل الصحيح إما كلهم أو بعضهم ورأينا الأنبياء عليهم السلام لم يختلف منهم اثنان في الله قط عز وجل وكل دعوا إليه تعالى على باب واحد وكان اختلافهم في فروع الأحكام بحكم الله تعالى لا في أصولها قط قال الله تعالى سبحانه ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] فقوله: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾ [الشورى: ١٣] فيه دليل على اجتماعهم على أمر واحد في الأصول لأن الفروع معلومة بوقوع الاختلاف فيها وذلك لا يضر وإنما يضر الاختلاف في الأصول إذ لو وقع الاختلاف فيها لما وقع الاتفاق ولكانت الدعوة لا تصح لأن الإله الذي يدعو إليه هذا غير الإله الذي يدعو ذلك إليه والله تعالى قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] وعم الطوائف كلها من آدم عليه السلام بالخطاب وهلم جرا إلى يوم القيامة إلى هنا من كلامه أورده حضرة الشيخ صدر الدين قدس سره في رسالته المعمولة وصية للطالبين وعظة للراغبين.

ثم اعلم أن من شرف هذه الأسماء المذكورة في الآخر ما قال أبو هريرة رضي الله عنه: «سألت حبيبي رسول الله عليه السلام عن اسم الله الأعظم فقال: هو في آخر الحشر» وفي «عين المعاني» قال عليه السلام: سألت جبريل عن اسم الله الأعظم فقال: عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته فأعدت عليه فأعاد علي وعنه عليه السلام: «من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه» وفي بعض الروايات «يحرسونه حتى يمسي فإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة» رواه معقل بن يسار رضي الله عنه وإنما جمع بين استعاذة وقراءة آخر الحشر والله أعلم لأن في الاستعاذة الإشعار بكمال العجز والعبودية وفي آخر الحشر الإقرار بجلال القدرة والعظمة والربوبية فالأول تخلية عن العجب والثاني تخلية بالإيمان الحق وبهما يتحقق منزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِى الْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٣، ٦٤] فيترتب عليه قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧] الآية كما في «تفسير الفاتحة» للمولى الفناري رحمه الله وعن أبي أمامة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار فقبض من ذلك اليوم أو الليلة فقد استوجب الجنة» وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا حجاب ولا السماوات السبع والأرضون السبع والهوام والطير والريح والشجر والدواب والجبال والشمس والقمر والملائكة إلا صلوا عليه فإن مات ـ أي من يومه أو ليلته ـ مات شهيداً» كما في «كشف الأسرار» وقوله: مات شهيداً، أي يثاب ثواب الشهادة على مرتبة وللشهادة مراتب قد مرت.

تمت سورة الحشر في أواخر شهر الله رجب المنتظم
في سلك شهور سنة خمس عشرة ومائة وألف

٦٠ ـ سورة الممتحنة

مدنية وآيها ثلاث عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لعل الممتحنة مأخوذة من قول الله تعالى فيما بعد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] أمر الله المؤمنين هناك بالامتحان فهم الممتحنون بكسر الحاء مجازاً للمبالغة وأضيفت السورة إليها وسميت بسورة الممتحنة مثل سورة الفاتحة قيل: إن إضافة السورة إلى الفاتحة من قبيل إضافة العام إلى الخاص ولا بعد أن تكون من قبيل إضافة المسمى إلى اسمه مثل كتاب «الكشاف» فإن الفاتحة من جملة أسماء سورة الفاتحة وقس على ذلك سورة الممتحنة ويحتمل أن يكون المراد الجماعة الممتحنة أي المأمور بامتحانها ويؤيده ما روي أنه قد تفتح الحاء فيكون المراد النساء المختبرة فالإضافة بمعنى اللام التخصيصية أي سورة تذكر فيها النساء الممتحنة مثل سورة البقرة وأمثالها ويحتمل أن يكون مصدراً ميمياً بمعنى الامتحان على ما هو المشهور من أن المصدر الميمي وأسماء المفعول والزمان والمكان فيما زاد على الثلاثي تكون على صيغة واحدة أي سورة الامتحان مثل سورة الإسراء وغيرها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ نزلت في حاطب بن أبي بلتعة العبسي وحاطب بالحاء المهملة قال في «كشف الأسرار»: ولد في زمن رسول الله ﷺ وأصله من الأزد وهو حي باليمن وأعتقه عبيد الله بن حميد بن زهير الذي قتله علي رضي الله عنه يوم بدر كافراً وكان حاطب يبيع الطعام ومات بالمدينة وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان من المهاجرين وشهد بدراً وبيعة الرضوان وعمم الله الخطاب في الآية تعميماً للنصح. والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد والمراد هنا كفار قريش وذلك أنه لما تجهز رسول الله ﷺ لغزوة الفتح في السنة الثامنة من الهجرة «كتب حاطب إلى أهل مكة أن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فإنه قد توجه إليكم في جيش كالليل وأرسل الكتاب مع سارة مولاة بني عبد المطلب أي معتقتهم وأعطاها عشرة دنانير وبردة وكانت سارة قدمت من مكة وكانت مغنية فقال لها عليه السلام لماذا جئت؟ فقالت: جئت لتعطيني شيئاً فقال: ما فعلت بعطياتك من شبان قريش؟ فقالت: مذ قتلتهم ببدر

لم يصل إلي شيء إلا القليل فأعطاها شيئاً فرجعت إلى مكة ومعها كتاب حاطب فنزل جبرائيل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله عليه السلام علياً وعماراً وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ـ موضع بين الحرمين وخاخ بالمعجمتين يصرف ويمنع ـ فإن بها ظعينة ـ وهي المرأة ما دامت في الهودج وإذا لم تكن فيه فهي المرأة ـ معها كتاب حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها فخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثمة فجحدت فسل علي رضي الله عنه سيفه فأخرجته من عقاصها أي من ضفائرها».

ـ روي ـ «أن رسول الله عليه السلام أمن جميع الناس يوم فتح مكة إلا أربعة هي أحدهم فأمر بقتلها فاستحضر رسول الله حاطباً فقال: ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ـ الغش ترك النصح والنصح عبارة عن التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لأوامره ونواهيه ـ ولكني كنت امرأ ملصقاً في قريش أي حليفاً ولم أكن من أنفسهم ومن معك من المهاجرين كان له فيهم قرابات يحمون أهاليهم وأموالهم وليس فيهم من يحمي أهلي فأردت أن آخذ عندهم يداً ـ أي أجعل عندهم نعمة ـ ولم أفعله كفراً وارتداداً عن ديني وقد علمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئاً فصدقه رسول الله وقبل عذره فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال: يا عمر إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله عنه» وفي القصة إشارة إلى جواز هتك ستر الجواسيس وهتك أستار المفسدين إذا كان فيه مصلحة أو في ستره مفسدة وأن من تعاطى أمراً محظوراً ثم ادعى له تأويلاً محتملاً قبل منه وأن العذر مقبول عند كرام الناس.

ـ روي ـ أن حاطباً رضي الله عنه لما سمع ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ غشي عليه من الفرح بخطاب الإيمان لما علم أن الكتاب المذكور ما أخرجه عن الإيمان لسلامة عقيدته ودل قوله ﴿**وعدوكم**﴾ على إخلاصه فإن الكافر ليس بعدو للمنافق بل للمخلص. ﴿**تلقون إليهم بالمودة**﴾ الود محبة الشيء وتمني كونه ويستعمل في كل واحد من المعنيين أي توصلون محبتكم بالمكاتبة ونحوها من الأسباب التي تدل على المودة على أن الباء زائدة في المفعول كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] أو تلقون إليهم أخبار النبي عليه السلام بسبب المودة التي بينكم وبينهم فيكون المفعول محذوفاً للعلم به والباء للسببية والجملة حال من فاعل لا تتخذوا أي لا تتخذوا حال كونكم ملقين المودة فإن قلت: قد نهوا عن اتخاذهم أولياء مطلقاً في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١] والتقييد بالحال يوهم جواز اتخاذهم أولياء إذا انتفى الحال قلت: عدم جوازه مطلقاً لما علم من القواعد الشرعية تبين أنه لا مفهوم للحال هنا البتة فإن قلت: كيف قال: ﴿**لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**﴾ والعداوة والمحبة لكونهما متنافيتين لا تجتمعان في محل واحد والنهي عن الجمع بينهما فرع إمكان اجتماعهما قلت إنما كان الكفار أعداء للمؤمنين بالنسبة إلى معاداتهم لله ورسوله ومع ذلك يجوز أن يتحقق بينهم الموالاة والصداقة بالنسبة إلى الأمور الدنيوية والأغراض النفسانية فنهى الله عن ذلك يعني فلم يتحقق وحدة النسبة من الوحدات الثمان وحيث لم يكتف بقوله: ﴿**عدوي**﴾ بل زاد قوله: ﴿**وعدوكم**﴾ دل على عدم مروءتهم وفتوتهم فإنه يكفي في عداوتهم لهم وترك موالاتهم كونهم أعداء الله سواء كانوا أعداء لهم أم لا ﴿**وقد**

كفروا بما جاءكم من الحق﴾ حال من فاعل تلقون والحق هو القرآن أو دين الإسلام أو الرسول عليه السلام. **﴿يخرجون الرسول وإياكم﴾** حال من فاعل كفروا أي مخرجين الرسول وإياكم من مكة والمضارع لاستحضار الصورة. **﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾** تعليل للإخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب، أي على الرسول والالتفات من التكلم إلى الغيبة حيث لم يقل: أن تؤمنوا بي للإشعار بما يوجب الإيمان من الألوهية والربوبية. **﴿إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي﴾** متعلق بلا تتخذوا كأنه قيل: لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي وانتصاب جهاداً وابتغاء على أنهما مفعول لهما لخرجتم أي إن كنتم خرجتم عن أوطانكم لأجل هذين فلا تتخذوهم أولياء ولا تلقوا إليهم بالمودة. والجهاد بالكسر القتال مع العدو كالمجاهدة وفي «التعريفات» هو الدعاء إلى الدين الحق، وفي «المفردات»: الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو وهو جهاد العدو الظاهر وجهاد الشيطان وجهاد النفس ويكون باليد واللسان والمرضاة مصدر كالرضى وفي عطف **﴿وابتغاء مرضاتي﴾** على **﴿جهاداً في سبيلي﴾** تصريح بما علم التزاماً فإن الجهاد في سبيل الله إنما هو لإعلاء دين الله لا لغرض آخر وإسناد الخروج إليهم معللاً بالجهاد والابتغاء يدل على أن المراد من إخراج الكفرة كونهم سبباً لخروجهم بأذيتهم لهم فلا ينافي تلك السببية كون إرادة الجهاد والابتغاء علة له. **﴿تسرون إليهم بالمودة﴾** استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ كأنهم سألوا ماذا صدر عنا حتى عوتبنا؟ فقيل: تلقون إليهم المودة سراً على أن الباء صلة جيء بها لتأكيد التعدية أو الإخبار بسبب المودة ويجوز أن يكون تعدية الإسرار بالباء لحمله على نقيضه الذي هو الجهر. **﴿وأنا أعلم﴾** حال من فاعل تسرون أي والحال أني أعلم منكم **﴿بما أخفيتم وما أعلنتم﴾** من مودة الأعداء والاعتذار وغير ذلك فإذا كان بينهما تساو في العلم فأي فائدة في الإسرار والاعتذار. **﴿ومن﴾** وهركه **﴿يفعله منكم﴾** أي الاتخاذ المنهي عنه أي ومن يفعل ما نهيت عنه من موالاتهم والأقرب من يفعل الإسرار. **﴿فقد ضل سواء السبيل﴾** فقد أخطأ طريق الحق والصواب الموصل إلى الفوز بالسعادة الأبدية وبالفارسية پس بدرستى كه اوازراه راست كم شد. وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف وضل متعد وسواء السبيل مفعوله ويجوز أن يجعل قاصراً وينتصب سواء السبيل على الظرفية قال القرطبي: هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله ونصيحته لرسول الله وصدق إيمانه فإن المعاتبة لا تكون إلا من حبيب لحبيب كما قيل: إذا ذهب العتاب فليس ود. ويبقى الود ما بقي العتاب. والعتاب إظهار الغضب على أحد لشيء مع بقاء المحبة بالترك وفي الآية إشارة إلى عداوة النفس والهوى والشيطان فإنها تبغض عبادة الله وتبغض عباد الله أيضاً إذا لم يكونوا مطيعين لها في إنفاذ شهواتها وتحصيل مراداتها وأصل عداوة النفس أن تفطمها من مألوفاتها وتحبسها في محبس المجاهدة وعلامة حب الله بغض عدو الله قال عليه السلام: «أفضل الإيمان الحب في الله والبغض في الله» قال أبو حفص رحمه الله: من أحب نفسه فقد اتخذ عدو الله وعدوه ولياً وإن النفس تخالف ما أمرت به وتعرض عن سبيل الرشد وتهلك محبها ومتبعها في أول قدم وجاء في أخبار داود عليه السلام: يا داود عاد نفسك فليس لي في المملكة منازع غيرها وفي «كشف الأسرار»: بلشكر اندك روم از قيصر بتوان ستد وبجمله أولياي روى زمين نفس را از يكى نتوان ستد زيرا نفس راحيل بسيارست احمد حضرويه بلخى رحمه الله كويد نفس خودرا بأنواع رياضات ومجاهدات مقهور كرده بودم روزى

نشاط غزا كرد عجب داشتم كه از نفس نشاط طاعت نيايد كفتم درزير اين كويى چه مكر باشد مكردر كرسنكى طاقت نمى داردكه پيوسته اورا روزه همى فرمايم خواهد درسفر روزه بكشايد كفتم أي نفس اكر اين سفر پيش كيرم روزه نكشايم كفت روا دارم كفتم مكر از انست كه طاقت نماز شب نميدارد ميخواهدكه درسفر بخسبد كفتم درسفر قيام شب كم نكنم جنانكه در حضر كفت روا دارم تفكر كردم كه مكر ازان نشاط سفر غزا كرده كه در حضر باخلق مى نياميزدكه اورا درخلوت وعزلت ميدارم مرادش آنست كه باخلق صحبت كند كفتم أي نفس هرجاكه روم درين سفر ترا بخرابه فروآرم كه هيچ خلق رانه بيني كفت روا دارم از دست وى عاجز ماندم بالله تعالى زاريدم وتضرع كردم تا از مكروى مرا آكاهى دادكه در غزا كشتن يكباركى باشد وبهمه جهان شودكه احمد حضرويه بغزا شهادت يافت كفتم سبحان الله آن خداونديكه نفسي آفريند بدين معيوبي كه بدنيا منافق باشد وبعد ازمرك مرايى باشدنه درين جهان حقيقت اسلام خواهدنه دران جهان آنكه كفتم أي نفس اماره والله كه باين غزا نروم تاتودر زير طاعت زنا ربندى پس در حضرآن رياضات ومجاهدات كه دران بودم زيادت كردم قوله: ﴿**بما أخفيتم**﴾ أي من دعوى الأنانية و﴿**ما أعلنتم**﴾ من العبودية كما هو شأن النفس وقال أبو الحسين الوارق رحمه الله: بما أخفيتم في باطنكم من المعصية وما أعلنتم في ظاهركم للخلق من الطاعة انتهى.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾

﴿**إن يثقفوكم**﴾ أي يظفروا بكم ويتمكنوا منكم والثقف الحذق في إدراك الشيء وفعله وثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر ثم قد تجوز به فاستعمل في الإدراك وإن لم يكن معه ثقافة كما في هذا الموضع ونحوه. ﴿**يكونوا لكم أعداء**﴾ أي: يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها أحكامها ولا ينفعكم إلقاء المودة إليهم. ﴿**ويبسطوا**﴾ ويطيلوا ﴿**إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء**﴾ أو بما يسوؤكم من القتل والأسر والشتم ﴿**وودوا لو تكفرون**﴾ أي تمنوا ارتدادكم وكونكم مثلهم كقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] فكلمة لو هنا مصدرية وصيغة الماضي للإيذان بتحقق ودادتهم قبل أن يثقفوهم أيضاً فهو معطوف على يبسطوا.

﴿**لن تنفعكم أرحامكم**﴾ أي قراباتكم قال الراغب: الرحم رحم المرأة وهي في الأصل وعاء الولد في بطن أمه ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة ﴿**ولا أولادكم**﴾ الذين توالون المشركين لأجلهم وتتقربون إليهم محاماة عليهم جمع ولد بمعنى المولود يعم الذكر والأنثى ﴿**يوم القيامة**﴾ بجلب نفع أو دفع ضر ظرف لقوله: ﴿**لن تنفعكم**﴾ فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده ﴿**يفصل بينكم**﴾ استئناف لبيان عدم نفع الأرحام والأولاد يومئذٍ أي يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ﴾ [عبس: ٣٤، ٣٥] الآية فما لكم ترفضون حق الله لمراعاة حق من يفر منكم غداً وقيل: يفرق بين الوالد وولده وبين القريب وقريبه فيدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار ﴿**والله بما تعملون بصير**﴾ فيجازيكم به وهو أبلغ من خبير لأنه جعله

كالمحسوس بحس البصر مع أن المعلوم هنا أكثره المبصرات من الكتاب والإتيان بمن يحمل الكتاب وإعطاء الأجرة للحمل وغيرها وفي الآية إشارة إلى عداوة النفس وصفاتها للروح وأخلاقه فإن النفس ظلمانية سفلية كثيفة والروح وقواه نورانية علوية لطيفة ولا شك أن بين النور والظلمة تدافعاً ولذا تجتهد النفس أن تغلب الروح بظلمانيتها حتى يكون الحكم لها في مملكة الوجود وهو تصرفها باليد وأما بسط لسانها بالسوء فبمدح الأخلاق الذميمة وذم الأخلاق الحميدة فالقالب كبلد فيه أشراف وأرذال كل بطن واحد لأن القوى الخيرة والشريرة إنما حصلت من ازدواج الروح مع القالب فالنفس وصفاتها من الأرذال وعلى مشرب قابيل وكنعان ولدي آدم ونوح عليهما السلام فليست من الأهل في الحقيقة والروح وقواه من الأشراف وعلى مشرب هابيل ونحوه فهي من الأهل في الحقيقة ولذا تنقطع هذه النسبة يوم القيامة فيكون الروح في النعيم والنفس في الجحيم عند تجلي اللطف والجمال والقهر والجلال جعلنا الله وإياكم من أهل الكمال والنوال.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾.

﴿قد كانت لكم﴾ أيها المؤمنون. **﴿أسوة حسنة﴾** قال الراغب: الإسوة والأسوة كالقدوة والقدوة هي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً وإن ساراً وإن ضاراً والأسى الحزن وحقيقته اتباع الفائت بالغم والمعنى خصلة حميدة حقيقة بأن يؤتسى ويقتدى بها ويتبع أثرها قوله أسوة اسم كانت ولكم خبرها وحسنة صفة أسوة مقيدة إن عمت الأسوة المحمودة والمذمومة وكاشفة مادحة إن لم تعم **﴿في إبراهيم والذين معه﴾** أي: من أصحابه المؤمنين صفة ثانية لأسوة وقولهم: لي في فلان أسوة أي قدوة من باب التجريد لا أن فلاناً نفسه هو القدوة ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي لي في سنته وأفعاله وأقواله وقيل: المراد الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريباً منه قال ابن عطية: وهذا القول أرجح لأنه لم يرد أن إبراهيم كان له أتباع مؤمنون في مكافحة نمرود وفي «البخاري» أنه قال لسارة حين رحل بها إلى الشأم مهاجراً بلاد نمرود: ما على الأرض من يعبد الله غيري وغيرك. **﴿إذ قالوا﴾** ظرف لخبر كان ومعمول له أو لكان نفسها عند من جوز عملها في الظرف وهو الأصح **﴿لقومهم﴾** الكفار **﴿إنا برءاء منكم﴾** جمع بريء كظريف وظرفاء يعني ما بيزاريم ازشما **﴿ومما تعبدون من دون الله﴾** من أصنام أظهروا البراءة أولاً من أنفسهم مبالغة وثانياً من عملهم الشرك إذ المقصود من البراءة أولاً من معبودهم هو البراءة من عبادته ويحتمل أن تكون البراءة منهم أن لا يصاحبوهم ولا يخالطوهم ومن معبودهم أن لا يقربوا منه ولا يلتفتوا نحوه ويحتمل أن تكون البراءة منهم بمعنى البراءة من قرابتهم لأن الشرك يفصل بين القرابات ويقطع الموالاة وحاصل الآية هلا فعلتم كما فعل إبراهيم حيث تبرأ من أبيه وقومه لكفرهم وكذا المؤمنون. **﴿كفرنا بكم﴾** أي: بدينكم على إضمار المضاف والكفر مجاز عن عدم الاعتداد والجحد والإنكار فإن الدين الباطل ليس بشيء إذ الدين الحق عند الله هو الإسلام **﴿وبدا﴾** بدا الشيء بدوا وبداء أي ظهر ظهوراً بيناً والبادية كل مكان يبدو ما يعن فيه أي يعرض **﴿بيننا﴾** ظرف لبدا **﴿وبينكم﴾**

العداوة والبغضاء أبداً﴾ أي: هذا دأبنا معكم لا نتركه والبغض ضد الحب. وقال الكاشفي: وآشكار اشد ميان ما وشماد شمني بدل ودشمني بدست يعني محاربه أبداً هميشه يعني پيوسته دشمنى قائم خواهد بود درميان بدل ودست **﴿حتى﴾** غاية لبدا **﴿تؤمنوا بالله وحده﴾** وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة والمقت مقة والوحشة إلفة فالبغض نفور النفس من الشيء الذي ترغب عنه والحب انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه فإن قلت: ما وجه قوله: **﴿حتى تؤمنوا بالله وحده﴾** ولا بد في الإيمان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؟ قلت: الإيمان بالله في حال وحدته يستلزم الإيمان بالجميع مع أن المراد الوحدة الإلهية رداً للأصنام قال بعض المشايخ أسوة إبراهيم خلة الله والتبري مما دون الله والتخلق بخلق الله والتأوه والبكاء من شوق الله وقال ابن عطاء رحمه الله: الأسوة القدوة بالخليل في الظاهر من الأخلاق الشريفة وهو السخاء وحسن الخلق واتباع ما أمر به على الكرب وفي الباطن الإخلاص في جميع الأفعال والإقبال عليه في كل الأوقات وطرح الكل في ذات الله تعالى وأسوة رسول الله عليه السلام في الظاهر العبادات دون البواطن والأسرار لأن أسراره لا يطيقها أحد من الخلق لأنه باين الأمة بالمكان ليلة المعراج ووقع عليه تجلي الذات:

سپهدار رسل سرخيل دركاه سرير افروز ملك لي مع الله

﴿إلا قول إبراهيم لأبيه﴾ آزر **﴿لأستغفرن لك﴾** يا أبي استثناء من قوله تعالى: **﴿أسوة حسنة﴾** فإن استغفاره عليه السلام لأبيه الكافر وإن كان جائزاً عقلاً وشرعاً لوقوعه قبل تبين أنه من أصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغي أن يؤتسى به أصلاً إذ المراد به ما يجب الائتساء به حتماً لورود الوعيد على الإعراض عنه بما سيأتي من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤] فاستثناؤه من الأسوة إنما يفيد عدم استدعاء الإيمان والمغفرة للكافر المرجو إيمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل وأما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعاً وحمل الأب على العم يخالف العقل والنقل لأن الله تعالى يخرج الحي من الميت والعبرة بالحسب لا بالنسب وعن علي رضي الله عنه شرف المرء بالعلم والأدب لا بالأصل والنسب.

هنر بنماى اكر دارى نه كوهر كل از خارست وابراهيم از آزر

﴿وما أملك لك من الله من شيء﴾ من تمام القول المستثنى فمحله النصب على أنه حال من فاعل لأستغفرن لك أي أستغفر لك وليس في طاقتي إلا الاستغفار دون منع العذاب إن لم تؤمن فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في نفسه من خصال الخير لكونه إظهاراً للعجز وتفويضاً للأمر إلى الله تعالى وفي هذه الآية دلالة بينة على تفضيل نبيه محمد عليه السلام وذلك أنه حين أمر بالاقتداء به أمر على الإطلاق ولم يستثن فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] وحين أمر بالاقتداء بإبراهيم استثنى وأيضاً قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] فأطلق الاقتداء ولم يقيده بشيء. قال الصائب:

هلاك حسن خدا داد او شوم كه سراپا چو شعر حافظ شيرازى انتخاب ندارد

﴿ربنا﴾ إلخ من تمام ما نقل عن إبراهيم ومن معه من الأسوة الحسنة **﴿عليك**

توكلنا﴾اعتمدنا يعني از خلق بريديم واعتماد كلي بر كرم تونموديم ﴿وإليك أنبنا﴾ رجعنا بالاعتراف بذنوبنا وبالطاعة ﴿وإليك المصير﴾ أي الرجوع في الآخرة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والإنابة والمصير على الله تعالى:

سوى تو كرديم روى ودل بتو بستيم   زهمه باز آمديم وباتو نشستيم
هرچه نه پيوند يار بود بربديم   هرچه نه پيمان دوست بود كسستيم

قالوه بعد المجاهدة وشق العصا التجاء إلى الله تعالى في جميع أمورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه فالفتنة بمعنى المفعول وربنا بدل من الأول وكذا قوله ربنا فيما بعده وقال بعضهم: ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ فتقتر علينا الرزق وتبسطه عليهم فيظنوا أنهم على الحق ونحن على الباطل ﴿واغفر لنا﴾ ما فرط منا من الذنوب وإلا كان سبباً لظهور العيوب وباعثاً للابتلاء المهروب ﴿ربنا﴾ تكرير النداء للمبالغة في التضرع والجؤار فيكون لاحقاً بما قبله ويجوز أن يكون سابقاً لما بعده توسلاً إلى الثناء بإثبات العزة والحكمة والأول أظهر وعليه ميل السجاوندي حيث وضع علامة الوقف الجائز على ربنا وهو في اصطلاحه ما يجوز فيه الوصل والفصل باعتبارين وتلك العلامة الجيم بمسماه وهو ج. ﴿إنك أنت العزيز﴾ الغالب الذي لا يذل من التجأ إليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه. ﴿الحكيم﴾ لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة وقال بعض أهل الإشارة: تعز أولياءك بالفناء فيك وتحييهم ببقائك بلطائف حكمتك فيكون المراد بالفتنة غلبة ظلمة النفس والهوى وبالمغفرة الستر بالهوية الأحدية عن الأنيات وبالصفات الواحدية عن التعينات.

﴿لقد كان لكم فيهم﴾ أي: في إبراهيم ومن معه ﴿أسوة حسنة﴾ تكرير للمبالغة في الحث على الائتساء به عليه السلام وذلك صدر بالقسم، وجعله الطيبي من التعميم بعد التخصيص، وفي «برهان القرآن» كرر لأن الأول في القول والثاني في الفعل، وفي «فتح الرحمٰن»: الأولى أسوة في العداوة والثانية في الخوف والخشية، وفي «كشف الأسرار»: الأولى متعلقة بالبراءة من الكفار ومن فعلهم والثانية أمر بالائتساء بهم لينالوا من ثوابهم ما نالوا وينقلبوا إلى الآخرة كانقلابهم. ﴿لمن كان يرجو الله﴾ بالإيمان بلقائه ﴿واليوم الآخر﴾ بالتصديق بوقوعه وقيل يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة لأن الرجاء والخوف يتلازمان والرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة، وفي «المفردات»: الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة والخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، وفي بعض التفاسير الرجاء يجيء بمعنى توقع الخير وهو الأمل وبمعنى توقع الشر وهو الخوف وبمعنى التوقع مطلقاً وهو في الأول حقيقة وفي الأخيرين مجاز وفي الثاني من قبيل ذكر الشيء وإرادة ضده وهو جائز وفي الثالث من قبيل ذكر الخاص وإرادة العام وهو كثير قوله لمن كان إلخ بدل من

لكم، وفائدته الإيذان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وأن تركه من مخايل عدم الإيمان بهما كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿**ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد**﴾ فإنه مما يوعد بأمثاله الكفرة أي: ومن يعرض عن الاقتداء بهم في التبري من الكفار ووالاهم فإن الله هو الغني وحده عن خلقه وعن موالاتهم ونصرتهم لأهل دينه لم يتعبدهم لحاجته إليهم بل هو ولي دينه وناصر حزبه وهو الحميد المستحق للحمد في ذاته، ومن صحاح الأحاديث القدسية «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من عندي إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» قوله: هي ضمير القصة يعني ما جزاء أعمالكم إلا محفوظ عندي لأجلكم ثم أؤديها إليكم وافية ثم الحميد فعيل بمعنى المفعول، وجوز الإمام القشيري رحمه الله أن يكون بمعنى الفاعل أي حامد لنفسه وحامد للمؤمنين من عباده، قال «شارح المشكاة»: وحظ العبد من اسم الحميد أن يسعى لينخرط في سلك المقربين الذين يحمدون الله لذاته لا لغيره، قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله حمد الله الذين هو من شكره يجب أن يكون على شهود المنعم لأن حقيقة الشكر الغيبة لشهود المنعم عن شهود النعمة.

ـ روي ـ أن داود عليه السلام قال في مناجاته: كيف أشكر لك وشكري لك نعمة منك علي؟ فأوحى الله إليه الآن قد شكرتني، وقال بعض أهل الإشارة: لقد كان في إبراهيم الخفي ومن معه من قواه الروحانية المجردة من المواد الحسية والمثالية والعقلية أسوة حسنة وهي البراءة من قومه أي: النفس الأمارة والهوى المتبع فمن تأسى واستمر على ذلك بلغ المطلوب المحبوب، ومن أعرض عن ذلك التأسي فإن الله غني عن تأسيه حميد في ذاته وإن لم يكن حمده انتهى كلامه ﴿**عسى الله أن يجعل**﴾ شايد آنكه خداى تعالى پيدا كند. ﴿**بينكم وبين الذين عاديتم منهم**﴾ أي: من أقاربكم المشركين وعسى من الله وعد على عادة الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج: عسى ولعل فلا يبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك وقال الراغب: ذكر الله في القرآن عسى ولعل تذكرة ليكون الإنسان منه على رجاء لا على أن يكون هو تعالى راجياً أي: كونوا راجين في ذلك والمعاداة والعداء باكسى دشمنى كردن. ﴿**مودة**﴾ أي: بأن يوافقوكم في الدين وعدهم الله بذلك لما رأى منهم من التصلب في الدين والتشدد في معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر أقربائهم ومقاطعتهم إياهم بالكلية تطييباً لقلوبهم، ولقد أنجز وعده الكريم حين أباح لهم الفتح فأسلم قومهم كأبي سفيان وسهل بن عمرو وحكيم بن حزام والحارث بن هشام وغيرهم من صناديد العرب وكانوا أعداء أشد العداوة فتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم. ﴿**والله قدير**﴾ أي: مبالغ في القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة ﴿**والله غفور رحيم**﴾ فيغفر لمن أسلم من المشركين ويرحمهم بقلب معاداة أقاربهم موالاة، وقيل: غفور لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم، قال ابن عطاء رحمه الله: لا تبغضوا عبادي كل البغض فإني قادر على أن أنقلكم من البغض

إلى المحبة كنقلي من الحياة إلى الموت ومن الموت إلى النشور كان رسول الله ﷺ إذا نظر إلى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل قرأ: «يخرج الحي من الميت» لأنهما من خيار الصحابة وأبواهما أعدى عدو الله ورسوله وكان بعضهم يبغض عكرمة ويسب أباه لما سلف منه من الأذى حتى ورد النهي عنه بقوله عليه السلام: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات فقلب الله ذلك محبة فكانوا إخواناً في الله». وفي الحديث: «من نظر إلى أخيه نظر مودة لم يكن في قلبه أحنة لم يطرف حتى يغفر الله له ما تقدم من ذنبه» وقال سقراط: أثنِ على ذي المودة خيراً عند من لقيت فإن رأس المودة حسن الثناء كما أن رأس العداوة سوء الثناء وعنه لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك فكيف بك إذا لم يأمنك صديقك؟ قال داود عليه السلام: اللهم إني أعوذ بك من مال يكون على فتنة ومن ولد يكون على ربا ومن حليلة تقرب المشيب وأعوذ بك من جار تراني عيناه وترعاني أذناه إن رأى خيراً دفنه وإن سمع شراً طار به، ومن بلاغات الزمخشري محك المودة والإخاء حال الشدة دون الرخاء. قال الحافظ:

وفا مجوى زكس ورسخن نمى شنوى بهرزه طالب سيمرغ وكيميامى باش

﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾ أي: على الدين أو في حق الدين وإطفاء نوره **﴿ولم يخرجوكم من دياركم﴾** أي: لا ينهاكم الله عن مبرة هؤلاء فإن قوله تعالى: **﴿أن تبروهم﴾** بدل من الموصول بدل الاشتمال لأن بينهم وبين البر ملابسة بغير الكلية والجزئية فكان المنهي عنه برهم بالقول وحسن المعاشرة والصلة بالمال لا أنفسهم، وبالفارسية از آنكه نيكويى كنيد با ايشان **﴿وتقسطوا إليهم﴾** تفسير لتبروا وضمن تقسطوا معنى الإفضاء فعدى تعديته أي: تفضوا إليهم بالقسط والعدل ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين ويتحاموا ظلمهم مرحمة على حال مسلم يجترىء على ظلم أخيه المسلم كما في «الكشاف» وقال الراغب: القسط النصيب بالعدل كالنصف والنصفة فالمعنى عدل كنيد وبفرستيد قسطى وبهرهء براى ايشان از طعام وغير أو **﴿إن الله يحب المقسطين﴾** أي: العادلين في المعاملات كلها.

ـ روي ـ أن قتيلة بنت عبد العزى على زنة التصغير قدمت في المدة التي كانت فيها المصالحة بين رسول الله عليه السلام وبين كفار قريش مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها بهدايا فلم تقبلها، ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن إليها، وكانت قتيلة زوجة أبي بكر وكان طلقها في الجاهلية. وآورده اندكه قوم خزاعه رابا حضرت رسول الله عليه السلام عهد وپيمان بود وهركز قصد مسلمانان نكردند ودشمنان دين را يارى نداندند حق تعالى در باره ايشان اين آيت فرستاد يامراد زنان وكودكانند كه ايشانرا در قتل واخراج چندان مدخلى نيست. وفي «فتح الرحمٰن»: نسختها ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] والأكثر على أنها غير منسوخة.

وفي بعض التفاسير: القسوط الجور والعدل عن الحق والقسط بالكسر العدل فالإقساط

إما من الأول بمعنى إزالة القسوط فهمزته للسلب كأشكيته بمعنى أزلت عنه الشكاية وسلبتها فمن أزال الظلم اتصف بالعدل، وإما من الثاني بمعنى أن يصير ذا قسط فهمزته للصيرورة مثل أورق الشجر أي: صار ذا ورق. وفي الآية مدح للعدل لأن المرء به يصير محبوباً لله تعالى، ومن الأحاديث الصحيحة قوله عليه السلام: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمٰن وكلتا يديه يمين للذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا. قال الحافظ:

شاه را به بود از طاعت صد ساله وزهد قدر يكساعته عمرى كه در وداد كند

وقال خطاباً لبعض الملوك:

چويبار ملك را آب ازسر شمشيرتست

خوش درخت عدل بنشان بيخ بدخواها بكن

﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين﴾ وإطفاء نوره ﴿وأخرجوكم من دياركم﴾ وهم عتاة أهل مكة وجبابرتهم ﴿وظاهروا على إخراجكم﴾ وهم سائر أهلها. يعني: معاونت كردند وهم پشت شدند با اعادى. ﴿أن تولوهم﴾ بدل اشتمال من الموصول أي: إنما ينهاكم عن أن تتولوهم والتولي دوستى داشتن باكسى. ﴿ومن يتولهم﴾ وهركه دوست دارد ايشانرا ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ لوضعهم الولاية في موضع العداوة وهم الظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب وحساب المتولي أكبر وفساد التولي أكثر، ولذلك أورد كلمة الحصر تغليظاً وجمع الخبر باعتبار معنى المبتدأ. بكسل زدوستان دغا باز وحيله ساز. يارى طلب كه طالب نقش بقابود. جعلنا الله وإياكم من الذين يطلبون الباقي لا الفاني.

يقول الفقير: كان الظاهر من أمر المقابلة في الآيتين أن يقال في الأولى: إن تولوهم كما في الثانية أو يعكس ويقال في الثانية: أن تبروهم كما في الأولى أو يذكر كل منهما في كل من الآيتين، لكن الدلائل العقلية والشواهد النقلية دلت على أن موالاة الكافر غير جائزة مقاتلاً كان أو غيره بخلاف المبرة فإنها جائزة لغير المقاتل غير جائزة للمقاتل كالموالاة، فحيث أثبت المبرة بناء على أمر ظاهر في باب الصلة نفى الموالاة ضمناً وحيث نفي الموالاة نفى المبرة ضمناً، وإنما لم تجز المبرة للمقاتل لغاية عداوته ونهاية بغضه إن قيل: إن الإحسان إلى من أساء من أخلاق الأبرار، قلنا: إن المبرة تقتضي الإلفة في الجملة والإحسان يقطع اللسان ويثلم السيف فيكون حائلاً بين المجاهد والجهاد الحق وقد أمر الله بإعلاء الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بيان لحكم من يظهر الإيمان بعد بيان حكم فريقي الكافرين ﴿إذا جاءكم المؤمنات﴾ أي بدلالة ظاهر حالهن وإقرارهن بلسانهن أو المشارفات للإيمان ولا بعد أن تكون التسمية بالمؤمنات لكونهن كذلك في علم الله وذلك لا ينافي امتحان غيره تعالى ﴿مهاجرات﴾ من بين الكفار حال من المؤمنات ﴿فامتحنوهن﴾ فاختبروهن بما تغلب به على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في الإيمان، قيل إنه من أرادت منهن إضرار زوجها قالت:

سأهاجر إلى محمد عليه السلام فلذلك أمر النبي بامتحانهن وكان عليه السلام يقول للتي يمتحنها: «بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت عن بغض زوج» أي: غير بغض في الله لحب الله بالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت عشقاً لرجل من المسلمين بالله ما خرجت لحدث أحدثه بالله ما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحب لله ولرسوله فإذا حلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك أعطي النبي عليه السلام زوجها مهرها وما أنفق عليها ولا يردها إلى زوجها، قال السهيلي: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي امرأة عبد الرحمٰن بن عوف، وولدت له إبراهيم بن عبد الرحمٰن وكانت أم كلثوم أخت عثمان بن عفان رضي الله عنه لأمه أروى، وأفادت الآية أن الامتحان في محله حسن نافع ولذا تمتحن المنكوحة ليلة الزفاف وتستوصف الإسلام مع سهولة في السؤال وإشارة إلى الجواب لأنها لو قالت: ما أعرف بانت من زوجها:

خوش بودكر محك تجربه آمد بميان تاسيه روى شود دروغش باشد

﴿الله أعلم بإيمانهن﴾ منكم لأنه المطلع على ما في قلوبهن فلا حاجة له إلى الامتحان وليس ذلك للبشر فيحتاج إليه والجملة اعتراض. ﴿فإن علمتموهن﴾ بعد الامتحان ﴿مؤمنات﴾ العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات وإنما سماه علماً إيذاناً بأنه جار مجرى العلم في وجوب العلم به ففي علمتموهن استعارة تبعية ﴿فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾ من الرجع بمعنى الرد لا من الرجوع، ولذلك عدي إلى المفعول أي: لا تردوهن إلى أزواجهن الكفرة لقوله تعالى: ﴿لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ فإنه تعليل للنهي عن رجعهن إليهم يعني: لا تحل مؤمنة لكافر لشرف الإيمان ولا نكاح كافر لمسلمة لخبث الكفر، وبالفارسية نه ايشان يعني: زنان حلالند مركافر انرا ونه كافران حلال ميشوند مرين زنا نراچه تباين دارند جدايى افكنده ميان ايشان. والتكرير إما لتأكيد الحرمة وإلا فيكفي نفي الحل من أحد الجانبين، أو لأن الأول لبيان زوال النكاح الأول، والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد. ﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾ هذا هو الحكم الثاني أي: وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهور وذلك أي: بيان المراد بما أنفقوا هو المهور أن صلح الحديبية كان على أن من جاءنا منكم رددناه، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة والنبي عليه السلام بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومي طالباً لها فقال: يا محمد اردد علي امرأتي فإنك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا فنزلت لبيان أن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وهو المهر بالاتفاق، وتزوج بها عمر رضي الله عنه وإنما رد الرجال دون النساء لضعف النساء عن الدفع عن أنفسهن وعجزهن عن الصبر على الفتنة، وفي «اللباب»: أن المخاطب بهذا هو الإمام ليؤتى من بيت المال الذي لا يتعين له مصرف وأن المقيمة منهن على شركها مردودة عليهم وأن المؤمن يحل له أن ينكح كتابية فإن الرجال قوامون على النساء فليس تسلطه عليها كتسلط الكافر على المسلمة، ولعل المراد بإيتاء ما أنفقوا رعاية جانب المؤمنين بالحث على إظهار المروءة وإيثار السخاء وإلا فمن المسائل المشهورة أن المرأة تملك تمام المهر بخلوة صحيحة في قطعة من اليوم أو الليلة وإن لم يقع استمتاع أصلاً، وأيضاً أن في الإنفاق تأليف القلوب وإمالتها إلى جانب الإسلام وأفادت الآية أن اللائق بالولي كائناً من كان أن يحذر تزويج مؤمنة له ولاية عليها بمبتدع تفضي بدعته إلى الكفر، وللحاكم أن يفرق

بينه وبينها إن ظهرت منه تلك البدعة إلا أن يتوب ويجدد إيمانه ونكاحه، سئل الرستغفني عن المناكحة بين أهل السنة وبين أهل الاعتزال فقال: لا تجوز كما في «مجمع الفتاوي» وقس عليه سائر الفرق الضالة التي لم يكن اعتقادهم كاعتقاد أهل السنة، ولزمهم بذلك الاعتقاد إكفار أو تضليل ولهم كثرة في هذه الأعصار جداً قال في بعض التفاسير: أخاف أن يكون من تلك المبتدعة بعض المتصوفة من أهل زماننا الذي يدعي أن شيخه قطب الزمان يجب الاقتداء به على كل مسلم حتى أن من لم يكن من جملة مريديه كان كافراً، وأن من مات لم يمت مؤمناً فيستدل بقوله عليه السلام: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» ويقول: المراد بالإمام هو القطب وشيخنا هو القطب فمن لم يعرف قطبيته ولم يتبعه مات على سوء الحال، وجوابه أن المراد بالإمام هو الخليفة والسلطان وقريش أصل فيه لقوله عليه السلام: «الإمام من قريش» ومن عداهم تبع لهم كشريف الكعبة مع آل عثمان، فالشريف أحدي الذات ولذا لا قوة له وآل عثمان وأحدي الذات ولذا صار مظهر سر قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢] فاعرف الإشارة وأيضاً المراد من الإمام نبي ذلك الزمان وهو في آخر الزمان رسولنا محمد عليه السلام، ولا شك أن من لم يعرفه ولم يصدقه مات ميتة جاهلية ولئن سلم أن المراد بالإمام هو القطب من طريق الإشارة فلا شك أن للقطبية العظمى شرائط لا يوجد واحد منها في الكذابين، فلا يثبت لهم القطبية أصلاً على أن التصديق بالقطب لا يستلزم صحبته لأن مبنى هذا الأمر على الباطن فالأقطاب لم يهتد إليهم إلا أقل الأفراد فإظهارهم لقطبيتهم خارج عن الحكمة، ولما قربت القيامة وقع أن يتغير أحوال كل طائفة عاماً فعاماً شهراً فشهراً أسبوعاً فأسبوعاً يوماً فيوماً لا يزال هذا التغيير إلى انقراض الأخيار، لأنه لا تقوم الساعة إلا على الأشرار وفي المرفوع: «لا يأتيكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم». قال الحافظ:

روزى اكر غمى رسدت تنك دل مباش روشكركن مبادكه ازبد بترشود

وفي الحديث: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» رواه مسلم وقال عليه السلام: «يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يبالي بهم الله» وأول التغير كان في الأمراء ثم في العلماء ثم في الفقراء، ففي كل طائفة أهل هدى وأهل هوى فكن من أهل الهدى أو المتشبهين بهم فإن من تشبه بقوم فهو منهم، ومن كثر سواد قوم فهو منهم وفي الحديث «من أحب قوماً على عملهم حشر في زمرتهم وحوسب بحاسبهم وإن لم يعمل بعملهم».

﴿ولا جناح عليكم﴾ هذا هو الحكم الثالث يقال: جنحت السفينة أي: مالت إلى أحد جانبيها وسمي الإثم المائل بالإنسان عن الحق جناحاً ثم سمي كل إثم جناحاً. **﴿أن تنكحوهن﴾** أي: تنكحوا المهاجرات وتتزوجوهن وإن كان لهن أزواج كفار في دار الحرب فإن إسلامهن حال بينهن وبين أزواجهن الكفار. **﴿إذا آتيتموهن أجورهن﴾** إذا: ظرفية محضة أو شرطية جوابها محذوف دل عليه ما تقدمها شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيذاناً بأن ما أعطي أزواجهن لا يقوم مقام المهر، لأن ظاهر النظم يقتضي إيتائهن إيتاء إلى الأزواج وإيتاء إليهن على سبيل المهر، وفي «التيسير» التزمتم مهورهن ولم يرد حقيقة الأداء كما في قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾ [التوبة: ٢٩] أي: يلتزموها استدل بالآية أبو حنيفة رحمه الله على أن أحد الزوجين إذا خرج من دار الحرب مسلماً أو بذمة وبقي الآخر حربياً وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ولا على الذمية المطلقة ولا على المتوفى عنها زوجها ويبيح نكاحها إلا أن تكون حاملاً، لأنه تعالى نفى الجناح من كل وجه في نكاحهن بعد إيتاء المهور، ولم يقيد بمضي العدة وقالا: عليها العدة وفي «الهداية» قول أبي حنيفة: فيما إذا كان معتقدهم أنه لا عدة، وأما إذا كانت حاملاً فقد قال عليه السلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقين ماءه زرع غيره» ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ هذا هو الحكم الرابع والإمساك چنك درزدن. ويعدى بالباء، والعصم جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب. والكوافر: جمع كافرة والكوافر طائفتان من النساء طائفة قعدت عن الهجرة وثبتت على الكفر في دار الحرب، وطائفة ارتدت عن الهجرة ولحقت بأزواجها الكفار والمعنى لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه كما قال بعض أهل التفسير: المراد بالعصمة هنا النكاح بمعنى من كانت له زوجة كافرة بمكة أو ارتدت ورجعت إليها فلا يعتد بها ويعدها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه فجاز له أن يتزوج بأربع سواها، وبرابعة وبأختها من غير تربص وعدة وبالفارسية وما يستيد بنكه داشتن زنان كافره وايشانرا بزنان خود مشمريد. فيكون إشارة إلى حكم اللاتي بقين في دار الكفر وما أسلمن ولا هاجرن بعد إسلام أزواجهن وهجرتهم، وعن النخعي: هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر فيكون قوله: ولا تمسكوا بمقابلة قوله: ﴿إذا جاءكم المؤمنات﴾ يعني: أن قوله ﴿إذا جاءكم﴾ إلخ إشارة إلى حكم اللاتي أسلمن وخرجن من دار الكفر، وقوله: ﴿ولا تمسكوا﴾ إلخ إشارة إلى حكم المسلمات اللاتي ارتددن وخرجن من دار الإسلام إلى دار الكفر وعلى التفسيرين زال عقد النكاح بينهن وبين أزواجهن وانقطعت عصمتهن عنهم باختلاف الدارين، فالعصمة هي المنع أريد بها في الآية عقد النكاح الذي هو سبب لمنع أزواجهن إياهن عن الإطلاق، أي: لا تعتدوا بما كان بينكم وبينهن من العقد الكائن قبل حصول اختلاف الدارين، والفرقة عند الحنفية تقع بنفس الوصول إلى دار الإسلام فلا حاجة إلى الطلاق بعد وقوع الفرقة وكانت زينب بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام امرأة أبي العاص بن الربيع فلحقت بالنبي عليه السلام وأقام أبو العاص بمكة مشركاً ثم أتى المدينة فأسلم فردها عليه رسول الله عليه السلام وإذا أسلم الزوجان معاً أو أسلم زوج الكتابية فهما على نكاحهما بالاتفاق، وإذا أسلمت المرأة فإن كان مدخولاً بها فأسلم في عدتها فهي امرأته بالاتفاق، وإن كانت غير مدخول بها وقعت الفرقة بينهما وكان فسخاً عند الثلاثة، وقال أبو حنيفة يعرض عليه الإسلام فإن أسلم فهي امرأته وإلا فرق القاضي بينهما بإبائه عن الإسلام وتكون هذه الفرقة طلاقاً عند أبي حنيفة ومحمد وفسخاً عند أبي يوسف ولها المهر إن كانت مدخولاً بها وإلا فلا بالاتفاق، وأما إذا ارتد أحد الزوجين المسلمين فقال أبو حنيفة ومالك: تقع الفرقة حال الردة بلا تأخير قبل الدخول وبعده، وقال الشافعي وأحمد: إن كانت الردة من أحدهما قبل الدخول انفسخ النكاح وإن كانت بعده وقعت الفرقة على انقضاء العدة فإن أسلم المرتد منهما في العدة ثبت النكاح وإلا انفسخ بانقضائها، ثم إن كان المرتد الزوجة بعد الدخول فلها المهر وقبله لا شيء لها، وإن كان الزوج فلها الكل بعده والنصف قبله بالاتفاق

كذا في «فتح الرحمٰن» وقال سهل رحمه الله في الآية: ولا توافقوا أهل البدع في شيء من آرائهم ﴿واسألوا ما أنفقتم﴾ هذا هو الحكم الخامس أي: واسألوا الكفار أيها المؤمنون ما أنفقتم يعني آنچه خرج كرده آيد من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار أي: إذا ارتدت امرأة أحدكم ولحقت بدار الحرب فاسألوا مهرها ممن تزوجها ولعل هذا لتطرية قلوب بعض المؤمنين بالمقابلة والمعادلة وإلا فظاهر حال الكرام الاستغناء عنه ﴿وليسألوا﴾ أي: الكفار منكم ﴿ما أنفقوا﴾ من مهور أزواجهم المهاجرات أي: يسأل كل حربي أسلمت امرأته وهاجرت إلينا ممن تزوجها منا مهرها وبالفارسية چون عصمت زوجيه منقطع شد ميان مؤمن وكافره وميان كافر ومؤمنه پس هريك بايدكه رد كند مهريرا كه بصاحبه خود داده اند. وظاهر قوله: وليسألوا يدل على أن الكفار مخاطبون بالأحكام وهو أمر للمؤمنين بالأداء مجازاً من قبيل إطلاق الملزوم وإرادة اللازم كما في قوله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] فإنه بمعنى واغلظوا عليهم ﴿ذلكم﴾ الذي ذكر في هذه الآية من الأحكام ﴿حكم الله﴾ ما حكم الله به لأن يراعي وقوله تعالى: ﴿يحكم بينكم﴾ كلام مستأنف للتأكيد والحث على الرعاية والعمل به قال في «فتح الرحمٰن»: ثم نسخ هذا الحكم بعد ذلك إلا قوله: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] ﴿والله عليم﴾ بمصالحكم ﴿حكيم﴾ يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة قال ابن العربي: كان حكم الله هذا مخصوصاً بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة وقال الزهري: ولولا هذه الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يرد الصداق وكذا كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد، روي أنه لما نزلت الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من مهور المهاجرات إلى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيئاً من مهور الكوافر إلى أزواجهن المسلمين وقالوا: نحن لا نعلم لكم عندنا شيئاً فإن كان لنا عندكم شيء فوجهوا به فنزل قوله تعالى:

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿وإن فاتكم﴾ الفوت بعد الشيء عن الإنسان بحيث يتعذر إدراكه وتعديته بإلى لتضمنه معنى السبق أو الانفلات دل عليه قوله: فآتوا الذين ذهبت أزواجهم أي: إلى الكفار والمعنى سبقكم وانفلت منكم أي: خرج وفر منكم فجأة من غير تردد ولا تدبر وبالفارسية: واكرفوت شود از شما اي: مؤمنان ﴿شيء من أزواجكم إلى الكفار﴾ أي: أحد من أزواجكم إلى الكفار ودارهم ومهر أو بدست شمانيابد. وقد قرىء به وايقاع شيء موقعه للتحقير والإشباع في التعميم لأن النكرة في سياق الشرط تفيد العموم والشيء لكونه أعم من الأحد أظهر إحاطة لأصناف الزوجات أي: أي نوع وصنف من النساء كالعربية أو العجمية أو الحرة أو الأمة أو نحوها، أو فاتكم شيء من مهور أزواجكم على حذف المضاف ليتطابق الموصوف وصفته والزوج هنا هي المرأة.

ـ روي ـ أنها نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان فرت فتزوجها ثقفي ولم ترتد امرأة من قريش غيرها وأسلمت مع قريش حين أسلموا وسيأتي غير ذلك ﴿فعاقبتم﴾ من العقبة وهي التوبة والمعاقبة المناوبة يقال: عاقب الرجل صاحبه في كذا أي: جاء فعل كل واحد منهما بعقب فعل الآخر، والمعنى وجاءت عقبتكم ونوبتكم من أداء المهر بأن هاجرت امرأة الكافر

مسلمة إلى المسلمين ولزمهم أداء مهرها إلى زوجها الكافر بعدما فاتت امرأة المسلم إلى الكفار، ولزم أن يسأل مهر زوجته المرتدة ممن تزوجها منهم شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة، وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب ونحوه، أي: يتناوب وإلا فأداء كل واحد من المسلمين والكفار لا يلزم أن يعقب أداء الآخر لجواز أن يتوجه الأداء لأحد الفريقين مراراً متعددة من غير أن يلزم الفريق الآخر شيء وبالعكس فلا يتعاقبون في الأداء. **﴿فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا﴾** أي: من المهاجرة التي تزوجتموها ولا تؤتوا زوجها الكافر يعني إن فاتت امرأة مسلم إلى الكفار ولم يعط الكفار مهرها، فإذا فاتت امرأة كافر إلى المسلمين أي: هاجرت إليهم وجب على المسلمين أن يعطوا المسلم الذي فاتت امرأته إلى الكفار مثل مهر زوجته الفائتة من مهر هذه المرأة المهاجرة ليكون كالعوض لمهر زوجته الفائتة، ولا يجوز لهم أن يعطوا مهر هذه المهاجرة زوجها الكافر قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة: أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري، وفاطمة بنت أمية كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي أخت أم سلمة، وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان، وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبدور، وهند بنت أبي جهل كانت تحت هشام بن العاص، وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر رضي الله عنه، وأعطاهم رسول الله عليه السلام مهور نسائهم من الغنيمة كما في «الكشاف». **﴿واتقوا الله الذي أنتم به﴾** لا بغيره من الجبت والطاغوت **﴿مؤمنون﴾** فإن الإيمان به تعالى يقتضي التقوى منه تعالى قال بعضهم: حكم اين آيات تابقاى عهد باقي بود چون مرتفع كشت اين أحكام منسوخ كشت. وفي الآية إشارة إلى المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

ـ حكي ـ أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا في ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا الرواح خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل ديناراً فألقته إليهما فقالا: إن هذا لمن كنز فأقاما عليه ثلاثة أيام كل يوم تخرج لهما ديناراً فقال أحدهما للآخر: إلى متى ننتظر هذه الحية ألا نقتلها ونحفر عن هذا الكنز فنأخذه فنهاه أخوه وقال: ما ندري لعلك تعطب ولا تدرك المال فأبى عليه فأخذ فأساً معه ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها فبادرت الحية فقتلته ورجعت إلى حجرها فدفنه أخوه وأقام حتى إذا كان الغد خرجت الحية معصوباً رأسها ليس معها شيء فقال: يا هذه إني والله ما رضيت بما أصابك ولقد نهيت أخي عن ذلك فهل لك أن نجعل الله بيننا لا تضرين بي ولا أضر بك وترجعين إلى ما كنت عليه؟ فقالت الحية: لا فقال: ولم؟ قالت: لأني أعلم أن نفسك لا تطيب لي أبداً وأنت ترى قبر أخيك ونفسي لا تطيب لك وأنا أذكر هذه الشجة، فظهر من هذه الحكاية سر المكافأة وشرف التقوى فإنه لو اتقى الله ولم يضع الشر موضع الخير بل شكر صنيع الحية لازداد مالاً وعمراً:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

كرم كن نه پرخاش وجنك آورى | كه عالم بزير نكين آورى
چوكارى برآيد بلطف وخوشى | چه حاجت بتندى وكردن كشى
نمى ترسى أي كرك ناقص خرد | كه روزى پلنكيت برهم درد

﴿يا أيها النبي﴾ نداء تشريف وتعظيم ﴿إذا جاءك المؤمنات﴾ چون بيايند بتوزنان مؤمنه ﴿يبايعنك﴾ أي: مبايعات لك أي: قاصدات للمبايعة فهي حال مقدرة نزلت يوم الفتح فإنه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة النساء، سميت البيعة لأن المبايع يبيع نفسه بالجنة فالمبايعة مفاعلة من البيع، ومن عادة الناس حين المبايعة أن يضع أحد المتبايعين يده على يد الآخر لتكون معاملتهم محكمة مثبتة فسميت المعاهدة بين المعاهدين مبايعة تشبيهاً لها بها في الإحكام والإبرام، فمبايعة الأمة رسولهم التزام طاعته وبذل الوسع في امتثال أوامره وأحكامه والمعاونة له، ومبايعته إياهم الوعد بالثواب وتدبير أمورهم والقيام بمصالحهم في الغلبة على أعدائهم الظاهرة والباطنة، والشفاعة لهم يوم الحساب إن كانوا ثابتين على تلك المعاهدة قائمين بما هو مقتضى المواعدة كما يقال: بايع الرجل السلطان إذا أوجب على نفسه الإطاعة له، وبايع السلطان الرعية إذا قبل القيام بمصالحهم وأوجب على نفسه حفظ نفوسهم وأموالهم من أيدي الظالمين. ﴿على أن لا يشركن بالله شيئاً﴾ أي: شيئاً من الأشياء أو شيئاً من الاشراك والظاهر أن المراد الشرك الأكبر ويجوز التعميم له وللشرك الأصغر الذي هو الرياء فالمعنى على أن لا يتخذن إلهاً غير الله ولا يعملن إلا خالصاً لوجهه:

مرايى هركس معبود سازد | مرايى را زان كفتند مشرك

قال الحافظ:

كويا باورنمى دارند روز داورى | كين همه قلب ودغل دركار داور ميكنند

﴿ولا يسرقن﴾ السرقة: أخذ ما ليس له أخذه في خفاء وصار ذلك في الشرك لتناول الشيء من موضع مخصوص وقدر مخصوص أي: لا يأخذن مال أحد بغير حق ويكفي في قبح السرقة أن النبي عليه السلام لعن السارق. ﴿ولا يزنين﴾ الزنى: وطء المرأة من غير عقد شرعي يقصر وإذا مد يصح أن يكون مصدر المفاعلة قال مظهر الدين: الزنى في اللغة عبارة عن المجامعة في الفرج على وجه الحرام ويدخل فيه اللواطة وإتيان البهائم تم كلامه. قال عليه السلام: «يقتل الفاعل والمفعول به». وثبت أن علياً رضي الله عنه أحرقهما، وأن أبا بكر رضي الله عنه هدم عليهما حائطاً وذلك بحسب ما رأيا من المصلحة وقال عليه السلام: «ملعون من أتى امرأته من دبرها» وأما الإتيان من دبرها في قبلها فمباح، قال في «اللباب»: اتفق المسلمون على حرمة الجماع في زمن الحيض واختلفوا في وجوب الكفارة على من جامع فيه فذهب أكثرهم إلى أنه لا كفارة عليه فيستغفر وذهب قوم إلى وجوب الكفارة عليه تم كلامه وقال عليه السلام: «من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه» قيل لابن عباس رضي الله عنهما: ما شأن البهيمة؟ قال: ما سمعت فيها من رسول الله شيئاً ولكن أكره أن يحل لحمها وينتفع بها كذلك ﴿ولا يقتلن أولادهن﴾ أريد به وأد البنات أي دفنهن أحياء خوف العار والفقر كما في الجاهلية قال عليه السلام: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي». قال الحافظ:

هيچ رحمى نه برادربه برادر دارد | هيچ شوقى نه پدر رابه پسرمى بينم
دخترانرا همه جنكست وجدل بامادر | پسر انراهمه بدخواه پدرمى بينم

حكي أن هارون الرشيد زوج أخته من جعفر بشرط أن لا يقرب منها فلم يصبر عنها فظهر حملها فدفنهما هارون حيين غضبا عليهما ويقال ولا يشربن دواء فيسقطن حملهن كما في «تفسير أبي الليث»، وفي «نصاب الاحتساب»: تمنع القابلة من المعالجة لإسقاط الولد بعدما استبان خلقه ونفخ فيه الروح ومدة الاستبانة والنفخ مقدرة بمائة وعشرين يوماً، وأما قبله فقيل لا بأس به كالعزل وقيل: يكره لأن مآل الماء الحياة كما إذا أتلف محرم بيضة صيد الحرم ضمن لأن مآلها الحياة فلها حكم الصيد بخلاف العزل، لأن ماء الرجل لا ينفخ فيه الروح إلا بعد صنع آخر وهو الإلقاء في الرحم فلا يكون مآله الحياة، ولعل إسناد الفعل إلى النساء إما باعتبار الرضى به أو بمباشرته بأمر زوجها **﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾** الباء: للتعدية. والبهتان: الكذب الذي يبهت المكذوب عليه أي: يدهشه ويجعله متحيراً فيكون أقبح أنواع الكذب وهو في الأصل مصدر يقال: بهت زيد عمراً بهتاً وبهتاً وبهتاناً أي: قال عليه: ما لم يفعله فزيد باهت وعمرو مبهوت والذي بهت به مبهوت به، وإذا قالت لزوجها: هذا ولدي منك لصبي التقطته فقد بهتته به، أي: قالت: عليه ما لم يفعله جعله نفس البهتان ثم وصفه بكونه مفترى مبالغة في وصفهن بالكذب والافتراء والاختلاق، يقال: فرى فلان كذباً إذا خلقه وافتراه اختلقه قوله: يفترينه إما في موضع جر على أنه صفة لبهتان أو نصب على أنه حال من فاعل يأتين، وقوله: بين أيديهن متعلق بمحذوف هو حال من الضمير المنصوب في يفترينه، أي: يختلقنه مقدراً وجوده بين أيديهن وأرجلهن على أن يكون المراد بالبهتان الولد المبهوت به كما ذهب إليه جمهور المفسرين، وليس المعنى على نهيهن عن أن يأتين بولد من الزنى فينسبنه إلى الأزواج لأن ذلك نهي بقوله: ولا يزنين بل المراد نهيهن عن أن يلحقن بأزواجهن ولداً التقطنه من بعض المواضع وكانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هو ولدي منك في بطني الذي بين يدي ووضعته من فرجي الذي هو بين رجلي فكني عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها، لأن بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها والمعنى ولا يجئن بصبي ملتقط من غير أزواجهن فإنه افتراء وبهتان لهم، والبهتان من الكبائر التي تتصل بالشرك. **﴿ولا يعصينك في معروف﴾** أي: لا يخالفن أمرك فيما تأمرهن به وتنهاهن عنه على أن المراد من المعروف الأمور الحسنة التي عرف حسنها في الدين فيؤمر بها، والشؤون السيئة التي عرف قبحها فيه فينهى عنها كما قيل: كل ما وافق في طاعة الله فعلاً أو تركاً فهو معروف، وكما روي عن بعض أكابر المفسرين: من أنه هو النهي عن النياحة والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه ونشره وخمش الوجه وأن تحدث المرأة الرجال إلا ذا رحم محرم وأن تخلو برجل غير محرم وأن تسافر إلا مع ذي رحم محرم فيكون هذا للتعميم بعد التخصيص، ويحتمل أن يكون المراد من المعروف ما يقابل المنكر فيكون ما قبله للنهي عن المنكر وهذا للأمر بالمعروف لتكون الآية جامعة لهما والتقييد بالمعروف مع أن الرسول عليه‌السلام لا يأمر إلا به للتنبيه على أنه لا تجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق، لأنه لما شرط ذلك في طاعة النبي عليه السلام فكيف في حق غيره، وهو كقوله: ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ٦٤] كما قال في «عين المعاني» فدل على أن طاعة الولاة لا تجب في المنكر ولم يقل: ولا يعصين الله لأن من أطاع الرسول فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله، وتخصيص الأمور المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن، ووجه الترتيب بين هذه

المنهيات أنه قدم الأقبح على ما هو أدنى قبحاً منه ثم كذلك إلى آخرها، ولذا قدم ما هو الأظهر والأغلب فيما بينهن وقال «صاحب اللباب»: ذكر الله تعالى في هذه الآية لرسول الله عليه السلام في صفة البيعة خصالاً ستا هن أركان ما نهي عنه في الدين ولم يذكر أركان ما أمر به وهي أيضاً ست: الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لأن النهي عنها دائم في كل زمان وكل حال فكان التنبيه على اشتراط الدائم أهم وآكد ﴿**فبايعهن**﴾ جواب لإذا فهو العامل فيها فإن الفاء لا تكون مانعة وهو أمر من المبايعة أي: فبايعهن على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح أمره وظهور أصالته في المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر أركان الدين وشعائر الإسلام، أي: بايعهن إذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الأشياء فإن المبايعة من جهة الرسول هو الوعد بالثواب ومن جهة الآخر التزام طاعته كما سبق، وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة إليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن إليها. ﴿**واستغفر لهن الله**﴾ زيادة على ما في ضمن المبايعة من ضمان الثواب والاستغفار طلب المغفرة للذنوب والستر للعيوب. ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾ أي: مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن إذا وفين بما بايعن عليه بزركى فرمود مردمان ميكويند رحمت موقوفست بر ايمان يعني: تابنده ايمان نيارد مستحق رحمت نشود ومن مى كويم كه ايمان موقوفست برحمت يعنى: تا برحمت خود توفيق نبخشد كسى بدولت ايمان نرسد «مصراع» توفيق عزيزست بهركس ندهند.

يقول الفقير: الأمر بالاستغفار لهن إشارة إلى قبول شفاعة حبيبه عليه السلام في حقهن فهو من رحمته الواسعة وقد عمم هذا الأمر في سورة الفتح فاستفاد جميع عباده وإمائه إلى يوم القيامة من بحر هذا الفضل ما يغنيهم ويرويهم وهو الفياض، قال الإمام الطيبي: لعل المبالغة في الغفور باعتبار الكيفية، وفي الغفار باعتبار الكمية كما قال بعض الصالحين: إنه غافر لأنه يزيل معصيتك من ديوانك، وغفور لأنه ينسي الملائكة أفعالك السوء، وغفار لأنه تعالى ينسيك أيضاً ذنبك كيلا تستحيي، وحظ العارف منه أن يستر من أخيه ما يحب أن يستر منه ولا يفشي منه إلا أحسن ما كان فيه ويتجاوز عما يندر عنه ويكافىء المسيء إليه بالصفح عنه والإنعام عليه، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا متخلقين بأخلاقه الكريمة ومتصفين بصفاته العظيمة إنه هو الغفور الرحيم، واختلف في كيفية مبايعته عليه السلام لهن يوم الفتح فروي أنه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا وشرع في بيعة النساء ودعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس أيديهن فجاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة خوفاً من رسول الله أن يعرفها لما صنعته بحمزة رضي الله عنه يوم أحد من المثلة فلما قال عليه السلام: «أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً رفعت هند رأسها فقالت: والله لقد عبدنا الأصنام وإنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الإسلام والجهاد فلما قال عليه السلام: ولا يسرقن. قالت: إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنات أي: شيئاً يسيراً فما أدري أيحل لي فقال أبو سفيان: ما أصبت فهو لك حلال فضحك عليه السلام وقال: أنت هند قالت: نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فعفا عنها فقال: ولا يزنين فقالت: وهل تزني الحرة؟ فقال عمر رضي الله عنه: لو كان قلب نساء العرب على قلب هند ما زنت امرأة قط فقال: ولا يقتلن أولادهن فقالت: ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً فأنتم وهم أعلم وكان ابنها

حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله فقال: ولا يأتين ببهتان فقالت: والله إن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق فقال: ولا يعصينك في معروف فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء»

ـ وروي ـ أنه عليه السلام بايعهن وبين يديه وأيديهن ثوب قطري والقطر بالكسر ضرب من البرود يأخذ بطرف منه ويأخذن بالطرف الآخر توقياً عن مساس أيدي الأجنبيات.

ـ وروي ـ أنه جلس على الصفا ومعه عمر رضي الله عنه أسفل منه فجعل عليه السلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن.

ـ وروي ـ أن عمر رضي الله عنه كان يبايع النساء بأمره عليه السلام ويبلغهن عنه وهو أسفل منه عند الصفا.

ـ وروي ـ أنه عليه السلام كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وهي أميمة أخت خديجة رضي الله عنها خالة فاطمة رضي الله عنها والأظهر الأشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها: والله ما أخذ رسول الله على النساء قط إلا بما أمر الله وما مست كف رسول الله كف امرأة قط وكان يقول: إذا أخذ عليهن قد بايعتك على كلها وكان المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله يمتحنهن بقول الله: يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات الخ فإذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن: انطلقن فقد بايعتكن».

يقول الفقير: إنما بايع عليه السلام الرجال مع مس الأيدي دون النساء لأن مقام الشارع يقتضي الاحتياط وتعليم الأمة وإلا فإذا جاز مصافحة عمر رضي الله عنه لهن كما في بعض الروايات جاز مصافحته عليه السلام لهن لأنه أعلى حالاً من عمر من كل وجه، وبالجملة كانت البيعة مع النساء والرجال أمراً مشروعاً بأمر الله وسنته بفعل رسول الله، ومن ذلك كانت عادة مستحسنة بين الفقراء الصوفية حين أرادت التوبة تثبيتاً للإيمان وتجديداً لنور الإيقان على ما أشبعنا الكلام عليه في المبايعة في سورة الفتح وذكرنا كل طرف منها فيها فارجع.

وفي «التأويلات النجمية»: قوله تعالى: **﴿يا أيها النبي إذا جاءك﴾** الخ يخاطب نبي الروح ويشير إلى النفوس المؤمنة الداخلة تحت شريعة نبي الروح يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً من حب الدنيا وشهواتها ولذاتها وزينتها وزخارفها ولا يسرقن من أخلاق الهوى المتبع وصفاته الرديئة ولا يزنين؛ أي: مع الهوى بالاتفاق معه والاتباع له ولا يقتلن أولادهن أي: لا يمنعن ولا يرددن أولاد الخواطر الروحانية والإلهامات الربانية ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن يعني: لا يدعين بما لم يحصل لهن من المواهب العلوية من المشاهدات والمعاينات والتجريد والتفريد ولا من العطايا السفلية من الزهد والورع والتوكل والتسليم، لأنهن ما بلغن بعد إليها ولا يعصينك في معروف أي: في كل ما تأمرهن من الأخلاق والأوصاف فبايعهن. أي: فاقبل مبايعتهن بين يديك بالصدق والإخلاص واستغفر لهن الله مما وقع منهن قبل دخولهن في ظل أنوارك من المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية إن الله غفور يسترها بالموافقات الشرعية رحيم بهن يرحمهن بالمخالفات الطبيعية. **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً﴾** دوستى مكيند باكروهى كه. فالتولي هنا بمعنى الموالاة والموادة. **﴿غضب الله عليهم﴾** صفة لقوماً وكذا قد يئسوا وهم جنس الكفار لأن كلهم مغضوب عليهم لا رحمة لهم من الرحمة الأخروية، وقيل: اليهود لما روي أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون

اليهود ليصيبوا من ثمارهم وهو قول الأكثرين وقد قال تعالى في حق اليهود: ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠] والقوم الرجال وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع لأن قوم كل نبي رجال ونساء. ﴿**قد يئسوا من الآخرة**﴾ اليأس: انقطاع الطمع يعني: نوميد شدند از آخرت. لكفرهم بها وعدم إيقانهم على أن يراد بقومه عامة الكفرة ومن لابتداء الغاية أو لعلمهم بأنه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات على أن يراد به اليهود والتقدير من ثواب الآخرة، يعني: أنهم أهل الكتاب يؤمنون بالقيامة لكنهم لما أصروا على الكفر حسداً وعناداً يئسوا من ثوابها قال عليه السلام: «يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وإني جئتكم بحق فأسلموا». ﴿**كما يئس الكفار من أصحاب القبور**﴾ من بيان للكفار أي: كائنين منهم أي: كما يئس منها الذين ماتوا منهم لأنهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الأليم، والمراد وصفهم بكمال اليأس منها قال مقاتل: إن الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك شديد الانتهار ثم يسأله: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري فيقول الملك: أبعدك الله انظر إلى منزلتك من النار فيدعو بالويل والثبور، ويقول: هذا لك فيفتح باب الجنة فيقول هذا لمن آمن بالله فلو كنت آمنت بربك نزلت الجنة فيكون حسرة عليه وينقطع رجاؤه ويعلم أنه لا حظ له فيها وييأس من خير الجنة، وقيل: من متعلقة بيئس فالمعنى كما يئسوا من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا إلى الدنيا أحياء، والإظهار في موضع الإضمار للإشعار بعلة يأسهم وهو الكفر والقبر مقر الميت والمقبرة موضع القبور، وفي الآية إشارة إلى الأبدان المريضة المعتلة النجسة الخبيثة المظلمة فإن الكفار أيسوا من خروج ضيق قبور أخلاقهم السيئة إلى سعة فضاء صفاتهم الحسنة، وكذا سائرهم من أهل الحجب الكثيفة ومن أصحاب القبور من حاله على عكس هذا كما أشار النبي عليه السلام بقوله: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور». وهم من ماتوا بالاختيار قبل الموت بالاضطرار وذلك بالفناء التام فكانت أجسادهم لأرواحهم كالقبور للموتى نسأل الله الختم بالسعادة بحرمة من له كمال السيادة والدفن في أحب البقاع إليه والقدوم بكمال البشرى عليه والقيام بمزيد الفخر لديه:

خدايا بحق بني فاطمة ... كه بر قول ايمان كنم خاتمه
خداوندكار انظركن بجو ... كه جرم آيداز بندكان دروجود
چومارا بدنيا توكردى عزيز ... بعقبى همين چشم داريم نيز

تمت سورة الممتحنة في العشر الأخير من شهر رمضان المنتظم
في سلك شهور سنة خمس عشرة ومائة وألف

٦١ ـ سورة الصف

مدنية وقيل مكية وآيها أربع عشرة بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾.

﴿سبح لله﴾ نزهه عن كل ما لا يلق بجنابه العلي العظيم **﴿ما في السموات﴾** من العلويات الفاعلة **﴿وما في الأرض﴾** من السفليات القابلة آفاقاً وأنفساً أي: سبحه جميع الأشياء من غير فرق بين موجود وموجود كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] **﴿وهو العزيز﴾** الغالب الذي لا يكون إلا ما يريد. **﴿الحكيم﴾** الذي لا يفعل إلا بالحكمة فلا عزيز ولا حكيم على الإطلاق غيره فلذا يجب تسبيحه قال في «كشف الأسرار»: من أراد أن يصفو له تسبيحه فليصف عن آثار نفسه قلبه ومن أراد أن يصفو له في الجنة عيشه فليصف عن أوضار الهوى دينه. **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** إيماناً رسمياً. **﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾** روي أن المسلمين قالوا: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت تعبيراً لهم بترك الوفاء، ولِمَ: مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت ألفها تخفيفاً لكثرة استعمالهما معاً كما في عَمَّ وفِيمَ ونظائرهما معناها، لأي شيء تقولون: نفعل ما لا تفعلون من الخير والمعروف على أن مدار التعبير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وإنما وجهه إلى قولهم تنبيهاً على تضاعف معصيتهم ببيان أن المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به أيضاً، وقد كانوا يحسبونه معروفاً ولو قيل: لِمَ لا تفعلون ما تقولون لفهم منه أن المنكر هو ترك الموعود فليس المراد من ما حقيقة الاستفهام لأن الاستفهام من الله محال، لأنه عالم بجميع الأشياء بل المراد الإنكار والتوبيخ على أن يقول الإنسان من نفسه ما لا يفعله من الخير، لأنه إن أخبر أنه فعل في الماضي والحال ولم يفعله كان كاذباً وإن وعد أن يفعله في المستقبل ولا يفعله كان خلفاً وكلاهما مذموم، كما قال في «الكشاف»: هذا الكلام يتناول الكذب وإخلاف الموعد وهذا بخلاف ما إذا وعد فلم يف بميعاده لعذر من الأعذار فإنه لا إثم عليه، وفي «عرائس البقلي» حذر الله المريدين أن يظهروا بدعوى المقامات التي لم يبلغوا إليها لئلا يقعوا في مقت الله وينقطعوا عن طريق الحق بالدعوى بالباطل، وأيضاً زجر الأكابر في ترك بعض الحقوق ومن لم يوف بالعهود ولم يأت بالحقوق لم يصل إلى الحق والحقيقة، وأيضاً ليس للعبد فعل ولا تدبير لأنه أسير في قبضة العزة يجري عليه أحكام القدرة وتصاريف المشيئة

فمن قال: فعلت أو أتيت أو شهدت فقد نسي مولاه وادعى ما ليس له، ومن شهد من نفسه طاعة كان إلى العصيان أقرب لأن النسيان من العمى.

وفي «التأويلات النجمية»: يا أيها المؤمنون المقلدون لِمَ تذمون الدنيا بلسان الظاهر وتمدحونها بلسان الباطن شهادة ارتكابكم أنواع الشهوات الحيوانية وأصناف اللذات الجسمانية، أو تمدحون الجهاد بلسانكم وتذمونه بقلوبكم وذلك يدل على إعراضكم عن الحق وإقبالكم على النفس والدنيا وهذا كبر مقتاً عند الله تعالى كما قال: ﴿**كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾ كبر: من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وأن تقولوا: هو المخصوص بالذم والمقت البغض الشديد لمن يراه متعاطياً لقبيح يقال: مقته فهو مقيت وممقوت وكان يسمى تزوج امرأة الأب نكاح المقت وعند الله ظرف للفعل بمعنى في علمه وحكمته والكلام بيان لغاية قبح ما فعلوه، أي: عظم بغضاً في حكمته تعالى هذا القول المجرد فهو أشد ممقوتية ومبغوضية فمن مقته الله فله النار ومن أحبه الله فله الجنة. قال «الكاشفي»: ونزد بعضى علماً آيت عامست يعني هركه سخنى كويد ونكند درين عتاب داخلست ويا آن علما نيزكه خلق رابعمل خير فرمايند وخود ترك نمايند اين سياست خواهد بود:

لا تـنـه عـن خـلـق وتـأتـي مـثـلـه عـار عـلـيـك إذا فـعـلـت عـظـيـم

وأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني وحضرت پيغمبر عليه السلام درشب معراج ديدكه لبهاى چنين كسان بمقراض آتشبن مى بريدند.

ازمـن بـكـوى عـالـم تـفـسـيـر كـوى را كـردر عـمـل نـكـوشـى نـادان مـفـسـر

بـار درخـت عـلـم نـدانـم بـجـز عـمـل باعـلـم اكـر عـمـل نكـنـى شاخ بى برى

قيل لبعض السلف: حدثنا فسكت ثم قيل له: حدثنا فقال لهم: أتأمرونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله، قال القرطبي رحمه الله: ثلاث آيات منعتني أن أقص على الناس ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون**﴾ وقد ورد الوعيد في حق من يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضاً، أي: كما ورد في حق من يترك العمل فالخوف إذا كان على كل منهما في درجة متناهية فكيف على من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف وأكثر الناس في هذا الزمان هكذا والعياذ بالله تعالى، قال في «اللباب»: إن الآية توجب على كل من ألزم نفسه عملاً فيه طاعة الله أن يفي به فإن من التزم شيئاً لزم شرعاً إذا الملتزم إما نذر تقرب مبتدأ كقوله: لله علي صلاة أو صوم أو صدقة ونحوه من القرب فيلزمه الوفاء إجماعاً، أو نذر مباح وهو ما علق بشرط رغبة كقوله: إن قدم غائبي فعلي صدقة أو بشرط رهبة كقوله: إن كفاني الله شر كذا فعلي صدقة ففيه خلاف فقال مالك وأبو حنيفة: يلزمه الوفاء به، وقال الشافعي في قول: لا يلزم وعموم الآية حجة لنا لأنها بمطلقها تتناول ذم من قال ما لا يفعله على أي وجه كان من مطلق أي: مقيد بشرط ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون**﴾ أعداء الله ﴿**في سبيله**﴾ في طريق مرضاته وإعلاء دينه أي: يرضى عنهم ويثني عليهم. ﴿**صفاً**﴾ صف زده در برابر خصم. وهو بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده، وهذا صريح في أن ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال و﴿**صفاً**﴾ مصدر وقع موقع الفاعل أو المفعول ونصبه على الحالية من

فاعل يقاتلون أي: صافين أنفسهم أو مصفوفين والصف أن يجعل الشيء على خط مستو كالناس والأشجار. ﴿**كأنهم بنيان مرصوص**﴾ حال من المستكن في الحال الأولى، والبنيان: الحائط وفي «القاموس»: البناء ضد الهدم بناه بنياً وبناء وبنياناً وبنية وبناية والبناء المبني والبنيان واحد لا جمع دل عليه تذكير مرصوص وقال بعضهم: بنيان جمع بنيانة على حد نخل ونخلة وهذا النحو من الجمع يصح تأنيثه وتذكيره، والرص: اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه كما قال في «تاج المصادر» الرص استوار برآوردن بنا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يوضع الحجر على الحجر ثم يرص بأحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فيسميه أهل مكة المرصوص، والمعنى حال كونهم مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه إلى بعض ورصف حتى صار شيئاً واحداً، وقال الراغب: بنيان مرصوص أي: محكم كأنما بني بالرصاص يعني كوييا ايشان در اسحكام بنا اندريخته ازارزير كنايتست از ثبات قدم ايشان در معركه حرب وبيكديكر باز چسبيدن. وهو قول الفراء: وتراصوا في الصلاة أي تضايقوا فيها كما قال عليه السلام «تراصوا بينكم في الصلاة لا يتخللكم الشيطان» فالرحمة في مثل هذا المقام رحمة فلا بد من سد الخلل أو المحاذاة بالمناكب كالبنيان المرصوص، ولا ينافيه قول سفيان: ينبغي أن يكون بين الرجلين في الصف قدر ثلثي ذراع فذاك في غيره كما في «المقاصد الحسنة»، وعن بعضهم: فيه دليل على فضل القتال راجلاً لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة كما في «الكشاف».

يقول الفقير: الدليل على فضل الراكب على الراجل أن له سهمين من الغنيمة وإنما حث عليه السلام على التراص لأن المسلمين يومئذ كانوا راجلين غالباً ولم يجدوا راحلة ونحوها إلا قليلاً، قال سعيد بن جبير رضي الله عنه: هذا تعليم من الله للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم ولذلك قالوا: لا يجوز الخروج من الصف إلا لحاجة تعرض للإنسان أو في رسالة يرسله الإمام أو منفعة تظهر في المقام المنتقل إليه كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها، وفي الخروج عن الصف للمبارزة خلاف لا بأس بذلك إرهاباً للعدو وطلباً للشهادة وتحريضاً على القتال وقيل: لا يبرز أحد لذلك لأن فيه رياء أو خروجاً إلى ما نهى الله عنه، وإنما تكون المبارزة إذا طلبها الكافر كما كانت في حروب النبي عليه السلام يوم بدر وفي غزوة خيبر قال في «فتح الرحمن»: أما حكم الجهاد فهو فرض كفاية على المستطيع بالاتفاق إذا فعله البعض سقط عن الباقين، وعند النفير العام وهو هجوم العدو يصير فرض عين بلا خلاف، ففي الآية زجر عن التباطىء وحث على التسارع ودلالة على فضيلة الجهاد، وروي في الخبر أنه لما كان يوم مؤتة بالضم موضع بمشارف الشام قتل فيه جعفر بن أبي طالب وفيه كانت تعمل السيوف كما في «القاموس» وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه أحد الأمراء الذين أمرهم رسول الله ﷺ ناداهم «يا أهل المجلس هذا الذي وعدكم ربكم فقاتل حتى قتل». وكان عبد الله بن رواحة الأنصاري شاعر رسول الله وكان يقص على أصحاب رسول الله في مسجده على حياته وجلس إليه رسول الله يوماً وقال: «أمرت أن أجلس إليكم» وأمر ابن رواحة أن يمضي في كلامه كما في «كشف الأسرار» ثم إن الجهاد إما مع الأعداء الظاهرة كالكفار والمنافقين وإما مع الأعداء الباطنة كالنفس والشيطان وقال عليه السلام: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر» الخطايا والذنوب وأعظم المجاهدة في الطاعة الصلاة لأن فيها سر الفناء وتشق على النفس.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾.

﴿**وإذ قال موسى لقومه**﴾ كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال، وإذ: منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام بطريق التلوين أي: اذكر لهؤلاء المؤمنين المتقاعدين عن القتال وقت قول موسى لبني إسرائيل حين ندبهم إلى قتال الجبابرة بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة: ٢١] فلم يمتثلوا بأمره وعصوه أشد عصيان حيث قالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٢ ـ ٢٤] وأصروا على ذلك وآذوه عليه السلام كل الأذية كذا في «الإرشاد».

يقول الفقير: لا شك أن قتل الأعداء من باب التسبيح لأنهم الذين قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٤] وعبدوا معه الأصنام فكان في مقاتلتهم توسيع ساحة التنزيه، ولذا بدأ الله تعالى في عنوان السورة بالتسبيح وأشار بلفظ الحكيم إلى أن القتال من باب الحكمة وأنه من باب دفع القضاء بالقضاء على ما يعرفه أهل الله، وبلفظ العزيز إلى غلبة المؤمنين المقاتلين ثم إنهم كرهوا ذلك كأنهم لم يثقوا بوعد الله بالغلبة ووقعوا من حيث لم يحتسبوا في ورطة نسبة العجز إلى الله سبحانه، ولذا تقاعدوا عن القتال وبهذا التقاعد حصلت الأذية له عليه السلام لأن مخالفة أولي الأمر أذية لهم فأشار الحق تعالى بقصة موسى إلى أن الرسول حق، وأن الخروج عن طاعته فسق وأن الفاسق مغضوب الله تعالى لأن الهداية من باب الرحمة وعدمها من باب السخط والعياذ بالله تعالى من سخطه وغضبه وأليم عذابه وعقابه. ﴿**يا قوم**﴾ أي: كروه من. فأصله يا قومي ولذا تكسر الميم ولولا تقدير الياء لقيل: يا قوم بالضم لأنه حينئذ يكون مفرداً معرفة فيبنى على الضم وهو نداء بالرفق والشفقة كما هو شأن الأنبياء ومن يليهم. ﴿**لم تؤذونني**﴾ چرامى رنجانيد مرا. أي: بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به، والأذى ما يصل إلى الإنسان من ضرر إما في نفسه أو في جسمه أو قنياته دنيوياً كان أو أخروياً قال في «القاموس» آذى: فعل الأذى وصاحبه أذى وأذاة وأذية ولا تقل: إيذاء انتهى. فلفظ الإيذاء في أفواه العوام من الأغلاط وربما تراه في عبارات بعض المصنفين. ﴿**وقد تعلمون أني رسول الله إليكم**﴾ جملة حالية مؤكدة لإنكار الأذية ونفي سببها، وقد: لتحقيق العلم لا للتوقع ولا للتقريب ولا للتقليل فإنهم قالوا: إن قد إذا دخلت على الحال تكون للتحقيق، وإذا دخلت على الاستقبال تكون للتقليل وصيغة المضارع للدلالة على استمرار العلم أي: والحال أنكم تعلمون علماً قطعياً مستمراً بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات إني مرسل من الله إليكم لأرشدكم إلى خير الدنيا والآخرة، ومن قضية علمكم بذلك أن تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا إلى طاعتي فإن تعظيمي تعظيم لله وإطاعتي إطاعة له، وفيه تسلية للنبي عليه السلام بأن الأذية قد كانت من الأمم السالفة أيضاً لأنبيائهم والبلاء إذا عم خف وفي الحديث: «رحمة الله على أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر» وذلك أنه عليه السلام لما قسم غنائم الطائف قال بعض المنافقين: هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فتغير وجهه الشريف وقال ذلك:

﴿فلما زاغوا﴾ الزيغ: الميل عن الاستقامة والتزايغ التمايل أي: أصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى واستمروا عليه ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ أي: صرفها عن قبول الحق والميل إلى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال، وقال الراغب: «في المفردات» أي: لما فارقوا الاستقامة عاملهم بذلك، وقال جعفر لما تركوا أوامر الخدمة: نزع الله من قلوبهم نور الإيمان وجعل للشيطان إليهم طريقاً فأزاغهم عن طريق الحق وأدخلهم في مسالك الباطل، وقال الواسطي: لما زاغوا عن القربة في العلم أزاغ الله قلوبهم في الخلقة، وقال بعضهم: لما زاغوا عن العبادة أزاغ الله قلوبهم عن الإرادة.

يقول الفقير: لما زاغوا عن رسالة موسى ونبوته أزاغ الله قلوبهم عن ولايته وجمعيته فهم رأوا موسى على أنه موسى لا على أنه رسول نبي فحرموا من رؤية الحق تعالى ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الإزاغة وموذن بعليته أي: لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة إلى البغية لا هداية موصلة إلى ما يوصل إليها، فإنها شاملة للكل والمراد جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمهم دخولاً أولياً ووصفهم بالفسق نظراً إلى قوله تعالى: ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦] قال الإمام: هذه الآية تدل على عظم أذى الرسول حتى أنه يؤدي إلى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى انتهى. ويتبعه أذى العالمين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر لأن العلماء ورثة الأنبياء فأذاهم في حكم أذاهم فكما أن الأنبياء والأولياء داعون إلى الله تعالى على بصيرة فكذلك رسل القلوب فإنهم يدعون القوى البشرية والطبيعية من الصفات البشرية السفلية إلى الأخلاق الروحانية العلوية، ومن ظلمة الخلقية إلى نور الحقية فمن مال عن الحق وقبول الدعوة لعدم الاستعداد الذاتي ضل بالتوجه إلى الدنيا والإقبال عليها فأنى يجد الهداية إلى حضرة الحق سبحانه.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿وإذ قال عيسى ابن مريم﴾ إما: معطوف على إذ الأولى معمول لعاملها وإما معمول لمضمر معطوف على عاملها وابن هنا وفي عزير ابن الله بإثبات الألف خطأً لندرة وقوعه بين رب وعبد وذكر وأنثى. ﴿يا بني إسرائيل﴾ أي: فرزندان يعقوب. ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم إلى تصديقه في قوله: ﴿إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة﴾ فإن تصديقه عليه السلام إياها من أقوى الدواعي إلى تصديقهم إياه أي: أرسلت إليكم لتبليغ أحكامه التي لا بد منها في صلاح أموركم الدينية. والدنيوية در حالتى كه باور دارنده ام من آنچيز را كه پيش منست از كتاب تورات يعني: قبل ازمن نازل شده ومن تصديق كرده ام كه آن ازنزد خداست. وقال أبو الليث يعني أقرأ عليكم الإنجيل موافقاً للتوراة في التوحيد وبعض الشرائع قال القاضي في «تفسيره»: ولعله لم يقل: يا قوم كما قال موسى لأنه لا نسب له فيهم إذ النسب إلى الآباء وإلا فمريم من بني إسرائيل لأن إسرائيل لقب يعقوب ومريم من نسله، ثم إن هذا دل على أن

تصديق المتقدم من الأنبياء والكتب من شعائر أهل الصدق ففيه مدح لأمة محمد عليه السلام حيث صدقوا الكل ﴿ومبشراً﴾ التبشير مژده دادن ﴿برسول يأتي من بعدي﴾ معطوف على مصدقاً داع إلى تصديقه عليه السلام من حيث إن البشارة به واقعة في التوراة، والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الإرسال لا الجار فإنه صلة للرسول والصلاة بمعزل عن تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل أي: أرسلت إليكم حال كوني مصدقاً لما تقدمني من التوراة ومبشراً بمن يأتي من بعدي من رسول وكان بين مولده وبين الهجرة ستمائة وثلاثون سنة، وقال بعضهم: بشرهم به ليؤمنوا به عند مجيئه أو ليكون معجزة لعيسى عند ظهوره، والتبشير به تبشير بالقرآن أيضاً وتصديق له كالتوراة. ﴿اسمه أحمد﴾ أي: محمد ﷺ يريد أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعاً ممن تقدم وتأخر فذكر أول الكتب المشهورة الذي يحكم به النبيون، والنبي الذي هو خاتم النبيين وعن أصحاب رسول الله أنهم قالوا: أخبرنا يا رسول الله عن نفسك قال: «أنا دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي رؤيا حين حملتني أنه خرج منها نور أضاء لها قصور بصرى في أرض الشام» وبصرى كحبلى بلد بالشام وكذا بشر كل نبي قومه بنبينا محمد عليه السلام والله تعالى أفرد عيسى عليه السلام بالذكر في هذا الموضع لأنه آخر نبي قبل نبينا فبين أن البشارة به عمت جميع الأنبياء واحداً بعد واحد حتى انتهت إلى عيسى كما في «كشف الأسرار»: وقال بعضهم: كان بين رفع المسيح ومولد النبي عليه السلام خمسمائة وخمس وأربعون سنة تقريباً وعاش المسيح إلى أن رفع ثلاثاً وثلاثين سنة وبين رفعه والهجرة الشريفة خمسمائة وثمان وتسعون سنة ونزل عليه جبريل عشر مرات وأمته النصارى على اختلافهم ونزل على نبينا عليه السلام أربعة وعشرين مرة وأمته أمة مرحومة جامعة لجميع الملكات الفاضلة قيل: قال الحواريون لعيسى: يا روح الله هل بعدنا من أمة قال: نعم أمة محمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل، وأحمد اسم نبينا ﷺ.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في كتاب «تلقيح الأذهان»: سمي من حيث تكرر حمده محمداً ومن حيث كونه حامل لواء الحمد أحمد انتهى. قال الراغب: أحمد إشارة للنبي عليه السلام باسمه تنبيهاً على أنه كما وجد اسمه أحمد يوجد جسمه وهو محمود في أخلاقه وأفعاله وأقواله وخص لفظ أحمد فيما بشر به عيسى تنبيهاً أنه أحمد منه ومن الذين قبله انتهى. ويوافقه ما في «كشف الأسرار» من أن الألف فيه للمبالغة في الحمد وله وجهان: أحدهما: أنه مبالغة من الفاعل أي: الأنبياء كلهم حامدون لله تعالى وهو أكثر حمداً من غيره والثاني أنه مبالغة من المفعول أي الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مناقب وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها انتهى:

زصد هزار محمد كه در جهان آيد   يكى بمزلت وفضل مصطفى نرسد

قال ابن الشيخ في «حواشيه»: يحتمل أن يكون أحمد منقولاً من الفعل المضارع وأن يكون منقولاً من صفة وهي أفعل التفضيل وهو الظاهر، وكذا محمد فإنه منقول من الصفة أيضاً وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فإنه محمود في الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة، ومحمود في الآخرة بالشفاعة، وقال الإمام السهيلي في «كتاب التعريف والإعلام»: أحمد اسم علم منقول من صفة لا من فعل وتلك الصفة أفعل التي يراد بها

التفضيل فمعنى أحمد أحمد الحامدين لربه عز وجل، وكذلك هو في المعنى لأنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد ربه بها وكذلك يعقد لواء الحمد، وأما محمد فمنقول من صفة أيضاً وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة كما أن المكرم من أكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله تعالى سماه به قبل أن يسمي به نفسه فهذا علم من أعلام نبوته، إذ كان اسمه صادقاً عليه فهو محمود في الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم إنه لم يكن محمداً حتى كان حمد ربه فنبأه وشرفه ولذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى عليه السلام فقال اسمه أحمد ذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه: تلك أمة أحمد فقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد فبأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمد لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس فلما وجد وبعث كان محمداً بالفعل، وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون أحمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف كان ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر في الذكر وفي الوجود وفي الدنيا وفي الآخرة تلح لك الحكمة الإلهية في تخصيصه بهذين الاسمين؛ وانظر كيف أنزلت عليه سورة الحمد وخص بها دون سائر الأنبياء وخص بلواء الحمد وخص بالمقام المحمود، وانظر كيف شرع له سنة وقرآناً أن يقول عند اختتام الأفعال وانقضاء الأمور: الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥] وقال أيضاً: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَنٰهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] تنبيهاً لنا على أن الحمد مشروع عند انقضاء الأمور وسن عليه السلام الحمد بعد الأكل والشرب، وقال عند انقضاء السفر: «آئبون تائبون لربنا حامدون» ثم انظر لكونه عليه السلام خاتم الأنبياء ومؤذناً بانفصال الرسالة وانقطاع الوحي ونذيراً بقرب الساعة وتمام الدنيا مع أن الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الأمور مشروع عندها تجد معاني اسمه جميعاً وما خص به من الحمد والمحامد مشاكلاً لمعناه مطابقاً لصفته، وفي ذكره برهان عظيم وعلم واضح على نبوته وتخصيص الله له بكرامته وأنه قدم له هذه المقامات قبل وجوده تكرمة له وتصديقاً لأمره عليه السلام انتهى كلام السهيلي.

يقول الفقير: الذي يلوح بالبال أن تقدم الاسم أحمد على الاسم محمد من حيث إنه عليه السلام كان إذ ذاك في عالم الأرواح متميزاً عن الأحد بميم الإمكان فدل قلة حروف اسمه على تجرده التام الذي يقتضيه موطن عالم الأرواح، ثم إنه لما تشرف بالظهور في عالم العين الخارج وخلع الله عليه من الحكمة خلعة أخرى زائدة على الخلع التي قبلها ضوعف حروف اسمه الشريف فقيل: محمد على ما يقتضيه موطن العين ونشأة الوجود الخارجي ولا نهاية للأسرار، والحمد لله تعالى.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في كتاب «مواقع النجوم»: ما انتظم من الوجود شيء بشيء ولا انضاف منه شيء إلى شيء إلا لمناسبة بينهما ظاهرة أو باطنة فالمناسبة موجودة في كل الأشياء حتى بين الاسم والمسمى، ولقد أشار أبو يزيد السهيلي: وإن كان أجنبياً عن أهل هذه الطريقة إلى هذا المقام في كتاب «المعارف والأعلام» له في اسم النبي عليه السلام محمد وأحمد، وتكلم على المناسبة التي بين أفعال النبي عليه السلام وأخلاقه وبين

معاني اسميه محمد وأحمد انتهى كلام الشيخ. أشار رضي الله عنه إلى ما قدمناه من كلام السهيلي.

وقال بعض العارفين: سمي عليه السلام بأحمد لكون حمده أتم واشتمل من حمد سائر الأنبياء والرسل إذ محامدهم لله إنما هي بمقتضى توحيد الصفات والأفعال، وحمده عليه السلام إنما هو بحسب توحيد الذات المستوعب لتوحيد الصفات والأفعال انتهى. قال في «فتح الرحمن»: لم يسم بأحمد أحد غيره ولا دعي به مدعو قبله وكذلك محمد أيضاً لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده أي: من الكهان والأحبار أن نبياً يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو، وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي، ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن البراء البكري، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمدان الجعفي، ومحمد بن خزاعة السلمي فهم ستة لا سابع لهم ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحداً في أمره حتى تحققت السمتان له عليه السلام ولم ينازع فيهما انتهى.
واختلف في عدد أسماء النبي عليه السلام فقيل له عليه السلام ألف اسم كما أن لله تعالى ألف اسم وذلك فإنه عليه السلام مظهر تام له تعالى فكما أن أسماءه تعالى أسماء له عليه السلام من جهة الجمع فله عليه السلام أسماء أخر من جهة الفرق على ما تقتضيه الحكمة في هذا الموطن، فمن أسمائه محمد أي: كثير الحمد لأن أهل السماء والأرض حمدوه في الدنيا والآخرة ومنها أحمد أي: أعظم حمداً من غيره لأنه حمد الله تعالى بمحامد لم يحمد بها غيره، ومنها المقفي بتشديد الفاء وكسره لأنه أتى عقيب الأنبياء وفي قفاهم، وفي «التكملة»: هو الذي قفى على أثر الأنبياء أي اتبع آثارهم ومنها نبي التوبة لأنه كثير الاستغفار والرجوع إلى الله أو لأن التوبة في أمته صارت أسهل، ألا ترى أن توبة عبدة العجل كانت بقتل النفس أو لأن توبة أمته كانت أبلغ من غيرهم حتى يكون التائب منهم كمن لا ذنب له لا يؤاخذ به في الدنيا ولا في الآخرة، وغيرهم يؤاخذ في الدنيا لا في الآخرة ومنها نبي الرحمة لأنه كان سبب الرحمة وهو الوجود لقوله تعالى: «لولاك لما خلقت الأفلاك» وفي كتاب «البرهان» للكرماني: لولاك يا محمد لما خلقت الكائنات خاطب الله النبي عليه السلام بهذا القول انتهى. قيل: الأولى أن يحترز عن القول بأنه لولا الأنبياء عليهم السلام لما خلق الله آدم وإن كان هذا شيئاً يذكره الوعاظ على رؤوس المنابر يرون به تعظيم محمد عليه السلام لأن النبي عليه السلام وإن كان عظيم المرتبة عند الله، لكن لكل نبي من الأنبياء مرتبة ومنزلة وخاصية ليست لغيره فيكون كل نبي أصلاً لنفسه كما في «التاتار خانية».

يقول الفقير: كان عليه السلام نبي الرحمة لأنه هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية على وجه الزمان قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣] قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: كان في الأرض أمانان فرفع أحدهما وبقي الآخر فأما الذي رفع فهو رسول الله عليه السلام، وأما الذي بقي فالاستغفار وقرأ بعد هذه الآية ومنها نبي الملحمة أي: الحرب لأنه بعث بالقتال فإن قلت: المبعوث بالقتال كيف يكون رحمة قلت: كان أمم الأنبياء يهلكون في الدنيا إذا لم يؤمنوا بهم بعد المعجزات ونبينا عليه السلام بعث بالسيف ليرتدعوا به عن الكفر ولا يستأصلوا، وفي كونه

عليه السلام نبي الحرب رحمة ومنها الماحي: وهو الذي محا الله به الكفر أو سيئات من اتبعه، ومنها الحاشر: وهو الذي يحشر الناس على قدمه أي: على أثره ويجوز أن يراد بقدمه عهده وزمانه فيكون المعنى أن الناس يحشرون في عهده أي: في دعوته من غير أن تنسخ ولا تبدل، ومنها العاقب: وهو الذي ليس بعده نبي لا مشرعاً ولا متابعاً، أي: قد عقب الأنبياء فانقطعت النبوة قال عليه السلام: «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» أي: بالنبوة العرفية بخلاف النبوة التحقيقية التي هي الإنباء عن الله فإنها باقية إلى يوم القيامة إلا أنه لا يجوز أن يطلق على أهلها النبي لإيهامه النبوة العرفية الحاصلة بمجيء الوحي بواسطة جبرائيل عليه السلام، ومنها الفاتح: فإن الله فتح به الإسلام ومنها الكاف: قيل: معناه الذي أرسل إلى الناس كافة وليس هذا بصحيح لأن كافة لا يتصرف منه فعل فيكون منه اسم فاعل وإنما معناه: الذي كف الناس عن المعاصي كذا في «التكملة».

يقول الفقير: هذا إذا كان الكاف مشدداً، وأما إذا كان مخففاً فيجوز أن يشار به إلى المعنى الأول كما قال تعالى: ﴿يسٓ ۝١﴾ [يس: ١] أي: يا سيد البشر، ومنها: صاحب الساعة لأنه بعث مع الساعة نذيراً للناس بين يدي عذاب شديد، ومنها: الرؤوف والرحيم والشاهد والمبشر والسراج المنير وطه ويس والمزمل والمدثر وعليه السلام وقثم أي: الجامع للخير ومنها. ن. إشارة إلى اسم النور والناصر، ومنها: المتوكل والمختار والمحمود والمصطفى وإذا اشتقت أسماؤه من صفاته كثرت جداً ومنها الخاتم بفتح التاء أي: أحسن الأنبياء خلقاً وخلقاً فكأنه جمال الأنبياء كالخاتم الذي يتجمل به أي: لما أتقنت به النبوة وكملت كان كالخاتم الذي يختم به الكتاب عند الفراغ منه، وأما الخاتم بكسر التاء فمعناه أنه آخر الأنبياء فهو اسم فاعل من ختم ومنها راكب الجمل سماه به شعيا النبي عليه السلام فإن قلت: لم خص بركوب الجمل وقد كان يركب غيره كالفرس والحمار قلت: كان عليه السلام من العرب لا من غيرهم كما قال: «أحب العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي»، والجمل مركب العرب مختص بهم لا ينسب إلى غيرهم من الأمم ولا يضاف لسواهم ومنها صاحب الهراوة سماه به سطيح الكاهن، والهراوة: بالكسر العصا فإن قلت: لم خص بالعصا وقد كان غيره من الأنبياء يمسكها قلت: العصا كثيراً ما تستعمل في ضرب الإبل وتخص بذلك كما قال به كثير في صفة البعير:

ينوخ ثم يضرب بالهراوي فلا عرف لديه ولا نكير

فركوبه الجمل وكونه صاحب هراوة كناية عن كونه عربياً، وقيل: هي إشارة إلى قوله في الحديث في صفة الحوض: «أذود الناس عنه بعصاي». ومنها روح الحق سماه به عيسى عليه السلام في الإنجيل وسماه أيضاً المنخنا بمعنى محمد ياخود آنكه خداى بفرستد اورا بعد از مسيح، وفي «التكملة»: هو بالسريانية ومنها حمياطى: بالعبرانية وبر قليطس: بالرومية بمعنى: محمد وماذ ماذ بمعنى طيب طيب وفار قليطا مقصوراً بمعنى أحمد وروى فار قلبط بالباء وقيل معناه: الذي يفرق بين الحق والباطل وروي أن معناه بلغة النصارى ابن الحمد فكأنه محمد وأحمد.

ـ وروي ـ أنه عليه السلام قال: «اسمي في التوراة أحيد لأني أحيد أمتي عن النار واسمي في الزبور: الماحي: محا الله بي عبدة الأوثان، واسمي في الإنجيل: أحمد. وفي القرآن:

محمد لأني محمود في أهل السماء والأرض» فإن قلت قال رسول الله عليه السلام: «لي خمسة أسماء فذكر محمداً وأحمد والماحي والحاشر والعاقب» وقد بلغت أكثر من ذلك قلت: تخصيص الوارد لا ينافي ما سواه فقد خص الخمسة إما لعلم السامع بما سواها فكأنه قال لي: خمسة زائدة على ما تعلم أو لفضل فيها كأنه قال لي: خمسة أسماء فاضلة معظمة أو لشهرتها كأنه قال لي: خمسة أسماء مشهورة أو لغير ذلك مما يحتمله اللفظ من المعاني، وقيل: لأن الموحى إليه في ذلك الوقت كان هذه الأسماء وقيل: كانت هذه الأسماء معروفة عند الأمم السالفة ومكتوبة في الكتب المتقدمة وفيه أن أسماءه الموجودة في الكتب المتقدمة تزيد على الخمسة كما في «التكملة» لابن عسكر ﴿**فلما جاءهم**﴾ أي: الرسول المبشر به الذي اسمه أحمد كما يدل عليه الآيات اللاحقة، وأما إرجاعه إلى عيسى كما فعله بعض المفسرين فبعيد جداً، وكون ضمير الجمع راجعاً إلى بني إسرائيل لا ينافي ما ذكرنا لأن نبينا عليه السلام مبعوث إلى الناس كافة. ﴿**بالبينات**﴾ أي: بالمعجزات الظاهرة كالقرآن ونحوه والباء للتعدية ويجوز أن تكون للملابسة. ﴿**قالوا هذا**﴾ مشيرين إلى ما جاء به أو إليه عليه السلام ﴿**سحر مبين**﴾ ظاهر سحريته بلا مرية وتسميته عليه السلام سحراً للمبالغة ويؤيد قراءة من قرأ هذا ساحر. وفي الآية إشارة إلى عيسى القلب وإسرائيل الروح وبنيه النفس والهوى وسائر القوى الشريرة فإنها متولدة من الروح والقالب منسلخة عن حكم أبيها، فدعاها عيسى القلب من الظلمات الطبيعية إلى الأنوار الروحانية وبشرها بأحمد السر لكونه أحمد من عيسى القلب لعلو مرتبته عليه فلما جاءها بصور التجليات الصفاتية والأسمائية قالت: هذا أمر وهمي متخيل لا وجود له ظاهر البطلان وهكذا براهين أهل الحق مع المنكرين. ﴿**ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب**﴾ وكيست ستمكارتر از أن كس كه دروغ مى سازد بر الله. والفرق بين الكذب والافتراء هو أن الافتراء افتعال الكذب من قول نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه ﴿**وهو**﴾ أي: والحال أن ذلك المفترى ﴿**يدعى**﴾ من لسان الرسول ﴿**إلى الإسلام**﴾ الذي به سلامة الدارين أي: أي الناس أشد ظلماً ممن قد يدعي إلى الإسلام الذي يوصله إلى سعادة الدارين فيضع موضع الإجابة الافتراء على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر، فاللام في الكذب للعهد أي: هو أظلم من كل ظالم وإن لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي، ومن الافتراء على الله الكذب في دعوى النسب والكذب في الرؤيا والكذب في الإخبار عن رسول الله عليه السلام.

واعلم أن الداعي في الحقيقة هو الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] بأمره الرسول عليه السلام كما قال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥] وفي الحديث عن ربيعة الجرشي قال «أتي نبي الله عليه السلام فقيل له: «لتنم عينك ولتسمع أذنك وليعقل قلبك» قال: فنامت عيناي وسمعت أذناي وعقل قلبي قال: فقيل لي: سيد بنى داراً فصنع مأدبة وأرسل داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ورضي عنه السيد، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة وسخط عليه السيد قال: فالله السيد ومحمد الداعي والدار الإسلام والمأدبة الجنة ودخل في دعوة النبي دعوة ورثته لقوله: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨] ولا بد أن يكون الداعي أميراً أو مأموراً، وفي «المصابيح» في «كتاب العلم» قال عوف بن مالك رضي الله عنه: لا يقص إلا أمير أو مأمور أو

مختال» رواه أبو داود وابن ماجه قوله: أو مختال: هوَ المتكبر والمراد به هنا الواعظ الذي ليس بأمير ولا مأمور مأذون من جهة الأمير ومن كانت هذه صفته فهو متكبر فضولي طالب للرياسة، وقيل: هذا الحديث في الخطبة خاصة كما في «المفاتيح» **﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾** أي لا يرشدهم إلى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم إليه.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿يريدون ليطفئوا نور الله﴾ الإطفاء: الإخماد وبالفارسية: فروكشتن آتش وچراغ. أي: يريدون أن يطفئوا دينه أو كتابه أو حجته النيرة، واللام مزيدة لما فيها من معنى الإرادة تأكيداً لها كما زيدت لما فيها من معنى الإضافة تأكيداً لها في لا أبا لك، أو يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله وقال الراغب في «المفردات»: الفرق أن في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٢] يقصدون إخفاء نور الله وفي قوله تعالى: **﴿ليطفئوا﴾** يقصدون أمراً يتوصلون به إلى إطفاء نور الله **﴿بأفواههم﴾** بطعنهم فيه وبالفارسية: بدهنهاى خود يعني: بكفتار ناپسنديده وسخنان بي ادبانه. مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس ليطفئه **﴿والله متم نوره﴾** أي: مبلغه إلى غايته بنشره في الآفاق وإعلائه جملة حالية من فاعل يريدون أو يطفئوا **﴿ولو كره الكافرون﴾** إتمامه إرغاماً لهم وزيادة في مرض قلوبهم ولو بمعنى أن وجوابه محذوف، أي: وإن كرهوا ذلك فالله يفعله لا محالة. قال الكاشفي: وكراهت ايشانرا أثرى نيست در اطفاى چراغ صدق وصواب همچون ارادت خفاش كه غير مؤثر است درنابودن آفتار:

شب پره خواهد كه نبود آفتاب	تا ببيند ديده اومرزو بوم
دست قدرت هر صباحى شمع مهر	مى فروزد كورىء خفاش شوم

وفي «المثنوي»:

شمع حق رايف كنى تواى عجوز	هم توسوزى هم سرت اى كنده پوز
كى شود دريا زپوز سك نجس	كى شود خورشيد ازيف منطمس
هركه بر شمع خدا آرد پفو	شمع كى ميرد بسوزد پوز او
چون تو خفاشان بسى بينند خواب	كين جهان ماند يتيم از آفتاب
اى بريده آن لب وحلق ودهان	كه كند تف سوى مه يا آسمان
تف برويش باز كردد بى شكى	تف سوى كردون نيابد مسلكى
تا قيامت تف بر وبار دز رب	همچون تبت بر روان بو لهب

قال ابن الشيخ: إتمام نوره لما كان من أجل النعم كان استكراه الكفار إياه أي: كافر كان من أصناف الكفرة غاية في كفران النعمة فلذلك أسند كراهة إتمامه إلى الكافرين، فإن لفظ الكافر أليق بهذا المقام، وأما قوله: **﴿ولو كره المشركون﴾** فإنه قد ورد في مقابلة إظهار دين الحق الذي معظم أركانه التوحيد وإبطال الشرك، وكفار مكة كارهون له من أجل إنكارهم للتوحيد وإصرارهم على الشرك فالمناسب لهذا المقام التعرض لشركهم لكونه العلة في كراهتهم الدين الحق.

قال بعضهم: جحدوا ما ظهر لهم من صحة نبوة النبي عليه السلام وأنكروه بألسنتهم

وأعرضوا عنه بنفوسهم فقيض الله لقبوله أنفساً أوجدها على حكم السعادة وقلوباً زينها بأنوار المعرفة وأسراراً نورها بالتصديق، فبذلوا له المهج والأموال كالصديق والفاروق وأجلة الصحابة رضي الله عنهم.

يقول الفقير: هكذا أحوال ورثة النبي عليه السلام في كل زمان فإن الله تعالى تجلى لهم بنور الأزل والقدم فكرهه المنكرون وأرادوا أن يطفئوه لكن الله أتم نوره وجعل لأهل تجليه أصحاباً وإخواناً يذبون عنهم وينفذون أمورهم إلى أن يأتيهم أمر الله تعالى ويقضوا نحبهم، وفي الآية إشارة إلى أن النفس لا بد وأن تسعى في إبطال نور القلب وإطفائه، لأن النفس والهوى من المظاهر القهرية الجلالية المنسوبة إلى اليد اليسرى، والروح والقلب من المظاهر الجمالية اللطفية المنسوبة إلى اليد اليمنى كما جاء في الحديث «الرباني»: «إن الله مسح يده اليمنى على ظهر آدم الأيمن فاستخرج منه ذراري كالفضة البيضاء وقال: هؤلاء للجنة، ومسح يده اليسرى على ظهر آدم الأيسر فاستخرج منه كالحممة السوداء وقال: هؤلاء للنار». فلا بد للنفس من السعي في إطفاء نور القلب وللقلب أيضاً من السعي في إطفاء نار النفس ولو كره الكافرون الساترون القلب بالنفس الزارعون بذر النفس في أرض القلب. ﴿**هو الذي أرسل رسوله**﴾ محمداً ﷺ ﴿**بالهدى**﴾ بالقرآن أو بالمعجزة فالهدى بمعنى ما به الاهتداء إلى الصراط المستقيم ﴿**ودين الحق**﴾ والملة الحنيفية التي اختارها لرسوله ولأمته وهو من إضافة الموصوف إلى صفته مثل عذاب الحريق. ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾ ليجعله ظاهراً أي: عالياً وغالباً على جميع الأديان المخالفة له ﴿**ولو كره المشركون**﴾ ذلك الإظهار ولقد أنجز الله وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام فليس المراد أنه لا يبقى دين آخر من الأديان بل العلو والغلبة والأديان خمسة: اليهودية والنصرانية والمجوسية والشرك والإسلام كما في «عين المعاني» للسجاوندي، وقال السهيلي في «كتاب الأمالي» في بيان فائدة كون أبواب النار سبعة: وجدنا الأديان كما ذكر في التفسير سبعة: واحد للرحمن وستة للشيطان فالتي للشيطان اليهودية والنصرانية والصابئية وعبادة الأوثان والمجوسية وأمم لا شرع لهم ولا يقولون نبوة وهم الدهرية فكأنهم كلهم على دين واحد أعني الدهرية، وكل من لا يصدق برسول فهؤلاء ستة أصناف؛ والصنف السابع: هو من أهل التوحيد كالخوارج الذين هم كلاب النار وجميع أهل البدع المضلة والجبابرة الظلمة والمصرون على الكبائر من غير توبة ولا استغفار فإن فيهم من ينفذ فيه الوعيد ومنهم من يعفو الله عنه فهؤلاء كلهم صنف واحد غير أنه لا يحتم عليهم بالخلود فيها فهؤلاء سبعة أصناف ستة مخلدون في النار وصنف واحد غير مخلد وهم منتزعون يوم القيامة من أهل دين الرحمن، ثم يخرجون بالشفاعة فقد وافق عدد الأبواب عدد هذه الأصناف وتبينت الحكمة في ذكرها في القرآن لما فيها من التخويف والإرهاب فنسأل الله العفو والعافية والمعافاة، وفي بعض التفاسير الإشراك: هو إثبات الشريك لله تعالى في الألوهية سواء كانت بمعنى وجوب الوجود أو استحقاق العبادة لكن أكثر المشركين لم يقولوا بالأول لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] فقد يطلق ويراد به مطلق الكفر بناء على أن الكفر لا يخلو عن شرك ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ٤٨] فإن من المعلوم في الدين أنه تعالى لا يغفر كفر غير المشركين المشهورين من اليهود والنصارى فيكون المراد لا يغفر أن يكفر به،

وقد يطلق ويراد به عبدة الأصنام وغيرها فإن أريد الأول في قوله: ولو كره المشركون يكون إيراده ثانياً لوصفهم بوصف قبيح آخر، وإن أريد الثاني فلعل إيراد الكافرين أولاً لما أن إتمام الله نوره يكون بنسخ غير الإسلام والكافرون كلهم يكرهون ذلك، وإيراد المشركين ثانياً لما أن إظهار دين الحق يكون بإعلاء كلمة الله وإشاعة التوحيد المنبىء عن بطلان الآلهة الباطلة وأشد الكارهين لذلك المشركون والله أعلم بكلامه.

وفي «التأويلات النجمية»: هو الذي أرسل رسول القلب إلى أمة العالم الأصغر الذي هو المملكة الأنفسية الإجمالية المضاهية للعالم الأكبر، وهو المملكة الآفاقية التفصيلية بنور الهداية الأزلية ودين الحق الغالب على جميع الأديان، وهو الملة الحنيفية السهلة السمحاء ولو كره المشركون الذين أشركوا مع الحق غيره وما عرفوا أن الغير والغيرية من الموهومات التي أوجدتها قوة الوهم وإلا ليس في الوجود إلا الله وصفاته انتهى.

قال الكمال الخجندي:

لـه فـي كـل مـوجـود عـلامـات وآثـار	دوعالم پرزمعشوقست كويك عاشق صادق

وقال المولى الجامي:

كـرتـويـى جـمـلـه درفـضـاى وجـود	هـم خـود انـصـاف ده بـكـو حـق كـو
درهـمـه اوسـت پـيـش چـشـم شـهـود	چـيـسـت پـنـدارى هـسـتـى مـن وتـو

يقول الفقير: هذه الكلمات المنبئة عن وحدة الوجود قد اتفق عليها أهل الشهود قاطبة فالطعن لواحد منهم بأن وجودي طعن لجميعهم، وليس الطعن إلا من الحجاب الكثيف والجهل العظيم وإلا فالأمر أظهر على البصير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم﴾ آيا دلالت كنم شمارا **﴿على تجارة﴾** سيأتي بيان معناها. **﴿تنجيكم﴾** أن تكون سبباً لإنجاء الله إياكم وتخليصه، وأفادت الصفة المقيدة أن من التجارة ما يكون على عكسها كما أشار إليها قوله تعالى ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩] فإن بوار التجارة وكسادها يكون لصاحبها عذاباً أليماً كجمع المال وحفظه ومنع حقوقه، فإنه وبال في الآخرة فهي تجارة خاسرة، وكذا الأعمال التي لم تكن على وجه الشرع والسنة أو أريد بها غير الله. **﴿من عذاب أليم﴾** أي: مؤلم جسماني وهو ظاهر وروحاني وهو التحسر والتضجر كأنهم قالوا: كيف نعمل أو ماذا نصنع فقيل: **﴿تؤمنون بالله ورسوله﴾** مراد آنست كه ثابت باشيد برايمان كه داريد. **﴿وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم﴾** بما لهاى خودكه زاد وسلاح مجاهدان خريد. **﴿وأنفسكم﴾** وبنفسهاى خود كه متعرض قتل وحرب شويد. قدم الأموال لتقدمها في الجهاد أو للترقي من الأدنى إلى الأعلى، وقال بعضهم: قدم ذكر المال لأن الإنسان ربما يضن بنفسه، ولأنه إذا كان له مال فإنه يؤخذ به النفس لتغزو وهذا خبر في معنى الأمر جيء به للإيذان بوجوب الامتثال فكأنه وقع فأخبر بوقوعه، كما تقول: غفر الله لهم ويغفر الله لهم جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت وقس عليه نحو: سلمكم الله وعافاكم الله وأعاذكم الله وفي الحديث: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» ومعنى الجهاد

بالألسنة إسماعهم ما يكرهونه ويشق عليهم سماعه من هجو وكلام غليظ ونحو ذلك، وأخر الجهاد بالألسنة لأنه أضعف الجهاد وأدناه ويجوز أن يقال إن اللسان أحد وأشد تأثيراً من السيف والسنان قال علي رضي الله عنه:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتأم ما جرح اللسان

فيكون من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى، وكان حسان رضي الله عنه يجلس على المنبر فيهجو قريشاً بإذن رسول الله عليه السلام ثم إن التجارة التصرف في رأس المال طلباً للربح والتاجر الذي يبيع ويشتري، وليس في كلام العرب تاء بعدها جيم غير هذه اللفظة، وأما تجاه فأصلها وجاه وتجوب وهي قبيلة من حمير فالتاء للمضارعة.

قال ابن الشيخ: جعل ذلك تجارة تشبيهاً له في الاشتمال على معنى المبادلة والمعاوضة طمعاً لنيل الفضل والزيادة فإن التجارة هي معاوضة المال بالمال لطمع الربح والإيمان والجهاد شبهاً بها من حيث إن فيهما بذل النفس والمال طمعاً لنيل رضى الله تعالى والنجاة من عذابه. قال الحافظ:

فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

﴿ذلكم﴾ أي: ما ذكر من الإيمان والجهاد بقسميه ﴿خير لكم﴾ على الإطلاق أو من أموالكم وأنفسكم ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أي: إن كنتم من أهل العلم فإن الجهلة لا يعتد بأفعالهم أو إن كنتم تعلمون أنه خير لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون، فعلى العاقل تبديل الفاني بالباقي فإنه خير له، وجاء رجل بناقة مخطومة وقال: هذه في سبيل الله فقال عليه السلام: لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة». بزركى فرموده كه اصل مرابحه درين تجارت اينست كه غير حق رابدهى وحق را بستانى ودر نفحات ازابى عبد الله اليسرى قدس سره نقل ميكند كه پسروى آمد وكفت سبوى روغن داشتم كه سرمايه من بود ازخانه بيرون مى آوردم بيفتادوبشكست وسرمايه من ضايع شد كفت أي: فرزند سرمايه خود آن سازكه سرمايه پدرتست والله كه پدر ترا هيچ نيست دردنيا وآخرت غير الله شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري قدس سره فرمودكه سود تمام آن بودكه پدرش هم نبودى اشارت بمرتبة فناست درباختن سود وسرمايه در بازار شوق لقا:

تاچند ببازار خودى پست شوى بشتاب كه از جام فنامست شوى

ازمايه سود دوجهان دست بشوى سود توهمان به كه تهى دست شوى

ودخل في الآية جهاد أهل البدعة وهم ثنتان وسبعون فرقة ضالة آن كافر خرابى حصن اسلام خواهد اين مبتدع ويرانى حصار سنت جويد آن شيطان در تشويش ولايت دل كوشد اين هواى نفس زيرو زبرىء دين توخواهد حق تعالى ترابر هريكى ازين دشمنان سلاحى داده تا اورابدان قهر كنى قتال با كافران بشمشير سياست است وبا مبتدعان بتيغ زبان وحجت وبا شيطان بمداومت ذكر حق وتحقيق كلمه وبا هواى نفس بتير مجاهده وسنان رياضت اينست بهين اعمال بنده وكزيده طاعات رونده چنانچه رب العزة كفت ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ وقال بعض الكبار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الممتحنة: ١٠] بالإيمان التقليدي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الصف: ١٠، ١١] أي: تحقيقاً

ويقيناً استدلالياً، وبعد صحة الاستدلال تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم لأن بذل المال والنفس في سبيل الله لا يكون إلا بعد اليقين.

واعلم أن التوحيد إما لساني وإما عياني، أما التوحيد اللساني: المقترن بالاعتقاد الصحيح فأهله قسمان: قسم بقوا في التقليد الصرف ولم يصلوا إلى حد التحقيق فهم عوام المؤمنين، وقسم تشبثوا بذيل الحجج والبراهين النقلية والعقلية فهؤلاء وإن خرجوا عن حد التقليد الصرف لكنهم لم يصلوا إلى نور الكشف والعيان كما وصف أهل الشهود والعرفان، وأما التوحيد العياني: فعلى مراتب المرتبة الأولى توحيد الأفعال، والثانية توحيد الصفات، والثالثة توحيد الذات فمن تجلى له الأفعال توكل واعتصم، ومن تجلى له الصفات رضي وسلم ومن وصل إلى تجلي الذات فني في الذات بالمحو والعدم.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿يغفر لكم ذنوبكم﴾ في الدنيا وهو جواب الأمر المدلول عليه بلفظ الخبر ويجوز أن يكون جواباً لشرط أو لاستفهام دل عليه الكلام تقديره أن تؤمنوا وتجاهدوا أو هل تقبلون وتفعلون ما دللتكم عليه يغفر لكم، وجعله جواباً لهل أدلكم بعيد لأن مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة **﴿ويدخلكم﴾** في الآخرة **﴿جنات﴾** أي: كل واحد منكم جنة ولا بعد من لطفه تعالى أن يدخله جنات بأن يجعلها خاصة له داخلة تحت تصرفه والجنة في اللغة البستان الذي فيه أشجار متكاثفة مظلة تستر ما تحتها. **﴿تجري من تحتها﴾** أي: من تحت أشجارها بمعنى تحت أغصان أشجارها في أصولها على عروقها أو من تحت قصورها وغرفها **﴿الأنهار﴾** من اللبن والعسل والخمر والماء الصافي. **﴿ومساكن طيبة﴾** أي: ويدخلكم مساكن طيبة ومنازل نزهته كائنة **﴿في جنات عدن﴾** أي: إقامة وخلود بحيث لا يخرج منها من دخلها بعارض من العوارض وهذا الظرف صفة مختصة بمساكن، وهي: جمع مسكن بمعنى المقام والسكون ثبوت الشيء بعد تحرك ويستعمل في الاستيطان يقال: سكن فلان في مكان كذا استوطنه، واسم المكان: مسكن فمن الأول يقال: سكنت ومن الثاني يقال: سكنته قال الراغب: أصل الطيب ما يستلذه الحواس، وقوله: **﴿ومساكن طيبة في جنات عدن﴾** أي: طاهرة زكية مستلذة وقال بعضهم: طيبتها سعتها ودوام أمرها وسئل رسول الله ﷺ عن هذه المساكن الطيبة فقال: «قصر من لؤلؤ في الجنة في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء في كل بيت سبعون وصيفاً ووصيفة قال: فيعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله» قال في «الكبير»: أراد بالجنات البساتين التي يتناولها الناظر لأنه تعالى قال بعده **﴿ومساكن طيبة في جنات عدن﴾**، والمعطوف يجب أن يكون مغايراً للمعطوف عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين ويكون فائدة وصفها بأنها عدن أنها تجري مجرى الدار التي يسكنها الإنسان، وأما الجنات الأخر فهي جارية مجرى البساتين التي قد يذهب الإنسان إليها لأجل التنزه وملاقاة الأحباب، وفي بعض

التفاسير: تسمية دار الثواب كلها بالجنات التي هي بمعنى البساتين لاشتمالها على جنات كثيرة مترتبة على مراتب بحسب استحقاقات العالمين من الناقصين والكاملين، ولذلك أتى بجنات جمعاً منكراً ثم اختلفوا في عدد الجنات المشتملة على جنات متعددة فالمروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها سبع: جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على تفاوت الأعمال والعمال.

ـ وروي ـ عنه أنها ثمان: دار الجلال ودار القرار ودار السلام وجنة عدن وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم، وقال أبو الليث: الجنان أربع: كما قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦] ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن: ٦٢] فذلك جنان أربع إحداهن جنة الخلد، والثانية جنة الفردوس، والثالثة جنة المأوى، والرابعة جنة عدن وأبوابها ثمانية بالخبر وخازن الجنة يقال: له رضوان، وقد ألبسه الله الرأفة والرحمة كما أن خازن النار ويقال له: مالك، قد ألبسه الله الغضب والهيبة، وميل الإمام الغزالي رحمه الله إلى كون الجنان أربعاً فلعل الجنات في الآية باعتبار الأفراد لا باعتبار الأسماء وما يستفاد من قلتها بحسب أن الجمع السالم من جموع القلة ليس بمراد فإنها في الوجود الإنساني أربع جنان فالغالب في الجنة الأولى التنعم بمقتضى الطبيعة من الأكل والشرب والوقاع، وفي الثانية التلذذ بمقتضى النفس كالتصرفات، وفي الثالثة التلذذ بالأذواق الروحانية كالمعارف الإلهية، وفي الرابعة التلذذ بالمشاهدات وذلك أعلى اللذات لأنها من الخالق وغيرها من المخلوق، إن قلت لِمَ لم تذكر أبواب الجنة في القرآن وإنها ثمانية كما ذكرت أبواب النار كما قال تعالى ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [الحجر: ٤٤] قلت: إن الله سبحانه إنما يذكر من أوصاف الجنة ما فيه تشويق إليها وترغيب فيها وتنبيه على عظم نعيمها وليس في كونها ثمانية أو أكثر من ذلك أو أقل زيادة في معنى نعيمها بل لو دخلوا من باب واحد أو من ألف باب لكان ذلك سواء في حكم السرور بالدخول، ولذلك لم يذكر اسم خازن الجنة إذ لا ترغيب في أن يخبر عن أهل الجنة أنهم عند فلان من الملائكة أو في كرامة فلان، وقد قال: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] ولا شك أن من حدثت عنه أنه عند الملك يسقيه أبلغ في الكرامة من أن يقال: هو عند خادم من خدام الملك أو في كرامة ولي من أوليائه بخلاف ذكر أبواب النار، وذكر مالك فإن فيه زيادة ترهيب قال سهل قدس سره: أطيب المساكن ما أزال عنهم جميع الأحزان وأقر أعينهم بمجاورته فهذا الجوار فوق سائر الجوار، وقال بعضهم: ومساكن طيبة برؤية الحق تعالى فإن المساكن إنما تطيب بملاقاة الأحباب ورؤية العاشق جمال المعشوق ووصول المحب إلى صحبة المحبوب وكذا مساكن القلوب إنما تطيب بتجلي الحق ولقاء جماله، جعلنا الله وإياكم من أهل الوصول واللقاء والبقاء ﴿**ذلك**﴾ أي: ما ذكر من المغفرة وإدخال الجنات المذكورة بما ذكر من الأوصاف الجميلة. ﴿**الفوز العظيم**﴾ الذي لا فوز وراءه قال بعض المفسرين: الفوز يكون بمعنى النجاة من المكروه وبمعنى الظفر بالبغية والأول يحصل بالمغفرة، والثاني بإدخال الجنة والتنعيم فيها وعظمه باعتبار أنه نجاة لا ألم بعده وظفر لا نقصان فيه شاناً وزماناً ومكاناً لأنه في غاية الكمال على الدوام في مقام النعيم، اعلم أن الآية الكريمة أفادت أن التجارة دنيوية وأخروية فالدنيا موسم التجارة والعمر مدتها والأعضاء والقوى رأس المال والعبد هو المشتري من وجه والبائع من وجه فمن صرف رأس ماله إلى المنافع الدنيوية التي تنقطع عند الموت

فتجارته دنيوية كاسدة خاسرة، وإن كان بتحصيل علم ديني أو كسب عمل صالح فضلاً عن غيرهما فإنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى، ومن صرفه إلى المقاصد الأخروية التي لا تنقطع أبداً فتجارته رائجة رابحة حرية بأن يقال: ﴿فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، ولعل المراد من التجارة هنا بذل المال والنفس في سبيل الله وذكر الإيمان لكونه أصلاً في الأعمال ووسيلة في قبول الآمال وتوصيف التجارة بالإنجاء لأن النجاة يتوقف عليها الانتفاع فيكون قوله تعالى: ﴿يغفر لكم﴾ بيان سبب الإنجاء وقوله: ويدخلهم بما يتعلق به بيان المنفعة الحاصلة من التجارة مع أن التجارة الدنيوية تكون سبباً للنجاة من الفقر المنقطع، والتجارة الأخروية تكون سبباً للنجاة من الفقر الغير المنقطع قال عليه السلام: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» يعني: أن نعمتي الصحة والفراغ كرأس المال للمكلف فينبغي أن يعامل الله بالإيمان به وبرسوله ويجاهد مع النفس لئلا يغبن ويربح في الدنيا والآخرة ويجتنب معاملة الشيطان لئلا يضيع رأس ماله مع الربح. قال الحافظ:

كاري كنيم ورنه خجالت براورد ... روزى كه رخت جان بجهان دكر كشيم

وقال أيضاً:

كوهر معرفت اندوزكه يا خود ببرى ... كه نصيب دكر انست نصاب زروسيم

وقال أيضاً:

دلا دلالت خيرت كنم براه نجات ... مكن بفسق مباهات وزهدهم مفروش

وقال المولى الجامي:

ازكسب معارف شده مشغوف زخارف ... در هاى ثمين داده وخرمهره خريده

وقال:

جان فداى دوست كن جامى كه هست ... كمترين كارى درين ره بذل روح

﴿وأخرى﴾ أي: ولكم إلى هذه النعم العظيمة نعمة أخرى عاجلة فأخرى مبتدأ حذف خبره والجملة عطف على يغفر لكم على المعنى. ﴿تحبونها﴾ وترغبون فيها وفيه تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل وتوبيخ على محبته وهو صفة بعد صفة لذلك المحذوف. ﴿نصر من الله﴾ بدل أو بيان لتلك النعمة الأخرى يعني نصر من الله على عدوكم قريش وغيرهم. ﴿وفتح قريب﴾ أي: عاجل عطف على نصر. قال «الكاشفي»: مراد فتح مكة است يا فتح روم وفارس ابن عطا فرموده كه نصر توحيد است وفتح نظر بجمال ملك مجيد. وقد بين أنواع الفتوح في سورة الفتح فارجع. أشارت الآية إلى أن الإيمان الاستدلالي اليقيني وبذل المال والنفس بمقتضاه في طريق الجهاد الأصغر وإن كان تجارة رابحة إلا أن أصحابها لم يتخلصوا بعد من الأعواض والأغراض فللسالك إلى طريق الجهاد الأكبر تجارة أخرى فوق تلك التجارة أربح من الأولى هي نصر من الله بالتأييد الملكوتي والكشف النوري وفتح قريب الوصول إلى مقام القلب ومطالعة تجليات الصفات وحصول مقام الرضى؛ وإنما سماه تجارة لأن صفاتهم الظلمانية تبدل هناك بصفات الله النورانية وإنما قال: تحبونها لأن المحبة الحقيقية لا تكون إلا بعد الوصول إلى مقام القلب ومن دخل مقام المحبة بالوصول إلى هذا المقام فقد دخل في أول مقامات الخواص فالمعتبر من المنازل منزل المحبة، وأهله عبيد خلص لا يتوقعون الأجرة بعملهم بخلاف من تنزل عن منزلة المحبة فإنهم أجراء يعملون للأجرة، قال بعض العارفين مَن

عَبَدَ اللَّهَ رجاء للثواب وخوفاً من العقاب فمعبوده في الحقيقة هو الثواب والعقاب، والحق واسطة فالعبادة لأجل تنعم النفس في الجنة، والخلاص من النار معلول ولهذا قال المولى جلال الدين الرومي قدس سره:

هشت جنت هفت دوزخ پيش من … هست پيدا همچوبت پيش شمن

وقال بعضهم:

طاعت ازبهر جزا شرك خفيست … يا خدا جوباش ويا عقبى طلب

واعلم أن من جاهد فإنما يجاهد لنفسه لأنه يتخلص من الحجاب فيصل إلى الملك الوهاب **﴿وبشر المؤمنين﴾** عطف على محذوف مثل **﴿قل يا أيها الذين آمنوا﴾** وبشرهم يا أكمل الرسل بأنواع البشارة الدنيوية والأخروية فلهم من الله فضل وإحسان في الدارين، وكان في هذا دلالة على صدق النبي لأنه أخبر عما يحصل ويقع في المستقبل من الأيام على ما أخبره.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى تواتر النعم وتواليها وفتح مكة القلب بعد النصر بخراب بلدة النفس وبشر المؤمنين المحبين الطالبين بالنصر على النفس فتح مكة القلب انتهى. وفيه إشارة إلى أن بلدة النفس إنما تخرب بعد التأييد الملكوتي وإمداد جنود الروح بأن تغلب القوى الروحانية على القوى النفسانية كما يغلب أهل الإسلام على أهل الحرب فيخلصون القلعة من أيدي الكفار ويزيلون آثار الكفر والشرك بجعل الكنائس مساجد وبيوت الأصنام معابد ومساكن الكفار مقار المؤمنين المخلصين والله المعين على الفتح المطلق كل حين. **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله﴾** أي: أنصار دينه جمع نصير كشريف وأشراف **﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين﴾** سيأتي بيانهم **﴿من﴾** كيستند **﴿أنصاري إلى الله﴾** قال بعض المفسرين: من يحتمل أن يكون استفهاماً حقيقة ليعلم وجود الأنصار ويتسلى به ويحتمل العرض والحث على النصرة، وفيه دلالة على أن غير الله تعالى لا يخلو عن الاحتياج والاستنصار وأنه في وقته جائز حسن إذا كان لله في الله، والمعنى من جندي متوجهاً إلى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى: **﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾** فإن قوله عيسى لا يطابق جواب الحواريين بحسب الظاهر فإن ظاهر قول عيسى يدل على أنه يسأل من ينصره فكيف يطابقه جواب الحواريين بأنهم ينصرون الله، وأيضاً لا وجه لبقاء قول عيسى على ظاهره لأن النصرة لا تتعدى بإلى فحمل الأنصار على الجند لأنهم ينصرون ملكهم ويعينونه في مراده، ومراده عليه السلام نصرة دين الله فسأل من يتبعه ويعينه في ذلك المراد ويشاركه فيه، فقوله: متوجهاً حال من ياء المتكلم في جندي وإلى متعلق به لا بالنصرة والإضافة الأولى: إضافة أحد المتشاركين إلى الآخر لما بينهما من الاختصاص يعني الملابسة المخصصة للإضافة المجازية لظهور أن الاختصاص الذي تقتضيه الإضافة حقيقة غير متحقق في إضافة أنصاري، والإضافة الثانية: إضافة الفاعل إلى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى أي: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى: من أنصاري إلى الله أو قل لهم: كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون أصفياؤه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص، وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً قال مقاتل: قال الله لعيسى: إذا دخلت القرية فأت النهر الذي عليه القصارون فاسألهم النصرة فأتاهم عيسى، وقال من أنصاري إلى الله فقالوا: نحن ننصرك فصدقوه ونصروه.

وقال الكاشفي: وفي الواقع نصرت كردند دين عيسى رابعد از رفع وى وخلق را بخدا دعوت نمودند. فالحواريون كانوا قصارين وقيل: كانوا صيادين قال بعض العلماء: إنما سموا

حواريين: لصفاء عقائدهم عن التردد والتلوين، أو لأنهم كانوا يطهرون نفوس الناس بإفادتهم الدين والعلم المشار إليه بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وإنما قيل كانوا قصارين على التمثيل والتشبيه، وإنما قيل: كانوا صيادين لاصطيادهم نفوس الناس وقودهم إلى الحق، وقوله عليه السلام: «الزبير ابن عمتي وحواريي» وقوله يوم الأحزاب: «من يأتيني بخبر القوم فقال الزبير: أنا فقال عليه السلام: إن لكل نبي حوارياً وحواريي الزبير» فشبهه بهم في النصرة، وقال بعض المفسرين: دل الحديث على أن الحواريين ليسوا بمختصين بعيسى إذ هو في معنى الأصحاب الأصفياء، وقال معمر رضي الله عنه: كان بحمد الله لنبينا عليه السلام حواريون نصروه حسب طاقتهم وهم سبعون رجلاً وهم الذين بايعوه ليلة العقبة وقال السهيلي: كونوا أنصاراً لله فكانوا أنصاراً وكانوا حواريين، والأنصار الأوس والخزرج ولم يكن هذا الاسم قبل الإسلام حتى سماهم الله به، وكان له عليه السلام حواريون أيضاً من قريش مثل الخلفاء الأربعة والزبير وعثمان بن مظعون وحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب ونحوهم. ﴿فآمنت طائفة﴾ أي: جماعة وهي أقل من الفرقة لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢] ﴿من بني إسرائيل﴾ أي: آمنوا بعيسى وأطاعوه فيما أمرهم به من نصرة الدين ﴿وكفرت طائفة﴾ أخرى به وقاتلوه ﴿فأيدنا الذين آمنوا﴾ أي: قوينا مؤمني قومه بالحجة أو بالسيف وذلك بعد رفع عيسى ﴿على عدوهم﴾ أي: على الذين كفروا وهو الظاهر فإيراد العدو إعلام منه أن الكافرين عدو للمؤمنين عداوة دينية، وقيل: لما رفع عيسى عليه السلام تفرق القوم ثلاث فرق فرقة قالوا: كان الله فارتفع، وفرقة قالوا: كان ابن الله فرفعه الله إليه، وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله فرفعه الله وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله محمداً ﷺ فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى: ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا﴾ صاروا ﴿ظاهرين﴾ غالبين عالين يقال: ظهرت على الحائط علوته، وقال قتادة: فأصبحوا ظاهرين بالحجة والبرهان كم سبق لأنهم قالوا فيما روي: ألستم تعلمون أن عيسى عليه السلام كان ينام والله تعالى لا ينام وأنه يأكل ويشرب والله منزه عن ذلك، وفي الآية إشارة إلى غلبة القوى الروحانية على القوى النفسانية لأن القوى الروحانية مؤمنون متنورون بنور الله متقون عما سوى الله تعالى، والقوى النفسانية كافرون مظلمون بظلمة الأكوان متلوثون بالعلاقات المختلفة، ولا شك أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فبنور الإسلام والإيمان والتقوى والهدى يزيل ظلمة الشرك والكفر والتعلق والهوى مع أن أهل الإيمان وإن كانوا أقل من أهل الكفر في الظاهر لكنهم أكثر منهم في الباطن فهم السواد الأعظم والمظاهرالجمالية.

واعلم أن الجهاد دائم باق ماض إلى يوم القيامة أنفساً وآفاقاً لأن الدنيا مشتملة على أهل الجمال والجلال، وكذا الوجود الإنساني ما دام في هذا الموطن فإذا صار إلى الموطن الآخر فإما أهل جمال فقط وهو في الجنة، وإما أهل جلال فقط وهو في النار والله يحفظنا وإياكم.

تمت سورة الصف بعون الله تعالى في أواسط ذي الحجة
من شهور سنة خمس عشرة ومائة وألف

٦٢ ـ سورة الجمعة

إحدى عشرة آية مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾.

﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ جميعاً من حي وجامد تسبيحات مستمرة فما في السماوات هي البدائع العلوية وما في الأرض هي الكوائن السفلية فللكل نسبة إلى الله تعالى بالحياة والتسبيح **﴿الملك﴾** پادشاهى كه ملك او دائمست وبى زوال **﴿القدوس﴾** پاك از سمت عيب وصفت اختلال **﴿العزيز﴾** الغالب على كل ما أراد **﴿الحكيم﴾** صاحب الحكمة البديعة البالغة، وقد سبق معاني هذه الأسماء في سورة الحشر، والجمهور على جر الملك وما بعده على أنها صفات لاسم الله عز وجل.

يقول الفقير: بدأ الله تعالى هذه السورة بالتسبيح لما فيها من ذكر البعثة إذا خلا العالم من المرشد منافٍ للحكمة، ويجب تنزيه الله عنه ولما اشتملت عليه من بيان ادعاء اليهود كونهم أبناء الله وأحباءه، ولما ختمت به من ذكر ترك الذكر واستماع الخطبة المشتملة على الدعاء والحمد والتسبيح ونحو ذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني: ينزه ذاته المقدسة ما في سماوات المفهوم من مفهومات العامة ومفهومات الخاصة ومفهومات أخص الخاصة وما في أرض المعلوم من معلومات العامة ومعلومات الخاصة ومعلومات أخص الخاصة، وإنما أضفنا السماوات إلى المفهوم وأضفنا الأرض إلى المعلوم لفوقية رتبة الفهم على رتبة العلم وذلك قوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، ويدل على ذلك إصابة سليمان حقيقة المسألة المخصوصة بحسب نور الفهم لا بحسب قوة العلم وهو العزيز الذي يعز من يشاء بخلعة نور الفهم الحكيم الذي يشرف من يشاء بحكمته بلبسه ضياء العلم.

﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ② وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ③ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ④﴾

﴿هو الذي بعث في الأميين﴾ جمع أمي منسوب إلى أمة العرب وهم قسمان فعرب الحجاز من عدنان وترجع إلى إسماعيل عليه السلام وعرب اليمن ترجع إلى قحطان وكل منهم قبائل كثيرة، والمشهور عند أهل التفسير أن الأمي من لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وعند أهل

الفقه من لا يعلم شيئاً من القرآن كأنه بقي على ما تعلمه من أمه من الكلام الذي يتعلمه الإنسان بالضرورة عند المعاشرة، والنبي الأمي منسوب إلى الأمة الذين لم يكتبوا لكونه على عادتهم كقولك: عامي لكونه على عادة العامة، وقيل: سمي بذلك لأنه لم يكتب ولم يقرأ من كتاب وذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه واعتماده على ضمان الله له عنه بقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ [الأعلى: ٦]، وقيل: سمي بذلك لنسبته إلى أم القرى، وفي «كشف الأسرار»: سمي العرب أميين لأنهم كانوا على نعت أمهاتهم مذ كانت بلا خط ولا كتاب نسبوا إلى ما ولدوا عليه من أمهاتهم لأن الخط والقراءة والتعليم دون ما جبل الخلق عليه، ومن يحسن الكتابة من العرب فإنه أيضاً أمي لأنه لم يكن لهم في الأصل خط ولا كتابة، قيل: بدئت الكتابة بالطائف تعلمها ثقيف وأهل الطائف من أهل الحيرة بكسر الحاء وسكون المثناة من تحت بلد قرب الكوفة، وأهل الحيرة أخذوها من أهل الأنبار وهي مدينة قديمة على الفرات بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، ولم يكن في أصحاب رسول الله عليه السلام كاتب إلا حنظلة الذي يقال له: غسيل الملائكة ويسمى حنظلة الكاتب ثم ظهر الخط في الصحابة بعد في معاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت وكانا يكتبان لرسول الله عليه السلام وكان له كتاب أيضاً غيرهما، واختلفوا في رسول الله عليه السلام أنه هل تعلم الكتابة بآخرة من عمره أو لا لعلمائنا فيه وجهان وليس فيه حديث صحيح، ولما كان الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بالآلة الجسمانية لم يحتج إليه من كان القلم الأعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره وعدم كتابته مع علمه بها معجزة باهرة له عليه السلام إذ كان يعلم الكتاب علم الخط وأهل الحرف حرفتهم، وكان أعلم بكل كمال أخروي أو دنيوي من أهله ومعنى الآية **﴿هو الذي بعث في الأميين﴾** أي: في العرب لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم فغلب الأكثر، وإنما قلنا: أكثرهم لأنه كان فيهم من يكتب ويقرأ وإن كانوا على قلة. **﴿رسولاً﴾** كائناً **﴿منهم﴾** أي: من جملتهم ونسبهم عربياً أمياً مثلهم. تارسالت اوازتهمت دور باشد فوجه الامتنان مشاكلة حاله لأحوالهم ونفى التعلم من الكتب فهم يعلمون نسبه وأحواله. ودر كتاب شعيا عليه السلام مذكور است كه إني أبعث أمياً في الأميين وأختم به النبيين. قال الكاشفي: ودر اميت آن حضرت عليه السلام نكتهاست ايجا بسه بيت اختصار ميررد:

فيض ام الكتاب پروردش ... لقب امى ازان خدا كردش
لوح تعليم نا كرفته ببر ... همه زاسرار لوح داده خبر
برخط اوست انس وجانراسر ... كه نخواندست خط ازان چه خطر

والبعث في الأميين لا ينافي عموم دعوته عليه السلام فالتخصيص بالذكر لا مفهوم له ولو سلم فلا يعارض المنطوق مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] على أنه فرق بين البعث في الأميين والبعث إلى الأميين فبطل احتجاج أهل الكتاب بهذه الآية على أنه عليه السلام كان رسول الله إلى العرب خاصة ورد الله بذلك ما قال اليهود للعرب طعناً فيه نحن أهل الكتاب وأنتم أميون لا كتاب لكم. **﴿يتلو عليهم آياته﴾** أي: القرآن مع كونه أمياً مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم والفرق بين التلاوة والقراءة أن التلاوة قراءة القرآن متتابعة كالدراسة والأوراد والقراءة أعم لأنها جمع الحروف باللفظ لا اتباعها. **﴿ويزكيهم﴾** صفة أخرى لرسولاً معطوفة على يتلو أي يحملهم على ما يصيرون به أزكياء من خبائث العقائد

والأعمال وفيه إشارة إلى قاعدة التسليك فإن المزكي في الحقيقة وإن كان هو الله تعالى كما قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩] إلا أن الإنسان الكامل مظهر الصفات الإلهية جميعاً ويؤيد هذا المعنى إطلاق نحو قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] **﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾** قال في «الإرشاد»: صفة أخرى لرسولاً مترتبة في الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصلة بالعلم المترتب على التلاوة للإيذان بأن كلاً من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر، فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر إلى الفهم كون الكل نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة رمزاً إلى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة انتهى. وقال بعضهم: ويعلمهم القرآن والشريعة وهي ما شرع الله لعباده من الأحكام أو لفظه ومعناه أو القرآن والسنة كما قاله الحسن أو الكتاب الخط كما قاله ابن عباس أو الخير والشر كما قاله ابن إسحاق والحكمة الفقه كما قاله مالك أو العظة كما قاله الأعمش أو كتاب أحكام الشريعة وأسرار آداب الطريقة وحاصل معانيه الحكمية والحكمية، ولكن تعليم حقائق القرآن وحكمه مختص بأولي الفهم وهم خواص الأصحاب رضي الله عنهم وخواص التابعين من بعدهم إلى قيام الساعة، لكن معلم الصحابة عموماً وخصوصاً هو النبي عليه السلام بلا واسطة ومعلم التابعين قرناً بعد قرن هو عليه السلام أيضاً لكن بواسطة ورثة أمته وكمل أهل دينه وملته ولو لم يكن سوى هذا التعليم معجزة لكفاه.

قال البوصيري في القصيدة البردية:

كفاك بالعلم في الأمي معجزة ... في الجاهلية والتأديب في اليتم

أي: كفاك العلم الكائن في الأمي في وقت الجاهلية وكفاك أيضاً تنبيهه على الآداب لعلمه بها في وقت اليتم معجزة. **﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾** إن: ليست شرطية ولا نافية بل هي المخففة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى: وأن الشأن كان الأميون من قبل بعثته ﷺ ومجيئه لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية لا ترى ضلالاً أعظم منه وهو بيان لشدة افتقارهم إلى من يرشدهم وإزاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه السلام من الغير، فإن المبعوث فيهم إذا كانوا في ضلال قبل البعثة زال توهم أنه تعلم ذلك من أحد منهم. قال سعدي المفتي: والظاهر أن نسبة الكون في الضلال إلى الجميع من باب التغليب وإلا فقد كان فيهم مهتدون مثل ورقة بن نوفل وزيد بن نفيل وقس بن ساعدة وغيرهم ممن قال رسول الله عليه السلام: في كل منهم يبعث أمة وحده.

يقول الفقير: هو اعتراض على معنى الإزاحة المذكورة لكنه ليس بشيء فإن اهتداء من ذكره من نحو ورقة إنما كان في باب التوحيد فقط فقد كانوا في ضلال من الشرائع والأحكام، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧] مع أنه عليه السلام لم يصدر منه قبل البعثة شرك ولا غيره من شرب الخمر والزنى واللغو واللهو فكونهم مهتدين من وجه لا ينافي كونهم ضالين من وجه آخر دل على هذا المعنى قوله تعالى: **﴿يتلو عليهم﴾** إلخ فإن بالتلاوة وتعليم الأحكام والشرائع حصل تزكية النفس والنجاة من الضلال مطلقاً فاعرفه.

﴿وآخرين منهم﴾ جمع آخر بمعنى غير وهو عطف على الأميين أي: بعثه في الأميين الذين

على عهده وفي آخرين من الأميين أو على المنصوب في يعلمهم، أي: يعلمهم ويعلم آخرين منهم وهم الذين جاؤوا من العرب فمنهم متعلق بالصفة لآخرين أي: وآخرين كائنين منهم مثلهم في العربية والأمية وإن كان المراد العجم فمنهم يكون متعلقاً بآخرين. قال الكاشفي: أصح اقوال آنست كه هركه باسلام در آمده ودرمى آيد بعد از وفات آن حضرت عليه السلام همه درين آخرين داخلند. فيكون شاملاً لكل من أسلم وعمل صالحاً إلى يوم القيامة من عربي وعجمي وفي الحديث: «إن في أصلاب رجال من أمتي رجالاً ونساء يدخلون الجنة بغير حساب» ثم تلا الآية ﴿لما يلحقوا بهم﴾ صفة لآخرين أي: لم يلحقوا بالأميين بعد ولم يكونوا في زمانهم وسيلحقون بهم ويكونون بعدهم عرباً وعجماً وذلك لما أن منفي لما لا بد أن يكون مستمر النفي في الحال. وأن يكون متوقع الثبوت بخلاف منفي لم فإنه يحتمل الاتصال نحو: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]، والانقطاع مثل ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] ولهذا جاز لم يكن ثم كان ولم يجز لما يكن ثم كان بل يقال: لما يكن وقد يكون.

- روى - سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قال: «رأيتني أسقي غنماً سوداً ثم أتبعتها غنماً عفراً أولها يا أبا بكر فقال: يا نبي الله أما السود فالعرب وأما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال عليه السلام: كذلك أولها الملك» يعني جبرائيل عليه السلام يقال: شاة عفراء يعلو بياضها حمرة ويجمع على عفر مثل سوداء وسود وقيل لما يلحقوا بهم في الفضل والمسابقة لأن التابعين لا يدركون شيئاً مع الصاحبة، وكذلك العجم مع العرب ومن شرائط الدين معرفة فضل العرب على العجم وحبهم ورعاية حقوقهم وفي الآية دليل على أن رسول الله ﷺ رسول نفسه وبلاغه حجة لأهل زمانه ومن بلغ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧]. ﴿وهو العزيز﴾ المبالغ في العزة والغلبة ولذلك مكن رجلاً أمياً من ذلك الأمر العظيم ﴿الحكيم﴾ المبالغ في الحكمة ورعاية المصلحة ولذلك اصطفاه من بين كافة البشر. ﴿ذلك﴾ الذي امتاز به من بين سائر الأفراد وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغوابر ﴿فضل الله﴾ وإحسانه. ﴿يؤتيه من يشاء﴾ تفضلاً وعطية لا تأثير للأسباب فيه فكان الكرم منه صرفاً لا تمازجه العلل ولا تكسبه الحيل. ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة وفي «كشف الأسرار» والله ذو الفضل العظيم على محمد وذو الفضل العظيم على الخلق بإرسال محمد إليهم وتوفيقهم لمبايعته انتهى.

يقول الفقير: وأيضاً ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ على أهل الاستعداد من أمة محمد بإرسال ورثة محمد في كل عصر إليهم وتوفيقهم للعمل بموجب إشاراتهم ولولا أهل الإرشاد والدلالة لبقي الناس كالعميان لا يدرون أين يذهبون وإنما كان هذا الفضل عظيماً لأن غايته الوصول إلى الله العظيم؛ وقال بعض الكبار: ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ إذ جميع الفضائل الأسمائية تحت الاسم الأعظم وهو جامع أحدية جميع الأسماء وقيل لرسول الله ﷺ: «ذهب أهل الدثور بالأجور فقال: قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقالوها: وقالها الأغنياء: فقيل: إنهم شاركونا قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء». وفي بعض الروايات إذا قال الفقير: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصاً، وقال الغني: مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير في فضله وتضاعف الثواب وإن أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها. قال الشيخ سعدي قدس سره:

نقنطار زر بخش كردن زكنج نباشد چو قيراطى ازدست رنج

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

﴿**مثل الذين حملوا التوراة**﴾ أي: علموها وكلفوا العمل بها وهم اليهود ومثلهم صفتهم العجيبة ﴿**ثم لم يحملوها**﴾ أي: لم يعملوا بما في تضاعيفها من الآيات التي من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله عليه السلام واقتنعوا بمجرد قراءتها ﴿**كمثل الحمار**﴾ الكاف فيه زائدة كما في «الكواشي» والحمار: حيوان معروف يعبر به عن الجاهل كقولهم: هو أكفر من الحمير أي: أجهل لأن الكفر من الجهالة فالتشبيه به لزيادة التحقير والإهانة ولنهاية التهكم والتوبيخ بالبلادة، إذ الحمار يذكر بها والبقر وإن كان مشهوراً بالبلادة إلا أنه لا يلائم الحمل:

تعلم يا فتى فالجهل عار ولا يرضى به إلا حمار

﴿**يحمل أسفاراً**﴾ أي: كتباً من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل، إما حال والعامل فيها معنى المثل أو صفة للحمار إذ ليس المراد معيناً فإن المعرف بلام العهد الذهني في حكم النكرة كما في قول من قال: ولقد أمر على اللئيم يسبني، والأسفار: جمع سفر بكسر السين وهو الكتاب كشبر وأشبار. قال الراغب: السفر الكتاب الذي يسفر عن الحقائق أي: يكشف وخص لفظ الأسفار في الآية تنبيهاً على أن التوراة وإن كانت تكشف عن معانيها إذا قرئت وتحقق ما فيها فالجاهل لا يكاد يستبينها كالحمار الحامل لها، وفي «القاموس»: السفر الكتاب الكبير أو جزء من أجزاء التوراة وفي هذا تنبيه من الله على أن ينبغي لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه ويعمل به لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء. قال الشيخ سعدي: مراد از نزول قرآن تحصيل سيرت خوبست نه ترتيل سورة مكتوب:

علم چندانكه بيشتر خوانى چون عمل درتونيست نادانى
نه محقق بود نه دانشمند چار پايى بروكتابى چند
آن تهى مغزرا چه علم وخبر كه بروهيز مست يا دفتر

وقال الكاشفي:

كفت ايزد يحمل اسفاره بار باشد علم كان نبود زهو
علمهاى اهل دل حمالشان علمهاى اهل تن احمالشان
علم چون بردل زنديارى بود علم چون كل زندبارى بود
چون بدل خوانى زحق كيرى سبق چون بكل خوانى سيه سازى ورق

وفي «التأويلات النجمية»: يعني مثل يهود النفس في حمل توراة العلم والمعرفة بصحة رسالة القلب وعدم اتباع رسومه وأحكامه كمثل حمار البدن في حمله أثقال الأمتعة النفسية والأقمشة الشريفة والملابس الفاخرة والطيالس الناعمة، فكما أن حمار البدن لا يعرفها ولا يعرف شرفها ولا كرامتها كذلك يهود النفس لا تعرف رفعة رسول القلب ولا رتبته ونعم ما يحكى عن بعض الظرفاء أنه حضر دعوة لطعام فلم يلتفتوا إليه وأجلسوه في مكان نازل ثم إنه خرج واستعار ألبسة نفيسة وعاد إلى المجلس فلما رأوه على زي الأكابر عظموه وأجلسوه فوق الكل فلما حضر الطعام قال: ذلك الظريف خطابا لكمه كل والكم لا يدري ما الطعام، وما

اللذة لكن نظر أهل الصورة مقصور على الظاهر لا يرون الفضل إلا بالزخارف والزين فما أبعد هؤلاء عن إدراك المعاني والحقائق. ﴿**بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله**﴾ أي: بئس مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على أن التمييز محذوف والفاعل المفسر له مستتر والمذكور هو المخصوص بالذم وهم اليهود الذين كفروا بما في التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد عليه السلام. ﴿**والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ الواضعين للتكذيب في موضع التصديق أو الظالمين لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد باختيار الضلالة على الهداية والشقاوة على السعادة والعداوة على العناية كاليهود ونظائرهم، وفيه تقبيح لهم بتشبيه حالهم بحال الحمار والمشبه بالقبيح قبيح وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]، فصوت الجاهل والمدعي منكر كصوت الحمار وأضل وأنزل فهو ضار محض وفي الحمار نفع لأنه يحمل الأثقال ويركبه النساء والرجال وقد قال في حياة الحيوان: إن اتخذ خاتم من حافر الحمار الأهلي ولبسه المصروع لم يصرع ثم إن في الحمار شهوة زائدة على شهوات سائر الحيوانات وهي من الصفات الطبيعية البهيمية، فمن أبدلها بالعفة نجا وسلم من التشبيه المذكور وكم ترى من العلماء الغير العاملين أن أعينهم تدور على نظر الحرام ومع ما لهم من النكاح يتجاوزون إلى الزنى لعدم إصلاح قوتهم الشهوية بالشريعة فإن الشريعة أقوالهم لا أعمالهم وأحوالهم نسأل الله العصمة مما يوجب المقت والنقمة إنه ذو المنة والفضل والنعمة.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿**قل يا أيها الذين هادوا**﴾ من هاد يهود إذا تهود أي: تهودوا والتهود جهود شدن ودين جهود داشتن وبالفارسية: ايشان كه جهود شديد وازراه راست بكشتيد. فإن المهاداة الممايلة ولذا قال بعض المفسرين: أي: مالوا عن الإسلام والحق إلى اليهودية وهي من الأديان الباطلة كما سبق قال الراغب: الهود الرجوع برفق وصار في التعارف التوبة قال بعضهم: يهود في الأصل من قولهم: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: تبنا وكان اسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لهم وإن لم يكن فيه معنى المدح، كما أن النصارى في الأصل من قولهم: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] ثم صار لازماً لهم بعد نسخ شريعتهم ثم إن الله تعالى خاطب الكفار في أكثر المواضع بالواسطة ومنها هذه الآية لأنهم أدخلوا الواسطة بينهم وبين الله تعالى وهي الأصنام، وأما المؤمنون فإن الله تعالى خاطبهم في أغلب المواضع بلا واسطة مثل يا أيها الذين آمنوا لأنهم أسقطوا الوسائط فأسقط الله بينه وبينهم الواسطات. ﴿**إن زعمتم**﴾ الزعم: هو القول بلا دليل والقول بأن الشيء على صفة كذا قولاً غير مستند إلى وثوق نحو زعمتك كريماً، وفي «القاموس»: الزعم مثلثة القول الحق والباطل والكذب ضد وأكثر ما يقال فيما يشك فيه انتهى. فبطل ما قال بعضهم من أن الزعم بالضم بمعنى اعتقاد الباطل وبالفتح بمعنى قول الباطل، قال الراغب: الزعم: حكاية قول يكون مظنة للكذب ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلون به وقيل للمتكفل والرئيس: زعيم للاعتقاد في قولهم إنه مظنة للكذب. ﴿**أنكم أولياء الله**﴾ جمع ولي بمعنى

الحبيب ﴿من دون الناس﴾ صفة أولياء أي: من دون الأميين وغيرهم ممن ليس من بني إسرائيل، وقال بعضهم: من دون المؤمنين من العرب والعجم يريد بذلك ما كانوا يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] ويدعون أن الدار الآخرة لهم عند الله خالصة وقالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة: ١١١] فأمر رسول الله عليه السلام بأن يقول لهم إظهاراً لكذبهم: إن زعمتم ذلك. ﴿فتمنوا الموت﴾ أي: فتمنوا من الله أن يميتكم من دار البلية إلى دار الكرامة وقولوا: اللهم أمتنا والتمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها، وبالفارسية: آرزو خواستن. قال بعضهم: الفرق بين التمني والاشتهاء أن التمني أعم من الاشتهاء لأنه يكون في الممتنعات دون الاشتهاء ﴿إن كنتم صادقين﴾ جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أي: إن كنتم صادقين في زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فإن من أيقن أنه من أهل الجنة أحب أن يتخلص من هذه الدار التي هي قرارة إكدار ولا يصل إليها أحد إلا بالموت، قال البقلي: جرب الله المدعين في محبته بالموت وأفرز الصادقين من بينهم لما غلب عليهم من شوق الله وحب الموت فتبين صدق الصادقين هٰهنا من كذب الكاذبين، إذ الصادق يختار اللحوق إليه والكاذب يفر منه قال عليه السلام: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه» قال الجنيد: قدس سره: المحب يكون مشتاقاً إلى مولاه ووفاته أحب إليه من البقاء إذ علم أن فيه الرجوع إلى مولاه فهو يتمنى الموت أبداً. ﴿ولا يتمنونه أبداً﴾ إخبار بما سيكون منهم وأبداً ظرف بمعنى الزمان المتطاول لا بمعنى مطلق الزمان، والمراد به ما داموا في الدنيا وفي البقرة ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ [البقرة: ٩٥] لأن دعواهم في هذه السورة بالغة قاطعة وهي كون الجنة لهم بصفة الخلوص فبالغ في الرد عليهم بلن وهو أبلغ ألفاظ النفي ودعواهم في الجمعة قاصرة مترددة وهي زعمهم أنهم أولياء الله تعالى فاقتصر على لا كما في «برهان القرآن» ﴿بما قدمت أيديهم﴾ الباء متعلقة بما يدل عليه النفي أي: يأبون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار نحو تحريف أحكام التوراة وتغيير النعت النبوي وهم يعرفون أنهم بعد الموت يعذبون بمثل هذه المعاصي، ولما كانت اليد بين جوارح الإنسان مناط عامة أفاعيله عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة يعني: أن الأيدي هنا بمعنى الذوات استعملت فيها لزيادة احتياجها إليها فكأنها هي. ﴿والله عليم بالظالمين﴾ وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم في كل أمورهم أي: عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية إلى أفانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي إلى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم أحد موته، وفي الحديث: «لا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً فإن يعش يزدد خيراً فهو خير له وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب» أي: يسترضي ربه بالتوبة والطاعة، وما روي عن بعض أرباب المحبة من التمني فلغاية محبتهم وعدم صبرهم على الاحتراق بالافتراق ولا كلام في المشتاق المغلوب المجذوب كما قال بعضهم:

غافلان ازمرك مهلت خواستند   عاشقان كفتند نى نى زود بان

فللتمني أوقات وأحوال يجوز باعتبار ولا يجوز بآخر، أما الحال فكما في الاشتياق الغالب، وأما الوقت فكما أشار إليه قوله عليه السلام: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين فإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون».

ـ روي ـ أنه عليه السلام قال في حق اليهود: «لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه

فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي» ثم إن الموت هو الفناء عن الإرادات النفسانيه والأوصاف الطبيعية كما قال عليه السلام: «موتوا قبل أن تموتوا» فمن له صدق إرادة وطلب يحب أن يموت عن نفسه ولا يبالي سقط عن الموت أم سقط الموت عليه وإن كان ذلك مراً في الظاهر لكنه حلو في الحقيقة وفيه حياة حقيقية وشفاء للمرض القلبي.

چه خوش كفت پكروزدار وفروش   شفا بايدت داروى تلخ نوش

وأما من ليس له صدق إرادة وطلب فإنه يهرب من المجاهدة مع النفس ويشفق أن يذبح بقرة الطبيعة فهو عند الموت الطبيعي يقاسي من المرارات ما لا تفي ببيانه العبارات والله الحفيظ ﴿**قل إن الموت الذي تفرون منه**﴾ ولا تجسرون على أن تتمنوه مخافة أن تؤخذوا بوبال كفركم ﴿**فإنه ملاقيكم**﴾ ألبتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه، يعني بكير دشمارا وشربت آن بچشيدوفرار سودى ندارد. والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف أي: باعتبار كون الموصوف بالموصوف في حكم الموصول، أي: إن فررتم من الموت فإنه ملاقيكم كأن الفرار سبب لملاقاته وسرعة لحوقه إذ لا يجد الفار بركة في عمره بل يفر إلى جانب الموت فيلاقيه الموت ويستقبله وقد قيل: إذا أدبر الأمر كان العطب في الحيلة ﴿**ثم**﴾ أي: بعد الموت الاضطراري الطبيعي. ﴿**تردون**﴾ الرد صرف الشيء بذاته أو بحالة من أحواله يقال: رددته فارتد والآية من الرد بالذات مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] ومن الرد إلى حالة كان عليها قوله تعالى: ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٩] ﴿**إلى عالم الغيب والشهادة**﴾ الذي لا يخفى عليه أحوالكم أي ترجعون إلى حيث لا حاكم ولا مالك سواه وإنما وصف ذاته بكونه عالم الغيب والشهادة باعتبار أحوالهم الباطنة وأعمالهم الظاهرة وقد سبق تمام تفسيره في سورة الحشر. ﴿**فينبئكم**﴾ پس خبر دهد شمارا ﴿**بما كنتم تعملون**﴾ من الكفر والمعاصي والفواحش الظاهرة والباطنة بأن يجازيكم بها.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى الموت الإرادي الذي هو ترك الشهوات ودفع المستلذات الذي تجتنبون منه لضعف همتكم الروحانية ووهن نهمتكم الربانية فإنه ملاقيكم لا يفارقكم ولكن لا تشعرون به لانهماككم في بحر الشهوات الحيوانية واستهلاككم في تبار مشتهياتكم الظلمانية فإنكم في لبس من خلق جديد ولا تزالون في الحشر والنشر، كما قال: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس: ٢٢] أي: موج الموت في كل لذة شهية ونعمة نعيمه ثم تردون إلى عالم الغيب غيب النيات وغيب الطويات القلبية السرية والشهادة شهادة الطاعات والعبادات فينبئكم أي: فيجازيكم بما كنتم تعملون بالنية الصالحة القلبية أو بالنية الفاسدة النفسية انتهى. وفيه إشارة إلى أنه كما لا ينفع الفرار من الموت الطبيعي كذلك لا ينفع الفرار من الموت الإرادي لكن ينبغي للعاقل أن يتنبه لفنائه في كل آن ويختار الفناء حباً للبقاء مع الله الملك المنان.

اعلم أن الفرار الطبيعي من الموت بمعنى استكراه الطبع وتنفره منه معذور صاحبه لأن الخلاص منه عسير جداً إلا للمشتاقين إلى لقاء الله تعالى.

ـ حكي ـ أنه كان ملك من الملوك أراد أن يسير في الأرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات، وكذا طلب دابة فلم تعجبه حتى أتى بدواب فركب أحسنها فجاء إبليس فنفخ في منخره فملأه كبراً ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر

إلى الناس كبراً فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال: ارسل اللجام فقد تعاطيت أمراً عظيماً قال: إن لي إليك حاجة قال: اصبر حتى أنزل قال: لا إلا الآن فقهره على لجام دابته قال: اذكرها قال: هو سر فدنا إليه فساره وقال: أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال: دعني حتى أرجع إلى أهلي وأقضي حاجتي فأودعهم قال: لا والله لا ترى أهلك ومالك أبداً فقبض روحه فخر كأنه خشبة ثم مضى فلقي عبداً مؤمناً في تلك الحال فسلم فرد عليه السلام فقال: إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال: هات فساره أنا ملك الموت فقال: مرحباً وأهلاً بمن طالت غيبته فوالله ما كان في الأرض غائب أحب إلي أن ألقاه منك فقال ملك الموت: اقض حاجتك التي خرجت لها فقال: ما لي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله قال: فاختر على أي حالة شئت أن أقبض روحك فقال: أتقدر على ذلك قال: نعم إني أمرت بذلك قال: فدعني أتوضأ وأصلي فاقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد. وفي «المثنوي»:

پس رجال از نقل عالم شادمان — وز بقايش شادمان اين كودكان
چونكه آب خوش نديد آن مرغ كور — پيش او كوثر نمايد آب شور

وأما الفرار العقلي بمعنى استكراهه الموت أو بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان فالأول منهما: إن كان من الانهماك في حظوظ الدنيا فمذموم وإن كان من خوف الموقف فصاحبه معذور، كما حكي أن أبا سليمان الداراني قدس سره قال: قلت لأمي: أتحبين الموت قالت: لا قلت لم؟ قالت: لأني لو عصيت آدمياً ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته وقس عليه الاستكراه رجاء الاستعداد لما بعد الموت، وأما الثاني منهما: فغير موجه عقلاً ونقلاً إذ المشاهدة تشهد أن لا مخلص من الموت فأينما كان العبد فهو يدرك، وأما الفرار من بعض الأسباب الظاهرة للموت كهجوم النار المحرقة للدور والسيل المفرط في الكثرة والقوة وحمل العدو الغالب والسباع والهوام إلى غير ذلك، فالظاهر أنه معذور فيه بل مأمور، وأما الفرار من الطاعون فما يرجحه العقل والنقل عدم جوازه.

أما العقل فما قاله الإمام الغزالي رحمه الله من أن سبب الوباء في الطب الهواء المضر وأظهر طرق التداوي الفرار من المضر ولا خلاف أنه غير منهي عنه إلا أن الهواء لا يضر من حيث إنه يلاقي ظاهر البدن من حيث دوام الاستنشاق له، فإنه إذا كان فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب وباطن الأحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر إلا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالباً من الأثر الذي استحكم من قبل، ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقي والطيرة وغيرهما وأنه لو رخص للأصحاء في الخروج لما بقي في البلد إلا المرضى الذين أقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهم بأنفسهم فيكون ذلك سعياً في إهلاكهم تحقيقاً وخلاصهم منتظر، كما أن خلاص الأصحاء منتظر فلو أقاموا لم تكن الإقامة قاطعة لهم بالموت، ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعاً بالخلاص وهو قاطع في إهلاك الباقين، والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضاً والمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى إلى الاشتكاء سائر أعضائه هذا هو الذي يظهر عندنا في تعليل النهي وينعكس هذا فيما إذا لم يقدم بعد على البلد فإنه لم يؤثر الهواء في باطنه وليس له حاجة إليهم.

وأما النقل فقوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] فإنه إنكار لخروجهم فراراً منه وتعجيب بشأنهم ليعتبر العقلاء بذلك ويتيقنوا أن لا مفر من قضاء الله، فالمنهي عنه هو الخروج فراراً فإن الفرار من القدر لا يغني شيئاً وفي الحديث: «الفار من الطاعون كالفار من الزحف والصابر فيه له أجر شهيد» وفي الحديث: «يختصم الشهداء والمتوفون على فراشهم إلى ربنا عز وجل في الذين يتوفون في الطاعون فيقول الشهداء: إخواننا قتلوا كما قتلنا ويقول المتوفون: إخواننا ماتوا على فراشهم كما متنا فيقول ربنا: انظروا إلى جراحهم فإن أشبهت جراحهم جراح المقتولين فإنهم منهم فإذا جراحهم قد أشبهت جراحهم».

يقول الفقير: دل عليه قوله عليه السلام في الطاعون: «إنه وخز أعدائكم من الجن» والوخز طعن ليس بنافذ والشيطان له ركض وهمز ونفث ونفخ ووخز والجني: إذا وخز العرق من مراق البطن أي: مارق منها ولأن خرج من وخزه الغدة وهي التي تخرج في اللحم فيكون وخز الجني سبب الغدة الخارجة فحصل التوفيق بين حديث الوخز وبين قوله عليه السلام «غدة كغدة البعير تخرج من مراق البطن» وباقي ما يتعلق بالطاعون سبق في سورة البقرة وقد تكفل بتفاصيله «رسالة الشفاء لإدواء الوباء» لابن طاش كبرى فارجع.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة﴾ النداء رفع الصوت وظهوره ونداء الصلاة مخصوص في الشرع بالألفاظ المعروفة، والمراد بالصلاة صلاة الجمعة كما دل عليه يوم الجمعة والمعنى فعل النداء لها أي: أذن لها والمعتبر في تعلق الأمر الآتي هو الأذان الأول في الأصح عندنا لأن حصول الإعلام به لا الأذان بين يدي المنبر وقد كان لرسول الله ﷺ مؤذن واحد فكان إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام الصلاة، ثم كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على ذلك حتى إذا كان عثمان رضي الله عنه وكثرت الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذناً آخر فأمر بالتأذين الأول على دار له بالسوق يقال لها: الزوراء ليسمع الناس فإذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثاني فإذا نزل أقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه﴿من يوم الجمعة﴾ بضم الميم وهو الأصل والسكون تخفيف منه ومن بيان لإذا وتفسير لها أي: لا بمعنى أنها لبيان الجنس على ما هو المتبادر فإن وقت النداء جزء من يوم الجمعة لا يحمل عليه فكيف يكون بياناً له بل المقصود أنها لبيان أن ذلك الوقت في أي يوم من الأيام إذ فيه إبهام فتجامع كونها بمعنى في كما ذهب إليه بعضهم وكونها للتبعيض كما ذهب إليه البعض الآخر وإنما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة فهو على هذا الاسم إسلامي، وقيل: أول من سماه جمعة كعب بن لؤي بالهمزة تصغير لأي سماه بها لاجتماع قريش فيه إليه وكانت العرب قبل ذلك تسميه العروبة بمعنى الظهور وعروبة وباللام يوم الجمعة كما في «القاموس»، وقال ابن الأثير في «النهاية»: الأفصح أنه لا يدخلها الألف واللام وقيل: إن الأنصار قالوا قبل الهجرة لليهود: يوم يجمعون فيه في كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوماً نجتمع فيه فنذكر الله ونصلي، فقالوا: يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم

العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة رضي الله عنه بضم الزاي فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه، وحين اجتمعوا ذبح لهم شاة فتعشوا وتغذوا منها لقلتهم وبقي في أكثر القرى التي يقال فيها: الجمعة عادة الإطعام بعد الصلاة إلى يومنا هذا فأنزل الله آية الجمعة فهي أول جمعة في الإسلام وأما أول جمعة جمعها رسول الله عليه السلام فهي أنه لما قدم المدينة مهاجراً نزل قبا على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين امتد الضحى، ومن تلك السنة يعد التاريخ الإسلامي فأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجداً فخطب وصلى الجمعة وهي أول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها: «الحمد لله وأستعينه وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفر به وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً أوصيكم بتقوى الله فإن خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله، واحذر ما حذركم الله من نفسه فإن تقوى من عمل به ومخافته من ربه عنوان صدق على ما يبغيه من الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي به إلا وجه الله يكون له ذكراً عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد هو الذي صدق قوله وأنجز وعده ولا خلف لذلك فإنه يقول ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: ٢٩] فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه ما يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإن تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه، وإن تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم في كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فإن من يصلح ما بينه وبين الله يكفر الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» انتهت الخطبة النبوية ثم إن هذه الآية رد لليهود في طعنهم للعرب وقولهم: لنا السبت ولا سبت لكم ﴿**فاسعوا إلى ذكر الله**﴾ قال الراغب: السعي المشي السريع وهو دون العدو أي: امشوا واقصدوا إلى الخطبة والصلاة لاشتمال كل منهما على ذكر الله وما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله، وأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل كما في «الكشاف»، وبالفارسية: رغبت كنيد بدان وسعى نماييد دران. وعن الحسن رحمه الله أما والله ما هو بالسعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة

والوقار ولكن بالقلوب والنيات والخشوع والابتكار، ولقد ذكر الزمخشري في الابتكار: قولاً وافياً حيث قال: وكانت الطرقات في أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة أي: مملوءة بالمبكرين إلى الجمعة يمشون بالسرج، وفي الحديث: «إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم فإذا خرج الإمام طويت الصحف واجتمعوا للخطبة والمهجر إلى الصلاة كالمهدي بدنة ثم الذي يليه كالمهدي بقرة ثم الذي يليه كالمهدي شاة حتى ذكر الدجاجة والبيضة» وفي عبارة السعي إشارة إلى النهي عن التثاقل وحث على الذهاب بصفاء قلب وهمة لا بكسل نفس وغمة، وفي الحديث: «إذا أذن المؤذن» أي في الأوقات الخمسة «أدبر الشيطان وله حصاص» وهو بالضم شدة العدو وسرعته وقال حماد بن سلمة قلت لعاصم بن أبي النجود: ما الحصاص، قال: أما رأيت الحمار إذا أصر بأذنيه أي ضمهما إلى رأسه ومصع بذنبه أي: حركه وضرب به وعدا أي: أسرع في المشي فذلك حصاصه وفيه إشارة إلى أن ترك السعي من فعل الشيطان وهذا بالنسبة إلى غير المريض والأعمى والعبد والمرأة والمقعد والمسافر فإنهم ليسوا بمكلفين فهم غير منادين، أي: لا سعي من المرضى والزمنى والعميان وقد قال تعالى: ﴿**فاسعوا**﴾، وأما النسوان فهن أمرن بالقرار في البيوت بالنص والعبد والمسافر مشغولان بخدمة المولى والنقل قال النصر آبادي: العوام في قضاء الحوائج في الجمعات والخواص في السعي إلى ذكره لعلمهم بأن المقادير قد جرت فلا زيادة ولا نقصان وقال بعضهم: الذكر عند المذكور حجاب والسعي إلى ذكر الله مقام المريدين يطلبون من المذكور محل قربة إليه والدنو منه، وأما المحقق في المعرفة وقد غلب عليه ذكر الله إياه بنعت تجلي نفسه لقلبه. ﴿**وذروا البيع**﴾ يقال: فلان يذر الشيء أي: يقذفه لقلة اعتداده به ولم يستعمل ماضيه وهو وذر أي: اتركوا المعاملة فالبيع مجاز عن المعاملة مطلقاً كالشراء والإجارة والمضاربة وغيرها ويجوز إبقاء البيع على حقيقته ويلحق به غيره بالدلالة، وقال بعضهم: النهي عن البيع يتضمن النهي عن الشراء لأنهما متضايفان لا يعقلان إلا معاً فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر، وأراد الأمر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وإنما خص البيع والشراء من بينها لأن يوم الجمعة يوم تجمع فيه الناس من كل ناحية، فإذا دنا وقت الظهيرة يتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول عن ذكر الله والمضي إلى المسجد قيل لهم: بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه قليل. ﴿**ذلكم**﴾ أي: السعي إلى ذكر الله وترك البيع. ﴿**خير لكم**﴾ من مباشرته فإن نفع الآخرة أجل وأبقى ﴿**إن كنتم تعلمون**﴾ الخير والشر الحقيقيين روي أنه عليه السلام خطب فقال: «إن الله افترض عليكم الجمعة في يومي هذا وفي مقامي هذا فمن تركها في حياتي وبعد مماتي وله إمام عادل أو جائر من غير عذر فلا بارك الله له ولا جمع الله شمله ألا فلا حج له ألا فلا صوم له ومن تاب تاب الله عليه».

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ التي نوديتم لها أي: أديت وفرغ منها ﴿فانتشروا في الأرض﴾ لإقامة مصالحكم والتصرف في حوائجكم أي تفرقوا فيها بأن يذهب كل منكم إلى موضع فيه حاجة من الحوائج المشروعة التي لا بد من تحصيلها للمعيشة، فإن قلت: ما معنى هذا الأمر فإنه لو لبث في المسجد إلى الليل يجوز بل هو مستحب فالجواب أن هذا أمر الرخصة لا أمر العزيمة، أي: لا جناح عليكم في الانتشار بعدما أديتم حق الصلاة. ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ أي: الربح يعني اطلبوا لأنفسكم وأهليكم من الرزق الحلال بأي وجه يتيسر لكم من التجارة وغيرها من المكاسب المشروعة دل على هذا المعنى سبب نزول قوله: ﴿وإذا رأوا تجارة﴾ إلخ كما سيأتي فالأمر للإطلاق بعد الحظر أي: للإباحة لا للإيجاب كقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا۟﴾ [المائدة: ٢] وذكر الإمام السرخسي أن الأمر للإيجاب لما روي أنه عليه السلام قال: «طلب الكسب بعد الصلاة هو الفريضة بعد الفريضة» وتلا قوله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ وقيل: إنه للندب، فعن سعيد بن جبير: إذا انصرفت من الجمعة فساوم بشيء وإن لم تشتره، وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا إنما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ في الله، وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم. كما قال الكاشفي: وكفته اند انتشارهم در زمين مسجداست جهت رفتن بمجلس علما ومذكران. وقيل: صلاة التطوع والظاهر أن مثل هذا إرشاد للناس إلى ما هو الأولى ولا شك في أولوية المكاسب الأخروية مع أن طلب الكفاف من الحلال عبادة وربما يكون فرضاً عند الاضطرار. ﴿واذكروا الله﴾ بالجنان واللسان جميعاً. ﴿كثيراً﴾ أي: ذكراً كثيراً أو زماناً كثيراً ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة.

يقول الفقير: إنما أمر تعالى بالذكر الكثير لأن الإنسان هو العالم الأصغر المقابل للعالم الأكبر وكل ما في العالم الأكبر فإنه يذكر الله تعالى بذكر مخصوص له فوجب على أهل العالم الأصغر أن يذكروا الله تعالى بعدد أذكار أهل العالم الأكبر حتى تتقابل المرآتان وينطبق الإجمال والتفصيل فإن قلت: فهل في وسع الإنسان أن يذكر الله تعالى بهذه المرتبة من الكثرة قلت: نعم إذا كان من مرتبة السر بالشهود التام والحضور الكامل كما قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: الذكر الكثير ليس بالعدد لكنه بالحضور انتهى. وقد يقيم الله القليل مقام الكثير كما روي أن عثمان رضي الله عنه صعد المنبر فقال: الحمد لله فارتج عليه فقال: إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالاً وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل، ومنه قال إمامنا الأعظم أبو حنيفة رحمه الله: إن اقتصر الخطيب على مقدار ما يسمى ذكر الله كقوله: الحمد لله سبحان الله جاز وذلك لأن الله تعالى سمى الخطبة ذكراً له على أنا نقول: قوله عثمان إن أبا بكر وعمر الخ كلام أي كلام في باب الخطبة لاشتماله على معنى جليل فهو يجامع قول صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة، وهذا مما لا يتنبه له أحد والحمد لله على إلهامه، وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه «الذكر طاعة الله فمن أطاع الله فقد ذكر ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن كان كثير التسبيح، والذكر بهذا المعنى يتحقق في جميع الأحوال قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، والذكر الذي أمر بالسعي إليه أولاً هو ذكر خاص لا يجامع التجارة أصلاً إذ المراد منه الخطبة والصلاة أمر به أولاً ثم قال: إذا فرغتم منه فلا تتركوا طاعته في جميع ما تأتونه وتذرونه. ﴿لعلكم تفلحون﴾ كي تفوزوا بخير الدارين. الحاصل ذكروي موجب جمعيت ظاهر وباطن وسبب نجات دنيا وآخرتست:

از ذكر خدا مباش يكدم غافل كز ذكر بود خير دو عالم حاصل
ذكر است كه اهل شوق رادرهمه حال آسايش جان باشد وآرامش دل

وفي «التأويلات النجمية»: إذا حصلت لكم يا أهل كمال الإيمان الذوقي العياني صلاة الوصلة والجمعية والبقاء والفناء فسيروا في أرض البشرية بالاستمتاع بالشهوات المباحة والاسترواح بالروائح الفائحة والمراتعة في المراتع الأرضية وابتغوا من فضل الله من التجارات المعنوية الرابحة واذكروا نعم الله عليكم الظاهرة من الفناء من ناسوتيتكم الظلمانية والباطنة من البقاء بلاهوتيته النورانية لعلكم تفوزون بهذه النعم الظاهرة والباطنة بإرشاد الطالبين الصادقين المتوجهين إلى الله بالروح الصافي والقلب الوافي؛ قال في «الأشباه والنظائر»: اختص يوم الجمعة بأحكام لزوم صلاة الجمعة واشتراط الجماعة لها وكونها ثلاثة سوى الإمام والخطبة لها وكونها قبلها شرط وقراءة السورة المخصوصة لها وتحريم السفر قبلها بشرطه واستنان الغسل لها والطيب ولبس الأحسن وتقليم الأظفار وحلق الشعر ولكن بعدها أفضل والبخور في المسجد والتبكير لها والاشتغال بالعبادة إلى خروج الخطيب، ولا يسن الابراد بها ويكره إفراده بالصوم وإفراد ليلته بالقيام وقراءة الكهف فيه ونفي كراهة النافلة وقت الاستواء على قول أبي يوسف المصحح المعتمد وهو خير أيام الأسبوع ويوم عيد وفيه ساعة إجابة وتجتمع فيه الأرواح وتزار فيه القبور ويأمن الميت فيه من عذاب القبر، ومن مات فيه أو في ليلته أمن من فتنة القبر وعذابه ولا تسجر فيه جهنم وفيه خلق آدم وفيه أخرج من الجنة وفيه تقوم الساعة وفيه يزور أهل الجنة ربهم سبحانه وتعالى انتهى. وإذا وقعت الوقفة بعرفة يوم الجمعة ضوعف الحج سبعين لأن حج الوداع كان كذلك ذكره في «عقد الدرر واللآلي». ﴿وإذا رأوا﴾ أي: علموا ﴿تجارة﴾ هي تجارة دحية بن خليفة الكلبي ﴿أو﴾ سمعوا ﴿لهواً﴾ هو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه يقال: ألهى عن كذا إذا أشغله عما هو أهم، والمراد هنا صوت الطبل ويقال له: اللهو الغليظ وكان دحية إذا قدم ضرب الطبل ليعلم به. كما قال الكاشفي: وكاروان چون رسيدي طبل شادى زدندى. كما يرمي أصحاب السفينة في زماننا البنادق وما يقال له. بالتركي: طوپ. أو كانوا إذا أقبلت العير استقبلوها أي: أهلها بالطبول والدفوف والتصفيق وهو المراد باللهو. ﴿انفضوا إليها﴾ الفض كسر الشيء وتفريق بين بعضه وبعض كفض ختم الكتاب ومنه استعير انفض القوم أي: تفرقوا وانتشروا كما في «تاج المصادر» الانفضاض شكسته شدن وپرا كنده شدن. وحد الضمير لأن العطف بأولا يثنى معه الضمير وكان المناسب إرجاعه إلى أحد الشيئين من غير تعيين إلى أن تخصيص التجارة برد الكناية إليها، لأنها المقصودة أو للدلالة على أن الانفضاض إليها مع الحاجة إليها والانتفاع بها إذا كان مذموماً فما ظنك بالانفضاض إلى اللهو وهو مذموم في نفسه، ويجوز أن يكون الترديد للدلالة على أن منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته فإذا كان الطبل من اللهو وإن كان غليظاً فما ظنك بالمزمار ونحوه، وقد يقال: الضمير للرؤية المدلول عليها بقوله: رأوا وقرىء إليهما على أن أو للتقسيم.

ـ روي ـ أن دحية بن خليفة الكلبي قدم المدينة بتجارة من الشام وكان ذلك قبل إسلامه وكان بالمدينة مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع ما يحتاج إليه من بر ودقيق وزيت وغيرها، والنبي عليه السلام يخطب يوم الجمعة فلما علم أهل المسجد ذلك قاموا إليه خشية أن يسبقوا

إليه يعني تاپيشى كيرند از يكديكر بخريدن طعام. فما بقي معه عليه السلام إلا ثمانية أو أحد عشر أو اثنا عشر أو أربعون فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمٰن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود، وفي رواية عمار بن ياسر بدل عبد الله، وذكر مسلم أن جابراً كان فيهم وكان منهم أيضاً امرأة فقال عليه السلام: «والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادي ناراً» وفي «عين المعاني»: لولا الباقون لنزلت عليهم الحجارة. **﴿وتركوك﴾** حال كونك **﴿قائماً﴾** أي: على المنبر.

ـ روي ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان النبي عليه السلام يخطب يوم الجمعة خطبتين قائماً يفصل بينهما بجلوس ومن ثمة كانت السنة في الخطبة ذلك وفيه إشعار بأن الأحسن في الوعظ على المنبر يوم الجمعة القيام وإن جاز القعود، لأنه والخطبة من واد واحد لاشتماله على الحمد والثناء والتصلية والنصيحة والدعاء.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره: إن الخطبة عبارة عن ذكر الله والموعظة للناس وكان عليه السلام مستمراً في ذكر الله تعالى ثم لما أراد التنزل لإرشاد الناس بالموعظة جلس جلسة خفيفة غايته أن ما ذكره الفقهاء من معنى الاستراحة لازم لما ذكرنا، وكان عليه السلام يكتفي في الأوائل بخطبة واحدة من غير أن يجلس إما لأنه لعظم قدره كان يجمع بين الوصال والفرقة، أو لأن أفعاله كانت على وفق الوحي ومقتضى أمر الله فيجوز أن لا يكون مأموراً بالجلسة في الأوائل ثم صار على قياس النسخ، وأيضاً وجه عدم جلوسه عليه السلام في الخطبة في بعض الأوقات هو أنه عليه السلام كان يرشد أهل الملكوت كما يرشد أهل الملك فمتى كان إرشاده في الملكوت لا يتنزل ولا يجلس، ومتى كان في الملك بأن لم يكن في مجلس الخطبة من هو من أهل الملكوت يتنزل ويجلس مجلس الملك فإن معاشر الأنبياء يكلمون الخلق على قدر عقولهم ومراتبهم، وكان عليه السلام متى أراد الانتقال من إرشاد أهل الملك إلى إرشاد أهل الملكوت يقول: «أرحني يا بلال»، ومتى أراد التنزل من إرشاد أهل الملكوت إلى إرشاد الملك يقول لعائشة رضي الله عنها: «كلميني يا حميراء».

اعلم أنه كان من فضل الأصحاب رضي الله عنهم وشأنهم أن لا يفعلوا مثل ما ذكر من التفرق من مجلس النبي عليه السلام وتركه قائماً، فذكر بعضهم وهو مقاتل بن حيان أن الخطبة يوم الجمعة كانت بعد الصلاة مثل العيدين فظنوا أنهم قد قضوا ما كان عليهم وليس في ترك الخطبة شيء فحولت الخطبة بعد ذلك فكانت قبل الصلاة وكان لا يخرج واحد لرعاف أو إحداث بعد النهي حتى يستأذن النبي عليه السلام يشير إليه بأصبعه التي تلي الإبهام فيأذن له النبي عليه السلام يشير إليه بيده، قال الإمام السهيلي رحمه الله: وهذا الحديث الذي من أجله ترخصوا لأنفسهم في ترك سماع الخطبة وإن لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل بأصحاب رسول الله عليه السلام موجب لأنه كان صحيحاً.

يقول الفقير: هب أنهم ظنوا أنهم قد قضوا ما كان عليهم من فرض الصلاة فكيف يليق بهم أن يتركوا مجلس النبي عليه السلام ومن شأنهم أن يستمعوا ولم يتحركوا كأن على رؤوسهم الطير، ولعل ذلك من قبيل سائر الهفوات التي تضمن المصالح والحكم الجليلة ولو لم يكن إلا كونه سبباً لنزول هذه الآية التي هي خير من الدنيا، وما فيها لكفى وفيها من

الإرشاد الإلهي لعباده ما لا يخفى. ﴿قل ما عند الله﴾ من الثواب يعني ثواب نماز واستماع خطبه ولزوم مجلس حضرت پيغمبر عليه السلام، وما: موصولة خاطبهم الله بواسطة النبي عليه السلام لأن الخطاب مشوب بالعتاب ﴿خير﴾بهتراست وسود مندتر. ﴿من اللهو﴾ ازاستماع لهو ﴿ومن التجارة﴾ واز نفع تجارت فإن نفع ذلك محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم فنفع اللهو ليس بمحقق ونفع التجارة ليس بمخلد وما ليس بمخلد فمن قبيل الظن الزائل، ومنه يعلم وجه تقديم اللهو فإن للإعدام تقدماً على الملكات، قال البقلي: وفيه تأديب المريدين حيث اشتغلوا عن صحبة المشايخ بخلواتهم وعباداتهم لطلب الكرامات ولم يعلموا أن ما يجدون في خلواتهم بالإضافة إلى ما يجدون في صحبة مشايخهم لهو، قال سهل رحمه الله: من شغله عن ربه شيء من الدنيا والآخرة فقد أخبر عن خسة طبعه ورذالة همته لأن الله فتح له الطريق إليه وأذن له في مناجاته فاشتغل بما يفنى عما لم يزل ولا يزال، وقال بعضهم: ما عند الله للعباد والزهاد غداً خير مما نالوه من الدنيا نقداً وما عند الله للعارفين نقداً من واردات القلوب وبوادر الحقيقة خير مما في الدنيا والعقبى ﴿والله خير الرازقين﴾ لأنه موجد الأرزاق فإليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق.

وقال الكاشفي: وخداى تعالى بهترين روزى دهند كانست يعني: آنانكه وسائط إيصال رزقند وقت باشدكه بخيلى كنند وشايد نيز مصلحت وقت ندانند نقلست كه يكى از خلفاى بعداد بهلول را كفت بياتا روزى هرروز تو مقرر كنم تا وقت متعلق بدان نباشد بهلول جواب دادكه چنين ميكردم اكر چند عيب نبودى اول آنكه توندانى كه مراچه بايد دوم نشناسى كه مراكى بايد سوم معلوم ندارى كه مرا چند بايد وحق تعالى كافل رزق منست اين همه ميداند وازروى حكمت بمن ميرساند وديكر شايد كه برمن غضب كنى وآن وظيفه ازمن باز كيرى وحق سبحانه وتعالى بكناه ازمن روزى باز نميدارد:

خدايى كه اوساخت ازنيست هست   بعصيان در رزق بركس نيست
از وخواه روزى كه بخشنده اوست   بر آرنده كار هر بنده اوست

وقيل لبعضهم: من أين تأكل؟ فقال: من خزانة ملك لا يدخلها اللصوص ولا يأكلها السوس، وقال حاتم الأصم قدس سره لامرأته: إني أريد السفر فكم أضع لك من النفقة؟ قالت: بقدر ما تعلم أني أعيش بعد سفرك فقال: وما ندري كم نعيش؟ قالت: فكله إلى من يعلم ذلك فلما سافر حاتم دخل النساء عليها يتوجعن لها من كونه سافر وتركها بلا نفقة فقالت: إنه كان أكالاً ولم يكن رزاقاً، قال بعضهم قوله تعالى: ﴿خير من اللهو﴾ وقوله: ﴿خير الرازقين﴾ من قبيل الفرض والتقدير إذ لا خيرية في اللهو ولا رازق غير الله فكان المعنى إن وجد في اللهو خير فما عند الله أشد خيرية منه، وإن وجد رازقون غير الله فالله خيرهم وأقواهم قوة وأولاهم عطية والرزق هو المنتفع به مباحاً كان أو محظوراً.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿والله خير الرازقين﴾ لإحاطته على رزق النفس وهو الطاعة والعبادة بمقتضى العلم الشرعي ورزق القلب: وهو المراقبة والمواظبة على الأعمال القلبية من الزهد والورع والتوكل والتسليم والرضى والبسط والقبض والإنس والهيبة ورزق الروح بالتجليات والتنزلات والمشاهدات والمعاينات، ورزق السر برفع رؤية الغير والغيرية ورزق الخفاء بالفناء في الله والبقاء به وهو خير رزق فهو خير الرازقين. وفي «المثنوي»:

هرچه ازيارت جدا اندازد آن مشنو آنرا كه زيان دارد زيان
كربود آن سود صد درصد مكير بهر زر مكسل زكنجور اي فقير
آن شنوكه چند يزدان زجر كرد كفت اصحاب نبي را كرم وسرد
زانكه دربانك دهل درسال تنك جمعه را كردند باطل بى درنك
تانبايد ديكران ارزان خرند زان سبب صرفه زما ايشان برند
ماند پيغمبر بخلوت درنماز بادوسه درويش ثابت برنياز
كفت طبل ولهو وبازركانى چو نتان ببريد از ربانى
قد فضضتم نحو قمح هائماً ثم خليتم نبيا قائما
بهر كندم تخم باطل كاشتند وآن رسول حق را بكذا شتند
صحبت او خير من لهواست ومال بين كرا بكذا شتى چشمى بمال
خودنشد حرص شمارا اين يقين كه منم رزاق وخير الرازقين
آنكه كندم راز خودروزى دهد كى توكلهات را ضايع كند
ازپى كندم جدا كشتى ازان كه فرستادست كندم زآسمان

وفي «الإحياء»: يستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة: اللهم يا غني يا حميد يا مبدي يا معيد يا رحيم يا ودود أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك، فيقال: من داوم على هذا الدعاء أغناه الله تعالى عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب، وفي الحديث: «من قال يوم الجمعة: اللهم أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك سبعين مرة لم تمر به جمعتان حتى يغنيه الله» رواه أنس بن مالك رضي الله عنه.

تمت سورة الجمعة في ثاني صفر الخير يوم الخميس
من سنة ست عشرة ومائة وألف

٦٣ ـ سورة المنافقين

إحدى عشرة آية مدنية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾.

﴿إذا﴾ چون ﴿جاءك المنافقون﴾ أي: حضروا مجلسك وبالفارسية: بتو آيند دو رويان. والنفاق إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب فالمنافق هو الذي يضمر الكفر اعتقاداً ويظهر الإيمان قولاً، وفي «المفردات»: النفاق الدخول في الشرع من باب والخروج منه من باب من النافقاء إحدى جحرة اليربوع والثعلب والضب يكتمها ويظهر غيرها، فإذا أتى من قبل القاصعاء وهو الذي يدخل منه ضرب النافقاء برأسه فانتفق، والنفق: هو السرب في الأرض النافذ. ﴿قالوا﴾ مؤكدين كلامهم بأن واللام للإيذان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم، والظاهر أنه الجواب لإذا لأن الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٤] وقيل: جوابه مقدر مثل أرادوا أن يخدعوك وقيل: استئناف لبيان طريق خدعتهم وقيل: جوابه قوله: فاحذرهم. ﴿نشهد﴾ الآن أو على الاستمرار. ﴿إنك لرسول الله﴾ والشهادة قول صادر عن علم حصل بشهادة بصر أو بصيرة. ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾ اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم لكونه مطابقاً للواقع ولإزالة إيهام أن قولهم: هذا كذب لقوله: ﴿والله يشهد﴾ إلخ وفيه تعظيم للنبي عليه السلام، وقال أبو الليث: والله يعلم أنك لرسوله من غير قولهم وكفى بالله شهيداً محمد رسول الله.

اعلم أن كل ما جاء في القرآن بعد العلم من لفظة أن فهي بفتح الهمزة لكونها في حكم المفرد إلا في موضعين أحدهما: ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾ في هذه السورة، والثاني: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] في سورة الأنعام وإنما كان كذلك في هذين الموضعين لأنه يأتي بعدهما لام الخبر فانكسرا، أي: لأن اللام لتأكيد معنى الجملة ولا جملة إلا في صورة المكسورة وقال بعضهم: إذا دخلت لام الابتداء على خبرها تكون مكسورة لاقتضاء لام الابتداء الصدارة كما يقال: لزيد قائم وتؤخر اللام لئلا يجتمع حرفا التأكيد، واختير تأخيرها الترجيح إن في التقديم لعامليته فكسرت لأجل اللام. ﴿والله يشهد﴾ شهادة حقة ﴿إن المنافقين لكاذبون﴾ أي: أنهم والإظهار في موضع الإضمار لذمهم والإشعار بعلية الحكم أي: لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من أنها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب فإن الشهادة وضعت للاخبار الذي طابق فيه اللسان اعتقاد القلب وإطلاقها على الزور مجاز كإطلاق البيع على الفاسد نظيره قولك: لمن

يقول: أنا أقرأ الحمد لله رب العالمين كذبت فالتكذيب بالنسبة إلى قراءته لا بالنسبة إلى المقروء الذي هو الحمد لله رب العالمين، ومن هنا يقال: إن من استهزأ بالمؤذن لا يكفر بخلاف من استهزأ بالأذان فإنه يكفر قال بعضهم: الشهادة حجة شرعية تظهر الحق ولا توجبه فهي الإخبار بما علمه بلفظ خاص، ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله: والله يعلم الخ دلت الآية على أن العبرة بالقلب والإخلاص وبخلوصه يحصل الخلاص وكان عليه السلام يقبل من المنافقين ظاهر الإسلام، وأما حكم الزنديق في الشرع وهو الذي يظهر الإسلام ويسر الكفر فإنه يستتاب وتقبل توبته عند أبي ولا تقبل عند أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله، قال سهل رحمه الله: أقروا بلسانهم ولم يعترفوا بقلوبهم فلذلك سماهم الله منافقين ومن اعترف بقلبه وأقر بلسانه ولم يعمل بأركانه ما فرض الله من غير عذر ولا جهل كان كإبليس، وسئل حذيفة: من المنافق؟ قال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به وهم اليوم شر منهم لأنهم كانوا يومئذ يكتمونه، وهم اليوم يظهرونه وفي الآية إشارة إلى أن المنافقين الذامين للدنيا وشهواتها باللسان المقبلين عليها بالقلب وإن كانوا يشهدون بصحة الرسالة لظهور أنوارها عليهم من المعجزات والكرامات لكنهم كاذبون في شهادتهم لإعراضهم عنه عليه السلام ومتابعته وإقبالهم على الدنيا وشهواتها، فحقيقة الشهادة إنما تحصل بالمتابعة وقس عليه شهادة أهل الدنيا عند ورثة الرسول قال الحسن البصري رحمه الله: يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول: المرء مع من أحب فإنك لا تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع كما في «إحياء العلوم»، ولذا قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: المرء مع من أحب في الدنيا بالطاعة والأدب الشرعي، وفي الآخرة بالمعاينة والقرب المشهدي انتهى فإذا كانت المحبة المجردة بهذه المثابة فما ظنك بالنفاق الذي هو هدم الأس والأصل وبناء الفرع فلا اعتداد بدعوى المنافق ولا بعمله.

وفي «التأويلات القاشانية»: المنافقون هم المذبذبون الذين يجذبهم الاستعداد الأصلي إلى نور الإيمان، والاستعداد العارضي الذي حدث برسوخ الهيئات الطبيعية والعادات الرديئة إلى الكفر وإنما هم كاذبون في شهادة الرسالة لأن حقيقة معنى الرسالة، لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم الذين يعرفون الله ويعرفون بمعرفته رسول الله فإن معرفة الرسول لا تمكن إلا بعد معرفة الله وبقدر العلم بالله يعرف الرسول فلا يعلمه حقيقة إلا من انسلخ عن علمه وصار عالماً بعلم الله وهم محجوبون عن الله بحجب ذواتهم وصفاتهم، وقد أطفأوا نور استعداداتهم بالغواشي البدنية والهيئات الظلمانية فأنى يعرفون رسول الله حتى يشهدوا برسالته انتهى. قال الشيخ أبو العباس: معرفة الولي أصعب من معرفة الله فإن الله معروف بكماله وجماله وحتى متى يعرف مخلوقاً مثله يأكل كما يأكل ويشرب كما يشرب.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾

﴿اتخذوا﴾ أي: المنافقون **﴿أيمانهم﴾** الفاجرة التي من جملتها ما حكي عنهم لأن الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد، وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن

أشهد يمين، واليمين في الحلف مستعار من اليمين التي بمعنى اليد اعتباراً بما يفعله المحالف والمعاهد عنده واليمين بالله المصادقة جائزة وقت الحاجة صدرت من النبي عليه السلام كقوله: والله والذي نفسي بيده ولكن إذاً لم يكن ضرورة قوية يصان اسم الله العزيز عن الابتذال. ﴿**جنة**﴾ أي: وقاية وترساً عما يتوجه إليهم من المؤاخذة بالقتل والسبي أو غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن إعدادهم وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل، فإن ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضاً كما يفصح عنه الفاء في قوله: ﴿**فصدوا عن سبيل الله**﴾ يقال: صده عن الأمر صداً أي: منعه وصرفه وصد عنه صدوداً أي: أعرض والمعنى فمنعوا وصرفوا من أراد الدخول في الإسلام بأنه عليه السلام ليس برسول، ومن أراد الإنفاق في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكي عنهم، ولا ريب في أن هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وأصل الجن ستر الشيء عن الحاسة يقال: جنه الليل وأجنه والجنان القلب لكونه مستوراً عن الحاسة والمجن والجنة: الترس الذي يجن صاحبه والجنة: كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض. ﴿**إنهم ساء ما كانوا يعملون**﴾ أي: ساء الشيء الذي كانوا يعملونه من النفاق والصد والإعراض عن سبيله تعالى، وفي ساء معنى التعجب وتعظيم أمرهم عند السامعين. ﴿**ذلك**﴾ القول الشاهد بأنهم أسوأ الناس أعمالاً، وبالفارسية: أين حكم حق بديء أعمال ايشان. ﴿**بأنهم**﴾ أي: بسبب أنهم ﴿**آمنوا**﴾ أي: نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل الإسلام ﴿**ثم كفروا**﴾ أي: ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله من قولهم: إن كان ما يقوله محمد حقاً فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوكٍ أيطمع هذا الرجل أن يفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات فثم للتراخي أو كفروا سراً فثم للاستبعاد، ويجوز أن يراد بهذه الآية أهل الردة منهم كما في «الكشاف» ﴿**فطبع على قلوبهم**﴾ ختم عليها يعني مهر نهاده شد. حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وصارت بحيث لا يدخلها الإيمان جزاء على نفاقهم ومعاقبة على سوء أفعالهم فليس لهم أن يقولوا: إن الله ختم على قلوبنا فكيف نؤمن والطبع أن يصور الشيء بصورة ما كطبع السكة وطبع الدراهم وهو أعم من الختم وأخص من النقش كما في «المفردات». ﴿**فهم لا يفقهون**﴾ حقيقة الإيمان ولا يعرفون حقيقته أصلاً كما يعرفه المؤمنون، والفقه: لغة الفهم واصطلاحاً علم الشريعة لأنه الأصل فيما يكتسب بالفهم والدراية وإن كان سائر العلوم أيضاً لا ينال إلا بالفهم دل الكلام على أن ذكر بعض مساوي العاصي عند احتمال الفائدة لا يعد من الغيبة المنهي عنها، بل قد يكون مصلحة مهمة على ما روي عنه عليه السلام «اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس»، وفي «المقاصد الحسنة» ثلاثة ليست لهم غيبة الإمام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذي يدعو الناس إلى بدعته، وقال القاشاني: ذلك بسبب أنهم آمنوا بالله بحسب بقية نور الفطرة والاستعداد ثم كفروا أي: ستروا ذلك النور بحجب الرذائل وصفات نفوسهم فطبع على قلوبهم برسوخ تلك الهيئات وحصول الرين من المكسوبات فحجبوا عن ربهم بالكلية فهم لا يفقهون معنى الرسالة ولا علم التوحيد والدين.

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾.

﴿وإذا رأيتهم﴾ وچون به بيني منافقاً نراچون ابن ابي وأمثال او. الرؤية بصرية ﴿**تعجبك أجسامهم**﴾ بشكفت آرد ترا اجسام ايشان. لضخامتها ويروقك منظرهم لصباحة وجوههم، وأصله من العجب والشيء العجيب هو الذي يعظم في النفس أمره لغرابته والتعجب حيرة تعرض للنفس بواسطة ما يتعجب منه. ﴿**وإن يقولوا**﴾ وچون سخن كويند ﴿**تسمع لقولهم**﴾ لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم، واللام: صلة وقيل: تصغي إلى قولهم وكان ابن أبي جسيماً صبيحاً فصيحاً يحضر مجلس رسول الله عليه السلام في نفر من أمثاله وهم رؤساء المدينة، وكان عليه السلام ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم وأن الصباحة وحسن المنظر لا يكون إلا من صفاء الفطرة في الأصل ولذا قال عليه السلام: اطلبوا الخير عند حسان الوجوه أي: غالباً وكم من رجل قبيح الوجه قضاء للحوائج قال بعضهم:

يدل على معروفه حسن وجهه وما زال حسن الوجه أحد الشواهد

وفي الحديث: «إذا بعثتم إلي رجلاً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم» ثم لما رأى عليه السلام غلبة الرين على قلوب المنافقين وانطفاء نور استعدادهم وإبطال الهيئات الدنية العارضة خواصهم الأصلية أيس منهم وتركهم على حالهم.

ـ وروي ـ عن بعض الحكماء أنه رأى غلاماً حسناً وجهه فاستنطقه لظنه ذكاء فطنته فما وجد عنده معنى فقال: ما أحسن هذا البيت لو كان فيه ساكن، وقال آخر: طشت ذهب فيه خل. ﴿**كأنهم خشب مسندة**﴾ في حيز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هم كأنهم أو كلام مستأنف لا محل له والخشب بضمتين جمع خشبة كأكم وأكمة أو جمع خشب محركة كأسد وأسد وهو ما غلظ من العيدان، والإسناد: الإمالة ومسندة للتكثير فإن التسنيد تكثير الإسناد بكثرة المحال أي: كأنها أسندت إلى مواضع، والمعنى بالفارسية: كويا ايشان چو بهاى خشك شده اند بديوار بازنهاده. شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله مستندين فيها بأخشاب منصوبة مسندة إلى الحائط في كونهم أشباحاً خالية عن العلم والخير والانتفاع، ولذا اعتبر في الخشب التسنيد لأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، فكما أن مثل هذا الخشب لا نفع فيه فكذا هم لا نفع فيهم، وكما أن الروح النامية قد زالت عنهم فهم في زوال استعداد الحياة الحقيقية والروح الإنساني بمثابتها.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى أن الاستناد في مجالس الأكابر أو في مجالس العلم من ترك الأدب ولذا منع الإمام مالك رحمه الله هارون الرشيد من الاستناد حين سمع منه الموطأ.

ـ حكي ـ أن إبراهيم بن أدهم قدس سره كان يصلي ليلة فأعيى فجلس ومد رجليه فهتف به هاتف: أهكذا تجالس الملوك وكان الحريري لا يمد رجليه في الخلوة ويقول: حفظ الأدب مع الله أحق وهذا من أدب من عرف معنى الاسم المهيمن فإن من عرف معناه يكون مستحيياً من إطلاعه تعالى عليه ورؤيته له وهو المراقبة عند أهل الحقيقة، ومعناه علم القلب بإطلاع الرب ودلت الآية وكذا قوله عليه السلام: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» على أن العبرة في الكمال والنقصان بالأصغرين اللسان والقلب لا بالأكبرين الرأس والجلد فإن الله تعالى لا ينظر إلى الصور والأموال بل إلى القلوب والأعمال فرب صورة مصغرة عند الله بمثابة الذهب، والمؤمن لا يخلو من قلة أو علة أو ذلة ولا شك أن بالقلة يكثر الهم الذي يذيب اللحم والشحم، وكذا بالعلة يذوب البدن ويطرأ عليه الذبول، وفي

الحديث: «مثل المؤمن مثل السنبلة يحركها الريح فتقوم مرة وتقع أخرى ومثل الكافر مثل الأرزة لا تزال قائمة حتى تنقعر». قوله: الأرزة بفتح الهمزة وبرآء مهملة ساكنة ثم زاي شجر يشبه الصنوبر يكون بالشأم وبلاد الأرمن وقيل: هو شجر الصنوبر والانقعار. ازبن بركنده شدن يعني: مثل منافق مثل صنوبراست كه بلند واستوار برزمين تاكه افتادن وازبيخ برآمدن. وفيه إشارة إلى أن المؤمن كثير الابتلاء في بدنه وماله غالباً فيكفر عن سيئاته، والكافر ليس كذلك فيأتي بسيئاته كاملة يوم القيامة. ﴿يحسبون﴾ يظنون ﴿كل صيحة﴾ كل صوت ارتفع فإن الصيحة رفع الصوت وفي «القاموس»: الصوت بأقصى الطاقة وهو مفعول أول ليحسبون والمفعول الثاني قوله: ﴿عليهم﴾ أي: واقعة عليهم ضارة لهم. ومراد از صيحه هر فريادى كه برآيد وهرآوازى كه درمدينه بركشند. وقال بعضهم: إذا نادى منادٍ في العسكر لمصلحة أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة أو وقعت جلبة بين الناس ظنوه إيقاعاً بهم لجنبهم واستقرار الرعب في قلوبهم والخائن خائف، وقال القاشاني: لأن الشجاعة إنما تكون من اليقين من نور الفطرة وصفاء القلب وهم منغمسون في ظلمات صفات النفوس محتجبون باللذات والشهوات كأهل الشكوك والارتياب فلذلك غلب عليهم الجبن والخور انتهى وفي هذا زيادة تحقر لهم وتخفيف لقدرهم كما قيل: إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً وقيل: كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم. ﴿هم العدو﴾ أي: هم الكاملون في العداوة الراسخون فيها فإن أعدى الأعادي العدو المكاسر الذي يكاسرك وتحت ضلوعه داء لا يبرح بل يلزم مكانه، ولم يقل: هم الأعداء لأن العدو لكونه بزنة المصادر يقع على الواحد وما فوقه ﴿فاحذرهم﴾ أي: فاحذر أن تثق بقولهم وتميل إلى كلامهم أو فاحذر ممايلتهم لأعدائك وتخذيلهم أصحابك فإنهم يفشون سرك للكفار. ﴿قاتلهم الله﴾ دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم ويخزيهم ويميتهم على الهوان والخذلان كما قال ابن عباس رضي الله عنهما أي: لعنهم، قال سعدي المفتي: ولا طلب هناك حقيقة بل عبارة الطلب للدلالة على أن اللعن عليهم مما لا بد منه، قال الطيبي: يعني إنه من أسلوب التجريد كقراءة ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ومن كفر فأمتعه يا قادر، ويجوز أن يكون تعليماً للمؤمنين بأن يدعوا عليهم بذلك ففيه دلالة على أن للدعاء على أهل الفساد محلاً يحسن فيه فقاتل الله المبتدعين الضالين المضلين فإنهم شر الخصماء وأضر الأعداء، وإيراده في صورة الإخبار مع أنه إنشاء معنى للدلالة على وقوعه ومعنى الإنشاء بالفارسية: هلاك كناد خداى ايشانرا يا لعنت كناد برايشان. وقال بعضهم: أهلكهم وهو دعاء يتضمن الاقتضاء والمنابذة وتمني الشر لهم ويقال: هي كلمة ذم وتوبيخ بين الناس وقد تقول العرب: قاتله الله ما أشعره فيضعونه موضع التعجب وقيل: أحلهم محل من قاتله عدو قاهر لكل معاند. ﴿أنى يؤفكون﴾ تعجيب من حالهم أي: كيف يصرفون عن الحق والنور إلى ما هم عليه من الكفر والضلال والظلمة بعد قيام البرهان من الإفك بفتح الهمزة بمعنى الصرف عن الشيء لأن الإفك بالكسر بمعنى الكذب.

قال في «التأويلات النجمية»: إذا رأيتهم من حيث صورهم المشكلة تعجبك أجسام أعمالهم المشوبة بالرياء والسمعة الخالية عن أرواح النيات الخالصة الصافية وإن يقولوا قولاً بالحروف والأصوات مجرداً عن المعاني المصفاة تصغ إلى قولهم المكذوب المردود كان صورهم المجردة عن المعنى المخيلة صورتها القوة الخيالة بصورة الخشب المسندة إلى جدار

الوهم لا روح فيها ولا معنا يحسبون كل صيحة صاح بها صور القهر واقعة عليهم لضعف قلوبهم بمرض النفاق وعلة الشقاق هم الكاملون في العداوة الذاتية والبغضاء الصفاتية فاحذرهم بالصورة والمعنى قاتلهم الله بالخزي والحرمان والسوء والخذلان أنى يعدلون عن طريق الدين الصدق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦﴾

﴿وإذا قيل لهم﴾ عند ظهور جنايتهم بطريق النصيحة. در معالم آورده كه بعد از نزول اين آيتها قوم ابن أبي ويرا كفتند أين آيتها درباره تونازل شده پرو نزديك رسول خداى تابراى توآمر زش طلبد آن منافق كردن تاب داد وكفت مرا كفتند ايمان آور آوردم تكليف كرديدكه زكاة مال بده دادم همين مانده است كه محمد را سجده مى بايد كرد آيت آمدكه. وإذا قيل لهم: **﴿تعالوا﴾** أصله تعاليوا فأعل بالقلب والحذف إلا أن واحد الماضي تعالى بإثبات الألف المقلوبة عن الياء المقلوبة عن الواو الواقعة رابعة وواحد الأمر تعال بحذفها وقفاً وفتح اللام وأصل معنى التعالي الارتفاع، فإذا أمرت منه قلت: تعال وتعالوا فتعالوا جمع أمر الحاضر في صورة الماضي ومعناه ارتفعوا فيقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عمم يعني ثم استعمل في كل داع يطلب المجيء في المفرد، وغيره لما فيه من حسن الأدب أي: هلموا وائتوا وبالفارسية: بياييد باعتذار. ومن الأدب أن لا يقال: تعالى فلان أو تعاليت يا فلان أو أنا أو فلان متعال بأي معنى أريد لأنه مما اشتهر به الله فتعالى الله الملك الحق. **﴿يستغفر لكم رسول الله﴾** بالجزم جواب الأمر أي: يدع الله لكم ويطلب منه أن يغفر بلطفه ذنوبكم ويستر عيوبكم وهو من أعمال الثاني، لأن تعالوا يطلب رسول الله مجروراً بإلى أي: تعالوا إلى رسول الله، ويستغفر يطلب فاعلاً فأعمل الثاني ولذلك رفعه وحذف من الأول إذ التقدير تعالوا إليه. **﴿لووا رؤوسهم﴾** يقال: لوى الرجل رأسه أماله والتشديد للتكثير لكثرة المحال وهي الرؤوس قال في «تاج المصادر»: التلوية نيك پيچانيدن أي: عطفوها استكباراً چنانچه كسى از مكروهى روى بتابد وقال القاشاني: لضراوتهم بالأمور الظلمانية فلا يألفون النور ولا يشتاقون إليه ولا إلى الكمالات الإنسانية لمسخ الصورة الذاتية. **﴿ورأيتهم يصدون﴾** من الصدود بمعنى الإعراض أي: يعرضون عن القائل أو عن الاستغفار. وقال الكاشفي: إعراض ميكنند ازرفتن بخدمت حضرت پيغمبر ﷺ. وذلك لانجذابهم إلى الجهة السفلية والزخارف الدنيوية فلا ميل في طباعهم إلى الجهة العلوية والمعاني الأخروية. وفي «المثنوي»:

صورت رفعت بود افلاك را معنى رفعت روان پاك را

صورت رفعت براى جسمهاست جسمها درپيش معنى اسمهاست

﴿وهم مستكبرون﴾ عن ذلك لغلبة الشيطنة واستيلاء القوة الوهمية واحتجابهم بالأنانية وتصور الخيرية، وفي الحديث: «إذا رأيت الرجل لجوجاً معجباً برأيه فقد تمت خسارته» **﴿سواء عليهم أستغفرت لهم﴾** كما إذا جاؤوك معتذرين من جناياتهم وفي «كشف الأسرار» كان عليه السلام يستغفر لهم على معنى سؤاله لهم بتوفيق الإيمان ومغفرة العصيان، وقيل: لما قال الله ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] قال عليه السلام: «لأزيدن على

السبعين» فأنزل الله سواء الخ وهو اسم بمعنى مستو خبر مقدم وعليهم متعلق به وما بعده من المعطوف عليه والمعطوف مبتدأ بتأويل المصدر لإخراج الاستفهام عن مقامه، فالهمزة في أستغفرت للاستفهام ولذا فتحت وقطعت والأصل ءاستغفرت فحذفت همزة الوصل التي هي ألف الاستفعال للتخفيف ولعدم اللبس. ﴿أم لم تستغفر لهم﴾ كما إذا أصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار. ﴿لن يغفر الله لهم﴾ أبداً لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر وخروجهم عن دين الفطرة القيم. ﴿إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق أو الخارجين عن دائرة المحقين الداخلين في دائرة الباطلين المبطلين، وفي الآية إشارة إلى عدم استعدادهم لقبول الاستغفار لكثافة طباعهم المظلمة وغلظة جبلتهم الكدرة، ولو كان لهم استعداد لقبوله لخرجوا عن محبة الدنيا ومتابعة النفس والهوى إلى موافقة الشرع ومتابعة الرسول والهدى ولما بقوا في ظلمة الشهوات الحيوانية والأخلاق البهيمية والسبعية. قال الحافظ:

عاشق كه شدكه يار بحالش نظر نكرد اى خواجه دردنيست وكرنه طبيب هست

ومنه يعلم أن الجذبة من جانب المرشد وإن كان لها تأثير عظيم لكن إذا كان جانب المريد خالياً عن الإرادة لم ينفعه ذلك، ألا ترى أن استغفار النبي عليه السلام ليس فوقه شيء مع أنه لم يؤثر في الهداية وأصل هذا عدم إصابة رشاش النور في عالم الأرواح ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

ـ حكي ـ أن شيخاً مر مع مريد له خدمه عشرين سنة على قرية فيها شيخ فإن يضرب الطبل فأشار إليه الشيخ فطرح الطبل وتبعه حتى إذا كانوا على ساحل البحر ألقى الشيخ سجادته على البحر وقعد عليها مع الطبال وبقي المريد العتيق في الساحل يصيح كيف ذلك فقال الشيخ: هكذا قضاء الله تعالى.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

﴿هم الذين يقولون﴾ أي: للأنصار وهو استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم أو لعدم مغفرته تعالى لهم وهو حكاية نص كلامهم. ﴿لا تنفقوا﴾ لا تعطوا النفقة التي يتعيش بها ﴿على من عند رسول الله﴾ يعنون فقراء المهاجرين وقولهم: رسول الله إما للهزؤ والتهكم أو لكونه كاللقب له عليه السلام واشتهاره به فلو كانوا مقرين برسالته لما صدر عنهم ما صدر ويجوز أن ينطقوا بغيره لكن الله تعالى عبر به إكراماً له وإجلالاً. ﴿حتى ينفضوا﴾ أي: يتفرقوا عنه ويرجعوا إلى قبائلهم وعشائرهم. وقال الكاشفي: تا متفرق كردند غلامان بنرد خواجكان روند وپسران پدران پيوندند. والانفضاض شكسته شدن وپرا كنده شدن. وإنما قالوه لاحتجابهم بأفعالهم عن رؤية فعل الله وبما في أيديهم عما في خزائن الله فيتوهمون الإنفاق منهم لجهلهم. ﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾ رد وإبطال لما زعموا من أن عدم إنفاقهم يؤدي إلى انفضاض الفقراء من حوله عليه السلام ببيان أن خزائن الأرزاق بيد الله خاصة يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ومن تلك الخزائن المطر والنبات.

قال الراغب: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧] إشارة منه إلى قدرته تعالى على ما يريد إيجاده أو إلى الحالة التي أشير إليها بقوله عليه السلام: «فرغ ربكم من الخلق والأجل والرزق» والمراد من الفراغ إتمام القضاء فهو مذكور بطريق التمثيل يعني أتم قضاء هذه الكليات في علمه السابق، والخزائن: جمع خزانة بالكسر كعصائب وعصابة وهي ما يخزن فيه الأموال النفيسة وتحفظ، وكذا المخزن بالفتح وقد سبق في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١]. ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ ذلك لجهلهم بالله وبشؤونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون:

خواجه پندارد كه روزى اودهد	لا جرم براين وآن منت نهد
زان سببها او يكى شد پس اكر	كم شود هستند اسباب دكر
حكم روزى بر سببها مى نهد	بى سببها نيز روزى ميدهد

قال رجل لحاتم الأصم رحمه الله: من أين تأكل؟ قال: من خزانة ربي فقال الرجل: أيلقي عليك الخبز من السماء فقال: لو لم تكن الأرض له فيها خزائن لكان يلقي علي الخبز من السماء فقد خلق الله في الأرض الأسباب ومنها فتح الأبواب، قال بعض الكبار: مراعاة حق أم الولد من الرضاع أولى من مراعاة أم الولادة لأن أم الولادة حملته على جهة الأمانة فيكون فيها وتغذى بدم طمثها من غير إرادة لها في ذلك فما تغذى إلا بما لو لم يخرج منها لأهلكها وأمرضها فللجنين المنة على أمه في ذلك، وأما المرضعة فإنما قصدت برضاعه حياته وإبقاءه ولهذا المعنى الذي أشرنا إليه جعل الله المرضعة لموسى أم ولادته حتى لا يكون لامرأة عليه فضل غير أمه، فلما كبر وبلغ إقامة الحجة عليه جعله الله كلا على بني إسرائيل امتحاناً له فقلق من تغير الحال عليه وقال: يا رب أغنني عن بني إسرائيل فأوحى الله إليه: أما ترضى يا موسى أن أفرغك لعبادتي وأجعل مؤونتك على غيرك فسكت ثم سأل ثانياً: فأوحى الله إليه: لا يليق بنبي أن يرى في الوجود شيئاً لغير سيده فكل من رزق ربك ولا منة لأحد عليك فسكت، ثم سأل ثالثاً: فأوحى الله إليه يا موسى إذا كانت هذه شكاسة خلقك على بني إسرائيل وأنت محتاج إليه فكيف لو أغنيتك عنهم فما سأل بعد ذلك شيئاً فالله تعالى يوصل الرزق على عبده بيد من يشاء من عباده مؤمناً أو كافراً وكل ذلك من الحلال الطيب إذا لم يسبق إليه خاطرة أو تعرض ما ولا منة لأحد عليه، وإنما يمن الجاهل وابتلاؤه تعالى لأوليائه بالفقر ليس من عدم قدرته على الإعطاء والإغناء من عدم محبته لهم وكرامتهم عنده بل هو من إنعامه عليهم ليكونوا أزهد الناس في الدنيا وأوفر أجراً في الآخرة ولذا قال عليه السلام في حق فقراء المهاجرين: يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً وكان عليه السلام يستفتح بصعاليك المهاجرين، أي: فقرائهم لقدرهم وقبولهم وجاههم عند الله تعالى على أن الأغنياء إن خصوا بوجود الأرزاق فالفقراء خصوا بشهود الرزاق وهو خير منه وصاحبه أنعم، فمن سعد بوجود الرزاق لم يضره ما فاته من وجود الأرزاق.

قال الجنيد قدس سره: خزائنه في السماوات الغيوب وخزائنه في الأرض القلوب فما انفصل من الغيوب وقع على القلوب وما انفصل من القلوب صار إلى الغيوب والعبد مرتهن بشيئين تقصير الخدمة وارتكاب الزلة وقال الواسطي قدس سره: من طالع الأسباب في الدنيا ولم يعلم أن ذلك يحجبه عن التوفيق فهو جاهل.

وفي «التأويلات النجمية»: ولله خزائن الأرزاق السماوية من العلوم والمعارف والحكم والعوارف المخزونة لخواص العباد يرزقهم حيث يشاء ولله خزائن الأرزاق الأرضية من المأكولات والمشروبات والملبوسات والخيول والبغال المخزونة لعوام العباد ينفق عليهم من حيث لا يحتسبون، ولكن المنافقين بسبب إفساد استعداداتهم وعدم نورانيتهم وغلبة ظلمانيتهم ما يفهمون الأسرار الإلهية والإشارات الربانية. **﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾** روي أن رسول الله ﷺ حين لقي بني المصطلق وهم بطن من خزاعة على المريسيع مصغر مرسوع وهو ماء لهم في ناحية قديد على يوم من الفرغ بالضم موضع من أضخم أعراض المدينة وهزمهم وقتل منهم واستاق ألفي بعير وخمسة آلاف شاة وسبى مائتي أهل بيت أو أكثر، وكانت في السبي جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق أعتقها النبي عليه السلام وتزوجها وهي ابنة عشرين سنة ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد الغفار رضي الله عنه وهو أجير لعمر رضي الله عنه يقود فرسه وسنان الجهني المنافق حليف ابن أبي رئيس المنافقين واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالأنصار فأعان جهجاه جعال بالكسر من فقراء المهاجرين ولطم سناناً فاشتكى إلى ابن أبي فقال لجعال: وأنت هناك قال ما صحبنا محمداً إلا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قيل: سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا من هذا السفر إلى المدينة **﴿ليخرجن الأعز منها الأذل﴾** عنى بالأعز نفسه وبالأذل جانب المؤمنين، فإسناد القول المذكور إلى المنافقين لرضاهم به ثم قال لقوله: ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد، فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال: أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال ابن أبي اسكت فإنما كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله بما قال ابن أبي فتغير وجه رسول الله فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال: إذا ترغم أنوفاً كثيرة بيثرب يعني المدينة ولعل تسميته لها بذلك إن كان بعد النهي لبيان الجواز قال عمر رضي الله عنه: فإن كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصارياً فقال: إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه وقال عليه السلام لابن أبي أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال: والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك وأن زيداً لكاذب فقال الحاضرون: شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام وعسى أن يكون قد وهم فروي أن رسول الله قال له: لعلك غضبت عليه قال: لا قال: فلعله أخطأك سمعك قال: لا قال: فلعله شبه عليك قال: لا فلما نزلت هذه الآية لحق رسول الله زيداً من خلفه فعرك أذنه وقال: وفت أذنك يا غلام إن الله صدقك وكذب المنافقين ورد الله عليهم مقالتهم بقوله: **﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾** أي: ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من المنافقين والكافرين، وعن بعض الصالحين وكان في هيئة رثة، ألست على الإسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه، وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلاً قال له: إن الناس يزعمون أن فيك تيهاً أي: كبراً فقال: ليس ذلك بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية.

وقال بعض الكبار: من كان في الدنيا عبداً محضاً كان في الآخرة ملكاً محضاً ومن كان

في الدنيا يدعي الملك الشيء ولو من جوارحه نقص من ملكه في الآخرة بقدر ما ادعاه في الدنيا فلا أعز في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية الذل في جناب الحق ولا أذل في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية العزة في نفسه ولو كان مصفوعاً في الأسواق؛ ولا أريد بعز الدنيا أن يكون من جهة الملوك فيها إنما أريد أن يكون صفته في نفسه العزة وكذا القول في الذلة وقال الواسطي رحمه الله: عزة الله أن لا يكون شيء إلا بمشيئته وإرادته، وعزة المرسلين أنهم آمنون من زوال الإيمان وعزة المؤمنين أنهم آمنون من دوام العقوبة، وقال: عزة الله العظمة والقدرة، وعزة الرسول النبوة والشفاعة، وعزة المؤمنين التواضع والسخاء والعبودية دل عليه قوله عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي: لا أفتخر بالسيادة بل أفتخر بالعبودية وفيها عزتي إذ لا عزة إلا في طاعة الله ولا ذل إلا في معصية الله، وقال بعضهم: عزة الله قهره من دونه وعزة رسوله بظهور دينه على سائر الأديان كلها، وعزة المؤمنين باستذلالهم اليهود والنصارى كما قال: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقيل: عزة الله الولاية لقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] وعزة رسوله الكفاية لقوله تعالى ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: ٩٥]، وعزة المؤمنين الرفعة لقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

يقول الفقير: أشار تعالى بالترتيب إلى أن العزة له بالأصالة والدوام وصار الرسول عليه السلام مظهراً له في تلك الصفة، ثم صار المؤمنون مظاهر له عليه السلام فيها فعزة الرسول بواسطة عزة الله وعزة المؤمنين بواسطة عزة الرسول سواء أعاصروه عليه السلام أم أتوا بعده إلى ساعة القيام، وجميع العزة لله لأن عزة الله له تعالى صفة وعزة الرسول وعزة المؤمنين لله فعلاً ومنة وفضلاً كما قال القشيري قدس سره: العز الذي للرسول وللمؤمنين هو لله تعالى خلقاً وملكاً وعزه سبحانه له وصفاً فإذا العزة كلها لله وهو الجمع بين قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] وقوله: **﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾** ومن أدب من عرف أنه تعالى هو العزيز أن لا يعتقد لمخلوق إجلالاً ولهذا قال عليه السلام: من تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه قال أبو علي الدقاق رحمه الله: إنما قال: ثلثا دينه لأن التواضع يكون بثلاثة أشياء بلسانه وبدنه وقلبه فإذا تواضع له بلسانه وبدنه ولم يعتقد له العظمة بقلبه ذهب ثلثا دينه، فإن اعتقدها بقلبه أيضاً ذهب كل دينه ولهذا قيل إذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين ومتى عرفت أنه معز لم تطلب العز إلا منه ولا يكون العز إلا في طاعته، قال ذو النون قدس سره: لو أراد الخلق أن يثبتوا لأحد عزاً فوق ما يثبته يسير طاعته لم يقدروا، ولو أرادوا أن يثبتوا لأحد ذلة أكثر مما يثبته اليسير من ذلته ومخالفته لم يقدروا.

ـ حكي ـ عن بعضهم أنه قال: رأيت رجلاً في الطواف وبين يديه خدم يطردون الناس ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد يتكفف ويسأل فحدقت النظر إليه لأتعرفه هل هو ذلك الرجل أو لا، فقال لي: ما لك تطيل النظر إلي فقلت: إني أشبهك برجل رأيته في الطواف من شأنه كذا وكذا فقال: أنا ذاك إني تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني في موضع يترفع فيه الناس. **﴿ولكن المنافقين ولا يعلمون﴾** من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون ولعل ختم الآية الأولى بلا يفقهون والثانية بلا يعلمون للتفنن المعتبر في البلاغة مع أن في الأول بيان عدم كياستهم وفهمهم، وفي الثاني بيان حماقتهم وجهلهم، وفي «برهان القرآن» الأول: متصل

بقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧] وفيه غموض يحتاج إلى فطنة والمنافق لا فطنة له، والثاني: متصل بقوله: **﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾** ولكن المنافقين لا يعلمون أن الله معز أوليائه ومذل أعدائه.

ـ روي ـ أن عبد الله بن أبي لما أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان مخلصاً وسل سيفه ومنع أباه من الدخول وقال: لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فقال: ويحك أفاعل أنت؟ قال: نعم فلما رأى منه الجد قال: أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال عليه السلام لابنه: «جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيراً»، ولما كان عليه السلام بقرب المدينة هاجت ريح شديدة كادت تدفن الراكب فقال عليه السلام: «مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة» أي: لأجل ذلك عصفت الريح فكان كما قال: مات في ذلك اليوم زيد بن رفاعة وكان كهفاً للمنافقين وكان من عظماء بني قينقاع وكان ممن أسلم ظاهراً وإلى ذلك أشار الإمام السبكي في تائيته بقوله:

وقد عصفت ريح فأخير انها لموت عظيم في اليهود بطيبة

ولما دخلها ابن أبي لم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات واستغفر له رسول الله وألبسه قميصه فنزل ﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦]، وروي أنه مات بعد القفول من غزوة تبوك قال بعض الكبار: ما أمر الله عباده بالرفق بالخلق والشفقة إلا تأسياً به تعالى فيكونون مع الخلق كما كان الحق معهم فينصحونهم ويدلونهم على كل ما يؤدي إلى سعادتهم، وليس بيد العبد إلا التبليغ قال تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: ٩٩] فعلى العارف إيضاح هذا الطريق الموصل إلى هذا المقام والإفصاح عن دسائسه، وليس بيده إعطاء هذا المقام فإن ذلك خاص بالله تعالى قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] فوظيفة الرسل والورثة من العلماء إنما هو التبليغ بالبيان والإفصاح لا غير ذلك وجزاؤهم جزاء من أعطى ووهب، والدال على الخير كفاعل الخير.

وفي «التأويلات النجمية»: ولله العزة أي: القوة لله الاسم الأعظم، ولرسول القلب المظهر الأتم الأعم، ولمؤمني القوى الروحانية ولكن منافقي النفس والهوى وصفاتهما الظلمانية الكدرة لا يعلمون لاستهلاكهم في الظلمة وانغماسهم في الغفلة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إيماناً صادقاً **﴿لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾** في «الصحاح» لهيت عن الشيء بالكسر ألهى لهياً ولهياناً إذا سلوت وتركت ذكره وأضربت عنه، وفي «القاموس»: لها كدعا سلا وغفل وترك ذكره كتلهى وألهاه أي: شغله ولهوت بالشيء بالفتح ألهو لهواً إذا لعبت به والمعنى: لا يشغلكم الاهتمام بتدبير أمورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره تعالى من الصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود، ففي ذكر الله مجاز أطلق المسبب وأريد السبب قال بعضهم: الذكر بالقلب خوف الله وباللسان قراءة القرآن والتسبيح والتهليل والتمجيد والتكبير وتعلم علم الدين وتعليمه وغيرها وبالأبدان الصلاة وسائر الطاعات، والمراد نهيهم عن التلهي بها، أي: عن ترك ذكر الله بسبب الاشتغال بها

وتوجيه النهي إليها للمبالغة بالتجوز بالسبب عن المسبب كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ [الأعراف: ٢] وقد ثبت أن المجاز أبلغ وقال بعضهم: هو كناية لأن الانتقال من لا تلهكم إلى معنى قولنا لا تلهوا انتقال من اللازم إلى الملزوم، وقد كان المنافقون بخلاء بأموالهم ولذا قالوا: ﴿لا تنفقوا على من عند رسول الله﴾ ومتعززين بأولادهم وعشائرهم مشغولين بهم وبأموالهم عن الله وطاعته وتعاون رسوله فنهى المؤمنون أن يكونوا مثلهم في ذلك. ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي: التلهي بالدنيا عن الدين والاشتغال بما سواه عنه ولو في أقل حين. ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ أي: الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني. قال الكاشفي: مقتضاي ايمان آنست كه دوستى خداى تعالى غالب بود بردوستى همه اشيا تا حدى كه اكر تمام نوال دنيا ومجموع نعم آخرت بروى عرض كنند بنظر در هيچ كدام ننكرد:

چشم دل ازنعيم دوعالم به بسته ايم مقصود مازدنى وعقبي تويى وبس

وفي الحديث: «ما طلعت الشمس إلا بجنبيها ملكان يناديان ويسمعان الخلائق غير الثقلين: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر وألهى». وفي الآية إشارة إلى كمل أرباب الإيمان الحقيقي الشهودي يقول الله لهم لا تشغلكم رؤية أموال أعمالكم الصالحة من الصلاة والزكاة والحج والصوم ولا أولاد الأحوال التي هي نتيجة الأعمال من المشاهدات والمكاشفات والمواهب الروحانية والعطايا الربانية عن ذكر ذاته وصفاته وأسمائه وظهوره في صورة الأعمال والأحوال، ومن يفعل ذلك فإنما يشغل بالخلق ويحتجب بالنعمة عن المنعم فأولئك هم الخاسرون خسروا رأس مال التجارة وما ربحوا إلا الخسران وهو حجاب عن المشهود الحقيقي، قال بعضهم: في الآية بيان أن من لم يبلغ درجة التمكين في المعرفة لا يجوز له الدخول في الدنيا من الأهل والمال والولد فإنها شواغل قلوب الذاكرين عن ذكر الله، ومن كان مستقيماً في المعرفة وقرب المذكور فذكره قائم بذكر الله إياه فيكون محفوظاً من الخطرات المذمومة والشاغلات الحاجبة، وأما الضعفاء فلا يخرجون من بحر هموم الدنيا فإذا باشرت قلوبهم الحظوظ والشهوات لا يكون ذكرهم صافياً عن كدورات الخطرات، وقال سهل قدس سره: لا يشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن أداء الفرائض في أول مواقيتها فإن من شغله عن ذكر الله وخدمته عرض من عروض الدنيا فهو من الخاسرين.

﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ أي: بعض ما أعطيناكم تفضلاً من غير أن يكون حصوله من جهتكم ادخاراً للآخرة يعني حقوق واجب را اخراج نماييد. فالمراد هو الإنفاق الواجب نظراً إلى ظاهر الأمر كما في «الكشاف» ولعل التعميم أولى وأنسب بالمقام. ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾ بأن يشاهد دلائله ويعاين أماراته ومخايله، وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام بما تقدم والتشويق إلى ما تأخر، ولم يقل: من قبل أن يأتيكم الموت فتقولوا إشارة إلى أن الموت يأتيهم واحداً بعد واحد حتى يحيط بالكل. ﴿فيقول﴾ عند تيقنه بحلوله.

﴿رب﴾ أي: آفريد كارمن ﴿لولا أخرتني﴾ هلا أمهلتني فلولا للتحضيض وقيل: لا زائدة للتأكيد، ولو للتمني بمعنى لو أخرتني ﴿إلى أجل قريب﴾ أي: أمد قصير وساعة أخرى قليلة، وقال أبو الليث: يا سيدي ردني إلى الدنيا وأبقني زماناً غير طويل وفي «عين المعاني»: مثل ما أجلت لي في الدنيا. ﴿فأصدق﴾ تا تصدق كنم وزكاة ادانمايم. وهو بقطع الهمزة لأنها للتكلم وهمزته مقطوعة وبتشديد الصاد لأن أصله أتصدق من التصدق فأدغمت التاء في الصاد وبالنصب لأنه مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء في جواب التمني في قوله: ﴿لولا أخرتني﴾ ﴿وأكن من الصالحين﴾ بالجزم عطفاً على محل فأصدق كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن، وفيه إشارة إلى أن التصدق من أسباب الصلاح والطاعة كما أن تركه من أسباب الفساد والفسق، والفرق بين التصدق والهدية أن التصدق للمحتاج بطريق الترحم والهدية للحبيب لأجل المودة، ولذا كان عليه السلام يقبل الهدية لا الصدقة فرضاً كانت أو نفلاً، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من كان له مال يجب فيه الزكاة فلم يزكه أو مال يبلغه إلى بيت الله فلم يحج يسأل عند الموت الرجعة فقال رجل: اتق الله يا ابن عباس إنما سألت الكفار الرجعة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني أقرأ عليك هذا القرآن فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إلى قوله: ﴿فأصدق وأكن من الصالحين﴾ فقال الرجل: يا ابن عباس وما يوجب الزكاة قال: مائتا درهم فصاعداً قال: فما يوجب الحج، قال: الزاد والراحلة فالآية في المؤمنين وأهل القبلة لكن لا تخلو عن تعريض بالكفار، وإن تمنى الرجوع إلى الدنيا لا يختص بالكفار بل كل قاصر مفرط يتمنى ذلك.

قال بعض العلماء: في الآية دلالة على وجوب تعجيل الزكاة لأن إتيان الموت محتمل في كل ساعة، وكذا غيرها من الطاعات إذا جاء وقتها لعل الأولى استحبابه في أغلب الأوقات، ولذا اختار بعض المجتهدين أول الوقت عملاً بقوله عليه السلام: أول الوقت رضوان الله أي: لأن فيه المسارعة إلى رضى الله والاهتمام بالعمل إذ لا يدري المرء أن يدرك آخر الوقت. ﴿ولن يؤخر الله نفساً﴾ أي: ولن يمهلها مطيعة وعاصية صغيرة أو كبيرة ﴿إذا جاء أجلها﴾ أي: آخر عمرها أو انتهى إن أريد بالأجل الزمان الممتد من أول العمر إلى آخره يعني چون عمر بآخر رسيد چيزى بران نيفزايند وازان كم نكنند. «قال الشيخ سعدي»:

كه يك لحظه صورت نه بندد امان چو پيمانه پرشد بدور زمان

واستنبط بعضهم عمر النبي عليه السلام من هذه الآية فالسورة رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده.

قال بعضهم: الموت على قسمين اضطراري وهو المشهور في العموم والعرف وهو الأجل المسمى الذي قيل فيه: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، والموت الآخر موت اختياري وهو موت في الحياة الدنيا وهو الأجل المقضي في قوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ [الأنعام: ٢] ولا يصح للإنسان هذا الموت في حياته إلا إذا وحد الله تعالى توحيد الموتى الذين انكشفت لهم الأغطية، وإن كان ذلك الكشف في ذلك الوقت لا يعطي سعادة إلا لمن كان من العامة عالماً بذلك، فإذا انكشف الغطاء يرى ما علم عيناً فهو سعيد فصاحب هذا التوحيد ميت لا ميت كالمقتول في سبيل الله نقله الله إلى البرزخ لا عن موت، فالشهيد مقتول

لا ميت وكذلك هذا المعتنى به لما قتل نفسه في الجهاد الأكبر الذي هو جهاد النفس رزقه الله تعالى حكم الشهادة فولاه النيابة في البرزخ في حياته الدنيا فموته معنوي وقتله مخالفة نفسه.
﴿والله خبير بما تعملون﴾ فمجازيكم عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر فسارعوا في الخيرات واستعدوا لما هو آت، القاشاني: قضية الإيمان غلبة حب الله على محبة كل شيء فلا تكن محبتهم ومحبة الدنيا من شدة التعلق بهم وبالأموال غالبة في قلوبكم على محبة الله فتحجبون بهم عنه فتصيرون إلى النار فتخسرون نور الاستعداد الفطري بإضاعته فيما يفنى سريعاً، وتجردوا عن الأموال بإنفاقها وقت الصحة والاحتياج إليها لتكون فضيلة في نفسكم وهيئة نورية لها فإن الانفاق إنما ينفع إذا كان عن ملكة السخاء وهيئة التجرد في النفس، فأما عند حضور الموت فالمال للوارث لا له فلا ينفعه إنفاقه وليس له إلا التحسر والندم وتمنى التأخير في الأجل بالجهل، فإنه لو كان صادقاً في دعوى الإيمان وموقناً بالآخرة لتيقن أن الموت ضروري وأنه مقدر في وقت معين قدره الله فيه بحكمته فلا يمكن تأخره، ولتدارك أمره قبل حلول المنية فإنه لا يدري المرء كيف تكون العاقبة ولذا قيل: لا تغتر بلباس الناس فإن العاقبة مبهمة:

مسكين دل من كرچه فراوان داند   در دانش عاقبت فرومى ماند

وفي الحديث: «لأن يتصدق المرء في حياته بدرهم خير من أن يتصدق بمائة عند موته» وقال عليه السلام: «الذي يتصدق عند موته أو يعتق كالذي يهدي إذا شبع» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً قال: أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تهمل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان» يعني إهمال نكنى تا آن زمان كه جان بحلقوم رسد كويى فلان را اين وفلانرا اين باشد وخود از ان فلان شود به مرك تو.

ـ روى ـ الإمام الغزالي رحمه الله عن عبد الله المزني أنه قال: جمع رجل من بني إسرائيل مالاً كثيراً فلما أشرف على الموت قال لبنيه: ائتوني بأصناف أموالي فأتي بشيء كثير من الخيل والإبل والدقيق وغيره فلما نظر إليها بكى عليها تحسراً فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال: ما يبكيك؟ فوالذي خولك ما خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك قال: فالمهلة حتى أفرقها قال: هيهات انقطع عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه قال السلطان ولد قدس سره:

بكذار جهان راكه جهان آن تونيست   وين دم كه همى زنى بفرمان تونيست
كرمال جهان جمع كنى شاد مشو   ورتكيه بجان كنى جان آن تونيست

وفي الآية إشارة إلى إنفاق الوجود المجازي الخلقي بالإرادة الروحانية لنيل الوجود الحقيقي من غير أن يأتي الموت الطبيعي بلا إرادة فيموت ميتة جاهلية من غير حياة أبدية، لأن النفس لم تزل جاهلة غير عارفة بربها، ولا شك أن الحياة الطبيعية إنما هي في معرفة الله وهي لا تحصل إلا بموت النفس والطبيعة وحياة القلب والروح فمن لم يكن على فائدة من هذا الموت الإرادي بتمني الرجوع إلى الدنيا عند الموت الطبيعي لتصدق الوجود المجازي بالإرادة والرغبة والكون من الصالحين لقبول الوجود الحقيقي؛ وكل من كان مستعداً لبذل الوجود الإضافي لقبول الوجود الإطلاقي وجاء زمانه باستيفائه أحكام الشريعة الزهراء واستقصائه آداب

الطريقة البيضاء لا يمكن له الوقفة على الحجاب والاحتجاب، كما إذا جاء زمان نفخ الروح في الجنين باستكمال المدة يشتعل بنور الروح البتة اللهم إلا أن تعرض آفة تمنعه عن ذلك، والله خبير بما تعملون من بذل الوجود الإمكاني ونيل الوجود الواجبي الحقاني كما قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ [الواقعة: ١، ٢] جعلنا الله وإياكم من الباذلين وجوده والمستفيضين منه تعالى فضله وجوده وأن يختم لنا بالخير بأن يوفقنا للإعراض عن الغير.

تمت سورة المنافقين بعون الله المعين في أوائل شهر ربيع الأول
من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف
تم المجلد التاسع ويليه المجلد العاشر إن شاء الله تعالى أوله سورة التغابن

فهرس السور والآيات

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الواقعة